

لِئِينِ

المختارات

في ١٠ مجلدات

المجلد

٥

(١٩١٦-١٩١٢)



دار التقدم • موسكو



W. H. Wood/Keenan

В. И. ЛЕНИН
Избранные произведения в 10-и томах
том V
(1912—1916)
На арабском языке

© الترجمة الى اللغة العربية — دار التقدم ، ١٩٧٦

Л $\frac{10102-1131}{014(01)-76}$ 468—76

من الدار

يشمل المجلد الخامس من المختارات مؤلفات كتبها لينين في المرحلة الممتدة من شهر ايلول (سبتمبر) ١٩١٢ الى شهر آب (اغسطس) ١٩١٥ ومؤلفه الكلاسيكي «الامبريالية اعلى مراحل الرأسمالية» الذي كتبه بين كانون الثاني (يناير) وحزيران (يونيو) ١٩١٦

يضم المجلد مؤلفات لينين الواسعة الشهرة «كارل ماركس»، و«مصادر الماركسية الثلاثة واقسامها المكونة الثلاثة» و«مصائر مذهب كارل ماركس التاريخية» وفيها يكشف لينين ما يتميز به مذهب ماركس من مضمون ثوري وقوة لا تقهر وحيوية بالغة ويصوغ موضوعات هامة في مضمار النظرية الماركسية مستنداً في ذلك الى تجربة نضال الطبقة العاملة في روسيا والحركة العمالية العالمية ويصف لينين الماركسية بوصفها ذروة الحضارة العالمية، والوراث الشرعي لخير ما ابدعته البشرية في القرن التاسع عشر اي الفلسفة الالمانية والاقتصاد السياسي الانجليزي والاشتراكية الفرنسية ويشير الى الانسجام الرائع والاكتمال البديع في نظرات ماركس التي تؤلف بمجموعها «المادية الحديثة والاشتراكية العلمية المعاصرة بوصفهما نظرية الحركة العمالية وبرنامجهما في جميع البلدان المتمدنة في العالم» (المؤلفات الكاملة، المجلد ٢٦، ص ص ٥٠-٥١).

عشية الحرب العالمية الاولى كان لينين يعتبر مهمة النضال ضد التعصب القومي وشوفينية الدولة الكبرى والاشتراكية-الشوفينية مهمة على جانب خاص من الاهمية ففي سنتي ١٩١٣ و١٩١٤ ظهرت من جديد في الاشتراكية-الديموقراطية في روسيا مجادلات خارقة الحدة بصدد المسألة القومية ، تلك المجادلات التي كانت قد نشبت منذ عام ١٩٠٣ في زمن انعقاد المؤتمر الثاني للحزب وقد عارض الانتهازيون من كل شاكلة وطراز الفقرة التاسعة من برنامج الحزب القائلة بحق الامم في تقرير مصيرها وكان لينين قد بين في عدد من المقالات (راجعوا مثلاً «ملاحظات انتقادية حول المسألة القومية» «حق الامم في تقرير مصيرها» «حول استقلال «الثقافة القومية» الذاتي») انه من الضروري ان يتضمن برنامج الاشتراكية-الديموقراطية مطلب منح كل امة الحق في تقرير المصير بما فيه الانفصال بما فيه تشكيل دولة قومية مستقلة وفي الدفاع عن الفقرة التاسعة من برنامج الحزب اوضح لينين انه لا يجوز الخلط بين مسألة الاعتراف بحق الانفصال وبين مسألة عقلانية الانفصال في هذه الحالة الملموسة او تلك ان البروليتاريا الثورية فيما اذا تساوت الظروف والشروط الاخرى ستدافع عن كيان دولة كبيرة لانها تتمتع بعدد من الافضليات الهامة بالقياس الى الدولة الصغيرة والبروليتاريا اذ تعترف بالحق المتساوي لجميع الامم في الدولة القومية تقدر اسمى ما تقدر التحالف بين البروليتاريين من جميع الامم وترى الى كل مطلب قومي من زاوية نظر النضال الطبقي وانتقد لينين انتقاداً حاداً شعار «استقلال الثقافة القومية الذاتي» الذي رفعه الانتهازيون فان هذا الشعار الذي يطالب بمدارس منفصلة لاولاد مختلف القوميات وبتقسيم العمل الثقافي كله ، في البلد المعني ، حسب الانتساب القومي لا يفعل غير ان

يؤدي الى تسعير نيران العداوة بين الامم والى تشديد اخضاع العمال من كل امة اخضاعاً فكرياً لبرجوازيتهـم» ان شعار «استقلال الثقافة القومية الذاتي» يتنافى مع الاممية البروليتارية ان بحوث لينين في المسألة القومية هي بمثابة قسط بارز في كنز الماركسية الفكري وقد كانت ولا تزال دليلاً وهادياً في نشاط الاحزاب الشيوعية والعمالية في جميع البلدان وقد اعتبر لينين نضال الشعوب المستعمرة من اجل استقلالها وحريتها جزءاً لا يتجزأ من نضال البروليتاريا العالمية ضد الامبريالية ووصف العمليات الحربية التي قامت بها ايطاليا في افريقيا (راجعوا مقالة «نهاية الحرب بين ايطاليا وتركيا») في سنتي ١٩١١ و١٩١٢ واستيلاء ايطاليا على طرابلس الغرب بانها حرب استعمارية «نموذجية» بالنسبة للدول «المتمدنة» في القرن العشرين وكانت هذه الحرب على حد قوله ، «مجزرة بشرية متمدنة متقنة كانت تقتيلاً للعرب بواسطة «الحدث» العتاد» ووضح لينين ان للبروليتاريا الثورية ولشعوب الشرق المستعمرة عدواً مشتركاً هو الامبريالية ودافع بدأب وثبات عن فكرة الوحدة والتضامن الكفاحي بين البروليتاريا العالمية وشعوب البلدان المستعمرة والتابعة

بعد هزيمة ثورة ١٩٠٥-١٩٠٧ في روسيا سادت الرجعية القاسية في البلاد ولكنها لم تستطع ان تستأصل طموح الشعب الى الحرية والى الاطاحة بنظام الحكم المطلق ومنذ عام ١٩١٠ بدأت الحركة العمالية تنتعش من جديد وشرع العمال يتقدمون بمطالب اقتصادية وسياسية واسعة وكانت تختمر في روسيا ازمة سياسية جديدة وآنذاك صاغ لينين المهمة الرئيسية كما يلي حشد جميع القوى الثورية في البلاد برئاسة الطبقة العاملة اعداد ثورة جديدة ضد القيصرية . وفي اداء هذه المهمة كان ينبغي

ان يعود الدور الحاسم الى حزب الطبقة العاملة وعملها الفكري والتنظيمي بين الجماهير ونشاطها السري وقدرتها على الاستفادة من اقل الامكانيات الشرعية لاجل رص صفوف الجماهير الشعبية حول البروليتاريا تحت شعاراتها الكفاحية

وفي تلك المرحلة كان لينين يخوض غمار نضال شديد متوتر ضد الانتهازيين من كل شاكلة وطراز - التصفيين الفبريوديين البونديين التروتسكيين وغيرهم - الذين كانوا يسعون الى تصفية حزب الطبقة العاملة الثوري السري او كانوا يقوضون قدرته الكفاحية بنشاطهم الانشقاقي وقد انعكس الوضع في تلك المرحلة وكفاح البلاشفة من اجل صيانة الحزب وتوطيده في مقالة لينين «حول الاخلال بالوحدة المتستر بالصراخ عن الوحدة»

وفي المؤلفات الواردة في هذا المجلد يبين لينين تأزم تناقضات المجتمع الرأسمالي ويشير الى ان خطر نشوب حرب امبريالية عالمية كان يتعاضم من جراء ذلك كذلك فضح لينين في عدد من المقالات ولاسيما في مقالتيه «التسلح والرأسمالية» و«من يستفيد من ذلك؟» سياسة سباق التسلح وقال ان معامل ومصانع المدافع والديناميت والبنادق هي عبارة عن مؤسسات دولية وان الرأسماليين من مختلف البلدان يتعاونون ويتشاركون في خداع الشعوب ونهبها

في صيف ١٩١٤ نشبت الحرب العالمية الاولى فكانت حرباً بين فريقين من الدول الامبريالية من اجل تقاسم المستعمرات ومناطق النفوذ من اجل نهب واستعباد الشعوب الاخرى على رأس احد الفريقين (الحلف الرباعي) كانت تقف الامبريالية الالمانية ؛ وعدا المانيا كان هذا الفريق يضم النمسا-المجر وتركيا وبلغاريا وكان الفريق الآخر (الوفاق) برئاسة الامبرياليين الانجليز والفرنسيين . وكان يضم كذلك روسيا القيصرية .

عرت الحرب وازمت التناقضات الكامنة عميقاً في داخل الحركة الاشتراكية وقدمت الدليل على الخيانة السافرة التي اقترفتها اغلبية زعماء الاحزاب الاشتراكية-الديموقراطية والاممية الثانية بحق الطبقة العاملة وقرارات المؤتمرات الاشتراكية ضد الحرب وقد تخلت اغلبية قادة الاحزاب الاشتراكية-الديموقراطية في اوربا عن مواقع النضال الطبقي والاممية البروليتارية وانتقلت الى مواقع «السلام الاهلي» وشغلت مواقف الدفاع عن دولها الامبريالية والدفاع عن الحرب الامبريالية

وفي هذه اللحظة من الازمة الفائقة الخطورة ضرب الحزب البلشفي وحده وعلى رأسه لينين وكذلك جماعات صغيرة في الاحزاب الاشتراكية الاخرى المثال على الاخلاص للاشتراكية والاممية البروليتارية وسار الحزب وهذه الجماعات في طليعة الطبقة العاملة في النضال ضد الامبريالية والحرب الامبريالية وفي الايام الاولى بالذات من الحرب صدر باسم اللجنة المركزية ح ع ادر بيان كتبه لينين عنوانه «الحرب والاشتراكية-الديموقراطية في روسيا» وقد اعطى البيان تقييماً ماركسياً حقاً للحرب البادئة بوصفها حرباً امبريالية اغتصابية لصوصية غير عادلة ورفع لينين شعار تحويل الحرب الامبريالية الى حرب اهلية

وقد كان كراس «الاشتراكية والحرب» الوارد في هذا المجلد توضيحاً وتعليلاً مسهباً لخط البلاشفة في زمن الحرب وفي هذا الكراس طور لينين التعليم الماركسي بصدد الحرب وموقف الاشتراكيين من الحروب

وفي الوقت نفسه شن لينين نضالاً حازماً ضد الانتهازية في الاشتراكية-الديموقراطية العالمية ففي مقال «افلاس الاممية الثانية» ، كشف لينين أسباب السلوك الشائن الذي سلكته اغلبية

زعماء الاشتراكية-الديموقراطية الاوروبية ، وبين ان افلاس الامية الثانية هو افلاس الانتهازية مع سياستها الهادفة الى اخضاع الطبقة العاملة لمصالح البرجوازية وقد كانت الاشتراكية-الشفوفينية امتداداً طبيعياً للانتهازية وتطوراً لها ووضح لينين انه نشأ في الاحزاب الاشتراكية تلوينان رئيسيان للاشتراكية-الشفوفينية احدهما سافر ووقح والثاني متمسك ومنافق وبالتالي اشد خطراً وقد اكد لينين بصورة خاصة على اهمية النضال ضد الانتهازية المتسترة اي ضد الوسطية او الكاوتسكية وجاء مؤلف لينين الكلاسيكي «الامبريالية اعلى مراحل الرأسمالية» نتيجة لنشاطه الكبير في دراسة الامبريالية ففي هذا المؤلف عمم لينين تطور الرأسمالية العالمية خلال السنوات الخمسين التي انقضت منذ صدور كتاب ماركس «رأس المال» بالاستناد الى القوانين التي اكتشفها ماركس وانجلس بصدد نشوء الرأسمالية وتطورها وانحطاطها اعطى لينين للمرة الاولى تحليلاً علمياً عميقاً عن كنه الامبريالية الاقتصادي والسياسي بوصفها مرحلة خاصة من الرأسمالية اعلى مراحل الرأسمالية وبين حتمية تازم جميع التناقضات الملازمة للمجتمع الرأسمالي في ظل الامبريالية ووصف الامبريالية بانها رأسمالية احتكارية وبأنها في الوقت نفسه رأسمالية طفيلية متعفنة محتضرة و اشار الى شروط وظروف هلاكها وزوالها والى حتمية وضرورة حلول التشكيلة الاجتماعية الاقتصادية الشيوعية محل الرأسمالية ووضح ان الامبريالية هي عشية الثورة الاشتراكية والكتاب مزود بملاحظات من الناشر وبدليل موجز للاسماء .

نهاية الحرب بين ايطاليا وتركيا

يؤخذ من البرقيات ان مندوبي ايطاليا وتركيا قد وقعوا شروط الصلح التمهيدية

لقد «انتصرت» ايطاليا لقد اندفعت منذ سنة مضت تنهب الاراضي التركية في افريقيا ومن الآن فصاعداً تصبح طرابلس ملكاً لايطاليا ومن المفيد ان نلقي نظرة على هذه الحرب الاستعمارية النموذجية التي تشنها دولة «متمدنة» من القرن العشرين

ما سبب هذه الحرب ؟ سببها جشع طغاة المال والرأسماليين الايطاليين الذين هم بحاجة الى سوق جديدة الى نجاحات تحرزها الامبريالية الايطالية

وكيف كانت هذه الحرب ؟ كانت مجزرة بشرية متمدنة متقنة ، كانت تقتيلاً للعرب بواسطة «احدث» العتاد

لقد قاوم العرب مقاومة المستميت فحينما انزل الاميرالات الطليان في بدء الحرب بدون حذر ١٢٠٠ بحار هاجمهم العرب وقتلوا منهم حوالي ٦٠٠ شخص و«عقاباً» قتلوا من العرب حوالي ٣٠٠٠ ونهبوا وذبحوا عائلات باكملها وقتلوا النساء والاطفال الطليان امة دستورية ، متمدنة
لقد علقوا على المشانق حوالي ١٠٠٠ عربي .

وخسر الطليان اكثر من ٢٠ الف شخص منهم ١٧٤٢٩ مريضاً و٦٠٠ مفقود و١٤٠٥ قتلى
وهذه الحرب قد كلفت الطليان اكثر من ٨٠٠ مليون ليرا
اي اكثر من ٣٢٠ مليون روبل واسفرت الحرب عن انتشار
البطالة لحد مخيف وعن ركود الصناعة
وقد قتل من العرب حوالي ١٤٨٠٠ شخص وستستمر الحرب
في الواقع بالرغم من «الصلح» لان القبائل العربية الموجودة
بعيداً عن الساحل في داخل القارة الافريقية لن ترضخ وسيستمر
زمناً طويلاً في «تمدينها» بالحرب والرصاص وحبال المشانق
والنار واغتصاب النساء
وايطاليا ليست طبعاً باحسن ولا بارداً من بقية البلدان
الرأسمالية فجميع هذه البلدان على السواء تحكمها البرجوازية
التي لا تحجم عن اية مجزرة في سبيل مصدر جديد للارباح

المجلد ٢٢
صص ١١٣-١١٤

«البرافدا» («الحقيقة») ،
العدد ١٢٩ ، ٢٨ ايلول
. (سبتمبر) ١٩١٢ .

طوبويتان

ان كلمة طوبوية مشتقة من كلمة «اوطوبيا» اليونانية الاصل * «او» تعني باليونانية «لا» و«طوبوس» - «مكان» والطوبوية هي مكان لا وجود له هي خيال اختلاق خرافة والطوبوية في السياسة هي ضرب من امنية يستحيل كليا تحقيقها لا الآن ولا فيما بعد امنية لا تعتمد على قوى اجتماعية ولا يدعمها نمو تطور القوى السياسية ، الطبقة

وبقدر ما تقل الحريات في البلد وتشح ظاهرات النضال السافر بين الطبقات وينخفض مستوى تثقيف الجماهير بقدر ما تنبثق الطوبويات السياسية عادة بمزيد من السهولة وتدوم زمناً اطول

وفي روسيا المعاصرة لا يزال ثمة نوعان من الطوبويات السياسية باقين باشد الرسوخ وهما يؤثران تأثيراً معيناً في الجماهير بجاذبيتها انهما الطوبوية الليبيرالية والطوبوية الشعبية (١)

ان الطوبوية الليبيرالية تتقوم في الزعم بانه من الممكن بسلام ووثام ودون ضيم احد من الناس دون اقصاء

* باللاتينية utopia اوطوبيا . الناشر .

البوريشكيفيتشين دون نضال طبقي في غاية الضراوة ويخاض الى النهاية التوصل الى تحسينات جدية نوعاً في روسيا في حريتها السياسية في وضع جماهير الشعب الكادح انها طوبوية السلام بين روسيا الحرة والبوريشكيفيتشين

اما الطوبوية الشعبية فهي حلم المثقف الشعبي النزعة والفلاح التروودوفيك (٢) بانه يمكن بتقسيم جميع الاراضي تقسيماً جديداً وعادلاً القضاء على سلطة الرأسمال وسيطرته القضاء على العبودية المأجورة او بانه يمكن تهيئة القسمة «العادلة» «المتساوية» للاراضي في ظل سيطرة الرأسمال في ظل سلطان المال ، في ظل الانتاج البضاعي

من اين تنبع هاتان الطوبويتان ؟ لماذا تبقيان راسختين نسبياً في روسيا المعاصرة ؟

انهما تنبعان من مصالح الطبقات التي تخوض النضال ضد النظام القديم ضد القنانة والحرمان من الحقوق وبكلمة ، «ضد البوريشكيفيتشين» والتي لا تشغل مركزاً مستقلاً في هذا النضال . ان الطوبوية والسباحة في الاحلام انما هما وليدتا هذا اللااستقلال هذا الضعف ان العيش في عالم الاحلام هو نصيب الضعفاء

ان البرجوازية الليبرالية على العموم والمثقفين البرجوازيين الليبراليين على الخصوص لا بد لهم من الطموح الى الحرية والشرعية لانه دون هذا لا تكون سيادة البرجوازية كاملة مؤمنة لا ينازعها منازع ولكن البرجوازية تخاف من حركة الجماهير اكثر مما تخاف من الرجعية ومن هنا ضعف الليبرالية المدهش الذي لا يصدق ، في السياسة وعجزها التام من هنا جملة لا نهاية لها من وقائع التلون والكذب والنفاق والمهارب الجبانة في عموم سياسة الليبراليين الذين يجب عليهم ان يتظاهروا بالديموقراطية لكي يجتذبوا الجماهير الى جانبهم ، والذين يضمرون

في الوقت نفسه عداوة عميقة للديموقراطية وعداوة عميقة لحركة الجماهير ومبادئها ومبادئها وطريقها في «اقتحام السماء» كما قال ذات مرة ماركس عن واحدة من الحركات الجماهيرية الاوروبية من القرن الماضي (٣)

ان طوبوية الليبرالية هي طوبوية العجز في قضية تحرير روسيا السياسي طوبوية كيس النقود الجشع الذي يرغب في تقاسم الامتيازات «بصورة حبية» مع البوريشكيفيتشين عارضاً هذه الرغبة النبيلة في صورة نظرية عن انتصار الديموقراطية الروسية «الحبي» ان الطوبوية الليبرالية انما هي حلم بالانتصار على البوريشكيفيتشين دون انزال الهزيمة بهم وبتحطيمهم دون الحاق اي ألم بهم وواضح ان هذه الطوبوية ضارة لا لأنها طوبوية

وحسب بل ايضاً لأنها تفسد وعي الجماهير الديموقراطي ان الجماهير التي تؤمن بهذه الطوبوية لن تنال الحرية ابدأ وهذه الجماهير غير جديرة بالحرية هذه الجماهير قد استحققت تماماً ان يسخر منها البوريشكيفيتشيون

اما طوبوية الشعبين والترودوفيك فهي استغراق الملاك الصغير الذي يقف في الوسط بين الرأسمالي والعامل الاجير ، في الحلم بالقضاء على العبودية المأجورة بدون نضال طبقي وعندما تصبح مسألة التحرر الاقتصادي بالنسبة لروسيا مسألة قريبة ومباشرة مسألة الساعة كما هي عليه الآن مسألة التحرر السياسي عند ذاك تسمي طوبوية الشعبين لا تقل ضرراً عن طوبوية الليبراليين

ولكن روسيا لا تزال تعيش الآن عهد تحولها البرجوازي لا البروليتاري وليست مسألة تحرر البروليتاريا الاقتصادي هي التي نضجت الى النهاية ، بل مسألة الحرية السياسية ، اي (من

حيث جوهر الامر) مسألة الحرية البرجوازية التامة
وفي هذه المسألة الاخيرة تضطلع طوبوية الشعبين بدور
تاريخي فريد من نوعه بما انها طوبوية بصدد العواقب
الاقتصادية التي يجب ان يؤول (وسيؤول) اليها تقسيم الاراضي
الجديد فهي رفيقة وعلامة النهوض الديمقراطي الجماهيري العظيم
لجماهير الفلاحين اي الجماهير التي تشكل اغلبيية السكان في روسيا
البرجوازية الاقطاعية المعاصرة (في روسيا البرجوازية الصرف
كما في اوروبا البرجوازية الصرف لن يكون الفلاحون اغلبيية
السكان)

ان طوبوية الليبراليين تفسد وعي الجماهير الديمقراطي
اما طوبوية الشعبين التي تفسد وعيها الاشتراكي فهي رفيقة
وعلامة نهوضها الديمقراطي بل انها جزئياً معبرة عنه
ان دياليكتيك التاريخ لعل نحو بحيث ان الشعبين والترودوفيك
يقترحون ويطبّقون كوسيلة ضد الرأسمالية تدبيراً رأسمالياً
قاطعاً يتسم بالحد الاقصى من الانسجام والتماسك في حقل المسألة
الزراعية في روسيا ان «السوائية» في تقسيم الارض الجديد انما
هي طوبوية ولكن القطيعة الكاملة الضرورية بالنسبة للتقسيم
الجديد مع النظام القديم كله لملكية الاراضي سواء منها
الاقطاعية ام الممنوحة (٤) ام «الاميرية» انما هي التدبير الاكثر
ضرورة ، التدبير التقدمي اقتصادياً التدبير الاكثر الحاحاً بالنسبة
لدولة كروسيا ، في الاتجاه البرجوازي الديمقراطي
يجب ان لا يغيب عن البال قول انجلس الرائع
«ان الكاذب بالمعنى الاقتصادي الشكلي قد يكون حقيقة
بالمعنى التاريخي العالمي» (٥)

لقد ادلى انجلس بهذه الموضوعة العميقة بصدد الاشتراكية

الطوبوية فان هذه الاشتراكية كانت «كاذبة» بالمعنى الاقتصادي الشكلي لقد كانت هذه الاشتراكية «كاذبة» عندما اعلنت ان القيمة الزائدة غير عادلة من وجهة نظر قوانين التبادل وتجاه هذه الاشتراكية كان نظريو الاقتصاد السياسي البرجوازي على حق بالمعنى الاقتصادي الشكلي لان القيمة الزائدة تنبع بصورة «طبيعية» تماماً ، بصورة «عادلة» تماماً من قوانين التبادل

ولكن الاشتراكية الطوبوية كانت على حق بالمعنى التاريخي العالمي لأنها كانت العلامة المعبرة المباشرة بتلك الطبقة التي ولدتها الرأسمالية والتي نمت الآن نحو مستهل القرن العشرين وصارت قوة جماهيرية قادرة على ان تضع حداً للرأسمالية وسائرة بلا مرد الى هذا

ان موضوعه انجلس العميقة المعنى انما يجب تذكرها لدى تقدير طوبوية الشعبين او الترودوفيك الحالية في روسيا (ربما ليس في روسيا وحدها بل ايضاً في جملة كاملة من الدول الاسيوية التي تمر في القرن العشرين بالثورات البرجوازية)

ان ديموقراطية الشعبين الكاذبة بالمعنى الاقتصادي الشكلي انما هي حقيقة بالمعنى التاريخي ان هذه الديموقراطية الكاذبة بصفتها طوبوية اشتراكية انما هي حقيقة ذلك النضال الديموقراطي الاصيل المشروط تاريخياً الذي تخوضه جماهير الفلاحين والذي يشكل جزءاً لا يتجزأ من التحول البرجوازي وشرطاً لانتصاره التام

ان الطوبوية الليبرالية تنسى جماهير الفلاحين عادة النضال اما الطوبوية الشعبية فتفصح عن سعيهم الى النضال وتعددهم بمليون نعمة في حال النصر ، في حين ان هذا النصر لا يعطي بالفعل غير مائة نعمة ولكن أليس من الطبيعي ان تعتمد الملايين المندفعة الى النضال ، والتي عاشت قروناً فيما لم يسمع بمثله من قبل من

جهل وعوز وفقر وقذر واهمال واذلال تضاعف الى عشرة اضعاف
نمار النصر المحتمل ؟

ان الطوبوية الليبيرالية انما هي ستار لرغبة المستثمرين
الجدد الجشعة في تقاسم الامتيازات مع المستثمرين القدامى اما
الطوبوية الشعبية فهي تعبير عن سعي ملايين البرجوازيين الصغار
الكادحين الى القضاء كلياً على المستثمرين القدامى الاقطاعيين
وأمل باطل بالقضاء «في الوقت نفسه» على المستثمرين الجدد
الرأسماليين

واضح انه يجب على الماركسيين المعادين للطوبويات ايأ
كانت ان يذودوا عن استقلال الطبقة التي تستطيع ان تناضل
بتفان ضد الاقطاعية لهذا السبب على وجه الدقة وهو انها لم
«تغرس اظافرهما» وان بنسبة واحد بالمئة في تلك المشاركة
بالملكية التي تجعل من البرجوازية نصف خصم للاقطاعيين
واحياناً حليفاً لهم اما الفلاحون ، فقد «غرسوا اظافرهم» في الانتاج
البضاعي الصغير وفي استطاعتهم اذا ما توفرت الظروف
التاريخية الملائمة ، ان يتوصلوا الى محو الاقطاعية على اكمل وجه ،
ولكنهم سيبدون دائماً لا من باب الصدفة بل حتماً بعض
التذبذب بين البرجوازية والبروليتاريا بين الليبيرالية
والماركسية

وواضح ان النواة السلمية والتمينة وهي الديموقراطية
الصادقة الحازمة الكفاحية لدى جماهير الفلاحين يجب ان يفصلها
الماركسيون بعناية عن قشور الطوباويات الشعبية
في الآداب الماركسية القديمة من سنوات العقد التاسع من
القرن الماضي ، يمكن العثور على سعي دائب منتظم لفصل هذه

النواة الديمقراطية الثمينة وسيأتي زمن يدرس فيه المؤرخون
بدأب وانتظام هذا السعي ويتبعون الصلة بين هذا السعي وما
اسمى «بالبلشفية» في العقد الاول من سنوات القرن العشرين

المجلد ٢٢ ،
صص ١١٧-١٢١

كتب قبل ٥ (١٨) تشرين
الاول (اكتوبر) ١٩١٢
صدر للمرة الاولى عام ١٩٢٤
في مجلة «جيزن» («الحياة») ،
العدد الاول .

عن الشعبية

كتب السيد ف ب ف في العدد ١٢ من «روسكويه
برغاستفوف» («الثروة الروسية») (٦) مقالة «توجيهية» في موضوع
«دوري» تحت عنوان «الاشتراكية الشعبية ام الاشتراكية
البروليتارية؟»

ان هذه المقالة هي بحد ذاتها غير جدية اطلاقاً وخالية من كل
مضمون ومن زمان لم نجد مثل هذا الرصف الفارغ للكلمات مثل
هذه الانفلات للجملة المراوغة المجرّدة مثل هذا الخليط من
النظرات (الاختيارية) في المقالات «التوجيهية» في مجلة شعبية تُعتبر
مجلة جدية

ولكن المقالة تتميز بكونها تتناول مسألة جدية للغاية وملحة
للغاية هي مسألة انحلال الشعبية فان الشعبية انما هي ايدولوجية
(نظام نظرات) الديمقراطية الفلاحية في روسيا ولهذا يتعين على
كل عامل واع ان يراقب بانتباه كيف تتغير هذه الايدولوجية

١

الشعبية قديمة جداً فان هرتسين وتشيرنيشيفسكي يُعتبران
مؤسسيها وقد كان «ذهاب» ثوريي السبعينيات «الى الشعب»
(الى الفلاحين) ازدهار الشعبية الفعالة ونظرية الشعبين الاقتصادية
وضعها باكمل نحو ف . ف . (فورونتسوف) ونيقولاي - ون في

الثمانينيات من القرن الماضي وفي مستهل القرن العشرين اعرب الاشتراكيون-الثوريون عن نظرات الشعبين اليساريين وصاغوها باكمل نحو

ثم ان ثورة عام ١٩٠٥ التي بينت جميع القوى الاجتماعية في روسيا خلال فعل الطبقات السافر الجماهيري ، قد امتحنت الشعبية امتحاناً عاماً وحددت مكانها الديمقراطية الفلاحية - ذلك هو مضمون الشعبية الفعلي الوحيد وتلك هي اهميتها الاجتماعية الوحيدة

فان البرجوازية الليبرالية الروسية مضطرة بحكم وضعها الاقتصادي الى السعي وراء قسمة امتيازات بوريشكيفتش وشركاه بين الاقطاعيين والرأسماليين ، لا وراء القضاء عليها اما الديمقراطية البرجوازية في روسيا ، - الفلاحون - ، فانها بالعكس مضطرة الى السعي وراء القضاء على جميع هذه الامتيازات

ان الجمل والاقوال عند الشعبين عن «الاشتراكية» وعن «جمعة * الارض» وعن السوائية وما الى ذلك - هي مجرد كلام يعبر عن واقع فعلي عن واقع سعي الفلاحين الى المساواة التامة في السياسة والى القضاء التام على الملكية الاقطاعية للارض

ولقد ابانت ثورة عام ١٩٠٥ نهائياً كنه الشعبية الاجتماعي هذا طبيعتها الاجتماعية هذه فان حركة الجماهير - سواء في شكل الاتحادات الفلاحية في عام ١٩٠٥ ام في شكل نضال الفلاحين في مطارحهم في عام ١٩٠٥ وعام ١٩٠٦ ام في شكل الانتخابات الى دوما الدولة الاول ودوما الدولة الثاني (٧) (انشاء فرق «العمل») - جميع هذه الوقائع الاجتماعية العظيمة التي بينت لنا ملايين الفلاحين في عمرة النشاط قد بددت كالغبار الجملة الشعبية ،

الاشتراكية المزعومة وكشفت النواة الديمقراطية الفلاحية (البرجوازية) مع احتياطي هائل من القوى لما ينفذ وان من لم تعلّمه تجربة اعظم عهد في روسيا الجديدة المعاصرة ، التمييز بين مضمون الشعبية الفعلي وبين غلافها الكلامي ، انما هو شخص لا امل فيه ، ولا يجوز اخذه على محمل الجدّ ويمكن ان يكون كاتباً يتلاعب بالكلمات (من طراز أ ف ب من «روسكويه بوغاتستفو») ولكن لا يمكنه ان يكون قائداً سياسياً وفي المقال التالي سنرى عن كذب الى انحلال الشعبية والى هذا الكاتب

٢

ان تجربة عام ١٩٠٥ تتسم باهمية هائلة للسبب التالي على وجه الدقة هو انها اجبرت على التثبيت من صحة نظريات الشعبين بحركة الجماهير وهذا التثبيت استتبع في الحال تفكك الشعبية وافلاس نظرياتها

ففي مؤتمر الاشتراكيين-الثوريين الاول (٨) في كانون الاول (ديسمبر) ١٩٠٥ بدأ «الاشتراكيون الشعبيون» (٩) ينفصلون عنهم ثم انفصلوا عنهم نهائياً عند حلول خريف عام ١٩٠٦

ان هؤلاء «الاشتراكيين الشعبيين» قد سبقوا تصفويينا (١٠) . فقد غنوا مثلهم بالضبط اغنية «الحزب العلني» وصفوا مثلهم بالضبط شعارات الديمقراطية المنسجمة والقوا احاديث ارتدادية (انظروا مثلاً مقالات السيد بيشيخز نوف في العدد ٨ من «روسكويه بوغاتستفو» لعام ١٩٠٦) لقد كان هؤلاء كاديتا (١١) فلاحين وبرهن الدوما الثاني (الذي لم يقاطعه الشعبون وحتى الاشتراكيون-الثوريون) ان اغلبية النواب الفلاحين قد سارت وراء الانتهازيين من «روسكويه بوغاتستفو» ، وان اقليتهم سارت وراء

الاشتراكيين-الثوريين واكد الدوما الثاني نهائياً ما كان واضحاً من الجرائد الشعبية في «ايام الحرية» (خريف ١٩٠٥ و ربيع ١٩٠٦) اي بالضبط ان الاشتراكيين-الثوريين لا يمكنهم ان يكونوا اي شيء سوى الجناح اليساري من الديمقراطية الفلاحية في روسيا وانهم لا شيء خارج هذا

وانحلال الشعبية يؤكد ذلك بصورة اوضح فواضح ففي زمن انفلات الثورة المضادة سار هذا الانحلال بسرعة فان الشعبين اليساريين قد «سحبوا» انفسهم بانفسهم من ترودوفيك الدوما و صفوا الحزب القديم عملياً ، ولم يؤلفوا حزباً جديداً ووجد الارتداد (بما فيه مؤلفا روبشين المغزيان «الحصان الشاحب» «ما لم يكن») لنفسه طريقاً رجباً حتى الى الشعبين «اليساريين» وقسم منهم («البوتشينيون» - (١٢)) يتخلى عن المقاطعة وقسم يميل الى الماركسية (ن سوخانوف ، - رغم ان علائم التشوش لا تزال كثيرة جداً عنده) وقسم - الى الفوضوية ان الانهيار عندهم هو على العموم اشد بما لا قياس له مما عند الاشتراكيين-الثوريين لانه توجد مراكز رسمية ولكنه لا يوجد خط واضح ، ثابت ، مبدئي ، قادر على النضال ضد الانحلالية

وها هو ذا السيد أ ف ب يقدم لنا نموذجاً عن هذه الانحلالية الفكرية فقد كان للشعبين فيما مضى نظرية خاصة بهم . اما الآن فلم يبق عندهم غير «تحفظات صغيرة» حيال الماركسية مأخوذة من هنا وهناك فان اي كاتب هجائي لامبدئي من جريدة حقيرة برجوازية ذليقة اللسان يوقع دون ان يجازف باي شيء دون ان يقيد نفسه باي شيء دون ان يعتقد باي شيء على مقالة السيد أ ف ب دفاعاً عن الاشتراكية «الشعبية» لان الاشتراكية «الشعبية» هي كلام فارغ تماماً يستعمل لاجل التهرب

من مسألة معرفة أي طبقة او فئة اجتماعية تناضل في كل مكان من العالم من اجل الاشتراكية
حسبنا ان نورد عيئتين صغيرتين من ثرثرة السيد
ف ب فقد كتب يقول

«... يبدو ان الحزب الذي استوعب مذهب الاشتراكية البروليتارية مستعد في الواقع لتطوير قواه على حساب الفئات الاخرى ايضا «نصف البروليتارية» ، وحتى على حساب الفئات «البرجوازية»»

هذا الاعتراض جدير بتلميذ في الصف الرابع أليس كذلك في الاحزاب الاشتراكية في العالم اجمع يوجد انصاف بروليتاريين ويوجد برجوازيون . اذن ؟ اذن ، - يستنتج السيد أ. ف. ب. ، - يمكن تجنب هذا الواقع وهو ان البروليتاريا وحدها دون غيرها في العالم اجمع - ١ - تناضل بدأب وثبات ضد طبقة الرأسمالين و - ٢ - هي السند الجماهيري للاحزاب الاشتراكية-الديموقراطية
المثال الثاني

كتب ذليق اللسان السيد أ ف ب يقول

« لناخذ على الاقل الطلاب ، وهم البرجوازية الحقيقية ولا اكثر ؛ انا لا اعرف الوضع الآن ولكن الاشتراكيين بينهم كانوا لامد قريب يشكلون الاغلبية او يكاد»

اوليس هذا يا ترى منقطع النظر ؟ الاتليق هذه الحجة يا ترى بتلميذة اشتراكية-ثورية ساذجة ؟ لا يرى المرء بعد ١٩٠٥ - ١٩٠٧ كيف تمايز عشرات الملايين من الفلاحين والملايين من العمال في مسرح النضالات السياسية كافة ثم يعلق اهمية (هن باب الحجة ضد «الاشتراكية البروليتارية»!) على واقع ان الشباب الطلبة الليبراليين والديموقراطيين في روسيا يتعاطفون مع

الاشتراكيين-الثوريين والاشتراكيين-الديموقراطيين اسمع يا
سيداً ف ب ، اعرف حد الاعتدال
يجب على العمال الواعين ان يتبعوا سياسة صريحة وواضحة مع
الشعبين السخر بلا هوادة من الجمل الاشتراكية المزعومة
**والعيلولة دون استعمالها لاختفاء المسألة الجدية الوحيدة مسألة
الديموقراطية المنسجمة**

الاشتراكية «الشعبية» السوائية جتمعة الارض
التعاونيات مبدأ العمل ؟ هذا لا يجدر حتى دحضه هذا كُنْستَه
الحياة والثورة كلياً من زمان من ميدان المسائل الجدية في السياسة .
وبهذه الثثرة يخفون فقط المسألة الجدية مسألة الديموقراطية
عليك ان تقول بوضوح وصراحة هل انت مخلص لشعارات
الديموقراطية المنسجمة ؟ هل تريد ان تطبق هذه الشعارات وهل انت
قادر على تطبيقها في العمل الدائب المنتظم بين جماهير فئة اجتماعية
معينة بدقة ؟ اذا كان نعم ، فان العامل الديموقراطي حليفك وصديقك
ضد جميع اعداء الديموقراطية واذا كان كلا فاغرب عن وجهنا
فانت مجرد ثرثار

مصائر مذهب كارل ماركس التاريخية (١٣)

ان الجوهري في مذهب ماركس هو تبيان دور البروليتاريا التاريخي العالمي بوصفها بانية المجتمع الاشتراكي فهل أكد مجرى الاحداث في العالم بأسره صحة هذا المذهب منذ ان عرضه ماركس ؟

لقد صاغ ماركس هذا المذهب للمرة الاولى في عام ١٨٤٤ و«البيان الشيوعي» الذي كتبه ماركس وانجلس والذي صدر عام ١٨٤٨، يعطي عن هذا المذهب عرضاً كاملاً منهاجياً هو خير عرض لهذا المذهب حتى اليوم ومذ ذاك ينقسم التاريخ العالمي بوضوح الى ثلاث مراحل رئيسية (١) من ثورة ١٨٤٨ الى كومونة باريس (١٨٧١) (٢) من كومونة باريس الى الثورة الروسية (١٩٠٥) (٣) ابتداء من الثورة الروسية لئلا الى مصائر مذهب ماركس في كل من هذه المراحل

١

في بداية المرحلة الاولى كان مذهب ماركس ابعده من ان يكون المذهب السائد فلم يكن سوى فرع او تيار من فروع او تيارات الاشتراكية ، الكثيرة العدد . اما اشكال الاشتراكية التي كانت

سائدة ، فهي الاشكال التي تتقارب ، من حيث الاساس ، مع «الشعبية» عندنا عدم فهم الاساس المادي للتطور التاريخي العجز عن ابراز دور واهمية كل من طبقات المجتمع لرأسمالي تمويه الطبيعة البرجوازية للتحولات الديمقراطية بمختلف التعابير الاشتراكية المزيفة حول «الشعب» و«العدالة» و«الحق» الخ

وقد جاءت ثورة ١٨٤٨ تسدد ضربة قاتلة لجميع هذه الاشكال الصاخبة المبرقشة اللاغطة لاشتراكية ما قبل ماركس ففي جميع البلدان اظهرت الثورة مختلف طبقات المجتمع في مجال **النشاط والعمل** وجاءت مذبحه العمال من جانب البرجوازية الجمهورية في ايام حزيران (يونيو) ١٨٤٨ بباريس (١٤) ، تحدد نهائياً الطبيعة الاشتراكية للبروليتاريا وللبروليتاريا وحدها فان خوف البرجوازية الليبرالية من استقلال هذه الطبقة أشد بمئة مرة من خوفها من الرجعية اياً كانت وتترلف الليبرالية الجبانة الى هذه الرجعية ويكتفي الفلاحون بالغاء بقايا الاقطاعية وينتقلون الى جانب النظام ونادراً فقط ما يتأرجحون بين الديمقراطية العمالية وبين الليبرالية البرجوازية ويتضح ان جميع المذاهب التي تقول بالاشتراكية اللابطبيقية وبالسياسة اللابطبيقية هي هراء لا اكثر

وكانت كومونة باريس (١٨٧١) خاتمة هذا التطور من التحولات البرجوازية فقط لبطولة البروليتاريا تدين الجمهورية برسوخها اي هذا الشكل من تنظيم الدولة الذي تتجلى فيه العلاقات بين الطبقات باقل المظاهر تمويها

وفي جميع البلدان الاوروبية الاخرى كان التطور الاشد غموضاً والاقل اكتمالاً قد أدى الى نفس المجتمع البرجوازي الناجز ونحو اواخر المرحلة الاولى (١٨٤٨ - ١٨٧١) ، مرحلة العواصف

والثورات ، هاتت اشتراكية ما قبل ماركس ؛ وولد حزبان بروليتاريان مستقلان الاممية الاولى (١٨٦٤ - ١٨٧٢) والاشتراكية-الديموقراطية الالمانية

٢

تمتاز المرحلة الثانية (١٨٧٢ - ١٩٠٤) عن المرحلة الاولى بطابعها «السلمي» ، بانعدام الثورات فقد انتهى الغرب من الثورات البرجوازية ، ولما ينضج الشرق لهذه الثورات ودخل الغرب في مرحلة التحضير «السلمي» لعهد التحويلات المقبلة ففي كل مكان يجرى تشكل احزاب اشتراكية ، اساسها بروليتاري تتعلم استخدام البرلمانية البرجوازية واصدار صحافتها اليومية وانشاء مؤسساتها التثقيفية ونقاباتها وتعاونياتها واحرز مذهب ماركس انتصاراً كاملاً واخذ يمتد ويتسع وتتطور ببطء ولكن بدأب عملية انتقاء وحشد قوى البروليتاريا واعدادها للمعارك المقبلة

وان دياالكتيك التاريخ لعل نحو بحيث ان انتصار الماركسية في حقل النظرية يجبر اعداء الماركسية على التثنع بقناع الماركسية . وتحاول الليبيرالية المهترئة في داخلها ان تنتعش في صورة الانتهازية الاشتراكية ويعمد هؤلاء الى تفسير مرحلة اعداد القوى للمعارك الكبيرة بمعنى العدول عن هذه المعارك ويفسرون تحسين احوال العبيد بغية النضال ضد العبودية المأجورة بمعنى ان العبيد يبيعون حقوقهم في الحرية لقاء فلس واحد ويدعون بجبن الى «السلام الاجتماعي» (اي الى السلام مع العبودية) والى التخلي عن النضال الطبقي الخ ولهم انصار عديدون جداً بين البرلمانيين الاشتراكيين وبين مختلف موظفي الحركة العمالية وبين المثقفين «الموالين» .

وكان الانتهازيون لما ينتهوا من التبجح «بالسلام الاجتماعي»
وبعدم لزوم العواصف في ظل «الديموقراطية» حتى تفجر في آسيا ينبوع
جديد من العواصف العالمية الكبيرة فبعد الثورة الروسية قامت
الثورة التركية والايرائية والصينية واننا لنعيش اليوم
بالضبط في عصر هذه العواصف و«انعكاسها المعاكس» على اوروبا
وايا كان مصير الجمهورية الصينية العظيمة التي يتألب عليها اليوم
مختلف الضباع «المتمدنة» فما من قوة في العالم تستطيع ان تعيد
الاقطاعية القديمة في آسيا ولا ان تكنس من على سطح الارض
النزعة الديموقراطية الباسلة لدى الجماهير الشعبية في البلدان
الاسيوية وشبه الاسيوية

ان الماطلات الطويلة لخوض نضال حاسم ضد الرأسمالية في
اوروبا قد دفعت الى احضان اليأس والفوضوية بعض الناس الذين
لا يمعنون التفكير في ظروف تحضير وتطوير النضال الجماهيري
واننا لنرى الآن الى اي حد من صغر النفس وقصر النظر يبلغ هذا
اليأس الفوضوي

ان ما ينبغي ان نستمده من كون آسيا التي تعد ثمانمئة مليون
انسان قد انجذبت الى غمرة النضال في سبيل نفس المثل العليا
الاوروبية ليس اليأس بل الشجاعة

ان الثورات الاسيوية قد بينت لنا نفس ما تتصف به
الليبرالية من ميوعة وخساسة نفس الاهمية القصوى التي يتسم
بها استقلال الجماهير الديموقراطية نفس التمايز الواضح بين
البروليتاريا وبين البرجوازية على اختلاف انواعها ان من يتحدث
بعد تجربة اوروبا وآسيا عن سياسة لاطبقية وعن اشتراكية
لاطباقية انما يستحق وضعه في قفص وعرضه الى جانب كنف
اوسترالي .

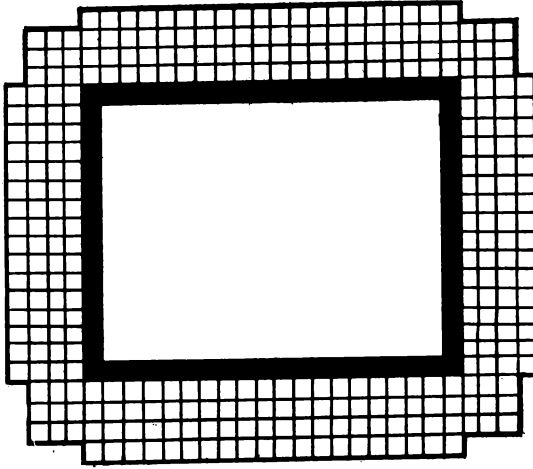
وعلى اثر آسيا اخذت اوروبا تتحرك ايضاً ولكن على غير الطريقة الاسيوية لقد ولت الى الابد المرحلة «السلمية» مرحلة ١٨٧٢ - ١٩٠٤ فان الغلاء ووطأة التروستات يؤديان الى تفاقم النضال الاقتصادي تفاقمًا لا سابق له تفاقمًا حرك حتى العمال الانجليز الذين افسدتهم الليبرالية اكثر من سائر العمال وامام انظارنا تنضج ازمة سياسية حتى في اكثر بلدان البرجوازية واليونكر «تحرراً» اي في المانيا ان التسلح المسعور والسياسة الامبريالية يجعلان من اوروبا الحالية «سلاماً اجتماعياً» يشبه بالاحرى برمياً من البارود بينما تفسخ جميع الاحزاب البرجوازية ونضوج البروليتاريا ما ينفكان في اطراد دائم منذ ظهور الماركسية جاءت لها كل من المراحل الكبيرة الثلاث من التاريخ العالمي بتأكيدات جديدة وبانتصارات جديدة ولكن المرحلة التاريخية القادمة ستحمل للماركسية بوصفها مذهب البروليتاريا انتصاراً اروع بكثير

الملكية العقارية الاقطاعية الكبيرة والملكية العقارية الفلاحية الصغيرة في روسيا

لمناسبة الذكرى السنوية للتاسع عشر من شباط (فبراير) ١٨٦١ (١٥) التي انقضت للتو لن يكون من نافل الكلام التذكير بتوزيع الارض حالياً في روسيا الاوروبية ان الاحصاء الاخير الرسمي عن توزيع الارض في روسيا الاوروبية قد اصدرته وزارة الداخلية ، وهو يتناول عام ١٩٠٥ يستفاد من معطيات هذا الاحصاء ان كبار الملاكين العقاريين الذين يملك الواحد منهم اكثر من ٥٠٠ ديسياتين (١٦) من الارض ، بلغ عددهم (برقم مبسط) حوالي ٣٠٠٠٠ وبلغت مساحة الارض التي يملكونها زهاء ٧٠٠٠٠٠٠٠٠ ديسياتين وهناك زهاء ١٠٠٠٠٠٠٠٠ دفور فلاحى فقير يملك القدر نفسه من الارض

وهذا يعني انه يوجد في المتوسط زهاء ٣٣٠ عائلة فلاحية فقيرة مقابل ملاك عقاري كبير واحد علما بان نصيب كل عائلة فلاحية من الارض زهاء ٧ (سبعة) ديسياتينات بينما يملك كل ملاك عقاري كبير زهاء ٢٣٠٠ (الفين وثلاثمئة) ديسياتين ولايضاح هذا بجلاء ، وضع المخطط الوارد ادناه .

ان المستطيل الابيض الكبير في الوسط يرمز الى عقار ملاك
 عقاري كبير والمربعات الصغيرة حوله ترمز الى القطع الفلاحية
 الصغيرة من الارض
 عدد المربعات الاجمالي ٣٢٤ بينا مساحة المستطيل الابيض
 توازي ٣٢٠ مربعاً



مصادر الماركسية الثلاثة واقسامها المكونة الثلاثة (١٧)

يشير مذهب ماركس ، في مجمل العالم المتمدن ، اشد العداة والحقد لدى العلم البرجوازي كله (سواء الرسمي او الليبرالي) اذ يرى في الماركسية ضرباً من «بدعة ضارة» ليس بالامكان توقع موقف آخر اذ لا يمكن ان يكون ثمة علم اجتماعي «غير متحيز» في مجتمع قائم على النضال الطبقي فكل العلم الرسمي والليبرالي يدافع بصورة او باخرى ، عن العبودية المأجورة ، بينما الماركسية اعلنتها حرباً لا هوادة فيها ضد هذه العبودية ان تتوقع علماً غير متحيز في مجتمع قائم على العبودية المأجورة لمن السذاجة الصبانية كان تطلب من الصناعيين عدم التحيز في مسألة ما اذا كان يجدر تخفيض ارباح الرأسمال من اجل زيادة اجرة العمال

ولكن ليس ذلك كل ما في الامر فان تاريخ الفلسفة وتاريخ العلم الاجتماعي يبينان بكل وضوح ان الماركسية لا تشبه «البدعة» في شيء بمعنى انها مذهب متحجر ومنطو على نفسه قام بمعزل عن الطريق الرئيسي لتطور المدنية العالمية بل بالعكس فان عبقرية ماركس كلها تتجلى بالضبط في كونه اجاب عن الاسئلة التي طرحها الفكر الانساني التقدمي وقد ولد مذهبه بوصفه التتمة المباشرة والطبيعية لمذاهب اعظم ممثلي الفلسفة والاقتصاد السياسي والاشتراكية .

ان مذهب ماركس لكلّي الجبروت لانه صحيح . وهو متناسق
وكامل ويعطي الناس مفهوماً منسجماً عن العالم لا يتفق مع اي
ضرب من الاوهام ومع اية رجعية ومع اي دفاع عن الطغيان
البرجوازي وهو الوريث الشرعي لخير ما ابدعته الانسانية في القرن
التاسع عشر الفلسفة الالمانية والاقتصاد السياسي الانجليزي
والاشتراكية الفرنسية

واننا سنتناول بايجاز مصادر الماركسية الثلاثة هذه التي
هي في الوقت نفسه اقسامها المكوّنة الثلاثة

١

ان فلسفة الماركسية هي **المادية** ففي غضون كل تاريخ
اوروبا الحديث ولاسيما في اواخر القرن الثامن عشر ، في فرنسا
حيث نشب نضال حاسم ضد كل نفايات القرون الوسطى ضد
الاقطاعية في المؤسسات وفي الافكار كانت المادية الفلسفة الوحيدة
المنسجمة الى النهاية والامينة لجميع تعاليم العلوم الطبيعية
والمعادية للاوهام ولتصنع التقوى الخ ولذا بذل اعداء
الديموقراطية كل قواهم «لدحض» المادية لتقويضها للافتراء
عليها ودافعوا عن شتى اشكال المثالية الفلسفية التي تؤول ابدأ
على نحو او آخر الى الدفاع عن الدين او الى نصرته
وقد دافع ماركس وانجلس بكل حزم عن المادية الفلسفية
وبيّنا مراراً عديدة ان الانحرافات عن هذا الاساس ايّاً كانت
خاطئة بصورة فادحة ووجهات نظرهما معروضة باكثر ما يكون من
الوضوح والتفاصيل في مؤلفي انجلس «لودفيغ فورباخ» و«دحض
دوهرينغ» اللذين هما على غرار «البيان الشيوعي» من عداد
الكتب التي يجب ان تكون دائماً بين يدي كل عامل واع
ولكن ماركس لم يتوقف عند مادية القرن الثامن عشر ، بل دفع

الفلسفة خطوات الى الامام فاغناها بمكتسبات الفلسفة الكلاسيكية الالمانية ولاسيما بمكتسبات مذهب هيغل الذي قاد بدوره الى مادية فورباخ وأهم هذه المكتسبات **الديالكتيك** اي نظرية التطور بأكمل مظاهرها وأشدها عمقاً واكثرها بعداً عن احادية الجانب نظرية نسبية المعارف الانسانية التي تعكس المادة في تطورها الدائم ان احدث اكتشافات العلوم الطبيعية - الراديوم والالكترونات وتحول العناصر - قد اثبتت بشكل رائع صحة مادية ماركس الديالكتيكية رغم انف مذاهب الفلاسفة البرجوازيين مع رداًتهم «الجديدة» نحو المثالية القديمة المهترئة

وقد عمق ماركس المادية الفلسفية وطورها فانتهى بها الى نهايتها المنطقية ووسع نطاقها من معرفة الطبيعة الى **معرفة المجتمع البشري** ان مادية ماركس **التاريخية** كانت اكبر انتصار احزبه الفكر العلمي فان البلبلة والاعتباط للذين كانا سائدين حتى ذلك الحين في النظرات الى التاريخ والسياسة، قد حلت محلها نظرية علمية روعة في التناسق والتجانس والانسجام تبين كيف ينبثق ويتطور من شكل معين من التنظيم الاجتماعي ومن جراء نمو القوى المنتجة شكل آخر ارقى، - كيف تولد الرأسمالية من الاقطاعية مثلاً

وكما ان معرفة الانسان تعكس الطبيعة القائمة بصورة مستقلة عنه اي المادة في طريق التطور كذلك تعكس **معرفة الانسان الاجتماعية** (اي مختلف الآراء والمذاهب الفلسفية والدينية والسياسية الخ .) **نظام المجتمع الاقتصادي** ان المؤسسات السياسية تقوم كبناء فوقى على اساس اقتصادي فاننا نرى، مثلاً كيف تقوم مختلف الاشكال السياسية للدول الاوروبية العصرية بدور ادوات لتعزيز سيطرة البرجوازية على البروليتاريا ان فلسفة ماركس هي مادية فلسفية مكتملة اعطت الانسانية، والطبقة العاملة بخاصة، ادوات عظيمة للمعرفة .

٢

بعدهما أكد ماركس ان النظام الاقتصادي يشكل الاساس الذي يقوم عليه البناء الفوقي السياسي اعار انتباهه اكثر ما اعاره لدراسة هذا النظام الاقتصادي ومؤلف ماركس الرئيسي «رأس المال» مكرس لدراسة النظام الاقتصادي في المجتمع الحديث اي الرأسمالي

لقد تكون الاقتصاد السياسي الكلاسيكي ما قبل ماركس في انجلترا وكانت اكثر البلدان الرأسمالية تطوراً فان آدم سميث ودافيد ريكاردو اللذين درسا النظام الاقتصادي كانا قد سجلا بداية **نظرية القيمة العمل** وواصل ماركس عملهما فحلل هذه النظرية بدقة وطورها بصورة منسجمة وبين ان قيمة كل بضاعة منوطة بوقت العمل الضروري اجتماعياً لانتاج هذه البضاعة

وحيث كان الاقتصاديون البرجوازيون يرون علاقة بين الاشياء (مبادلة بضاعة ببضاعة اخرى) اكتشف ماركس **علاقة بين الناس** ان تبادل البضائع يعبر عن الصلة بين المنتجين المنفردين بوساطة السوق **والمال (النقد)** يعني ان هذه الصلة تزداد وثوقاً ، جامعة في كل واحد لا يتجزأ كل حياة المنتجين المنفردين الاقتصادية **والرأسمال** يعني استمرار تطور هذه الصلة فان قوة عمل الانسان تغدو بضاعة فالعامل المأجور يبيع قوة عمله لمالك الارض ولصاحب المصنع وادوات الانتاج والعامل يستخدم قسماً من يوم العمل لتغطية نفقات اعالته واعالة اسرته (الاجرة) ويستخدم القسم الاخر للشغل مجاناً خالقاً للرأسمالي **القيمة الزائدة** التي هي مصدر ربح ، مصدر اثناء للطبقة الرأسمالية ان نظرية القيمة الزائدة تشكل حجر الزاوية في نظرية ماركس الاقتصادية .

ان الرأسمال الذي يخلقه عمل العامل ينيخ بثقله على العامل ويخرب صغار ارباب العمل ، وينشئ جيشاً من العاطلين عن العمل وانتصار الانتاج الضخم في الصناعة امر ظاهر من النظرة الاولى ولكننا لنلاحظ ظاهرة مماثلة في الزراعة ايضاً فان تفوق الاستثمار الزراعية الرأسمالية الضخمة واستخدام الآلات يزدادان ، والاستثمار الفلاحية تقع في ربة الرأسمال النقدي وتنحط ويحل بها الخراب تحت وطأة تكتيكها المتأخر. ان اشكال انحطاط الانتاج الصغير في الزراعة تختلف عنها في الصناعة ، ولكن انحطاطه نفسه واقع لا جدال فيه

ان الرأسمال اذ يسحق الانتاج الصغير يؤدي الى زيادة انتاجية العمل والى نشوء وضع احتكاري في صالح اتحادات اكبر الرأسماليين واكثر فاكثر يزداد الانتاج نفسه اتساماً بالصفة الاجتماعية - فئات الآلاف والملايين من العمال يُجمعون في عضوية اقتصادية متناسقة بينما قبضة من الرأسماليين تستأثر بنتاج العمل المشترك وتشدد فوضى الانتاج ، والازمات والركض المجنون وراء الاسواق ، وعوز سواد السكان

ان النظام الرأسمالي يزيد من تبعية العمال ازاء الرأسمال ويخلق في الوقت نفسه قدرة العمل الموحد العظيمة لقد تتبع ماركس تطور الرأسمالية من اجنة الاقتصاد البضاعي الاولى من التبادل البسيط ، حتى اشكالها العليا ، حتى الانتاج الكبير

وان تجربة جميع البلدان الرأسمالية ، القديمة منها والجديدة ، تبين بوضوح صحة مذهب ماركس هذا لعدد من العمال يتزايد سنة بعد سنة

لقد انتصرت الرأسمالية في العالم بأسره ولكن هذا الانتصار ليس سوى عتبة انتصار العمل على الرأسمال .

عندما دُك النظام الاقطاعي ورأى المجتمع الرأسمالي «الحر»
النور ، تبين فوراً ان هذه الحرية تعني نظاماً جديداً لاضطهاد الشغيلة
واستثمارهم وفوراً اخذت تنبثق شتى المذاهب الاشتراكية
انعكاساً لهذا الاضطهاد واحتجاجاً عليه ولكن الاشتراكية البدائية
كانت اشتراكية **طوبوية** فقد كانت تنتقد المجتمع الرأسمالي
وتشجبه ، وتلعنه وتحلم بازالته وتخيّل نظاماً افضل ؛ وتسعى الى
اقناع الاغنياء بان الاستثمار مناف للاخلاق

ولكن الاشتراكية الطوبوية لم تكن بقادرة على الاشارة الى
مخرج حقيقي وكانت عاجزة عن تفسير طبيعة العبودية المأجورة في
ظل الرأسمالية ، وعن اكتشاف قوانين تطور الرأسمالية ، وعن ايجاد
القوة الاجتماعية القادرة على ان تغدو خالقة المجتمع الجديد
غير ان الثورات العاصفة التي رافقت سقوط الاقطاعية
القنائة في كل مكان من اوروبا وخاصة في فرنسا كانت تكشف
بوضوح متزايد على الدوام عن اساس كل التطور وقوته المحركة
وهو **الصراع بين الطبقات**

فما من نصر لقضية الحرية السياسية على طبقة الاقطاعيين تم
احرازه دون مقاومة مسعورة وما من بلد رأسمالي قام على اساس
حر ، ديموقراطي الى هذا الحد او ذاك ، دون قيام نضال حتى الموت
بين مختلف طبقات المجتمع الرأسمالي

ومن عبقرية ماركس ، انه كان اول من استخلص هذا الاستنتاج
الذي ينطوي عليه التاريخ العالمي وطبقه بصورة منسجمة الى النهاية
وهذا الاستنتاج هو **مذهب النضال الطبقي**

لقد كان الناس وسيظلون ابدأ في حقل السياسة ضحايا
ساذجة يخدعون الآخرون ويخدعون انفسهم ، ما لم يتعلموا استشفاف

مصالح هذه الطبقات او تلك وراء التعابير والبيانات والوعود الاخلاقية والدينية والسياسية والاجتماعية فان انصار الاصلاحات والتحسينات سيكونون ابدأ ضحية لخداع المدافعين عن الاوضاع القديمة طالما لم يدركوا ان كل مؤسسة قديمة مهما بدت بربرية ومتعفنة تبقى قيد الوجود بقوة هذه الطبقات السائدة او تلك فلكي نسحق مقاومة هذه الطبقات ليس ثمة سوى وسيلة واحدة هي ان نجد في نفس المجتمع الذي يحيط بنا ونثقف وننظم القوى التي تستطيع - وينبغي عليها بحكم وضعها الاجتماعي - ان تغدو القوة القادرة على تكنيس القديم وخلق الجديد

فقط مادية ماركس الفلسفية دلت البروليتاريا على الطريق الواجب سلوكه للخروج من العبودية الفكرية التي كانت تتخبط فيها حتى ذاك جميع الطبقات المظلومة فقط نظرية ماركس الاقتصادية اوضحت وضع البروليتاريا الحقيقي في مجمل النظام الرأسمالي

ان المنظمات البروليتارية المستقلة تتكاثر في العالم بأسره من اميركا الى اليابان ومن اسوج الى افريقيا الجنوبية والبروليتاريا تتعلم وتتربى في غمرة نضالها الطبقي وتتحرق من اوهام المجتمع البرجوازي وتزداد تلاحماً على الدوام وتتعلم تقدير مدى نجاحاتها وتوطد قواها وتنمو بشكل لا مرد له

«من يستفيد من ذلك؟»

اليك العبارة المأثورة اللاتينية «cui prodest» («كويبي بروديست») - «من يستفيد من ذلك؟» وعندما لا يتضح في الحال ما هي الجماعات او القوى او الشخصيات السياسية او الاجتماعية التي تدافع عن مقترحات او تدابير معينة وخلافها يجب دائماً طرح السؤال التالي «من يستفيد من ذلك؟»

ليس من المهم معرفة من يدافع مباشرة عن سياسة معينة ، - لان اي ثري يستطيع دائماً ان «يستاجر» او يشتري او يجتذب ، في ظل نظام الرأسمالية النبيل المعاصر ، لاجل الدفاع عن شتى النظرات ، اي عدد كان من المحامين والكتاب وحتى من النواب والبروفسورات والكهنة ومن لف لفهم فنحن نعيش في زمن تجاري لا تتورع فيه البرجوازية عن المتاجرة بالشرف والوجدان معاً وهناك ايضاً سدج يدافعون ، بدافع الغباوة او بدافع العادة العمياء ، عن النظرات السائدة في بيئة برجوازية معينة

كلا ليس من المهم جداً في السياسة معرفة من يدافع مباشرة عن نظرات معينة المهم معرفة من يستفيد من هذه النظرات ، من هذه المقترحات ، من هذه التدابير

مثلاً «اوروبا» ، الدول التي تسمي نفسها بالدول «المتعدنة» تقوم الآن بسباق حواجز مسعور من اجل التسلح . وبآلاف الاشكال ،

وفي آلاف الصحف ، ومن آلاف المنابر ، يصيحون ويزعقون بالوطنية ، والثقافة ، والوطن ، والسلام ، والتقدم ، - وكل هذا لتبرير النفقات الجديدة من عشرات ومئات الملايين من الروبلات على شتى اسلحة الابداء ، على المدافع ، على «الدريدنوتات» (المدرعات من احدث طراز) ، وما الى ذلك

ايها السادة الجمهور ! - اود لو اقول بصدد جميع جمل «الوطنيين» هذه - لا تصدقوا الجمل انظروا من الافضل من يستفيد من ذلك !

منذ امد قريب نشرت الشركة البريطانية الشهيرة «ارمسترونغ ، ويتفرس وشركاهما» تقريرها السنوي هذه الشركة تنتج بصورة رئيسية شتى مواد التسلح رُصد الحساب بمبلغ ٨٧٧ الف جنيه سترليني اي حوالي ٨ ملايين روبل ، والربحة ١٢١/٤ بالمئة واحيل زهاء ٩٠٠٠٠٠٠ روبل الى الراسمال الاحتياطي وهكذا دواليك وهلمجرأ

اليكم الى اين تذهب الملايين والمليارات المبتزة من العمال والفلاحين من اجل التسلح الربحة ١٢١/٤ بالمئة - ، وهذا يعني مضاعفة الراسمال في خلال ٨ سنوات اما شتى المكافآت للمدراء وخلافهم فهي لا ترد هنا في الحساب ارمسترونغ في بريطانيا كروب في المانيا كريزو في فرنسا كوكيريل في بلجيكا وكم عددهم في جميع البلدان «المتمدنة» ؟ والالاف المؤلفه من الموردين؟ اليكم من يستفيد من تضخيم الشوفينية والثروة بصدد «الوطنية» (وطنية المدافع) بصدد الدفاع عن الثقافة (بادوات ابادء الثقافة) وهكذا دواليك !

الرأسمالية وعمل النساء

ان المجتمع الرأسمالي المعاصر ينطوي في احشائه على كثرة من حالات الفقر والاضطهاد التي لا تفقأ العين في الحال فان عائلات البرجوازيين الصغار والحرفيين والعمال والمستخدمين وصغار الموظفين المشتتة تعيش في فقر مدقع بشكل يستحيل وصفه ، وتسد حاجاتها ببالغ الجهد في افضل الاوقات والملايين والملايين من النساء في مثل هذه العائلات يعشن (او بالاصح يتعذبن) حياة «العبدات البيتيات» ويحاولن ان يطعنن ويلبسن العائلة ببعض الدريهمات وبشمن جهود يائسة يومية و«التوفير» في كل شيء ، - ما عدا عملهن ومن هؤلاء النساء يفضل الرأسمال ان يأخذ لنفسه عاملات للعمل البيتي مستعدات للعمل لقاء اجرة زهيدة للغاية لكي يكسبن رزقاً لانفسهن ولعائلاتهن ومن بين هؤلاء النساء بالذات يأخذ الرأسماليون في جميع البلدان لانفسهم (مثل مالكي العبيد في الازمنة الغابرة والاقطاعيين في القرون الوسطى) اي عدد كان من الخليلات باسعار «متهاودة» للغاية ولا يمكن لاي «غضب اخلاقي» (منافق في ٩٩ بالمئة من الحالات) بصدد الدعارة ان

يفعل شيئاً ضد هذه المتاجرة بأجسام النساء فما دامت العبودية
المأجورة قائمة فإن الدعارة ستظل قائمة حتماً ان جميع الطبقات
المظلومة والمستثمرة في تاريخ المجتمعات البشرية كانت دائماً
مضطرة (وفي هذا بالذات يتلخص استثمارها) لان تقدم للظالمين
اولاً عملها غير المدفوع الاجر وثانياً نساءها كخليات
«للسادة»

والعبودية والقنانة والراسمالية متشابهة في هذا الصدد فلا
يتغير الا شكل الاستثمار اما الاستثمار فيبقى
في باريس ، «عاصمة العالم» ، مركز الحضارة ، افتتح في الوقت
الحاضر معرض لمنتجات «العاملات المستثمرات في البيت»
وعلى كل نتاج معروض نرى تذكرة تبين كم تتقاضى العاملة في
البيت على صنعه وكم يمكنها ان تتقاضى في هذه الحال باليوم
وبالساعة

وماذا يتبين ؟ ان العاملة في البيت لا تستطيع ان تتقاضى لقاء
اي بضاعة كانت ، اكثر من ١١\٤ فرنك ، اي اكثر من ٥٠ كوبيكا
والحال ان الاغلبية الساحقة من النتاجات تعود باجر حتى اقل من ذلك
بما لا يقاس اليكم ، مثلاً اغطية المصابيح الاجرة - ٤ كوبيكات
لكل دستة او اكياس الورق - ١٥ كوبيكا بكل ١٠٠٠ الاجرة -
ستة كوبيكات في الساعة اليكم لعبا صغيرة بشرائط وما اليها -
كوبيكان ونصف كوبيك في الساعة اليكم نتاجات من الزهور -
كوبيكان او ثلاثة في الساعة اليكم بياض السيدات والرجال - من
كوبيكين الى ستة كوبيكات في الساعة وهكذا دواليك وهلم جرأ
وقد يتعين على جمعياتنا العمالية ونقاباتنا ان تقيم «معرضاً»
من هذا النوع انه لن يعود بارباح طائلة كالتى تعود بها معارض
البرجوازية ان معرض العوز والبؤس النسائي البروليتاري سيعود
بنفع آخر : فانه سيساعد العمال الاجراء والعبادات المأجورات على فهم

اوضاعهم والالتفات الى «حيات»هم وامعان الفكر في شروط
الخلاص من هذا النير الابدي نير العوز والبؤس والدعارة وشتى
الاهانات بحق المعدمين

المجلد ٢٣ ،
ص ص ١٣٦-١٣٧

كتب في ٢٧ نيسان (ابريل)
١٠ ايار - مايو) ١٩١٣ .
صدر في ٥ ايار (مايو)
في «البرافدا» ،
العدد ١٠٢

استيقاظ آسيا

هل مر زمن طويل مذ كانت الصين تعتبر مثلاً لبلاد الركود الازلي التام ؟ اما الآن فتغلي في الصين الحياة السياسية وتجيش الحركات الاجتماعية ويلاحظ نهوض ديموقراطي عام ففي اثر حركة سنة ١٩٠٥ في روسيا شملت الثورة الديموقراطية آسيا من اقصاها الى اقصاها - تركيا ايران الصين ويشتد الاستياء في الهند الانجليزية

ويستوقف النظر ان الحركة الديموقراطية-الثورية قد شملت الآن كذلك الهند الهولندية جزيرة جاوه والمستعمرات الهولندية الاخرى التي يقطنها حوالي ٤٠ مليون نسمة وحملة هذه الحركة الديموقراطية هم - اولاً الجماهير الشعبية في جاوه التي نشأت في اوساطها حركة قومية تحت لواء الاسلام ثانياً لقد كونت الرأسمالية مثقفين محليين من الاوروبيين المستوطنين الذين يؤيدون استقلال الهند الهولندية ثالثاً ، السكان الصينيون الكثيرون نسبياً في جاوه والجزر الاخرى قد حملوا الحركة الثورية من وطنهم

لقد وصف الماركسي الهولندي فان-رافيستين استيقاظ الهند الهولندية هذا و اشار الى ان الاستبداد والطغيان اللذين تمارسهما الحكومة الهولندية على الدوام يلاقيان الآن المقاومة الحازمة والاحتجاج بين جماهير السكان المحليين .

تبدأ الظواهر المألوفة في العهود السابقة للثورة تنشأ الاتحادات والاحزاب بسرعة مذهشة فتمنعها الحكومة مسببة بذلك اشتداد النقمة وتعاضم الحركة ونقول على سبيل المثل ان الحكومة الهولندية قد حلت منذ قريب «الحزب الهندي» لانه نص برنامجه ونظامه الداخلي على نزوعه الى الاستقلال . فان «الدرجيموردات» (١٨) الهولنديون (ونقول بالمناسبة انهم يجدون في ذلك التحبيذ من جانب الاكديريكيين والليبيراليين لقد تعفنت الليبيرالية الاوروبية!) قد رأوا في ذلك نزوعاً اجرامياً الى الانفصال عن هولندا ولكن هذا الحزب المحلول قد انبعث ، طبعاً باسم آخر

لقد نشأ في جاوه اتحاد وطني من المحليين اصبح يضم في صفوفه ٨٠ الف عضو وينظم الاجتماعات الجماهيرية وتتعاظم الحركة الديموقراطية بقوة جارفة

ان الرأسمالية العالمية وحركة سنة ١٩٠٥ في روسيا قد ايقظتا آسيا نهائياً فمئات الملايين من السكان المظلومين والغرقى في ركود القرون الوسطى قد نهضوا للحياة الجديدة للنضال من اجل الحقوق البشرية الاولى ، من اجل الديموقراطية

ان العمال في بلدان العالم المتقدمة يتتبعون باهتمام وحماسة نمو الحركة التحررية العالمية الهائل الجاري في جميع انحاء الدنيا وبجميع الاشكال لقد فزعت برجوازية اوروبا من قوة حركة العمال فارتمت في احضان الرجعية والطغمة العسكرية والاكديروس وقوى الظلام ولكن بروليتاريا البلدان الاوروبية وديموقراطية البلدان الاسيوية الديموقراطية الفتية والمفعمة ايماناً بقواها وثقة بالجماهير تسيران لتحلا محل هذه البرجوازية التي اصابها التعفن وهي على قيد الحياة .

ان استيقاظ آسيا وشروع البروليتاريا المتقدمة في اوروبا
بالنضال في سبيل السلطة يرمزان الى مرحلة جديدة في التاريخ
العالمي بدأت في اوائل القرن العشرين

المجلد ٢٣ ،
ص ص ١٤٥-١٤٦

«البرافدا» ، العدد ١٠٣ ،
٧ ايار (مايو) ١٩١٣

التسلح والرأسمالية

ان بريطانيا واحدة من اغنى بلدان العالم واكثرها حرية وتقدماً وكانت حمى التسلح قد اجتاحت منذ زمان بعيد «المجتمع» البريطاني والحكومة البريطانية شأنهما تماماً شأن المجتمع والحكومة في فرنسا والمانيا والنح

وها هي الصحافة البريطانية - وخصوصاً العمالية - تورد هذه الايام معطيات تشير الاهتمام وتبين «آلية» التسلح الرأسمالية الماكرة ان تسليح القوات البحرية البريطانية لكبير بخاصة فمصانع بناء السفن البريطانية (ويكروز ارمسترونغ براون والنح .) تحظى بشهرة عالمية وتنفق بريطانيا والبلدان الاخرى مئات وآلاف الملايين من الروبلات على التحضير للحرب - ومن البديهي ان ذلك كله يجري بوجه الحصر في سبيل السلام ومن اجل صيانة الثقافة وفي سبيل الوطن والحضارة وهلمجرا

ونرى الاميرالات واشهر شخصيات الدولة البريطانية من كلا الحزبين حزب المحافظين والحزب الليبيرالي بصفتهم مساهمين ومدراء لمؤسسات بناء السفن وصنع البارود والديناميت والمدافع وهلمجرا وينهمر المطر الذهبي مباشرة في جيوب الساسة البرجوازيين الذين يكونون عصابة دولية متلاحمة تعرض الشعوب على المباراة في مجال التسلح وتعجز هذه الشعوب الطيعة السريعة التصديق والغبية البليدة كما تجز النعاج .

ويعتبر التسلح قضية قومية وقضية وطنية ويفترض ان الجميع يحافظون على السر بكل صرامة اما معامل ومصانع بناء السفن وصنع المدافع والديناميت والبنادق فهي عبارة عن مؤسسات دولية يخدع فيها رأسماليو مختلف البلدان ويسلبون ، متكاتفين ، «جمهور» مختلف البلدان اذ يبنون السفن او يصنعون المدافع لبريطانيا ضد ايطاليا ولايطاليا ضد بريطانيا على حد سواء

ها هي ذي الآلية الرأسمالية الماكرة الحضارة والنظام والثقافة والسلام - ونهب مئات الملايين من الروبلات من قبل رجال الاعمال والنصابين اصحاب رأسمال بناء السفن وصنع الديناميت وهلمجرا !

ان بريطانيا تنتسب الى الوفاق الثلاثي المعادي للتحالف الثلاثي (١٩) وايطاليا تنتسب الى التحالف الثلاثي ولشركة ويكرز الشهيرة (بريطانيا) فروع في ايطاليا ويؤلب مساهمو هذه الشركة ومدراؤها (عن طريق الصحف المأجورة و«الشخصيات» البرلمانية المأجورة من المحافظين والليبيراليين على حد سواء) بريطانيا ضد ايطاليا وبالعكس بينما يبتزون الارباح من عمال بريطانيا ومن عمال ايطاليا على حد سواء ويسلبون الشعب هنا وهناك

ان الوزراء واعضاء مجلس العموم من المحافظين والليبيراليين - كلهم تقريباً مساهمون في هذه الشركات ما حك جلدك مثل ظفرك فان ابن الوزير الليبيرالي «العظيم» غلادستون هو مدير شركة ارمسترونغ واميرال البحر بيكون اشهر اخصائي بحري واكبر موظف في «المصلحة» في بريطانيا ينتقل الى مصنع المدافع الثقيلة في كوفنتري براتب قدره ٧٠٠٠ جنيه استرليني (اكثر من ٦٠٠٠٠ روبل) بينما يتقاضى رئيس الوزراء البريطاني ٥٠٠٠ جنيه (حوالي ٤٥٠٠٠ روبل) .

ويحدث الشيء ذاته طبعاً في جميع البلدان الرأسمالية
فالحكومات هي نظار طبقة الرأسماليين والنظار يتقاضون رواتب
محترمة والنظار انفسهم اصحاب الاسهم اما النعاج فيُجز
صوفها معاً وسط ضجيج الخطب عن «الوطنية»

المجلد ٢٣ ،
ص ص ١٧٥-١٧٦

كتب في ١٦ (٢٩) ايار
(مايو) ١٩١٣
صدر في ٢١ ايار (مايو) ١٩١٣
في «البرافدا» ، العدد ١١٥

الماركسية والاصلاحية

خلافا للفوضويين يعترف الماركسيون بالنضال من أجل الاصلاحات ، أي من أجل تحسينات في أوضاع الكادحين تترك السلطة ، كما من قبل في يد الطبقة السائدة ولكن الماركسيين يخوضون في الوقت نفسه نضالا في منتهي الحزم ضد الاصلاحيين الذين يحدون ، بواسطة الاصلاحات مباشرة أو بصورة غير مباشرة من تطلعات الطبقة العاملة ونشاطها فان الاصلاحية انما هي خداع برجوازي للعمال الذين يبقون دائما عبيدا مأجورين ، رغم بعض التحسينات ، ما دامت سيادة الرأسمال قائمة

ان البرجوازية الليبيرالية تمنح الاصلاحات بيد وتسترجعها بيد أخرى ، وتقضي عليها كليا ، وتستغلها لأجل استعباد العمال ، لأجل تقسيمهم الى فرق مختلفة لأجل تخليد عبودية الكادحين المأجورة ولهذا تتحول الاصلاحية بالفعل حتى عندما تكون مخصصة كليا الى أداة لاضعاف العمال ولنشر الفساد البرجوازي في صفوفهم وتبين خبرة جميع البلدان ان العمال كانوا يندغدغون كلما وثقوا بالاصلاحيين

اما اذا استوعب العمال مذهب ماركس ، أي اذا أدركوا حتمية العبودية المأجورة ما دامت سيادة الرأسمال قائمة فانهم على العكس ، لن يدعوا الاصلاحات البرجوازية ، ايا كانت ، تخدعهم . ان

العمال يناضلون من أجل التحسينات مدركين ان الاصلاحات لا يمكن أن تكون لا ثابتة ولا جديية ما دامت الرأسمالية قائمة ويستغلون التحسينات لأجل مواصلة النضال بمزيد من العناد ضد العبودية المأجورة ان الاصلاحيين يحاولون ان يقسموا العمال ويخدعوههم بالصدقات ويصرفوهم عن النضال الطبقي . اما العمال الذين يدركون كذب الاصلاحية فانهم يستغلون الاصلاحات لأجل تطوير وتوسيع نضالهم الطبقي

وبقدر ما يشتد تأثير الاصلاحيين في العمال بقدر ما يضعف العمال وتزداد تبعيتهم حيال البرجوازية ويسهل على البرجوازية ابطال مفعول الاصلاحات كليا بشتى الحيل وبقدر ما تتعاطم الحركة العمالية استقلالا وعمقا وسعة من حيث الاهداف وبقدر ما تتحرر من ضيق الاصلاحية يفلح العمال أكثر فأكثر في تثبيت بعض التحسينات والاستفادة منها

والاصلاحيون موجودون في جميع البلدان لأن البرجوازية تحاول في كل مكان ان تفسد العمال بنحو أو آخر وان تجعل منهم عبيدا راضين بعبوديتهم ويرفضون فكرة القضاء عليها والاصلاحيون في روسيا انما هم التصفويون الذين يتخلون عن ماضيينا لكي يخدروا العمال بأحلام عن حزب جديد علني شرعي ومؤخرا طفق التصفويون من بطرسبورغ ، وقد أخرجتهم «سيفيرنايا برافدا» (٢٠) ، يدافعون عن انفسهم لرد التهمة بالاصلاحية وتنبغي دراسة محاكمتهم بانتباه لأجل تفهم هذه المسألة الخارقة الاهمية بكل وضوح

كتب التصفويون من بطرسبورغ يقولون نحن لسنا اصلاحيين لأننا لم نقل ان الاصلاحات هي كل شيء وان الهدف النهائي لا شيء ؛ لقد قلنا التحرك نحو الهدف النهائي لقد قلنا عبر النضال من أجل الاصلاحات نحو كمال المهام المطروحة .

لنر ما اذا كان هذا الدفاع يطابق الحقيقة
 الواقع الاول كتب التصفوي سيدوف ، ملخصا بيانات جميع
 التصفويين ان اثنين من «الحيثان الثلاثة» (٢١) التي قدمها
 الماركسيون لا يصلحان الآن لأجل التحريض وابقى يوم العمل من
 ثماني ساعات القابل نظريا للتحقيق عن طريق الاصلاح . وأزال او
 نحى على وجه الضبط ما يتخطى نطاق الاصلاح فسقط بالتالي في
 أجلي ضروب الانتهازية منتهجا على وجه الدقة تلك السياسة التي
 تعبر عنها الصيغة القائلة ان الهدف النهائي لا شيء وهذه هي
 الاصلاحية عندما ينحون بعيدا «الهدف النهائي» (وان على الأقل
 بالنسبة للديموقراطية) عن التحريض

الواقع الثاني ان المجلس العام السيسى الشهرة الذي عقده
 التصفويون (٢٢) في آب (من العام الماضي) ينحي بعيدا هو أيضا -
 لحالة خاصة - المطالب غير الاصلاحية عوضا عن تقريبها تماما الى
 قلب التحريض بالذات

الواقع الثالث ان التصفويين اذ ينكرون «القديم» ويحطون
 من شأنه ، ويتهربون منه ، انما يقتصرون بالتالي على الاصلاحية . ان
 الصلة بين الاصلاحية والتنكر «للقديم» جلية للعيان في الوضع
 الراهن

الواقع الرابع ان حركة العمال الاقتصادية تستثير غضب
 التصفويين وتهجماتهم («التهيج» «التلويح بالايدي» وهلم جرا
 وهكذا دواليك) ما ان ترتبط بشعارات تتخطى نطاق الاصلاحية
 وعلام نحصل في النتيجة ؟ التصفويون يرفضون الاصلاحية
 المبدئية قولا ويطبقونها على طول الخط فعلا من جهة يؤكدون
 لنا ان الاصلاحات لا تعني البتة بالنسبة لهم كل شيء ، - ومن جهة
 أخرى يستتبع كل تجاوز في الواقع من قبل الماركسيين لنطاق
 الاصلاحية اما التهجمات واما الاهمال من جانب التصفويين .

وفضلا عن ذلك تبين لنا الأحداث في جميع ميادين الحركة العمالية ان الماركسيين لا يتأخرون بل بالعكس يمضون قدما بكل وضوح في مجال الاستفادة عمليا من الاصلاحات وفي مجال النضال من أجل الاصلاحات خذوا الانتخابات الى الدوما في فئة العمال - مداخلات النواب في الدوما وخارج الدوما واصدار الجرائد العمالية والاستفادة من اصلاح الضمان ، واتحاد المعدنين بوصفه نقابة كبيرة جدا والنخ - ، تروا في كل مكان تفوق الماركسيين العمال على التصفيوين في العمل المباشر الأقرب «اليومي» في حقل التحريض والتنظيم والنضال من أجل الاصلاحات والاستفادة منها ان الماركسيين يعملون بلا كلل ولا يفوتون أي «فرصة» للاصلاحات وللاستفادة منها ولا يشجبون بل يدعمون ويطورون بعناية كل تجاوز لنطاق الاصلاحية وذلك في الدعاية وفي التحريض وفي العمل الجماهيري الاقتصادي والنخ أما التصفيوين الذين ابتعدوا عن الماركسية فانهم بتهجماتهم على وجود الكل الماركسي بالذات ، بقضائهم على الطاعة الماركسية ، بترويجهم للاصلاحية وللسياسة العمالية الليبرالية ، لا يفعلون غير أن يشوشوا الحركة العمالية

وفضلا عن ذلك لا يجوز ان يغيب عن البال ان الاصلاحية في روسيا تتجلى أيضا في شكل خاص وذلك على وجه الدقة في صورة تشبيه الظروف الجذرية للوضع السياسي في روسيا المعاصرة بما هي عليه في أوروبا المعاصرة وهذا التشبيه مشروع من وجهة نظر الليبرالي لأن الليبرالي يؤمن ويدين بأن «عندنا والحمد لله دستور» ان الليبرالي يعرب عن مصالح البرجوازية حين يدافع عن النظرة القائلة ان كل تجاوز من قبل الديموقراطية لنطاق الاصلاحية بعد ١٧ تشرين الأول (أكتوبر) (٢٣) هو جنون وجريمة وخطيئة ، وما الى ذلك .

ولكن هذه النظرات البرجوازية بالذات هي التي يطبقها في الواقع أصحابنا التصفويون الذين «ينقلون» دائما وبدأب وانتظام الى روسيا (على الورق) «الحزب العلني» ، و«النضال في سبيل الشرعية» ، وخلافهما أي أنهم بتعبير آخر ، يروجون ، مثل الليبيراليين ، لنقل الدستور الأوروبي الى روسيا بدون ذلك السبيل الأصيل الذي أدى في الغرب الى وضع الدساتير والى ترسيخها في سياق أجيال من الناس وحتى أحيانا في سياق قرون ان التصفويين والليبيراليين يريدون كما يقال ، ان يغسلوا الجلد دون ان يغطسوه في الماء في أوروبا تعني الاصلاحية بالفعل التخلي عن الماركسية والاستعاضة عنها «بالسياسة الاجتماعية» البرجوازية اما عندنا فان اصلاحية التصفويين لا تعني هذا وحسب بل تعني كذلك القضاء على التنظيم الماركسي والتخلي عن المهمات الديمقراطية للطبقة العاملة والاستعاضة عنها بسياسة عمالية ليبرالية

ملاحظات انتقادية حول المسألة القومية

من البديهي أن تحتل المسألة القومية في الوقت الحاضر مكاناً بارزاً بين قضايا الحياة الاجتماعية في روسيا فان نزعة التعصب القومي الكفاحية عند الرجعية وانتقال الليبرالية البرجوازية المناهضة للثورة الى التعصب القومي (الروسي خاصة ثم البولوني واليهودي والاوكراني الخ .) وأخيراً اشتداد الترددات القومية بين مختلف الاشتراكيين - الديموقراطيين «القوميين» (أي غير الروس) الى حد خرق برنامج الحزب ان كل ذلك يضطرنا بالطبع الى ايلاء القضية القومية قسطاً من الانتباه والاهتمام أكبر من ذي قبل

واني أقصد من مقالي هذا هدفاً خاصاً هو أن أدرس بالضبط ترددات الماركسيين والماركسيين - هم - أيضاً هذه فيما أورده البرنامج بصدد المسألة القومية وأن أدرسها في علاقاتها العامة بعضها ببعض فقد أتيح لي المجال أن أنشر في العدد ٢٩ من «سيفيرنايا برافدا» (الصادر في ٥ أيلول - سبتمبر - ١٩١٣) مقالةً بعنوان «موقف الليبراليين والديموقراطيين في مسألة اللغات» تحدثت فيه عن انتهازية الليبراليين في المسألة القومية . واذا الجريدة اليهودية الانتهازية «زاييت» (٢٤) تهب ضد مقالي هذا تنقده بقلم السيد ف . ليمن . ومن جهة أخرى راح الانتهازي الأوكراني السيد

ليف يوركيفيتش (في مجلة «دزفين» (٢٥) العدين ٧ و ٨ سنة ١٩١٣) يسلط سيف النقد على برنامج ماركسيي روسيا الخاص بالمسألة القومية وقد أثار هذان الكاتبان عدداً كبيراً من القضايا الى حد أنه لا بد لي للإجابة عليهما ، من أن أعالج موضوع المسألة القومية من شتى نواحيه ويخيل الي أن من الأوفق أن أبدأ بايراد مقالي المنشور في «سيفيرنايا برافدا»

١ - موقف الليبيراليين والديموقراطيين في مسألة اللغات

تناولت الصحف أكثر من مرة تقرير حاكم القفقاس العام وهو تقرير لا يلفت النظر بطابع المائة السود (٢٦) بل بليبيراليتته الوجلة المترددة فقد أعلن الحاكم العام فيما أعلنه أنه يعارض «روسنة» القوميات غير الروسية بصورة مصطنعة ذلك أن ممثلي القوميات غير الروسية في القفقاس يسعون بأنفسهم الى تعليم أولادهم اللغة الروسية كما يجري مثلاً في المدارس الدينية الأرمنية حيث تعليم اللغة الروسية غير الالزامي

وقد أشارت جريدة «روسكويه سلوفو» (٢٧) (العدد ١٩٨) الى هذا الواقع - وهي من أوسع الصحف الليبيرالية انتشاراً في روسيا - وخلصت الى القول بكل صواب ان العداء للغة الروسية في روسيا «ناجم بوجه الحصر» عن نشر اللغة الروسية «بصورة مصطنعة» (وكان ينبغي القول بصورة عنيفة)

وقد كتبت هذه الجريدة تقول «ليس ثمة ما يدعو الى القلق على مصير اللغة الروسية فانها ستحظى لنفسها باعتراف الناس بها تلقائياً في عموم روسيا». هذا قول حق، لأن الضرورات الاقتصادية ستجبر دائماً القوميات القاطنة في دولة واحدة (ما دامت تريد أن تعيش معاً) على دراسة لغة الأكثرية . فكلما اتسم النظام في روسيا

بالتابع الديمقراطي كلما تطورت الرأسمالية بمزيد من القوة والسرعة والشمول وكلما دفعت الضرورات الاقتصادية بمزيد من الالاحاح شتى القوميات الى دراسة اللغة الاكثر ملاءمة من أجل العلاقات التجارية المشتركة

ولكن هذه الجريدة الليبيرالية ما عتمت أن ناقضت نفسها بنفسها وقدمت الدليل على اضطراب منطقها الليبيرالي وتشوشه فقد كتبت تقول

« ليس من المحتمل ان يهب أحد من الناس ، حتى بين اخصام «الروسنة» ، وينكر الأمر التالي ، وهو أنه ينبغي أن تقوم لغة رسمية واحدة في دولة شاسعة الأرجاء كما هي عليه روسيا ، وان هذه اللغة لا يمكن لها ان تكون سوى اللغة الروسية»

فيا له من منطق مقلوب فان سويسرا الصغيرة لا تفقد شيئاً بل تكسب ، لكونها تملك ثلاث لغات الألمانية والفرنسية والايطالية ، بدلاً من لغة رسمية واحدة وحيدة في عموم أراضيها فان ٧٠ بالمئة من السكان في سويسرا ألمان (في روسيا ٤٣ بالمئة من السكان روس) و ٢٢ بالمئة فرنسيون (في روسيا ١٧ بالمئة من السكان أوكرانيون) و ٧ بالمئة ايطاليون (في روسيا ٦ بالمئة بولونيون و٤,٥ بالمئة بيلوروس) واذا كان الايطاليون في سويسرا غالباً ما يتكلمون بالفرنسية في البرلمان المشترك فانهم لا يفعلون ذلك من جراء التهديد بعضا أي قانون بوليسي وحشي (وليس في سويسرا أي قانون من هذا النوع) انما يفعلون ذلك لمجرد ان المواطنين المتمدين في دولة ديموقراطية يفضلون من تلقاء أنفسهم اللغة التي تفهمها الأكثرية فاللغة الفرنسية لا تستشير كره الايطالين لأنها لغة أمة حرة متمدنة ، ولا تفرضها أية تدابير بوليسية ممقوتة .

فلماذا يترتب اذن على روسيا «الشاسعة الأرجاء» والأغنى بكثير بالقوميات والمتأخرة جداً ان تعيق سير تطورها بالحفاظ على امتياز من الامتيازات للغة من اللغات ؟ أليس العكس هو الصحيح أيها السادة الليبيراليون ؟ ألا يتعين على روسيا اذا شاءت ادراك أوروبا أن تضع حداً لكل الامتيازات على اختلاف أنواعها وأشكالها ، وبأسرع وقت ممكن وبأكمل وجه ممكن وبأحزم طريقة ممكنة ؟

فاذا زالت جميع الامتيازات ولم يبق ثمة أية لغة تفرض فرضاً تمكن جميع السلاف من أن يتفاهموا بسرعة وسهولة وزال تخوفهم من هذه الفكرة «الرهيبة» التي تراودهم وهي أن الخطب ستلقي في البرلمان المشترك بلغات مختلفة ثم ان الضرورات الاقتصادية ستحدد بنفسها لغة البلد التي ستري الأكثرية ان هن الأفييد لها معرفتها لما فيه صالح العلاقات التجارية وسيكون هذا التحديد ثابتاً ، راسخاً بقدر ما يقره بحرية أبناء مختلف القوميات ، وينتشر بسرعة بقدر ما تطبق الديمقراطية باستقامة ودأب وبقدر ما تتطور الرأسمالية بالتالي بمزيد من السرعة

ان الليبيراليين يسلكون في مسألة اللغات شأنهم في جميع القضايا السياسية سلوك تجار مرانين يمدون يداً (علناً) الى الديمقراطية ويذا أخرى (من وراء الظهر) الى الاقطاعيين ورجال البوليس فهم يصيحون أمام الملاء انهم يعارضون الامتيازات ولكنهم يساومون خفية من أجل الحصول بين الفينة والفينة على امتياز ما من الاقطاعيين

تلك هي صفات كل تعصب قومي برجوازي ليبرالي وهي ليست وفقاً على التعصب القومي الروسي وحسب (فهو شر مظاهر التعصب القومي بسبب من عنفه وقرابته مع السادة البوريشكيفيتشينين) ، انما هي أيضاً صفات التعصب القومي

البولوني واليهودي والأوكراني والجورجي وأي تعصب قومي آخر فان برجوازيات جميع القوميات سواء في النمسا أم في روسيا تلجأ بالفعل الى تفريق صفوف العمال الى اضعاف الديمقراطية الى المساومات الخسيصة مع الاقطاعيين حول بيع حقوق الشعب وحرياته وذلك تحت شعار «الثقافة القومية»

ان شعار الديمقراطية العمالية ليس «الثقافة القومية» انما شعارها الثقافة الأممية ثقافة النزعة الديمقراطية والحركة العمالية العالمية دع البرجوازية تخدع الشعب بشتى البرامج القومية «الايجابية» فان العمال الواعين سيردون عليها قائلين ليس ثمة سوى حل واحد للمسألة القومية (هذا اذا كان حلها ممكناً بوجه عام في عالم الرأسمالية عالم الركض وراء الربح والخصومات العنيفة والاستثمار) وهذا الحل انما هو النزعة الديمقراطية المنسجمة الى النهاية

أما الأدلة فتقدمها سويسرا في أوروبا الغربية بثقافتها العريقة ، وفنلنده في أوروبا الشرقية ، بثقافتها الناشئة

أما برنامج الديمقراطية العمالية القومي فانه يتكون من النقاط التالية أولاً لا امتيازات لأمة واحدة ولا للغة واحدة ثانياً حل قضية تقرير مصير الأمم السياسي أي حل قضية انفصالها بطريقة حرة ديموقراطية تماماً ثالثاً سن تشريع عام للدولة يقضي بابطال كل تدبير (يتخذها الزيمستفو (٢٨) أو المجلس البلدي أو المشاعة وهكذا دواليك) يمنح أي امتياز من الامتيازات لأية قومية من القوميات وينتهك المساواة في الحقوق بين القوميات أو حقوق أية أقلية قومية كما يقضي بحق كل مواطن في الدولة أن يطالب بابطال هذا التدبير لمخالفته الدستور وبمعاقبة من يحاولون تطبيقه معاقبة جنائية وبوجه الخصومات القومية بين مختلف الأحزاب البرجوازية

حول قضية اللغة وغيرها من القضايا خلافاً لأي تعصب قومي برجوازي تطالب الديمقراطية العمالية بوحدة العمال من جميع القوميات وحدة مطلقة وباندماجهم التام في جميع المنظمات العمالية والنقابية والتعاونية والاستهلاكية والتثقيفية وكل المنظمات الأخرى ان هذه الوحدة وهذا الاندماج هما وحدهما القادران على صيانة الديمقراطية على صيانة مصالح العمال ضد الرأسمال - الذي غدا عالمياً والذي يشتد طابعه هذا يوماً بعد يوم ، - على صيانة مصالح الانسانية السائرة نحو نمط جديد من الحياة لا امتياز فيه ولا استثمار

٢ - «الثقافة القومية»

وهكذا يرى القاريء أن مقالي المنشور في «سيفيرنايا برافدا» يوضح بمثال من الأمثلة وأعنى به قضية اللغة الرسمية الواحدة الوحيدة في الدولة ما تتسم به البرجوازية الليبرالية من انتهازية وتذبذب وهي التي تمد يدها الى الاقطاعيين ورجال البوليس في المسألة القومية ويدرك كل امرؤ أن سلوك البرجوازية الليبرالية في جملة من المسائل الأخرى المماثلة لا يقل خيانة ونفاقاً وسخفاً (حتى من وجهة نظر مصالح الليبرالية بالذات) عما هو عليه في مسألة اللغة الرسمية الواحدة الوحيدة في الدولة

فما هي النتيجة ؟ هي أن كل تعصب قومي برجوازي ليبرالي يسبب أقصى الفساد في أوساط العمال ويلحق أفدح الضرر بقضية الحرية وقضية النضال الطبقي البروليتاري ويشدد هذا الخطر خصوصاً وان الميل البرجوازي (والبرجوازي - الاقطاعي) يتستر وراء شعار «الثقافة القومية» فباسم الثقافة القومية - الروسية والبولونية ، واليهودية ، والأوكرانية ، والنح . - يقترب المائة

السود والاكليريكيون وكذلك برجوازيو جميع القوميات
مآثمهم الرجعية القذرة

هكذا يبدو الواقع في الحياة القومية الراهنة اذا نظرنا اليها
نظرة ماركسية ، أي من وجهة نظر النضال الطبقي واذا قارنا بين
الشعارات وبين مصالح الطبقات وسياستها ، لا بينها وبين «المبادئ
العامة» التي لا معنى لها والجمل الطنانة والتصريحات الجوفاء
ان شعار الثقافة القومية هو خداع برجوازي (وهو غالباً ما
يكون أيضاً خداعاً من جانب المائة السود والاكليريكيين) أما
شعارنا نحن فهو الثقافة الأممية ثقافة النزعة الديمقراطية
والحركة العمالية العالمية

وبهذا الصدد يشن عليّ السيد البوندي (٢٩) ليبنن ، حملة
هوجاء ويقذفني بهذه القبلة القاتلة

« ان من يلم بالمسألة القومية ولو الماماً طفيفاً يعرف ان الثقافة الأممية
ليست بثقافة لاقومية (ثقافة بدون شكل قومي) ، فالقول بثقافة لاقومية
ينبغي لها ألا تكون لا روسية ، ولا يهودية ولا بولونية ، بل ثقافة خالصة ،
انما هو قول باطل ، لا معنى له ان الأفكار الأممية على وجه الدقة لا يمكنها
أن تصبح قريبة من الطبقة العاملة الا اذا تكيفت وفقاً للغة التي يتكلم بها
العامل ووفقاً للأوضاع القومية الملموسة التي يعيش فيها ؛ ينبغي ألا يقف
العامل موقف اللامبالاة من وضع ثقافته القومية وتطورها ، لأنه بواسطتها ،
وبواسطتها وحدها دون غيرها ينفسح امامه مجال الاشتراك في «الثقافة
الأممية ثقافة النزعة الديمقراطية والحركة العمالية العالمية» وهذه
حقيقة معروفة منذ زمن بعيد ، ولكن السيد ف يتجاهلها تماماً . . . »

فكروا جيداً بهذه المحاكمة التي يمتاز بها البونديون والتي
يقصد منها كما ترون تقويض الموضوعة الماركسية التي
صغتها أنا فان صاحبنا البوندي يظهر نفسه بمظهر الرجل الذي
يثق بنفسه كل الثقة و«يعرف المسألة القومية» ويعرض علينا

مفاهيم برجوازية عادية زاعماً أنها حقائق «معروفة منذ زمن بعيد»
وبالفعل ليست الثقافة الأممية ثقافة لاقومية يا عزيزي
البوندي وما من أحد زعم هذا الزعم وما من أحد نادى بالثقافة
«الخالصة»، سواء أكانت بولونية أم يهودية ، أم روسية ، أم غير
ذلك ولذا كان رصفك الكلمات الجوفاء مجرد محاولة لصرف انتباه
القارئ وطمس المحتوى وراء جمعة لا طائل تحتها

ان كل ثقافة قومية تحتوي عناصر وان كانت غير متطورة، من
ثقافة ديموقراطية واشتراكية لأنه يوجد في كل أمة جمهور كادح
مستثمر تولد ظروفه الحياتية بالضرورة أفكاراً ديموقراطية
واشترائية ولكنه توجد أيضاً في كل أمة ثقافة برجوازية (غالباً ما
تكون اكديريكية ومغرفة في الرجعية) لا تبدو بشكل «عناصر»
وحسب ، بل بشكل ثقافة سائدة ولذا فان «الثقافة القومية» هي
بوجه عام ثقافة الملاكين العقارين ، ورجال الدين ، والبرجوازية
وهذه الحقيقة الأساسية الأولية بنظر الماركسيين انما أهملها
صاحبنا البوندي و«أغرقها» في كلامه المرصوف أي أنه في الواقع
لم يفعل الا تعمية هذه الحقيقة أمام القارئ بدلاً من أن يسلط
النور على الهوة الطبقيّة القائمة في قلب الثقافة القومية ويوضح
أسبابها وهكذا برز صاحبنا البوندي في الواقع برجوازيًا تتطلب
مصلحته الحميمة نشر الايمان بثقافة قومية لاطبقيّة

أما نحن فاننا اذ نضع شعار «الثقافة الأممية ثقافة النزعة
الديموقراطية والحركة العمالية العالمية» انما نستخلص من كل
ثقافة قومية مجرد عناصرها الديموقراطية والاشتراكية
ونستخلصها بوجه العصر وبشكل مطلق ، لمعارضة الثقافة البرجوازية،
لمعارضة التعصب القومي البرجوازي في كل أمة من الأمم فما من
ديموقراطي ، وبالأحرى ، ما من ماركسي ، ينكر المساواة في اللغات
أو ينفى ضرورة المناظرة باللغة الأم مع البرجوازية «الأم» ، وضرورة

نشر الأفكار المناهضة للبرجوازية ولرجال الدين بين جماهير الفلاحين والبرجوازية الصغيرة «الأم» وتلك حقائق بديهية، ثابتة الا أن صاحبنا البوندي يخفي وراءها ما هو موضع الجدل والنقاش أي ماهية المسألة حقاً

أما ماهية المسألة فهي أن نعرف ما اذا كان يجوز للماركسيين أن يتبنوا شعار الثقافة القومية مباشرة أو بصورة غير مباشرة أم اذا كان يترتب عليهم من كل بد أن يعارضوه في جميع اللغات بشعار أهمية العمال «متكيفين» وفقاً لجميع الخصائص المحلية والقومية

ان أهمية شعار «الثقافة القومية» ليست مشروطة بوعد أو حسن نية هذا المثقف أو ذلك في أن «يفسر» هذا الشعار «بمعنى استغلاله لنشر الثقافة الأمية» فان هذه الطريقة في التفكير ليست سوى طريقة ذاتية صيبانية فان أهمية شعار الثقافة القومية رهن بالنسبة الموضوعية بين جميع الطبقات في البلد المعني وبين جميع بلدان العالم والثقافة القومية البرجوازية حقيقة واقعة (وأكرر قولي ان البرجوازية تساوم في كل مكان مع الملاكين العقارين ورجال الدين) والظاهرة الأساسية في الوضع الراهن هي كون التعصب القومي البرجوازي الكفاحي يبلد عقول العمال ويخبلهم ويفرق صفوفهم بقصد سوقهم بعضا البرجوازية

فمن شاء أن يخدم البروليتاريا لا بد له أن يجمع صفوف العمال من جميع القوميات وأن يناضل بلا كلل ولا تردد ضد التعصب القومي البرجوازي ضد تعصب «أمته بالذات» وضد تعصب الأمم الأخرى ومن أراد الدفاع عن شعار الثقافة القومية فلا مكان له الا بين القوميين البرجوازيين الصغار لا بين الماركسيين

اليكم مثلاً ملموساً هل يستطيع الماركسي الروسي ان يتبنى شعار الثقافة القومية الروسية؟ كلا. فاذا فعل ذلك ترتب

اعتباره من القوميين لا من الماركسيين فواجبنا أن نحارب الثقافة القومية الروسية السائدة ثقافة البرجوازية والمئة السود وان نعمل في الوقت نفسه على انماء البذور التي نبتت أيضاً في تاريخ حركتنا الديمقراطية والعمالية وتطويرها بروح الأمية والتحالف الوثيق مع عمال البلدان الأخرى وتغذيتها بهذه الروح فقط وواجبنا أن نناضل ضد الملاكين العقارين الروس وضد البرجوازيين في بلادنا وأن نكافح «ثقافتهم» باسم الأمية واجبنا أن نناضل «متكيفين» وفقاً لخصائص البوريشكيفيتشين والستروفيين بدلاً من أن نقبل شعار الثقافة القومية ونروج به

كذلك يمكن قول الشيء نفسه عن القومية التي تعاني من الاضطهاد والظلم أشد مما تعانيه سائر القوميات ونعني بها القومية اليهودية فشعار الثقافة القومية اليهودية انما هو شعار الحاخامات والبرجوازيين شعار أعدائنا بيد أن ثمة عناصر أخرى في الثقافة اليهودية وفي كل التاريخ اليهودي فمن أصل الملايين العشرة ونصف المليون من اليهود في العالم أجمع يقطن أكثر من نصفهم بقليل في غاليسيا وروسيا أي في بلدين متأخرين شبه متوحشين يفرضان **بالعنف** على اليهود أن يحيوا حياة فنة معزولة مغلقة والنصف الثاني من اليهود يعيشون في عالم متمدن لا يفرض عليهم هذه الحياة المغلقة فينجلي هناك بوضوح ما تتسم به الثقافة اليهودية من ميزات تقدمية على النطاق العالمي وعظيمة أي أميتها وانضمامها الى الحركات التقدمية القائمة (ان نسبة اليهود في الحركات الديمقراطية والبروليتارية تفوق في كل مكان نسبة اليهود بين السكان بوجه عام)

ولذا فان كل من يتبنى مباشرة أو بصورة غير مباشرة شعار «الثقافة القومية» اليهودية انما هو (مهما تكن نواياه حسنة) عدو البروليتاريا ، ونصير ما هو قديم وما يحمل طابع العزلة بين اليهود ،

انما هو شريك الحاخامات والبرجوازيين أما اليهود الماركسيون الذين ينضمون الى مختلف المنظمات الماركسية الأممية مع العمال الروس والأوكرانيين والليتوانيين الخ ويسهمون ضمنها بقسطهم (بالروسية وباليهودية) في ابداع الثقافة الأممية للحركة العمالية فانهم بالعكس وعلى الرغم من دعوة البوند الى الانفصال يواصلون خير التقاليد اليهودية بكفاحهم ضد شعار «الثقافة القومية»

ان التعصب القومي البرجوازي والأممية البروليتارية شعاران متناقضان تماماً لا يمكن التوفيق بينهما أبداً شعاران يمثلان المعسكرين الكبيرين الطبقيين في العالم الرأسمالي بأسره ويعبران عن سياستين (بل عن مفهومين عن العالم) في المسألة القومية واذ يدافع البونديون عن شعار الثقافة القومية ويبنون عليه كل خطة ما أسموه «استقلال» «الثقافة القومية» «الذاتي» (٣٠) وكل برنامجهم العملي لتطبيق هذه الخطة ، فانهم ينقلون في الواقع التعصب القومي البرجوازي الى أوساط العمال

٣ - فزاعة «التمثلية» القومية

ان قضية التمثلية أي فقدان الخصائص القومية والانتقال الى أمة أخرى تتيح تكوين فكرة واضحة عن نتائج الترددات القومية عند البونديين وأبناء ملتهم فان السيد ليبنم الذي ينقل ويردد بأمانة حجج البونديين العادية أو بالأحرى أساليبهم يعتبر أن المطلب القائل بوحدة واندماج العمال من جميع القوميات في الدولة الواحدة ، ضمن منظمات عمالية واحدة (راجع أعلاه نهاية المقال المنشور في «سيفيرنايا برافدا») هو ضرب من «خرافات التمثلية القديمة» .

فقد كتب السيد ليمن يقول بصدد خلاصة المقال المنشور في «سيفيرنايا برافدا» «ولذا ينبغي على العامل اذا ما سئل من أية قومية أنت؟ - أن يجيب أنا اشتراكي-ديموقراطي» وهذا ما يراه صاحبنا البوندي منتهى الذكاء والظرافة ولكنه ينزع القناع عن وجهه نهائياً بمثل هذه النكات وهذه الصيحات بصدد «التمثلية»، التي **يوجهها ضد الشعار الماركسي والديموقراطي المنسجم**

ذلك أن الرأسمالية تعرف في تطورها اتجاهين تاريخيين في المسألة القومية الأول هو استيقاظ الحياة القومية والحركات القومية والنضال ضد كل اضطهاد قومي وانشاء دول قومية والثاني تطور شتي العلاقات بين الأمم وتكاثرها المتزايد وهدم الحواجز القومية وانشاء وحدة الرأسمال العالمية ووحدة الحياة الاقتصادية بصورة عامة ووحدة السياسة والعلوم الخ وكلا الاتجاهين هما قانون عالمي للرأسمالية فالأول يسود في بدء تطورها والثاني يميز الرأسمالية الناضجة السائرة نحو تحولها الى مجتمع اشتراكي وبرنامج الماركسيين في المسألة القومية يأخذ هذين الاتجاهين بعين الاعتبار اذ يدافع أولاً عن المساواة بين القوميات واللغات في الحقوق وعن استحالة القبول بأية امتيازات بهذا الصدد (وعن حق الأمم في تقرير مصيرها أيضاً وهذا ما سنتناوله فيما بعد) واذ يدافع ثانياً عن مبدأ الأممية والنضال العنيد الحازم ضد تسميم البروليتاريا بسم التعصب القومي البرجوازي مهما رق ونعم

وهنا يطرح السؤال التالي ماذا يقصد صاحبنا البوندي حين يقيم الأرض ويقعدها ضد «التمثلية»؟ لم يكن بوسعها أن يتحدث هنا عن أعمال العنف ضد القوميات، ولا عن الامتيازات الممنوحة لقومية من القوميات، لأن كلمة «تمثلية» لا تناسب أبداً في هذا

المجال اذ أن جميع الماركسيين سواء بصورة انفرادية أم ككل رسمي قد شجبوا بوضوح بالغ وبلا مواربة ولا ابهام أي عنف قومي أو اضطهاد أو تفاوت في الحقوق مهما يكن طفيفا واذ أن هذه الفكرة التي يقربها جميع الماركسيين قد وردت بمنتهى الصراحة والبلاغة في المقال المنشور في «سيفيرنايا برافدا» الذي نزل عليه صاحبنا البوندي انتقاداً وتحطيماً

كلا فان محاولات التهرب والتملص مستحيلـة في هذا المضمار فقد شجب السيد ليمن «التمثلية» دون أن يقصد بهذه الكلمة لا العنف ولا التفاوت ولا الامتيازات فهل يبقى أي شيء فعلي، واقعي، في فكرة التمثلية اذا جردت من كل عنف وكل تفاوت؟

نعم يبقى شيء بكل تأكيد يبقى اتجاه الرأسمالية التاريخي العالمي نحو تحطيم الحواجز القومية نحو محو الفروق القومية نحو تمثيل القوميات وهو اتجاه يزداد بروزا ورسوخا في كل عقد من العقود ويشكل عاملاً من أهم العوامل التي تحول الرأسمالية الى اشتراكية

فليس بماركسي حتى ولا بديموقراطي من لا يقر بالمساواة في الحقوق بين القوميات واللغات ولا يدافع عنها ومن لا يناضل ضد كل اضطهاد قومي وضد كل عدم مساواة قومية ذلك أمر لا ريب فيه ولكن، مما لا ريب فيه أيضاً ان الماركسي المزيف الذي ينهال بشتائم على ماركسي من قومية أخرى بسبب «تمثليته» ليس في الواقع سوى قومي تافه ضيق الأفق والى هذه الفئة من الناس غير الجديرين بالاحترام ينتسب جميع البونديين وكذلك (كما سنرى بعد حين) القوميون-الاشتراكيون الأوكرانيون أمثال السادة يوركيفيتش ودونتسوف وشركاهما .

ولكي نبين بصورة ملموسة ما تنطوي عليه مفاهيم هؤلاء القوميين التافهين الضيقي الأفق من طابع رجعي نورد فيما يلي ثلاثة أنواع من المعطيات

ان أشد من يقيمون الأرض ويقعدونها ضد «تمثلية» الماركسيين الروس القومي المبدأ انما هم القوميون اليهود في روسيا بعامة ومنهم البونديون بخاصة والحال يتبين من المعطيات المذكورة آنفاً ان من أصل عشرة ملايين ونصف مليون يهودي في العالم أجمع يقطن قرابة نصفهم في العالم المتمدن في ظروف تطبق فيها «التمثلية» على أكبر نطاق بينما يهود روسيا وغاليسيا التعساء المرهقون المحرومون من الحقوق المسحوقون تحت وطأة البوريشكيفيتشين (الروس والبولونيين) يعيشون هم وحدهم في ظروف تطبق فيها «التمثلية» على أصغر نطاق، وتنتعش فيها خصائص الانفرادية والانزالية على أوسع نطاق حتى فرض «حدود الإقامة» (٣١) على اليهود بل حتى اقرار «معدل منوي» (٣٢) لهم وغير ذلك من الطرائف على طريقة بوريشكيفيتش

ان اليهود المقيمين في العالم المتمدن لا يشكلون أمة فقد تمثلوا أكثر من غيرهم كما يقول كاوتسكي وباور وكذلك لا يشكل اليهود القاطنون في روسيا وغاليسيا أمة فليسوا في هذين البلدين مع الأسف (لا لذنب منهم بل لذنب من البوريشكيفيتشين) سوى فئة مغلقة معزولة وهذا هو الرأي الثابت الذي يقول به أولئك الذين يعرفون التاريخ اليهودي يقين المعرفة ويأخذون بالحسبان الوقائع المذكورة أعلاه

فعلام تدل هذه الوقائع ؟ انها تدل على أنه لا يمكن أن يقيم الدنيا ويقعدها ضد «التمثلية» غير أولئك اليهود الرجعيين التافهين الضيقي الأفق الذين يريدون أن يعيدوا عجلة التاريخ الى الوراء ،

أن يجبروها على السير لا من النظام القائم في روسيا وغاليسيا
 باتجاه النظام القائم في باريس ونيويورك بل بالاتجاه المعاكس
 ولم يرتفع قط أي صوت ضد التمثلية من جانب خيرة اليهود
 الذين مجدهم تاريخ العالم والذين قدموا للانسانية مرشدين
 متقدمين في طريق الديمقراطية والاشتراكية ولا يرتفع ضد
 التمثلية الا صيحات المعجبين المتولهين بـ«الدبر» اليهودي
 أما النسبة التي تستمر بها عامة عملية تمثل القوميات
 في نطاق الرأسمالية المتقدمة الحالي فاننا نستطيع أن نكوّن
 عنها فكرة تقريبية مثلاً من المعطيات المتعلقة بالهجرة الى
 الولايات المتحدة الأمريكية الشمالية فقد تدفق عليها من أوروبا
 ٣ ملايين و ٧٠٠ ألف شخص خلال عشر سنوات من ١٨٩١ الى
 ١٩٠٠ و ٧ ملايين و ٢٠٠ ألف شخص خلال تسع سنوات من
 ١٩٠١ الى ١٩٠٩ ويستفاد من احصاء سنة ١٩٠٠ انه كان في
 الولايات المتحدة أكثر من ١٠ ملايين أجنبي فان ولاية نيويورك
 التي بنى هذا الاحصاء أنها تعد أكثر من ٧٨٠٠٠٠ نساوي
 و ١٣٦٠٠٠٠ انجليزي و ٢٠٠٠٠٠ فرنسي و ٤٨٠٠٠٠٠ ألماني
 و ٣٧٠٠٠٠ مجري و ٤٢٥٠٠٠٠ ايرلندي و ١٨٢٠٠٠٠ ايطالي
 و ٧٠٠٠٠٠ بولوني و ١٦٦٠٠٠٠ من روسيا (معظمهم من اليهود)
 و ٤٣٠٠٠٠ اسوجي والنخ ، أشبه بطاحون يطحن الفوارق القومية
 وما يجري في نيويورك على نطاق واسع وبالنسبة لقوميات عديدة
 يجري أيضاً في كل مدينة كبيرة وحاضرة عمالية
 ان من لم يغرق في مستنقع الأوهام والأضاليل القومية لا بد له
 أن يرى في هذه العملية ، أي في تمثل الرأسمالية للقوميات خطوة
 تاريخية هائلة الى أمام تقضي على الرتبة القومية في شتى الاصقاع
 النائية ، ولا سيما في البلدان المتأخرة كروسيا مثلاً .

انظروا الى روسيا والى موقف الروس من الأوكرانيين يقينا ان كل ديموقراطي وبالأحرى كل ماركسي سيناضل بحزم ضد اذلال الأوكرانيين والامعان في دوس كرامتهم وسيطالب بمساواتهم التامة في الحقوق مع الروس ولكننا نكون قد اقترفنا خيانة مباشرة بحق الاشتراكية واتبعنا سياسة خرقاء حتى من حيث «مهمات» الأوكرانيين «القومية» البرجوازية اذا خففنا التحالف والصلة القائمة حالياً بين البروليتاريا الأوكرانية والبروليتاريا الروسية في نطاق الدولة الواحدة

والسيد ليف يوركيفيتش الذي يدعي أيضاً بأنه «ماركسي» (مسكين ماركس!) يعطي مثلاً عن هذه السياسة الخرقاء فقد كتب يوركيفيتش يقول ان سوكولوفسكي (باسوك) ولوكاشيفيتش (توتشابسكي) قد أكدا في عام ١٩٠٦ ان البروليتاريا الأوكرانية قد «تروسنت» بكليتها وانها لم تبق بحاجة الى منظمة خاصة بها واذا يوركيفيتش يتمسك بتلايهما دون أن يحاول تقديم أية واقعة من حيث جوهر المسألة ويصيح بصورة هستيرية - تماماً كما يفعل أي قومي متعصب ، زائف القدر وضيق الأفق ورجعي - بأن تأكيدهما ينطوي حسب زعمه على «سلبية قومية» على «جحد قومي» بأنهما «شقا (!) صفوف الماركسيين الأوكرانيين» الخ واذا يوركيفيتش يؤكد ان أقلية العمال في أوكرانيا «واعية قومية» في الوقت الحاضر رغم «نهوض الوعي القومي الأوكراني بين العمال» ، بينما الأغلبية «لا تزال تحت تأثير الثقافة الروسية» واذا صاحبنا القومي التافه الضيق الأفق يهتف بأن واجبنا «لا يتقوم في السير وراء الجماهير ، بل في قيادتها وراءنا ، وانارتها حول المهام القومية» (مجلة «دزفين» ، ص ٨٩)

ان كل محاكمة السيد يوركيفيتش هذه قومية برجوازية شكلاً وأساساً . ولكنها لا تصمد للانتقاد حتى من وجهة نظر

القوميين البرجوازيين الذين يريد بعضهم الحكم الذاتي لأوكرانيا ومساواتها التامة في الحقوق مع روسيا والبعض الآخر دولة أوكرانية مستقلة تماماً ذلك ان خصم ميول الأوكرانيين التحررية انما هو طبقة الملاكين العقارين الروس والبولونيين ثم الطبقة البرجوازية الروسية والبولونية فأية هي القوة الاجتماعية التي تستطيع الصمود بوجه هاتين الطبقتين ومقاومتها ؟ لقد أعطى العقد الأول من القرن العشرين جواباً واضحاً ملموساً على هذا السؤال هذه القوة انما هي فقط الطبقة العاملة التي تقود وراءها طبقة الفلاحين الديمقراطيّة واذ يسعى السيد يوركيفيتش الى شق صفوف هذه القوة الديمقراطية الحقيقية وبالتالي الى اضعافها وهي القوة التي يؤدي انتصارها الى استحالة العنف القومي فهو لا يخون مصالح الديمقراطية بوجه عام وحسب، انما يخون أيضاً مصالح وطنه أوكرانيا ان حرية أوكرانيا ممكنة شرط أن يتوحد نضال البروليتاريين الروس والأوكرانيين وبدون هذه الوحدة باطل كل مسعى وكلام

غير أن الماركسيين لا يقتصرون على وجهة النظر القومية البرجوازية فمنذ عشرات السنين تبين أن جنوب البلاد أي أوكرانيا يتطور من الناحية الاقتصادية بأسرع مما تتطور سائر أنحاء البلاد جاذباً من روسيا عشرات الآلاف ومئات الآلاف من الفلاحين والعمال الى مزارع الرأسماليين ، والى المناجم والمدن ان واقع «تمثل» البروليتاريا الروسية والأوكرانية - ضمن هذه الحدود - هو واقع لا مرأى فيه وبيقينا ان هذا الواقع تقدمي . فمكان الموجيك الروسي أو الأوكراني المحدود التفكير الروتيني المستقر المغرق في الجهل ، تضع الرأسمالية البروليتاري المتحرك ، المتنقل ، الذي تحطم ظروف معيشتة ضيق الأفق القومي الصرف الروسي والأوكراني . ولنفترض أن فصلت ذات يوم حدود دولية بين روسيا

وأوكرانيا ففي هذه الحالة أيضاً سيتسم «تمثل» العمال الروس والأوكرانيين بطابع تقدمي تاريخي لا مراء فيه ، كما هو عليه انصهار القوميات في اميركا . وبقدر ما تتمتع روسيا وأوكرانيا بمزيد من الحرية بقدر ما تتطور الرأسمالية بمزيد من السرعة والشمول وبقدر ما تجتذب بالتالي عمال جميع القوميات من جميع مناطق الدولة وجماهير العمال من جميع الدول المجاورة (لو أن الدولة الروسية أصبحت مجاورة لأوكرانيا) الى المدن والمناجم والمعامل وحين ينبذ السيد ليف يوركيفيتش مصلحة بروليتاريا القوميتين في الاتصال والاندماج والتمثل مفضلاً نجاح المهمات القومية الأوكرانية الآنني فهو يسلك سلوك برجوازي حقيقي بل سلوك برجوازي تافه ، قصير النظر ، ضيق الأفق ، محدود التفكير فالقوميون البرجوازيون يقولون ومن بعدهم اليوركيفيتشيون والدونتسوفيون وغيرهم من الماركسيين المناحيس المهمات القومية أولاً ثم البروليتارية أما نحن فاننا نقول المهمات البروليتارية أولاً لأنها لا تؤمن مصالح العمل الدائمة الحيوية وحسب ولا تضمن مصالح الانسانية وحسب بل تؤمن أيضاً مصالح الديمقراطية والحال لا تستطيع أوكرانيا بدون الديمقراطية أن تتمتع لا بالحكم الذاتي ولا بالاستقلال ومن المهم أخيراً أن نشير في محاكمة يوركيفيتش الزاخرة بالآيات القومية الى الآية التالية وهي قوله ان اقلية العمال الأوكرانيين واعية قومياً بينما «لا تزال الأغلبية تحت تأثير الثقافة الروسية» *

ولكن معارضة الثقافة الأوكرانية بمجموعها بالثقافة الروسية بمجموعها أيضاً انما تعني بالنسبة للبروليتاريا ، خيانة مصالح البروليتاريا باوقش شكل في صالح التعصب القومي البرجوازي

* ويضيف لينين بين هلالين النص الاصلي الاوكراني لهذا الاستشهاد . **الناشر** .

واننا نقول لجميع القوميين-الاشتراكيين ان كل أمة عصرية تنطوي على أمتين وان كل ثقافة قومية تنطوي على ثقافتين قوميتين فهناك ثقافة روسية مقرونة بأسماء بوريشكيفيتش وغوتشكوف وستروفه واضرابهم وهناك أيضاً ثقافة روسية مقرونة بأسماء تشيرنيشيفسكي وبليخانوف كذلك ثمة ثقافتان مهائلتان في أوكرانيا وكذلك في ألمانيا وفرنسا وانجلترا وعند اليهود الخ فاذا كانت أغلبية العمال الأوكرانيين لا تزال تحت تأثير الثقافة الروسية فنحن نعلم علم اليقين أن أفكار الديمقراطية الروسية والاشتراكية-الديموقراطية الروسية منتشرة راسخة أيضاً هناك الى جانب أفكار الثقافة الروسية الاكديريكية والبرجوازية فالماركسي الأوكراني يحارب هذه «الثقافة» الثانية ويضع دائماً الثقافة الأولى في المرتبة الأولى ويقول للعمال الأوكرانيين «ان كل امكانية للاتصال مع العامل الروسي الواعي وأدبه وأفكاره انما ينبغي علينا من كل بد أن نتمسك بها بكل قوانا ونستخدمها ونثبتها فهذا ما تقتضيه المصالح الحيوية للحركة العمالية الأوكرانية والروسية على السواء»

وإذا انجرف الماركسي الأوكراني في تيار حقد مشروع وطبيعي تماماً على الطغاة المضطهدين الروس الى حد أن يكن ولو قدراً طفيفاً جداً من الحقد ولو شعوراً من البرودة لثقافة العمال الروس البروليتارية وعملهم البروليتاري فان هذا الماركسي ينزل بالتالي في مستنقع التعصب القومي البرجوازي كذلك ينزل الماركسي الروسي في مستنقع التعصب القومي لا البرجوازي وحسب بل الغارق في رجعية المائة السود أيضاً اذا نسي لحظة واحدة مطلب المساواة التامة في الحقوق بين الأوكرانيين والروس ، أو حق الأوكرانيين في انشاء دولة مستقلة .

ينبغي على العمال الروس والاوكرانيين ان يعملوا معاً ، -
 وطالما هم يعيشون في اطار دولة واحدة ينبغي لهم أن يعملوا
 بأوثق ما يكون من الوحدة والاندماج التنظيمي ، - على الدفاع عن
 ثقافة الحركة البروليتارية المشتركة أو الأممية وان يبدوا
 اقصى ما يكون من التسامح والتساهل فيما يتعلق بلغة الدعاية
 والمسائل التفصيلية المحلية الصرف أو القومية الصرف في هذه
 الدعاية ذلك ما تتطلبه الماركسية بالضرورة وكل دعاية ترمي
 الى فصل عمال قومية من القوميات عن عمال قومية أخرى وكل
 حملة على «التمثلية» الماركسية ، وكل محاولة في قضايا البروليتاريا
 لمعارضة ثقافة قومية بمجموعها بثقافة قومية أخرى يزعم انها
 متجانسة ، الخ ان كل ذلك ضرب من التعصب القومي البرجوازي
 ينبغي حتماً مكافحته بلا رحمة ولا لين

٤ - «استقلال الثقافة القومية الذاتي»

يرتدي شعار «الثقافة القومية» أهمية بالغة بنظر الماركسيين ،
 لا لأنه يحدد فقط المحتوى الفكري لكل دعايتنا ولكل نشاطنا
 التحريضي في المسألة القومية خلافاً للدعاية البرجوازية بل أيضاً
 لأن برنامج استقلال الثقافة القومية الذاتي المزعوم يرتكز بكليته
 على هذا الشعار

ان العيب الجوهرى المبدئي في هذا البرنامج هو كونه
 يسعى الى تطبيق التعصب القومي بانعم مظاهره واكثرها اطلاقاً
 واقصاها مدى فقوام هذا البرنامج هو التالي ينتسب كل مواطن
 الى هذه الأمة او تلك وكل أمة تؤلف كلا حقوقياً يحق له أن
 يفرض الضرائب على أفرادها بالقوة ويشكل برلماناً القومي
 (السيم) ، ويكون له من ابنائه «أمناء للدولة» (وزراء) .

ان هذا الضرب من التفكير في المسألة القومية أشبه بتفكير برودون في النظام الرأسمالي فان برودون يقول بعدم القضاء على الرأسمالية والانتاج البضاعي الذي هو أساسها بل بتطهير هذا الأساس من النواقص والعيوب من الشوائب والزوائد من التجاوز وسوء التصرف الخ وهو يقول بعدم الغاء التبادل والقيمة التبادلية بل على العكس «بإضفاء صفة شرعية» على هذه القيمة وجعلها عامة مطلقة «عادلة» مصونة من كل تقلب ، وازمة ، وسوء استعمال

وكما ان برودون هو برجوازي صغير وتجعل نظريته من المبادلات والانتاج البضاعي شيئاً مطلقاً وتحفة التحف كذلك تتسم نظرية «استقلال الثقافة القومية الذاتي» وبرنامجه بطابع برجوازي صغير يجعل من التعصب القومي البرجوازي شيئاً مطلقاً وتحفة التحف ويظهره من العنف والجور والتعسف الخ

ان الماركسية لا تتفق مع التعصب القومي ، مهما كان «عادلاً» و«صافياً» وناعماً وتمدناً بل انها تستعيز عن التعصب القومي أي تعصب بالأممية باندماج جميع الأمم في وحدة عليا تتطور وتنمو تحت انظارنا كلما مد خط حديدي جديد وانشئ تروست عالمي جديد وتأسست جمعية عمالية جديدة (عالمية بنشاطها الاقتصادي ثم بافكارها وميولها أيضاً)

ان مبدأ القوميات أمر محتم تاريخياً في المجتمع البرجوازي وبالنظر الى هذا المجتمع يعترف الماركسي صريح الاعتراف بالشرعية التاريخية للحركات القومية ولكن لكي لا يتحول هذا الاعتراف الى تمجيد للتعصب القومي ينبغي له أن يقتصر بدقة على ما لهذه الحركات من تقدمي ، والا يؤدي الى تعمية الوعي البروليتاري بالعقلية البرجوازية

ان استيقاظ الجماهير من الخمود الاقطاعي انما هو أمر

تقدمي وكذلك نضالها ضد الاضطهاد القومي أيا كان وفي سبيل سيادة الشعب ، في سبيل سيادة الأمة ومن هنا ينجم هذا الواجب **المطلق** الذي يقضي على الماركسيين بالدفع عن الروح الديمقراطية بأقوى مظاهرها وأشدّها انسجاماً وتماسكاً في جميع نواحي المسألة القومية وتلك مهمة سلبية بخاصة ولكن لا يسع البروليتاريا ان تمضي ابعده من ذلك في تأييد النزعة القومية ، اذ انه ، ابعده من ذلك ، يبدأ نشاط البرجوازية «الايجابي» الرامي الى تقوية التعصب القومي

ينبغي على البروليتاريا أن تخلع كل نير اقطاعي وان تقضي على كل اضطهاد قومي وعلى كل الامتيازات التي تتمتع بها أمة من الأمم أو لغة من اللغات فذلك هو الواجب المطلق الملقى عليها بوصفها قوة ديموقراطية ، وذلك ما تقتضيه مصلحة النضال الطبقي البروليتاري المطلقة ، هذا النضال الذي تحجبه وتؤخره الخصومات والنزاعات القومية ولكن مساعدة النزعة القومية البرجوازية ابعده من هذه الحدود المحددة بدقة والواردة في اطار تاريخي واضح المعالم انما تعني خيانة البروليتاريا والوقوف الى جانب البرجوازية فهناك خط فاصل غالباً ما يكون دقيقاً جداً وينساه تماماً الاشتراكيون-القوميون البونديون والأوكرانيون

أجل ينبغي النضال ضد كل نير قومي ذلك أمر لا ريب فيه ولكن مما لا ريب فيه أيضاً ان النضال في سبيل كل تطور قومي ، في سبيل «الثقافة القومية» بوجه عام ، أمر غير وارد أبداً. فان التطور الاقتصادي في المجتمع الرأسمالي يقدم لنا في العالم أجمع أمثلة عن حركات قومية لم تتطور تطوراً كافياً وأمثلة عن تكون أمم كبيرة عن طريق اندماج عدد من الأمم الصغيرة بعضها ببعض أو على حساب بعضها بعضاً وأمثلة عن تمثيل الأمم ان مبدأ التعصب القومي البرجوازي انما هو تطور القومية بوجه عام ، مما

أدى الى نشوء ما تتسم به النزعة القومية البرجوازية من انكماش والى انفجار المنازعات القومية التي لا نهاية لها ولا حل أما البروليتاريا فانها لا تدافع عن تطور كل أمة تطوراً قومياً بل تحذر الجماهير من مثل هذه الأوهام وتتولي الدفاع عن أكمل ما يكون من الحرية لتطور العلاقات الرأسمالية ، وترحب بكل تمثل بين القوميات باستثناء التمثل بالعنف والتمثل الذي يركز على الامتيازات

ان الأساس الفكري لاستقلال الثقافة القومية الذاتي ومحتواه يتقومان فيما يلي تكريس التعصب القومي في نطاق معين «عادل» الحدود ، و«اضفاء صفة شرعية» على التعصب القومي وفصل جميع القوميات الواحدة عن الأخرى بحواجز متينة أبدية بوساطة مؤسسة خاصة من مؤسسات الدولة ان هذه الفكرة فكرة برجوازية برمتها وخاطئة تماماً فلا يسع البروليتاريا أن تؤيد أي تكريس للتعصب القومي بل انها تدعم على العكس كل ما يساعد في محو الفوارق القومية وفي هدم الحواجز القومية ، وكل ما يجعل الصلة بين القوميات تزداد وثوقاً على الدوام وكل ما يؤدي الى اندماج الأمم وكل تصرف خلاف ذلك انما يعني الوقوف الى جانب ضيق الأفق القومي الرجعي

حين ناقش الاشتراكيون-الديموقراطيون النمساويون في مؤتمرهم ببرون (عام ١٨٩٩) (٣٣) مشروع استقلال الثقافة القومية الذاتي لم يهتموا اطلاقاً أو تقريباً بتقدير هذا المشروع من الناحية النظرية بيد أننا نشير على سبيل الافادة والاطلاع الى انه قد أدلى ببرهانين ضد هذا المشروع فقد قيل أولاً انه يؤدي الى تعزيز النزعة الاكليديكية وثانياً «انه يؤدي الى تخليد الشوفينية وبنها في كل طائفة صغيرة ، في كل جماعة صغيرة» (ص ٩٢ من محاضر مؤتمر برون الرسمية باللغة الألمانية. وقد ترجمت هذه

المحاضر الى الروسية ، وأصدرها الحزب القومي اليهودي المسمى بحزب العمال الاشتراكي اليهودي (٣٤))
لا سبيل الى الشك في أن «الثقافة القومية» بمعنى التعبير العادي أي المدرسة والخ تخضع اليوم لنفوذ وتسلط الاكديريكين والشوفينيين البرجوازيين في جميع أقطار العالم وحين يقول البونديون في معرض دفاعهم عن استقلال «الثقافة القومية» الذاتي ان تكون الأمم سيجعل النضال الطبقي في داخل هذه الأمم **خلوا** من أية اعتبارات غريبة فان قولهم هذا مجرد سفسطة واضحة مضحكة ففي كل مجتمع رأسمالي ينشب صراع طبقي جدي في الميدان الاقتصادي والسياسي قبل كل شيء
فصل الميدان المدرسي عن **الميدان الاقتصادي والسياسي** انما هو طوبوية خرقاء لأنه يستحيل فصل المدرسة (وكذلك «الثقافة القومية» بوجه عام) عن الاقتصاد والسياسة ثم ان الحياة الاقتصادية والسياسية في البلاد الرأسمالية هي التي **تجبر** في كل لحظة على هدم الحواجز القومية السخيفة البالية التي ولى زمنها وعلى ذلك الأوهام والأفكار الخاطئة والحال ان فصل العمل المدرسي الخ ، من شأنه ان يصون بالضبط النزعة الاكديريكية «المحض» والشوفينية البرجوازية «المحض» ويزيد من حدتهما ويعزز من بأسهما

ان الرأسماليين من مختلف الأمم والقوميات يجلسون معاً الى طاولة واحدة ويتشاركون في الشركات المساهمة ، ويندمجون كل الاندماج بعضهم ببعض وفي المصنع ، يشتغل العمال من مختلف الأمم والقوميات جنباً الى جنب وفي كل قضية سياسية جدية وعميقة حقاً يتم التكتل والتجمع حسب الطبقات لا حسب القوميات فاذا قلنا «بانتراع» العمل المدرسي وغير ذلك «من صلاحية الدولة» وجعله من صلاحية القوميات ، فكأننا بالضبط نحاول ان **نفصل** عن

الاقتصاد الذي يصهر الأمم ويدمجها بعضها ببعض الميدان الفكري أكثر من غيره من ميادين الحياة الاجتماعية ، اذا جاز القول ، الميدان الذي يوافق أكثر من غيره لتسرب الثقافة القومية «المحض» أو لتطبيق الشوفينية والنزعة الاكليريكية في الحقل القومي

ان مشروع الاستقلال الذاتي «exterritorial» * (أي غير المرتبط بالأرض التي تقطنها هذه الأمة والقومية أو تلك) أو «الثقافي القومي» لا يؤدي ، عند تطبيقه العملي الا الى أمر واحد ، هو تقسيم العمل المدرسي حسب القوميات أي تشكيل طوائف قومية متباينة في العمل المدرسي يكفي أن نتصور بوضوح هذا الجوهر الفعلي الذي ينطوي عليه البرنامج البوندي الشهير لكي ندرك ما يتسم به من طابع رجعي حتى من وجهة نظر الديمقراطية فضلاً عن وجهة نظر نضال البروليتاريا الطبقي في سبيل الاشتراكية

ثمة مثال واحد ومشروع واحد «لطبع» العمل المدرسي «بالطابع القومي» يبينان بوضوح ما هو جوهر الأمر ففي كل مظاهر الحياة في الولايات المتحدة الاميركية ما يزال الناس يقسمون البلاد الى ولايات شمالية وولايات جنوبية الأولى بأعظم تقاليداً في الحرية والنضال ضد ملاكي الارقاء ، والثانية بأعظم تقاليد ملكية الأرقاء ، وبقايا اضطهاد الزوج وتدهورهم الاقتصادي والانحطاط الثقافي (تبلغ نسبة الأميين بين الزوج ٤٤ بالمئة وبين البيض ٦ بالمئة) الخ ففي الولايات الشمالية يذهب الزوج والبيض الى نفس المدرسة أما في الجنوب فثمة مدارس خاصة بالزوج - «قومية» أو عرقية ، اذا شئتم ، ويخيل اليّ أن ذلك هو المثال الوحيد عن «طبع» المدرسة في الواقع العملي «بالطابع القومي»

* exterritorial او extraterritorial خارج الارض ، خارج

المكان ، اللامكاني المعرب .

وفي أوروبا الشرقية بلد ما يزال فيه تليفق قضية كقضية بيليس (٣٥) أمراً ممكناً ويعاني اليهود فيه بفعل البوريشكيفيتشينين ، وضعاً أسوأ من وضع الزنوج في هذا البلد ، وضعت الوزارة مؤخراً مشروعاً لطبع المدرسة اليهودية بالطابع القومي . ولكننا نرى لحسن الحظ ان هذه الطوبوية الرجعية لن تتحقق أبداً ، كما لن تتحقق طوبوية البرجوازيين الصغار النمساويين الذين ينسوا من تطبيق الديموقراطية المنسجمة ومن وقف المنازعات القومية فاخترعوا للقوميات اطارات ضيقة تستخدمها في نطاق العمل المدرسي لكي لا تتنازع فيما بينها لدن توزيع المدارس ولكنها «تكونت» من أجل قيام نزاع أبدي بين «ثقافة قومية» وأخرى

ففي النمسا ، ظل شعار استقلال الثقافة القومية الذاتي بصورة واضحة ملموسة مجرد بدعة الادباء لم يحملها الاشتراكيون - الديموقراطيون النمساويون أنفسهم على محمل الجد أما في روسيا فقد ورد هذا الشعار بالعكس ، في برامج جميع الأحزاب البرجوازية اليهودية وبعض العناصر البرجوازية الصغيرة الانتهازية من مختلف القوميات كالبوندين مثلاً والتصفويين في القفقاس والمجلس العام للأحزاب القومية في روسيا ذات الاتجاه الشعبي اليساري (ونقول عرضاً ان هذا المجلس العام قد انعقد سنة ١٩٠٧ واستنكف الاشتراكيون - الثوريون الروس والاشتراكيون - الوطنيون البولونيون ، P.P.S. (٣٦) عن التصويت على قرار المجلس والاستنكاف طريقة امتاز بها الاشتراكيون - الثوريون والاشتراكيون البولونيون عند بحث المسألة المبدئية الهامة في البرنامج القومي!) . وفي النمسا كرس اوتو باور على وجه الضبط وهو النظري الرئيسي «لاستقلال الثقافة القومية الذاتي» فصلاً كاملاً من كتابه لكي يثبت أنه يستحيل على اليهود طرح هذا البرنامج في حين تبنته في روسيا جميع الأحزاب البرجوازية اليهودية ، ومعها حزب البوند

الذي يحمل لواء التملق والتسييح لها * فما معنى ذلك ؟ معناه أن التاريخ قد فضح بواسطة السياسة التي انتهجتها دولة أخرى كل ما تتسم به نظرية باور من سخافة وضلال كما فضح البرنشتينيون الروس (ستروفه وتوغان - بارانوفسكي وبرديايف وشركاهم) بانتقالهم السريع من الماركسية الى الليبيرالية فحوى البرنشتينية (٣٧) الالمانية الفكري الحقيقي

فلا الاشتراكيون - الديموقراطيون النمساويون ولا الاشتراكيون - الديموقراطيون الروس تبناوا مطلب استقلال «الثقافة القومية» الذاتي في برنامجهم ولكن الأحزاب البرجوازية اليهودية في البلد الأكثر تأخرًا وعدة كتل برجوازية صغيرة تزعم انها اشتراكية

تبنت هذا المطلب لكي تبث على نحو مبطن ناعم أفكار النزعة

* مفهوم أن ينكر البونديون غالباً بأقصى الحمية أقدام جميع الأحزاب البرجوازية اليهودية على تبني شعار «استقلال الثقافة القومية الذاتي» فان هذا الأمر يكشف بكثير من الوضوح دور البوند الحقيقي وحين حاول البوندي ، السيد مانين ، ان يكرر انكاره في مجلة «لوتش» («الشعاع») ، تصدى له السيد سكوب (انظر مجلة «بروسفيشنيه» («التنوير») ، العدد ٣) وكشف القناع عنه تماماً ولكن ، حين يورد السيد ليف يوركيفيتش في مجلة «دزفين» (سنة ١٩١٣ ، العدد ٧-٨ ، ص ٩٢) الفقرة التالية من مقال سكوب في مجلة «بروسفيشنيه» (العدد ٣ ص ٧٨) «ان البونديين ينادون منذ زمن بعيد مع جميع الأحزاب والكتل اليهودية البرجوازية ، باستقلال الثقافة القومية الذاتي» ، ويشوه هذه الفقرة شاطباً منها كلمة «البونديين» ومستعيضاً عن كلمات «استقلال الثقافة القومية الذاتي» بكلمتي «الحقوق القومية» ، فلا يبقى لنا الا هز الأكتاف ! فان السيد ليف يوركيفيتش ليس قومياً متعصباً وحسب ، ولا جاهلاً مفترقاً في الجهل في حقل تاريخ الاشتراكيين - الديموقراطيين وبرنامجهم وحسب ، انما هو أيضاً مزور استشهادات موصوف في صالح البوند وهكذا يبدو أن الأمور ليست على ما يرام بالنسبة للبوند والسادة اليوركيفيتشين !

القومية البرجوازية في اوساط العمال وهذا الواقع بحد نفسه غني
عن التعليق

وما دمنا قد اضطررنا الى الحديث عن البرنامج النمساوي في
المسألة القومية فلا بد لنا أن نعيد الحقيقة ، التي غالباً ما يشوهها
البونديون ففي مؤتمر برون عرض ما يسمى البرنامج **الخالص**
«لاستقلال الثقافة القومية الذاتي» وهو برنامج الحركة
الاشتراكية-الديموقراطية لسلافي الجنوب وقد نصت فقرته
الثانية على ما يلي «ان كل شعب يقطن النمسا يشكل بصرف
النظر عن الأرض التي يشغلها افراده جماعة مستقلة ذاتياً تحل
بصورة مستقلة تماماً كل شؤونها القومية (المتعلقة باللغة
والثقافة)» وهذا البرنامج لم يدافع عنه كريستان وحده بل
دافع عنه أيضاً ايلينبوغن ، ذو النفوذ الكبير ومع ذلك ، سحب من
جدول أعمال المؤتمر اذ لم يحظ بأي صوت وتبنى المؤتمر
البرنامج **المكاني** أي البرنامج الذي لا يقول بانشاء أية جماعة
قومية «بصرف النظر عن الأرض التي يشغلها أفراد القومية»

وتنص الفقرة الثالثة من هذا البرنامج الذي اقره المؤتمر على
ما يلي «ان **المناطق** التي تحكم نفسها بنفسها وتقطنها نفس القومية
الواحدة تؤلف معاً اتحاداً قومياً واحداً يحل شؤونه القومية على اساس
الحكم الذاتي الكامل» (راجع مجلة «بروسفيشينييه» ، سنة ١٩١٣
العدد ٤ ص ٢٨ (٣٨)) وواضح ان هذا البرنامج الوسطي خاطي
أيضاً واليكم مثلاً يثبت صحة ما نقول فاذا اخذنا بوجهة نظر
البرنامج لكانت جالية الألمان في اقليم ساراتوف ، وحي العمال
الالمان في ريغا أو في لودز ، والبلدة الألمانية في ضواحي بطرسبورغ ،
الخ تؤلف معاً «اتحاداً قومياً واحداً» لالمان روسيا وبديهي ان
الاشتراكيين-الديموقراطيين لا يستطيعون **المطالبة** بمثل هذا

المطلب ولا تكريس مثل هذا الاتحاد مع العلم أنهم لا ينكرون أبداً بالطبع حرية التجمع أي تجمع بما فيه تجمع أية طوائف أو جماعات ، من أية قومية كانت ، في دولة معينة اما القول بصدور قانون من الدولة يجمع الالمان أو غيرهم من مختلف الاماكن والطبقات في روسيا ضمن رابطة قومية ألمانية واحدة ، مثلاً فلا يستطيع الاهتمام بهذا المطلب غير الكهننة والبرجوازيين والبرجوازيين الصغار وأي كان من الناس دون الاشتراكيين - الديمقراطيين

٥ - المساواة في الحقوق بين الامم وحقوق الاقلية القومية

ان الأسلوب الذي أكثر ما يتبعه الانتهازيون الروس عند بحث المسألة القومية انما هو الاستشهاد بالنسب ففي مقالي الذي صدر في «سيفيرنايا برافدا» * («بروسفيشينييه» ، العدد ١٠ صص ٩٦ - ٩٨) والذي قامت ضده قيادة الانتهازيين (السيد سيمكوفسكي في جريدة «نوفايا رابوتشايا غازيتا» (٣٩) والسيد ليبن في مجلة «زاييت») أكدت ان ليس ثمة سوى حل واحد للمسألة القومية بقدر ما يمكن حلها في عالم الرأسمالية وهو تطبيق الديمقراطية بدأب وصدق الى النهاية وللادلال على صحة قولي استشهدت بسويسرا فيما قدمت من ادلة غير ان هذا الاستشهاد لم يرض الانتهازيين اللذين ذكرتهما آنفاً فحاولوا دحضه أو التقليل من أهميته فزعموا ان كاوتسكي قال ان سويسرا استثناء ، وان في سويسرا ، على حد زعمه ، لامركزية خاصة بها وتاريخاً خاصاً وأحوالاً جغرافية خاصة وتوزيعاً طريفاً جداً للسكان الذين يتكلمون لغات المختلفة ، الخ الخ

* راجع هذه الكتاب صص ٥٧-٦١ . الناشر .

ان كل هذه المزاعم ليست سوى محاولات **للتهرب** من جوهر البحث لا ريب أن سويسرا استثناء بمعنى انها ليست دولة تضم قومية واحدة فقط ولكن النمسا وروسيا تمثلان هذا الاستثناء (أو التأخر نفسه كما يضيف كاوتسكي) ولا ريب ان اوضاع سويسرا الخاصة الاصلية التاريخية والمعيشية هي التي أمنت لها قسطاً من الديمقراطية أكبر مما في معظم البلدان الأوروبية المجاورة

ولكن ما شأن كل هذا هنا ما دام الحديث يتناول **مثالاً** ينبغي الاقتداء به ؟ فبالنظر للظروف الراهنة تغدو استثناء في العالم كله البلدان التي قامت فيها هذه المؤسسة أو تلك حسب مبادئ النزعة الديمقراطية الصادقة **والمنسجمة** فهل يمنعنا هذا من ان ندافع في برنامجنا عن هذه النزعة الديمقراطية المنسجمة وعن المطالبة بتطبيقها في جميع المؤسسات ؟

ان ما تمتاز به سويسرا انما هو تاريخها واطرافها الجغرافية وغير ذلك من الخصائص اما ما تمتاز به روسيا فهو هذه القوة البروليتارية التي لا سابق لها في عهد الثورات البرجوازية وهذا التأخر العام الكبير في البلاد الذي يتطلب ، موضوعياً ، قيام حركة تقدمية سريعة للغاية وحازمة رغم جميع النواقص والهزائم اننا نضع برنامجاً قومياً من وجهة نظر البروليتاريا فمتى أوصي باستيحاء شر الأمثلة بدلاً من خيرها ؟

وفي مطلق الأحوال ، أليس ثمة أمر لا مرأى فيه ولا جدال ، وهو ان السلام القومي لم يتحقق في ظل الرأسمالية الا (بقدر ما يمكن تحقيقه بوجه عام) في البلدان ذات النزعة الديمقراطية الصادقة **والمنسجمة دون غيرها** من البلدان ؟

وما دام هذا الأمر ثابتاً لا جدال فيه فان استشهاد الانتهازيين على الدوام بالنمسا ، بدلاً من سويسرا ، يغدو اسلوباً

يشبه تمام الشبه أسلوب الكاديت الذين يستوحون دائماً شر
 الدساتير الأوروبية بدلاً من خيرها
 في سويسرا ثلاث لغات رسمية ولكن مشاريع القوانين ، عند
 اجراء الاستفتاء تطبع بعجمس لغات أي بلهجتين «رومانيتين»
 علاوة على اللغات الثلاث الرسمية وهاتان اللهجتان انما يتكلم
 بهما في سويسرا حسب احصاء عام ١٩٠٠ ٢٨٦٥١ نسمة من
 أصل ٣٣١٥٤٤٣ نسمة أي أكثر من واحد بالمئة بقليل وفي
 الجيش «يمنح الضباط وصف الضباط مطلق الحرية في مخاطبة
 الجنود بلغتهم الأم» وفي ناحيتي غراوبندين وفاليه (وكل منهما
 تعد أكثر من ١٠٠٠٠٠ نسمة بقليل) تتمتع اللهجتان بمساواة
 مطلقة مع اللغات الرسمية *

وهنا يوضع السؤال التالي أيترتب علينا ان ننشر هذه
 التجربة الحية التي مر بها بلد متقدم وندافع عنها أم يترتب علينا ان
 نأخذ عن النمساويين التلفيقات التي لما تختبر في أي قطر من العالم
 (والتي لما يقرها النمساويون أنفسهم) كفكرة «الحكم الذاتي
 اللامكاني» مثلاً؟

ان الدعوة الى هذا التلفيق معناها الدعاية الى تقسيم العمل
 المدرسي حسب القوميات أي القيام بدعاية ضارة تماماً في حين
 ان تجربة سويسرا تثبت ان من الممكن في الواقع تأمين أكبر ما يكون
 من السلام القومي (نسبياً) في ظل نظام ذي نزعة ديموقراطية
 صادقة منسجمة (ونسبياً أيضاً) وعلى نطاق الدولة كلها وقد
 تحقق ذلك عملياً

يقول الناس الذين درسوا القضية

* راجعوا، René Henry: "La Suisse et la question des langues",

Bern, 1907. (رينيه هنري «سويسرا ومسألة اللغات» ، برن ١٩٠٧

(الناشر.)

« ان المسألة القومية غير واردة في سويسرا حسب مفهوم أوروبا الشرقية حتى ان التعبير (المسألة القومية) مجهول في هذا البلد لقد تجاوزت سويسرا صراع القوميات منذ زمن بعيد ، في مرحلة ١٧٩٧-١٨٠٣ * »

وهذا يعني ان عهد الثورة الفرنسية الكبرى الذي اعطى الحل الأوفر ديموقراطية للقضايا المباشرة المتعلقة بالانتقال من الاقطاعية الى الرأسمالية قد عرف فيما عرف كيف «يحل» المسألة القومية عرضاً

فليحاول الآن السادة سيمكوفسكي وليبمن وغيرهما من الانتهازيين التشدد بأن هذا الحل «السويسري الصرف» لا يمكن تطبيقه في أية ناحية أو حتى في جزء من ناحية في روسيا ، حيث يوجد من أصل ٢٠٠٠٠٠ نسمة فقط ٤٠٠٠٠ مواطن يتكلمون لهجتين ويودون التمتع في منطقتهم بمساواة تامة في الحقوق من حيث اللغة ! ان الدعاية في سبيل مساواة تامة بين القوميات واللغات لا تجمع في كل أمة الا العناصر ذات النزعة الديموقراطية المنسجمة (أي البروليتاريين فقط) اذ انها لا توحدهم حسب قومياتهم بل حسب ميولهم الى تحقيق تحسينات عميقة وجديدة في بناء الدولة العام أما الدعاية في سبيل «استقلال الثقافة القومية الذاتي» فانها على العكس تفرق بين القوميات ، رغم ما يضمه بعض الجماعات والأشخاص من رغبات صادقة وتقرب بالفعل عمال كل قومية من برجوازيتهما (تبني جميع الأحزاب البرجوازية اليهودية «استقلال الثقافة القومية الذاتي» المزعوم)

كذلك واضح ان صيانة حقوق الأقلية القومية على صلة وثيقة بمبدأ المساواة التامة في الحقوق بين القوميات وقد شرحت هذا

* راجعوا Ed. Blocher: "Die Nationalitäten in der Schweiz

Brl., 1910. (اد . بلوخر «القوميات في سويسرا» ، برلين ، ١٩١٠ .

. الناشر)

المبدأ في مقالي المنشور في «سيفيرنايا برافدا» بنفس الطريقة تقريباً التي شرح بها في القرار اللاحق الرسمي الأدق الذي اتخذته اجتماع الماركسيين فان هذا القرار يطالب «بادراج نص أساسي في الدستور يقضي ببطلان أي امتياز يمنح لقومية من القوميات وأي انتهاك لحقوق الأقلية القومية»

ولكن السيد ليبنن يحاول الهزء من هذا المطلب ، ويتساءل «كيف تعرفون ماهية حقوق الأقلية القومية؟» ويضيف قائلاً هل حق القومية في ان يكون لها «برنامجها» في المدارس القومية من عداد هذه الحقوق ؟ والى أي حد ينبغي أن تكون الأقلية القومية كبيرة لكي تتمتع بحق أن يكون لها قضاتها وموظفوها والمدارس بلغتها ؟ يبدو أن السيد ليبنن يريد من طرح هذه الاسئلة ان يخلص الى القول بضرورة برنامج قومي «ايجابي» بيد أن هذه الاسئلة تبين في الواقع بوضوح أية أشياء رجعية يريد صاحبنا البوندي هذا تمريرها وتهريبها في غمرة نقاش مزعوم حول تفاصيل وخصائص تافهة

انظروا الى قوله «برنامجها» في مدرستها القومية كلا يا عزيزنا الاشتراكي القومي فعند الماركسيين برنامج مدرسي واحد ، مشترك يقول مثلاً بمدرسة علمانية تماماً ويرى الماركسيون انه لا يمكن ولا يجوز أبداً في دولة ديموقراطية الابتعاد عن هذا البرنامج المشترك (ويعود للسكان ان يدخلوا في البرنامج مواد «محلية» ، كاللغة ، وغير ذلك) أما المطلب الرامي الى «انتزاع» العمل المدرسي «من صلاحية الدولة» وتحويله للقوميات فانه يتطلب منا نحن العمال ان نسمح «للقوميات» في دولتنا الديموقراطية ، بانفاق أموال الشعب في صالح المدرسة الاكاديمية ! وهكذا يتبين أن السيد ليبنن يوضح بجلاء دون قصد منه ما يتسم به «استقلال الثقافة القومية الذاتي» من مظاهر رجعية .

«الى أي حد ينبغي أن تكون الأقلية القومية كبيرة؟» ان هذا الحد لم يعين حتى في البرنامج النمساوي الذي يقول به البونديون فقد ورد في هذا البرنامج قوله (على نحو اوجز مما في برنامجنا وأقل جلاء) - «يضمن حقوق الأقليات القومية قانون خاص يسنه برلمان الامبراطورية» (الفقرة الرابعة من برنامج برون)

فلماذا لم ينتقد قط أحد من الناس الاشتراكيين - الديموقراطيين النمساويين ويسألهم ما هو هذا القانون بالضبط ؟ وأية حقوق لأية أقلية ينبغي له أن يضمنها ؟

ذلك لأن جميع الناس ذوي التفكير السليم يدركون أنه من غير المناسب وغير الممكن تحديد التفاصيل في البرنامج فالبرنامج لا يضع غير المبادئ الأساسية والمبدأ الأساسي ورد ضمناً في برنامج النمساويين وصراحة في القرار الذي اتخذته الماركسيون في اجتماعهم الروسي الأخير وهو يقول بعدم جواز الامتيازات القومية والتفاوت القومي أية كانت

لنأخذ مثلاً ملموساً لتنوير صاحبنا البوندي حول هذه المسألة لقد بين احصاء المدارس بمدينة سانت - بطرسبورغ ، في ١٨ كانون الثاني (يناير) ١٩١١ ، أن المدارس الابتدائية التابعة لوزارة «التعليم» العام تضم ٤٨٠٧٦ تلميذاً بينهم ٣٩٦ يهودياً أي أقل من واحد بالمئة . وتبين أيضاً أنه كان هناك تلميذان رومانيان وواحد جورجي وثلاثة من الأرمن الخ فهل من الممكن وضع برنامج قومي «إيجابي» يشمل هذا التنوع في العلاقات والظروف ؟ (هذا مع العلم ، طبعاً ، أن بطرسبورغ ليست أشد مدن روسيا «اختلاطاً» من حيث القوميات) يبدو ان حتى الاختصاصيين في «العلاقات» القومية ، كأصحابنا البونديين ، لا يستطيعون وضع مثل هذا البرنامج

والحال ، لو كان في دستور الدولة نص أساسي يقضي ببطلان كل تدبير يخرق حق الأقلية القومية ، لاستطاع كل مواطن أن يطالب

مثلاً بابطال القرار الذي يحرم تكليف أساتذة بتدريس اللغة اليهودية والتاريخ اليهودي الخ على نفقة الدولة أو بابطال القرار الذي يحرم تخصيص مكان رسمي للدروس الواجب تقديمها للأولاد اليهود والأرمن والرومانيين ، وحتى للتلميذ الجورجي الوحيد . وعلى كل حال ليس من المستحيل أبداً تلبية جميع الرغبات المعقولة والعادلة التي تعرب عنها الأقليات القومية على أساس المساواة في الحقوق ولن يقول أحد ان الدعاية في صالح هذه المساواة أمر ضار اما الدعاية لتقسيم العمل المدرسي حسب القوميات كتأسيس مدرسة يهودية مخصصة للأولاد اليهود في بطرسبورغ مثلاً فهي على العكس وبالطبع أمر ضار فمن المستحيل انشاء مدارس قومية لجميع الأقليات القومية لكي يدرس فيها تلميذ أو تلميذان أو ثلاثة

ثم انه من المستحيل أن يحدد في قانون عام للدولة ما ينبغي عليه أن تكون الأقلية القومية من حيث عدد أفرادها لكي تنال الحق في مدرسة خاصة أو في اساتذة خصوصيين يدرسون مواد اضافية الخ

غير ان الأمر على خلاف ذلك فيما يتعلق بقانون الدولة العام حول المساواة في الحقوق فمن الممكن تماماً وضع هذا القانون بالتفصيل وتوسيعه بمراسيم خاصة أو باحكام تتخذها المجالس المنطقية ومجالس المدن والزيستفوات والمشاعات الخ

٦ - المركزية والحكم الذاتي

كتب السيد ليبنين في جوابه يقول

وانظروا عندنا الى ليتوانيا واقليم البلطيق ، وبولونيا وفولين ، وجنوب روسيا ، الخ . تجدوا في كل مكان خليطاً من السكان ، فليس ثمة مدينة لا تقطنها أقلية قومية كبيرة . ومهما اتسعت اللامركزية ، فاننا لواجدون في

كل مكان ، في شتى الأماكن المأهولة (وخاصة في المدن) ، قوميات **مختلفة** تعيش جنباً إلى جنب ونحن نعلم ان أصول الديمقراطية تضع الأقلية القومية في يد الأغلبية القومية الا أن السيد ف . ، كما هو معروف ، يعارض تنظيم الدولة على أساس اتحادي (فيدرالي) ويناهض اللامركزية غير المحدودة ، كما هي الحال في الاتحاد السويسري ولذا نتساءل لماذا أورد مثال سويسرا ؟»

لقد اوضحت اعلاه لماذا اوردت مثال سويسرا كما اوضحت ان قضية حماية حقوق الأقلية القومية لا يمكن أن تحل الا بسن قانون عام للدولة في دولة ذات اتجاه ديموقراطي منسجم لا تتنكر لمبدأ المساواة في الحقوق غير ان السيد ليبن يكرر أيضاً في المقطع الوارد آنفا اعتراضاً من أكثر الاعتراضات (أو الملاحظات المشككة) انتشاراً (وأشدها خطلاً) التي توجه عادة ضد البرنامج القومي الماركسي والتي يجدر بالتالي تحليلها الآن

ان الماركسيين يعارضون طبعاً الاتحاد (الفيدرالية) واللامركزية لسبب بسيط هو أن نمو الرأسمالية يتطلب ان تكون الدول كبيرة ومركزة الى أبعد حد ممكن **وإذا ما توافرت الظروف والشروط نفسها** ، دافعت البروليتاريا الواعية على الدوام عن قيام دولة أكبر وناضلت على الدوام ضد الانعزال الاقليمي الموروث عن القرون الوسطى ورحبت على الدوام بأوثق ما يكون من الاتحاد الاقتصادي بين الأقطار الكبيرة حيث تتمكن البروليتاريا من تشديد نضالها ضد البرجوازية على نطاق واسع

ان انماء القوى المنتجة من قبل الرأسمالية على نطاق واسع وبوتيرة سريعة **يتطلب** أقطاراً كبيرة ملتحمة ومتمدة في دولة واحدة ففي مثل هذه الأقطار فقط تستطيع الطبقة البرجوازية جمع صفوفها قاضية على جميع الحواجز القديمة القائمة منذ القرون الوسطى ، والحواجز الاجتماعية التي تقسم المجتمع الى فئات مغلقة

معزول بعضها عن بعض والحواجز المحلية الصرف والحواجز القائمة بين القوميات والحواجز الطائفية الدينية وغيرها من الحواجز وفي مثل هذه الأقطار فقط يستطيع قطب هذه الطبقة البرجوازية المقابل المحتوم أي طبقة البروليتاريا أن توحد صفوفها أيضاً في الوقت نفسه

اننا سنتناول بخاصة حق الأمم في تقرير مصيرها أي في الانفصال وتشكيل دول قومية مستقلة * ولكن ما دامت شتى القوميات تؤلف دولة واحدة فان الماركسيين لن يحاولوا أبداً القيام بدعاية لا للمبدأ الاتحادي (الفيديرالي) ولا لمبدأ اللامركزية فالدولة المركزية الكبيرة خطوة تاريخية هائلة الى أمام ، من تشتت وتبعثر المجتمع في القرون الوسطى الى وحدة العالم الاشتراكية المرتقبة وليس من سبيل ولا يمكن ان يكون ثمة سبيل نحو الاشتراكية الا عبر هذه الدولة (المرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالراسمالية)

ولكنه لا يجوز لنا ان ننسى اننا بدافعنا عن المركزية انما ندافع فقط عن المركزية الديمقراطية وقد شوش المفكرون البرجوازيون الصغار بوجه عام والمفكرون البرجوازيون الصغار القوميون بوجه خاص (بمن فيهم المرحوم دراغومانوف) هذه القضية الى حد انه ينبغي لنا أيضاً وأيضاً أن نخصص لها وقتاً لا يضاعها ان المركزية الديمقراطية لا تنفي وجود الاستقلال الذاتي المحلي مع الحكم الذاتي للمناطق ذات الأوضاع الاقتصادية والمعيشية الخاصة ، والتركييب القومي الخاص الخ بل انها ، على العكس تتطلبها كليهما حتماً فان الناس عندنا يخلطون دائماً بين المركزية من جهة وبين التعسف والبيروقراطية من جهة أخرى وكان لا بد لتاريخ روسيا ان يؤدي بالطبع الى مثل هذا التشوش والخلط ، ولكن ذلك لايجوز اطلاقاً للماركسيين

ولتوضيح هذه الفكرة ، من الأسهل أن نضرب مثلاً ملموساً .
فقد كتبت روزا لوكسمبورغ مقالةً طويلةً متسلسلاً بعنوان
«المسألة القومية والحكم الذاتي * ارتكبت فيه فيما ارتكبت من
أخطاء مضحكة (سأتحدث عنها فيما بعد) خطأً طريفاً جداً وذلك
حين حاولت أن تقصر مطلب الحكم الذاتي على بولونيا وحدها
ولكن لنر بادى* الأمر كيف تعرّف الحكم الذاتي

تعترف روزا لوكسمبورغ - ومن واجبه طبعاً أن تعترف
بذلك لكونها ماركسية - بأنه ينبغي ألا تكون جميع المسائل
الاقتصادية والسياسية الهامة والأساسية بالنسبة للمجتمع
الرأسمالي من صلاحية المجالس ذات الاستقلال الذاتي في هذه
المناطق أو تلك بل فقط من صلاحية برلمان مركزي برلمان
دولة ومن هذه المسائل السياسة الجمركية ، والتشريع الصناعي
والتجاري وطرق المواصلات ووسائل المخابرات (السكك
الحديدية البريد البرق الهاتف الخ .) والجيش والنظام
الضرائبي ، والقانون المدني * * والجزائي والمبادئ العامة للعمل
المدرسي (مثلاً ، القانون حول المدرسة العلمانية الخاصة ، والتعليم
العام ، والبرنامج الأدنى ، والتنظيم الديمقراطي للمناهج المدرسي ،
الخ .) وقوانين حماية العمل والحريات السياسية (حق التجمع
والتحالف) الخ الخ

أما المسائل الداخلة في صلاحية المجالس ذات الاستقلال
الذاتي وعلى أساس تشريع الدولة العام فهي المسائل المحلية

“Przegląd Socjaldemokratyczny”, Kraków, 1908, 1909

(برجيفلاد سوسيال ديموقراطيتشني) ، كراكوفيا ، ١٩٠٨ و ١٩٠٩

* * تطرقت روزا لوكسمبورغ الى التفاصيل ، خلال بحثها ، ذاكرة
مثلاً ، وعلى صواب تماماً ، قانون الطلاق (العدد ١٢ ، ص ١٦٢ من المجلة
المذكورة آنفا) .

الصرف أو المنطقية أو القومية الصرف وقد أفاضت روزا لوكسمبورغ في بحث هذه الفكرة بصورة جد مفصلة ان لم نقل مفرطة في التفصيل فذكرت مثلاً بناء السكك الحديدية ذات المنفعة المحلية (العدد ١٢ ص ١٤٩) والطرق المحلية (العدد ١٤ - ١٥ ص ٣٧٦) الخ

وبديهي تماماً أنه لا يمكن تصور دولة عصرية ديموقراطية حقاً دون مثل هذا الاستقلال أو الحكم الذاتي يمنح لمنطقة تمتاز بخصائص اقتصادية ومعيشية جوهرية نوعاً وبتكوين قومي خاص الخ فان مبدأ المركزية الضرورية لتطور الرأسمالية لا يسيء اليه هذا الحكم الذاتي (المحلي والمنطقي) بل على العكس يطبقه على نحو ديموقراطي لا بيروقراطي وبدون هذا الحكم الذاتي الذي يسهل تمرکز الرساميل ونمو القوى المنتجة وحشد صفوف البرجوازية والبروليتاريا على نطاق الدولة يستحيل تطور الرأسمالية بحرية ووتيرة سريعة وعلى مدى واسع أو يصبح على الأقل صعباً للغاية لأن التدخل البيروقراطي (الدواويني) في المسائل المحلية (المنطقية القومية الخ.) **الخالصة** يشكل بصورة عامة عائقاً من أكبر العوائق في طريق التطور الاقتصادي والسياسي كما يشكل بصورة خاصة عائقاً من العوائق القائمة بوجه **المركزية** في المسائل الجديدة الهامة الأساسية

ولذا يصعب على المرء ألا يبتسم حين يقرأ لصاحبنا روزا لوكسمبورغ الرائعة ويرى كيف تجهد بكل جد لكي تثبت بتعابير «ماركسية خالصة» ان مطلب الحكم الذاتي قابل للتحقيق بالنسبة لبولونيا وحدها **فقط** ، **وفقط** بصورة استثنائية وطبيعي أن هذا القول لا ينم عن أية بادرة لوطنية «محلية» «ضيقة» لا ينم الا عن اعتبارات «شؤون ومصالح»... مثلاً ، فيما يتعلق بليتوانيا

وتأخذ روزا لوكسمبورغ بالحسبان أربسح محافظات هي محافظات فيلنو وكوفنو وغرودنو وسوفالكي، وتؤكد للقراء (كما تؤكد لنفسها أيضاً) ان الليتوانيين هم الذين يقيمون «بخاصة» في هذه المحافظات وتجمع عدد سكانها فيتبين معها أن نسبة الليتوانيين تبلغ ٢٣ بالمئة من مجموع السكان وإذا اضافت قومية «جمود» الى الليتوانيين كانت النسبة ٣١ بالمئة أي أقل من الثلث ينجم عن ذلك طبعاً ان الفكرة القائلة بمنح ليتوانيا الحكم الذاتي فكرة «اعتباطية مصطنعة» (العدد ١٠ ص ٨٠٧)

غير أن القارئ الذي يعرف نواقص احصائنا الرسمي الروسي المعروفة بين الجميع يشتم فوراً خطأ روزا لوكسمبورغ ويلمسه لمس اليد فلماذا أخذت بالحسبان محافظة غرودنو، حيث لا يؤلف الليتوانيون سوى ٠,٢ بالمئة (اثنين بالألف)؟ لماذا أخذت بالحسبان كل محافظة فيلنو لا مجرد قضاء تروكي، حيث يؤلف الليتوانيون أغلبية السكان؟ لماذا أخذت بالحسبان كل محافظة سوفالكي واعتبرت أن الليتوانيين يؤلفون ٥٢ بالمئة من سكانها ولم تأخذ بالحسبان الاقضية الليتوانية في هذه المحافظة أي خمسة اقضية من أصل سبعة، حيث يؤلف الليتوانيون ٧٤ بالمئة من السكان؟

حقاً انه لمن السخف أن يتحدث المرء عن ظروف الرأسمالية العصرية وأوضاعها ومقتضياتها مستنداً الى التقسيمات الادارية البيروقراطية الرسمية في روسيا وهي تقسيمات غير «عصرية» وغير «رأسمالية» بل اقطاعية موروثه عن القرون الوسطى بشكلها البدائي الفظ (أي محافظات لا اقضية) وواضح وضوح الشمس أنه لا يمكن اجراء أي اصلاح محلي جدي نوعاً في روسيا دون ابطال هذه التقسيمات والاستعاضة عنها بتقسيمات «عصرية» حقاً وتستجيب حقاً لا لمصالح الخزينة، لا لمصالح البيروقراطية، لا لمصالح

الروتين لا لمصالح الملاكين العقاريين لا لمصالح الاكديروس بل لمصالح الرأسمالية وبين متطلبات الرأسمالية في الوقت الحاضر ، تبرز ، بلا ريب ، ضرورة وجود أكبر ما يكون من الانسجام في تركيب السكان القومي لأن الطابع القومي لأن وحدة اللغة عامل هام في سبيل الظفر المطلق بالسوق الداخلية وفي سبيل حرية المبادلات الاقتصادية حرية تامة

والأمر الطريف المستغرب هو أن البوندي ميديم يردد خطأ روزا لوكسمبورغ الواضح هذا فهو يجهد نفسه لا ليثبت ما تمتاز به بولونيا من خصائص. «استثنائية» بل ليثبت بطلان مبدأ الحكم الذاتي القومي الاقليمي (فالبونديون يؤيدون الحكم الذاتي القومي اللامكاني!) ان أصحابنا البونديين والتصفويين يتلقفون جميع الأخطاء وجميع الترددات الانتهازية التي تعصف بالاشتراكيين - الديموقراطيين في شتى البلدان ومن مختلف القوميات ، ويدخلون في جعبتهم شر ما في الحركة الاشتراكية-الديموقراطية فلو أنك جمعت قصاصات من خربشات البونديين والتصفويين لاستطعت أن تجعل منها مثلاً عن متحف اشتراكي-ديموقراطي **للدوق الفاسد** ويحاكم صاحبنا ميديم بزهو وتكلف قائلاً ان الحكم الذاتي المنطقي يصلح لمنطقة ، «لاقليم» ولكنه لا يصلح لناحية لاتفية أو استونية الخ يتراوح عدد سكانها بين نصف مليون نسمة ومليونين ، وتبلغ مساحتها مساحة مقاطعة واحدة «ولئن يكون ذلك **بالحكم الذاتي بل مجرد زيمستفو** وفوق هذا الزيمستفو ينبغي بناء حكم ذاتي حقيقي» واذا صاحبنا الكاتب يشجب «تقويض» التقسيمات القديمة الى محافظات واقضية * الا أن الابقاء على التقسيمات الادارية الرسمية الاقطاعية

* ف ميديم «حول وضع المسألة القومية في روسيا» ، «فستنيك

ايفرويبي» ، ١٩١٢ ، العددان ٨ و ٩ .

الموروثة من القرون الوسطى يعني في الواقع «تقويض» وتشويه أوضاع الرأسمالية الحالية وليس غير الناس المشبعين بروح هذه التقسيمات من يستطيع أن يحاكم «بسيما عالم خبير» حول التعارض بين «الزيمستفو» و«الحكم الذاتي»، ومن يحرص على قواعد النمطية، ويقول ينبغي تخصيص «الحكم الذاتي» للمناطق الكبيرة، والزيمستفو للصغيرة بيد أن الرأسمالية الحالية لا تتطلب أبداً كل هذه النمطية الدواوينية فلماذا لا يمكن أن تكون ثمة نواح قومية ذات حكم ذاتي لا يبلغ عدد سكانها نصف مليون نسمة بل ٥٠٠٠٠؟ ولماذا لا تستطيع هذه النواحي أن تتحد بمختلف الأشكال مع النواحي المجاورة على اختلاف مساحة أراضيها، في «اقليم» واحد ذات حكم ذاتي إذا كان هذا الاتحاد موافقاً واقتضته العلاقات الاقتصادية؟ كل ذلك سر من أسرار صاحبنا البوندي ميديم

لنذكر أن البرنامج القومي الذي تبنته الاشتراكية - الديمقراطية في مؤتمر برون يرتكز بكليته على فكرة الحكم الذاتي القومي الاقليمي فهو يعرض مثلاً تقسيم النمسا الى نواح «واضحة الحدود من حيث التركيب القومي» بدلاً من أراضي التاج التاريخية» (الفقرة الثانية من برنامج برون) ولو أننا كنا مكان واضعي هذا البرنامج، لما كنا ذهبنا الى هذا الحد. لا ريب ان وحدة التركيب القومي عامل من ضمن العوامل للتبادل التجاري الحر الواسع العصري حقاً ولا ريب أننا لن نجد أي ماركسي حتى ولا أي ديموقراطي حازم، يهب الى الدفاع عن أراضي التاج النمساوي والمقاطعات والأقضية الروسية (وهي ليست رديئة بقدر أراضي التاج النمساوي ولكنها مع ذلك رديئة جداً) ولن يحاول أحد الجدل في ضرورة الاستعاضة عن هذه التقسيمات البالية بتقسيمات حسب تركيب السكان القومي قدر ما يمكن ولا ريب أخيراً أنه من أجل القضاء على كل اضطهاد قومي، من المهم منتهي الأهمية انشاء

نواح مستقلة ذاتياً مهما كانت صغيرة شرط أن يكون كل سكانها من قومية واحدة ويستطيع أفراد هذه القومية ، الموزعون في مختلف أنحاء البلاد أو حتى في شتى أصقاع الكرة الأرضية أن «يستقربوا» حولها وتنشأ بينهم وبينها علائق ومشاركات حرة متنوعة ان كل هذه الوقائع ثابتة ، لا مرأى فيها ، ولا يمكن الجدل فيها الا من وجهة النظر الدواوينية المتطرفة

ولكن التركيب القومي ليس سوى أحد العوامل الاقتصادية البالغة الأهمية لا العامل الوحيد ولا العامل الأهم فان المدن مثلاً تضطلع بدور اقتصادي بالغ الأهمية في ظل الرأسمالية والحال تمتاز المدن في كل مكان ، في بولونيا وليتوانيا وأوكرانيا وروسيا الخ باختلاط السكان وتعدد قومياتهم ولذا فان من الحماقة ومن المستحيل فصل المدن عن القرى والنواحي التي تستقطب اقتصادياً حولها بحجة العنصر «القومي» ولذا ينبغي على الماركسيين ألا يتقيدوا كل التقيد وعلى وجه الحصر بالمبدأ «القومي الاقليمي»

واننا نرى أن الحلّ الذي ارتآه الماركسيون الروس في اجتماعهم الأخير (٤٠) للمسألة الموضوعة هو أصوب بكثير من الحل النمساوي فقد صاغوا الموضوعة التالية

ينبغي استقلال ذاتي منطقي واسع» (لا لبولونيا وحدها بالطبع بل لجميع مناطق روسيا) «وحكم ذاتي محلي ديموقراطي تماماً مع تعيين حدود المناطق التي تحكم نفسها بنفسها والمستقلة ذاتياً» (دون حساب أي حساب لحدود المحافظات الحالية والأقضية الخ .) «بل على أساس تقدير السكان المحليين انفسهم للأوضاع الاقتصادية والمعيشية ولعدد أفراد كل قومية ، الخ .» .

لقد ورد التركيب القومي في هذه الموضوعة الى جانب الأوضاع الأخرى (وبالدرجة الأولى الأوضاع الاقتصادية ثم المعيشية الخ .) التي ينبغي اتخاذها أساساً لتعيين حدود جديدة تستجيب للمتطلبات الرأسمالية الحالية لا لمتطلبات الدواينية والروح الآسيوي فالسكان المحليون هم الذين يستطيعون وحدهم «تقدير» جميع هذه الأوضاع بكل دقة وعلى أساس هذا التقدير يعين برلمان الدولة المركزي حدود المناطق ذات الاستقلال الذاتي وصلاحيات السيمات (المجالس) ذات الاستقلال الذاتي

* * *

بقي علينا أن نبحث أيضاً مسألة حق الأمم في تقرير مصيرها فقد هبت زمرة من الانتهازيين من شتتي القوميات «تنشر وتعمم بين الشعب» أخطاء روزا لوكسمبورغ حول هذه المسألة وتتألف هذه الزمرة من التصفوي سيمكوفسكي ، والبوندي ليبمن والقومي - الاشتراكي الأوكراني ليف يوركيفيتش ولذا سنكرس مقالنا التالي لتوضيح هذه المسألة التي شوشتها هذه «الزمرة» بالغ التشويش (٤١)

حول استقلال «الثقافة القومية» الذاتي

ان كنه خطة او برنامج ما يسمى باستقلال «الثقافة القومية» الذاتي (اي «انشاء هيئات تضمن حرية التطور القومي») يتلخص في تقسيم الشؤون المدرسية حسب القوميات

ولذا ينبغي الالاح بالاحرى على هذا الكنه بقدر ما يحاول القوميون السافرون والمتسترون من كل شاكلة وطراز (وبينهم البونديون) اكثر فاكثر طمسه

ان كل امة بصرف النظر عن المكان الذي يعيش فيه اي شخص منتسب اليها (بصرف النظر عن الارض ومن هنا تسمية الاستقلال الذاتي اللامكاني exterritorial) تشكل تجمعاً موحداً معترفاً به على صعيد الدولة يشرف على شؤون الثقافة القومية والرئيسي في هذه الشؤون الشؤون المدرسية ان تحديد قوام الامة بحرية تسجيل كل مواطن بصرف النظر عن مكان اقامته ، في اي تجمع قومي كان ، يؤمن الدقة المطلقة والانسجام المطلق لتقسيم الشؤون المدرسية حسب القوميات

واننا نتساءل هل يجوز هذا التقسيم من وجهة نظر الديمقراطية على العموم ومن وجهة نظر مصالح النضال الطبقي البروليتاري على الخصوص ؟

حسبنا ان نتصور بوضوح كنه برنامج استقلال «الثقافة القومية» الذاتي لكي نجيب عن هذا السؤال بلا تردد- لا يجوز البتة

فما دامت تعيش امم مختلفة في دولة واحدة ، فان ملايين ومليارات الخيوط ذات الطابع الاقتصادي والحقوقى والمعيشي تربطها بعضها ببعض فكيف يمكن انتزاع الشؤون المدرسية من هذه الروابط ؟ هل يمكن «انتزاعها من صلاحية» الدولة ، كما تنص عليه الصيغة البوندية الكلاسيكية النموذجية من حيث التأكيد المضخم على السخافة ؟ اذا كان الاقتصاد يرص القوميات العائشة في دولة واحدة ، فان محاولة تقسيمها مرة واحدة والى الابد في ميدان القضايا «الثقافية» والقضايا المدرسية على الخصوص هي محاولة خرقاء ورجعية يجب على العكس السعي وراء توحيد الامم في الشؤون المدرسية لكي يعدّ في المدرسة ما يتحقق في الحياة وفي الوقت الحاضر نلاحظ تفاوتاً في الحقوق بين الامم ، وتفاوتاً في مستوى تطورها وفي هذه الاحوال سيعني تقسيم الشؤون المدرسية حسب القوميات في الواقع ، وبلا مناص تردياً بالنسبة للامم المتخلفة ففي اميركا ، يفرزون الى الآن ، في الولايات الجنوبية ، الاستعبادية سابقاً اولاد الزنوج في مدارس خاصة ، بينما يتعلم البيض والزنوج معاً في الشمال وفي روسيا ، ظهر مؤخراً مشروع «قومية المدرسة اليهودية» اي فصل الاولاد اليهود عن اولاد القوميات الاخرى في مدارس خاصة ولا داعي الى ان نضيف شيئاً الى واقع ان هذا المشروع ظهر في اشد الاوساط اغراقاً في الرجعية ، في الاوساط الموالية لبوريشكيفيتش لا يمكن للمرء ان يكون ديموقراطياً اذا دافع عن مبدأ تقسيم الشؤون المدرسية حسب القوميات ولاحظوا اننا نحاكم حتى الآن من وجهة نظر ديموقراطية عامة ، اي برجوازية ديموقراطية .

اما من وجهة نظر النضال الطبقي البروليتاري فانه يجب الوقوف باكثر بما لا يقاس من الحزم ضد تقسيم الشؤون المدرسية حسب القوميات فمن ذا الذي لا يعرف ان الرأسماليين من جميع القوميات القاطنة في الدولة المعنية يندمجون باوثق شكل بشكل لا انقسام لعراه في المؤسسات المساهمة في الكارتلات والتروستات في اتحادات الصناعيين وما اليها ضد العمال ايا كانت قومياتهم ؟ ومن ذا الذي لا يعرف اننا نرى دائما ، دون اي استثناء ، في اي مؤسسة رأسمالية - ابتداء من المصانع والمعامل والمناجم الضخمة ومروراً بالشركات التجارية وانتهاء بالاستثمارات الزراعية الرأسمالية - تبرقشاً قومياً من العمال اكبر مما في قرية نائية آمنة هامة ؟

ان عامل المدينة الذي يعرف الرأسمالية المتطورة افضل ما يعرف ، وتقبل نفسية النضال الطبقي اعمق ما تقبل - من كل تجربة حياته وحتى رضعها مع حليب امه على الاغلب - ان هذا العامل يخطر في باله عفواً وحتماً ان تقسيم الشؤون المدرسية حسب القوميات ليس تدبيراً ضاراً وحسب بل ايضاً احتيال سافر وشعوذة سافرة من جانب الرأسماليين يمكن تفريق العمال وتقسيمهم ، واضعافهم بترويج هذه الفكرة ، كما يمكن تفريقهم اكثر ايضاً بتقسيم المدارس الشعبية حسب القوميات في حين ان الرأسماليين الذين تتأمن لاولادهم بصورة ممتازة المدارس الخاصة الغنية والمعلمون المستأجرون خصيصاً لا يمكن لاي استقلال ذاتي «للثقافة القومية» ، في اي حال من الاحوال ، ان يتهددهم باي تفريق ، باي اضعاف

وبالفعل ليس استقلال «الثقافة القومية» الذاتي اي التقسيم الصرف والمنسجم كلياً للشؤون المدرسية حسب القوميات من اختلاق الرأسماليين (فهم حتى اشعار آخر يطبقون اساليب اخسن

لاجل تفريق العمال) بل من اختلاق الانتلليجنسيا * الانتهازية البرجوازية الصغيرة في النمسا فلا اثر البتة لهذه الفكرة العبقرية على صعيد البرجوازية الصغيرة والعبقرية على صعيد التعصب القومي في اي من البلدان الاوروبية الغربية الديموقراطية ذات القوام القومي المبرقش فقط في شرقي اوروبا في النمسا المتأخرة الاقطاعية الاكديريكية الدواينية، حيث كل حياة اجتماعية وسياسية متجمدة بشجار (وحتى اسوأ اشتباك، عراك) تافه حقير بسبب اللغات نشأت هذه الفكرة فكرة البرجوازي الصغير اليانس ينبغي على الاقل تقسيم جميع الامم مرة واحدة والى الابد بمطلق النقاوة والانسجام الى «كوريات * * قومية» في الشؤون المدرسية اذا كان يستحيل التوفيق بين القط والكلب! - تلك هي النفسية التي ولدت استقلال «الثقافة القومية» الذاتي الغبي ان البروليتاريا التي تدرك وتقدّر اميتها لن تقدم يوماً على اقتراف غباوة التعصب القومي المتناق هذه .

وليس من قبيل الصدفة انه لم يقبل استقلال «الثقافة القومية» الذاتي في روسيا غير جميع احزاب اليهود البرجوازية، ثم (في عام ١٩٠٧) مداولة الاحزاب البرجوازية الصغيرة، الشعبية اليسارية من مختلف الامم (٤٢)، واخيراً العناصر البرجوازية الصغيرة، الانتهازية من الجماعات المجاورة للماركسية اي البونديون والتصفويون (بل هؤلاء الاخيرين خافوا ان يفعلوا ذلك صراحة وعلى المكشوف، بصورة واضحة تماماً) وليس من قبيل الصدفة انه لم يتكلم من على منبر دوما الدولة عن استقلال «الثقافة القومية» الذاتي غير نصف التصفوي

* الانتلليجنسيا - رجال الفكر والثقافة المهرب .

** كوريات من كورية curia عشيرة - جزء من القبيلة الرومانية

القديمة . المهرب .

تشخينكليي المصاب بعدوى التعصب القومي وكذلك البرجوازي الصغير كيرنسكي

ومن المضحك على العموم قراءة الاستشهادات التصفوية والبوندية بالنمسا في هذه المسألة أولاً لماذا يجب ان يؤخذ على سبيل المثال اكثر البلدان تأخراً بين البلدان الرقطاء قومياً ؟ ولم لا اكثرها تقدماً ؟ ذلك ان هذا اسلوب يشبه اسلوب الليبيراليين الروس الاردياء اي الكاديت الذين يفتشون عن امثلة لاجل الدستور اكثر ما يفتشون في البلدان المتأخرة في بروسيا والنمسا وليس في البلدان المتقدمة ليس في فرنسا وسويسرا واميركا !

ثانياً ان البرجوازيين الصغار القوميين المتعصبين الروس اي البونديين ، والتصفيين ، والشعبيين اليساريين ومن لف لفهم اذ يأخذون المثال النمساوي يجعلونه من جهتهم اسوأ ايضاً بشكل خاص فان البونديين بالذات (فضلاً عن جميع احزاب اليهود البرجوازية التي ينساق وراءها البونديون - دون ان يدركوا ذلك دائماً) هم الذين يطبقون عندنا اكثر من الغير وفي المقام الاول خطة استقلال «الثقافة القومية» الذاتي في الدعاية والتحريض والحال ، في موطن فكرة استقلال «الثقافة القومية» الذاتي بالذات ، في النمسا ، كرس صاحب هذه الفكرة اوتو باور فصلاً خاصاً من كتابه للبرهان على انه يستحيل تطبيق فكرة استقلال «الثقافة القومية» الذاتي بالنسبة لليهود

وهذا يبين خيراً من الخطابات الطويلة مبلغ قلة انسجام اوتو باور ومبلغ قلة ثقته بفكرته ، حين ينفي القومية الوحيدة اللامكانية (التي لا تملك منطقة خاصة بها) من مشروع استقلال الامم الذاتي اللامكاني .

وهذا يثبت ان البونديين يقتبسون من اوروبا مشاريع عتيقة
الموضوعة مضاعفين عشرة اضعاف اخطاء اوروبا بالغين حد الخراقة
«في تطوير» هذه الاخطاء

لان الاشتراكيين-الديموقراطيين النمساويين - وهذا ثالثاً -
رفضوا في مؤتمر برون (عام ١٨٩٩) برنامج استقلال «الثقافة
القومية» الذاتي المعروف عليهم ولم يقبلوا غير مساومة بصورة
اتحاد بين جميع المناطق المحددة قومياً ضمن الدولة وفي هذه
المساومة ، لا وجود للامكانية ولا لتقسيم الشؤون المدرسية
حسب القوميات وبموجب مشروع المساومة هذا لا تقسم اكثر
اماكن السكن تقدماً (من الناحية الرأسمالية) ، المدن ، والمصانع
والمناجم ، والعقارات الريفية الكبيرة وما اليها ، الشؤون المدرسية
حسب القوميات !

ان الطبقة العاملة الروسية قد ناضلت وسوف تناضل ضد
فكرة استقلال «الثقافة القومية» الذاتي الرجعية الضارة
البرجوازية الصغيرة ، القومية التعصبية

المجلد ٢٤ ،
صص ١٧٤-١٧٨

وزا برفدوه (وفي سبيل
الحقيقة) العدد ٤٦ ،
٢٨ تشرين الثاني (نوفمبر)
١٩١٣

من ماضي الصحافة العمالية في روسيا

ان تاريخ الصحافة العمالية في روسيا يرتبط بعري لا انفصام لها بتاريخ الحركة الديمقراطية والاشتراكية ولهذا لا يمكن التوصل الى فهم الاسباب التي سار بموجبها اعداد وظهور الصحافة العمالية في هذا السبيل وليس في سبيل ما آخر ، الا بمعرفة المراحل الرئيسية في الحركة التحررية

ان الحركة التحررية في روسيا قد مرت بثلاث مراحل رئيسية ، وفقاً للطبقات الرئيسية الثلاث في المجتمع الروسي التي طبعت الحركة بطابعها ١ - مرحلة النبلاء ، تقريباً من عام ١٨٢٥ الى عام ١٨٦١ ٢ - مرحلة المثقفين من غير النبلاء او المرحلة البرجوازية الديمقراطية تقريباً من عام ١٨٦١ الى عام ١٨٩٥ ٣ - المرحلة البروليتارية ، من عام ١٨٩٥ الى الوقت الحاضر

كان الديسمبريون (٤٣) وهرتسين ابرز رجالات مرحلة النبلاء وفي ذلك الوقت في ظل القنانة لم يكن من الممكن حتى ان يخطر في البال فرز الطبقة العاملة من مجمل جمهور المرتبة القنّية المحرومة من الحقوق ، «الدينا» ، «السوداء» وآنذاك كانت الصحافة الديمقراطية العامة غير الخاضعة للمراقبة وعلى رأسها «كولوكول» (٤٤) هرتسين سليفة الصحافة العمالية (البروليتارية-الديموقراطية او الاشتراكية-الديموقراطية) .

وكما يقظ الديسمبريون هرتسين كذلك ساعد هرتسين ومجلته «كولوكول» في ايقاظ المثقفين غير النبلاء ، ممثلي البرجوازية الليبيرالية والديموقراطية المتعلمين الذين لا ينتسبون الى النبلاء ، بل ينتسبون الى الموظفين والبرجوازيين الصغار والتجار والفلاحين . ولقد كان ف غ بيلينسكي ، حتى في ظل القنائة ، سلف ازاحة النبلاء بصورة تامة من جانب المثقفين غير النبلاء في حركتنا التحررية فان الرسالة الشهيرة «رسالة الى غوغول» (٤٥) التي كتبها بيلينسكي ، والتي تستخلص رصيد نشاط بيلينسكي الادبي كانت من خيرة منتوجات الصحافة الديموقراطية غير الخاضعة للمراقبة ، التي احتفظت باهمية بالغة ، حيوية في ايامنا ايضاً وقد استتبع سقوط القنائة ظهور المثقف المنحدر من غير فئة النبلاء بوصفه المناضل الرئيسي الجماهيري سواء في الحركة التحررية على العموم ام في الصحافة الديموقراطية غير الخاضعة للمراقبة على الخصوص وغدت الشعبية الاتجاه السائد ، المناسب لوجهة نظر هذا المثقف ولم تستطع الشعبية يوماً بوصفها تياراً اجتماعياً ان ترسم الى اليمين حداً فاصلاً بينها وبين الليبيرالية ، وان ترسم الى اليسار حداً فاصلاً بينها وبين الفوضوية ولكن تشيرنيشيفسكي الذي طور النظرات الشعبية اثر هرتسين خطأ خطوة هائلة الى الامام بالمقارنة مع هرتسين فقد كان تشيرنيشيفسكي ديموقراطياً اشد انسجاماً وكفاحية بكثير . ومؤلفاته تزخر بروح النضال الطبقي وقد انتهج بحدة ذلك الخط الذي يرمي الى فضح خيانات الليبيرالية والذي لا يزال يكرهه الكاديت والتصفيون الى الآن وكان ناقداً للرأسمالية مدهشاً بعمق نقده ، رغم اشتراكه الطوبوية

ان عهد الستينيات والسبعينيات يعرف جملة كاملة من المطبوعات غير الخاضعة للمراقبة ، وذات المضمون الديموقراطي

الكفاحي والاشتراكي الطوبوي التي اخذت تذهب الى «الجماهير»
وبين رجالات ذلك العهد يشغل مكاناً بارزاً جداً العاملان بيوتر
الكسييف وستيبان خالتورين وغيرهما من العمال
ولكن السبيل البروليتاري الديموقراطي لم يكن يستطيع ان
يبرز في مجرى الشعبية العام ولم يصبح بروزه ممكناً الا بعد ان
تحدد اتجاه الماركسية الروسية فكرياً (فرقة «تحرير العمل» (٤٦)
عام ١٨٨٣) وبدأت الحركة العمالية المتواصلة بلا انقطاع بالارتباط
مع الاشتراكية-الديموقراطية (اضرابات بطرسبورغ ١٨٩٥ -
١٨٩٦)

ولكن قبل الانتقال الى ذلك العهد الذي تبدأ منه والحق
يقال ، الصحافة العمالية في روسيا ، لنورد معطيات تبين بجلاء الفرق
الطبقي بين حركات المراحل التاريخية المذكورة الثلاث وهذه
المعطيات تتعلق بالافراد الملاحقين لجرائم ضد الدولة (لجرائم
سياسية) وتوزعهم حسب المراتب الاجتماعية وحسب الوظائف
والاشغال (على صعيد الطبقات)

المثقفون	العمال	القطاعات التي تحتلها	البرجوازيون الصغار والفلاحون	النبلاء	
؟	؟	؟	٢٣	٧٦	من ١٨٢٧ الى ١٨٤٦
٧٣,٢	١٥,١	٧,١	٤٦,٦	٣٠,٦	من ١٨٨٤ الى ١٨٩٠
٣٦,٧	٤٦,١	٩,٠	٨٠,٩	١٠,٧	من ١٩٠١ الى ١٩٠٣
٢٨,٤	٤٧,٤	٢٤,٢	٨٧,٧	٩,١	من ١٩٠٥ الى ١٩٠٨

في مرحلة النبلاء ، الاقطاعية (١٨٢٧ - ١٨٤٦) يعطي النبلاء
الاغلبية الساحقة (٧٦٪) من الجرائم «السياسية» مع انهم اقلية
نافهة بين السكان . في مرحلة الشعبية ، مرحلة المثقفين غير النبلاء

(١٨٨٤-١٨٩٠) لا توجد ، مع الأسف مثل هذه المعطيات عن الستينيات والسبعينيات) يتراجع النبلاء الى المرتبة الثانية ولكنهم يظلون يقدمون مع ذلك نسبة مئوية ضخمة (٣٠,٦٪) ويعطي المثقفون الاغلبية الساحقة (٧٣,٢٪) من المشتركين في الحركة الديموقراطية

ان مرحلة ١٩٠١ - ١٩٠٣ - وهي بالضبط مرحلة اول جريدة ماركسية سياسية ، «اليسكرا» (٤٧) القديمة - تعطي تفوق العمال (٤٦,١٪) على المثقفين (٣٦,٧٪) في ظل اتسام الحركة كلياً بالسمة الديموقراطية (١٠,٧٪ من النبلاء و ٨٠,٩٪ من «غير اصحاب الامتيازات»)

واستباقاً للامور ، نشير الى ان مرحلة الحركة الجماهيرية الاولى (١٩٠٥ - ١٩٠٨) لا تبين تغيراً الا بصورة زحزحة المثقفين (٢٨,٤٪ مقابل ٣٦,٧٪) من قبل الفلاحين (٢٤,٢٪ مقابل ٩,٠٪)

ان فرقة «تحرير العمل» التي نشأت في الخارج عام ١٨٨٣ هي التي اسست الاشتراكية-الديموقراطية في روسيا فان المنتوجات الادبية التي كانت تضعها هذه الفرقة والتي كانت تطبع في الخارج بدون مراقبة قد شرعت تعرض للمرة الاولى بانتظام ومع جميع الاستنتاجات العملية ، افكار الماركسية التي تعبر هي وحدها دون غيرها بصورة صحيحة كما بينت التجربة في العالم اجمع عن جوهر الحركة العمالية ومهامها وفي غضون ١٢ سنة ، من ١٨٨٣ الى ١٨٩٥ كان اصدار الجريدة الاشتراكية-الديموقراطية «رابوتشي» («العامل») في بطرسبورغ ، عام ١٨٨٥ بدون مراقبة بالطبع المحاولة الوحيدة او يكاد لانشاء صحافة عمالية اشتراكية-ديموقراطية في روسيا ولكن لم يصدر من هذه الجريدة غير عديدين فان عدم وجود حركة عمالية جماهيرية لم يكن يتيح للصحافة العمالية ان تتطور على نطاق واسع .

ومنذ سنتي ١٨٩٥ و ١٨٩٦ منذ زمن اضرابات بطرسبورغ الشهيرة تبدأ الحركة العمالية الجماهيرية بمشاركة الاشتراكية-الديموقراطية وهذا الزمن بالذات هو بمعنى الكلمة الاصلي زمن ظهور الصحافة العمالية في روسيا وآنذاك كانت المناشير غير الخاضعة للمراقبة المنتوجات الرئيسية للصحافة العمالية ، وكانت في اغليتها غير مطبوعة على المطبعة بل مستنسخة على الهكتوغراف * ومكرسة للتحريض «الاقتصادي» (وكذلك غير الاقتصادي) اي لعرض حاجات ومطالب العمال في مختلف المصانع ومختلف فروع الصناعة وبديهي انه لم يكن بوسع الصحافة العمالية ان توجد بدون اشتراك العمال الطليعيين انشط الاشتراك في وضع ونشر مثل هذا الادب ومن بين عمال بطرسبورغ الذين نشطوا في ذلك الوقت ، يمكن ذكر فاسيلي اندرييفيتش شلغونوف ، الذي اصيب بالعمى فيما بعد ، وفقد امكانية العمل بالهمة السابقة ، وايفان فاسيليفيتش بابوشكين «الايسكري» الناري (١٩٠٠ - ١٩٠٣) و«البلشفي» (١٩٠٣-١٩٠٥) الذي اعدم رمياً بالرصاص لاشتراكه في الانتفاضة في سيبيريا في اواخر ١٩٠٥ او في اوائل ١٩٠٦

وهذه المناشير كانت تصدرها الفرق والحلقات والمنظمات الاشتراكية-الديموقراطية التي اخذت منذ اواخر ١٨٩٥ تستعمل بمعظمها اسم «اتحادات النضال من اجل تحرير الطبقة العاملة» وفي عام ١٨٩٨ اسس مؤتمر ممثلي المنظمات الاشتراكية-الديموقراطية المحلية «حزب العمال الاشتراكي-الديموقراطي في روسيا» (٤٨)

واثر المناشير اخذت تظهر جرائد عمالية غير خاضعة

* الهكتوغراف - مطبعة هلامية لاستخراج النسخ من شيء مكتوب او مرسوم . - الناشر .

للمراقبة ، - مثلاً في سانت بطرسبورغ عام ١٨٩٧ «سانت بطرسبورغسكي رابوتشي ليستوك» (٤٩) وكذلك في سانت بطرسبورغ «رابوتشاياميسل» («فكر العمال») التي سرعان ما نقلت الى الخارج والجرائد الاشتراكية-الديموقراطية المحلية قائمة بدون مراقبة منذ ذلك الوقت بلا انقطاع تقريباً حتى الثورة ، - علماً بانها كانت بالطبع تتعرض على الدوام للتدمير ولكنها كانت تظهر من جديد المرة تلو المرة في جميع انحاء روسيا

ان المناشير العمالية والجرائد الاشتراكية-الديموقراطية في ذلك الوقت اي منذ ٢٠ سنة تشكل مأخوذة معاً السالفة المباشرة للصحافة العمالية العالية «التشهيرات» المصنعية ذاتها الاخبار ذاتها عن النضال «الاقتصادي» التوضيح المبدئي ذاته لمهام الحركة العمالية من وجهة نظر الماركسية والديموقراطية المنسجمة ، - واخيراً **الاتجاهان الاساسيان نفساهما الماركسي والانتهازي** ، في الصحافة العمالية .

هناك واقع كبير الدلالة لا يزال ابعد من ان يكون قد لقي التقييم الكافي حتى الآن ما ان نشأت الحركة العمالية الجماهيرية في روسيا (١٨٩٥ - ١٨٩٦) ، حتى نشأ في الحال الانقسام الى اتجاه ماركسي واتجاه انتهازي ، - هذا الانقسام الذي يغير الشكل والمظهر والنح ولكنه يظل من حيث جوهر الامر هو نفسه منذ عام ١٨٩٤ حتى عام ١٩١٤ وواضح انه توجد جذور اجتماعية طبقية عميقة لمثل هذا الانقسام بالذات ومثل هذا الصراع الداخلي بالذات بين الاشتراكيين-الديموقراطيين لا لانقسام ما آخر وصراع داخلي ما آخر

كانت «رابوتشاياميسل» المذكورة اعلاه تمثل آنذاك الاتجاه **الانتهازي** ، ما يسمى «بالاقتصادية» . وقد ارتسمت معالم هذا

الاتجاه في مجادلات قادة الحركة العمالية المحليين منذ سنتي ١٨٩٤ و١٨٩٥ اما في الخارج حيث ادى استيقاظ العمال الروس الى ازدهار الادب الاشتراكي-الديموقراطي ازدهاراً ضخماً منذ عام ١٨٩٦، فقد انتهى ظهور وتلاحم «الاقتصاديين» بالانشقاق في ربيع عام ١٩٠٠ (اي قبل ظهور «الايسكرا» التي صدر العدد الاول منها في اواخر عام ١٩٠٠ بالذات)

ان تاريخ الصحافة العمالية في غضون عشرين سنة (١٨٩٤ - ١٩١٤) هو تاريخ اتجاهين في الماركسية الروسية والاشتراكية-الديموقراطية الروسية (والاصح في روسيا) ولكي نفهم تاريخ الصحافة العمالية في روسيا يجب ان لا نعرف فقط اسماء مختلف الصحف ، الاسماء التي لا تفيد القارى المعاصر شيئاً ولا تفعل غير ان تضلله ، بل يجب وحتى ان لا نعرف هذه الاسماء بقدر ما يجب ان نعرف مضمون مختلف اقسام الاشتراكية-الديموقراطية ، وطابعها وخطها الفكري

كانت «رابوتشايا ميسل» (١٨٩٧-١٩٠٠) و«رابوتشييه ديلو» («قضية العمال») (١٨٩٨ - ١٩٠١) صحيفتي «الاقتصاديين» الرئيسيتين وعلى رأس «رابوتشييه ديلو» كان ب كريتشفسكي الذي انتقل فيما بعد الى صف السنديكاليين ، ومارتينوف المنسفي البارز (٥٠) ، والتصفوي الآن ، واكيموف ، «الاشتراكي-الديموقراطي المستقل» حالياً المتفق مع التصفيين في كل ما هو جوهري

في البدء لم يناضل ضد «الاقتصاديين» غير بليخانوف وكل فرقة «تحرير العمل» (مجلة «رابوتنيك» (٥١) والخ .) ثم «الايسكرا» (منذ عام ١٩٠٠ حتى آب - اغسطس - ١٩٠٣ اي حتى مؤتمر عادر) فيم كان يتلخص كنه «الاقتصادية» ؟ لقد دافع «الاقتصاديون» بالاقوال ، وببالغ الهمة والعزيمة

عن طابع الحركة العمالية الجماهيري وعن مبادرة العمال مصرين على اهمية التحريض «الاقتصادي» الاولى ، وعلى الاعتدال او التدرج في الانتقال الى التحريض السياسي وهذه هي كما يرى القارى الكليمان المفضلة نفسها التي يتغندر بها التصفيون ايضاً اما في الواقع فقد طبق «الاقتصاديون» السياسة العمالية الليبرالية التي اعرب احد زعماء «الاقتصادية» آنذاك ، السيد س ن بروكوبوفيتش عن كنهها بايجاز كما يلي «للعامل النضال الاقتصادي لليبراليين النضال السياسي» وفي الواقع كان «الاقتصاديون» الذين طبلوا وزمروا اكثر من الجميع بصدد مبادرة العمال وبصدد الحركة الجماهيرية ، الجناح الانتهازي ، جناح المثقفين البرجوازيين الصغار ، في الحركة العمالية

اما الاغلبية الساحقة من العمال الواعين الذين شرعوا يعطون حتى في سنوات ١٩٠١ - ١٩٠٣ بكل ١٠٠ شخص محالين الى المحاكمة لجرائم ضد الدولة ٤٦ عاملاً مقابل ٣٧ مثقفاً فقد وقفت الى جانب «الايسكرا» القديمة ضد الانتهازية وخلال ثلاث سنوات (١٩٠١ - ١٩٠٣) من النشاط ، وضعت «الايسكرا» برنامج الحزب الاشتراكي-الديموقراطي واسس تكتيكة واشكال الجمع بين نضال العمال الاقتصادي ونضالهم السياسي على اساس الماركسية المنسجمة وحول «الايسكرا» وتحت قيادتها الفكرية تنامت الصحافة العمالية في السنوات السابقة للثورة بمقاييس هائلة وكان عدد المناشير غير الخاضعة للمراقبة والمطابع غير المجازة كبيراً للغاية وكان يزداد بسرعة في جميع انحاء روسيا

وقد ادى انتصار «الايسكرا» الكامل على «الاقتصادية» ، انتصار التكتيك البروليتاري المنسجم على تكتيك المثقفين الانتهازي في عام ١٩٠٣ الى اشتداد تدفق «رفاق طريق» الاشتراكية-الديموقراطية من

جديد انى صفوفها فانبعثت الانتهازية في تربة الايسكرية كجزء منها ، بصورة «المنشفية»

تشكلت المنشفية في المؤتمر الثاني ل ح ع ا د ر (آب - اغسطس - ١٩٠٣) من اقلية * «الايسكرين» (ومن هنا اسم المنشفية) ومن جميع اخصام «الايسكرا» الانتهازيين وقد استدار «المناشفة» الى الورا صوب «الاقتصادية» وطبعاً في شكلها المجدد نوعاً وملاً جميع «الاقتصاديين» ممن بقوا في الحركة ، وعلى رأسهم ا مارتينوف ، صفوف «المناشفة» .

وأمت «الايسكرا» الجديدة لسان حال «المنشفية» الرئيسي ، وشرعت تصدر منذ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٠٣ باشراف هيئة تحرير معدلة وأنداك قال المنشفي المتحمس تروتسكي على المكشوف «بين «الايسكرا» القديمة والجديدة تقع هوة» وكانت «فبريود» (٥٢) و«بروليتاري» (عام ١٩٠٥) (٥٣) الصحيفتين الرئيسيتين للبالاشفة الذين كانوا يدافعون عن تكتيك الماركسية المنسجمة

كانت سنوات الثورة ، ١٩٠٥ - ١٩٠٧ ، امتحاناً للاتجاهين الرئيسيين في الاشتراكية - الديمقراطية وفي الصحافة العمالية ، الاتجاه المنشفي والاتجاه البلشفي من حيث الصلة الفعلية مع الجماهير ومن حيث التعبير عن تكتيك الجماهير البروليتارية ولو لم يهيب نشاط العمال الطليعيين المرتبط وثيق الارتباط بالجماهير التربة لظهور الصحافة الاشتراكية - الديمقراطية العلنية ، لما استطاعت هذه الصحافة ان تظهر دفعة واحدة في خريف عام ١٩٠٥ واذا كانت الصحافة الاشتراكية - الديمقراطية العلنية في عام ١٩٠٥ وفي عام ١٩٠٦ وفي عام ١٩٠٧ صحافة اتجاهين اثنين وكتلتين اثنتين فلا يمكن تفسير ذلك بدوره الا بالفرق بين الخط

البرجوازي الصغير والخط البروليتاري في الحركة العمالية في ذلك العهد

لقد ظهرت الصحافة العمالية العلنية في جميع المراحل الثلاث من النهوض و«الحرية» النسبية في خريف ١٩٠٥ («نوفيا جيزن» (٥٤) عند البلاشفة «ناتشالو» (٥٥) عند المناشفة - ونحن لا نذكر سوى الصحف الرئيسية بين الصحف العديدة الأخرى) وفي ربيع ١٩٠٦ («فولنسا» «ايخو» (٥٦) والنخ عند البلاشفة «نارودنايا دوما» (٥٧) وغيرها عند المناشفة) وفي ربيع ١٩٠٧

ومنذ امد قريب ، اعرب ل مارتوف نفسه عن كنه التكتيك المنشفي في ذلك العهد بالكلمات التالية «لم تر المنشفية من اجل البروليتاريا اية امكانية للمشاركة المثمرة في هذه الازمة غير مساعدة الديموقراطية البرجوازية الليبرالية في محاولاتها لازاحة القسم الرجعي من الطبقات المالكة عن سلطة الدولة ، علماً بأنه يجب على البروليتاريا ان تقدم هذه المساعدة مع احتفاظها باستقلالها السياسي التام» («بين الكتب» روباكين المجلد ٢ ص ٧٧٢) وهذا التكتيك بالذات تكتيك تقديم المساعدة لليبراليين هو الذي عني بالفعل تجميع العمال لليبراليين ، وكان بالفعل سياسة عمالية ليبرالية اما تكتيك البلشفية ، فانه ، بالعكس ، قد امن استقلال البروليتاريا في الازمة البرجوازية بالنضال من اجل السير بهذه الازمة الى النهاية بفضح خيانات الليبرالية بتنوير البرجوازية الصغيرة (ولاسيما منها الريفية) ورص صفوفها في وجه هذه الخيانات

ومعلوم - والمناشفة انفسهم بمن فيهم التصفيون الحاليون كوتسوف وليفيتسكي وغيرهما ، قد اعترفوا بذلك مراراً عديدة -

ان جماهير العمال قد سارت في تلك السنوات (١٩٠٥ - ١٩٠٧) مع البلاشفة فقد اعربت البلشفية عن كنه الحركة البروليتاري والممنشفية عن جناحها الانتهازي جناح المثقفين البرجوازيين الصغار

ونحن لا يسعنا ان نستعرض هنا بمزيد من التفصيل مضمون واهمية تكتيكي الاتجاهين في الصحافة العمالية بل يجب علينا ان نكتفي باثبات الوقائع الاساسية بدقة بتحديد الخطوط الرئيسية للتطور التاريخي

فوللصحافة العمالية في روسيا تاريخ يمتد قرناً تقريباً - في البدء تاريخ تحضيري اي تاريخ حركة تحررية غير عمالية غير بروليتارية بل «ديموقراطية عامة» ، اي برجوازية ديموقراطية ، - ثم تاريخها الخاص تاريخ الحركة البروليتارية خلال عشرين سنة تاريخ الديموقراطية البروليتارية او الاشتراكية - الديموقراطية ان الحركة البروليتارية لم تولد ولم يكن بوسعها ان تولد في اي بلد من العالم «دفعة واحدة» في شكل طبقي صاف ان ترى النور جاهزة كما خرجت مينرفا من رأس جوبيتر (٥٨) ولم يتم فرز الحركة الطبقيّة البروليتاريّة من شتى الغلائط والقيود والتضييقات والتشويهات البرجوازية الصغيرة وتوطيدها الا بفضل النضال المديد والعمل الشاق اللذين قام بهما العمال الطليعيون انفسهم ، جميع العمال الواعين فان الطبقة العاملة تعيش جنباً الى جنب مع البرجوازية الصغيرة التي ترسل مع دبيب الخراب في صفوفها الجديد تلو الجديد من الدخلاء الى صفوف البروليتاريا والحال ان روسيا هي بين البلدان الرأسمالية البلد الاشد اتساماً بالسمة البرجوازية الصغيرة الاشد انطباعاً بطابع التفاهة وضيق الافق البلد الذي يعيش الآن فقط ذلك العهد من الثورات البرجوازية ، الذي يرمز اليه ، مثلاً في بريطانيا القرن السابع عشر

وفي فرنسا القرن الثامن عشر والنصف الاول من القرن التاسع عشر

ان العامل الواعي الذي يقدم الآن على قضيته الحميمة
العريضة قضية ادارة الصحافة العمالية وتنظيمها وتوطيدها
وتطويرها لن ينسى تاريخ عشرين سنة من الماركسية والصحافة
الاشتراكية-الديموقراطية في روسيا
وانهم ليقدمون للحركة العمالية خدمة سيئة اولئك من
اصدقائها المثقفين الضعيفي الاعصاب الذين يتهربون من الصراع
الداخلي بين الاشتراكيين-الديموقراطيين ويملاون الهواء بالصحيات
والدعوات الى التملص منه هؤلاء الناس طيبون ولكنهم فارغون
وفارغة صيحاتهم

ان العمال الطليعيين لن يوظدوا وعيهم وصحافتهم العمالية
نهائياً الا بدراسة تاريخ نضال الماركسية ضد الانتهازية الا
بالاطلاع بعمق واسهاب على فرز الديموقراطية البروليتارية المستقلة
من الخلائط البرجوازية الصغيرة

المجلد ٢٥ ،

ص ص ٩٣-١٠١

«رابوتشي» («العامل») ،

العدد الاول ، ٢٢ نيسان

(ابريل) ١٩١٤

حول الاخلال بالوحدة ، المتستر بالصراخ عن الوحدة

ان قضايا الحركة العمالية العصرية هي في نواح كثيرة قضايا دقيقة وخصوصاً بالنسبة لممثلي امس هذه الحركة (اي مرحلتها التي مضت تاريخياً منذ التو) وفي طبيعتها قضايا ما يسمى بالتكتل والانشقاق وغير ذلك ومن غير النادر ان تسمع من مشتركى الحركة العمالية المثقفين توسلات انفعالية نزقة وتقريباً هستيرية بعدم تناول هذه القضايا الدقيقة وطبيعي ان كثيراً من المحاكمات العقلية في موضوع هذه القضايا الدقيقة قد يكون تكراراً نافلاً بالنسبة للذين عاشوا السنين الطوال من صراع التيارات المختلفة بين الماركسيين ، مثلاً منذ ١٩٠٠-١٩٠١

ولكن الذين اشتركوا في الصراع الذي استمر ١٤ سنة بين الماركسيين (او بالاحرى الذي استمر ١٨ - ١٩ سنة اذا بدأنا الحساب من اولى علائم ظهور «الاقتصادية» (٥٩)) ليسوا بالكثيرين في الوقت الحاضر اما الاكثرية الهائلة من العمال الذين يملأون في ايامنا هذه صفوف الماركسيين ، فاما انهم لا يذكرون الصراع القديم او انهم لا يعرفونه اطلاقاً لهذه الاكثرية الهائلة (كما يدل على ذلك مثلاً التحقيق الذي اجرته مجلتنا (٦٠)) تعتبر هذه القضايا الدقيقة ذات اهمية كبيرة بخاصة وفي نيتنا التطرق الى هذه القضايا التي اثارها وكانها من جديد (من جديد فعلاً بالنسبة لجيـل العمال الناشء) مجلة تروتسكي «بوربا» (٦١) ، «مجلة العمال اللاتكتلية» .

١ - في «التكتل»

يسمي تروتسكي مجلته الجديدة بـ«اللاتكتلية» ويحل هذه الكلمة محل الصدارة في الاعلانات ويؤكد على ذلك بكل الطرق سواء في المقالات التي صدرت عن هيئة تحرير «بوربا» ام التي صدرت عن هيئة تحرير «سيفيرنايا رابوتشايا غازيتا» (٦٢) التصفوية التي ظهرت فيها قبل صدور «بوربا» مقالة تروتسكي عنها

فما هو هذا «اللاتكتل» ؟

ان «مجلة عمال» تروتسكي هي مجلة لتروتسكي من اجل العمال لان المجلة لا اثر فيها لا للمبادرة العمالية ولا للصلة بمنظمات العمال ورغبة منه في ان يكون مفهوماً للشعب لشرح للقراء في مجلته التي للعمال كلمات «المجال الارضي» و«القوة الفاعلة» وما اشبه حسن جداً ولماذا لا يشرح للعمال كلمة «اللاتكتل» ايضاً ؟ هل هي مفهومة اكثر من كلمات «المجال الارضي» و«القوة الفاعلة» ؟ كلا ، ليس هذا هو السبب السبب ان اسوأ ممثلي اسوأ بقايا التكتل يضلون جيل العمال الناشئ بكلمة «اللاتكتل» ويجدر التوقف لشرح هذا

ان التكتل هو الصفة المميزة الرئيسية للحزب الاشتراكي-الديموقراطي في حقبة تاريخية معينة ولكن اية حقبة على وجه التحديد ؟ الحقبة الممتدة من سنة ١٩٠٣ حتى سنة ١٩١١

ولشرح جوهر ذلك التكتل باوضح ما يكون يجب تذكير الظروف المحددة ولو لسنتي ١٩٠٦ - ١٩٠٧ آنذاك كان الحزب واحداً ولم يكن قد حدث انشقاق ، ولكن كان فيه تكتل ، اي انه كانت في الحزب في الواقع كتلتان اثنتان ، منظمتان مختلفتان عملياً كانت منظمات العمال في القاعدة واحدة ولكن الكتلتين كانتا في كل مسألة خطيرة

تضعان تكتيكين وكان المدافعون عنهما يتجادلون فيما بينهم في المنظمات العمالية الواحدة (مثلاً عند بحث شعار وزارة من نواب الدوما - اي وزارة كاديت - في سنة ١٩٠٦ او اثناء انتخاب المندوبين الى مؤتمر لندن سنة ١٩٠٧) وكانت المسائل تحل حسب الاكثريّة فاندحرت احدى الكتلتين في مؤتمر ستوكهولم الواحد (١٩٠٦) والاخرى في مؤتمر لندن الواحد (١٩٠٧) (٦٣) هذه وقائع معروفة للجميع من تاريخ الماركسية المنظمة في

روسيا

ويكفي تذكر هذه الوقائع المعروفة لرؤية الكذب الصارخ الذي

يذيعه تروتسكي

ومنذ سنة ١٩١٢ ، اي منذ ما يزيد على سنتين ، ليس في روسيا تكتل بين الماركسيين المنظمين وليست في المنظمات الواحدة وفي المجالس العامة والمؤتمرات الواحدة خلافات على التكتيك وانما هناك انقطاع تام بين الحزب الذي اعلن رسمياً في كانون الثاني (يناير) سنة ١٩١٢ (٦٤) ان التصفويين ليسوا منتمين له ، وبين التصفويين ويسمي تروتسكي هذا الوضع ، في حالات غير قليلة ، «بالانشقاق» ، ولسوف نتحدث عن هذه التسمية بشكل خاص فيما يلي ولكن الواقع الذي يبقى واقعاً لا شك فيه هو ان كلمة «التكتل» **تخالف الحقيقة**

هذه الكلمة ، كما سبق ان قلنا تكرر تكرر غير انتقادي وغير حكيم وغير ذي معنى لما كان صحيحاً في الامس اي في حقبة مضت وعندما يحدثنا تروتسكي عن «فوضى النضال التكتلي» (راجع العدد الاول ، الصفحتين ٥ و ٦ وكثيراً غيرهما) يتضح في الحال اي ماض خال يتكلم بلسانه هو

انظروا الى وضع الامور الحالي من وجهة نظر العمال الروس الناشئين الذين يشكلون الآن تسعة اعشار الماركسيين المنظمين في

روسيا انهم يواجهون ثلاثة مظاهر واسعة لآراء او تيارات متباينة في الحركة العمالية «البرافدين» (٦٥) الملتفين حول جريدة تطبع ٤٠٠٠٠ نسخة و«التصفويين» (١٥٠٠٠ نسخة) والشعبيين اليساريين (٦٦) (١٠٠٠٠ نسخة) ان عدد النسخ يشرح للقارى الطابع الجماهيري لدعاية معينة

لا بد من السؤال ما دخل «الفوضى» هنا ؟ ان تروتسكي يحب العبارات الرنانة والفارغة - هذا معروف ولكن كلمة «فوضى» ليست فقط عبارة وانما هي فوق ذلك نقل (والاصح القول محاولة لا طائل تحتها لنقل) علاقات اجنبية في حقبة ماضية الى التربة الروسية في الحقبة المعاصرة هذا هو جوهر المسألة

ليست هناك اية «فوضى» في صراع الماركسيين ضد الشعبين . وحتى تروتسكي ، كما نؤمل ، لن يجرؤ على زعم ذلك ان صراع الماركسيين ضد الشعبين يجرى منذ اكثر من ثلاثين سنة ، منذ مولد الماركسية بالذات وسبب هذا الصراع هو التباين الجذري بين مصالح ووجهات نظر طبقتين مختلفتين البروليتاريا والفلاحين واذا كان للفوضى من وجود ، ففي رؤوس اصحاب الطبائع الغريبة الذين لا يفهمون هذا

ماذا يبقى اذن ؟ «فوضى» صراع الماركسيين ضد التصفويين ؟ ولكن هذا ايضا غير صحيح ، اذ لا يمكن اطلاق تسمية الفوضى على الصراع القائم ضد تيار اعتبره الحزب كله تياراً واستنكره منذ سنة ١٩٠٨ ويعرف كل من ليس لديه عدم اكرتات بتاريخ الماركسية في روسيا ان التصفوية متصلة اتصالاً لا انفصام له واثق اتصال حتى من حيث قوام القادة والاعضاء ، ب«المنشفية» (١٩٠٣ - ١٩٠٨) و«الاقتصادية» (١٨٩٤ - ١٩٠٣) اذن امامنا هنا ايضا تاريخ مدته عشرون سنة تقريباً وان يعتبر امرؤ تاريخ حزبه هو «فوضى» يعني ان في رأسه فراغاً لا يغتفر

ولكن انظروا الى وضع الامور الحالي من وجهة نظر باريس او فيينا عندئذ يتغير كل شيء حالاً فعدا «البرافدين» و«التصفويين» ، يوجد ايضاً لا اقل من خمس «كتل» روسية ، اي مجموعات متفرقة ترغب في اعتبار نفسها منتمية الى حزب واحد بعينه هو الحزب الاشتراكي-الديموقراطي مجموعة تروتسكي ، مجموعتنا «فبريود» (٦٧) و«البلاشفة-الحزبيون» و«المناشفة-الحزبيون» (٦٨) وهذا ما يعرفه جيداً جميع الماركسيين في باريس وفيينا اذكر هنا على سبيل المثال مركزين من اكبر المراكز وان تروتسكي هنا محق الى حد معين فهذا فعلاً تكتل ، وهذه حقاً فوضى !

«التكتل» اي الوحدة الاسمية (فالجميع من حزب واحد في القول) والتجزؤ الفعلي (فكل المجموعات مستقلة بالفعل وتدخل في مباحثات واتفاقيات فيما بينها كدول ذات سيادة)

و«الفوضى» اي (١) عدم وجود معطيات موضوعية يمكن التحقق منها عن صلة هذه الكتل بالحركة العمالية في روسيا ، و(٢) عدم وجود مواد للحكم على وجه هذه الكتل الفكري والسياسي الحقيقي . خذوا فترة السنتين الكاملتين ١٩١٢ و ١٩١٣ . من المعروف انهما سنتا انتعاش ونهوض في الحركة العمالية لم يمكن فيهما لاي تيار او اتجاه شبيه ولو الى حد ضئيل بالتيار او الاتجاه الجماهيري (وفي السياسة لا يؤبه لغير الجماهيري) الا ان يؤثر في انتخابات الدوما الرابع وفي الحركة الاضرابية وفي الجرائد الشرعية وفي النقابات وفي حملة الضمان وغير ذلك وطول فترة السنتين هذه لم تفعل اية كتلة من هذه الكتل الخمس التي في الخارج شيئاً ملحوظاً على الاطلاق في اي من مظاهر الحركة العمالية الجماهيرية في روسيا المشار اليها آنفاً !

هذا واقع يسهل على كل امرئ ان يتحقق منه .

وبيرهن هذا الواقع على اننا كنا على حق عندما نعتنا تروتسكي بممثل «اسوأ بقايا التكتل»

ومع ان تروتسكي لا تكتلي قولاً الا انه بالتأكيد معروف عند كل مطلع ولو اطلاعاً ضئيلاً على الحركة العمالية في روسيا كممثل لـ«كتلة تروتسكي»- ان ها هنا تكتلاً لان امامنا العلامتين الجوهريتين له وهما (١) الاعتراف الاسمي بالوحدة و (٢) الانعزال عملياً في جماعة على حدة وها هنا بقية للتكتل ، لان من المستحيل هنا رؤية اي شيء ذي شأن فيما يتعلق بالصلة مع الحركة العمالية الجماهيرية في روسيا

وهنا ، اخيراً اسوأ نوع من انواع التكتل لانه ليس ثمة وضوح فكري وسياسي ولا يمكن انكار هذا الوضوح لا عند البرافدين (فحتى ل مارتوف عدونا الحازم يعترف بـ«التلاحم والانضباط» عندنا حول القرارات الرسمية المعروفة لدى الجميع في كل المسائل) ، ولا عند التصفويين (فلهم وجه واضح جداً ، على الاقل عند ابرزهم وهو الوجه الليبيرالي وليس الماركسي)

ولا يمكن انكار بعض الوضوح عند جزء من تلك الكتل التي على غرار كتلة تروتسكي ، ليس لها وجود فعلي الا من وجهة النظر الفييناوية-الباريسية لا الروسية مثلاً وضوح نظريات ماخ (٦٩) عند جماعة «فبريود» الماخية ؛ ووضوح الانكار البات لهذه النظريات والدفاع عن الماركسية ، الى جانب استنكار التصفويين النظري ، عند «المناشفة-العزيبين»

اما تروتسكي فليس عنده اي وضوح فكري وسياسي لان شهادة تسجيل حق «اللاتكتل» لا تعني (وسنرى هذا بتفصيل اكبر الآن) غير شهادة تسجيل حق الحرية التامة في الانتقال من كتلة الى اخرى وبالعكس
النتيجة :

- ١ - ان تروتسكي لا يشرح ولا يفهم الدلالة التاريخية للخلافات الفكرية بين التيارات والكتل في الماركسية ، مع ان هذه الخلافات تملأ تاريخ الاشتراكية-الديموقراطية خلال عشرين سنة وتمس مسائل العصر الاساسية (كما سنبرهن على ذلك)
- ٢ - ان تروتسكي لم يفهم الخصائص الاساسية للتكتل بوصفه اعترافاً اسمياً بالوحدة وتجزئة بالفعل
- ٣ - تحت راية «اللاتكتل» يدافع تروتسكي عن احدى الكتل التي في الخارج الخالية بشكل خاص من الفكرة والاساس في الحركة العمالية في روسيا
- ليس كل ما يلمح ذهباً وفي كلام تروتسكي ايضاً كثير من البهاء والضجيج ولكن ليس فيه محتوى

٢ - في الانشقاق

قد يعترض احدهم علينا قائلاً «اذا كان ليس عندكم انتم البرافديين تكتل اي اعتراف اسمي بالوحدة مع وجود التجزئة بالفعل فعندكم ما هو اسوأ - الانشقاقية» وهذا بالذات ما يقوله تروتسكي الذي لا يحسن التأمل في افكاره وتنسيق محتوى جمليه ولذا نراه يزعم احياناً مهاجماً التكتل ويصرخ احياناً اخرى قائلاً «ان الانشقاق يحرز المنجزات الانتحارية واحدة بعد اخرى» (العدد الاول ، ص ٦)

ولا يمكن ان يكون لهذا القول الا معنى واحد «ان البرافديين يحرزون المنجزات واحدة بعد اخرى» (وهذا واقع موضوعي يمكن التحقق منه وتقره دراسة الحركة العمالية الجماهيرية في روسيا ولو في سنتي ١٩١٢ و ١٩١٣) ولكني انما ، تروتسكي ، الوم البرافديين (١) كانشقاقين و (٢) كسياسيين انتحاريين ، فلنحلل هذا .

لنشكر ، قبل كل شيء ، تروتسكي فهو منذ مدة (من آب - أغسطس - ١٩١٢ حتى شباط - فبراير - ١٩١٤) كان يتبع فدان الذي هدد ، كما هو معروف ، ونادى بـ «قتل» مناهضة التصفوية والآن لا يهدد تروتسكي بـ «قتل» اتجاهنا (وحزبنا - لا تغضب ايها المواطن تروتسكي فهذه حقيقة !) وانما يتنبأ فقط بانه (اي اتجاهنا) سيقتل نفسه بنفسه !

هذا اخف بكثير ، أليس كذلك ؟ هذا «لا تكتلي» تقريباً ، أليس كذلك ؟

ولكن لندع المزاح جانباً (مع ان المزاح هو الاسلوب الوحيد للرد رداً خفيفاً على كلام تروتسكي الفارغ الذي لا يطاق) ان «الانتحار» هو مجرد كلمة ، كلمة فارغة ، «تروتسكية» ولا شيء غير ذلك .

اما الانشاقية فهي تهمة سياسية خطيرة وهذه التهمة يوجهها ضدنا ، مراراً وتكراراً ، وبالف اسلوب ، التصفيويون وكل الجماعات المذكورة آنفاً والموجودة بلا شك من وجهة نظر باريس وفيينا وهم جميعاً يكررون هذه التهمة السياسية الخطيرة بشكل غير جدي الى حد عجيب انظروا الى تروتسكي انه اعترف بان «الانشقاق يحرز (اقرأ ان البرافدين يحرزون) المنجزات الانتحارية واحدة بعد اخرى» ويضيف الى هذا

«ان الكثيرين من العمال الطليعيين ، وقد استحوذ عليهم الارتباك السياسي التام ، لا يندر لهم ان يصبحوا هم انفسهم عملاء نشيطين للانشقاق» (العدد الاول ، ص ٦) .

هل يمكن العثور ، يا ترى ، على نموذج لموقف من المسألة غير جدي اكثر مما تظهره هذه الكلمات ؟

انكم تتهموننا بالانشاقية في حين اننا لا نرى امامنا في ميدان الحركة العمالية في روسيا شيئاً غير التصفوية . اذن ، انكم تخطنون

موقفنا من التصفوية ؟ وبالفعل ، ان كل الجماعات التي في الخارج ، المذكورة آنفاً ، رغم تمايزها الشديد بعضها عن بعض ، تتشابه في انها تخطى موقفنا من التصفوية وتعتبره «انشقاقياً» وفي هذا ايضاً شبه كل هذه الجماعات بالتصفويين (وتقاربها السياسي الجوهري منهم)

اذا كان موقفنا من التصفوية خاطئاً نظرياً ومبدئياً ، فقد كان على تروتسكي ان يقول هذا صراحة ، ان يعلنه بوضوح ، ان يبين بلا مواربة فيما يرى هذا الخطأ غير ان تروتسكي يتجنب هذه النقطة الجوهريّة منذ سنين .

لو ان موقفنا من التصفوية يدحض عملياً في سياق خبرة الحركة ، لوجب تحليل هذه الخبرة ، وهو ما لا يفعله تروتسكي ايضاً يقول معترفاً «ان الكثيرين من العمال الطليعيين يصبحون عملاء نشيطين للانشقاق» (اقرأ عملاء نشيطين لخط «البرافدا» وتكتيكها ونسق تنظيمها)

لماذا تحدث هذه الظاهرة المؤسفة التي تؤكدنا الخبرة باعتراف تروتسكي ، وهي ان العمال الطليعيين ، بل الكثيرين منهم ، يسرون وراء «البرافدا» ؟

يجيب تروتسكي ان السبب هو «الارتباك السياسي التام» عند هؤلاء العمال الطليعيين .

انه والحق يقال تفسير ملائم لتروتسكي وكل الكتل الخمس التي في الخارج والتصفويين ان تروتسكي يحب كثيراً ان يعطي «بهيئة العالم العارف» وبالعبارات المنمقة الطنانة ، تفسيرات ملائمة لتروتسكي بصدد الظواهر التاريخية فاذا كان «كثيرون من العمال الطليعيين» يصبحون «عملاء نشيطين» للخط السياسي والحزبي الذي لا يتفق مع خط تروتسكي فانه يحل المسألة فوراً ومباشرة دون ان يشعر بضيق : هؤلاء العمال الطليعيون هم «في حالة ارتباك

سياسي تام» ، اما هو تروتسكي ، فطبعاً «في حالة» ثبات سياسي ووضوح وصحة للخط وتروتسكي هذا نفسه يضرب صدره بيده وينقض على التكتل والتجمع في حلقات وفرض الارادة على العمال على طريقة المثقفين !

الحق انك عندما تقرأ مثل هذه الامور تتساءل عفواً ألا تصدر امثال هذه الاصوات من مستشفى للمجانين ؟

ان الحزب طرح مسألة التصفية واستنكارها امام «العمال الطليعيين» منذ سنة ١٩٠٨ ، اما مسألة «الانشقاق» عن جماعة معينة تماماً من التصفيين (وهي جماعة «ناشأ زاريا» (٧٠)) اي مسألة استحالة بناء الحزب الا بدون هذه الجماعة وضدها ، - اما هذه المسألة الاخيرة فقد طرحت في كانون الثاني (يناير) ١٩١٢ اي منذ اكثر من سنتين وقد ايدت اكثرية العمال الطليعيين الهائلة «خط كانون الثاني (يناير) ١٩١٢» وان تروتسكي نفسه يعترف بهذا الواقع فيما يقوله عن «المنجزات» وعن «الكثيرين من العمال الطليعيين» ويكتفي تروتسكي بمجرد شتم هؤلاء العمال الطليعيين ناعثاً ايهم بـ«الانشقاقين» و«المرتبكين سياسياً»

ان الذين لم يفقدوا عقلهم سيستخلصون من هذه الوقائع استنتاجاً غير هذا الاستنتاج فحيث التفت اكثرية العمال الواعين حول قرارات دقيقة وواضحة تكون وحدة الآراء والاعمال وتكون الحزبية والحزب .

وحيث رأينا التصفيين الذين «اقالهم» العمال او حيث رأينا نصف الدسطة من الجماعات التي في الخارج والتي لم تبرهن بأي شيء في ظرف سنتين على صلتها بالحركة العمالية الجماهيرية في روسيا هناك يسود الارتباك والانشقاقية واذ يحاول تروتسكي الآن اقناع العمال بعدم تنفيذ قرارات ذلك الـ«كل» الذي يعترف به الماركسيون البرافديون ، يحاول بالتالي تشويش الحركة واثارة الانشقاق .

ان هذه المحاولات عاجزة ولكن يجب فضح زعماء الجماعات المثقفة الذين بلغ بهم الغرور مبلغه والذين يصرخون عن الانشقاق فيما يحدثون الانشقاق ، والذين ، بعد ان تكبدوا خلال سنتين ونيف هزيمة كاملة امام «العمال الطليعيين» ، يبصقون في قحة لا تصدق على قرارات وارادة هؤلاء العمال الطليعيين واصفين اياهم بـ«المرتبكين سياسياً». ان هذه في الحق اساليب نوزدرينف او يودوشكا غولوفليف (٧١) تماماً

وانا بصفتي كاتباً سياسياً واجتماعياً لا افتأ ارد على الصرخات المتكررة عن الانشقاق بتكرار المعطيات الدقيقة التي لا تقبل الدحض ولا يدحضها احد ففي الدوما الثاني كان ٤٧ بالمئة من النواب عن كورية العمال الانتخابية بلاشفة ، وفي الدوما الثالث كانوا ٥٠ بالمئة ، وفي الدوما الرابع ٦٧ بالمئة

أرايتم اين اكثرية «العمال الطليعيين» أرايتم اين الحزب

أرايتم اين وحدة آراء واعمال اكثرية العمال الواعين

يعترض التصفيون (راجع ل م بولكين في العدد الثالث من «ناشا زاريا») باننا نستعمل حججاً مأخوذة من كوريات ستوليبين الانتخابية (٧٢) وهذا اعتراض غير حكيم وسيىء النية فالالمان يقيسون نجاحاتهم بالانتخابات التي تجري وفقاً لقانون بيسمارك الانتخابي الذي يستبعد النساء . وليس غير المجانين من يلوم على هذا الماركسيين الالمان الذين يقيسون نجاحاتهم في ظل هذا القانون الانتخابي دون ان يبرروا اطلاقاً قيوده الرجعية

وكذلك نحن ، فبدون ان ندافع عن الكوريات الانتخابية ولاعن نظام تقسيم الناخبين الى كوريات، كنا نقيس نجاحاتنا في ظل هذا القانون الانتخابي لقد كانت الكوريات الانتخابية موجودة في كل الدومات الثلاثة (الثاني والثالث والرابع) وفي داخل كورية العمال الانتخابية نفسها ، في داخل الاشتراكية-الديموقراطية حدث تحول تام ضد

التصفويين ومن لا يريد ان يخدع نفسه وغيره يجب عليه ان يعترف بهذا الواقع الموضوعي واقع انتصار الوحدة العمالية على التصفويين

والاعتراض الآخر ليس اقل «ذكاء» «ان المناشفة والتصفويين صوتوا لفلان وفلان من البلاشفة (او اشتركوا في الانتخابات)» عظيم ولكن ألا يصح هذا على ٥٣ بالمئة من النواب غير البلاشفة في الدوما الثاني وعلى ٥٠ بالمئة منهم في الدوما الثالث وعلى ٣٣ بالمئة منهم في الدوما الرابع ؟

لو كان في الامكان اخذ معطيات عن منتخبى الدرجة الاولى من العمال او مفوضيهم وما اشبه ، بدلاً من المعطيات عن النواب ، لكنا اخذناها بكل سرور ولكن ليس هناك مثل هذه المعطيات الاكثر تفصيلاً وبالتالي فان «المعترضين» لا يفعلون شيئاً غير ذر الرماد في عيون الجمهور

والمعطيات عن جماعات العمال التي ساعدت الجرائد ذات الاتجاهات المختلفة ؟ في ظرف سنتين اثنتين (١٩١٢ و ١٩١٣) ٢٨٠١ جماعة مع «البرافدا» و ٧٥٠ جماعة مع «لوتش» * (٧٣) ان كل امرئ يستطيع ان يتحقق من هذه الارقام ولم يحاول احد ان يكذبا فاين هنا وحدة اعمال و ارادة اكثرية «العمال الطليعيين» واين انتهاك ارادة الاكثرية ؟

ان «لاكتل» تروتسكي هو الانشقاقية بعينها بمعنى الانتهاك الذي لا حياء فيه لارادة اكثرية العمال

* حتى اول نيسان (ابريل) ١٩١٤ اظهر الحساب الاولي ان مع «البرافدا» ٤٠٠٠ جماعة (ابتداء من اول كانون الثاني - يناير - ١٩١٢) و ١٠٠٠ جماعة مع التصفويين وسائر حلفائهم جميعاً .

٣- في تفكك كتلة آب

ولكن هناك طريقة اخرى ، وهامة جداً ، للتحقق من صحة وصدق ما يرمينا به تروتسكي من اتهامات بالانشقاقية هل ترى ان «اللينينيين» هم الانشقاقيون ؟ حسناً لنفترض انك مصيب

ولكن اذا كنت مصيباً فلماذا اذن لم تبرهن جميع الكتل والجماعات الاخرى على امكان الوحدة مع التصفيوين بدون «اللينينيين» **ضد** «الانشقاقيين» ؟ واذا كنا نحن انشقاقيين فلماذا لم تتحدوا انتم ، التوحيديين ، فيما بينكم ومع التصفيوين ؟ فبذلك تكونون قد برهنتم للعمال في الواقع على امكان الوحدة وعلى فائدتها لنذكر تتابع الحوادث

في كانون الثاني (يناير) ١٩١٢ اعلن «الانشقاقيون» «اللينينيين» انهم حزب بدون التصفيوين **ضد** التصفيوين وفي آذار (مارس) ١٩١٢ **اتعدت** ضد هؤلاء «الانشقاقيين» كل الجماعات و«الكتل» التصفيويون والتروتسكيون وجماعة «فبريود» و«البلاشفة-الجزبيون» و«المناشفة-الجزبيون» وذلك في منشوراتهم الروسية وعلى صفحات جريدة «Vorwärts» (٧٤) الاشتراكية-الديموقراطية الالمانية وراحوا جميعاً بصوت واحد ونفس واحدة ، يشتموننا وينعتوننا «بالمغتصبين» و«المضللين» وما اشبه من نعوت لا تقل عن المذكورة نعومة وحناناً هذا جيد جداً ايها السادة ولكن ما كان اسهل عليكم ان تتحدوا **ضد** «المغتصبين» وتضربوا «للعمال الطليعيين» المثل في الوحدة ؟ فلو كان العمال الطليعيون رأوا وحدة الجميع ضد المغتصبين وحدة التصفيوين وغير التصفيوين من جهة و«المغتصبين» و«الانشقاقيين» وما اشبه وحدهم من الجهة الاخرى ، أما كانوا أيدوا الاولين ، يا ترى ؟؟

وإذا كانت الخلافات ليست الا من اختلاق «اللينينيين» ومن تضخيمهم وما اشبهه ، بينما ان **من الممكن** في الواقع وحدة التصفيين والبليخانوفيين وجماعة «فبريود» والتروتسكيين وغيرهم فلماذا لم تبرهنوا على هذا بقدوتكم انتم في ظرف سنتين ؟
وفي آب (اغسطس) ١٩١٢ اجتمع مجلس عام «للتوحيديين» (٧٥) وعلى اثر ذلك فوراً بدأ **التفرق** فقد رفض البليخانوفيون قطعاً ان يجهتوا وجاءت جماعة «فبريود» ولكنها ذهبت وهي تحتج وتفضح وهمية كل هذه العملية

و«اتحد» التصفييون واللاتفيون والتروتسكيون (تروتسكي وسيمكوفسكي) والقفقاسيون وجماعة السبعة (٧٦) فهل اتحدوا ؟ لقد قلنا آنذاك لا قلنا ان هذا ليس الا تغطية للتصفوية فهل كذبت الحوادث ما قلنا ؟

بعد سنة ونصف تماماً في شباط (فبراير) ١٩١٤ تبين
١ - ان جماعة السبعة قد انفردت عقدها بخروج بوريانوف

منها

٢ - ان تشخيذه وتولياكوف او اياً غيرهما ممن بقوا في جماعة «الستة» الجديدة لا يستطيعون الاتفاق في الرد على بليخانوف انهم

يعلنون في الصحف انهم سيردون عليه **ولكنهم لا يستطيعون الرد**

٣ - ان تروتسكي الذي اختفى عملياً منذ اشهر كثيرة من «لوتش» ، انفصل واصدر مجلته «ه» «بوربا» واذ يسمي تروتسكي هذه المجلة «لاتكتلية» يقول بهذا في وضوح (في وضوح لكل من يلتم بالقضية ولو الماماً قليلاً) ان «ناشا زاريا» و«لوتش» تبين انهما في رأيه ، في رأي تروتسكي ، جامعتا شمل «تكتليتان» ، اي رديتتان اذا كنت ، ايها العزيز تروتسكي توحيدياً اذا كنت تعتبر الوحدة مع التصفيين ممكنة اذا كنت قد وقفت معهم موقف «الافكار الرئيسية التي صيغت في آب (اغسطس) ١٩١٢» «بوربا» ،

العدد الاول ص ٦ ، «من قلم التحرير» ، فلماذا لم تتحد اثت نفسك مع التصفويين في «ناشا زاريا» و«لوتش» ؟
 عندما ظهرت في «جريدة عمال الشمال» قبل صدور مجلة تروتسكي مقالة لاذعة عن وجه المجلة «غير الواضح» وعن ان المجلة «كانت في الآونة الاخيرة موضوع احاديث كثيرة في الاوساط الماركسية» كان على «بوت برافدي» (العدد ٣٧) (٧٧) بطبيعة الحال ان تكشف عن الكذب ان رسالة تروتسكي السرية ضد جماعة «لوتش» هي التي كانت «موضوع احاديث في الاوساط الماركسية» و«اتضح» تماماً وجه تروتسكي وانفصاله عن كتلة آب (اغسطس)

٤ - ان آن وهو الزعيم المعروف للتصفويين القفقاسيين الذي هاجم مرة ل سيدوف (ولهذا صبّ عليه ف دان وشركاه امام الملاء دوشاً بارداً) ظهر الآن في «بوربا» ويبقى «غير واضح» ما اذا كان القفقاسيون يريدون الآن السير مع تروتسكي او مع دان
 ٥ - ان الماركسيين اللاتفيين الذين كانوا المنظمة الوحيدة التي لا جدال فيها في «كتلة اغسطس» ، خرجوا رسمياً منها معلنين (سنة ١٩١٤) في قرار مؤتمهم الاخير ان

«محاولة سعاة الصلح للاتحاد مهبا كلف الامر مع التصفويين (مجلس عام آب سنة ١٩١٢) كانت عديبة الجدوى ووقّع التوحيديون انفسهم في تبعية فكرية وسياسية للتصفويين» .

هذا ما اعلنته بعد تجربة سنة ونصف منظمة تقف هي نفسها موقف الحياد ولا ترغب في ان تكون على صلة باي واحد من المركزيين وما اخرى بقرار الحياديين هذا ان يكون ذا وزن عند تروتسكي

هذا يكفي على ما يبدو ؟

ان الناس الذين اتهمونا بالانشقاقية بعدم الرغبة او بعدم المقدرة على العيش في وئام مع التصفيوين ، هم انفسهم لم يستطيعوا ان يعيشوا في وئام معهم وتبين ان كتلة آب (اغسطس) وهم من الاوهام وتفككت وان تروتسكي يخدع قراءه اذ يخفي عنهم هذا التفكك ان تجربة خصومنا برهنت على صحة رأينا واثبتت عدم امكان العمل مع التصفيوين

٤ - نصائح ساعي صلح الى جماعة «السبعة»

في مقالة هيئة تحرير العدد الاول من «بوربا» «انشقاق كتلة الدوما» ، نجد نصائح من ساعي صلح الى نواب دوما الدولة السبعة التصفيوين (او المترددين في اتجاه التصفوية) (٧٨) وبيت القصيد في هذه النصائح هو العبارة التالية

«وجوب التوجه الى جماعة الستة في الدرجة الاولى كلما كان من الضروري الاتفاق مع كتل اخرى» (ص ٢٩)

هذه نصيحة حكيمة ، بسببها على ما يبدو الى جانب اسباب اخرى يفترق تروتسكي عن التصفيوين من جماعة «لوتش» فمنذ بداية الصراع بين الكتلتين في الدوما منذ قرار الاجتماع الصيفي (سنة ١٩١٣) اخذ البرافديون بوجهة النظر هذه بالذات ولقد اعلنت كتلة العمال الاشتراكية-الديموقراطية في روسيا في الصحافة اكثر من مرة وبعد الانشقاق ايضاً انها لا تزال على موقفها هذا بالرغم من رفض جماعة «السبعة» المتكرر

كنا منذ البداية منذ قرار الاجتماع الصيفي ولا تزال حتى الآن نعتقد ان الاتفاقات بشؤون العمل في الدوما امر مرغوب فيه

وممكن فاذا كان مثل هذه الاتفاقات قد مورست اكثر من مرة مع الديموقراطيين الفلاحين ذوي الاتجاه البرجوازي الصغير (الترودوفيك) فهي من باب اولى طبعاً ممكنة وضرورية مع السياسيين العماليين ذوي الاتجاه البرجوازي الصغير والليبيرالي

يجب ألا نبالغ في الخلافات ويجب ان نواجه الواقع وجهاً لوجه ان جماعة «السبعة» هم اناس مترددون في اتجاه التصفوية ساروا بالامس مع دان تماماً واليوم يحولون انظارهم في كآبة من دان الى تروتسكي وبالعكس ان التصفويين هم جماعة من العلنيين انفصلت عن الحزب وسارت على سياسة عمالية ليبرالية وبسبب انكارهم العمل السري ليس هناك مجال للحدوث عن اية وحدة مع هذه الجماعة في شؤون البناء الحزبي والحركة العمالية ومن يفكر غير هذا التفكير يخطئ خطأ شديداً لانه لا يأخذ بعين الاعتبار عمق التغيرات التي حدثت بعد سنة ١٩٠٨

ولكن **الاتفاقات** في بعض المسائل مع هذه الجماعة الخارجة عن الحزب او السائرة في جانب الحزب هي طبعاً امر جائز ونحن ملزمون دائماً باجبار هذه الجماعة شأنها شأن التروودوفيك على الخيار بين السياسة العمالية (البرافية) والسياسة الليبرالية مثلاً في مسألة النضال من اجل حرية الصحافة تكشف عند التصفويين بوضوح تذبذبات بين الطرح الليبرالي للمسألة مع انكار او نسيان الصحافة الخالية من الرقابة وبين السياسة المعاكسة العمالية

ان الاتفاقات مع النواب العماليين الليبراليين السبعة ممكنة ومرغوب فيها ضمن حدود السياسة **داخل الدوما** حيث لا تطرح مباشرة اهم المسائل **الخارجة عن الدوما** وفي هذه النقطة انتقل تروتسكي من التصفويين الى موقف الاجتماع الحزبي الصيفي (سنة ١٩١٣).

ولكنه يجب ألا يغيب عن بالنا ان المقصود بالاتفاق من وجهة نظر الجماعة الخارجة عن الحزب ليس هو البتة ما يقصده الناس الحزبيون عادة ف«الاتفاق» في الدوما هو في نظر غير الحزبيين «وضع قرار او خط تكتيكي» اما في نظر الحزبيين فهو محاولة لاشراك الآخرين في تحقيق خط الحزب

مثلاً ليس لدى الترودوفيك حزب وهم يقصدون بالاتفاق «وضع» خط «بحرية» ان امكن التعبير اليوم مع الكاديت وغداً مع الاشتراكيين-الديموقراطيين اما نحن فنقصد بالاتفاق مع الترودوفيك شيئاً غير هذا اطلاقاً فنحن عندنا قرارات حزبية في كل مسائل التكتيك الهامة ، ولن نتراجع ابداً عن هذه القرارات والاتفاق مع الترودوفيك يعني بالنسبة لنا جذبهم الى جانبنا واقناعهم بحقنا ، وعدم الامتناع عن العمل المشترك ضد المئة السود وضد الليبراليين

اما الى اي حد نسي تروتسكي (ليس عبثاً على ما يبدو انه كان عند التصفيين!) هذا الفرق الاولي فيما يتعلق بالاتفاقات من وجهتي النظر الحزبية واللاحزبية ، فهذا ما يبينه قوله الآتي

«من الضروري ان يجمع وكلاء الاممية قسمي كتلتنا البرلمانية المنقسمة وان يبحثوا معهما ما يجمعهما وما يفرقهما فيمكن وضع قرار تكتيكي مفصل يصوغ اسس التكتيك البرلماني ٠٠٠» (العدد الاول ، ص ٢٩-٣٠)

هذا مثال ذو دلالة ونموذجي للغاية لطرح المسألة على طريقة التصفيين اما الحزب فتنسأه مجلة تروتسكي وهل يستأهل الامر فعلاً ذكر هذه التوافه ؟

عندما تتفق او تتحد احزاب مختلفة في اوروبا (ان تروتسكي يجب الحديث بغير مناسبة عن كل ما هو اوروبي) يحدث الامر كما يلي : يجتمع ممثلوها ويستوضحون قبل كل شيء نقاط الاختلاف

(وهو ما ادرجته الاممية في جدول الاعمال بالنسبة لروسيا دون ان تدرج في القرار زعم كاوتسكي الارعن القائل ان «الحزب القديم لا وجود له» (٧٩) وبعد ان يستوضح الممثلون نقاط الاختلاف يرسمون ما هي القرارات (الشروط ، وما شابه) التي يجب ان تعرض على مؤتمرى الحزبين ، في مسائل التكتيك والتنظيم وغير ذلك واذا امكن رسم مسودة لقرارات واحدة يبت المؤتمران بامر الموافقة او عدم الموافقة عليها واذا ظهرت مقترحات مختلفة فان مؤتمرى الحزبين على السواء يبحثانها نهائياً

ان التصفويين وتروتسكي «يستلطفون» النماذج الاوروبية للانتهازية فقط وليس اطلاقاً نماذج الحزبية الاوروبية «القرار التكتيكي المفصل» سيضعه نواب الدوما !! ان «العمال

الطليعين» الروس الذين ليس عبثاً يستاء تروتسكي منهم يستطيعون ان يروا بوضوح من هذا المثال الى اي حد يصل ، في فيينا وباريس ، التخيل المضحك عند الشرادم التي في الخارج والتي اقنعت حتى كاوتسكي بان «الحزب لا وجود له» في روسيا ولكن اذا كان من الممكن تضليل الاجانب احياناً في هذا الصدد فان «العمال الطليعيين» الروس سيضحكون في وجه هؤلاء المتخيلين (مع ان هذا قد يثير استياء جديداً عند تروتسكي الرهيب)

سيقولون لهم «ان القرارات التكتيكية المفصلة توضع عندنا بواسطة مؤتمرات الحزب ومجالسه العامة (ولسنا نعرف كيف توضع عندكم انتم اللاهزبيين) ، مثلاً في سنوات ١٩٠٧ ، ١٩٠٨ ، ١٩١٠ ١٩١٢ ١٩١٣ وبسرور سنطلع الاجانب غير المطلعين وكذلك الروس السريعي النسيان على قراراتنا الحزبية وبسرور اكبر سنرجو ممثلي «السبعة» او «الآبيين» او «الليفيتسييفيين» («اليساريين») (٨٠) او ايأ كان ان يطلعونا على قرارات مؤتمراتهم او مجالسه العامة وان يطرحوا على مؤتمرهم القادم مسألة محددة

عن الموقف من قراراتنا او من قرار المؤتمر اللاتفي الحيادي لسنة ١٩١٤ ، الخ

هذا ما سيقوله «العمال الطليعيون» في روسيا لمختلف المتخيلين وهذا ما قاله مثلاً ماركسيو بطرسبورغ المنظمون في الصحافة الماركسية هل يفضل تروتسكي تجاهل هذه الشروط المطبوعة للتصفويين ؟ فليكن فهذا اسوأ بالنسبة لتروتسكي ان واجبنا تنبيه القراء الى ما يشيره من ضحك التخيل «التوحيدي» (على غرار «توحيد» آب ؟) الذي لا يرغب في النظر بعين الاعتبار الى ارادة اكثرية العمال الواعين في روسيا

٥ - آراء تروتسكي التصفوية

بذل تروتسكي جهده للاقلال قدر الامكان من الحديث عن آرائه في جوهرها في مجلته الجديدة وقد سبق لـ «بوت برافدي» (في عددها السابع والثلاثين) ونوهت بان تروتسكي لم يقل حرفاً لا في مسألة العمل السري ولا في شعار النضال من اجل الحزب العلني ولا في غير ذلك ولهذا بالمناسبة نتحدث عن التكتل البالغ السوء في هذه الحال ، حيث تريد منظمة منطوية على ذاتها ان تنشأ بدون ان يكون لها اي وجه فكري وسياسي

ولكن اذا كان تروتسكي لم يشأ عرض آرائه بصورة مباشرة فان جملة من الاماكن من مجلته تبين ما هي الافكار التي يطبقها خفية دون ان يفصح عنها

نقرأ في اول مقالة كتبتها هيئة تحرير المجلة في عددها الاول

« لم تكن الاشتراكية-الديموقراطية السابقة للثورة عندنا حزباً عمالياً الا من حيث فكرتها والا من حيث اهدافها اما في الواقع فقد كانت منظمة للمثقفين الماركسيين الذين قادوا وراءهم الطبقة العاملة المستيقظة » .

هذه معزوفة ليبرالية وتصفوية معروفة منذ زمان بعيد تعتبر في الواقع مقدمة لنفي الحزب وهذه المعزوفة مبنية على تشويبه الحقائق التاريخية فان اضرابات ١٨٩٥-١٨٩٦ كانت قد انشأت حركة عمالية جماهيرية مرتبطة بالاشتراكية-الديموقراطية فكرياً وتنظيماً والى هذه الاضرابات الى التحريض الاقتصادي وغير الاقتصادي «قاد المثقفون وراءهم الطبقة العاملة» ؟!!
او خذوا هذه المعطيات الدقيقة عن جرائم الحق العام في سنوات ١٩٠١-١٩٠٣ بالقياس الى فترة سابقة

من كل مئة مشترك في الحركة التحررية (متهم بجرائم الحق العام) كان عدد الاشخاص المشتغلين في مجالات العمل التالية كالآتي

الفترة	في الزراعة	في الصناعة والتجارة	شغيلة العمل الذهني والتلاميذ	من ذوي الاعمال غير المحددة او الذين لا عمل لهم
١٨٨٤-١٨٩٠	٧,١	١٥,١	٥٣,٣	١٩,٩
١٩٠١-١٩٠٣	٩,٠	٤٦,١	٢٨,٧	٨,٠

نرى من هذا انه ، في الثمانينيات ، عندما لم يكن بعد في روسيا حزب اشتراكي-ديموقراطي ، عندما كانت الحركة حركة «الشعبين» ، كان المثقفون هم الغالبين اكثر من نصف عدد المشتركين فيها ثم تغيرت اللوحة تغيراً تاماً في سنوات ١٩٠١-١٩٠٣ ، عندما اصبح هناك حزب اشتراكي-ديموقراطي عندما كانت جريدة «الايسكرا» القديمة تقوم بعملها فقد اصبح المثقفون اقلية بين المشتركين في الحركة بينما اصبح العمال («الصناعة والتجارة») اكثر بكثير من المثقفين ، اما العمال والفلاحون معاً فهم اكثر من نصف المجموع

وفي صراع الاتجاهات في داخل الماركسية تكشف جناح البرجوازية الصغيرة والمثقفين للاشتراكية-الديموقراطية ، ابتداء من «الاقتصادية» (١٨٩٥ - ١٩٠٣) واستمراراً بـ«المنشفية» (١٩٠٣ - ١٩٠٨) و«التصفوية» (١٩٠٨ - ١٩١٤) ويكرر تروتسكي اقتراءات التصفويين على الحزب خائفاً من تناول تاريخ صراع الاتجاهات الذي استمر عشرين سنة في داخل الحزب واليكم مثالاً آخر

« ان الاشتراكية - الديمقراطية الروسية مرت في موقفها من البرلمانية بالمرحل الثلاث نفسها (التي في البلدان الاخرى) البدء بـ«المقاطعة» ثم الاعتراف المبدئي بالتكتيك البرلماني ولكن (عظيمة هذه «ال» لكن» ، نفس «ال» لكن» التي ترجمها شدرين بالعبارة التالية لا تنمو الاذنان اعلى من الجبين ، لا تنموان !) لاغراض تحريضية بحتة واخيراً نقل المطالب الدورية الى منبر الدوما ...» (العدد الاول ، ص ٣٤)

مرة اخرى تشويه تصفوي للتاريخ ان التفريق بين المرحلتين الثانية والثالثة ملفق من اجل الدفاع خفية عن الاصلاحية والانتهازية فالمقاطعة ، كمرحلة في «موقف الاشتراكية - الديمقراطية من البرلمانية» ، لم يكن لها وجود لا في اوروبا (كانت هناك الفوضوية ولا تزال) ولا في روسيا حيث مقاطعة دوما بوليجين (٨١) مثلاً كانت تهدف فقط مؤسسة بعينها ولم تكن قط مرتبطة بـ«البرلمانية» وانما نشأت عن نضال الليبيرالية والماركسية الاصيل من اجل مواصلة الضغط اما كيف اثر هذا النضال في الصراع بين التيارين في داخل الماركسية فان تروتسكي لا ينبس ببنت شفة في هذا الصدد

اذا اراد المرء ان يتطرق الى التاريخ فعليه ان يشرح قضايا محددة والجذور الطبقيية لمختلف التيارات . ومن يرغب في دراسة

صراع الطبقات وصراع التيارات على الاشتراك في دوما بوليجين دراسة
ماركسية ير هناك جذور السياسة العمالية الليبرالية ولكن
تروتسكي «يتطرق» الى التاريخ من اجل ان يتجنب القضايا المحددة
ومن اجل ان يفتخر التبريرات او ما يشبه التبريرات للانتهازين
المعاصرين

كتب يقول «... ان جميع التيارات تستخدم في الواقع طرائق واحدة
للنضال والبناء» .- «وان الصرخات عن الخطر الليبرالي في حركتنا العمالية
هي مجرد كاريكاتور انعزالي فظ عن الواقع» (العدد الاول ، ص ٥ و ٣٥)

هذا دفاع واضح جداً عن التصفيين ودفاع غاضب جداً ولكننا
سنسمح لانفسنا مع ذلك بان نأخذ ولو واقعاً صغيراً واحداً من
الوقائع الاكثر جدة ، - ان تروتسكي يكتفي بالكلام اما نحن فنريد
ان يتأمل العمال انفسهم في الوقائع
ومن الوقائع ان «سيفيرنايا رابوتشاييا غازيتا» في عددها
الصادر في الثالث عشر من آذار (مارس) كتبت ما يلي

«بدلاً من التأكيد على البهمة المحددة المعينة التي تواجهها الطبقة
العاملة ، وهي اجبار الدوما على رفض مشروع القانون (الخاص بالصحافة) ،
نراهم يتقدمون بصيغة مائعة للنضال من اجل «الشعارات غير المبتورة» الى
جانب الدعاية للصحافة غير الشرعية ، هذه الدعاية التي ليس من شأنها الا
اضعاف نضال العمال في سبيل صحافتهم الشرعية» .

هذا هو الدفاع الوثائقي الواضح الدقيق عن سياسة التصفية
وهذا هو الانتقاد لسياسة «البرافدا» طيب هل يوجد انسان متعلم
يقول ان التيارين يستعملان في هذه المسألة «طرائق واحدة للنضال
والبناء» ؟ هل يوجد انسان متعلم يقول ان التصفيين لا ينتهجون هنا

سياسة عمالية ليبرالية ؟ وان الخطر الليبرالي في الحركة العمالية هو هنا من اختراع الخيال ؟

ان تروتسكي يتفادى الوقائع والاشارات المحددة لانها تدحض تماماً كل صرخاته الغاضبة وعباراته الطنانة طبيعي ان الوقوف والقول «كاريكاتور انعزالي فظ» امر يسير جداً كما ان من غير الصعب ايضاً اضافة كلمة اخرى اكثر لذةً واشد طنيناً عن «الانعتاق من التكتل المحافظ»

ولكن أليس هذا رخيصاً جداً ؟ ألم يؤخذ هذا السلاح من جعبة تلك الحقبة من الزمان التي كان فيها تروتسكي يتبخر امام تلاميذ الثانوي ؟

ان «العمال الطليعيين» الذين يغضب عليهم تروتسكي يرغبون مع ذلك في ان يقال لهم بصراحة ووضوح هل تحبذون «طريقة النضال والبناء» الموضحة بدقة في التقدير المذكور للحملة السياسية المحددة ؟ نعم ام لا ؟ اذا كان الجواب نعم كان ذلك سياسة عمالية ليبرالية وخيانة للماركسية والحزب وما الحديث عن «الصلح» او عن «الوحدة» مع سياسة كهذه ومع الجماعات التي تنهجها الاخداع للذات وللآخرين

واذا كان الجواب لا فقولوا هذا بصراحة اما الجمل والعبارات ، فلن تدهش بها عمال اليوم ولن ترضيهم ولن تخيفهم وبالمناسبة نقول ان السياسة التي ينتهجها التصفيويون في الفقرة التي استشهدنا بها هي بلهاء حتى من وجهة النظر الليبرالية ، لان سن القانون في الدوما يتوقف على «اعضاء الزيمستفوات الاكثوريين» (٨٢) من اضراب بينيغسن الذي سبق ان كشف اوراقه في اللجنة .

ان المشتركين القدماء في الحركة الماركسية في روسيا يعرفون شخص تروتسكي جيداً ولا لزوم للحديث عنه لهم ولكن الجيل الجديد من العمال لا يعرفه ، ولهذا لا بد من الحديث عنه لانه شخص نموذجي بالنسبة لكل الجماعات الخمس التي في الخارج والتي تتردد عملياً ايضاً بين التصفويين والحزب

في ايام «الايسكرا» القديمة (١٩٠١ - ١٩٠٣) كان يستعمل لقب لهؤلاء المترددين والمتقلبين بين «الاقتصاديين» و «الايسكريين» ، وهو لقب «توشينسكي بيريلوت» («مكوك توشينو») (هكذا كان يسمى خلال «الزمن الغامض» (٨٣) في روسيا الجنود الذين كانوا يتنقلون مراراً من معسكر الى آخر)

وعندما نتحدث عن التصفوية نقرر تياراً فكرياً معيناً نما طوال السنين ، مرتبطاً في جذوره بـ «المنشفية» و «الاقتصادية» خلال عشرين سنة من تاريخ الماركسية مرتبطاً بسياسة وايدولوجية طبقية معينة هي البرجوازية الليبيرالية

ان «مكاكيك توشينو» يعلنون عن انفسهم انهم فوق الكتل بناء على اساس وحيد هو انهم «يقتبسون» افكار هذه الكتلة اليوم وافكار غيرها غداً فتروتسكي كان «ايسكرياً» متحمساً في سنوات ١٩٠١ - ١٩٠٣ حتى ان ريزانوف قال عن دوره في مؤتمر سنة ١٩٠٣ انه دور «هراوة لينين» وفي آخر سنة ١٩٠٣ اصبح تروتسكي منشفياً متحمساً اي انه هرب من الايسكريين الى «الاقتصاديين» واعلن ان «بين» «الايسكرا» القديمة والجديدة هوة سحيقة» وفي سنتي ١٩٠٤ - ١٩٠٥ ابتعد عن المناشفة وشغل مركزاً متردداً فاحياناً يتعاون مع مارتينوف («الاقتصادي») واحياناً ينادي بـ «الثورة المستمرة» (٨٤) اليسارية الخرقاء وفي سنتي ١٩٠٦ - ١٩٠٧ اقترب من البلاشفة وفي ربيع ١٩٠٧ اعلن عن نفسه انه متضامن مع روزا لوكسمبورغ .

وفي فترة التفكك بعد تقلبات «لاتكتلية» طويلة انحرف مجدداً الى اليمين ودخل في آب (اغسطس) ١٩١٢ في كتلة مع التصفيين وها هو الآن يبتعد عنهم من جديد ولكنه في حقيقة الامر يكرر افكارهم نفسها

هذه الاصناف من البشر تمثل ظاهرة نموذجية كحطام لتشكيلات وتكوينات الامس التاريخية عندما كانت الحركة العمالية الجماهيرية في روسيا لا تزال نائمة وامام اية شذمة كان «مجال رحب» لان تظهر نفسها بمظهر التيار والجماعة والكتلة ، - وبكلمة واحدة بمظهر «الدولة» التي تتحدث عن الاتحاد مع الاخرى

يجب ان يعرف جيل العمال الجديد جيداً من امامهم عندما يتقدم بادعاءات لا تصدق اناس لا يرغبون في الاكترات اطلاقاً لا بالقرارات الحزبية التي حددت وعينت منذ سنة ١٩٠٨ الموقف من التصفوية ولا بتجربة الحركة العمالية العصرية في روسيا التي اوجدت في الواقع وحدة للاكثريّة على اساس الاعتراف التام بالقرارات المشار اليها

حق الامم في تقرير مصيرها

اثارت الفقرة التاسعة من برنامج ماركسيي روسيا الخاصة بحق الامم في تقرير مصيرها حملة واسعة من الانتهازين في الآونة الاخيرة (كما اشرنا الى ذلك في «بروسفيشينييه») * فقد انقض على هذه الفقرة التصفوي الروسي سيمكوفسكي في جريدته للتصفوين تصدر في بطرسبورغ وحذا حذوه البوندي لييمن والاشتراكي-القومي الاوكراني يوركيفيتش كل منهما في جريدة وازدروا بها اشد الازدراء ولا شك ان هذه الحملة «الصاخبة الشاملة» التي شنها الانتهازيون على برنامجنا الماركسي مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالترددات القومية البادية في الوقت الحاضر بوجه عام ولذا نرى انه حان الوقت لتحليل القضية المثارة تحليلاً دقيقاً مفصلاً بيد اننا نود الاشارة الى ان احداً من هؤلاء الانتهازين المذكورين اعلاه ، لم يأت ببرهان واحد من عنده بل اقتصروا جميعاً على ترديد ما قالته روزا لوكسمبورغ في مقالها البولوني المطول الذي نشرته في عامي ١٩٠٨ و ١٩٠٩ تحت عنوان «المسألة القومية والحكم الذاتي» ولذا نأخذ بعين الاعتبار قبل كل شيء في سياق هذا البحث ، البراهين «الاصيلة» التي اوردها هذه الكاتبة

* راجعوا هذا الكتاب ، صص ٥٦-٩٩ . الناشر .

١ - ما معنى حرية الامم في تقرير مصيرها ؟

يبرز هذا السؤال بصورة طبيعية باديء الامر ، حين نحاول النظر فيما يسمى حرية تقرير المصير من وجهة النظر الماركسية فماذا يعني ذلك ؟ هل نستقصي الجواب من التعاريف الحقوقية المستقاة من شتى أنواع «المفاهيم العامة» للحقوق ؟ أو ينبغي تحريره من خلال دراسة الحركات القومية دراسة تاريخية اقتصادية ؟

لا غرابة في أن السادة سيمكوفسكي وليبن وبيوركيفيتش وأضرابهم لم يفتنوا حتى بالقاء هذا السؤال وهم يتملصون بمجرد التهافت على «غموض» البرنامج الماركسي ويبدو أن هؤلاء السادة على ما هم عليه من بساطة يجهلون تمام الجهل أن مسألة حرية الامم في تقرير مصيرها لم يعالجها البرنامج الروسي الموضوع في سنة ١٩٠٣ وحسب بل عالجه أيضاً قرار مؤتمر لندن العالمي المنعقد في سنة ١٨٩٦ (وسنعود الى هذا القرار بالتفصيل فيما بعد) ولكن من الاغرب بكثير أن روزا لوكسمبورغ التي طالما جعلت حول ما زعم من اتسام تلك الفقرة من برنامجنا بطابع التجريد والميتافيزيائية قد ارتكبت نفسها خطأ التجريد والميتافيزيائية هذا فان روزا لوكسمبورغ ذاتها تنزلق دائماً الى بحث الاعتبارات العامة لحرية تقرير المصير (الى حد المحاكمة المضحكة بصدد ما يجب استخدامه من وسائل لمعرفة ارادة أمة من الامم) دون أن تطرح اطلاقاً هذا السؤال بصورة واضحة دقيقة أيتلخص كنه القضية في التعاريف الحقوقية ، أم في تجارب الحركات القومية في العالم بأسره ؟ ان مجرد طرح هذا السؤال بصورة دقيقة - وهذا سؤال لا يستطيع الماركسي التغاضي عنه - يطيح فوراً بتسعة أعشار براهين روزا لوكسمبورغ فالحركات القومية لم تبرز اليوم في روسيا للمرة الاولى ، وهي ليست وقفاً على هذه البلاد دون سواها ، ففي

العالم كله كان عهد انتصار الرأسمالية التام على الاقطاعية مقترنا بالحركات القومية ان اساس تلك الحركات الاقتصادي يكمن في أن تفوق الانتاج البضاعي تفوقاً تاماً يتطلب استيلاء البرجوازية على السوق الداخلية وتوحيد الأراضي التي يتكلم سكانها لغة واحدة في دولة واحدة وازالة كل حاجز من شأنه أن يعيق تطور تلك اللغة ورسوخها في الادب ذلك ان اللغة وسيلة كبرى لاتصال الناس بعضهم ببعض كما ان وحدة اللغة وحرية التطور هما من أهم الشروط لقيام مبادلات تجارية حرة شاملة حقاً تتوافق مع الرأسمالية الحديثة ولتكتل الناس تكتلاً حراً واسعاً داخل كل طبقة من الطبقات وأخيراً لأقامة علاقة وثيقة بين السوق وبين كل رب عمل كبير او صغير ، بين السوق وبين كل بائع ومشتري

فالسعي الى اقامة دول قومية تستجيب على الوجه الاكمل لمتطلبات الرأسمالية الحديثة هذه ، هو أمر ملازم لكل حركة قومية وتدفع الى ذلك أعمق العوامل الاقتصادية ومن هنا يبدو ان الميزة النموذجية والشئ الطبيعي في المرحلة الرأسمالية هو قيام الدولة القومية في أوروبا الغربية كلها بل في العالم المتمدن كله

فاذا أردنا بعد هذا ان نفهم معنى حرية الامم في تقرير مصيرها ، دون ان نتلاعب بالتعاريف الحقيقية ، ودون ان «نخترع» مفاهيم مجردة ، بل بتحليل الشروط التاريخية والاقتصادية للحركات القومية فلا بد ان نصل الى النتيجة التالية ان المقصود بحرية الامم في تقرير مصيرها هو انفصالها كدول عن مجموعات قومية اخرى ، هو بالطبع تكوينها دولاً قومية مستقلة

وسنرى فيما بعد الاسباب الاخرى التي تجعلنا مخطئين اذا فهمنا من حق تقرير مصير أمة من الامم شيئاً آخر غير حق الوجود كدولة قائمة بذاتها أما الآن فعلياً أن نقف عند هذا السؤال كيف حاولت روزا لوكسمبورغ أن «تتملص» من مجابهة النتيجة

الحتمية القائلة بالاسباب الاقتصادية العميقة للطموح الى انشاء دولة
قومية

تعرف روزا لوكسمبورغ الكراس الذي وضعه كاوتسكي
بعنوان «القومية والاممية» (ملحق "Neue Zeit" (٨٥)
العدد الاول ١٩٠٧-١٩٠٨ الترجمة الروسية في مجلة
«ناوتشنايا ميسل» (٨٦) ريغا ١٩٠٨) معرفة تامة وتعرف
ان كاوتسكي * ، بعد أن حلل مسألة الدولة القومية في الفقرة الرابعة
من هذا الكراس تحليلاً دقيقاً توصل بالنتيجة الى القول بأن اوتو
باور «يستصغر قوة الطموح الى انشاء الدولة القومية» (الصفحة ٢٣ من
الكراس المذكور) وقد اوردت روزا لوكسمبورغ نفسها كلمات
كاوتسكي التالية «ان الدولة القومية هي شكل الدولة الذي ينسجم
أكمل انسجام مع الظروف العصرية» (أي ظروف الرأسمالية
والمدينة والرقي الاقتصادي خلافاً لظروف القرون الوسطى
وعهد ما قبل الرأسمالية ، الخ) ، «وهي الشكل الذي يتهيأ لها فيه
تأدية مهامها بأسهل ما يمكن» (أي مهام افساح المجال امام الرأسمالية
لتتطور الى ابعد حدود الحرية والشمول والسرعة) وعلينا ان نضيف
الى ما تقدم ملاحظة ختامية ، أوفر دقة ، أوردها كاوتسكي ، وهي ان
الدول التي يكون تركيبها القومي بعيداً عن التجانس (أي التي تدعى
بدول القوميات ، خلافاً للدول القومية) تكون «دائماً دولاً ظل تشكيلها
الداخلي لسبب ما ، شاذاً أو ضعيف التطور» (متأخراً) وغني عن
البيان ان كاوتسكي يستعمل هنا لفظة «شاذ» للدلالة فقط على عدم

* عندما أعد لينين ، عام ١٩١٦ ، اعادة طبع هذا المقال أعطى لهذه
الكلمات الملاحظة التالية ونرجو القارىء الا ينسى ان كاوتسكي كان قبل
عام ١٩٠٩ أي قبل صدور كراسه الرائع «الطريق الى السلطة» عدواً
للاتهازية التي لم يأخذ يدافع عنها الا في ١٩١٠-١٩١١ ، ثم في ١٩١٤ -
١٩١٦ باقصى الحزم . الناشر .

التلازم مع ما هو منسجم ومتطلبات الرأسمالية خلال تطورها
انسجاماً أوثق

ورب سائل يقول ولكن ما كان موقف روزا لوكسمبورغ من
هذه الاستنتاجات التاريخية الاقتصادية التي توصل إليها كاوتسكي؟
أعتبرها صحيحة أم مغلوطة؟ ومن من كاوتسكي وبارو على
حق الاول بنظريته التاريخية الاقتصادية، أم الثاني بنظريته القائمة
على اساس نفساني؟ وأية رابطة تجمع بين «انتهازية» باور «القومية»
التي لا مراة فيها، ودفاعه عن استقلال الثقافة القومية الذاتي، وولعه
بالتعصب القومي («تضخيم العوامل القومية هنا وهناك» كما يلاحظ
كاوتسكي) و«مبالغته الشديدة في تقدير شأن العوامل القومية
وتناسيه العوامل الاممية تناسياً تاماً» (كاوتسكي) نقول أية رابطة
تجمع بين هذا كله وبين استصغار باور لقوة الطموح الى انشاء دولة
قومية؟

ان روزا لوكسمبورغ حتى لم تطرح هذا السؤال ولم تلاحظ
هذه الصلة كما انها لم تمنع التفكير في مجموع مفاهيم باور النظرية
ولم تقارن مطلقاً بين النظرية التاريخية الاقتصادية وبين النظرية
النفسانية في قضية القوميات بل اكتفت بايراد الملاحظة التالية ضد
كاوتسكي

«... ان هذه الدولة القومية «المثلى» ليست سوى شيء مجرد يسهل
عرضه نظرياً والدفاع عنه نظرياً، ولكنه غير مطابق للواقع
«Przegląd Socjaldemokratyczny» (٨٧) ١٩٠٨، العدد ٦، ص ٤٩٩.

وللدلالة على صحة هذا التصريح الجازم وتأييده تورد روزا
لوكسمبورغ سلسلة محاكمات تزعم فيها أن تطور الدول الرأسمالية
العظمى والامبريالية يجعلان من «حق تقرير مصير» الشعوب الصغيرة
شيئاً وهمياً. ثم تصيح: «هل نستطيع الكلام جدياً عن «حرية» سكان

الجبل الاسود والبلغاريين والرومانيين والصرب واليونانيين وحتى السويسريين الى حد ما في «تقرير مصيرهم» وكلهم مستقلون صورياً ، ما دام استقلالهم ذاته نتيجة للنضال السياسي ، وللتنافس الديبلوماسي القائم داخل «المجموعة الاوروبية»؟» (الصفحة ٥٠٠) . ان الدولة التي تتلاءم مع الظروف تلاًزماً أكمل «ليست هي الدولة القومية ، كما يتصور كاوتسكي بل هي الدولة المفترسة» وتورد بضع عشرات الارقام عن ضخامة المستعمرات التابعة لانجلترا وفرنسا ، الخ

ويستغرب القارىء فعلاً حين تقع عينه على مثل هذه المحاكمات ، قدرة الكتابة على عدم فهم جوهر القضية ان جهود روزا لوكسمبورغ لتلقين كاوتسكي بلهجة المعلم ان الدول الصغيرة تابعة اقتصادياً للدول الكبيرة وان الصراع بين الدول البرجوازية متواصل لسحق الامم الاخرى بضاوة وان ثمة امبريالية ومستعمرات ، ليست في الحقيقة سوى محاولة صبيانية مضحكة للوعظ والارشاد لان هذه الامور كلها لا تمت بصلة الى الموضوع ان التبعية الاقتصادية الكاملة لسلطان الرأسمال المالي الامبريالي في البلدان البرجوازية «الغنية» ليست شيئاً مقصوداً على الدول الصغرى فقط بل انها تشمل ايضاً اقطاراً كروسيا ولم تكن دويلات البلقان وحدها مستعمرة لاوروبا من الوجهة الاقتصادية ، بل ان اميركا ذاتها كانت كذلك في القرن التاسع عشر على حد ما ذكره كارل ماركس في «رأس المال» كل هذا يعرفه بالطبع كاوتسكي جيداً ويعرفه ايضاً كل ماركسي ولكن اي شأن لنا بكل هذا في بحث مسألة الحركات القومية والدولة القومية ؟

لقد استعاضت روزا لوكسمبورغ عن قضية حرية الامم في تقرير مصيرها السياسي في المجتمع البرجوازي أي قضية استقلالها كدول... بقضية حريتها واستقلالها في الميدان الاقتصادي. ولا شك

أن في هذه المناورة من الذكاء ، ما يشبه تماماً موقف شخص يسعى ، عند مناقشة أحد المطالب الواردة في برنامج من البرامج حول سلطان البرلمان ، أي مجلس ممثلي الشعب في الدولة البرجوازية ، الى تبيان اقتناعه - الصائب طبعاً كل الصواب - بسلطان الرأسمال الضخم في قطر برجوازي ، مهما كان نظامه

ليس من شك لدى أحد أن جزءاً شاسعاً من آسيا ، وهي القارة المأهولة بالسكان أكثر من غيرها واقع في احدى حالتين أما مستعمرات خاضعة «للدول العظمى» وأما دول ممعنة في التبعية وخاضعة للاضطهاد القومي فهل يزعزع هذا الظرف المعروف من الجميع هذا الواقع الذي لا مربية فيه وهو أنه في آسيا ذاتها لم تنشأ شروط تطور الانتاج البضاعي التطور الاكمل ولا شروط نمو الرأسمالية الاكثر حرية واتساعاً وسرعة الا في اليابان أي فقط في دولة قومية مستقلة ؟ ان هذه الدولة هي دولة برجوازية ولذا اخذت هي باضطهاد امم اخرى ، واستعباد مستعمرات لها. ولا ندري اذا كانت آسيا ستنتج ، قبل افلاس الرأسمالية ، في انشاء نظام من دول قومية مستقلة على غرار أوروبا ، أم لا ولكن ثمة شيئاً لا يختلف فيه اثنان هو أن الرأسمالية ، بايقاظها القارة الاسيوية قد اثارت في جميع بقاع آسيا أيضاً حركات قومية تسعى حثيثاً الى انشاء دول قومية وان هذه الدول بالضبط تضمن للرأسمالية أحسن الظروف التي يتطلبها تطورها ان مثال آسيا هو في صالح كاوتسكي ، ضد روزا لوكسمبورغ

ان مثال الدول البلقانية هو ضدها أيضاً فكل منا يرى اليوم أن أحسن الظروف التي يقتضيها تطور الرأسمالية آخذة في التوافر في البلقان وذلك كلما ازداد نشوء دول قومية مستقلة في شبه الجزيرة هذا

وهكذا يتضح ان المثل الذي تضربه البشرية المتمدنة

والمقدمة جمعاء ومثل البلقان ومثل آسيا ، تبرهن على مطلق صحة موضوعة كAUTOSKI - رغم روزا لوكسمبورغ - تلك الموضوعة القائلة بان الدولة القومية هي القاعدة و«النموذج» في النظام الرأسمالي وبأن الدول التي لا تجانس في تركيبها القومي ليست سوى تأخر او استثناء ولا شك في ان الدولة القومية اذا ما نظر اليها من ناحية العلاقات بين الامم تخلق أفضل الشروط لتطور الرأسمالية . ولا شك في أن هذا لا يعني ان مثل هذه الدولة تستطيع في مجال العلاقات البرجوازية أن تقضي على استثمار الامم واضطهادها وكل ما يعنيه هو أن الماركسيين لا يستطيعون اهمال العوامل الاقتصادية القوية التي تولد الطموح الى انشاء دول قومية كما يعني أن «حرية الامم في تقرير مصيرها» لا يمكن أن يكون لها في برنامج الماركسيين ، من الوجهة التاريخية الاقتصادية ، سوى معنى واحد هو حرية تقرير المصير السياسي أي الاستقلال كدولة ، أي انشاء دولة قومية

أما الشروط التي نشترط بها ، من الوجهة الماركسية ، أي من وجهة البروليتاريا الطبقة تأييد المطلب البرجوازي الديمقراطي القائل «بدولة قومية» ، فسنفصل القول فيها بعد حين ، مقتصرين الآن على تعريف مفهوم «حرية تقرير المصير» كما ينبغي علينا أيضاً أن نشير الى أن روزا لوكسمبورغ تعرف ماذا ينطوي عليه هذا المفهوم («الدولة القومية») في حين أن انصارها الانتهازيين من جماعة ليبنم وسيمكوفسكي ويوركيفيتش ، يجهلون حتى هذا الامر !

٢ - وضع القضية وضعاً تاريخياً ملموساً

حين يعمد المرء الى تحليل قضية اجتماعية أياً كانت توجب عليه النظرية الماركسية اطلاقاً أن يضع تلك القضية في نطاق تاريخي معين . كما تشترط عليه أيضاً ، اذا كان الموضوع يدور حول بلد

بمفرده (مثلاً حول البرنامج القومي لهذا البلد) أن يأخذ بعين الاعتبار الخصائص الملموسة التي تميز هذا البلد عن سواه في حدود حقبة تاريخية واحدة معينة

فماذا يعني هذا الشرط المطلق الذي تقول به الماركسية

في حال تطبيقه على القضية التي نعالجها؟

انه يعني بالدرجة الاولى ضرورة التمييز بدقة بين عهدين

من الرأسمالية يختلفان كل الاختلاف من حيث الحركات القومية فهناك من جهة عهد تنهار فيه الاقطاعية والحكم المطلق عهد ينشأ فيه مجتمع ودولة ديموقراطيان برجوازيان وتصبح فيه الحركات القومية ، لأول مرة ، حركات جماهيرية تجذب جميع طبقات السكان نحو السياسة ، بمختلف الاشكال ، سواء عن طريق الصحافة أو عن طريق الاشتراك في الهيئات التمثيلية وغيرهما من الطرق ومن جهة أخرى ، أصبحنا في عهد أكتمل فيه تأسيس الدول الرأسمالية بنظامها الدستوري الموطن منذ زمن طويل ، في عهد تعاضم فيه التنافر بين البروليتاريا والبرجوازية ، في عهد يمكننا تسميته عشية انهيار الرأسمالية

أما ما يميز العهد الاول فهو استيقاظ الحركات القومية التي

يجرف تيارها طبقة الفلاحين - أي الطبقة التي تضم اكبر عدد من السكان والتي «أشد ما يصعب دفعها الى الحركة» بين طبقات السكان في مجرى النضال من أجل الحرية السياسية بصورة عامة ومن أجل الحقوق القومية بصورة خاصة وأما ما يميز العهد الثاني فهو انعدام الحركات البرجوازية الديموقراطية الجماهيرية وسعي الرأسمالية المتطورة التي تقرب وتمزج بين الامم أكثر فأكثر بعد أن اندفعت بهذه الامم بكليتها في حركة التبادل التجاري ، الى وضع التنافر القائم بين الرأسمال الذي اندمج على الصعيد العالمي وبين حركة العمال العالمية ، في الدرجة الاولى من الاهمية

وليس هناك طبعاً ، أي جدار يفصل بين هذين العهدين ، بل
انهما يتصلان ببعضهما بحلقات انتقالية كثيرة على أن هناك عوامل
أخرى تميز بين مختلف الاقطار كسرعة تطورها الوطني وتركيب
سكانها القومي ، وتوزيع هؤلاء السكان ، الخ ولذا لا يمكن اطلاقاً
الشروع بوضع برنامج قومي للماركسيين في بلد من البلدان ، دون
النظر بعين الاعتبار الى جميع هذه الاحوال التاريخية العامة وجميع
الايضاح الملموسة لهذه الدولة

وهنا نلمس أضعف ناحية في محاكمات روزا لوكسمبورغ
فهي تبذل قصارى جهدها لتنميق مقالها بمجموعة من التعابير
«الحازمة» ضد الفقرة التاسعة من برنامجنا ناعته اياها تارة بأنها
«عامّة» جداً وتارة بأنها «عناوين جامدة» وطوراً بأنها «لغو
ميتافيزيائي» وهلم جرأً وطبيعي أن ننتظر من كاتبة تهاجم
الميتافيزياء (بمعناها الماركسي أي نقيض الديالكتيك) والمجردات
العقيمة بمثل هذه الصورة الفذة ، أن تطرفنا بمثال عن بحث القضية
بحثاً تاريخياً ملموساً واذ أن المقصود هنا برنامج الماركسيين
القومي في قطر معين هو روسيا وفي حقبة معينة هي مطلع القرن
العشرين ، فمن المحتمل أن تضع روزا لوكسمبورغ هذا السؤال أية
حقبة تاريخية تجتاز روسيا اليوم وما هي الخصائص الملموسة
التي تتسم بها القضية القومية والحركات القومية ، في هذا البلد
خلال هذه الحقبة ؟

الا أن روزا لوكسمبورغ لا تقول كلمة واحدة تدور حول هذه
الامور ولن تجدوا في مقالها أي أثر لتحليل القضية الموضوعية على
بساط البحث قضية كيف تعالج مسألة القوميات في روسيا ، في
الحقبة التاريخية المشار اليها وما هي الخصائص التي تتميز بها
روسيا في هذا الخصوص

يقال في الرد علينا أن وضع مسألة القوميات في البلقان يختلف
عما هو عليه في ارلنده ، وان مايركس قال كذا وكذا عن الحركتين

القوميتين البولونية والتشيكية في الظروف الملموسة لعام ١٨٤٨ (وتلي ذلك صفحة استشهادات من كتابات ماركس) وان انجلس قال كذا وكذا عن نضال الاقاليم الغابية السويسرية ضد النمسا وعن معركة مورغارتن ، عام ١٣١٥ (وتلي ذلك أيضاً صفحة استشهادات من انجلس ، مقرونة بتعليقات مناسبة من كاوتسكي) وان لاسال كان يصف حرب الفلاحين في المانيا في القرن السادس عشر بأنها حرب رجعية ، الخ

اننا لا نستطيع القول بأن هذه الملاحظات والاستشهادات جاءتنا بشيء جديد. على أن من المفيد عموماً للقارىء أن يتذكر أيضاً وايضاً كيف كان ماركس وانجلس ولاسال على وجه التدقيق يعالجون القضايا التاريخية الملموسة لمختلف البلدان وحين نعيد قراءة استشهادات ماركس وانجلس الجزيلة الفائدة ندرك بكل وضوح المآزق المضحك الذي زجت روزا لوكسمبورغ نفسها فيه تعظ الناس بكل ما اوتيت من فصاحة وغضب بضرورة تحليل مسألة القوميات في مختلف الاقطار والعهود تحليلاً تاريخياً ملموساً ، في حين لا تبدو منها اية محاولة لتحديد ماهية المرحلة التاريخية لتطور الرأسمالية التي تجتازها روسيا في مطلع القرن العشرين ، ولا ماهية خصائص مسألة القوميات في هذا القطر وقد اوردت روزا لوكسمبورغ أمثلة تبين كيف حلل اناس غيرها القضية تحليلاً ماركسياً فكانما تتعمد الاشارة الى أن جهنم كثيراً ما تكون مبلطة بالنيات الحسنة ، وان النصائح الطيبة كثيراً ما تنفع أصحابها لستر أعراضهم عن الاستفادة عملياً من تطبيق تلك النصائح أو لستر عجزهم عن الاخذ بها

هاكم مثلاً احدى المقارنات المفيدة حين تعارض روزا لوكسمبورغ شعار استقلال بولونيا تستشهد بكتابها الصادر في عام ١٨٩٨ ، الذي برهنت فيه على سرعة «تطور بولونيا الصناعي»

بتدليلها أن بولونيا كانت تصرف منتجاتها الصناعية في روسيا
ولسنا بحاجة طبعاً الى القول بأن هذا البرهان لا علاقة له اطلاقاً بعق
حرية تقرير المصير . وانه لا يعني أكثر من زوال بولونيا النبلاء
القديمة الخ غير أن روزا لوكسمبورغ تنتهي دائماً بصورة غير
ملحوظة الى استنتاج يزعم أن العوامل الاقتصادية البحتة في العلاقات
الرأسمالية الحديثة هي التي تتفوق منذ الآن على العوامل الاخرى
التي توحد بين روسيا وبولونيا

ولكن ها هي صاحبتنا روزا تنتقل الى قضية الحكم الذاتي
وتشرع، على الرغم من أن مقالها متوج بعنوان «المسألة القومية والحكم
الذاتي» بشكل عام في اثبات حق المملكة البولونية الاستثنائي في
الحكم الذاتي (انظر بهذا الصدد «بروسفيشينييه» سنة ١٩١٣
العدد ١٢ *). ولكي تؤكد حق بولونيا في الحكم الذاتي ، تعتمد روزا
لوكسمبورغ على مقاييس واضح أنها اقتصادية وسياسية ومعيشية
 واجتماعية لتصف نظام الدولة في روسيا بأنه كتلة من السمات التي
شكل اجتماعها مفهوم «الاستبداد الآسيوي» (العدد ١٢ من
"Przełąd'a" ص ١٣٧)

ان كل واحد يعلم أن نظام دولة كهذا يتمتع بقسط وافر من
الاستقرار في حين تسود في اقتصاد البلاد المعينة السمات البطيركية
الكاملة ، السابقة لعهد الرأسمالية ، وفي حين تطور الاقتصاد البضاعي
في مثل هذه البلاد والتمايز الطبقي تطوراً تافهاً . واذا كانت في مثل
هذه البلاد التي يتصف نظامها السياسي بطابع واضح من عهد ما قبل
الرأسمالية منطقة قومية واضحة الحدود تتطور الرأسمالية فيها
تطوراً سريعاً ، فبقدر ما تتعاطم سرعة هذا التطور الرأسمالي يشد
التناقض بينه وبين نظام الدولة السابق لعهد الرأسمالية ويزداد

بالتالي احتمال انفصال المنطقة المتقدمة عن المجموع لان المنطقة لا تكون مرتبطة بالمجموع بروابط «رأسمالية عصرية» بل بروابط «آسيوية استبدادية»

وهكذا يتبين أن روزا لوكسمبورغ عجزت تماماً حتى عن تحليل قضية البناء الاجتماعي الذي يقوم عليه الحكم في روسيا بالنسبة الى بولونيا البرجوازية أما الخصائص التاريخية الملموسة التي تمتاز بها الحركات القومية في روسيا فهي لم تتعرض حتى الى بحثها وعلينا أن نتوقف عند هذه النقطة

٣ - الخصائص الملموسة لمسألة القوميات في روسيا وتحويل هذا البلد تحويلاً برجوازيًا ديموقراطيًا

تقول روزا لوكسمبورغ في مستهل حملتها على الفقرة التاسعة من البرنامج الماركسي

على الرغم من أن مبدأ «حق الامم في تقرير مصيرها» ذو طابع مطاط ، وعلى الرغم من أنه من الاشياء العامة الصرف ، لانه قابل طبعاً للتطبيق سواء بسواء لا على الشعوب التي تقطن روسيا وحسب ، بل وعلى الامم التي تسكن المانيا والنمسا ، سويسرا واسوج ، اميركا واستراليا ، - فاننا لا نجد في أي برنامج من برامج الاحزاب الاشتراكية المعاصرة ...» (العدد ٦ من "Przegląd'a" ص ٤٨٣)

ولكن روزا لوكسمبورغ اذ تدس لنا فهم هذه الفقرة من البرنامج على أنها لا تخرج عن كونها من «الاشياء العامة الصرف» تقع هي نفسها في الخطأ ذاته حين تصرح بجرأة مضحكة أن تلك الفقرة «قابلة طبعاً للتطبيق سواء بسواء» على روسيا ، وألمانيا الخ . . . وعلى هذا نجيب من الواضح أن روزا لوكسمبورغ أرادت اتحافنا في مقالها بمجموعة من أخطاء المنطق التي تصلح للظهور في

وظائف تلامذة المدارس لان جملة روز، لوكسمبورغ ليست في الواقع غير لغو في القول وتحقير لوضع القضية وضعا تاريخياً ملموساً

فاذا عمدنا الى تفسير البرنامج الماركسي بطريقة ماركسية لا بطريقة صبيانية ، أدركنا بسهولة كلية أنه يتناول الحركات القومية البرجوازية الديمقراطية فاذا كان الامر كذلك - وهو فعلاً كذلك - تبدى طبعاً أن هذا البرنامج ينطبق «بصورة عامة» و«شيء عام» الخ على جميع حالات الحركات القومية البرجوازية الديمقراطية واذا كلفت روزا لوكسمبورغ نفسها عناء التفكير قليلاً لاستنتجت بصورة لا تقل وضوحاً أن برنامجنا لا ينطبق الا على الحالات التي نرى فيها حركات من هذا النوع

ولو تعمقت روزا لوكسمبورغ في هذه الامور الواضحة لادركت بدون عناء كبيراً خرافة نطقت بها لانها اذ تتهمنا فعن بذكر «أشياء عامة» ، تورد ضدنا برهاناً يقوم على عدم ورود أي ذكر لحرية الامم في تقرير مصيرها في برنامج البلدان التي لا توجد فيها حركات قومية برجوازية ديمقراطية. فيا له من برهان ينبع عن ذكاء وقاد! ان مقارنة تطور مختلف الاقطار سياسياً واقتصادياً ومقارنة برامجها الماركسية أيضاً لهي أمر على جانب عظيم من الاهمية في نظر الماركسية لان الطبيعة الرأسمالية العامة في الدول العصرية ، والقانون العام لتطور هذه الدول أيضاً هما أمران لا يختلف فيهما اثنان على أن مثل هذه المقارنة يحتاج الى براعة ومهارة وان الشرط الاول لذلك هو تعيين ما اذا كانت مراحل التطور التاريخية للبلدان التي تجري المقارنة فيما بينها قابلة للمقارنة أم لا. فالجهلاء المطبقون (أمثال الامير تروبتسكوي في مجلة «روسكايا ميسل» (٨٨)) هم الذين يستطيعون وحدهم «المقارنة» بين برنامج الماركسيين الزراعي في روسيا وبين البرامج الزراعية في أوروبا الغربية ، ذلك أن برنامجنا

يعالج تحويلاً **برجوازية ديموقراطية** في مجال الزراعة وهو أمر لا مجال لبحثه اطلاقاً في الاقطار الغربية

وكذلك شأن مسألة القوميات ، فقد تم حلها في معظم البلدان الغربية منذ أزمان بعيدة ومن السخافة أن تطلب ، في برامج الغرب ، معالجة قضايا ليس لها وجود وهنا غاب عن روزا لوكسمبورغ الشيء الاساسي على وجه الضبط وهو الفارق بين البلدان التي تمت فيها التحولات البرجوازية الديموقراطية منذ زمن بعيد وبين البلدان التي لم ينته ذلك فيها بعد

ان جوهر المسألة يستقر في هذا الفارق فان تجاهله التام قد جعل من مقال روزا لوكسمبورغ المطول جداً مجموعة أشياء عامة فارغة لا معنى لها

لقد شمل عهد الثورات البرجوازية الديموقراطية في أوروبا الغربية ، القارية ، فترة معينة الى حد ما من الزمن تمتد تقريباً من عام ١٧٨٩ الى عام ١٨٧١ فكانت تلك الفترة هي الحقبة التي ظهرت فيها حركات قومية ونشأت خلالها دول قومية وقد تحولت أوروبا الغربية في نهاية تلك الحقبة الى نظام متكامل مؤلف من دول برجوازية ، هي كقاعدة عامة ، دول موحدة من الناحية القومية ولذا فان البحث الآن عن حق تقرير المصير في برامج الاشتراكيين بأوروبا الغربية انما يعني جهل ألفباء الماركسية

أما في أوروبا الشرقية وآسيا فلم يبدأ عهد الثورات البرجوازية الديموقراطية الا في عام ١٩٠٥ فالثورات التي نشبت في روسيا وإيران وتركيا والصين والحروب التي وقعت في البلقان ، تشكل سلسلة الاحداث العالمية التي شهدناها عصرنا ، وكان «شرقنا» مسرحاً لها والاعمى وحده لا يرى في تلك السلسلة من الاحداث انطلاق **طائفة كاملة** من الحركات القومية البرجوازية الديموقراطية ، وانبثاق الميول الرامية الى انشاء دول مستقلة

وموحدة من الناحية القومية فما دامت روسيا والدول المجاورة لها ، تجتاز اليوم هذه المرحلة فاننا نجد من الضروري ، لهذا السبب على وجه التدقيق ولهذا السبب وحده أن يتضمن برنامجنا فقرة خاصة بحق الامم في تقرير مصيرها ولكن لتتابع قليلاً تلاوة المقطع الوارد آنفاً من مقال روزا لوكسمبورغ ؛ تقول الكاتبة

«... وبصورة خاصة ، أن برنامج الحزب الذي يعمل في دولة ذات تركيب قومي متباين جداً والذي تحتل مسألة القوميات في نظره مركزاً من الدرجة الاولى ، اي برنامج الاشتراكية-الديموقراطية النمساوية ، لا يتضمن مبدأ حق الامم في تقرير مصيرها» (المصدر نفسه)

وهكذا يبدو أن كاتبتنا تود اقناع القارىء معتمدة على مثال النمسا «بصورة خاصة». فلنبحث من وجهة النظر التاريخية الملموسة فيما اذا كان هذا المثال يحتوي كثرة من الاشياء المعقولة لنبسط اولاً القضية الاساسية ، قضية اتمام الثورة البرجوازية الديموقراطية لقد بدأت هذه الثورة في النمسا عام ١٨٤٨ وانتهت في عام ١٨٦٧ فمنذ حوالي نصف قرن يسود في هذه البلاد دستور برجوازي ثبت بصورة عامة ويعمل على أساسه حزب عمالي علني بصورة علنية

فاذا نظرنا الى ظروف تطور النمسا الداخلية (أي من وجهة تطور الرأسمالية في النمسا بصورة عامة وفي كل من الامم التي تتألف منها بصورة خاصة) لهما رأينا عوامل تدعو الى حدوث قفزات يمكن أن يرافقها - في جملة ما يرافقها - انشاء دول قومية مستقلة وان روزا لوكسمبورغ عندما تفترض بمقارنتها تلك أن روسيا تعيش ظروفًا مماثلة لظروف النمسا في هذه الناحية لا تتبنى فرضية خاطئة في أساسها ومناقضة للتاريخ فحسب بل تنزل كذلك الى أفكار التصفوية من حيث لا تدري .

ثانياً ان اختلاف النسب بين القوميات في النمسا اختلافاً تاماً عنه في روسيا من حيث القضية موضوع بحثنا يتسم بأهمية كبيرة خاصة. فلم تكن النمسا مجرد دولة تفوق الالمان فيها من حيث العدد مدة مديدة من الزمن فحسب ، بل ان الالمان النمساويين طمحووا كذلك الى بسط زعامتهم على الامة الالمانية كلها ولعل روزا لوكسمبورغ (التي لا تحب كثيراً على حد زعمها الاشياء العامة والكليشيهات والمجردات .) تفضل وتذكر بأن ذلك «الطموح» قضي عليه في حرب ١٨٦٦ وهكذا فان الامة الالمانية السائدة في النمسا قد وجدت نفسها خارج الدولة الالمانية المستقلة التي تكونت نهائياً في عام ١٨٧١ ومن جهة أخرى تحطمت محاولة المجرين تأسيس دولة قومية مستقلة منذ عام ١٨٤٩ تحت ضربات الجيش الاقطاعي الروسي

وعلى هذا النحو نشأت عن ذلك حالة في غاية الاصلالة فالمجريون ومن ثم التشيكيون اخذوا يميلون الى المحافظة على وحدة النمسا ويبتعدون عن الانفصال عنها وذلك على وجه الدقة حفظاً على الاستقلال القومي الذي يتهدهه جوار أكثر نهما وأشد بأساً فتكونت في النمسا نتيجة هذه الحالة الاصلية دولة ذات قطبين (ثنائية) وهي آخذة اليوم في التحول الى دولة ذات ثلاثة اقطاب (ثلاثية الالمان والمجريون والسلاف)

فهل في روسيا ما هو شبيه بذلك ؟ هل تميل القوميات غير الروسية عندنا الى الاتحاد مع الروس تجنباً لاضطهاد قومي أعنف مما يقاسونه الآن ؟

يكفينا طرح هذا السؤال حتى نتبين ما تنطوي عليه المقارنة بين روسيا والنمسا في مجال حق الامم في تقرير مصيرها من سخافة وابتذال وجهل

ان ظروف روسيا الخاصة فيما يتعلق بمسألة القوميات مناقضة تماماً لما رأيناه في النمسا . فروسيا دولة ذات قطب قومي

واحد روسي ويشغل الروس فيها بقعة واحدة شاسعة جداً من الارض ويبلغ عددهم ما يقارب السبعين مليوناً ولهذا الدولة القومية ميزات خاصة أولاها - ان القوميات غير الروسية (التي تؤلف بالاجمال أكثرية السكان أي ٥٧ بالمئة) تقطن البقاع الواقعة بالضبط على أطراف البلاد وثانيها - ان الاضطهاد الذي تعانيه تلك القوميات غير الروسية لاشد قسوة بكثير مما هو في الدول المجاورة (وليس في الدول الاوروبية منها فقط) وثالثها - ان القوميات المضطهدة المظلومة القاطنة في أطراف روسيا ترى في كثير من الحالات القاطنين في الجانب الآخر من الحدود أبناء قومها يتمتعون باستقلال قومي أوسع مما تتمتع به هي (ويكفي أن نذكر على سبيل المثال الفنلنديين والاسوجيين والبولونيين والاوكرانيين والرومانيين على حدود الدولة الغربية والجنوبية) ورابعها - ان تطور الرأسمالية والمستوى الثقافي العام هما في حالات غير نادرة أكثر تقدماً في الاقاليم غير الروسية الواقعة على الاطراف منهما في وسط البلاد وآخرها - اننا نشهد في الدول الاسيوية المجاورة بالذات فاتحة عهد ثورات برجوازية وحركات قومية تشمل الى حد ما القوميات القائمة داخل روسيا والتي تربطها معها رابطة القرابة

وهكذا فان خصائص مسألة القوميات في روسيا أي خصائصها التاريخية الملموسة هي التي تفرض علينا بالحاح عظيم أن نعترف في المرحلة التي نجتازها بحق الامم في تقرير مصيرها ومن جهة أخرى ، حتى اذا أخذنا بعين الاعتبار الوقائع وحدها ليس من الصحيح ما تؤكده روزا لوكسمبورغ من أن الاعتراف بحق الامم في تقرير مصيرها غير وارد في برنامج الاشتراكيين-الديموقراطيين النمساويين يكفي القاء نظرة على محاضر مؤتمر برون الذي أقر البرنامج القومي (٨٩) ، حتى نطلع على التصريحات

التي ادلى بها كل من الاشتراكي-الديموقراطي الروسي * غانكيفيتش باسم مجموع الوفد الاوكراني (الروسي) (صفحة ٨٥ من المحاضر) ، والاشتراكي-الديموقراطي البولوني ريغر باسم مجموع الوفد البولوني (صفحة ١٠٨) وقد جاء في تلك التصريحات أن الاشتراكيين-الديموقراطيين النمساويين في الامتين المذكورتين آنفا ، يصبون فيما يصبون الى تحقيق وحدة شعبيهم القومية وحرتهما واستقلالهما فعلى الرغم من أن الحزب الاشتراكي-الديموقراطي النمساوي لم يذكر صراحة في برنامجه حق الامم في تقرير مصيرها فهو يقبل عن طيبة خاطر مناداة بعض فئاته بمطلب الاستقلال القومي وهذا يعني عملياً بطبيعة الحال الاعتراف بحق الامم في تقرير مصيرها ومن هنا يتضح ان استشهاد روزا لوكسمبورغ بمثل النمسا ينقلب على روزا لوكسمبورغ من جميع الوجوه

٤ - «الروح العملي» في مسألة القوميات

تلقف الانتهازيون بحمية خاصة برهان روزا لوكسمبورغ الذي زعمت فيه أن الفقرة التاسعة من برنامجنا لا تحوي شيئاً «عملياً» ويظهر أن روزا لوكسمبورغ مغتبطة بهذا البرهان الى درجة أنها رددت أحياناً هذا «الشعار» في مقالها ثمانى مرات في الصفحة الواحدة . تقول روزا لوكسمبورغ «ليس» في الفقرة التاسعة «اي توجيه عملي لسياسة البروليتاريا اليومية وأي حل عملي للقضايا القومية»

لندرس هذا البرهان الوارد أيضاً على الصورة التالية اما أن الفقرة التاسعة لا تعني شيئاً على الاطلاق وأما أنها تفرض تأييد جميع الاماني القومية

* الروسيون ، هكذا كانوا يسمون فيما مضى السكان الاوكرانيين في غاليسيا ومنطقة جبال الكاربات وبوكوفينا . **الناشر .**

فماذا يعني مطلب «الروح العملي» في مسألة القوميات ؟
 انه يعني أما تأييد جميع الاماني القومية وأما الجواب «بلا
 أو نعم» على قضية انفصال كل أمة وأما بصورة عامة ، «امكانية
 تحقيق» المطالب القومية مباشرة
 فلنمعن النظر في جميع هذه المعاني الثلاثة الممكنة لمطلب
 «الروح العملي» .

ان البرجوازية التي تتزعم بطبيعة الحال ، كل حركة قومية ،
 في بداءتها تصف تأييد جميع الاماني القومية بأنه أمر عملي الا
 أن سياسة البروليتاريا في المسألة القومية (شأنها في سائر القضايا
 الاخرى) لا تؤيد البرجوازية الا في اتجاه معين ، دون أن تكون اطلاقاً
 ماثلة لسياستها فالطبقة العاملة لا تؤيد البرجوازية الا في صالح
 السلم القومي (الذي تعجز البرجوازية عن توفيره كاملاً والذي
 لا يمكن تحقيقه الا بقدر ما تسود الديمقراطية سيادة تامة) بغية
 المساواة في الحقوق ، بغية تهيئة أفضل جو ممكن للنضال الطبقي
 ولذا على وجه الضبط تعارض البروليتاريا في حقل مسألة القوميات
الروح العملي البرجوازي بسياسة مبدئية ، ولا تدعم البرجوازية الا
ضمن شروط معينة ان كل برجوازية تطمح في حقل مسألة
 القوميات اما الى الحصول على امتيازات لامتها واما الى تحقيق
 فوائد استثنائية لها وهذا ما تقصده «بالروح العملي» في حين
 أن البروليتاريا هي ضد كل امتياز وضد كل استثناء فمطالبة
 البروليتاريا بأن تكون «عملية» معناها السير تحت كنف البرجوازية
 والانغماس في الانتهازية

أما الاجابة «بلا أو نعم» على قضية انفصال كل أمة فتبدو أنها
 مطلب جد «عملي» ولكنه في الواقع مطلب سخيف ميتافيزيائي
 النزعة من الوجهة النظرية ، فيؤدي الى اخضاع البروليتاريا لسياسة
 البرجوازية من الوجهة العملية . فالبرجوازية تضع دائماً مطالبها

القومية في مقدمة الاهداف وتضعها بلا قيد ولا شرط في حين أن هذه المطالب تخضع في نظر البروليتاريا لمصالح النضال الطبقي ولا يستطاع من الوجة النظرية التأكيد مسبقاً أن انفصال هذه الامة عن تلك أو مساواتها في الحقوق مع أمة أخرى هو الذي سيتم الثورة البرجوازية الديمقراطية فمن المهم للبروليتاريا في **كلا العالمين** تأمين تطور طبقتها ، أما البرجوازية فتتهم بعرقلة هذا التطور ، بالقاء أهدافه وراء أهداف أمة «ها» ولذلك تقتصر البروليتاريا على مطلب الاعتراف **بحق** تقرير المصير بشكل سلبي اذا صح التعبير دون أن تضمن شيئاً لاية أمة ، ودون أن تقطع على نفسها عهداً بمنح **أي شيء على حساب أمة اخرى**

قد يكون هذا غير «عملي» فليكن ولكنه خير ضامن في الواقع لاوسع الحلول الممكنة ديموقراطية ان هذه الضمانات **وحدها** هي التي تحتاج اليها البروليتاريا . أما ما تحتاجه برجوازية كل أمة فهو ضمان مصالحها دون الاهتمام باوضاع الامم الاخرى (ولو على حساب هذه)

ان أخص ما يهم البرجوازية هو «امكانية تحقيق» مطلب معين بالذات وهذا ما يدفعها على الدوام الى انتهاج سياسة المساومات مع برجوازيات الامم الاخرى على حساب البروليتاريا أما البروليتاريا فيهمها أن تقوي طبقتها ضد البرجوازية وأن تربي الجماهير بروح الديمقراطية المنسجمة وبروح الاشتراكية

قد يكون هذا غير «عملي» في نظر الانتهازين فليكن بيد أن هذا هو في الواقع الضمانة الوحيدة التي تؤمن أوفر قسط من المساواة القومية والسلم القومي ، رغم أنف الاقطاعيين ، والبرجوازية المفعمة بروح **التعصب القومي** أيضاً

ان كل المهمة الملقة على عاتق البروليتاريا في مسألة القوميات ليست بالشيء «العملي» في نظر البرجوازية المفعمة بروح **التعصب**

القومي في كل أمة لان البروليتاريين يتطلبون مساواة «مجردة» في الحقوق وانعدام الامتيازات من حيث الاساس مهما كانت طفيفة فهم أعداء لكل تعصب قومي وان روزا لوكسمبورغ لم تفهم هذا فأعنت في تمجيد الروح العملي بلا حساب ففتحت الباب على مصراعيه أمام الانتهازين على وجه الضبط ولا سيما أمام التنازلات الانتهازية للتعصب القومي الروسي

لماذا نقول الروسي ؟ نقول ذلك لان الروس في روسيا هم الامة المضطهدة الظالمة ومن الطبيعي أن تتجلى الانتهازية في الحقل القومي بأشكال مختلفة لدى الامم المضطهدة والامم المضطهدة فبرجوازية الامم المضطهدة تدعو البروليتاريا باسم «طابع» مطالبيها «العملي» الى مناصرة أمانيتها دون أي تحفظ وأفضل موقف عملي لديها هو القول «نعم» صراحة هو الموافقة على انفصال أمة بعينها لا الموافقة على حق انفصال جميع الامم أيا كانت

ولكن البروليتاريا لا توافق على هذا المفهوم «العملي» وهي تعترف بالمساواة في الحقوق وتقر لجميع الامم حقاً متساوياً في انشاء دولة قومية ولكنها تضع مصلحة التحالف بين البروليتاريين في جميع الامم فوق كل اعتبار آخر وتنظر الى كل مطلب قومي والى كل انفصال قومي على ضوء نضال العمال الطبقي وهكذا يتبين أن شعار الروح العملي ليس في الواقع الا شعار تبني امانى البرجوازية بدون نقد أو تمحيص

ثمة من يقول لنا انكم بتأييدكم حق الانفصال تؤيدون نزعة التعصب القومي البرجوازي لدى الامم المضطهدة هكذا تزعم روزا لوكسمبورغ وهكذا يردد بعدها في صحيفة التصفويين الانتهازي سيمكوفسكي الممثل الوحيد - ونقول هذا بالمناسبة - لأراء التصفويين حول هذا الموضوع

ونحن نجيب كلا ان البرجوازية هي التي يهملها هنا الحل «العملي» أما العمال فيهمهم التمييز هيدئياً بين اتجاهين **فطالما** تناضل برجوازية الامة المضطهدة ضد الامة المتسلطة فنحن معها دائماً وابدأ ، في جميع الظروف ، بعزيمة تفوق تأييد الآخرين جميعاً ، لاننا ألد أعداء الاضطهاد نكافحه بجرأة واستقامة و طالما تعمل برجوازية الامة المضطهدة في سبيل تعصبها القومي البرجوازي فنحن ضدها أي اننا نقاوم امتيازات الامة المتسلطة الظالمة وأعمالها العنيفة من جهة ولا نتسامح مطلقاً مع سعي الامة المضطهدة وراء الامتيازات

وإذا لم نرفع شعار حق الانفصال ولم نجعله موضوعاً من مواضيع التحريض فاننا لا نخدم مآرب البرجوازية وحسب ، بل نخدم أيضاً مآرب الاقطاعيين واستبداد الامة **المتسلطة الظالمة** وقد أورد كاوتسكي هذا البرهان ضد روزا لوكسمبورغ منذ زمن طويل ، وهو برهان قاطع لا يدحض فروزا لوكسمبورغ حين ترفض الاعتراف بحق الانفصال الذي تضمنه برنامج ماركسيي روسيا وتخشي «مساعدة» البرجوازية القومية البولونية انما تساند عملياً غلاة القوميين الروس من جماعة المائة السود انها تساعد عمليا المصالحة الانتهازية مع امتيازات الروس (أو مع ما هو شر من تلك الامتيازات)

ان روزا لوكسمبورغ حين اندفعت في نضالها ضد نزعة التعصب القومي في بولونيا قد نسيت نزعة التعصب القومي لدى الروس على الرغم من أن هذه النزعة هي الآن الاكثر خطراً أي أنها أقل برجوازية وأشد اقطاعية وأنها هي العائق الاساسي في وجه الديموقراطية والنضال البروليتاري ان كل نزعة قومية برجوازية في أمة مظلومة تتضمن مضموناً ديموقراطياً عاماً ينتصب ضد الاضطهاد . وهذا المضمون هو الذي تؤيده تأييداً تاماً ، مميزين في

الوقت نفسه ، بدقة بالغة ، كل ميل الى الاستئثار القومي ، وناضل ضد سعي البرجوازي البولوني الى سحق اليهودي الخ ، الخ ان هذا غير «عملي» في نظر البرجوازي والمرء التافه الضيق الافق ولكنه في مسألة القوميات هو السياسة العملية الوحيدة السياسة المبدئية ، السياسة التي تدعم فعلاً الديمقراطية والحرية واتحاد البروليتاريا الاعتراف للجميع بحق الانفصال وتقدير كل قضية ملموسة تمت الى الانفصال ، من وجهة نظر تستبعد كل اخلال بالمساواة وكل امتياز واستئثار

لنأخذ حالة الامة المضطهدة الظالمة فهل يستطيع شعب أن يكون حراً اذا كان يضطهد شعوباً أخرى ؟ كلا فان مصلحة حرية السكان * الروس تقضي بمقاومة ذلك الاضطهاد . ولكن تاريخاً طويلاً من قمع حركات الامم المضطهدة خلال العديد من الاجيال ، والدعاوة المنتظمة المتواصلة التي تقوم بها الطبقات «العليا» في تأييد هذا القمع ، قد خلقت في الشعب الروسي أوهاماً وآراء خاطئة الخ تشكل عوائق كبرى أمام قضية حريته نفسه

ان هؤلاء الروس من جماعة المائة السود يغذون تلك الاوهام ويذكون نارها عن وعي وادراك وتوافق البرجوازية الروسية على هذه الاوهام أو تتكيف معها . ولذا لا تستطيع البروليتاريا الروسية تحقيق أهدافها الخاصة بها ولا تتمكن من شق طريقها نحو الحرية الا بمكافحة تلك الاوهام مكافحة منتظمة مستمرة

* ان هذه الكلمة لا تبدو ماركسية بنظر المدعو ل . فل من باريس ، فهذا السيد هو "superklug" (وهو ما يمكن ترجمته بصورة ساخرة «بعقري العباقرة») بطريقة مضحكة ويبدو أن «بعقري العباقرة» ل . فل ينوي كتابة بحث عن ضرورة نفي كلمات «السكان» ، «الشعب» ، الخ . من برنامجنا الادني (من وجهة نظر النضال الطبقي !) .

ان أمر انشاء دولة قومية مستقلة ، قائمة ، لا يزال حتى الآن في روسيا امتيازاً تتمتع به الامة الروسية وحدها دون غيرها أما نحن البروليتاريين الروس فلا ندافع عن أية امتيازات مهما كان نوعها ولا ندافع بالتالي عن هذا الامتياز اننا نناضل في نطاق دولة معينة ونعمل على توحيد صفوف عمال جميع الامم القاطنة داخل نطاق دولة معينة وليس بإمكاننا أن نضمن هذه الطريق او تلك في التطور القومي لكننا نسلك جميع الطرق الممكنة للوصول الى هدفنا الطبقي

غير أنه لا يمكن السير نحو هذا الهدف بدون محاربة نزعات التعصب القومي على اختلافها وبدون الدفاع عن المساواة بين مختلف الامم لناخذ أوكرانيا مثلاً فهل كتب لها ان تنشئ دولة مستقلة ؟ ان ذلك يتعلق بألف عامل غير معروف مسبقاً ودون أن نحاول «التعمين» عبثاً ، نتمسك بثبات بأمر لا ريب فيه ، هو حق أوكرانيا في انشاء دولة قومية اننا نحترم هذا الحق ولا نؤيد امتيازات الروسيين على الاوكرانيين ونثقف الجماهير بروح الاعتراف بهذا الحق ، وبروح انكار الامتيازات لاية أمة كانت في انشاء الدولة . ان الاصطدامات والنضالات بسبب حق الوجود كدولة قومية هي أمر ممكن الحدوث ، ومحتمل الوقوع ، خلال القفزات التي عرفتها جميع البلدان في مرحلة الثورات البرجوازية ونحن البروليتاريين ، نعلن مسبقاً ، اننا خصوم لامتيازات القومية الروسية ، وفي هذا الاتجاه نركز كل دعاوتنا ونشاطنا التحريضي

وحين سارت روزا لوكسمبورغ حثيثاً وراء «الروح العملي» اغفلت المهمة العملية الرئيسية التي تواجه بروليتاريا الامة الروسية وبروليتاريا الامم الاخرى مهمة القيام يومياً بدعاوة ونشاط تحريضي ضد كل امتياز قومي في الدولة ، وفي سبيل تمتع الامم كافة بحقها ، بحقها المتساوي في انشاء دولها القومية . وهذه

المهمة هي هدفنا الرئيسي (حالياً) في مسألة القوميات لاننا بهذه الصورة فقط ندافع عن مصالح الديمقراطية ومصالح تحالف جميع البروليتاريين من جميع الامم أيا كانت على اساس المساواة في الحقوق

ولن يضيرنا شيء اذا كانت تلك الدعاوة «غير عملية» في نظر الطغاة الروس أو في نظر برجوازية الامم المضطهدة (ان هؤلاء واولئك يلحون في طلب جواب دقيق نعم أم لا ويتهمون الاشتراكيين-الديمقراطيين ب«عدم الدقة») غير أن هذه الدعاوة هي وحدها التي تؤمن فعلاً تربية الجماهير تربية ديمقراطية حقاً واشتراكية حقاً وهذه الدعاوة وحدها هي التي تضمن أفضل الامكانيات وأوسعها لتوطيد السلم القومي في روسيا ، اذا ظلت هذه البلاد دولة متباينة التركيب القومي كما تضمن تقسيمها تقسيماً سلمياً الى اقصى حد (ولا يؤدي نضال البروليتاريا الطبقي) الى عدد من الدول القومية اذا وضعت قضية هذا التقسيم على بساط البحث

ولكى نشرح هذه السياسة شرحاً ملموساً أكثر باعتبارها السياسة البروليتارية الوحيدة في مسألة القوميات سنعمد الى درس موقف الليبرالية الروسية من «حرية الامم في تقرير مصيرها» ، والى معالجة المثل الذي ضربه انفصال النروج عن اسوح

٥ - البرجوازية الليبرالية والانتهازيون الاشتراكيون ومسألة القوميات

رأينا فيما تقدم أن روزا لوكسمبورغ كانت تعتبر برهانها التالي احدي «الاوراق الاربعة» الرئيسية التي تستعين بها في كفاحها

ضد برنامج الماركسيين في روسيا ، وهو ان الاعتراف بحق تقرير المصير انما يعني تأييد التعصب القومي البرجوازي لدى الامم المضطهدة وتضيف قائلة ومن جهة أخرى ، اذا لم يكن المقصود من هذا الحق الا النضال ضد كل عنف يصيب الامم فلا فائدة من ادراج بند خاص في البرنامج لان الاشتراكيين-الديموقراطيين يقاومون عموماً كل عنف قومي وكل تباين في المساواة القومية

ان البرهان الاول - كما أشار كاوتسكي بصورة لا تدحض منذ ما يقرب من عشرين عاماً - يعزي التعصب القومي الى الآخرين أي أن روزا لوكسمبورغ خوفاً من نزعة التعصب القومي لدى برجوازية الامم المضطهدة ، تخدم ، في الواقع ، أغراض غلاة القوميين الرجعيين الروس جماعة المائة السود أما البرهان الثاني فليس هو في الاساس الا تهرباً وجلاً من الاجابة على السؤال التالي أيتضمن الاعتراف بالمساواة القومية اعترافاً بحق الانفصال أم لا ؟ فاذا كان الجواب نعم فمعنى ذلك أن روزا لوكسمبورغ تعترف بصواب الفقرة التاسعة من برنامجنا من حيث المبدأ واذا كان لا فمعناه انها لا تعترف بمساواة الامم في الحقوق أما التهرب والمواربة فلا يفيدان شيئاً !

غير أن ثمة طريقة فضلى لتمحيص البراهين الواردة اعلاه وكل ما شابها هي دراسة موقف كل طبقة من طبقات المجتمع من هذه القضية ان هذا التمحيص أمر اجباري بالنسبة الى كل ماركسي ينبغي الانطلاق من الموضوعي ينبغي النظر الى العلاقات القائمة بين الطبقات فيما يتعلق بالقضية المطروحة ولكن روزا لوكسمبورغ أهملت ذلك مما أدى الى ارتكابها أخطاء الميترفيزياء والتجريد والاخذ بالاشياء العامة والعموميات ، الخ وهي أخطاء تحاول عبثاً الصاقها بخصومها .

ان القضية المراد بحثها هنا هي برنامج ماركسيي روسيا اي ماركسيي جميع القوميات في روسيا اقليس من الضروري امعان النظر في موقف الطبقات المسيطرة في روسيا ؟

كل يعرف موقف «البيروقراطية» (ونعتذر لاستعمال هذا التعبير غير الدقيق) ، وموقف الملاكين العقاريين الاقطاعيين من طراز النبلاء المتحدين (٩٠) انه انكار مطلق للمساواة في الحقوق بين القوميات ولحق تقرير المصير على السواء ، انه الشعار القديم الموروث عن عهد القناة اوتوقراطية ، ارثوذكسية ، قومية - مع العلم أن المقصود هنا القومية الروسية فقط - حتى ان الاوكرانيين يُنعتون ببناء «عرق آخر» ، وتضطهد لغتهم القومية

ولننظر من ثم الى البرجوازية الروسية «المدعوة» الى الاشتراك ولو بصورة متواضعة جداً في الحكم والتشريع والادارة ، المنبثقة عن انقلاب «٣ حزيران» (يونيو) (٩١) اننا لسنا بحاجة الى التوقف كثيراً لاعطاء البرهان على ان «الاکتوبريين» (٩٢) يسرون هنا فعلاً وراء أنصار اليمين ومن المؤسف أن بعض الماركسيين لا يعيرون موقف البرجوازية الليبرالية الروسية أي التقديمين (٩٣) والكاڊيت ، الاهتمام الكافي مع أن كل من لا يمحس هذا الموقف ولا يتعمق فيه لا بد له حين مناقشة حق الامم في تقرير مصيرها ، أن يقع في خطأ التجريد والتأكيد الرخيص

ان المناظرة التي دارت في العام الماضي بين «البرافدا» و«ريتش» (٩٤) أرغمت هذه الصحيفة الرئيسية للحزب الدستوري - الديموقراطي (الكاڊيت) البارعة في فن التخلص من الاجابة صراحة على الاسئلة «المزعجة» بأساليب ديبلوماسية ، أرغمتها على الافضاء مع ذلك ببعض الاعترافات الثمينة وكانت المناسبة لاشعال النار في البارود مؤتمر الطلاب لعامة اوكرانيا الذي عقد في صيف

عام ١٩١٣ في مدينة لفوف (٩٥) فقد نشر يومئذ السيد موغيليانسكي «الخبير الموصوف بالشؤون الاوكرانية» والمحرر الاوكراني في جريدة «ريتش» مقالاً هاجم فيه هجوماً مقدعاً («هذيان»، «روح مغامرة»، الخ.) فكرة انفصال أوكرانيا الفكرة التي دافع عنها الاشتراكي-القومي دونتسوف والتي أقرها المؤتمر المذكور آنفاً

أما جريدة «رابوتشايا برافدا» (٩٦) فلم تظهر أي تضامن مع السيد دونتسوف وبعد أن أشارت صراحة الى أنه اشتراكي - قومي والى أن عدداً كبيراً من الماركسيين الاوكرانيين لا يشاطرونه وجهات نظره عمدت مع ذلك الى القول بأن لهجة «ريتش» أو بالاحرى أسلوبها في طرح القضية مبدئياً ، خال تماماً من التهذيب ولا يقبل صدوره عز، ديموقراطي روسي أو على الاقل عن رجل يطمح الى الظهور بمظهر الديموقراطي ثم قالت ان «لريتش» ملء الحق في أن تفند أقوال السادة دونتسوف واضرابه ولكن لا يمكن التسليم مبدئياً بأن تنسى صحيفة روسية تدعي أنها لسان حال الديموقراطية ، حرية الانفصال وحق الانفصال

وبعد انقضاء عدة أشهر كتب السيد موغيليانسكي مقالاً في العدد ٣٣١ من «ريتش» أعطى فيه بعض «الايضاحات» بعد أن اطلع في الجريدة الاوكرانية «شلياخي» (٩٧) الصادرة في لفوف على الاعتراضات التي أبداه السيد دونتسوف والتي أشار في جملتها الى أن «الصحافة الاشتراكية-الديموقراطية الروسية هي وحدها التي قبحت (وصمت بالعار؟) كما يجب غارة «الريتش» الشوفينية» أما «ايضاحات» السيد موغيليانسكي فقد اقتصرت على التريديد ثلاثاً «ان انتقاد وصفات السيد دونتسوف» «لا علاقة له البتة بنفي حق الامم في تقرير مصيرها» ومما كتبه السيد موغيليانسكي

« ينبغي القول أن «حق الامم في تقرير مصيرها» ليس هو أيضاً شيئاً مقدساً (اصغوا جيداً !!) لا يتناوله الانتقاد ان الاجراء الموبوءة التي تحيط بحياة أمة من الامم يمكنها أن تولد ميولاً موبوءة في قضية حرية الامم في تقرير مصيرها فالكشف عن تلك الميول ، لا يعني ، بعد ، نكران حق الامم في تقرير مصيرها»

ان هذه الكلمات التي تدور حول «الاشياء المقدسة» والتي يكتبها أحد الليبراليين تتفق تماماً - كما ترون - مع جوهر اقوال روزا لوكسمبورغ وقد كان واضحاً ان السيد موغيليانسكي يريد التهرب من الرد مباشرة على السؤال التالي أيعترف بحق تقرير المصير السياسي أى بحق الانفصال أم لا ؟

ولذا طرحت صحيفة «بروليتارسكايا برافدا» (٩٨) ذلك السؤال ذاته عليه وعلى الحزب الدستوري - الديموقراطي * ، صراحة ، في عددها الرابع بتاريخ ١١ كانون الاول (ديسمبر) من عام ١٩١٣ عندئذ نشرت جريدة «ريتش» (العدد ٣٤٠) بياناً غير موقع أي موضوعاً رسمياً باسم هيئة التحرير يتضمن الجواب على هذا السؤال ويمكن تلخيصه في نقاط ثلاث

١ - ان برنامج الحزب الدستوري - الديموقراطي يذكر في فقرته الحادية عشرة «حق الامم في حرية تقرير مصيرها الثقافي» بكل صراحة ودقة ووضوح

٢ - ان «بروليتارسكايا برافدا» - على حد زعم «ريتش» - «تخلط» بين حرية تقرير المصير وبين الميل الى الانفصال أي انفصال هذه أو تلك من الامم «خلطاً لا يدع أملاً لاصلاحه»

* راجعوا لينين «الكاديت و«حق الشعوب في تقرير مصيرها»» .
الناشر .

٣- «ان الدستوريين - الديموقراطيين لم يعمدوا ، فعلاً ، في يوم من الايام ، الى الدفاع عن حق «الامم في الانفصال» عن الدولة الروسية». (انظر مقال «الليبيرالية القومية وحق الامم في تقرير مصيرها» المنشور في «بروليتارسكايا برافدا» العدد ١٢ ٢٠ كانون الاول - ديسمبر - ١٩١٣)

لننتبه أولاً الى النقطة الثانية في بيان «ريتتش» فبأي جلاء تبين لحضرات سيمكوفسكي وليبنم ويوركيفيتش وغيرهم من الانتهازيين أن صححتهم وأقوالهم بشأن «قلة الوضوح» أو «قلة الدقة» التي ينطوي عليهما ، حسب زعمهم ، معنى كلمات «حرية تقرير المصير» ليست في الواقع أي من حيث النسبة الموضوعية بين الطبقات وفي النضال الطبقي في روسيا - سوى مجرد ترديد للخطب التي تلقيها البرجوازية الملكية الليبيرالية

وحين طرحت «بروليتارسكايا برافدا» على حضرات «الدستوريين - الديموقراطيين» المستنيرين من جماعة «ريتتش» ، هذه الاسئلة الثلاثة ١ - هل ينكرون أن المقصود من حرية الامم في تقرير مصيرها كان ، في كل تاريخ الديموقراطية العالمية ولا سيما منذ النصف الثاني للقرن التاسع عشر يعني بالضبط حرية تقرير مصيرها السياسي وحقها في انشاء دولة قومية مستقلة ؟ ٢ - وهل ينكرون أن القرار المعروف الصادر عن مؤتمر لندن الاشتراكي العالمي المنعقد في عام ١٨٩٦ كان يتضمن ذلك المعنى ذاته ؟ ٣ - وهل ينكرون أخيراً أن بليخانوف ، الذي كتب عن حرية تقرير المصير منذ عام ١٩٠٢ ، لم يكن يقصد بذلك غير حرية تقرير المصير السياسي ؟ نقول ، حين طرحت «بروليتارسكايا برافدا» هذه الاسئلة الثلاثة ، لزّم السادة الكاديت الصمت التام !!

لقد اعتصوا بالصمت ولم يجيبوا بكلمة واحدة لانه لم يكن لديهم ما يقولونه أي انهم اضطروا الى الاعتراف باطنا بأن «بروليتارسكايا برافدا» كانت على حق تماماً .

ان صيحات الليبراليين الزاعمة أن مفهوم «حرية تقرير المصير» خال من الوضوح وان الاشتراكيين-الديموقراطيين «يخلطون» بينه وبين الميل الى الانفصال «خلطاً لا يدع أملاً لاصلاحه»، ما هي الامسعى يهدف الى تشويش القضية وبلبلتها والتهرب من الاعتراف بهذا المبدأ الذي أقرته الديموقراطية عموماً ولو كان السادة سيمكوفسكي وليبن وبيوركيفيتش وأمثالهم أقل جهلاً لنجحوا من التفوه أمام العمال بآراء مفعمة بالروح الليبرالي

ولكن لتتابع كلامنا ان «بروليتارسكايا برافدا» قد أرغمت «ريتش» على الاعتراف بأن كلمات حرية تقرير المصير «الثقافي» تعني في برنامج الدستورين-الديموقراطيين نقي حرية تقرير المصير السياسي على وجه الدقة

ولقد كانت «بروليتارسكايا برافدا» على حق حين وجهت أنظار جريدتي «نوفويه فريميا» و«زيمشينا» (٩٩) الى أن ما قالته «ريتش» من «أن الدستورين - الديموقراطيين لم يعمدوا ، فعلاً ، في يوم من الايام الى الدفاع عن حق «الامم في الانفصال» عن الدولة الروسية» هو مثال على «الامانة» التي يتحلى بها أصحابنا الكاديت غير أن «نوفويه فريميا» التي لا تترك بالطبع فرصة تفوتها دون التعريض «باليهود» ودون وخز الدستورين - الديموقراطيين كتبت في عددها رقم ١٣٥٦٣ ما يلي

«ان ما يعتبره الاشتراكيون-الديموقراطيون حكمة سياسية بديهية» (أي الاعتراف بحق الامم في تقرير مصيرها وبحقها في الانفصال) «بدأ اليوم يشير الخلافات حتى بين صفوف الكاديت»

ولا شك أن الكاديت وقفوا مبدائياً موقفاً يشابه تماماً موقف «نوفويه فريميا» ، حين صرحوا أنهم «لم يعمدوا ، في يوم من الايام الى الدفاع عن حق الامم في الانفصال عن الدولة الروسية» . ولا شك

أن هذا الموقف هو أحد الاسس التي تقوم عليها الليبرالية القومية للكاديت ، وقرابتهم من بوريشكيفيتش وأضرابه وتبعيتهم السياسية لهؤلاء من الناحيتين الفكرية والعملية كتبت «بروليتارسكايا برافدا» «لقد درس السادة الكاديت التاريخ وهم يعرفون جيداً التصرفات التي «تشبه» - اذا تلفننا بالقول - المذابح العنصرية والتي كثيراً ما أدى إليها في الواقع حق جماعة بوريشكيفيتش التقليدي في تطبيق «سياسة الاوامر والنواهي»» (١٠٠) وعلى الرغم من معرفة الكاديت التامة بالمصدر والطبيعة الاقطاعيين لسيطرة البوريشكيفيتشين الكلية ، فانهم يقفون مع ذلك كليا على صعيد العلاقات والحدود التي أنشأتها تلك الطبقة بالضبط وعلى الرغم من معرفة الكاديت لكل ما في العلاقات والحدود التي أنشأتها أو عينتها تلك الطبقة من روح غير أوروبية ، بل معادية للروح الأوروبية (كدنا نقول آسيوية لولا خوفنا من أن يحمل كلامنا على محمل الازدراء الذي ليس له ما يبرره باليابانيين والصينيين) فان هؤلاء السادة الكاديت ينظرون الى تلك العلاقات وتلك الحدود كأنها حد لا يمكن تجاوزه

هذا هو الموقف الذي نسميه التكيف للبوريشكيفيتشين والخضوع لهم والخوف من زعزعة موقفهم وحمايتهم من الحركة الشعبية ، من الديمقراطية «وهذا معناه في الواقع» ، على حد قول «بروليتارسكايا برافدا» «التكيف لمصالح الاقطاعيين ولافطع الاوهام القومية التي تخلقها الامة المتسلطة بدلاً من محاربة تلك الاوهام بصورة منتظمة متواصلة»

ان الكاديت بوصفهم أناساً يعرفون التاريخ ويدعون الديمقراطية لا يبذلون أية محاولة للتأكيد بأن الحركة الديمقراطية التي تميز ، في أيامنا ، أوروبا الشرقية وآسيا أيضاً فتهدف الى صوغ الاولى والثانية على غرار الاقطار المتقدمة الرأسمالية ، ينبغي أن تترك الحدود ، التي قررتها حقبة اقطاعية

دون أي تعديل وهي الحقبلة التي ساد فيها سلطان البوريشكيفيتشينين وشمل فيها الحرمان من الحقوق جماعات غفيرة من البرجوازية ومن البرجوازية الصغيرة ولكن ثمة حادثاً آخر يثبت أيضاً أن القضية التي أثارته المناظرة بين «بروليتارسكيا برافدا» و«ريتش» لم تكن قط مجرد قضية أدبية ، بل كانت متصلة بمسائل الساعة السياسية الفعلية هو المجلس العام الاخير الذي عقده الحزب الدستوري - الديمقراطي من ٢٣ الى ٢٥ آذار (مارس) ١٩١٤ فقد جاء في التقرير الرسمي الذي نشرته «ريتش» (العدد ٨٣ ٢٦ آذار - مارس - عام ١٩١٤) عن هذا المجلس العام ، ما يلي

«وكانت مسائل القوميات أيضاً موضع نقاش غاية في الحدة، اذ صرح نواب كييف ، الذين انضم اليهم نيكراسوف وكوليوباكين ، ان مسألة القوميات هي عنصر عظيم يزداد نضجاً وينبغي دعمه ومناصرته بجرأة أكثر من ذي قبل على أن كوكوشكين أشار مع ذلك» (ان تعبير «مع ذلك» يساوي كلمة «ولكن» عند شدرين الذي قال «لانتمو الاذان اعلى من الجبين ، لانتمون !») والى أن كلاً من البرنامج والتجربة السياسية السابقة ، يوجب منتهى الحذر في استعمال «الصيغ المطاطة» عن «حرية القوميات في تقرير مصيرها السياسي»

ان هذا الاستدلال المرموق جداً الذي عرض في مجلس الكاديت العام حري بأن يثير اهتماماً بالغاً لدى جميع الماركسيين وجميع الديمقراطيين (ولنلاحظ هنا بين هلالين ان جريدة «كييفسكيا ميسل» (١٠١) التي يبدو أنها حسنة الاطلاع والتي لا شك أنها تنقل آراء السيد كوكوشكين بأمانة كلية أضافت ان كوكوشكين لوح بخطر «تصدع» الدولة تلويحاً خاصاً على سبيل تنبيه معارضيه (طبعا)

وان التقرير الرسمي الذي اذاعته «ريتش» قد صيغ ببراعة دبلوماسية فائقة ، كي يرفع الستار أقل ما يمكن ولكي يخفي أكثر ما

يمكن غير أن ما جرى في المجلس العام الكاديتي واضح في خطوطه الكبرى فان المندوبين من البرجوازيين الليبيراليين المطلعين على الحالة في أوكرانيا ومن «العناصر اليسارية» في حزب الكاديت قد أثاروا قضية حرية الامم في تقرير مصيرها السياسي بالضبط والا لما اضطر السيد كوكوشكين الى الدعوة «بالأ تستعمل تلك الصيغة الا بحذر»

ففي برنامج الكاديت ، الذي كان مندوبو المجلس العام الكاديتي يعرفونه طبعاً اشارة صريحة الى حرية تقرير المصير «الثقافي» لا السياسي اذن ، ان السيد كوكوشكين قد دافع عن البرنامج ضد مندوبي أوكرانيا ، ضد العناصر اليسارية في حزب الكاديت ، أي دافع عن حرية تقرير المصير «الثقافي» ضد حرية تقرير المصير «السياسي». وبديهي تماماً ان السيد كوكوشكين حين ثار على حرية تقرير المصير «السياسي» ولوح بخطر «تصدع الدولة» ونعت شعار «حرية تقرير المصير السياسي» بأنه صيغة «مطاطة» (وفقاً لفكرة روزا لوكسمبورغ تماماً!) انما دافع عن مواقف الليبيرالية القومية الروسية ضد عناصر أكثر «يسارية» أو أكثر ديموقراطية في الحزب الدستوري - الديموقراطي وضد البرجوازية الاوكرانية لقد فاز السيد كوكوشكين في المجلس العام الكاديتي؛ كما يتضح من هذا التعبير الفاضح «مع ذلك» الذي ورد في تقرير «ريتش» وفازت الليبيرالية القومية الروسية بين صفوف الكاديت. ولذا أفلا ينبغي أن يساعد هذا النصر على تنوير هؤلاء القلائل السخفاء من الماركسيين في روسيا الذين بدأوا هم أيضاً بعد الكاديت يخشون «الصين المطاطة بشأن حرية القوميات في تقرير مصيرها السياسي» ؟

و«مع ذلك» لنتبع تسلسل أفكار السيد كوكوشكين من حيث جوهر القضية . لقد برهن حضرته حين استشهد «بالتجربة السياسية

السابقة» (أي بتجربة عام ١٩٠٥ ، ولا شك ، يوم جزعت البرجوازية الروسية على امتيازاتها القومية ونقلت عدوى جزعها الى صفوف حزب الكاديت) وحين لوّح بخطر «تصدع الدولة» انه يدرك تماماً أن حرية تقرير المصير السياسي لا يمكن أن تعني الا حق الانفصال وانشاء دولة قومية مستقلة وهنا يبرز هذا السؤال كيف ينبغي النظر الى مخاوف السيد كوكوشكين هذه من ناحية الديمقراطية عموماً ومن ناحية نضال البروليتاريا الطبقي خصوصاً ؟

يريد السيد كوكوشكين أن يحملنا على الاعتقاد بأن الاعتراف بحق الانفصال يقوي خطر «تصدع الدولة» ان وجهة النظر هذه هي عين وجهة نظر الشرطي ميمريتشوف الذي جعل شعاره «الاورام والنواهي» أما من وجهة نظر الديمقراطية عموماً فالعكس هو الصواب أي أن الاعتراف بحق الانفصال يقلل خطر «تصدع الدولة» ان السيد كوكوشكين يفكر على طريقة غلاة القوميين ذاتها فقد أرغى هؤلاء وازبدوا في مؤتمرهم الاخير ضد الاوكرانيين - «المازيبين» وصاح السيد سافنكو وشركاه قائلين ان الحركة الاوكرانية تهدد باضعاف الصلة التي تربط أوكرانيا بروسيا لان النمسا تقوي روابطها بالاوكرانيين عن طريق تحببها لهم وما دامت الحال كهذه ، فنحن لا نفهم لماذا يصعب على روسيا أن تسعى الى «تقوية» الصلة التي تربط الاوكرانيين بها ، باتباع نفس الطريقة التي يهاجم السيد سافنكو وجماعته النمسا لاستخدامها اياها أي بمنح الاوكرانيين حرية استعمال لغتهم القومية والتمتع بالاستقلال الذاتي ، وانشاء مجلس مستقل ذاتياً الخ ؟

ان محاكمات السادة سافنكو وكوكوشكين ومن لف لفهما متماثلة تماماً ومتوازنة في السخف والخرافة من ناحية المنطق الصرف اليس واضحاً أنه بقدر ما تنال القومية الاوكرانية التي تعيش في هذا القطر أو ذلك قسطاً أوفر من الحرية ، تشتد بالتالي قوة الصلة التي

تربط تلك القومية بذلك القطر ؟ يبدو أن من المتعذر مجادلة هذه الحقيقة الاولى دون التخلي نهائياً عن جميع بديهيات المباديء الديمقراطية فهل يمكن أن نتصور تمتع قومية من القوميات بحرية أعظم من حرية الانفصال حرية انشاء دولة قومية مستقلة ؟

ولكن دعونا نستعين بأبسط الامثلة لنشرح هذه القضية التي بلبلها الليبراليون (ومن يسير على خطواتهم بدون تفكير) شرحاً أوفى لناخذ مسألة الطلاق تقول روزا لوكسمبورغ في مقالها ان الدولة الديمقراطية المركزية ينبغي عليها ، مع قبولها كلياً بالاستقلال الذاتي لاجزائها المختلفة ، أن تبقي جميع ميادين التشريع الرئيسية من صلاحية البرلمان المركزي ، وفي جملتها تشريع الطلاق ان هذا العرص على جعل السلطة المركزية في الدولة الديمقراطية تؤمن هي نفسها حرية الطلاق ، أمر سهل الادراك جداً فالرجعيون هم خصوم حرية الطلاق ، وهم يصرون على «ألا تستعمل هذه الحرية الا بحذر» ، ويعلنون أنها تعني «تصدع العائلة» أما الديمقراطية فتعتبر أن الرجعيين جماعة رياء ونفاق وانهم يدافعون في الواقع عن سيطرة البوليس والدواوينيين الكلية وعن امتيازات جنس على آخر وينادون بأشد أنواع اضطهاد المرأة وبالتالي تؤكد الديمقراطية ان حرية الطلاق لا تعني في الواقع «تصدع» روابط العائلة بل على العكس ازدياد تماسكها على أسس ديموقراطية ، وهي الاسس الوحيدة الممكنة ، والثابتة في مجتمع متمدن

ان اتهام أنصار حرية تقرير المصير أي حرية الانفصال بأنهم يشجعون الميل الى الانفصال يعادل في السخف والنفاق اتهام أنصار حرية الطلاق بأنهم يشجعون على تهديم روابط العائلة فكما أن حماة الامتيازات والرشوة التي يقوم عليها الزواج البرجوازي يحملون على حرية الطلاق في المجتمع البرجوازي كذلك فان من ينكر على الامم ، في دولة رأسمالية ، حرية تقرير مصيرها بنفسها ، أي حرية انفصالها ،

لا يدافع بموقفه هذا الا عن امتيازات الامة المسيطرة ، وعن الاساليب البوليسية في الحكم ضد الاساليب الديموقراطية

ومن الثابت أن السياسة المبتذلة الناتجة عن مجموع علاقات المجتمع الرأسمالي تشير أحياناً لدى البرلمانيين والكتاب السياسيين لغواً مغرَقاً في الطيش بل في السخافة حول قضية انفصال هذه أو تلك من الامم ولكن ذوي الميول الرجعية هم وحدهم الذين يمكنهم أن يستسلموا الى الخشية (أو أن يتظاهروا بالخشية) من مثل هذا اللغو أما من يتبنى وجهة النظر الديموقراطية ، أي المبدأ القائل بأن حل مسائل الدولة ينبغي أن يأتي عن طريق جماهير السكان فإنه يعلم علم اليقين أن بين لغو الساسة المبتذلين وقرار الجماهير «مسافة شاسعة» (١٠٢) فجماهير السكان تدرك ادراكاً قوياً نابعاً عن تجاربها اليومية الخاصة ، أهمية الصلات الجغرافية والاقتصادية ، وفوائد سوق فسيحة الارحاء ودولة شاسعة الاطراف ولهذا فانها لن تلجأ الى تحقيق الانفصال الا حين يصبح الاضطهاد القومي الذي تكابده ، والنزاعات القومية التي تتعرض لها خطيرة تتعذر معها الحياة المشتركة تماماً ، وتتعرق العلاقات الاقتصادية على اختلاف أنواعها وعندها تغدو مصلحة التطور الرأسمالي ومصلحة حرية النضال الطبقي بجانب الفريق المنفصل بالضبط

وهكذا من أية ناحية نظرنا الى محاكمات السيد كوكوشكين ، وجدنا أنها في غاية الخراقة والسخر بمبادئ الديموقراطية على أن هناك بعض المنطق في تلك المحاكمات هو منطق المصالح الطبقة للبرجوازية الروسية فالسيد كوكوشكين ، شأنه شأن أكثرية الحزب الدستوري - الديموقراطي هو خادم كيس نقود تلك البرجوازية انه يدافع عن امتيازاتها بصورة عامة ، عن امتيازاتها في الدولة بصورة خاصة يدافع عنها مع بوريشكيفيتش والى جانبه الا أن بوريشكيفيتش يؤمن أكثر منه بعضا القناة ، في حين أن كوكوشكين

وشركاه يدركون أن تلك العصا قد نخرت الى حد كبير في عام ١٩٠٥ فباتوا يعتمدون بالاحرى على الاساليب البرجوازية في خداع الجماهير ومن جملة تلك الاساليب تخويف البرجوازيين الصغار والفلاحين بشبح «تصدع الدولة» مثلاً وتضليلهم بجمل حول الجمع بين «الحرية الشعبية» والدعائم التاريخية الخ

ان المعنى الطبقي الفعلي لهذا العداء الذي يضمه الليبراليون لمبدأ حرية الامم في تقرير مصيرها السياسي هو واحد وواحد فقط الليبرالية القومية ، والدفاع عن امتيازات البرجوازية الروسية في الدولة أما الانتهازيون في روسيا من بين الماركسيين الذين يعلنون اليوم ، وخصوصاً اليوم في عهد نظام ٣ حزيران (يونيو) ، تلك الحملة الشعواء على حق الامم في تقرير مصيرها ، نقول ان هذه العناصر كلها - من داعية التصفية سيمكوفسكي الى البوندي ليبن الى البرجوازي الصغير الاوكراني يوركيفيتش - تجري في الواقع بكل بساطة وراء الليبراليين القوميين وتفسد صفوف الطبقة العاملة بالآراء الليبرالية القومية

ان مصلحة الطبقة العاملة ومصلحة نضالها ضد الرأسمالية لتحتمان التضامن التام ، والوحدة الوثيقة العرى بين عمال جميع الامم وهما تتطلبان التشديد في الرد على سياسة التعصب القومي التي تنهجها برجوازية أية قومية من القوميات ولذا ، سواء اذا شرع الاشتراكيون - الديمقراطيون ينكرون على الامم المظلومة الحق في تقرير مصيرها أي حقها في الانفصال أم اذا شرعوا يؤيدون جميع المطالب القومية التي تطرحها برجوازية الامم المظلومة فان كلاً من هذين الموقفين يكون تهرباً من أهداف السياسة البروليتارية وأخضاعاً للعمال للسياسة البرجوازية. ولا فرق عند العامل المأجور أن يكون مستثمره الرئيسي البرجوازية الروسية بالافضلية الى البرجوازية غير الروسية ، أو البرجوازية البولونية بالافضلية الى البرجوازية

اليهودية الخ ان العامل المأجور الذي يعي مصالح طبقته ويدركها لا يفرق بين امتيازات الدولة التي يتمتع بها الرأسماليون الروس وبين الوعود التي يقدحها الرأسماليون البولونيون أو الاوكرانيون بانشاء فردوس على الارض حين يستمتعون بامتيازات لهم في الدولة ان تطور الرأسمالية يتابع طريقه ، على كل حال وسيتابع سيره سواء في دولة واحدة ذات قوميات متعددة أو في دول قومية متميزة

ان الاستثمار لاحق بالعامل المأجور في جميع الحالات فلكي ينجح في النضال ضد هذا الاستثمار يجب أن تتحرر البروليتاريا من التعصب القومي وأن يكون العمال حياديين تماماً - اذا صح التعبير - في النضال الناشب بين برجوازيات الامم المختلفة من أجل الزعامة وان أدنى تأييد تقدمه بروليتاريا أمة من الامم لنصرة امتيازات برجوازية «ها» القومية ، لا بد أن يثير حذر بروليتاريا الامة الاخرى وأن يضعف التضامن الطبقي الاممي بين العمال ويحدث الانقسام بينهم لما فيه فرح البرجوازية وابتهاجها ولذا فكل نكران لحق تقرير المصير ، لحق الانفصال ، معناه حتماً من الناحية العملية ، تأييد امتيازات الامة الحاكمة

وباستطاعتنا أن نقنع بصحة هذا الرأي بوضوح وجلاء أكثر اذا أخذنا مثلاً ملموساً على ذلك هو مثال انفصال النروج عن اسوج

٦ - انفصال النروج عن اسوج

تناولت روزا لوكسمبورغ هذا المثال بالضبط وشرعت تعلق عليه على الصورة التالية

« ان آخر حادث في تاريخ العلاقات الاتحادية (الفيديرالية) ونعني به انفصال النروج عن اسوج - وهو الحادث الذي أسرعت الصحافة الاشتراكية - الوطنية البولونية وتلقفته في حينه (راجع جريدة «نابشود» الكراوفية (١٠٣))

باعتباره دليلاً مفرحاً على ما تتمتع به الميول الى الانفصال السياسي من قوة ومن صفة تقدمية ، ان هذا الحادث ، قد تحول فوراً الى برهان قاطع على ان الاتجاه الاتحادي والانفصال السياسي الذي ينتج عنه ، لا يعينان اطلاقاً التقدم او الديمقراطية فبعد «الثورة» النروجية المزعومة التي اقتصرت على خلق ملك اسوج وعلى ابعاده عن النروج ، عمد النروجيون بكل هدوء الى تنصيب ملك آخر ، بعد ان رد الاستفتاء بصورة صريحة مشروع اعلان الجمهورية وهكذا تبين ان الحدث الذي سماه بعض المعجبين السطحيين بكل حركة قومية وبكل ما يشبه الاستقلال «ثورة» لم يكن في الحقيقة الا مظهراً بسيطاً من مظاهر الانفرادية عند الفلاحين والبرجوازيين الصغار ، ومن رغبة هؤلاء في ان يكون لهم ، لقاء مالهم ، ملك «خاص» بهم عوضاً عن الملك الذي فرضته عليهم الاريستوقراطية الاسوجية فلم يكن لتلك الحركة اذن اي طابع ثوري على الاطلاق ويثبت انفراط عقد الوحدة الاسوجية - النروجية مرة أخرى الى أي حد ، وفي هذه الحال أيضاً ، لم يكن الاتحاد الذي كان قائماً حتى ذلك الحين الا تعبيراً صرفاً عن مصالح الاسر المالكة ، وبالتالي شكلاً من الملكية والرجعية («بشيغلوند»)

هذا كل ما قالته روزا لوكسمبورغ حول هذا الموضوع!! ومن الواجب الاعتراف بأن من الصعب ايضاح عجز موقفها بأحسن مما فعلت هي ذاتها في المثال المذكور

لقد كان المقصود ، ولا يزال ، معرفة ما اذا كان من الضروري أن يكون للاشتراكيين-الديمقراطيين العاملين في نطاق دولة ذات تركيب قومي مختلط برنامج يعترف بحق تقرير المصير أي الانفصال

فعلام يدل في هذا المجال مثال النروج الذي اختارته روزا لوكسمبورغ نفسها ؟

اننا نرى كاتبتنا تلف وتدور وتتفنن وتهاجم «نابشود» ولكن بدون ان تجيب صراحة على السؤال انها تتحدث عن كل شيء ، كيلا تقول كلمة واحدة في جوهر المسألة ! .

من الثابت أن البرجوازيين النروجيين الصغار الذين رغبوا في أن يكون لهم ملك خاص بهم ، لقاء مالهم والذين ردوا في الاستفتاء مشروع اعلان الجمهورية ان هؤلاء البرجوازيين الصغار قد كشفوا عن ميول تافهة ، ضيقة الافق ، ذميمة جداً ومن الثابت أيضاً أن جريدة «نابشود» قد أظهرت هي الاخرى ميولاً تافهة ضيقة الافق ذميمة حين لم تلاحظ هذا الامر

ولكن ما شأن هذا كله هنا ؟ ؟

اذ أن المقصود هو حق الامم في تقرير مصيرها وموقف البروليتاريا الاشتراكية من هذا الحق ! فلماذا تدور روزا لوكسمبورغ اذن حول المسألة ، بدلاً من معالجتها ؟

هناك مثل يقول ليس ثمة حيوان في نظر الفأر أقوى من الهر . وعلى ما يظهر ، ليس ثمة حيوان في نظر روزا لوكسمبورغ أقوى من «الفراك» (١٠٤) وال«فراك» هذا هو لفظ ودي يطلق على «الحزب الاشتراكي البولوني» ، أي على ما يسمى بالجنح الثوري . وان وريقة «نابشود» في مدينة كراكوفيا تشاطر ذلك «الجنح» آراءه وان الحملات التي شنتها روزا لوكسمبورغ على نزعة هذا «الجنح» القومية قد أعمتها الى درجة غاب معها كل شيء عن بصر كاتبتنا ما عدا «نابشود»

فاذا قالت «نابشود» «نعم» ، وجدت روزا لوكسمبورغ من واجبها المقدس أن تقول رأساً «لا» دون أن تفكر لحظة واحدة أنها بسلوكتها هذا لا تعبر عن استقلالها ازاء «نابشود» بل بالعكس تعبر عن تبعيتها المضحكة بالنسبة الى «الفراك» وعن عجزها عن النظر الى الامور نظرة أعمق وأكثر شمولاً بقليل من نظرة وكر النمل الكراكوفي صحيح أن «نابشود» صحيفة سيئة جداً وليسست ماركسية أبداً ، ولكن هذا يجب الا يمنعنا من تحليل مثال النروج من حيث الجوهر ، ما دام اختيارنا قد وقع عليه .

ولكي نحلل هذا المثال على أساس ماركسي يجب علينا الا نتوقف عند الصفات السيئة التي يتصف بها هؤلاء أعضاء «الفراك» المرهبين بل ينبغي أن نقف قبل كل شيء عند الظروف التاريخية الملموسة الخاصة التي رافقت حادث انفصال النروج عن اسوج وبالتالي عند الاهداف التي كانت موضوعة أمام البروليتاريا في البلدين أبان ذلك الانفصال

ان الروابط الجغرافية والاقتصادية واللغوية التي تقرب النروج من اسوج لا تقل قوة عن تلك التي تربط الامة الروسية بكثرة من الامم السلافية غير الروسية ولكن وحدة النروج واسوج لم تتم بصورة اختيارية مما جعل روزا لوكسمبورغ تخطيء عندما تسمى ذلك «اتحاداً» ، لسبب بسيط هو أنها تجهل ماذا يجب أن تقول فالملوك هم الذين أعطوا النروج لاسوج أيام الحروب النابوليونية ، رغم ارادة النروجيين فكان على الاسوجيين أن يرسلوا جيوشهم الى النروج لاختضاعها لسطانهم

وبعد ذلك استمرت المنازعات بين النروج واسوج طوال عشرات السنين رغم الاستقلال الذاتي الواسع للغاية الذي كانت تتمتع به النروج (اذ كان لها مجلسها النيابي الخاص الخ .) فقد كان النروجيون يطمحون بكل قوتهم الى خلع نير الاريسوقراطية الاسوجية وقد تم لهم ذلك أخيراً في آب (أغسطس) عام ١٩٠٥ عندما قرر المجلس النيابي النروجي ان عاهل اسوج لم يعد ملكاً للنروج وجرى اثر ذلك استفتاء أقر الانفصال التام عن اسوج بأكثرية ساحقة (قرابة مائتي ألف مقابل بضع مئات) واثر بعض التردد سلم الاسوجيون بواقع الانفصال

ان هذا المثال يبين الميدان الذي يمكن أن تتم فيه حوادث الانفصال بين الامم وتتم فيه فعلاً في ظل العلاقات الاقتصادية والسياسية الحاضرة ، كما يبين لنا أيضاً الشكل الذي يرتديه الانفصال

أحياناً ضمن نطاق الديمقراطية والحرية السياسية وكل اشتراكي-ديموقراطي لم يجرؤ على الاعلان انه لا يبالي بقضيتي الحرية السياسية والديموقراطية (فاذا فعل ذلك كف بالطبع عن أن يكون اشتراكياً-ديموقراطياً) لا يستطيع النكران أن هذا المثال يبرهن فعلاً على أن الواجب الالزامي الموضوع أمام العمال الواعين هو القيام بدعاوة وتحضير منتظمين متواصلين ليجري حل النزاعات التي يمكن أن يثيرها انفصال الامم ، على طريقة وحيدة هي الطريقة التي حلت عليها النزاعات بين النروج واسوج عام ١٩٠٥ لا على «الطريقة الروسية» وهذا بالضبط ما يعبر عنه مطلب برنامجنا الاعتراف بحق الامم في تقرير مصيرها ولكن روزا لوكسمبورغ اضطرت الى التهرب من هذا الامر الذي يناقض نظريتها ولجأت الى شن حملة عنيفة على تفاهة البرجوازيين النروجيين الصغار وعلى صحيفة «نابشود» الكراكوفية وما فعلت ذلك الا لانها كانت تدرك جيداً الى أي حد يدحض اطلاقاً هذا الحادث التاريخي أقوالها التي تزعم ان حق الامم في تقرير مصيرها ما هو الا شيء «خيالي» ، أشبه بحق «الاكل في صحون من ذهب» ، الخ وان مثل هذه الاقوال لا تعبر الا عن ايمان انتهازى وغرور سخيف باستحالة تغيير نسبة القوى القائمة اليوم بين مختلف قوميات أوروبا الشرقية لنتابع قولنا ان الذى يهمنى قبل كل شيء ، وأكثر من كل شيء ، في قضية حرية الامم في تقرير مصيرها كما في كل قضية أخرى ، هو حرية البروليتاريا في تقرير مصيرها في داخل الامم وقد تجنبت روزا لوكسمبورغ هذه القضية بتواضع أيضاً لانها شعرت الى أي حد يناقض «نظريتها» تحليل هذه القضية استناداً الى المثال الذي اختارته بنفسها أي مثال النروج كيف كان وكيف كان يجب أن يكون موقف البروليتاريا في النروج واسوج من النزاع الذي أثاره الانفصال ؟ من الواضح انه

كان على الواعين من عمال النروج بعد اعلان الانفصال ، أن يصوتوا للجمهورية * واذا كان هناك من الاشتراكيين من صوّت على غير هذه الصورة ، فان ذلك لا يدل الا على مدى تغلغل انتهازية البرجوازية الصغيرة الضيقة الافق أحياناً في الحركة الاشتراكية الاوروبية وهذا أمر لا يختلف فيه اثنان ونحن لم نتعرض له الا لان روزا لوكسمبورغ تحاول اخفاء جوهر القضية بأحاديث **خارج الموضوع** أما فيما يختص بالانفصال فاننا نجهل ما اذا كان البرنامج الاشتراكي النروجي قد أوجب على الاشتراكيين-الديموقراطيين في النروج التقيد برأي واحد معين ولكن لنفرض انه لم يفعل وان الاشتراكيين النروجيين لم يبتوا في أمر معرفة مدى المجال الذي يفسحه استقلال النروج الذاتي أمام حرية النضال الطبقي ومدى عرقلة الاحتكاكات والمنازعات المتواصلة مع الاريستوقراطية الاسوجية لحرية الحياة الاقتصادية ولكن هناك أمر لا جدال فيه ، هو أنه كان على البروليتاريا النروجية أن تقف ضد تلك الاريستوقراطية ، والى جانب الديموقراطية الفلاحية النروجية (مهما بلغ ضيقها البرجوازي الصغير)

وماذا عن البروليتاريا الاسوجية ؟ من المعروف أن الملاكين العقارين الاسوجيين الذين يدعمهم رجال الاكليروس الاسوجي كانوا يدعون الى اعلان الحرب على النروج . ولما كانت النروج أضعف كثيراً من اسوج وكانت تعرضت في الماضي للغزو الاسوجي وكانت الاريستوقراطية الاسوجية تتمتع بمنزلة رفيعة جداً في بلادها فقد كان في تلك الدعوة خطر كبير وفي وسعنا المراهنة على أن جماعة

* لو كانت أكثرية الامة النروجية تؤيد الملكية ، وكانت البروليتاريا تؤيد الجمهورية ، حينئذ يصبح أمام البروليتاريا النروجية ، على وجه العموم ، سيلان ، أما الثورة اذا كانت الظروف قد نضجت من أجلها وأما الرضوخ للاكثرية والقيام بأعمال دعاوة وتحريض طويلة المدى .

الكوكوشكينيين الاسوجية قد سعت جهدها خلال مدة طويلة الى افساد الجماهير الاسوجية بدعوتها الى «أن تستعمل بحذر» «الشعارات المطاطة حول حرية الامم في تقرير المصير السياسي»، وبتبيان أخطار «تصدع الدولة»، وبالتأكيد لها ان «حرية الشعب» يمكن جمعها مع دعائم الاريستوقراطية الاسوجية ولا شك أبدأ في أن الاشتراكية-الديموقراطية الاسوجية كانت تخون قضيتي الاشتراكية والديموقراطية ، لو أنها لم تحارب عقلية الملاكين العقارين وجماعة الكوكوشكينيين وسياستهم بكل ما أوتيت من قوة ، لو أنها لم تدافع ، فضلاً عن مساواة الامم في الحقوق بصورة عامة (وهو أمر يعترف به الكوكوشكينيون أيضاً) عن حق الامم في تقرير مصيرها ، أي عن حرية النروج في الانفصال

ان التحالف الوثيق بين العمال النروجيين والاسوجيين وتضامنهم الاخوي الطبقي التام قد استفادا من هذا الاعتراف - اعتراف العمال الاسوجيين بحق النروجيين في الانفصال فقد اقتنع عمال النروج بأن عمال اسوج ليسوا ملوثين بنزعات التعصب القومي الاسوجي ، وبأنهم يضعون قضية الاخاء مع أبناء البروليتاريا النروجية فوق امتيازات البرجوازية الاسوجية والاريستوقراطية الاسوجية ان القضاء على الروابط التي فرضها ملوك أوروبا والاريستوقراطية الاسوجية على النروج ، قد زاد من قوة الروابط التي توحد ما بين العمال النروجيين والاسوجيين وقد برهن العمال الاسوجيون ، على أنهم سيعرفون خلال جميع تقلبات السياسة البرجوازية ، - ان عودة النروج الى الخضوع للاسوجيين بالقوة ممكنة تماماً ضمن نطاق العلاقات البرجوازية ! - كيف يبقون ويذودون عن المساواة التامة في الحقوق وعن التضامن الطبقي بين عمال الامتين في النضال ضد البرجوازية الاسوجية و ضد البرجوازية النروجية على السواء ان هذا الامر يرينا ، فيما يرينا ، وهن وحتى سخر المحاولات

التي يلجأ إليها «الفراك» أحياناً «لاستغلال» خلافاتنا مع روزا لوكسمبورغ في مناهضة الاشتراكية-الديموقراطية البولونية ان «الفراك» ليس حزباً بروليتارياً أو اشتراكياً بل هو حزب قومي برجوازي صغير شبيه بنوع بولوني من الاشتراكيين-الثوريين فلم يخطر ببالنا يوماً ولا يمكن أن يخطر ببالنا أبداً التوحيد بين الاشتراكيين-الديموقراطيين الروس وبين هذا الحزب وبالعكس لم يوجد قط أحد بيننا نحن الاشتراكيين-الديموقراطيين في روسيا من «ندم» على التقارب وعلى الاتحاد بيننا وبين الاشتراكيين-الديموقراطيين البولونيين ويعود للاشتراكية-الديموقراطية البولونية الفضل التاريخي العظيم في أنها أوجدت لأول مرة في بولونيا ، المشربة بنزعات وأهواء التعصب القومي حزباً ماركسياً حقاً بروليتارياً حقاً ولكن عظمة فضل الاشتراكيين-الديموقراطيين البولونيين لا تعود الى أن روزا لوكسمبورغ نثرت السخافات ضد الفقرة التاسعة من البرنامج الماركسي الروسي بل قامت هذه العظمة رغم تلك البادرة المؤسفة

ولا شك أن «الحق في حرية تقرير المصير» لا يتمتع عند الاشتراكيين-الديموقراطيين البولونيين بالاهمية التي يتمتع بها عند الاشتراكيين-الديموقراطيين الروس ومفهوم كلياً أن يكون نضال الاشتراكيين-الديموقراطيين البولونيين ضد البرجوازية البولونية الصغيرة التي أعماها التعصب القومي قد اضطرهم الى «تشديد العيار» بحماسة زائدة (وربما مبالغ فيها قليلاً أحياناً) ولم يخطر ببال أحد من الماركسيين الروس أن ينحى باللائمة على الاشتراكيين-الديموقراطيين البولونيين لمعارضتهم في انفصال بولونيا ولا يخطئ هؤلاء الاشتراكيون-الديموقراطيون الا حين يحاولون نكران ضرورة اعتراف برنامج الماركسيين في روسيا بحق تقرير المصير ، كما فعلت روزا لوكسمبورغ .

ويعني هذا من حيث الجوهر تطبيق العلاقات المفهومة من وجهة النظر الكراكوفية ، على نطاق جميع شعوب روسيا وجميع أممها بما فيها الامة الروسية ان هذا الموقف لحري «بقوميين بولونيين بالمقلوب» لا باشتراكيين-ديموقراطيين في روسيا لا باشتراكيين-ديموقراطيين أميين

لان الاشتراكية-الديموقراطية الاممية تحرص كل الحرص على الاعتراف بحق الامم في تقرير مصيرها . وهذا ما سنبحثه فيما يلي.

٧ - قرار المؤتمر العالمي المنعقد في لندن عام ١٨٩٦

يقول هذا القرار

« يعلن المؤتمر تأييده لحق جميع الامم التام في حرية تقرير مصيرها (Selbstbestimmungsrecht) . ويعرب عن عطفه نحو عمال كل قطر يقاسي في الوقت الراهن نير الاستبداد العسكري أو القومي أو غيرها ، ويدعو المؤتمر عمال جميع هذه الاقطار الى الانضمام الى صفوف العمال الواعين (Klassenbewusste) - اي الواعين لمصالح طبقتهم في العالم أجمع ، للنضال معهم في سبيل التغلب على الرأسمالية العالمية وتحقيق أهداف الاشتراكية-الديموقراطية الاممية » *

* راجعوا المحضر الرسمي الالمانى لمؤتمر لندن

“Verhandlungen und Beschlüsse des internationalen sozialistischen Arbeiter- und Gewerkschafts- Kongresses zu London, vom 27. Juli bis 1. August 1896”, Berlin, 1896, S. 18.

(« محاضر وقرارات مؤتمر احزاب العمال الاشتراكية والنقابات العالمي،

المنعقد في لندن من ٢٧ تموز - يوليو - الى أول آب - اغسطس - ١٨٩٦ » ،

برلين عام ١٨٩٦ ، ص ١٨ (الناشر) وهناك كراس روسي يحتوي على

قرارات المؤتمرات العالمية حيث ترجم خطأ تعبير «حرية تقرير المصير»

« الاستقلال الذاتي » .

ان انتهازيينا السادة سيمكوفسكي ولييمن ويوركيفيتش
 يجهلون بكل بساطة هذا القرار كما ذكرنا آنفاً ولكن روزا
 لوكسمبورغ تعرفه وتورد نصه الكامل وقد تضمن العبارة ذاتها التي
 وردت في برنامجنا عبارة «حرية تقرير المصير»
 قد يتساءل المرء كيف عملت روزا لوكسمبورغ لازالة تلك
 العقبة التي تعترض طريق نظريتها «الاصيلة» ؟
 الجواب بسيط جداً ان مركز الثقل قائم هنا في القسم
 الثاني من القرار طابعه البياني لا يمكن الاستشهاد به الا
 باساءة فهمه !!

ان عجز كاتبنا وبلبلتها يثيران الدهشة حقاً فلا يشير عادة
 الى الطابع البياني للنقاط الديموقراطية والاشتراكية المنسجمة من
 البرنامج ، الا الانتهازيون ، الذين يتجنبون ، تحت عامل الخوف ، كل
 جدل صريح ضدها فلم يكن من قبيل الصدفة اذن أن تجد روزا
 لوكسمبورغ نفسها هذه المرة في رفقة غير مشرفة مع السادة
 سيمكوفسكي ولييمن ويوركيفيتش وأمثالهم ان روزا لوكسمبورغ
 لا تجرؤ على القول صراحة ما اذا كانت تعتبر هذا القرار خاطئاً أم
 صائباً انها تلف وتدور وتتهرب كأنها تعتمد على سهو أو جهل
 يأخذان القارىء الذي قد ينسى الشق الاول من القرار حين وصوله
 الى الشق الثاني أو الذي لم يسمع شيئاً عن المناقشات التي جرت
 في الصحافة الاشتراكية قبل مؤتمر لندن

على أن روزا لوكسمبورغ تخطيء جداً اذا كانت تظن أن من
 اليسير عليها أن تدوس بهذه السهولة ، أمام عمال روسيا الواعين
 قرار الاممية الذي يعالج قضية مبدئية هامة دون أن تكلف نفسها
 حتى عناء تحليله بروح النقد

لقد انعكست وجهة نظر روزا لوكسمبورغ أثناء المناقشات
 التي سبقت انعقاد مؤتمر لندن ، وبخاصة في مجلة الماركسيين الالمان

«Die Neue Zeit» الا أن **وجهة النظر هذه أخفقت في الواقع أمام الاممية !** هذا هو جوهر القضية الذي ينبغي ألا يغرب أبداً عن بال القارىء الروسي على الاخص .
لقد دارت المناقشات حول قضية استقلال بولونيا وكان هناك وجهات نظر ثلاث

١ - وجهة نظر جماعة «الفراك» الذين تكلم باسمهم هيكرو وكان هؤلاء يريدون أن تعترف الاممية في برنامجها بمطلب استقلال بولونيا فلم يقبل هذا الاقتراح وأخفقت وجهة النظر هذه أمام الاممية

٢ - وجهة نظر روزا لوكسمبورغ القائلة بألا يطالب الاشتراكيون البولونيون باستقلال بولونيا ومن وجهة النظر هذه لم يكن من الممكن أن يتناول الكلام حق الامم في تقرير المصير فأخفقت هي أيضاً أمام الاممية

٣ - وجهة النظر التي أبقاها وتعمق في شرحها كارل كاوتسكي أكثر من غيره حين رد على روزا لوكسمبورغ مظهراً الطابع «الوحيد الجانب» في نظرتها المادية وتبين من وجهة النظر هذه أن الاممية لا يمكنها في الوقت الحاضر أن تضع لنفسها برنامجاً يطالب باستقلال بولونيا الا أن الاشتراكيين البولونيين لهم ملء الحق كما قال كاوتسكي في وضع هذا المطلب فلا شك أن من الخطأ في نظر الاشتراكيين تجاهل مهمات التحرر الوطني في ظروف الاضطهاد القومي

وهكذا تضمن قرار الاممية النقاط الرئيسية ، الاساسية ، التي جاءت في وجهة النظر هذه اعتراف صريح تماماً لا يحتمل أي تأويل خاطيء بحق جميع الامم التام في حرية تقرير مصيرها ، من جهة ، ودعوة لا تقل صراحة الى التحقيق الوحدة الاممية في نضالهم الطبقي من جهة أخرى .

وفي اعتقادنا أن هذا القرار صائب كل الصواب وهو الذي يضع بتراطب قسميه الذي لاتنقسم عراه على وجه الضبط أمام بلدان أوروبا الشرقية وآسيا في مطلع القرن العشرين الخطئة الصحيحة الوحيدة التي ينبغي على السياسة الطبقيّة البروليتارية أن تنتهجها في مسألة القوميات

فلنتوسع الآن قليلاً في بحث وجهات النظر الثلاث السالفة من المعروف أن كارل ماركس وفردريك انجلس كانا يعتبران تأييد مطلب استقلال بولونيا تأييداً فعالاً قوياً واجباً الزامياً على الحركة الديمقراطية كلها في أوروبا الغربية ، وبالأحرى على الحركة الاشتراكية-الديموقراطية وكانت وجهة النظر هذه في السنوات الاربعين والسنتين من القرن الماضي اي في عهد الثورة البرجوازية في النمسا والمانيا وعهد «الاصلاح الفلاحي» في روسيا صحيحة وصائبة جداً ، بل كانت وجهة النظر الديمقراطية المنسجمة الوحيدة والبروليتارية الوحيدة وطالما كانت الجماهير الشعبية في روسيا وفي معظم البلدان السلافية لا تزال مستغرقة في سبات عميق ، وطالما لم تكن الحركات الديمقراطية الجماهيرية المستقلة قد برزت بعد في تلك البلدان فقد كانت حركة التحرر البولونية التي قام بها النبلاء ، تتعاطم أهمية ، وتحتل مكاناً بارزاً من الوجة الديمقراطية ، لبالنسبة الى روسيا كلها او الى جميع البلدان السلافية فحسب بل بالنسبة الى أوروبا بأسرها أيضاً * (١٠٥)

* انه ليكون عملاً تاريخياً طريفاً ومفيداً للغاية أن نقارن من جهة ، بين موقف النبيل البولوني الذي ثار عام ١٨٦٣ ، وموقف الديمقراطي الثوري الروسي تشيرنيشيفسكي الذي عرف هوايضاً (على غرار ماركس) كيف يقدر أهمية الحركة البولونية ، ومن جهة أخرى ، بين موقف البرجوازي الصغير الاوكراني دراغومانوف ، الذي ابدى رأيه بعد زمن طويل وعبر فيه عن وجهة نظر الفلاح ، الذي كان ما يزال حتى ذلك بربرياً هامداً ، متعلقاً بكومة زبله ،

ولكن اذا كانت وجهة نظر ماركس هذه صحيحة وصائبة تماماً بالنسبة الى ظروف الثلث الثاني أو الربع الثالث من القرن التاسع عشر فانها فقدت صحتها على تخوم القرن العشرين فثمة حركات ديمقراطية مستقلة بل حركة بروليتارية مستقلة قد برزت الى حيز الوجود في معظم الاقطار السلافية وحتى في قطر من أكثر الاقطار السلافية تأخراً هو روسيا وزالت بولونيا النبلاء لتقوم مقامها بولونيا الرأسماليين فكان لا بد لبولونيا في هذه الظروف ، من ان تفقد أهميتها الثورية الاستثنائية .

فلما حاول الحزب الاشتراكي البولوني (أي جماعة «الفراك» اليوم) أن «يثبت» في عام ١٨٩٦ وجهة نظر ماركس الموضوعية لغير تلك الحقبة كان موقفه هذا انما يعني استغلال حرف الماركسية ضد روح الماركسية ولهذا كان الاشتراكيون-الديمقراطيون البولونيون محقين تماماً في وقوفهم في وجه اندفاعات التعصب القومي التي انجرت في تيارها البرجوازية الصغيرة البولونية وفي تبيانهم الاهمية الثانوية التي تتمتع بها مسألة القوميات بالنسبة الى العمال البولونيين وفي تأسيسهم حزباً بروليتارياً صرفاً لأول مرة في بولونيا وفي اعلانهم مبدأ على جانب عظيم من الاهمية هو مبدأ التحالف الاوثق بين العمال البولونيين والروس في نضالهم الطبقي

ولكن هل عني ذلك ان بإمكان الاممية ، في مطلع القرن العشرين ، ألا تعترف لاوروبا الشرقية وآسيا بضرورة مبدأ حرية تقرير مصير الامم السياسي وبحقها في الانفصال ؟ ان سلوكاً كهذا هو أكبر

الى حد أن حقه المشروع على النبيل البولوني كان يمنعه عن فهم اهمية ما كان يتسم به نضال هؤلاء بالنسبة للديموقراطية في عموم روسيا (راجع «بولونيا التاريخية والديموقراطية الروسية» بقلم دراغومانوف لهذا استحق دراغومانوف عن جدارة القبلات الحماسية التي أنعم بها عليه فيما بعد السيد ستروفه ، الذي كان قد أصبح ليبرالياً قومياً .

حماقة وهو يعني (نظرياً) الاعتراف بأن التحول البرجوازي الديمقراطي قد تم نهائياً في تركيا وروسيا والصين ، ويعتبر (عملياً) بمثابة موقف انتهازى تجاه الحكم المطلق

كلا ذلك أن أوروبا الشرقية وآسيا تعيشان اليوم في عهد بدء نشوب الثورات البرجوازية الديمقراطية وعهد انبثاق الحركات القومية واحتدامها وعهد ظهور الاحزاب البروليتارية المستقلة ولذا فان المهمة الملقة اليوم على عاتق هذه الاحزاب في مجال السياسة القومية يجب أن تكون مزدوجة أولها الاعتراف بحق حرية تقرير المصير لجميع الامم لان التحول البرجوازي الديمقراطي لم ينته بعد ولان الديمقراطية العمالية تدافع عن مساواة الامم في الحقوق دفاعاً جدياً صادقاً مستمراً لا يشبهه في شيء دفاع الليبراليين والكوكوشكينيين عنها وثانيها الاتحاد الاوثق الذي لا انفصام له بين بروليتاريي جميع أمم الدولة الواحدة في نضالهم الطبقي ، خلال جميع أحداث التاريخ وخلال جميع التعديلات التي تجريها البرجوازية على حدود الدول

هذه هي المهمة المزدوجة التي يضعها قرار الاممية الصادر في عام ١٨٩٦ أمام البروليتاريا وهذه هي المبادئ التي قام عليها قرار اجتماع الماركسيين في روسيا الذي انعقد في صيف عام ١٩١٣ وهناك أناس يجدون «تناقضاً» في اعتراف الفقرة الرابعة من ذلك القرار بحق حرية تقرير المصير بحق الانفصال وفي كونها «تمنح» ، كما يبدو التعصب القومي اقصى المجال (الحقيقة ان الاعتراف بحق جميع الامم في تقرير مصيرها يتضمن حداً اقصى من الديمقراطية وحداً أدنى من التعصب القومي) ، في حين أن الفقرة الخامسة من ذلك القرار تحذر العمال من شعارات التعصب القومي التي تلقها كل برجوازية ، وتدعو الى وحدة عمال جميع الامم ، واندماجهم في منظمات بروليتارية

أممية متحدة ولكن العقول السطحية تماماً هي وحدها التي يمكن لها أن تجد في هذا شيئاً من «التناقض» تلك العقول التي تعجز مثلاً عن ادراك السبب الذي جعل قضية وحدة طبقة البروليتاريا وتضامنها في السويد والنرويج تستفيد من دفاع العمال السويديين عن حرية النروج في الانفصال وفي تأليف دولة مستقلة

٨ - كارل ماركس الطوبوي وروزا لوكسمبورغ العملية

ان روزا لوكسمبورغ التي تعلن ان استقلال بولونيا «طوبوي» وتكرر ذلك حتى التخمة ، تهتف بسخرية لِم لا يطالب باستقلال ارلنده ؟

لا ريب أن روزا لوكسمبورغ «العملية» تجهل ما كان عليه موقف ماركس من استقلال ارلنده فيجدر بنا التوقف اذن عند هذه النقطة لكي نبين كيف ينبغي تحليل مطلب هلموس من مطالب الاستقلال الوطني ، من وجهة نظر ماركسية حقاً لا انتهازية كان من عادة ماركس ، على حد قوله ، أن «يفحص أسنان» معارفه من الاشتراكيين لكي يتأكد من درجة وعيهم وصلابة عقيدتهم (١٠٦) وقد تعرف ماركس الى لوباتين فكتب الى انجلس في ٥ تموز (يوليو) ١٨٧٠ يطري هذا الاشتراكي الروسي الشاب أيما اطراء ولكنه أضاف قائلاً

ولكن فيه نقطة ضعف بولونيا حول هذه النقطة يتحدث لوباتين تماماً كما يتحدث انجليزي - ولنقل شارتي (١٠٧) انجليزي من المدرسة القديمة - بصدد ارلنده»

ويسأل ماركس اشتراكيا من أمة مضطهدة عن موقفه من الامة المضطهدة ، فيكتشف فوراً العيب المشترك بين اشتراكيي الامتين

السائدتين (الانجليزية والروسية) عدم فهم واجباتهم الاشتراكية
ازاء الامم المضطهدة ، ترديد واجترار الاوهام المستقاة من برجوازية
«الامة الكبيرة السائدة»

قبل الانتقال الى بيانات ماركس الايجابية بصدد ارلنده ، ينبغي
ابداء التحفظ التالي ، وهو أن ماركس وانجلس تناولا مسألة القوميات
عامة بروح انتقادي صارم وقدرا أهميتها وفقاً للاوضاع التاريخية
فهكذا مثلاً كتب انجلس الى ماركس ، في ٢٣ ايار (مايو) ١٨٥١ ، ان
دراسة التاريخ قادته الى استنتاجات مفعمة بالتشاؤم فيما يتعلق
ببولونيا ، وانه ليس لبولونيا سوى أهمية مؤقتة تدوم فقط حتى
الثورة الزراعية في روسيا ان دور البولونيين في التاريخ كان عبارة
عن «حماقات جريئة» «لا يمكن الافتراض لحظة أن تمثل بولونيا
التقدم تمثيلاً موفقاً ، حتى تجاه روسيا وحدها ، أو أن تكون لها أية
أهمية تاريخية» ففي روسيا من عناصر الحضارة والتعليم والصناعة
والبرجوازية أكثر مما في «بولونيا النبلاء النائمة» «ما هي فرصونيا
وكراكوفيا الى جانب بطرسبورغ وموسكو وأوديسا!» فان انجلس
لا يعتقد بنجاح انتفاضات النبلاء البولونيين

ولكن جميع هذه الافكار التي تنم عن بصيرة عبقرية بالغة ، لم
تمنع انجلس وماركس مطلقاً من ابداء عطفهما الحار والكبير على
الحركة البولونية بعد اثني عشر عاماً حين كانت روسيا لا تزال
تغط في نومها وحين كانت بولونيا في غليان

ففي ١٨٦٤ ، حين كان ماركس يدبج رسالة الاممية ، كتب الى
انجلس (٤ تشرين الثاني - نوفمبر - ١٨٦٤) أنه ينبغي له أن يكافح
ميول التعصب القومي عند مازيني وقد كتب ماركس يقول «عندما
أتطرق في الرسالة الى السياسة الاممية انما أعني البلدان ، لا
القوميات ، وافضح روسيا ، لا دولاً أقل شأنًا». وهو لا يشك في

أن مسألة القوميات لا تحتل سوى أهمية ثانوية بالنسبة الى «المسألة العمالية» ولكن نظريته بعيدة عن تجاهل الحركات القومية بعد السماء عن الارض

وجاء عام ١٨٦٦ فكتب ماركس الى انجلس بصدد «زمرة برودون» في باريس التي «تعلن ان القوميات أمر أخرق وتهاجم بيسمارك وغاربيالدي ان هذا التكتيك بوصفه جدلاً ضد الشوفينية ، مفيد ويمكن تبريره ولكن ، عندما يعتقد أتباع برودون (الذين ينتمي اليهم اليوم أيضاً صديقاى الطيبان هنا ، لافارغ ولونغه) بأن كل أوروبا تستطيع ويجب أن تبقى قاعدة على مؤخرتها بكل هدوء وسكينة بانتظار أن يقضي الاسياد في فرنسا على الجهل والبؤس فانهم سخفاء» (رسالة ٧ حزيران - يونيو - ١٨٦٦)

وفي ٢٠ حزيران (يونيو) ١٨٦٦ كتب ماركس يقول «أمس ، جرت مناقشات في مجلس الاممية حول الحرب القائمة وقد تمركزت المناقشات كما كان ينبغي توقع ذلك حول مسألة «القوميات» وموقفنا منها ان ممثلي «فرنسا الفتية» (غير العمال) قدموا وجهة النظر التالية وهي أن كل قومية والامة نفسها هما من الاوهام البائدة هذه شتيرنيرية برودونية ينبغي للعالم بأسره أن ينتظر نضوج الفرنسيين ليقوموا بالثورة الاجتماعية لقد ضحك الانجليز كثيراً عندما قلت في مستهل خطابي أن صديقنا لافارغ والآخرين الذين ألغوا القوميات يخاطبوننا بالفرنسية أي بلغة لا يفهمها تسعة أعشار المجتمعين ثم ألمحت الى أن لافارغ ، دون أن يدرك ما يقول يفهم كما يبدو ، من انكار القوميات ، امتصاصها من قبل الامة المثالية ، الامة الفرنسية»

والاستنتاج واضح من كل ملاحظات ماركس الانتقادية هذه

ان الطبقة العاملة هي آخر من يجعل من مسألة القوميات صنماً

للعباداة لان تطور الرأسمالية لا يدفع جميع الامم حتماً الى الحياة المستقلة ولكن ، ما دامت الحركات القومية الجماهيرية قد ظهرت ، فالنفور منها ورفض مساندة ما فيها من تقدمي انما يعنيان بالفعل الاستسلام لاوهام **التعصب القومي** أي أن المرء يقر بأن أمة«ه» هي «الامة المثالية» (أو ، كما نضيف من جانبنا ، الامة التي تتمتع وحدها دون غيرها بامتياز بناء دولة) *

ولكن ، لنعد الى مسألة ارلنده

ان موقف ماركس في هذه المسألة وارد بأشد الوضوح في المقتطفات التالية من رسائله

«لقد حاولت جهدي بجميع الوسائل اثاراة العمال الانجليز للتظاهر في سبيل تأييد الحركة الفينيانية (١٠٩) فيما مضى كنت أعتبر انفصال ارلنده عن انجلترا أمراً مستحيلاً أما اليوم فاني أعتبر هذا الانفصال أمراً محتوماً ولو أدى الامر بعد الانفصال ، الى الاتحاد» (الفيديريالية) هكذا كتب ماركس الى انجلس في رسالة بتاريخ ٢ تشرين الثاني - نوفمبر - ١٨٦٧ وفي رسالة بتاريخ ٣٠ تشرين الثاني من السنة نفسها ، أضاف ماركس قائلاً

«بِم ينبغي لنا أن ننصح العمال الانجليز ؟ انى أرى أنه يجب عليهم أن يجعلوا من Repeal (فسخ) الاتحاد» (اتحاد ارلنده مع انجلترا ، أي انفصال ارلنده عن انجلترا) «نقطة من نقاط برنامجهم ، اي بالاختصار التمسك بمطلب عام ١٧٨٣ ولكن بعد جعله ديموقراطياً وبعد تكييفه وفقاً للاوضاع الحالية ذلك هو

* قارنوا ايضاً رسالة ماركس الى انجلس في ٣ حزيران (يونيو) ١٨٦٧ بارتياح حقيقي علمت من رسائل «التايمس» (١٠٨) من باريس بهتافات الباريسيين لبولونيا ضد روسيا ان السيد برودون وزمرته الصغيرة من العقائدين ، ليسوا الشعب الفرنسي» .

الشكل الشرعي الوحيد لتحرير ايرلنده ، وهو بالتالي الشكل الوحيد الذي يمكن أن يتبناه برنامج حزب انجليزي وستبين التجربة فيما بعد اذا كان الاتحاد الشخصي البسيط بين البلدين يمكن أن يدوم زمناً طويلاً

ان ما ينبغي للارلنديين ، هو التالي
١ الحكم الذاتي والاستقلال عن انجلترا
٢ ثورة زراعية

ولما كان ماركس قد أولى المسألة الارلندية أهمية هائلة فقد كان يلقي في اجتماعات اتحاد العمال الالمان تقارير بهذا الموضوع تدوم ساعة ونصف الساعة (رسالة ١٧ كانون الاول - ديسمبر - ١٨٦٧)

ويلاحظ انجلس في رسالة له بتاريخ ٢٠ تشرين الثاني - نوفمبر - ١٨٦٨ «الحقد السائد بين العمال الانجليز على الارلنديين». وبعد ما يقرب من سنة (٢٤ تشرين الاول - أكتوبر - ١٨٦٩) ، عاد انجلس الى الموضوع نفسه ، فكتب يقول

«بين ايرلنده وروسيا il n'y a qu'un pas (ليس سوى خطوة واحدة) ان تاريخ ايرلنده يبين أية مصيبة تحل بشعب اذا استعبد شعباً آخر ان مصدر الخسة الانجليزية كلها هو ايرلنده ويترتب عليّ أيضاً أن أدرس عهد كرومويل ولكن في مطلق الاحوال لا جدال أبداً بنظري في أن الامور كانت قد سارت في اتجاه آخر في انجلترا ذاتها لو لم تقض الضرورة باخضاع ايرلنده عسكرياً وبخلق أريستوقراطية جديدة»

وللمناسبة ننوه برسالة ماركس الى انجلس بتاريخ ١٨ آب (أغسطس) ١٨٦٩

«لقد أضرب العمال البولونيون في بوزنان ونجحوا في اضرابهم بفضل تأييد رفاقهم البرلينيين . ان هذا النضال ضد «صاحب السيادة

الرأسمال» - حتى بشكله الأدنى الاضرابي - سيضع حداً للاوهام القومية بصورة أجدى مما تفعله الخطب الطنانة حول السلم التي ترد على لسان السادة البرجوازيين»

وتتضح مما يلي السياسة التي اتبعها ماركس ازاء المسألة الارلندية في داخل الاممية

في ١٨ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٨٦٩ كتب ماركس الى انجلس انه القى خطاباً في مجلس الاممية دام ساعة وربع الساعة حول موقف الوزارة البريطانية من مسألة العفو الارلندي وأنه اقترح مشروع القرار التالي
«لقد تقرر

ان السيد غلادستون ، في جوابه على المطالب الارلندية باطلاق سبيل الوطنيين الارلنديين يهين الامة الارلندية قصداً وعمداً انه يعلق العفو السياسي على شروط مهينة سواء لضحايا حكومة سيئة أم للشعب الذي تمثله هذه الحكومة ؛

ان غلادستون ، المقيّد بوضعه الرسمي ، قد حياً علناً ورسمياً تمرد أنصار الاسترقاق الاميركيين ويحاول اليوم دعوة الشعب الارلندي الى الاخذ بمبدأ الطاعة العمياء

ان مجمل سياسته ازاء قضية العفو الارلندي مظهر جلي من مظاهر «سياسة الفتح» التي أتاح شجبتها وفضحتها لغلادستون أن يقلب وزارة خصومه التوريين (١١٠)

ان يعرب المجلس العام لجمعية الشغيلة العالمية عن اعجابها بالجرأة والصلابة وعلو الهمة التي يخوض بها الشعب الارلندي حملته في سبيل العفو

انه ينبغي ابلاغ هذا القرار الى جميع فروع جمعية الشغيلة العالمية والى جميع المنظمات العمالية الاوروبية والاميركية التي لها صلات بالجمعية» .

وفي ١٠ كانون الاول (ديسمبر) ١٨٦٩ كتب ماركس يقول ان التقرير الذي يعده لمجلس الاممية حول المسألة الارلندية سيوضع على النحو التالي

لنطرح جانباً كل لغو «أممي» و«انساني» حول «انصاف ارلنده» - لان الامر بيدهي بحد ذاته في مجلس الاممية - **فان مصالح الطبقة العاملة الانجليزية ، المباشرة ، المطلقة ، توجب قطع صلاتها العالية مع ارلنده** وذلك هو أعمق اقتناعي المبني على أسباب لا أستطيع تبيانها كلياً للعمال الانجليز أنفسهم لقد اعتقدت طويلاً أن بالامكان دك النظام الارلندي بفضل نهوض الطبقة العاملة الانجليزية وقد دافعت دائماً عن هذا الرأي في جريدة «نيويورك تريبون» (١١١) (جريدة اميركية تعاون معها ماركس زمناً طويلاً) غير أن دراسة المسألة بمزيد من التعمق اقنعتني بالعكس ان الطبقة العاملة الانجليزية **لن تتمكن من القيام بأي شيء** اذا لم تتخلص من ارلنده ان جذور الرجعية الانجليزية في انجلترا قائمة في استعباد ارلنده» (حرف التأكيد لماركس)

والآن ، لا بد أن تكون سياسة ماركس في المسألة الارلندية قد اتضحت تماماً للقارى*

فان ماركس «الطوبوي» هو «غير عملي» الى حد أنه يطالب بفضل ارلنده ، الامر الذي لم يتحقق حتى بعد مضي نصف قرن فمن أين تنبع اذن سياسة ماركس هذه ، وهل كانت خاطئة ، ياترى ؟

في بادئ الامر أعتقد ماركس ان الحركة العمالية في قلب الامة المضطهدة لا الحركة القومية في قلب الامة المضطهدة ، هي التي ستحرر ارلنده ولم يجعل ماركس من الحركات القومية مفهوماً مطلقاً لانه كان يعرف ان انتصار الطبقة العاملة هو وحده الذي يستطيع أن يحرر جميع القوميات تحريراً تاماً . فانه لمن المستحيل

أن يأخذ المرء مسبقاً بالحسيان جميع الصلات المتبادلة الممكنة بين الحركات التحريرية البرجوازية في الامم المضطهدة وبين الحركة التحريرية البروليتارية في الامة المضطهدة (وتلك قضية تجعل بالضبط مسألة القوميات في روسيا العالية بمثل هذه الدرجة من الصعوبة)

ولكن الظروف تطورت بشكل وقعت معه الطبقة العاملة الانجليزية مدة طويلة نسبياً من الزمن تحت تأثير الليبيراليين وسارت في ذيلهم وفقدت دورها القيادي بفضل سياسة عمالية ليبرالية أما الحركة التحريرية البرجوازية في ارلنده فقد اشدت ساعدها واتخذت أشكالاً ثورية فاذا ماركس يعيد النظر برأيه ويصلحه «انها لمصيبة على شعب أن يستعبد شعباً آخر» ان الطبقة العاملة الانجليزية لن تتحرر ما لم تتحرر ارلنده من النير الانجليزي ان استعباد ارلنده يوطد الرجعية في انجلترا ويغذيها (كما يغذي الرجعية في روسيا استعبادها لجملة من الامم !)

وهكذا فان ماركس ، حين يحمل الاممية على اتخاذ قرار بالعطف على «الامة الارلندية» على «الشعب الارلندي» (يقينا أن ل فل الذكي كان هشم المسكين ماركس تهشيماً لنسيانـه النضال الطبقي !) يوصي في الوقت نفسه بانفصال ارلنده عن انجلترا «ولو أدى الامر ، بعد الانفصال ، الى الاتحاد»

فما هي المقدمات النظرية لاستنتاج ماركس هذا ؟ كانت الثورة البرجوازية في انجلترا بوجه عام قد انتهت منذ زمن بعيد ولكنها لم تنته بعد في ارلنده فان اصلاحات الليبيراليين الانجليز تنهيا اليوم فقط بعد مضي نصف قرن فلو قضي على الرأسمالية في انجلترا بالسرعة التي توقعها ماركس باديء بدء لما كان ثمة مجال في ارلنده لقيام حركة قومية شاملة برجوازية ديموقراطية ولكن لما كانت هذه الحركة قد قامت ، فقد نصح ماركس العمال

الانجليز بمساندتها بدفعها دفعا ثورياً وبالسير بها حتى النهاية حرصاً على مصلحة حريتهم بالذات

من المؤكد أن العلاقات الاقتصادية بين ايرلنده وانجلترا كانت في الستينيات من القرن الماضي أكثر وثوقاً مما هي عليه بين روسيا وبولونيا واورانيا الخ فكان واضحاً للعيان أن انفصال ايرلنده كان ذا طابع «غير عملي» «غير قابل للتحقيق» (على الاقل بسبب الاوضاع الجغرافية وكذلك بسبب جيروت انجلترا الاستعماري الهائل) فان ماركس الذي كان مبدئياً ضد النزعة الاتحادية ، قد وافق ، في هذه الحالة الخاصة على الاتحاد * ، شرط أن يتم تحرير ايرلنده بالسبيل الثوري لا الاصلاحى بحركة تقوم بها الجماهير الشعبية الارلندية بمساندة الطبقة العاملة الانجليزية وليس ثمة سبيل الى الشك في أن حلاً كهذا فقط لهذه القضية التاريخية كان لأم مصالح البروليتاريا على خير وجه وعجل التطور الاجتماعى غير أن الامور سارت على نحو آخر فقد تبين أن الشعب الارلندي والبروليتاريا الانجليزية كانا ضعيفين فان القضية

* من السهل ، للمناسبة ، أن نرى لماذا لا يمكن أن يفهم بحق الامم في «حرية تقرير مصيرها» ، من وجهة النظر الاشتراكية-الديموقراطية ، لا الاتحاد ، ولا الحكم الذاتى ، (رغم أن هذين ، من الناحية المجردة ، يدخلان في مفهوم «حرية تقرير المصير») ان الحق في الاتحاد هو ، بوجه عام ، مفهوم آخرق ، لان الاتحاد عقد بين طرفين ان الماركسيين لا يستطيعون اطلاقاً ان يسجلوا في برنامجهم الدفاع عن النزعة الاتحادية بوجه عام ، ولا حاجة لوضع هذه النقطة موضع البحث أما فيما يتعلق بالحكم الذاتى ، فان الماركسيين لا يدافعون عن «الحق في» الحكم الذاتى ، بل يدافعون عن الحكم الذاتى نفسه بوصفه مبدأ عاماً شاملاً لدولة ديموقراطية ذات تركيب قومى متنوع وأوضاع جغرافية مختلفة وغير ذلك من الاوضاع . ولهذا كان الاعتراف «بحق الامم في الحكم الذاتى» آخرق بقدر ما هو عليه الاعتراف «بحق الامم في الاتحاد» .

الارلندية تجعل اليوم فقط اثر مساومات حقيرة بين الليبيراليين الانجليز والبرجوازية الارلندية (ومثال اولستر يبين مدى الصعوبة) وذلك عن طريق اصلاح زراعي (مع دفع تعويض) وحكم ذاتي (لا يزال غير مطبق حتى الآن). فما معنى هذا؟ هل ينجم من هذا أن ماركس وانجلس كانا «طوبويين» وأنهما كانا يصوغان مطالب قومية «غير قابلة للتحقيق» وأنهما تأثرا بالقوميين البرجوازيين الصغار الارلنديين (وطابع حركة «الفينيانيين» البرجوازي الصغير لا يقبل الجدل) الخ .؟

كلا ففي المسألة الارلندية أيضاً ، سار ماركس وانجلس على سياسة بروليتارية منسجمة متماسكة الحلقات الى النهاية تربي الجماهير فعلاً بروح الديمقراطية والاشتراكية وهذه السياسة وحدها كانت قادرة على أن توفر على ارلنده كما على انجلترا تأخر نصف قرن في تحقيق التحويلات الضرورية ، وان تعصم هذه التحويلات من التشويه الذي الحقه بها الليبيراليون في سعيهم الى ارضاء الرجعية . ان سياسة ماركس وانجلس في قضية ارلنده قد أعطت أعظم مثال ، ما يزال يحتفظ حتى الآن بأهمية عملية هائلة ، على السلوك الذي ينبغي أن تنهجه بروليتاريا الامم المضطهدة ، ازاء الحركات القومية ، وقد كانت سياستهما هذه تحذيراً مما يبيده التافهون الضيقو الافق على اختلاف بلداتهم وألوانهم ولغاتهم من «مبادرة ذليلة» لكي يطلقوا صفة «طوبوي» على كل تعديل لحدود دول أقيمت بواسطة العنف وامتيازات الملاكين العقارين والبرجوازية لامة من الامم

فاذا لم تتبن البروليتاريا الارلندية والبروليتاريا الانجليزية سياسة ماركس وتجعلنا من انفصال ارلنده شعاعاً لهما لكان ذلك من قبلهما من شريارات الانتهازية ، ونسياناً لمهامهما الديمقراطية والاشتراكية ، وتنازلاً امام الرجعية والبرجوازية الانجليزيتين

٩ - برنامج عام ١٩٠٣ ومصفوه

أصبحت اليوم محاضر مؤتمر عام ١٩٠٣ الذي أقر برنامج الماركسيين في روسيا ، من الوثائق النادرة جداً ولذا فان الاكثريّة الكبرى من المناضلين الحاليين في حركة العمال تجهل الاسباب التي من أجلها وضعت مختلف نقاط هذا البرنامج (لا سيما وان ليس جميع الكتابات المختصة به تتمتع بنعم العلنية .) ولهذا فمن الضروري أن ندرس كيف حلل مؤتمر عام ١٩٠٣ هذه القضية التي تهمننا

ونلاحظ في بادئ الامر أن الكتابات الاشتراكية-الديموقراطية الروسية التي تبحث في «حق الامم في تقرير مصيرها» تدل بوضوح ، رغم كل قلتها ، على أن معنى هذا الحق كان يفهم دائماً كحق الانفصال وان السادة سيمكوفسكي وليبنم ويوركيفيتش وأضرابهم الذين يشكون في ذلك ويصرحون بأن الفقرة التاسعة «ينقصها الوضوح» الخ لا يتحدثون عن هذا الا بسبب جهلهم الفاضح أو لامبالاتهم فمنذ عام ١٩٠٢ دافع بليخانوف في جريدة «زاريا» عن مبدأ «حق تقرير المصير» الوارد في مشروع البرنامج وكتب يقول ان هذا المطلوب الذي كان غير اجباري بالنسبة الى الديموقراطيين البرجوازيين ، هو «اجباري بالنسبة الى الاشتراكيين-الديموقراطيين» ثم أضاف قوله «فلو أهملناه وخشينا من الافصاح عنه خوفاً من صدم الاوهام القومية لدى مواطنينا من أبناء القبيلة الروسية لكان نداء «يا عمال العالم اتحدوا نفاقاً مخجلاً في أفواهنا» (١١٢)

وهذا وصف موفق جداً في صالح البرهان الاساسي الذي يدعم النقطة التي نبهتها ووصف موفق الى حد أن ليس من باب الصدفة اذا أهمله نقاد برنامجنا «الذين نسوا نسبهم» وما زالوا يهملونه وجلين .

فان التخلي عن هذه النقطة مهما كانت الدوافع التي يمكن التذرع بها معناه **في الواقع** تراجع «مخجل» امام نزعة التعصب القومي الروسي ولكن لماذا نقول الروسي ، ما دمنا نتكلم عن حق جميع الامم في تقرير مصيرها ؟ اننا نقول ذلك لان المراد هنا هو الانفصال عن الروس ان مصلحة اتحاد البروليتاريا مصلحة تضامنها الطبقي تتطلب الاعتراف بحق الامم في الانفصال وهذا ما اعترف به بليخانوف منذ اثني عشر عاماً في العبارات التي ذكرناها ولو أن أصحابنا الانتهازيين فكروا فيها ملياً لما تفوهوا ، أغلب الظن بذلك السيل من الحماقات حول حرية تقرير المصير كانت معظم الاعمال في مؤتمر عام ١٩٠٣ الذي صودق فيه على مشروع البرنامج هذا الذي دافع عنه بليخانوف تجري في لجنة البرنامج التي لم تسجل محاضرها لسوء الحظ ولكن هذه المحاضر كان يمكن أن تفيدنا كثيراً فيما يتعلق بهذه النقطة بالضبط وذلك لان مندوبي الاشتراكيين-الديموقراطيين البولونيين فارشافسكي وغانيتسكي ، حاولا في اجتماعات تلك اللجنة دون سواها أن يدافعا عن وجهات نظرهما وأن يعارضا «الاعتراف بحق حرية تقرير المصير» فان القارئ الذي يرغب في المقارنة بين براهينهما (الواردة في خطاب فارشافسكي وفي التصريح المشترك الذي أدلى به مع غانيتسكي راجع الصفحات ١٣٤ - ١٣٦ و ٣٨٨ - ٣٩٠ من المحاضر) وبين البراهين التي قدمتها روزا لوكسمبورغ في مقالها البولوني الذي حللناه آنفاً ، يلاحظ التشابه التام بين هذه البراهين وماذا كان موقف لجنة البرنامج في المؤتمر الثاني من تلك البراهين حيث حمل بليخانوف أكثر من غيره على الماركسيين البولونيين ؟ لقد وقفت منها موقف السخرية اللاذعة وقد بدت بجلاء ووضوح خراقة الاقتراح الذي يدعو ماركسيي روسيا الى أن يطرحوا

جانبا الاعتراف بحق الامم في تقرير مصيرها ، الى درجة أن الماركسيين البولونيين لم يجرؤوا حتى على ترديد براهينهم أمام هيئة المؤتمر العمومية !! فغادروه بعد أن اقتنعوا بئأس موقفهم أمام أعلى هيئة للماركسيين من روس ويهود وجورجيين وأرمن

ولا شك أن هذا الحادث التاريخي يتمتع بأهمية كبيرة جداً في نظر كل امرئ يحرص صادقاً على برنامجهم هو ان تحطيم براهين الماركسيين البولونيين تحطيماً تاماً في جلسات لجنة البرنامج في المؤتمر وعدولهم عن ابداء أية محاولة للدفاع عن آرائهم أمام هيئة المؤتمر العامة ، أمران لهما دلالة عميقة جداً وليس من باب الصدفة أن روزا لوكسمبورغ لجأت الى السكوت عن هذا «بتواضع» في مقالها عام ١٩٠٨ يظهر أن ذكريات المؤتمر كانت تزعجها كثيراً ! وقد تجنبت الكلام أيضاً عن ذلك الاقتراح السخيف التعس الذي قدمه فارشافسكي وغانيتسكي عام ١٩٠٣ باسم جميع الماركسيين البولونيين وطلباً فيه «تعديل» الفقرة التاسعة من البرنامج ، والذي لم تجرؤ (ولن تجرؤ) روزا لوكسمبورغ ولا غيرها من الاشتراكيين-الديموقراطيين البولونيين على ترديده

ولكن اذا كانت روزا لوكسمبورغ قد لظمت الصمت حول هذه الامور لكي تستر الهزيمة التي منيت بها عام ١٩٠٣ فان الذين يهتمون بتاريخ حزبهم سيسعون الى معرفة تلك الامور والى التفكير ملياً في أهميتها

كتب أصدقاء روزا لوكسمبورغ الى مؤتمر عام ١٩٠٣ عندما غادروه ، قائلين

«... انا نقترح ان تصاغ الفقرة السابعة من مشروع البرنامج (التي اصبحت اليوم الفقرة التاسعة) ، على الشكل التالي الفقرة السابعة . مؤسسات تضمن حرية التطور الثقافي التامة لجميع الامم التي تؤلف الدولة» (صفحة ٢٩٠ من المحاضر) .

وهكذا يتبين أن الماركسيين البولونيين كانوا يريدون يومئذ، فيما يتعلق بقضية القوميات آراء غاية في الإبهام الى درجة أنهم كانوا يقترحون في الواقع **بدلاً من حرية تقرير المصير صيغة** مستعارة من شعار «استقلال الثقافة القومية الذاتي» المزعوم ان الامر ليبدو بعيد التصديق ولكنه حقيقة واقعة مع الاسف وعلى الرغم من أن المؤتمر كان يضم خمسة من البولنديين يتمتعون بخمسة أصوات وثلاثة من القفقاسيين يتمتعون بستة أصوات فضلاً عن صوت استشاري هو صوت كوستروف على الرغم من ذلك كله لم يكن هناك أي صوت الى جانب حذف الفقرة المتعلقة بحرية تقرير المصير وقد جاءت ثلاثة أصوات فقط الى جانب اضافة جملة «استقلال الثقافة القومية الذاتي» على تلك الفقرة (وفقاً لصيغة غولدبلات «انشاء مؤسسات تضمن للامم حرية التطور الثقافي التامة») وأيدت أربعة أصوات صيغة لبير («اعطاؤها - أي الامم - الحق في تطور ثقافي حر»)

أما الآن وقد ظهر حزب ليبييرالي روسي هو حزب الدستوريين - الديموقراطيين (الكاديت) فاننا نعرف أن حرية الامم في تقرير مصيرها السياسي ، قد استعيض عنها في برنامجه ، بـ«حرية تقرير المصير الثقافي» وهذا يعني أن أصدقاء روزا لوكسمبورغ البولونيين الذين عكفوا على «معاوية» التعصب القومي لدى الحزب الاشتراكي البولوني ، قد برعوا في تلك الحرب الى درجة أنهم اقترحوا معها الاستعاضة عن البرنامج الماركسي ببرنامج ليبييرالي ! وراحوا بعد كل ذلك يتهمون برنامجنا بالانتهازية فهل ثمة مجال للدهشة اذا استقبلت لجنة البرنامج ، التي ألفها المؤتمر الثاني ، هذه التهمة بالضحك فقط !

وكيف فهم مندوبو المؤتمر الثاني «حرية تقرير المصير» ؟ لقد رأينا فيما تقدم أن أحداً منهم لم يتخذ موقفاً ضد «حرية تقرير مصير الامم» .

وتوضح لنا ذلك المقاطع الثلاثة التالية من المحاضر
 «يرى مارتينوف أنه ليس بالامكان اعطاء تفسير شامل لعبارة
 «حرية تقرير المصير» فهي تعني بكل بساطة حق الامم في الاعتزال
 في كيان سياسي مستقل ، ولا تعني ، أبداً ، استقلالاً ذاتياً في مناطق»
 (صفحة ١٧١) كان مارتينوف في ذلك الحين عضواً في لجنة البرنامج
 التي فندت حجج أصدقاء روزا لوكسمبورغ وسخرت منها وكان
 يومئذ ، في مفاهيمه ، من الاقتصاديين وخصماً لدوداً «للايسكرا» ،
 فلو أنه أبدى رأياً غير رأي أكثرية أعضاء لجنة البرنامج لفُند رأيه
 ورُدّ حتماً

وعندما انتقل المؤتمر بعد انتهاء أعمال اللجنة الى بحث
 الفقرة الثامنة من البرنامج (التي أصبحت اليوم الفقرة التاسعة) كان
 البوندي غولدبلات أول المتحدثين فقال

« لا يمكن الاعتراض بشيء على «حق حرية تقرير المصير» . فاذا ناضلت
 امة ما من أجل استقلالها ، فلا تجوز معارضتها في ذلك واذا أبت بولونيا
 أن تعقد زواجا شرعياً مع روسيا ، فيجب عدم اعاققتها في ذلك كما قال الرفيق
 بليخانوف - وأنا أوافق على وجهة نظره ، ضمن هذه الحدود» (صفحة ١٧٥ -
 ١٧٦)

ان بليخانوف لم يقل شيئاً في هذا الموضوع أمام الهيئة العامة
 للمؤتمر ولكن غولدبلات استشهد بما قاله بليخانوف أمام لجنة
 البرنامج حيث فسر «حق حرية تقرير المصير» تفسيراً مسهباً
 شعبياً بأنه حق الانفصال وقد أشار ليبر الذي تكلم بعد
 غولدبلات الى أنه

« اذا لم تستطع قومية من القوميات أن تعيش ضمن حدود روسيا ،
 فالحزب لن يعارضها بالطبع في ذلك» (صفحة ١٧٦)
 وهكذا يرى القارئ أنه لم يكن ، في مؤتمر الحزب الثاني الذي

أقر البرنامج رأيان بصدد الاعتراف بأن حرية تقرير المصير انما تعني «فقط» حق الانفصال وقد اقتنع حتى البونديون أنفسهم يومئذ بهذه الحقيقة ولكننا في عصرنا السيسى الذي يطغي فيه التيار المعادي للثورة بصورة مستمرة ويظهر فيه «التنكر والجحود» على اختلاف أنواعهما نرى أناساً يجرئهم الجهل ويدفعهم الى التصريح بأن برنامجنا «خال من الوضوح» على أننا قبل أن نكرس وقتنا لاولئك المساكين من «الاشتراكيين-الديموقراطيين - هم أيضاً» سننهى كلامنا بالحديث عن موقف البولونيين من البرنامج

لقد جاؤوا الى المؤتمر الثاني (١٩٠٣) وهم يصرحون بأن التوحيد قضية ضرورية ملحة . ولكنهم غادروا المؤتمر بعد «اخفاقاتهم» في لجنة البرنامج وكانت كلمتهم الاخيرة تصريحاً خطياً نشر في محاضر المؤتمر وتضمن الاقتراح الانف الذكر الاستعاضة عن حرية تقرير المصير باستقلال الثقافة القومية الذاتية ثم جاء عام ١٩٠٦ وانضم الماركسيون البولونيون الى الحزب ولكنهم لم يتقدموا مرة بأي اقتراح لتعديل الفقرة التاسعة من البرنامج الروسي لا عند دخولهم الحزب ولا بعده (أي لا في مؤتمر عام ١٩٠٧ ولا في المجلسين العامين اللذين عقدا في عامي ١٩٠٧ و ١٩٠٨ ولا في الدورة التي التأمت عام ١٩١٠)

هذا أمر واقع

وهو أمر يبين بوضوح أن أصدقاء روزا لوكسمبورغ ، على الرغم من جميع الاقوال والتأكيدات اعتبروا أن القضية فرغ منها عند بحثها في لجنة برنامج المؤتمر الثاني وانتهت بالقرار الذي اتخذه ذلك المؤتمر كما يبين أنهم أقروا بخطئهم ضمناً وأصلحوه بانضمامهم في عام ١٩٠٦ الى صفوف الحزب بعد أن غادروا المؤتمر في عام ١٩٠٣ ولم يحاولوا أبداً اثاره مسألة اعادة النظر في الفقرة التاسعة من البرنامج ، عن طريق الحزب .

ثم صدر مقال روزا لوكسمبورغ بتوقيعها في سنة ١٩٠٨ - وبالطبع لم يخطر على بال أحد منا أبداً أن ينكر على كتاب الحزب حق انتقاد البرنامج - ، ولكن بعد ذلك المقال أيضاً لم تثر أية منظمة رسمية من منظمات الماركسيين البولونيين قضية إعادة النظر في الفقرة التاسعة

وقد كانت الخدمة التي أداها تروتسكي لبعض المعجبين بروزا لوكسمبورغ شبيهة في الحقيقة بخدمة الدب وذلك عندما كتب باسم هيئة تحرير «بوربا» في عددها ٢ (آذار - مارس - ١٩١٤)

«... يرى الماركسيون البولونيون أن «حق حرية تقرير المصير القومي» خال تماماً من كل مضمون سياسي ويجب طرحه من البرنامج» (صفحة ٢٥)

ان تروتسكي المخلص لاشد خطراً من العدو فهو لم يستطع أن يجد في أي مصدر ، الا في «المحادثات الخاصة» (أي في تلك الثمرات التي يعيش منها تروتسكي دائماً) أدلة تسمح له بأن يصنف «الماركسيين البولونيين» عموماً بين أنصار كل مقال من مقالات روزا لوكسمبورغ لقد صور تروتسكي «الماركسيين البولونيين» كأناس لا شرف لهم ولا وجدان وحتى لا يعرفون احترام عقائدهم الخاصة وبرنامج حزبهم وتروتسكي هو المخلص !

ولما غادر ممثلو الماركسيين البولونيين في عام ١٩٠٣ المؤتمر الثاني بسبب الخلاف حول حق حرية تقرير المصير كان بوسع تروتسكي حينذاك أن يقول انهم رأوا في ذلك الحق فقرة لا فحوى لها ويجب حذفها من البرنامج .

ولكن الماركسيين البولونيين انضموا بعد ذلك الى صفوف الحزب الذي أقر ذلك البرنامج ، ولم يقترحوا أبداً إعادة النظر فيه * فلماذا أخفى تروتسكي هذه الوقائع عن قراء مجلته ؟ لقد أخفاها لسبب واحد بسيط هو أنه رأى من الفائدة لنفسه أن يناور لتسعير الخلافات بين خصوم تيار التصفوية من روس وبولونيين وأن يخدع العمال الروس فيما يتعلق بالبرنامج ان تروتسكي لم يكن له في يوم من الايام رأي ثابت في أية قضية جدية من قضايا الماركسية فقد كان «يتسلل» دائماً «في الثغرات بين الخلافات وينتقل من معسكر الى آخر وها هو ذا قد أصبح اليوم رفيق البونديين والتصفويين والحال أن هؤلاء السادة يتصرفون على هواهم تجاه الحزب اليكم ما يقوله البوندي الجنتلمان ليبيمن

«حين وضعت الاشتراكية-الديموقراطية الروسية منذ خمسة عشر عاماً ، فقرة في برنامجها تتناول حق كل قومية في «تقرير مصيرها» ، تساءل كل واحد (!!) ماذا يعني في الحقيقة هذا التعبير الدارج (!!) ؟ ولكننا لم نتلق جواباً على ذلك (!!) وظل هذا التعبير (..) مغلفاً بالضباب ، وكان من الصعب فعلاً في ذلك الحين ازالة الضباب عنه وكانوا يقولون آنذاك لم يحن الوقت بعد لتوضيح هذه الفقرة وتجسيدها ، فلتبقى الآن مغلفة بالضباب (!!) فان الحياة نفسها هي التي ستعين المضمون الذي يجب وضعه في تلك الفقرة»

* أبلغونا أن الماركسيين البولونيين اشتركوا في اجتماع ماركسيي روسيا في صيف ١٩١٣ ، بصفة استشارية فقط ، وانهم لم يصوتوا قط على مسألة الحق في تقرير المصير (في الانفصال) لانهم عارضوا هذا الحق بوجه عام وطبعاً ، كان من حقهم الكامل أن يتصرفوا على هذا النحو وأن يواصلوا القيام في بولونيا بتحريض ضد انفصالها ولكن هذا ليس تماماً ما قصده تروتسكي ، لان الماركسيين البولونيين لم يطلبوا اطلاقاً وحذف الفقرة التاسعة «من البرنامج» .

اليس ظريفاً هذا «الصبى بلا لباس» (١١٣) الذي يتهمك على برنامج الحزب ؟

ولماذا يتهمك ؟

لا لشيء الا لانه مغرق في الجهل لم يتعلم شيئاً بل لم يقرأ شيئاً من تاريخ الحزب ولانه سقط في وسط من التصفيين «اعتادوا» السير عراة عندما يتناولون قضايا الحزب والروح الحزبية

يفخر أحد الاخوة البورساك في رواية بوميالوفسكي بأنه «بصق في برميل من الملفوف المخلل» (١١٤). ولكن السادة البوندين فعلوا أكثر من ذلك. انهم يطلقون العنان لاصحابهم من أضراب لييمن لكي يبصق هؤلاء الجنتلمن أمام جميع الناس في برميلهم بالذات. أما أن هناك قراراً صادراً عن مؤتمر أممي وأن اثنين من نفس ممثلي بوندهم وفي مؤتمر حزبهم قد برهنا (على الرغم من أنهما كانا «صارمين» في نقدهما وخصمين الدين «للايسكرا»!) على أنهما قادران تماماً على فهم معنى «حرية تقرير المصير»، بل أنهما وافقا على ذلك المعنى فجميع هذه الاشياء لا تهم السيد لييمن وأضرابه ! اليس من الاسهل والحالة هذه تصفية الحزب ما دام بعض «صحافيين الحزب» (لا تمزحوا!) يعمدون الى معالجة تاريخ الحزب وبرنامجهم على طريقة الاخوة البورساك ؟

وهذا «صبى بلا لباس» آخر هو السيد يوركيفيتش المحرر في مجلة «دزفين» ان هذا السيد قد اطلع ، أغلب الظن ، على محاضر المؤتمر الثاني لانه يستشهد بأقوال بليخانوف التي اوردها غولدبلات وأظهر أنه يعرف أن حرية تقرير المصير لا يمكن أن تعني الا حق الانفصال ولكن هذا لا يمنعه من النيمة على الماركسيين الروس في أوساط البرجوازية الاوكرانية الصغيرة ، بادعائه أن هؤلاء الماركسيين هم من أنصار «وحدة كيان الدولة» الروسية (١٩١٣) ،

العدد ٧ - ٨ ، صفحة ٨٣ وما يليها) أن السادة يوركييفيتش وأمثاله لم يكن في وسعهم بالطبع ، أن يجدوا وسيلة أفضل من هذه النميمة لابعاد الديموقراطيين الاوكرانيين عن الديموقراطيين الروس والحال أن هذه المباحدة مطابقة لمجمل الخطة السياسية التي ينتهجها فريق الادباء الذين يكتبون في مجلة «دزفين» ويدعون فيها الى فرز العمال الاوكرانيين في منظمة قومية خاصة ! *

ومن المؤكد أنه يلائم هذا الفريق من البرجوازيين الصغار القوميين المتعصبين الممعنين في شق صفوف البروليتاريا - وهذا هو الدور الموضوعي الذي تقوم به مجلة «دزفين» - أن ينشروا أقصى الغموض حول مسألة القوميات ومن المسلم به أن السادة أمثال يوركييفيتش وليبمن - الذين يغضبون «بشدة» حين نصفهم بأنهم عناصر تعيش «قرب الحزب» - لم يذكروا كلمة واحدة ولا كلمة واحدة أبداً ، عن الطريقة التي يرغبون ، هم أنفسهم أن تحل بها قضية حق الانفصال في البرنامج

وهذا هو «الصبي بلا لباس» الثالث والاهم السيد سيمكوفسكي الذي «يهدم» في أعمدة جريدة التصفويين وأمام جمهور الروس الفقرة التاسعة من البرنامج ويصرح في الوقت نفسه أنه «بالنظر لبعض الاعتبارات لا يؤيد الاقتراح» القائل بحذف هذه الفقرة

انه أمر لا يصدق ، ولكنه أمر واقع في آب (اغسطس) عام ١٩١٢ ، وضع المجلس العام للتصفويين مسألة القوميات على بساط البحث رسمياً وخلال ثمانية عشر

* راجعوا بصورة خاصة مقدمة السيد يوركييفيتش لكتاب السيد ليفنسكي (نظرة في تطور الحركة العمالية الاوكرانية في غاليسيا) ، كييف ، ١٩١٤ . (الناشر) .

شهرآ لم يصدر مقال واحد بشأن الفقرة التاسعة ما عدا مقال السيد سيمكوفسكي وفي هذا المقال راح الكاتب يفنئ البرنامج ويعلن في الوقت نفسه أنه بالنظر «الى بعض الاعتبارات (ويحتمل أنها مرض سري ، من يدري؟) لا يؤيد» الاقتراح القائل بتعديله ومن الممكن المراهنة بأنه من العسير حقاً العثور على أمثلة في العالم بأسره على هذا النوع من الانتهازية بل على ما هو أفظع من الانتهازية ، على هذا الجحود للحزب على هذه المحاولة لتصفيته أما البراهين التي يوردها سيمكوفسكي فمثال واحد يكفي لايضاحها فهو يقول

«ما العمل اذا ارادت البروليتاريا البولونية خوض النضال المشترك ، ضمن نطاق دولة واحدة مع مجموع بروليتاريا روسيا ، واذا ارادت الطبقات الرجعية في المجتمع البولوني ، على عكس ذلك ، فصل بولونيا عن روسيا واستطاعت ان تنال في استفتاء شعبي اكثرية الاصوات ؟ ايجب علينا ، نحن الاشتراكيين-الديموقراطيين الروس ، ان نصوت في البرلمان المركزي مع رفاقنا البولونيين ضد الانفصال ، او من اجل الانفصال ، خوفاً من خرق (حق حرية تقرير المصير ؟) (جريدة «نوفايا رابوتشايا غازيتا» ، العدد ٧١)

يتبين من هذا أن السيد سيمكوفسكي لم يدرك حتى ما هو المقصود فهو لم يفتن الى أن حق الانفصال يتطلب بالضبط حل القضية لا بواسطة البرلمان المركزي بل فقط بواسطة برلمان (مجلس ، استفتاء ، الخ .) المنطقة التي تنفصل

ان الحيرة الصبانية التي تبرز من «ما العمل» هذه اذا كانت الاكثرية في النظام الديموقراطي في جانب الرجعية أن هذه الحيرة تخفي قضية السياسة الواقعية الصحيحة الحية حيث يرى بوريشكيفيتش وأضرابه شأنه شأن كوكوشكين وأضرابه الى مجرد التفكير بالانفصال على أنه جريمة فيجب في زعم المؤلف ، على البروليتاريا في روسيا كلها لا أن تناضل اليوم ضد البوريشكيفيتشين

والكوشكينيين بل أن تتجنبهم وتناضل ضد الطبقات الرجعية في بولونيا !

وهذه الحماقة التي لا تصدق هي التي تنشرها صحيفة التصفويين الصحيفة التي تعد بين قادتها الفكرين السيد مارتوف . وهو مارتوف نفسه الذي حرر مشروع البرنامج ودافع عنه في عام ١٩٠٣ وكتب بعد ذلك أيضاً مؤيداً حرية الانفصال ولكن يظهر أن مارتوف يفكر اليوم على الطريقة الآتية

لا ضرورة أبداً للدكاء ،

ارسلوا «رياد» الى هناك ،

وأنا ، سوف أرى ! (١١٥)

وها أنه يرسل ريادة - سيمكوفسكي ويفسح له في المجال في صحيفة يومية وأمام قراء جدد لا يعرفون برنامجنا ليشوه ذلك البرنامج ، ويشير الغموض حوله الى درجة لا متناهية !

أجل أجل ، ان التصفوية قد سارت شوطاً بعيداً فلم يبق أي أثر للروح العزبية لدى طائفة من الاشتراكيين-الديموقراطيين السابقين وحتى من البارزين منهم

ان روزا لوكسمبورغ بعيدة بالطبع عن هؤلاء ، ولا يمكن وضعها في صف ليبنم ويوركيفيتش وسيمكوفسكي واضرابهم ولكن مجرد تعلق هؤلاء الناس بالضبط بأذيال خطئها يثبت بوضوح خاص الى أي درك من الانتهازية قد انزلت

١٠ - خاتمة

لنستخلص النتائج

ان حق تقرير المصير من وجهة نظر الماركسية عموماً لا يشير أية صعوبة فليس ما يدعو جدياً الى الاعتراض على قرار لندن الصادر في عام ١٨٩٦ ، ولا الى فهم حرية تقرير المصير بمعنى آخر

غير معنى حق الانفصال ولا الى الشك في أن انشاء دول قومية مستقلة هو ميل مرافق لجميع الانقلابات البرجوازية الديمقراطية أما الصعوبة التي تبرز الى حد ما ، فيما يختص بروسيا فهي أن بروليتاريا الامم المظلومة ، وبروليتاريا الامة المتسلطة تناضلان ومن واجبهما أن تناضلا جنبا الى جنب فالمهمة اذن هي صيانة وحدة النضال الطبقي للبروليتاريا من أجل الاشتراكية ومحاربة جميع تأثيرات التعصب القومي البرجوازية والمغرقة في الرجعية ان حشد بروليتاريا الامم المضطهدة المظلومة في حزب مستقل يؤدي أحيانا الى نضال غاية في الضراوة ضد التعصب القومي لدى تلك الامم الى حد تشوه الافق ونسيان نزعة التعصب القومي لدى الامة الظالمة المضطهدة

غير أن تشوه الافق هذا لا يمكن أن يدوم طويلا فان تجارب النضال المشترك الذي تقوم به البروليتاريا في مختلف الامم تدل بوضوح بالغ ، على أن معالجاتنا للقضايا السياسية ينبغي الاتبنى على أساس وجهة نظر «كراكوفيا» بل على أساس وجهة نظر عامة تشمل روسيا كلها ومعروف أن البوريشكيفيتشييين والكوكوشكينيين هم المسيطرون على سياسة روسيا العامة ان آراءهم هي السائدة وحملات الاضطهاد ضد القوميات الاخرى ، غير الروسية واتهامهم اياها بأنها «تسعى الى الانفصال» وادانتهم مجرد التفكير في الانفصال هي مواضيع المواعظ والخطب في الدوما والمدارس والكنائس والثكنات وفي مئات الصحف والوفها ان هذا السم الذي تنفثه نزعة التعصب القومي الروسية هو الذي يفسد الجو السياسي في روسيا كلها وهذه مصيبة الشعب الذي يقوي جذور الرجعية في جميع أنحاء روسيا بسبب استعباده طائفة من الشعوب الاخرى . ان ذكريات عامي ١٨٤٩ و ١٨٦٣ هي بمثابة تقاليد

سياسية حية تهدد باعاقة كل حركة ديمقراطية ، وخصوصاً الحركة الاشتراكية-الديموقراطية خلال عقود طويلة قادمة اذا لم تهب عواصف قوية جداً

وليس من شك أبداً في أنه مهما ظهرت طبيعية وجهة نظر بعض الماركسيين من الامم المظلومة (وهم الذين تقوم «مصيبتهم» أحياناً على كون جماهير أممهم تعمي أبصارها فكرة تحرر «ها» القومي) ، فان كل تقاعس عن الدفاع عن حق حرية تقرير المصير انما يعني في الواقع بالنظر الى النسبة الموضوعية بين قوى الطبقات في روسيا الانغماس في أفطح أنواع الانتهازية وتطعيم البروليتاريا بآراء الكوكوشكينيين والحال أن هذه الآراء ليست من حيث الجوهر الا آراء البوريشكيفيتشينيين وسياستهم

ولذلك اذا جاز في بادى الامر تبرير وجهة نظر روزا لوكسمبورغ بوصفها عبارة عن ضيق ذي طابع بولوني بحت أو «كراوفي» * فلا شك في أن ضيقاً من هذا النوع قد أصبح اليوم شيئاً غير مغتفر ، بعد أن تفاقم التعصب القومي في كل مكان ، وبالدرجة الاولى التعصب القومي الحكومي ، الروسي ، حيث أصبح هذا التعصب هو الموجه للسياسة فان الانتهازيين من جميع الامم الذين ينفرون من فكرة «العواصف» و«القفزات» ، وينظرون الى الانقلاب البرجوازي الديموقراطي على أنه قد انتهى وينجرون وراء ليبرالية الكوكوشكينيين انما يتعلقون فعلاً باذيال ذلك الضيق

* من السهل ان ندرك أن اعتراف ماركسيي عموم روسيا ، وبالدرجة الاولى الماركسيين الروس ، بحق الامم في الانفصال ، لا ينفي مطلقاً تحريض ماركسيي هذه الامة المظلومة أو تلك ضد الانفصال ، كما أن الاعتراف بحق الطلاق لا ينفي ، في هذه الحالة أو تلك ، التحريض ضد الطلاق ولذا نرى انه سيزداد حتماً عدد الماركسيين البولونيين الذين سيسخرون من «التناقض» الخيالي الذي «يسخنه» اليوم سيمكوفسكي وتروتسكي .

ان التعصب القومي الروسي شأن كل تعصب قومي آخر يجتاز مراحل مختلفة حسب سيطرة هذه أو تلك من الطبقات في القطر البرجوازي فقد سيطر في بلادنا قبل عام ١٩٠٥ القوميون الرجعيون دون سواهم تقريباً ثم برز الليبراليون - القوميون بعد ثورة العام المذكور

هذا في الواقع هو الموقف الذي يقفه عندنا الاكثوريون والكاديت (كوكوشكين) على السواء ، أي مجموع البرجوازية المعاصرة .

ولا مندوحة من ظهور قوميين - ديموقراطيين روس فيما بعد وها أن السيد بيشيخونوف أحد مؤسسي الحزب «الاشتراكي الشعبي» قد أعرب عن هذا الرأي بدعوته (في عدد آب - اغسطس - ١٩٠٦ من مجلة «روسكويه بوغاتستفو») الى الحذر من أوهام الموجيك القومية ومهما افتروا علينا نحن البلاشفة وزعموا أننا نجعل من الموجيك «مثلاً أعلى» فاننا فرقنا دائماً بدقة وسوف نفرق بين سلامة تفكير الموجيك وأوهامه بين طموح الموجيك الى الديموقراطية خلافاً لرغبة بوريشكيفيتش وبين ميله الى التلاؤم مع الكاهن والملاك العقاري

ومنذ الآن ينبغي على الديموقراطية البروليتارية أن تحسب حساباً للتعصب القومي لدى الفلاحين الروس (لا للتراجع أمامه بل لمحاربتة) وسيكون عليها في الارجح أن تحسب هذا الحساب الى مدة طويلة نسبياً* ان استيقاظ نزعة التعصب القومي لدى الامم المظلومة وهو الذي برز بقوة كبيرة جداً بعد عام ١٩٠٥ (ولنكتف

* قد يكون من المفيد والطريف أن نتتبع مثلاً كيف يتطور التعصب القومي في بولونيا ، ويتحول من تعصب قومي اقطاعي الى تعصب قومي برجوازي ، ثم فلاحى فان لودفيغ برنهارد ، الذي يقف هو ايضاً موقف كوكوشكين الماني ، وصف في كتابه «داس بولنيشه غبماينفنزن ايم بروسيشن

هنا بذكر كتلة «أنصار الاستقلال الذاتي والاتحاد الفيدرالي» في الدوما الاول ، ونمو الحركة الاوكرانية ، والحركة الاسلامية ، الخ .) ، ان هذا الاستيقاظ لا بد أن يؤدي الى اشتداد التعصب القومي لدى البرجوازية الصغيرة الروسية في المدن والارياف وبقدر ببطء سير التحول الديموقراطي في روسيا يزداد الاضطهاد القومي والخصومة بين برجوازيات مختلف القوميات عناداً وقسوة ووحشية وكذلك ستثير سياسة البوريشكيفيتشين الروس المغرقة في الرجعية (وتقوي) الميول «الانفصالية» لدى هذه أو تلك من الامم المظلومة التي تتمتع أحياناً بقسط أوفر بكثير من الحرية في الدول المجاورة ان هذه الحالة تجعل مهمة البروليتاريا في روسيا مزدوجة أو بالاحرى ثنائية الطرف وهي محاربة كل نزعة من نزعات التعصب القومي وفي مقدمتها نزعة التعصب القومي الروسي والاعتراف لجميع الامم لا بالمساواة المطلقة في الحقوق بصورة عامة وحسب ، بل ايضاً بالمساواة في الحقوق فيما يخص انشاء دولة لها ، أي الاعتراف بحق الامم في تقرير مصيرها ، في الانفصال ولكن الى جانب ذلك وبالضبط من أجل نجاح النضال ضد كل أنواع التعصب القومي في جميع الامم ينبغي صيانة وحدة نضال البروليتاريا والمنظمات

شتات» «Das polnische Gemeinwesen im preussischen Staat» «البولونيون في بروسيا» ، توجد ترجمة روسية) ظاهرة لها دلالتها البالغة انشاء نوع من «جمهورية فلاحية» للبولونيين في ألمانيا تشكل تحالف وثيق بين شتى تعاونيات وجمعيات الفلاحين البولونيين الذين يناضلون في سبيل قوميتهم في سبيل دينهم ، في سبيل الارض «البولونية» ان النير الالمانى قد وحد البولونيين ودفعهم الى الانطواء على انفسهم موقظاً التعصب القومي عند النبلاء أولاً ، ثم عند البرجوازية ، وأخيراً عند جماهير الفلاحين (ولا سيما بعد الحملة التي شنها الالمان في عام ١٨٧٣ ضد التعليم باللغة البولونية في المدارس) وفي هذا السبيل ، تتجه الامور في روسيا أيضاً ، وليس فقط فيما يتعلق ببولونيا .

البروليتارية وضمن اندماجها أوثق اندماج في تكتل أممي رغم ميل البرجوازية الى الانفرادية القومية
ان المساواة التامة في الحقوق بين الامم وحق الامم في تقرير مصيرها واتحاد عمال جميع الامم ان جميع هذه الاشياء هي البرنامج القومي الذي تلقنه الماركسية للعمال وتثبت صحته تجارب العالم بأسره وتجربة روسيا

كان هذا البحث تحت الطبع حين تلقيت العدد الثالث من جريدة «ناشا رابوتشايا غازيتا» الذي كتب فيه السيد فل كوسوفسكي الاسطر التالية ، بصدد الاعتراف بحق جميع الامم في تقرير مصيرها

« بما أن هذا الحق قد أخذ به بصورة ميكانيكية نقلاً عن قرار مؤتمر الحزب الاول (١٨٩٨) ، الذي أخذه بدوره عن مقررات المؤتمرات الاشتراكية العالمية ، فقد قبل في مؤتمر عام ١٩٠٣- كما تثبت المناقشات - بنفس المعنى الذي أعطته اياه الاممية الاشتراكية وهو تقرير المصير السياسي ، أي تقرير مصير الامم باتجاه الاستقلال السياسي وعليه فان صيغة تقرير المصير القومي ، التي تعني حق الانفراد بالكيان الجغرافي ، لا مساس لها أبداً بمسألة معرفة طريقة تنظيم العلاقات القومية في داخل جهاز دولة معينة ، بالنسبة الى القوميات التي لا تستطيع ، أو لا تريد الخروج من الدولة القائمة »

يتبين من هذا ان السيد فل كوسوفسكي قد اطلع على محاضر المؤتمر الثاني المنعقد في عام ١٩٠٣ ، وأنه يعرف جيداً ما هو المعنى الفعلي (والوحيد) لمفهوم حرية تقرير المصير قارنوا الآن بين هذا الامر وبين ما نعرفه من أن هيئة تحرير الصحيفة البوندية «زاييت» تفسح في المجال للسيد لييمن للسخره بالبرنامج بتصريحه أنه خال من الوضوح انها لغريبة حقاً هذه الاخلاق «الحزبية» عند السادة البونديين . . . اما لماذا يصرح كوسوفسكي أن قبول المؤتمر بحق

حرية تقرير المصير هو نقل ميكانيكي ، فان «الله وحده يعلم ذلك» .
ان ثمة أناساً «يشتهون دائماً الرد على غيرهم» ولكن ماذا يقولون ،
وبأي شكل ، ولاي سبب ولاية غاية ؟ انها أمور مجهولة منهم

المجلد ٢٥
ص ص ٢٥٥-٢٢٠

كتب في شباط - ايار
(فبراير - مايو) ١٩١٤

كارل ماركس

(موجز عن تاريخ حياة كارل ماركس ،
يتضمن عرضاً للماركسية) (١١٦)

مقدمة

المقالة عن كارل ماركس التي تصدر الآن بطبعة على حدة كتبتها في عام ١٩١٣ (بقدر ما أتذكر) من أجل معجم غرانات وقد ورد في نهاية المقالة دليل مفصل نسبياً للمراجع عن ماركس واغلبها من المراجع الأجنبية ولكن هذا الملحق لا يرد في هذه الطبعة ثم ان هيئة تحرير المعجم عمدت من جهتها لاعتبارات تتعلق بالرقابة ، الى نبذ خاتمة المقالة عن ماركس المكرسة لعرض تكتيكة الثوري ومن المؤسف انه لا يتسنى لي ان اعيد هنا طبع هذه الخاتمة لان المسودة بقيت في مكان ما مع اوراقى في كراكوفيا او في سويسرا انما اتذكر فقط اني اوردت في خاتمة المقالة فيما اوردته ذلك المقطع من رسالة ماركس الى انجلس بتاريخ ١٦ - ٤ - ١٨٥٦ الذي كتب فيه ماركس يقول «سيتوقف كل شيء في المانيا على امكانية دعم الثورة البروليتارية بطبعة ما جديدة لحرب الفلاحين عندئذ يكون كل شيء على ما يرام» وهذا ما لم يفهمه منذ عام ١٩٠٥ اصحابنا المناشقة الذين انزلقوا الآن الى خيانة الاشتراكية خيانة تامة ، الى الانتقال الى مصف البرجوازية ن . لينين

موسكو ، ١٤ - ٥ - ١٩١٨

ولد كارل ماركس في الخامس من ايار (مايو) سنة ١٨١٨ في مدينة ترير (بروسيا الالمانية) وكان ابوه محامياً وكان يهودياً ثم اعتنق البروتستانتية في سنة ١٨٢٤ ولم تكن عائلة ماركس الميسورة والمثقفة عائلة ثورية وبعد ان اتم ماركس دراسته الثانوية في مدينة ترير دخل جامعة بون ثم جامعة برلين فدرس الحقوق وبنوع خاص التاريخ والفلسفة وفي سنة ١٨٤١ انجز دراسته بتقديم اطروحته الجامعية حول فلسفة ابيقور وما زال ماركس آنذاك متمسكاً بأراء هيغل المثالية وفي برلين انضم الى حلقة «الهيغلين اليساريين» (١١٧) (برونو باور وغيره) الذين كانوا يحاولون ان يستخلصوا من فلسفة هيغل استنتاجات إلهادية وثورية

وعندما تخرج ماركس من الجامعة اقام في مدينة بون حيث كان يأمل بالحصول على منصب استاذ في الجامعة ولكن السياسة الرجعية التي كانت تسلكها الحكومة حيث اقصت عام ١٨٣٢ لودفيغ فورباخ عن منصبه كاستاذ وعادت في سنة ١٨٣٦ فرفضت من جديد السماح له بالعمل في الجامعة ومنعت في سنة ١٨٤١ الاستاذ الشاب برونو باور من القاء محاضرات في بون هذه السياسة الرجعية اضطرت ماركس الى العدول عن النشاط

الجامعي في ذلك الوقت كان تطور افكار الهيغلية اليسارية يجري سريعاً جداً في المانيا وكان لودفيغ فورباخ قد اخذ منذ ١٨٣٦ على الخصوص يوجه النقد الى علم اللاهوت ويتجه نحو المادية التي احرزت الغلبة نهائياً عنده في سنة ١٨٤١ (كتاب «جوهر المسيحية») وفي سنة ١٨٤٣ ظهر كتابه «الاحكام الاساسية لفلسفة المستقبل» لقد كتب انجلس فيما بعد حول هذين المؤلفين لفورباخ فقال «كان يجب ان يكون الانسان قد تحسس بنفسه الاثر التحريري لهذين الكتابين فلقد اصبحنا نحن» (اي الهيغليين اليساريين بمن فيهم ماركس) «دفعة واحدة من اتباع فورباخ» (١١٨) وفي ذلك الوقت، اسس البرجوازيون الراديكاليون في رينانيا الذين كان لهم بعض نقاط التقاء مع الهيغليين اليساريين جريدة معارضة في مدينة كولونيا باسم «الجريدة الرينانية» (التي اخذت تصدر ابتداء من اول كانون الثاني (يناير) سنة ١٨٤٢) وقد دعي ماركس وبرونو باور الى العمل محررين اساسيين فيها وفي تشرين الاول (اكتوبر) سنة ١٨٤٢ اصبح ماركس رئيس تحريرها فانتقل من مدينة بون الى كولونيا وتحت ادارة ماركس اخذ اتجاه الجريدة الديمقراطي الثوري يزداد وضوحاً فعمدت الحكومة في اول الامر الى اخضاع الجريدة لرقابة ثنائية بل ثلاثية ثم امرت بتعطيلها تماماً ابتداء من اول كانون الثاني (يناير) سنة ١٨٤٣ فاضطر ماركس حينئذ للتخلي عن مركزه في تحرير الجريدة ولكن خروج ماركس لم ينقذ الجريدة اذ انها منعت من الصدور في آذار (مارس) سنة ١٨٤٣ ومن اهم المقالات التي نشرها ماركس في «الجريدة الرينانية» فضلاً عن المقالات المشار اليها فيما بعد (راجع دليل المراجع) (١١٩)، يشير انجلس الى مقال حول اوضاع الفلاحين صانعي الخمر في وادي الموزيل (١٢٠). وقد ادرك ماركس من نشاطه الصحفي

ان معلوماته في الاقتصاد السياسي غير كافية فاندفع بحماسة الى دراسته

في سنة ١٨٤٣ تزوج ماركس في كريزناخ من جيني فون ويستفالن صديقة طفولته التي خطبها وهو ما يزال طالباً كانت زوجته تتحدر من عائلة نبيلة رجعية بروسية وكان اخو جيني فون ويستفالن الاكبر وزيراً للداخلية في بروسيا في مرحلة كانت من اشد المراحل اغراقاً في الرجعية وذلك بين ١٨٥٠ و ١٨٥٨ وفي خريف ١٨٤٣ انتقل ماركس الى باريس ليصدر في الخارج مجلة راديكالية مع ارنولد روغه (عاش ارنولد روغه من سنة ١٨٠٢ الى سنة ١٨٨٠ وكان هيجلياً يسارياً وسجن من ١٨٢٥ الى ١٨٣٠ وهاجر بعد سنة ١٨٤٨ وبعد ١٨٦٦ - ١٨٧٠ اصبح من انصار بيسمارك) ولكن لم يصدر من هذه المجلة المسماة «الحولية الالمانية الفرنسية» سوى العدد الاول اذ اضطرت للتوقف بسبب الصعوبات الناجمة عن توزيعها بصورة سرية في المانيا وبسبب الخلافات مع روغه وفي المقالات التي نشرتها هذه المجلة برز ماركس ثورياً ينادي «بانتقاد لا هوادة فيه لكل ما هو كائن» بما في ذلك «انتقاد الاسلحة» (١٢١) ويتوجه الى الجماهير والى البروليتاريا.

في ايلول (سبتمبر) سنة ١٨٤٤ جاء فريدريك انجلس الى باريس لقضاء بضعة ايام فيها فاصبح منذ ذلك الحين الصديق الحميم لماركس وقد أسهم كلاهما بأشد الحماسة في الحياة المحمومة للجماعات الثورية التي كانت آنذاك في باريس (وكانت تولي هناك اهمية خاصة لمذهب برودون وقد صفى ماركس حساب هذا المذهب تصفية قاطعة في كتابه «بؤس الفلسفة» الذي صدر عام ١٨٤٧) وصاغاً في غمرة نضالهما الحاد ضد مختلف نظريات الاشتراكية البرجوازية الصغيرة نظرية وتكتيك الاشتراكية البروليتارية الثورية ، او الشيوعية (الماركسية) . راجع ادناه

مؤلفات ماركس في هذه المرحلة الممتدة من ١٨٤٤ الى ١٨٤٨ في دليل المراجع وفي سنة ١٨٤٥ طرد ماركس من باريس لكونه ثورياً خطراً بناء على طلب الحكومة البروسية فجاء الى بروكسل واقام فيها وفي ربيع ١٨٤٧ انتمى ماركس وانجلس الى جمعية سرية للدعاية هي «عصبة الشيوعيين» وقاما بقسط بارز في المؤتمر الثاني لهذه العصبة المنعقدة في لندن في تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٨٤٧ وبناء على تكليف المؤتمر وضع ماركس وانجلس «بيان الحزب الشيوعي» المشهور الذي نشر في شباط (فبراير) سنة ١٨٤٨ ان هذا الكتاب يعرض بوضوح ودقة عبقرين المفهوم الجديد للعالم يعرض المادية المتماسكة التي تشمل ايضاً ميدان الحياة الاجتماعية والديالكتيك بوصفه المذهب الأوسع والأعمق للتطور ونظرية النضال الطبقي والدور الثوري الذي تضطلع به في التاريخ العالمي البروليتاريا خالقة المجتمع الجديد المجتمع الشيوعي

وعندما انفجرت ثورة شباط (فبراير) ١٨٤٨ (١٢٢) طرد ماركس من بلجيكا فعاد الى باريس ليتركها بعد ثورة آذار (مارس) (١٢٣) ويعود الى المانيا ليقوم في مدينة كولونيا، حيث صدرت، من اول حزيران (يونيو) ١٨٤٨ الى ١٩ ايار (مايو) سنة ١٨٤٩ «الجريدة الرينانية الجديدة» التي كان ماركس رئيس تحريرها وقد اثبت مجرى الاحداث الثورية في ١٨٤٨ - ١٨٤٩ كما اثبتت فيما بعد جميع الحركات البروليتارية والديموقراطية في جميع بلدان العالم صحة النظرية الجديدة على نحو ساطع في بادى الامر اقدمت الحركة الظافرة المعادية للثورة على احالة ماركس الى القضاء (فبري) في ٩ شباط (فبراير) سنة ١٨٤٩ ثم نفته من المانيا (في ١٦ ايار (مايو) ١٨٤٩) فانتقل اولاً الى باريس حيث طرد منها ايضاً بعد تظاهرة ١٣ حزيران (يونيو) ١٨٤٩ (١٢٤) . ثم ذهب الى لندن حيث عاش حتى آخر أيامه .

ان ظروف حياة المهاجر هذه كانت مضيئة الى أقصى حد كما يتبين بوضوح شديد من مراسلات ماركس وانجلس (المنشورة سنة ١٩١٣) فقد عاش ماركس وعائلته تحت وطأة الفقر المدقع ولولا المساعدة المالية الدائمة المخلصة التي كان يقدمها له انجلس لما استحال على ماركس انجاز كتاب «رأس المال» وحسب بل لكان قد هلك حتما من البؤس ومن جهة اخرى كانت المذاهب والتيارات السائدة في الاشتراكية البرجوازية الصغيرة والاشتراكية غير البروليتارية بوجه عام تضطر ماركس الى خوض نضال دائم لا هوادة فيه ، كما كانت تضطره احيانا للرد على اكثر التهجمات الشخصية جنوناً وغباوة («Herr Vogt»*) (١٢٥) وقد تحاشى ماركس حلقات المهاجرين وانكب على ان يصوغ في جملة من المؤلفات التاريخية (راجع دليل المراجع) نظريته المادية باذلاً جهده لدراسة الاقتصاد السياسي على الاخص وقد نفع ماركس في هذا العلم روحاً ثورية (راجع ادناه مذهب ماركس) في مؤلفيه «مساهمة في نقد الاقتصاد السياسي» (١٨٥٩) و «رأس المال» (المجلد الاول ١٨٦٧)

ثم جاءت مرحلة انتعاش النشاط في الحركات الديمقراطية في اواخر العقد السادس وفي العقد السابع فدفعت ماركس من جديد الى النشاط العملي ففي سنة ١٨٦٤ (٢٨ ايلول - سبتمبر) تأسست في لندن الاممية الاولى المشهورة «جمعية التشغيل العالمية» وكان ماركس روحها كما كان ايضاً واضع «ندائها» الاول (١٢٦) وعدد كبير من المقررات والتصريحات والبيانات ان ماركس بجمعه شمل الحركة العمالية في مختلف البلدان وسعيه الى توجيه شتى اشكال الاشتراكية غير البروليتارية السابقة

* «السيد فوغت» . الناشر .

للماركسية (مازيني، برودون، باكونين، التريديونيونية الليبيرالية الانجليزية الانحرافات اللاسالية اليمينية في ألمانيا الخ.) في طريق النشاط المشترك وكفاحه نظريات جميع هذه الشيع والمدارس الصغيرة قد صاغ تكتيكاً وحيداً لنضال الطبقة العاملة البروليتاري في مختلف البلدان وبعد سقوط كومونة باريس (١٨٧١) (١٢٧) التي قدرها ماركس تقديراً عميقاً صائباً باهراً **فِعَالاً** ثورياً («الحرب الاهلية في فرنسا» ١٨٧١) وبعد الانشقاق الذي أحدثه الباكونينيون (١٢٨) في الاممية لم يعد باستطاعة هذه الاممية ان تعيش في اوروبا ألحّ ماركس عقب مؤتمر ١٨٧٢ في لاهاي على انتقال المجلس العام للاممية الى نيويورك وهكذا انجزت الاممية الاولى مهمتها التاريخية مفسحة المجال لمرحلة من النمو في الحركة العمالية في جميع البلدان نمواً اقوى واشد مما مضى الى ما لا قياس له، - مرحلة تطور هذه الحركة من حيث **الاتساع** مرحلة تأليف احزاب عمالية اشتراكية **جماهيرية** في نطاق كل من الدول القومية

وما بذله ماركس من نشاط شديد في الاممية وما قام به من اعمال نظرية بمزيد من الشدة ايضاً قد زلزلت صحته زلزلة نهائية وقد واصل وضع الاقتصاد السياسي على اسس جديدة واتمام كتاب **«رأس المال»** جامعاً عدداً ضخماً من المستندات الجديدة، ودارساً عدة لغات (اللغة الروسية مثلاً) ولكن المرض اقعده عن انجاز كتاب **«رأس المال»**

وفي الثاني من كانون الاول (ديسمبر) سنة ١٨٨١ ماتت زوجته وفي ١٤ آذار (مارس) سنة ١٨٨٣ رقد ماركس في كرسيه رقاداً اخيراً هادئاً ودفن مع زوجته في مقبرة هايغيت في لندن وقد مات لماركس عدة ابناء وما يزالون اطفالاً في لندن حين كانت عائلته تعاني بؤساً مدقعاً . وكانت بناته الثلاث متزوجات من

اشتراكيين من إنجلترا وفرنسا وهن ايليونور ايفلينغ ولورا لافارغ وجيني لونغه ، وابن هذه الاخيرة عضو في الحزب الاشتراكي الفرنسي

مذهب ماركس

الماركسية هي نظام نظرات ومذهب ماركس لقد تابع ماركس واتم على نحو عبقرى التيارات الفكرية الرئيسية الثلاثة في القرن التاسع عشر والتي تعزى الى البلدان الثلاثة الاكثر تقدماً في العالم الفلسفة الكلاسيكية الالمانية والاقتصاد السياسي الكلاسيكي الانجليزي والاشتراكية الفرنسية المرتبطة بالتعاليم الثورية الفرنسية بوجه عام ان ما تتصف به نظرات ماركس من منطق رائع وانسجام تام انما يعترف به له حتى خصومه وتلك النظرات تؤلف بمجموعها المادية المعاصرة والاشتراكية العلمية المعاصرة بوصفها نظرية الحركة العمالية وبرنامجهما في جميع البلدان المتقدمة في العالم وكل هذا يحملنا على ان نقدم لعرض المضمون الرئيسي للماركسية اي مذهب ماركس الاقتصادي بلمحة موجزة عن مفهومه للعالم بوجه عام

المادية الفلسفية

كان ماركس قد اصبح مادياً منذ ١٨٤٤-١٨٤٥ اي في الفترة التي تكونت فيها افكاره لقد كان بوجه خاص ، من اتباع فورباخ ولم يقر ماركس بما عند فورباخ من نقاط ضعف حتى فيما بعد الا من حيث عدم الكفاية في منطق ماديته وشمولها لقد كان يرى الشأن التاريخي العالمي لفورباخ الذي «شغل دهرآ» في قطيعته النهائية مع مثالية هيغل بالضبط ومناداته بالمادية هذه المادية التي «لم تكن في القرن الثامن عشر ، وخصوصاً في

فرنسا نضالاً ضد المؤسسات السياسية الراهنة وكذلك ضد الدين واللاهوت وحسب بل ايضاً ضد كل ميتافيزيائية» (بمعنى «التأملات المخمورة» خلافاً «للفلسفة الصاحية») (كتاب «العائلة المقدسة» في «التركة الادبية») وكتب ماركس ايضاً «يرى هيغل ان عملية التفكير هذه العملية التي يحولها حتى تحت اسم الفكرة الى ذات مستقل هي «الديميورج» (الخالق الصانع) للواقع اما انا فاني ارى العكس ان المثالي ليس سوى المادي منقولاً الى دماغ الانسان ومحولاً فيه» («رأس المال» المجلد الاول تذييل للطبعة الثانية) ووفقاً تماماً لفلسفة ماركس المادية هذه كتب فريدريك انجلس عند شرحه لها في كتابه «ضد دوهرينغ» (راجعوا) - وهذا الكتاب قد اطلع عليه ماركس قبل طباعته - ان وحدة العالم ليست في كيانه بل في ماديته وهذه المادية قد اثبتها تطور طويل وشاق للفلسفة وعلوم الطبيعة الحركة شكل وجود المادة لم يوجد قط ولا يمكن ان يوجد ابداً في اي مكان ، مادة بدون حركة ولا حركة بدون مادة واذا تساءلنا عن ماهية الفكر والمعرفة وعن مصدرهما ، وجدنا انهما نتاج الدماغ الانساني وان الانسان نفسه هو نتاج الطبيعة الذي نما وتطور في محيط طبيعي معين ومع هذا المحيط واذا ذلك يغدو من البدهاة ان نتاج دماغ الانسان الذي هو ايضاً عند آخر تحليل نتاج للطبيعة ، ليس في تناقض بل في انسجام مع سائر الطبيعة» «لقد كان هيغل مثالياً اي ان افكار دماغنا لم تكن في نظره انعكاسات (في الاصل Abbilder صور واحياناً يستعمل انجلس كلمة «نسخ») مجردة ، الى هذا الحد او ذلك ، عن الاشياء والتطورات الواقعية بل على العكس من ذلك فالاشياء وتطورها كانت في نظر هيغل صوراً تعكس فكرة ما كانت موجودة

في مكان ما قيل وجود العالم» وقد كتب انجلس في مؤلفه «لودفيغ فورباخ» الذي عرض فيه افكاره وافكار ماركس حول فلسفة فورباخ والذي لم يدفعه الى الطبع الا بعد ان اعاد قراءة المخطوطة القديمة حول هيغل وفورباخ والمفهوم المادي عن التاريخ التي وضعها بالتعاون مع ماركس في ١٨٤٤ - ١٨٤٥ يقول «ان المسألة الاساسية العظمى في كل فلسفة ولا سيما الفلسفة الحديثة هي مسألة علاقة الفكر بالكائن او علاقة العقل بالطبيعة ايهما يسبق الآخر العقل ام الطبيعة وكان الفلاسفة تبعاً لاجابتهم على هذا السؤال قد انقسموا الى معسكرين كبيرين فأولئك الذين كانوا يؤكدون اولوية العقل على الطبيعة ويقبلون على هذا النحو، في آخر تحليل بخلق العالم اياً كان نوع هذا الخلق الفوا معسكر المثالية والآخرين الذين كانوا يعتبرون الطبيعة المنشأ الاساسي انتموا الى مختلف مدارس المادية» وكل استعمال آخر لمفهومى المثالية والمادية (الفلسفتين) يؤدي حتماً الى البلبلة وقد نبذ ماركس نبذاً قاطعاً ليس فقط المثالية المقرونة ابدأ الى الدين بشكل او بآخر بل نبذ ايضاً وجهة نظر هيوم وكانط المنتشرة خصوصاً في ايماننا هذه اللادريّة والانتقادية والوضعية باشكالها المختلفة - اذ انه كان يعتبر هذه الانواع من الفلسفة بمثابة تنازل «رجعي» امام المثالية وفي احسن الاحوال بمثابة «اسلوب جبان يقبل المادية في السر وينكرها في العلن» (١٢٩) وبصدد هذا، راجعوا، فضلاً عن مؤلفات انجلس وماركس المذكورة آنفاً رسالة ماركس الى انجلس المؤرخة في ١٢ كانون الاول (ديسمبر) ١٨٦٦ التي يتحدث فيها عن محاضرة العالم الطبيعي الشهير توماس هكسلي ويلاحظ فيها ان هذا العالم قد ظهر «مادياً اكثر» من العادة واعترف باننا ما دمنا «نلاحظ ونفكر فعلاً، فلا نستطيع ابدأ ان نبتعد عن

المادية» ثم يلومه ماركس على انه «ترك ثغرة» للادرية ولنظرية هيوم ومن المهم خصوصاً التنبيه الى رأي ماركس حول العلاقة بين الحرية والضرورة «ان الضرورة عمياء ما دامت غير مدركة الحرية هي ادراك الضرورة» (انجلس «ضد دوهرينغ») وهذا يعني اذن الاعتراف بخضوع الطبيعة للقوانين الموضوعية وبتحول الضرورة الديالكتيكي الى حرية (كتحول «الشيء بذاته» وغير المدرك ولكنه قابل للادراك الى «شيء لنا» ، تحول «جوهر الاشياء» الى «ظاهرات») ان العيب الاساسي في المادية «القديمة» وفي جملتها مادية فورباخ (وبالاحرى المادية «المبتدلة» لبوخنر وفوغت وموليشموت) هو في نظر ماركس وانجلس اولاً - ان هذه المادية كانت «ميكانيكية في الغالب» ولم تكن لتأخذ بعين الاعتبار آخر ما توصلت اليه الكيمياء والبيولوجيا (ومن المناسب ان نضيف اليهما في ايامنا هذه النظرية الكهربائية للمادة) ثانياً - ان المادية القديمة لم تكن تاريخية ولا ديالكتيكية (كانت ميتافيزيائية بمعنى انها منافية للديالكتيك) ولم تكن تطبق وجهة نظر التطور من جميع نواحيها على نحو منسجم الى النهاية ثالثاً - انها تفهم «جوهر الانسان» على نحو تجريدي لا بمثابة «مجموعة العلاقات الاجتماعية كافة» (التي يحددها التاريخ على نحو ملموس) وهكذا لم تقم الا «بتفسير» العالم مع ان المقصود كان «تغييره» وبتعبير آخر ان المادية القديمة لم تكن تدرك شأن «النشاط العملي الثوري»

الديالكتيك

لقد كان ماركس وانجلس يريان ديالكتيك هيغل باعتباره اكثر مذاهب التطور شمولاً وافرهما مضموناً واشدها عمقاً اثنى اكتساب حقيقته الفلسفة الكلاسيكية الالمانية . وكانا يعتبران

كل صيغة اخرى لمبدأ التطور وحيدة الجانب فقيرة المضمون تشوه وتفسد السير الواقعي للتطور (الذي غالباً ما تصحبه قفزات وكوارث وثورات) في الطبيعة والمجتمع «اننا كلينا ماركس وانا كنا وحدنا تقريباً للذين وضعنا نصب اعينهما مهمة انقاذ الديالكتيك الواعي» (عن طريق ذلك المثالية بما فيها الهيغلية) «ونقله الى صعيد المفهوم المادي عن الطبيعة» «ان الطبيعة هي التأكيد على صحة الديالكتيك، وان العلوم الطبيعية الحديثة بالضبط تبين ان هذا التأكيد غني للغاية» (كتب هذا قبل اكتشاف الراديوم والالكترونات وتحول العناصر الخ) «وانه يكسد كل يوم معطيات لا تحصى ويبرهن على ان الامور في الطبيعة تسير في آخر التحليل على النحو الديالكتيكي ولا على النحو الميتافيزيائي» (١٣٠)

وقال انجلس ايضاً «ان الفكرة الاساسية الكبرى التي تقول بأن العالم لا يتألف من اشياء جاهزة مكتملة بل هو مجموعة من العمليات يطرأ فيها على الاشياء التي تبدو في الظاهر ثابتة وكذلك على انعكاساتها الذهنية في دماغنا اي الافكار تغير مستمر من الصيرورة والفناء ، ان هذه الفكرة الاساسية الكبرى قد نفذت على نحو عميق ، منذ هيغل في الادراك العام حتى انه يكاد لا يوجد من يعارضها في شكلها العام هذا ولكن الاعتراف بهذه الفكرة قولاً شيء وتطبيقها في الواقع في كل حال من الاحوال وفي كل ميدان من ميادين البحث شيء آخر» «ليس هناك من امر نهائي، مطلق، مقدس بنظر الفلاسفة الديالكتيكية، فهي ترى على كل شيء وفي كل شيء، خاتم الهلاك المحتوم وليس ثمة شيء قادر على الصمود في وجهها غير الحركة التي لا تنقطع ، حركة الصيرورة والفناء حركة التصاعد ابدأ دون توقف من الأدنى الى الأعلى . وهذه الفلسفة نفسها ليست الا مجرد انعكاس هذه

الحركة في الدماغ المفكر» فالديالكتيك هو اذن في نظر ماركس «علم القوانين العامة لحركة العالم الخارجي والفكر البشري على السواء» (١٣١)

ان هذا الجانب الثوري لفلسفة هيغل هو ما تبناه ماركس وطوره فالمادية الديالكتيكية «ليست بحاجة الى فلسفة تعلق على العلوم الاخرى» وان ما يبقى من الفلسفة القديمة هو «التعاليم عن التفكير وقوانينه - المنطق الشكلي والديالكتيك» (١٣٢) غير ان الديالكتيك حسب مفهوم ماركس كما هو حسب مفهوم هيغل يشمل ما يسمى اليوم بنظرية المعرفة ، gnoséologie التي يجب عليها ان تعالج موضوعها من وجهة نظر تاريخية ايضا وذلك بأن تدرس وتعمم منشأ المعرفة وتطورها اي الانتقال من **اللا معرفة الى المعرفة**

في ايامنا ، دخلت فكرة النمو فكرة التطور ، على نحو كلي تقريباً في الوعي الاجتماعي ولكن عن غير طريق فلسفة هيغل بيد ان هذه الفكرة كما صاغها ماركس وانجلس بالاستناد الى هيغل هي اكثر شمولاً واغنى جداً في محتواها من الفكرة الشائعة عن التطور تطور يبدو كأنه يعود ويمر بمراحل مقطوعة سابقاً ولكن على نحو آخر وعلى قاعدة ارقى («نفي النفي») تطور على نحو لولبي اذا صح التعبير لا على نحو خط مستقيم ؛ - تطور بقفزات وكوارث وثورات ؛ - «انقطاعات في التدرج» تحول الكمية الى كيفية ؛ - بواعث داخلية على التطور يبثها التضاد والتصادم بين القوى والاتجاهات المتباينة التي تؤثر في جسم معين ، او تفعل فعلها في حدود ظاهرة معينة ، او في قلب مجتمع معين ؛ - تبعية متبادلة وصلبة وثيقة ، لا يمكن فصمها بين جميع جوانب كل ظاهرة (والتاريخ يكشف دائماً عن جوانب جديدة وجديدة) صلة تحدد مجرى الحركة العالمي الواحد ، الطبيعي ، - هذه هي بعض

سمات الديالكتيك بوصفه مذهباً للتطور اغنى مضموناً (من المذهب الشائع) (قارنوا رسالة ماركس الى انجلس بتاريخ ٨ كانون الثاني (يناير) ١٨٦٨ حيث يهزأ من «سفسطات» شتين «المشدودة»، التي من حماقة خلطها بالديالكتيك المادي .)

المفهوم المادي للتاريخ

كان ادراك ماركس لخلو المادية القديمة من المنطق وعدم اكتمالها وطابعها الوحيد الجانب قد آل به الى الاقتناع بضرورة «جعل علم المجتمع منسجماً مع الاساس المادي واعادة بنائه وفقاً لهذا الاساس (١٣٣) واذا كانت المادية بوجه عام تفسر الوعي بالوجود وليس بالعكس فهي تتطلب عند تطبيقها على الحياة الاجتماعية للانسانية تفسير الوعي الاجتماعي بالوجود الاجتماعي يقول ماركس «ان التكنولوجيا تبرز علاقة الانسان النشيطة بالطبيعة اي العملية المباشرة لانتاج حياته وبالتالي الظروف الاجتماعية لحياته والتصورات الفكرية التي تنجم عن هذه الظروف» («رأس المال» المجلد الاول) (١٣٤) وقد اعطى ماركس صيغة مكتملة للموضوعات الاساسية للمادية في تطبيقها على المجتمع البشري وعلى تاريخه ، وذلك في مقدمة كتابه «مساهمة في نقد الاقتصاد السياسي» ؛ قال

«ان الناس اثناء الانتاج الاجتماعي لحياتهم يقيمون فيما بينهم علاقات معينة ضرورية مستقلة عن ارادتهم وتطابق علاقات الانتاج هذه درجة معينة من تطور قواهم المنتجة المادية ومجموع علاقات الانتاج هذه يؤلف البناء الاقتصادي للمجتمع ، اي الاساس الواقعي الذي يقوم عليه بناء فوقي حقوقي وسياسي والذي تطابقه اشكال معينة من الوعي الاجتماعي ان اسلوب انتاج الحياة المادية يشترط مجرى الحياة الاجتماعي والسياسي

والروحي بصورة عامة فليس وعي الناس هو الذي يعين معيشتهم بل على العكس من ذلك معيشتهم الاجتماعية هي التي تعين وعيهم وعندما تبلغ قوى المجتمع المنتجة المادية درجة معينة من تطورها تدخل في تناقض مع علاقات الانتاج الموجودة او مع علاقات الملكية - وليست هذه سوى التعبير الحقوقي لتلك - التي كانت الى ذلك الحين تتطور ضمنها فبعد ما كانت هذه العلاقات اشكالا لتطور القوى المنتجة تصبح قيوداً لهذه القوى وعندئذ ينفتح عهد الثورة الاجتماعية ومع تغير الاساس الاقتصادي يحدث انقلاب في كل البناء الفوقي الهائل بهذا الحد او ذاك من السرعة وعند دراسة هذه الانقلابات ينبغي دائماً التمييز بين الانقلاب المادي لظروف الانتاج الاقتصادية - هذا الانقلاب الذي يُحدّد بدقة العلوم الطبيعية - وبين الاشكال الحقوقية والسياسية والدينية والفنية والفلسفية او بكلمة مختصرة الاشكال الايدولوجية التي يتصور فيها الناس هذا النزاع ويكافحونه

فكما انه لا يمكن الحكم على فرد وفقاً للفكرة التي لديه عن نفسه كذلك لا يمكن الحكم على عهد انقلاب كهذا وفقاً لوعيه فينبغي بالعكس تفسير هذا الوعي انطلاقاً من تناقضات الحياة المادية من النزاع القائم بين قوى المجتمع المنتجة وعلاقات الانتاج . «ان اساليب الانتاج الاسلوب الاسيوي والقديم والاقطاعي والبرجوازي المعاصر مرسومة بخطوطها الكبرى يمكن اعتبارها بمثابة عهود متصاعدة من التكون الاجتماعي الاقتصادي (راجع الصيغة الموجزة التي يعطيها ماركس في رسالته الى انجلس بتاريخ ٧ تموز (يوليو) ١٨٦٦ «نظريتنا حول تحديد تنظيم العمل بواسطة وسائل الانتاج» .) ان اكتشاف المفهوم المادي عن التاريخ ، او بتعبير ادق ،

تطبيق وتوسيع المادية بدأب وانسجام حتى تشمل ميدان الظواهر الاجتماعية قد قضى على عيين رئيسيين في النظريات التاريخية السابقة اولاً لم تكن هذه النظريات تأخذ بعين الاعتبار في احسن الحالات غير الدوافع الفكرية لنشاط الناس التاريخي دون ان تبحث عما يولد هذه الدوافع دون ان تستشف اي قانون موضوعي في تطور نظام العلاقات الاجتماعية دون ان ترى جذور هذه العلاقات في درجة تطور الانتاج المادي ثانياً كانت النظريات السابقة تهمل ، على وجه الضبط ، نشاطات جماهير السكان بينما مكنت المادية التاريخية ، لاول مرة ، من دراسة الظروف الاجتماعية لحياة الجماهير وتغيرات هذه الظروف بدقة العلوم الطبيعية والتاريخ لقد كان «علم الاجتماع» وعلم التاريخ قبل ماركس يكسدان في احسن الحالات وقائع خام مجموعة كيفما اتفق ويعرضان بعض الجوانب من حركة تطور التاريخ لقد دلت الماركسية على الطريق نحو دراسة واسعة شاملة لعملية نشوء تشكيلات المجتمع الاقتصادية وتطورها وانحطاطها وذلك بتحليلها **مجمل** النزعات المتناقضة وردها الى ظروف المعيشة والانتاج الواضحة المعالم لمختلف طبقات المجتمع وبابعادها اختيار مختلف الافكار «السائدة» او تأويلها على نحو ذاتي واعتباطي وبكشفها عن **جذور** جميع الافكار وجميع النزعات المتباينة دون استثناء في اوضاع القوى المنتجة المادية ان الناس هم صانعو تاريخهم ولكن ما الذي يحدد دوافعهم وخصوصاً دوافع الجماهير البشرية ؟ وما هو سبب تصادم الافكار والمطامح المتضادة ؟ وما هو مجموع هذه التصادمات في مجمل المجتمعات البشرية وما هي الشروط الموضوعية لانتاج الحياة المادية تلك الشروط التي هي اساس كل نشاط الناس التاريخي ؟ وما هو قانون تطور هذه الشروط ؟ - ان ماركس قد اعار انتباهه لكل

هذه المسائل ودل على طريق الدراسة العلمية للتاريخ بوصفه عملية واحدة تسيير وفق قوانين معينة رغم كل تعدد جوانبها الهائل ورغم كل تناقضاتها

النضال الطبقي

من المعلوم لدى الجميع انه في كل مجتمع تتصادم مطامح البعض مع مطامح البعض الآخر وان الحياة الاجتماعية مليئة بالمتناقضات وان التاريخ يكشف لنا عن النضال الذي يقوم بين الشعوب والمجتمعات وداخل الشعوب والمجتمعات ايضاً كما انه يبين لنا تعاقب مراحل الثورة والرجعية ، مراحل السلم والحروب ، مراحل الركود والتقدم السريع او الانحطاط ان الماركسية قد قدمت الخيط الموجه الذي يتيح اكتشاف قانون موضوعي في هذا المتاه والتشوش الظاهر ونعني بهذا الخيط نظرية النضال الطبقي فقط دراسة مجمل المطامح لدى جميع اعضاء المجتمع المعنى ، او عدد من المجتمعات ، تسمح بتحديد نتيجة هذه المطامح تحديداً علمياً هذا مع العلم ان المطامح المتناقضة يولدها تباين الاوضاع وظروف الحياة لدى الطبقات التي ينقسم اليها كل مجتمع يقول ماركس في «البيان الشيوعي» «ان تاريخ جميع المجتمعات حتى يومنا هذا (ثم يضيف انجلس فيما بعد ما عدا المشاعية الابتدائية) لم يكن سوى تاريخ نضال بين الطبقات فالحر والعبد ، والنبيل والعامي ، والسيد الاقطاعي والفن والمعلم والصانع اي بالاختصار المضطهدون والمضطهدون ، كانوا في تناحر دائم وكانت بينهم حرب مستمرة تارة ظاهرة وتارة مستترة ، حرب كانت تنتهي دائماً اما باعادة بناء كامل صرح المجتمع بطريقة ثورية ، واما بهلاك كل الطبقات المتصارعة اما المجتمع البرجوازي الحديث ، الذي خرج من احشاء المجتمع الاقطاعي

الهالك فإنه لم يقض على التناقضات بين الطبقات بل اقام طبقات جديدة محل القديمة واوجد ظروفًا جديدة للاضطهاد واشكالاً جديدة للنضال بدلاً من القديمة الا ان الذي يميز عصرنا الحاضر عصر البرجوازية هو انه جعل التناقضات الطبقيه اكثر بساطة فان المجتمع آخذ بالانقسام ، اكثر فاكثراً ، الى معسكرين فسيحين متعادين الى طبقتين كبيرتين متواجهتين هما البرجوازية والبروليتاريا» ومنذ الثورة الفرنسية الكبرى كشف تاريخ اوروبا في عدد من البلدان على نحو بدهي خاص عن هذا السبب الحقيقي للحوادث وهو نضال الطبقات فمنذ عهد العودة (١٣٥) ظهر في فرنسا عدد من المؤرخين (تيريرو وغيره ومينيه وتيريرو) لم يتمكنوا ، عند تعميم الحوادث ، الا ان يعترفوا بان النضال الطبقي هو المفتاح الذي يتيح فهم كل تاريخ فرنسا ثم ان العهد الحديث ، عهد انتصار البرجوازية التام عهد المؤسسات التمثيلية ، وحق الاقتراع الموسع (ان لم يكن العام) عهد الجمعيات العمالية الجبارة التي تتسع اكثر فاكثراً وجمعيات ارباب العمل الخ هذا العهد قد اثبت بمزيد من الجلاء (ولو احياناً على نحو وحيد الجانب و«سلمي» و«دستوري») ان النضال الطبقي هو المحرك للحوادث ان المقطع التالي من «البيان الشيوعي» يبين لنا ما هي المطالب التي عرضها ماركس على علم الاجتماع ، من حيث التحليل الموضوعي لايوضع كل طبقة من طبقات المجتمع الحديث بالارتباط مع تحليل شروط تطور كل طبقة «وليس بين جميع الطبقات التي تجابه الآن البرجوازية الا طبقة واحدة ثورية حقاً هي البروليتاريا فان جميع الطبقات الاخرى تنحط وتهلك مع نمو الصناعة الكبرى اما البروليتاريا فهي نتاج هذه الصناعة بالذات ان الفئات المتوسطة من صغار الصناعيين والباعة بالمفرق ، والحرفيين ، والفلاحين ، تحارب البرجوازية من اجل

الحفاظ على وجودها بوصفها فئات متوسطة فهي ليست اذن ثورية بل محافظة ، واكثر من محافظة ايضاً انها رجعية فهي تحاول دفع عجلة التاريخ الى الوراء ، واذا كانت ثورية فذلك بقدر ما ينتظرها الانتقال الى صفوف البروليتاريا ، وبقدر ما تدافع عن مصالحها المقبلة وليس عن مصالحها الحالية وهي تتخلى عن وجهة نظرها الخاصة لتتبنى وجهة نظر البروليتاريا» وفي جملة من المؤلفات التاريخية (راجع دليل المراجع) اعطى ماركس امثلة ساطعة وعميقة عن علم التاريخ المادي وعن تحليل اوضاع كل طبقة بذاتها ، واحياناً اوضاع مختلف الجماعات والفئات داخل الطبقة الواحدة ، وبيّن بكل جلاء لماذا وكيف «ان كل نضال طبقي هو نضال سياسي» ان المقطع الذي استشهدنا به آنفاً يبين بوضوح كم هي معقدة شبكة العلاقات الاجتماعية والدرجات الانتقالية بين طبقة واخرى وبين الماضي والمستقبل التي يحللها ماركس لكي يراعي محصل التطور التاريخي كله .

ان نظرية ماركس تجد تأكيدها وتطبيقها الاكثر عمقاً وشمولاً وتفصيلاً في مذهبه الاقتصادي

مذهب ماركس الاقتصادي

يقول ماركس في مقدمة كتابه «رأس المال» «ان الهدف النهائي لهذا الكتاب هو الكشف عن القانون الاقتصادي لحركة المجتمع القائم حالياً» اي المجتمع الرأسمالي ، البرجوازي فدراسة علاقات الانتاج في هذا المجتمع المحدد تاريخياً من حيث نشوؤها وتطورها وزوالها ذلك هو مضمون مذهب ماركس الاقتصادي وفي المجتمع الرأسمالي يسود انتاج البضائع ولهذا يبدأ تحليل ماركس بتحليل البضاعة .

القيمة

البضاعة هي ، اولاً شيء يسد حاجة من حاجات الانسان . وهي ، ثانياً شيء يمكن مبادلته بشيء آخر ان منفعة شيء ما تجعله قيمة استهلاكية اما القيمة التبادلية (او القيمة ، باختصار) فهي ، قبل كل شيء ، العلاقة ، النسبة ، في مبادلة عدد من القيم الاستهلاكية من نوع ما بعدد من القيم الاستهلاكية من نوع آخر ان التجربة اليومية تبين لنا ان الملايين والمليارات من مثل هذه المبادلات تعمل ، دون انقطاع على المعادلة بين جميع القيم الاستهلاكية الاكثر تنوعا والأكثر تباينا فما هو العنصر المشترك بين هذه الاشياء المختلفة التي تجرى معادلة بعضها ببعض باستمرار في ظل نظام معين من العلاقات الاجتماعية ؟ ان العنصر المشترك بينها هو كونها **نتائج عمل** فعندما يتبادل الناس منتجاتهم يعادلون بين انواع العمل الاكثر تباينا ان انتاج البضائع هو نظام من العلاقات الاجتماعية يصنع فيه شتى المنتجين منتجات متنوعة (التقسيم الاجتماعي للعمل) ثم تجرى المعادلة بين جميع هذه المنتجات عند التبادل وبالتالي ان العنصر المشترك بين جميع البضائع ليس هو العمل الملموس في فرع معين من الانتاج وليس هو عملاً من نوع معين بل هو العمل الانساني **المجرد** العمل الانساني بوجه عام ففي مجتمع معين تعتبر كل قوته العاملة المثلة في مجموع قيم كل البضائع قوة عمل انساني واحدة موحدة والدليل على ذلك المليارات من وقائع التبادل وهكذا فكل بضاعة مأخوذة بمفردها لا تمثل سوى جزء ما من وقت العمل **الضروري اجتماعياً** ان مقدار القيمة يتحدد بكمية العمل **الضروري اجتماعياً** او بوقت العمل **الضروري اجتماعياً** لاننتاج بضاعة معينة اي قيمة استهلاكية معينة «ان المنتجين ، حين يعادلون بين منتجاتهم المختلفة في سياق

تبادلها يعادلون بذلك بين انواع عملهم المختلفة وهم لا يدركون ذلك ولكنهم يفعلونه» (١٣٦)

لقد قال اقتصادي قديم ان القيمة هي العلاقة بين شخصين وكان عليه ان يضيف فقط الى قوله هذا علاقة مغلقة بغلاف مادي ذلك انه لا يمكن فهم ماهية القيمة الا بالاستناد الى نظام علاقات الانتاج الاجتماعية لتشكيلة تاريخية معينة اي العلاقات التي تتجلى في ظاهرة التبادل هذه الظاهرة الجماهيرية التي تتكرر مليارات المرات «ان البضائع بوصفها قيماً ليست الا كميات محددة من وقت العمل المتجمد» (١٣٧) وبعد تحليل مفصل للصفة المزدوجة للعمل المتجمد في البضائع ينتقل ماركس الى تحليل اشكال القيمة والعملية (النقد) والمهمة الرئيسية التي يضعها نصب عينيه اذ ذاك هي دراسة اصل الشكل النقدي للقيمة دراسة **المجرى التاريخي** لتطور التبادل ، ابتداء من اعمال التبادل الافرادية والعرضية («شكل بسيط ، منفرد او طارىء للقيمة» كمية معينة من بضاعة ما تُبادل مقابل كمية معينة من بضاعة اخرى) حتى الشكل العام للقيمة عندما يُبادل عدد من البضائع المختلفة ببضاعة واحدة معينة ، وحتى الشكل النقدي للقيمة حيث يصبح الذهب تلك البضاعة المعينة اي المعادل العام ان النقد بوصفه المحصول الاعلى لتطور التبادل والانتاج البضاعي يطمس ويقنّع الصفة الاجتماعية للعمل الفردي اي العلاقة الاجتماعية بين المنتجين المنفردين الذين تجمع السوق شملهم ويخضع ماركس لتحليل مفصل الى اقصى حد شتى وظائف النقد هذا ومن المهم جداً نلاحظ هنا ايضاً (كما في جميع الفصول الاولى من كتاب «رأس المال») ان عرضه المجرد الذي يبدو احياناً استدلالياً صرفاً يقدم وفرة وفيرة من الوقائع حول تاريخ تطور التبادل والانتاج البضاعي . «ان النقد يفترض مستوى رفيعاً الى حد معين من التبادل

البضاعي ان شتى اشكال النقد - كمعادل بسيط للبضاعة ووسيلة للتداول ووسيلة للدفع وكنز مخزون ونقد عالمي - تدل وفقا لاختلاف ابعاد استخدام هذه الوظيفة او تلك ولنسبة تفوق وظيفة على اخرى ، على مراحل مختلفة جداً من عملية الانتاج الاجتماعية» («رأس المال» المجلد الأول (١٣٨)

القيمة الزائدة

في درجة ما من تطور الانتاج البضاعي يتحول النقد الى رأس مال لقد كانت صيغة التداول البضاعي ب (بضاعة) - ن (نقد) - ب (بضاعة) اي بيع بضاعة في سبيل شراء غيرها اما صيغة رأس المال العامة فهي بالعكس ن - ب - ن اي شراء في سبيل بيع (مع ربح) ان هذه الزيادة في القيمة الاولى للنقد الذي وضع قيد التداول هي ما يسميه ماركس القيمة الزائدة و«زيادة» المال هذه في مجرى التداول الرأسمالي واقع معروف لدى الجميع.. ان هذه «الزيادة» بعينها هي التي تحول المال الى رأسمال بوصفه علاقة انتاج اجتماعية خاصة محددة تاريخيا ولا يمكن للقيمة الزائدة ان تنجم عن التداول البضاعي لان هذا التداول لا يعرف سوى تبادل اشياء متعادلة ولا يمكن لها ان تنجم عن ارتفاع الاسعار لان الخسائر والارباح المتبادلة لدى كل من الشارين والبائعين تتوازن والحال ان الأمر يتعلق بظاهرة اجتماعية وسطية ومعقدة لا بظاهرة فردية فمن اجل الحصول على القيمة الزائدة «لا بد لصاحب المال من العثور على بضاعة في السوق تتميز قيمتها الاستهلاكية ذاتها بخاصية اصيلة هي ان تكون مصدراً للقيمة» (١٣٩)، اي بضاعة تكون عملية استهلاكها في الوقت نفسه عملية خلق القيمة وبالفعل هذه البضاعة موجودة انها قوة العمل الانساني . ان استهلاكها انما هو العمل ، والعمل

يخلق القيمة ان صاحب المال يشتري قوة العمل بقيمتها التي يحددها ، مثل قيمة كل بضاعة اخرى ، وقت العمل الضروري اجتماعياً لانتاجها (اي نفقات اعالة العامل وعائلته) وحين يشتري صاحب المال قوة العمل يصبح من حقه ان يستهلكها اي ان يجعلها تعمل طوال النهار ، ولنقل ١٢ ساعة ولكن العامل ، حين يشتغل ٦ ساعات (اي وقت العمل «الضروري») ينتج ما يغطي نفقات إعالته وفي الساعات الست الاخرى (اي وقت العمل «الزائد») ينتج «زائداً» لا يدفع الرأسمالي اجرة عنه اي يخلق القيمة الزائدة وبالتالي ومن وجهة نظر عملية الانتاج ، يجب ان نميز قسمين في الرأسمال الرأسمال الثابت الذي ينفق على وسائل الانتاج (آلات وأدوات عمل ومواد خام الخ) وتنتقل قيمته كما هي (دفعة واحدة او دفعات) الى المنتج الجاهز والرأسمال المتغير (المتحرك) الذي ينفق على قوة العمل وقيمة هذا الرأسمال لا تظل ثابتة ، بل تنمو في عملية الانتاج ، اذ تخلق القيمة الزائدة وعليه ، ومن اجل التعبير عن درجة استثمار الرأسمال لقوة العمل يجب مقارنة القيمة الزائدة لا بالرأسمال كله بل بالرأسمال المتغير وحده ان معدل القيمة الزائدة الاسم الذي اطلقه ماركس على هذه العلاقة سيكون في مثلنا ٦/٦ أو ١٠٠ بالمئة

ان المقدمة التاريخية لظهور الرأسمال هي اولاً تراكم كمية معينة من النقد في ايدي عدد من الأفراد ، وفي ظل مستوى رفيع نسبياً لتطور الانتاج البضاعي عموماً ؛ وهى ، ثانياً ، وجود عمال «احرار» من وجهتين : من وجهة انهم احرار من كل تضييق ومن كل تقييد في بيع قوة عملهم واحرار لانهم لا يملكون ارضاً ولا وسائل انتاج بوجه عام اي وجود عمال بدون استثمارة وجود عمال «بروليتاريين» لا يستطيعون العيش بغير بيع قوة عملهم

ان زيادة القيمة الزائدة امر يمكن تحقيقه بطريقتين اساسيتين تطويل يوم العمل («قيمة زائدة مطلقة») وانقاص يوم العمل الضروري («قيمة زائدة نسبية») وعندما يحلل ماركس الطريقة الاولى يرسم لوحة رائعة لنضال الطبقة العاملة في سبيل انقاص يوم العمل ولتدخل سلطة الدولة في سبيل تطويله (من القرن الرابع عشر الى القرن السابع عشر) وفي سبيل انقاصه (تشريع المصانع في القرن التاسع عشر) ومنذ نشر كتاب «رأس المال» قدم تاريخ الحركة العمالية في جميع البلدان المتمدنة في العالم عدداً لا يحصى من الوقائع الجديدة التي تبرهن على صدق هذه اللوحة

ان ماركس عند تحليله انتاج القيمة الزائدة النسبية يدرس المراحل التاريخية الاساسية الثلاث لزيادة انتاجية العمل من قبل الرأسمالية ١ (التعاون البسيط ٢) تقسيم العمل والمانيفاكتورية ٣) الآلات والصناعة الكبرى ان العمق الذي يكشف به ماركس الخطوط الاساسية النموذجية لتطور الرأسمالية ، يظهر فيما يظهر من كون دراسة الصناعة المسماة الصناعة «الحرفية» في روسيا تقدم ادلة وافرة جداً تلقي النور على المرحلتين الاوليين من هذه المراحل الثلاث اما تأثير الصناعة الآلية الضخمة الثوري الذي وصفه ماركس في ١٨٦٧ فقد تكشف خلال نصف القرن المنصرم منذ ذلك الحين في عدة بلدان «جديدة» (روسيا واليابان وغيرها)

وبعد ، ان الامر الجديد والهام الى اقصى حد عند ماركس هو تحليل تراكم الرأسمال اي تحول قسم من القيمة الزائدة الى رأسمال واستعماله لا لسد حاجات الرأسمالي الشخصية او لارضاء نزواته بل للانتاج من جديد لقد اشار ماركس الى خطأ الإقتصاد السياسي الكلاسيكي السابق كله (ابتداء من آدم سميث)

الذي يعتبر ان كل القيمة الزائدة التي تتحول الى رأسمال تذهب الى الرأسمال المتغير اما في الواقع فهي تنقسم الى وسائل انتاج ورأسمال متغير وفي عملية تطور الرأسمالية وتحولها الى الاشتراكية يتسم باهمية هائلة واقع ازدياد حصة الرأسمال الثابت (من اصل مجمل الرأسمال) بمزيد من السرعة بالقياس الى حصة الرأسمال المتغير

ان تراكم الرأسمال بتعجيله في احلال الآلة محل العمال بتوفيره الثراء في قطب والبؤس في قطب آخر يخلق ايضاً ما يسمى «بجيش العمل الاحتياطي» او «الفائض النسبي» من العمال او «فيض السكان الرأسمالي» الذي يرتدي اشكالاً متنوعة الى اقصى حدود التنوع ، ويمكن الرأسمال من ان يوسع الانتاج بسرعة بالغة ان هذه الامكانية ، اذ انسقت مع التسليف وتراكم الرأسمال بشكل وسائل انتاج تعطينا ، فيما تعطيه ، مفتاحاً لفهم أزمات فيض الانتاج التي كانت تنشب على نحو دوري في البلدان الرأسمالية ، في البدء مرة في كل عشر سنوات تقريباً ومن ثم في فترات اقل تقارباً واقل ثباتاً ويجب التمييز بين تراكم الرأسمال على اساس الرأسمالية ، والتراكم المسمى بالتراكم البدائي الذي يتجلى في فصل الشغيل بالعنف عن وسائل الانتاج وطرد الفلاحين من اراضيهم وسرقة الاراضي المشاعية ونظام المستعمرات والديون العامة ورسوم الحماية الخ ان «التراكم البدائي» يخلق البروليتاري «الحر» في قطب وفي قطب آخر القابض على المال الرأسمالي ويصف ماركس «الاتجاه التاريخي للتراكم الرأسمالي» بهذه العبارات المشهورة «ان انتزاع ملكية المنتجين المباشرين يتم باشد الوسائل همجية وبلا شفقة وبدافع من احط المشاعر وأحقرها وأشدّها تفاهة وتكالباً فالملكية الخاصة المكتسبة بعمل المالك» (عمل الفلاح والحرفي) «والقائمة اذا جاز التعبير ،

على اندماج التشغيل الفردي المستقل مع ادواته ووسائله للعمل تزيحها الملكية الخاصة الرأسمالية التي تركز على استثمار قوة عمل الغير التي تعتبر مع ذلك حرة شكلياً اما من يتعرض الآن لانتزاع ملكيته فليس هو العامل الذي يدير بنفسه استثمارته بل الرأسمالي الذي يستثمر العديد من العمال ان انتزاع الملكية هذا يتم بفعل القوانين الملازمة للانتاج الرأسمالي نفسه عن طريق تمركز الرساميل ان رأسمالياً واحداً يقضي على الكثيرين من امثاله والى جانب هذا التمركز اي انتزاع بعض الرأسماليين ملكية عدد كبير من امثالهم يتطور الشكل التعاوني لعملية العمل على نطاق يتسع اكثر فاكثراً كما يتطور تطبيق العلم على التكنولوجيا تطبيقاً فطناً ومتعللاً واستثمار الارض استثماراً منهاجياً ، وتحويل وسائل العمل الى وسائل للعمل لا يمكن استعمالها الا استعمالاً مشتركاً ، وادخال جميع وسائل الانتاج في حلبة الاقتصاد باستعمالها كوسائل انتاج لعمل اجتماعي مركب وجر جميع الشعوب الى شبكة السوق العالمية ، وفي الوقت نفسه ، تتطور الصفة العالمية للنظام الرأسمالي ومع التناقص المستمر لعدد دهاقنة الرأسمال الذين يغتصبون ويحتكرون جميع منافع عملية التحول هذه ، يزداد عبء البؤس والظلم والاستعباد والانحطاط والاستثمار ، ولكن يزداد ايضاً سخط الطبقة العاملة ، التي تتثقف وتتحد وتنظم بفعل آلية عملية الانتاج الرأسمالي نفسها وهكذا يصبح احتكار الرأسمال قيداً لاسلوب الانتاج الذي نشأ مع هذا الاحتكار وفي ظله ان تمركز وسائل الانتاج ، وجعل العمل اجتماعياً ينتهيان الى حد انهما لا يعودان يتطابقان مع غلافهما الرأسمالي فينفقع ان الساعة الاخيرة للملكية الخاصة الرأسمالية تدق ان مغتصبي الملكية تنزع منهم ملكيتهم» («رأس المال» ، المجلد الاول) (١٤٠) .

ثم ان ما هو مهم للغاية وجديد انما هو تحليل ماركس في المجلد الثاني من «رأس المال» لتجديد انتاج الرأسمال الاجتماعي بمجموعه وهنا ايضاً لا يأخذ ماركس ظاهرة فردية بل ظاهرة عامة لا جزءاً من الاقتصاد الاجتماعي بل الاقتصاد الاجتماعي بكليته ان ماركس عند اصلاحه خطأ الكلاسيكيين المشار اليه آنفياً يقسم مجموع الانتاج الاجتماعي الى قسمين كبيرين اولاً، انتاج وسائل الانتاج، وثانياً انتاج سلع الاستهلاك ثم، بالاستناد الى ارقام يأخذها على سبيل المثال يدرس درساً دقيقاً تداول الرأسمال الاجتماعي بمجموعه، سواء لدى تجديد الانتاج بمقاييسه السابقة ام لدى التراكم وفي المجلد الثالث من «رأس المال» تجد مسألة المعدل الوسطي للربح حلا لها بالاستناد الى قانون القيمة. وانها لخطوة عظيمة خطاها العلم الاقتصادي الى الامام، بفضل ماركس ونعني بها قيامه بهذا التحليل انطلاقاً من الظواهر الاقتصادية الواسعة مجموع الاقتصاد الاجتماعي لا من ظواهر عرضية او من مظهر المزاحمة الخارجي السطحي الامر الذي غالباً ما يكتفي به الاقتصاد السياسي المبتذل و«نظرية حدود المنفعة» الحديثة ان ماركس يحلل في الدرجة الاولى اصل القيمة الزائدة ليدرس بعد ذلك انقسامها الى ربح وفائدة وريع عقاري ان الربح هو نسبة القيمة الزائدة الى مجموع الرأسمال الموظف في مشروع ما والرأسمال «ذو التركيب العضوي العالي» (اي الذي يربو فيه الرأسمال الثابت على الرأسمال المتغير بنسب اعلى من المعدل الاجتماعي الوسطي) يعطي معدلاً من الربح ادنى من المعدل الوسطي والرأسمال «ذو التركيب العضوي المنخفض» يعطي معدلاً من الربح اعلى من المعدل الوسطي. ان تزامم الرساميل وانتقالها الحر من فرع الى آخر يحملان في الحالتين معدل الربح الى المعدل الوسطي. ان مجموع قيم جميع

البضائع في المجتمع المعني يوازي مجموع اثمان البضائع ولكن في مختلف المشروعات وفي مختلف الفروع الانتاجية تباع البضائع بفعل المزاحمة لا بحسب قيمتها بل **باسعار الانتاج** (او بالاسعار الانتاجية) التي تعادل الرأسمال المصروف مضافاً اليه الربح الوسطى وهكذا ان انحراف السعر عن القيمة وتساوى الربح ، - هذا الواقع الذي لا يقبل الجدل والمعروف لدى الجميع ، - يوضحه ماركس تمام الايضاح بالاستناد الى قانون القيمة اذ ان مجموع قيم جميع البضائع يعادل مجموع اسعارها ولكن الطريق من القيمة (الاجتماعية) الى الاسعار (الافرادية) ليس بسيطاً ومباشراً بل طريق معقد جداً فمن الطبيعي تماماً في مجتمع يكون فيه منتجو البضائع متفرقين وغير مرتبطين فيما بينهم الا بواسطة السوق ان لا يتجلى مفعول القانون الا بصورة وسطية ، اجتماعية ، عامة ، مع القضاء المتبادل على الانحرافات الافردية نحو هذه الجهة او تلك

ان ازدياد انتاجية العمل يعني نمواً اسرع في الرأسمال الثابت بالقياس الى الرأسمال المتغير ولكن لما كانت القيمة الزائدة لا ترتبط الا بالرأسمال المتغير فمن المفهوم ان يميل معدل الربح (اي نسبة القيمة الزائدة الى مجموع الرأسمال لا الى القسم المتغير منه فقط) الى الهبوط أن ماركس يحلل تحليلاً مفصلاً هذا الميل كما يحلل الظروف التي تقنعه او تعاكسه ودون ان نتوقف عند الفصول البالغة الاهمية في المجلد الثالث المكرسة لرأسمال الربا والرأسمال التجاري والرأسمال النقدي ، ننتقل الى الشيء الرئيسي ، الا وهو نظرية **الربح العقاري** لما كانت مساحة الارض محدودة ويشغلها تماماً في البلدان الرأسمالية ملاكون فرديون اصبح سعر انتاج المنتجات الزراعية لا يتحدد بكلفة الانتاج على ارض وسطية النوع ، بل على ارض من النوع الأسوأ ، ولا بالظروف الوسطية

لا يصلح المنتجات الى السوق بل بالظروف الاسوأ ان الفرق بين هذا السعر وسعر الانتاج على أجود أرض (او في احسن الظروف) يعطي الربح الفرقي او المتفاوت . ان ماركس ، بالاستناد الى تحليل مفصل لهذا الربح ، والى تبيان نشوئه لدى التفاوت (الفرق) في خصوبة الاراضي ولدى تفاوت (فرق) مقادير الرساميل الموظفة في الزراعة قد اوضح تماماً (راجع ايضاً «نظريات القيمة الزائدة» حيث يستحق انتقاد رودبرتوس اهتماماً خاصاً) خطأ ريكاردو الذي يزعم ان الربح الفرقي لا يحصل الا بالانتقال المتتابع من اراض اكثر جودة الى اراض اقل جودة فالامر على خلاف ذلك فان تغيرات معاكسة تحدث ايضاً فالاراضي من فئة معينة تتحول الى اراض من فئة اخرى (بفعل تقدم التكنولوجيا الزراعي ونمو المدن ، الخ .) ، ولذا يبدو القانون الشهير ، «قانون تناقص خصب التربة» خطأ فادحاً ويلقي عيوب الرأسمالية ومحدودياتها وتناقضاتها على كاهل الطبيعة ثم ان تساوي الربح في جميع فروع الصناعة والاقتصاد الوطني بوجه عام يفترض حرية تامة في المزاحمة ، وحرية نقل الرأسمال من فرع الى آخر ولكن الملكية الخاصة للارض تخلق احتكاراً وعقبة في وجه حرية النقل هذه ان منتجات الزراعة التي تتميز بتركيب عضوي منخفض في رأسمالها والتي تعطي بالتالي معدلاً اعلى للربح الفردي لا تدخل بفعل هذا الاحتكار في عملية تساوي معدل الربح الحرة تماماً فمالك الارض بصفته محتكراً يتمكن من ابقاء السعر في مستوى اعلى من الوسط ، وهذا السعر الاحتكاري يخلق الربح المطلق ان الربح الفرقي لا يمكن القضاء عليه في ظل النظام الرأسمالي ، وعكساً لذلك يمكن القضاء على الربح المطلق بتأميم الارض مثلاً عندما تصبح الارض ملكاً للدولة ان انتقال الارض الى الدولة على هذا النحو من شأنه ان يقوض احتكار الملاكين الخاصين ، كما من شأنه

ان يؤمن حرية المزاحمة فى الزراعة بمزيد من الانسجام والاستكمال ولهذا كما يقول ماركس تقدم البرجوازيون الراديكاليون أكثر من مرة فى التاريخ بهذا المطلب البرجوازي التقدمي القائل بتأميم الارض ، هذا المطلب الذي يخيف ، مع ذلك ، اكثرية البرجوازية ، لانه «يمس» عن قرب قريب احتكاراً آخر ، له فى ايامنا هذه اهمية خاصة و«حساسية» خاصة هو احتكار وسائل الانتاج بوجه عام (ان هذه النظرية حول الربح الوسطي للرأسمال وحول الربح العقاري المطلق قد عرضها ماركس بأسلوب رائع بسيط ومختصر وواضح فى رسالته الى انجلس بتاريخ ٢ آب (اغسطس) سنة ١٨٦٢ راجع «المراسلات» المجلد الثالث ص ص ٧٧ - ٨١ ورسالته المؤرخة فى ٩ آب (اغسطس) سنة ١٨٦٢ ، ص ٨٦ - ٨٧ ، المصدر نفسه) ويصدد تاريخ الربح العقاري من المهم كذلك الاشارة الى تحليل ماركس الذي يبين تحول الربح - السخرة (عندما يخلق الفلاح نتاجاً اضافياً بعمله فى ارض الملاك) الى ربح بمحاصيل او ربح عيني (عندما يخلق الفلاح على ارضه نتاجاً اضافياً يقدمه للملاك بحكم «الاكراه غير الاقتصادي»)، ثم الى ربح نقدي (وهو ربح عيني محول الى نقد - «اوبروك» (اي اتاوة) فى روسيا القديمة - بسبب تطور الانتاج البضاعي) واخيراً الى ربح رأسمالي عندما يحل محل الفلاح فى الزراعة رب عمل يزرع الارض باللجوء الى العمل المأجور . ولنشر بصدد هذا التحليل «لاصل الربح العقاري الرأسمالي» ، الى جملة من افكار ماركس العميقة (ذات الاهمية الخاصة بالنسبة للبلدان المتأخرة كروسيا مثلاً) حول **تطور الرأسمالية فى الزراعة** «مع تحول الربح العيني الى ربح نقدي ، تتكون بالضرورة ، فى الوقت نفسه وحتى مسبقاً طبقة من المياومين المعدمين الذين يعملون بالاجرة وفى مرحلة نشوء هذه الطبقة اي حين تظهر بصورة متفرقة فقط ، يكون الفلاحون الميسورون الملزمون بدفع

اتأوة قد اعتادوا بالطبع استثمار الاجراء الزراعيين لحسابهم الخاص كما كان يحدث تماماً في النظام الاقطاعي حيث كان للفلاحين الاقنان الميسورين اقنانهم ايضاً. ومن هنا كانت تتوافر لهم امكانية جمع الثروة شيئاً فشيئاً وتحويل انفسهم الى رأسمالين مقبلين وهكذا تتكون بين مالكي الارض القديما ممن يدبرون استثمارات مستقلة بيئة تنبت مستأجري الاراضي الرأسمالين الذين يرتبط تطورهم بالتطور العام للانتاج الرأسمالي خارج الزراعة» («رأس المال» المجلد الثالث ٢ ص ٣٣٢) (١٤١) «ان انتزاع ملكية قسم من سكان الأرياف وطردهم من الريف لا «يحرران» عمالاً وسائلهم للعيش وادواتهم للعمل ، من اجل الرأسمال الصناعي وحسب بل يخلقان السوق الداخلية ايضاً» («رأس المال» المجلد الاول ، ٢ ص ٧٧٨) (١٤٢) ان املاق وخراب سكان الأرياف يسهمان بدورهما ، في انشاء جيش احتياطي من العمال للرأسمال لهذا ، في كل بلد رأسمالي «يوجد قسم من سكان الارياف يوشك على الدوام ان يتحول الى سكان مدن او الى سكان يعملون في المانيفاكتورات (اي غير زراعيين) وهذا ينبوع لفيض السكان النسبي لا ينضب ابداً فالعامل الزراعي مكره على تقاضي الحد الادنى من الاجرة ويقف دائما على احدى رجليه في مستنقع الاملاق» («رأس المال» ، المجلد الاول ٢ ص ٦٦٨) (١٤٣) ان ملكية الفلاح الخاصة للارض التي يزرعها تؤلف اساس الانتاج الصغير ، تؤلف الشرط الذي يسمح لهذا الانتاج بان يزدهر ويأخذ شكلاً كلاسيكياً ولكن هذا الانتاج الصغير لا يتفق الا مع الاطارات البدائية الضيقة للانتاج والمجتمع ففي ظل الرأسمالية «لا يتميز استثمار الفلاحين عن استثمار البروليتاريا الصناعية الا من حيث الشكل فالمستثمر هو هو اي الرأسمال ان الرأسمالين ، كلا بمفرده ، يستثمرون الفلاحين ، كلا بمفرده ،

بواسطة الرهن والربا ان طبقة الرأسماليين تستثمر طبقة الفلاحين بواسطة الضرائب الحكومية» («نضال الطبقات في فرنسا» (١٤٤) «ان قطعة ارض الفلاح الصغيرة لم تعد سوى ذريعة تتيح للرأسمالي ان يجني من الارض ربحاً وفائدة وريعاً وان يترك لمالك الارض نفسه امر الاهتمام بالطريقة التي يراها ناجحة للحصول على اجرته» («١٨ برومير») (١٤٥) بل ان الفلاح يقدم عادة الى المجتمع الرأسمالي اي الى طبقة الرأسماليين قسماً من اجرته ويقع على هذا النحو «في حالة المكثري الارلندي ، مع احتفاظه بمظهر المالك الفردي» («نضال الطبقات في فرنسا») (١٤٦) فما هو اذن «احد الاسباب التي تؤدي الى ان يكون سعر الحبوب في البلدان التي تسود فيها الملكية العقارية الفلاحية الصغيرة اقل منه في البلدان ذات اسلوب الانتاج الرأسمالي» ؟ («رأس المال» ، المجلد الثالث ، ٢ ، ص ٣٤٠) ذلك ان الفلاح يقدم مجاناً الى المجتمع (اي الى طبقة الرأسماليين) قسماً من نتاجه الزائد «ان هذا السعر المنخفض (اي سعر الحبوب وبقية المنتجات الزراعية) ينجم اذن عن فقر المنتجين ولا ينجم ابدأً عن انتاجية عملهم» («رأس المال» ، المجلد الثالث ٢ ص ٣٤٠). فان الملكية العقارية الصغيرة التي هي الشكل العادي للانتاج الصغير تتدهور في ظل الرأسمالية وتبيد وتهلك «ان الملكية العقارية الصغيرة تنفي بحكم طبيعتها ما يلي تطور قوى العمل المنتجة الاجتماعية واشكال العمل الاجتماعية وتمركز الرساميل الاجتماعي وتربية المواشي على نطاق كبير وتطبيق العلم تطبيقاً مطرداً ان الربا ونظام الضرائب يحتمان خراب الملكية العقارية صغيرة في كل مكان والرأسمال الموظف لشراء الارض يُنتزع من الزراعة ووسائل الانتاج تُجزأ الى ما لا نهاية والمنتجون انفسهم يتبعثرون» (ان التعاونيات ، اي جمعيات الفلاحين الصغار ، التي تقوم باعظم

دور تقديمي برجوازي يمكنها فقط ان تضعف هذا الميل دون ان تحوه ويجب ان لا ننسى ايضاً ان هذه التعاونيات تعطي كثيراً للفلاحين الميسورين ولكنها تعطي قليلاً جداً لجمهور الفلاحين الفقراء او لا تعطيهم شيئاً تقريباً ثم ان الامر ينتهي بهذه الجمعيات الى ان تصبح هي نفسها مستغلات للعمل المأجور) «فهناك تبذير هائل للقوة الانسانية ان تردي ظروف الانتاج باطراد وارتفاع اسعار وسائل الانتاج هما قانونان ملازمان للملكية العقارية الصغيرة» (١٤٧) فان الرأسمالية لا تحول عملية الانتاج في الزراعة كما في الصناعة الا بتوسيع «قائمة الشهداء المنتجين» «ان تبعثر العمال الزراعيين على مساحات شاسعة يحطم قوة مقاومتهم في حين ان تجمع عمال المدن يزيد من قوة مقاومتهم وفي الزراعة الحديثة الرأسمالية كما في الصناعة الحديثة يتم التوصل الى انماء قوة العمل المنتجة والى زيادة تحركها عن طريق تحطيم قوة العمل بالذات ، واستنفادها ثم ان كل تقدم للزراعة الرأسمالية هو تقدم لا في فن نهب التشغيل وحسب بل في فن نهب التربة ايضاً فالانتاج الرأسمالي اذن لا يطور التكنيك وتنسيق عملية الانتاج الاجتماعية الا باستنزافه في الوقت نفسه الينبوعين اللذين تنبثق منهما كل ثروة الارض ، والشغيل «(رأس المال» المجلد الاول نهاية الفصل الثالث عشر)

الاشتراكية

نرى مما تقدم ان ماركس يستخلص استنتاجه عن حتمية تحول المجتمع الرأسمالي الى مجتمع اشتراكي بصورة تامة وعلى وجه الحصر من القانون الاقتصادي لحركة المجتمع الحديث ان عملية جعل العمل اجتماعياً التي تتقدم بسرعة متزايدة ابدأً وتجرى بألوف الاشكال ، والتي تتجلى بوضوح خاص ، خلال نصف

القرن الذي انقضى على وفاة ماركس في تنامي الصناعة الكبيرة والكارتيلات والسنديكات والتروستات الرأسمالية وفي التزايد الهائل لمقادير الرأسمال المالي وقوته ذلك هو الاساس المادي الرئيسي لمجيء الاشتراكية الذي لا مناص منه ان المحرك الفكري والمعنوي والمنفذ العملي لهذا التحول انما هو البروليتاريا التي تربيتها الرأسمالية نفسها ان نضال البروليتاريا ضد البرجوازية ، الذي يتخذ اشكالاً مختلفة تغتني بالمحتوى باستمرار ، يصبح حتماً نضالاً سياسياً يرمي الى ظفر البروليتاريا بالسلطة السياسية («ديكتاتورية البروليتاريا») ولا بد لعملية جعل الانتاج اجتماعياً من ان تجعل وسائل الانتاج ملكاً للمجتمع وتؤدي الى «انتزاع الملكية من مغتصبيها» ان التزايد الضخم في انتاجية العمل وانقاص يوم العمل واحلال العمل الجماعي المتقن محل بقايا وانقاص الانتاج الصغير البدائي المبعثر تلك هي النتائج المباشرة لهذا التحول ان الرأسمالية تقطع نهائياً الروابط بين الزراعة والصناعة ولكنها في الوقت نفسه تهيم بتطورها الاعلى العناصر الجديدة لهذا الترابط وتهيم الجمع بين الصناعة والزراعة على اساس تطبيق العلم تطبيقاً واعياً وعلى اساس تنسيق العمل الجماعي وتوزيع جديد للسكان (واضحة جداً لعزلة الريف عن العالم ، وما يعانیه من اهمال وتوحش ، وكذلك لتكدس عدد ضخم من السكان في المدن الكبيرة على نحو غير طبيعي) ان الأشكال العليا للرأسمالية الحديثة تهيم شكلاً جديداً للعائلة وظروفاً جديدة في وضع المرأة وفي تربية الاجيال الناشئة فان استغلال عمل النساء والاولاد وافساد العائلة البطريركية من قبل الرأسمالية يأخذان ، حتماً في المجتمع الحديث اكثر الاشكال فظاعة واشدها تدميراً وتنفيراً ومع ذلك «فالصناعة الكبيرة ، باعطائها النساء والاحداث والاولاد من الجنسين دوراً

حاسماً في عملية الانتاج المنظمة اجتماعياً خارج النطاق العائلي تخلق اساساً اقتصادياً لشكل اعلى من اشكال العائلة والعلاقات بين الجنسين ومن الخرق ، طبعاً ، ان يعتبر بمثابة شيء مطلق سواء الشكل الجرمانى المسيحى للعائلة ام اشكالها القديمة الرومانية واليونانية والشرقية التى تؤلف فى ترابطها بعضها ببعض فيما تؤلف سلسلة تاريخية واحدة من التطور ومن البدهى ايضاً ان تركيب الهيئة العمالية المختلطة من افراد الجنسين على اختلاف اعمارهم مع كونه فى شكله الرأسمالى العفوى الفظ ، حيث العامل موجود من اجل عملية الانتاج وليس عملية الانتاج موجودة من اجل العامل ، يؤلف ينبوعاً موبؤاً للفساد والاستعباد ، - ان هذا التركيب لا بد ان يتحول ، بالعكس ، فى ظروف مؤاتية الى ينبوع للتطور الانسانى» («رأس المال» المجلد الاول نهاية الفصل الثالث عشر) ان النظام المصنعى يقدم لنا «اجنة التربية فى المستقبل ، حيث سيتم بالنسبة لجميع الاولاد فوق سن معينة الجمع بين العمل المنتج والتعليم والرياضة ، وذلك ليس باعتباره طريقة تهدف الى زيادة الانتاج الاجتماعى بل باعتباره الطريقة الوحيدة لانتاج اناس متطورين من كل النواحي» (المصدر نفسه) ثم ان اشتراكية ماركس تضع قضيتى القومية والدولة على الاساس التاريخى نفسه لا لتفسير الماضى وحسب بل ايضاً للتنبؤ دون خوف بالمستقبل وللنشاط العملى الجرى الرامى الى تحقيق هذه الاشتراكية ان الامم هي النتاج والشكل الحتميان للمرحلة البرجوازية من التطور الاجتماعى ان الطبقة العاملة لم تستطع ان تقوي نفسها وتنضج وتتكون الا «بتكوين نفسها ضمن حدود الامة» دون ان تكون «قومية» («وان لم يكن ذلك اطلاقاً بالمعنى البرجوازي لهذه الكلمة») والحال ان تطور الرأسمالية لا ينفك يحطم الحدود الوطنية ويهدم العزلة

الوطنية ويحل التناحرات بين الطبقات محل التناحرات بين الامم ولهذا يكون من الصحيح تماماً في البلدان الرأسمالية المتطورة «ان ليس للعمال وطن» وان «توحيد جهود» العمال في البلدان المتقدمة على الأقل ، «هو احد الشروط الاولية لتحرر البروليتاريا» («البيان الشيوعي») اما الدولة هذا العنف المنظم فقد ظهرت ظهوراً حتمياً عند درجة معينة من تطور المجتمع حينما اصبح المجتمع منقسماً الى طبقات لا يمكن التوفيق بينها ولم يعد في طوقه ان يعيش بدون «سلطة» موضوعة ، كما يزعم فوق المجتمع ومفصولة عنه الى حد ما وهذه الدولة ، التي وُلدت في قلب التناقضات الطبقيّة تصبح «دولة الطبقة الاقوى الطبقة المسيطرة اقتصادياً والتي تغدو ايضاً بفضل مساعدة الدولة لها الطبقة المسيطرة سياسياً وهكذا تكتسب وسائل جديدة لاختضاع الطبقة المظلومة واستثمارها وعلى هذا النحو كانت الدولة القديمة قبل كل شيء ، دولة ملاكي العبيد لاختضاع العبيد ، كما ان الدولة الاقطاعية كانت جهاز النبلاء لاختضاع الفلاحين الاقنان وكما ان الدولة التمثيلية الحديثة هي اداة استثمار الرأسماليين للعمال المأجورين» (انجلس في كتاب «اصل العائلة والملكية الخاصة والدولة» حيث عرض وجهات نظره ووجهات نظر ماركس) وحتى الشكل الاوفر حرية والاكثر تقدماً للدولة البرجوازية ، ونعني به الجمهورية الديموقراطية ، لا يلغى ابدأ هذا الواقع بل يعدل شكله فقط (ارتباط الحكومة بالبورصة ، رشوة الموظفين والصحافة على نحو مباشر وغير مباشر ، الخ .) ان الاشتراكية ، اذ تقود الى تصفية الطبقات ، تقود ، بالتالي ، الى تصفية الدولة «ان أول عمل تقوم به الدولة باعتبارها ممثلاً فعلياً للمجتمع بأسره - اي الاستيلاء على وسائل الانتاج في صالح المجتمع بأسره - هو في الوقت نفسه آخر عمل مستقل تقوم به بوصفها دولة . ان تدخل سلطة الدولة في

العلاقات الاجتماعية يصبح نافلاً في ميدان بعد آخر ثم يتلاشى من تلقاء نفسه ومحل حكم الاشخاص تحل ادارة الاشياء وقيادة عملية الانتاج ان الدولة لا «تلغى» انها تضحل» (انجلس «ضد دوهرنغ») «ان المجتمع الذي سينظم الانتاج على اساس المشاركة الحرة المتساوية بين المنتجين سيعيد كل آلة الدولة الى المكان اللائق بها الى متحف الآثار الى جانب المغزل اليدوي والفأس البرونزية» (انجلس «اصل العائلة والملكية الخاصة والدولة») واخيراً لا بد من ان نشير فيما يخص موقف اشتراكية ماركس من الفلاح الصغير الذي سيبقى موجوداً ايضاً في مرحلة انتزاع الملكية من مغتصبيها الى هذا البيان من انجلس الذي يعبر عن رأي ماركس «عندما نستولي على سلطة الدولة لن يكون في نيتنا انتزاع ملكية الفلاحين الصغار بالعنف (بتعويض او بغير تعويض ، سيمان) الامر الذي سنكون مضطرين للقيام به بحق كبار الملاكين العقاريين . ان مهمتنا تجاه الفلاح الصغير ستكون ، قبل كل شيء ، توجيه انتاجه الخاص وملكيته الخاصة في السبيل التعاوني ولكن لا بواسطة العنف ، بل عن طريق المثل وتقديم مساعدة المجتمع لهذا الغرض ومن المؤكد ان سيكون لدينا ما يكفي من الوسائل لاقتناع الفلاح بجميع المزايا التي يتسم بها هذا التحول والتي لا بد من توضيحها له منذ الآن» (انجلس ، «بصدد المسألة الزراعية في الغرب» طبع اليكسييفا صفحة ١٧ الترجمة الروسية باغلاط . النص الأصلي في جريدة «Neue Zeit» (١٤٨)

تكتيك نضال البروليتاريا الطبقي

لما كان ماركس قد بين ، منذ ١٨٤٤-١٨٤٥ احد العيوب الأساسية في المادية القديمة وهو ان المادية القديمة لم تكن قادرة على تفهم شروط النشاط الثوري العملي ولا ان تقدر

اهميته ، فانه ، الى جانب اعماله النظرية ، قد أعار ، طوال حياته ، انتباهاً دائماً لمسائل تكتيك نضال البروليتاريا الطبقي وبهذا الصدد تعطينا مادة وفيرة للغاية لجميع مؤلفات ماركس بما فيها مراسلاته مع انجلس المنشورة عام ١٩١٣ في اربعة مجلدات ان هذه المادة ما تزال بعيدة عن ان تكون كلها مجموعة ومصنفة ومدروسة ومعقدة ولهذا يترتب علينا ان نكتفي هنا بأعم الملاحظات واوجزها مع الاشارة الى ان ماركس كان يعتبر بحق ان المادية اذا جردت من جانبها هذا ، كانت غير كاملة ووحيدة الجانب ، وعديمة الحيوية لقد كان ماركس يحدد المهمة الاساسية لتكتيك البروليتاريا بالتوافق الدقيق مع جميع مقدمات مفهومه المادي-الديالكتيكي ان حساب الحساب بشكل موضوعي لمجموع العلاقات بين جميع الطبقات في مجتمع معين ، دون استثناء ، وبالتالي ، حساب الحساب للدرجة الموضوعية لتطور هذا المجتمع وللعلاقات بينه وبين سائر المجتمعات ، يمكن له وحده ان يكون سندا لتكتيك صحيح للطبقة المتقدمة علما بانه يُنظر الى جميع الطبقات وجميع البلدان ليس في حالتها الساكنة ، بل في تحركها أي لا في حالة الجمود ، بل في حالة الحركة (الحركة التي تنبثق قوانينها من الظروف الاقتصادية لمعيشة كل طبقة) والحركة بدورها يُنظر اليها لا من وجهة نظر الماضي وحسب بل من وجهة نظر المستقبل ايضا وفضلاً عن ذلك ، يُنظر اليها لا وفقاً للمفهوم المتبدل «للتطورين» الذين لا يلاحظون سوى التحولات البطيئة بل وفقاً للديالكتيك فقد كتب ماركس الى انجلس يقول : «في التطورات التاريخية الكبرى ، توازي عشرون سنة يوماً واحداً ، مع انه قد تأتي ، فيما بعد ، ايام تضم في احشائها عشرين سنة» («المراسلات» المجلد الثالث صفحة ١٢٧) (١٤٩) وفي كل درجة من التطور ، وفي كل لحظة ، يجب على تكتيك البروليتاريا ان يأخذ بعين الاعتبار هذا الديالكتيك ،

الحتمي موضوعياً لتاريخ الانسانية وذلك ، من جهة ، باستخدام مراحل الركود السياسي اي مراحل التطور الذي يتقدم بخطى السلحفاة او ما يسمى بالتطور «السلمي» من اجل تطوير الوعي والقوى والقدرة النضالية لدى الطبقة المتقدمة ومن جهة اخرى بالقيام بكل هذا العمل باتجاه «الهدف النهائي» لحركة هذه الطبقة ويجعلها قادرة على ان تحل عملياً المهمات الكبرى في الايام العظيمة «التي تضم في احشائها عشرين سنة» ثمة موضوعتان لماركس بهذا الصدد ، تتميزان باهمية خاصة . الاولى في كتابه «بؤس الفلسفة» وتعلق بنضال البروليتاريا الاقتصادي وبمنظوماتها الاقتصادية والاخرى في «البيان الشيوعي» وتعلق بمهمات البروليتاريا السياسية اما الاولى فقد وردت كما يلي «ان الصناعة الكبرى تجمع في مكان واحد جمهوراً من اناس لا يعرف بعضهم بعضاً والمزاحمة تفرق مصالحهم ولكن الحرص على الاجرة هذه المصلحة المشتركة بينهم تجاه سيدهم ، تجمعهم على اساس فكرة واحدة فكرة المقاومة والتحالف ان التحالفات تبدأ منعزلة ثم تتألف في جماعات ، وبوجه الراسمال المتجمع على الدوام ، يغدو حفاظ العمال على اتحاداتهم اهم بنظرهم من الحرص على الاجرة وفي هذا النضال - هذه الحرب الاهلية الحقيقية - تتجمع وتتطور جميع العناصر الضرورية لمعركة مقبلة وعند بلوغ هذه النقطة يأخذ التحالف طابعاً سياسياً» ان لدينا هنا برنامجاً وتكتيك النضال الاقتصادي والحركة النقابية لبضع عشرات السنين لكل المرحلة الطويلة من تحضير قوى البروليتاريا «لمعركة مقبلة» وتجدر المقارنة بين ذلك وبين اشارات ماركس وانجلس العديدة المبينة على تجربة الحركة العمالية الانجليزية والتي تبين كيف ان «الازدهار» الصناعي يستثير محاولات «لشراء العمال» («المراسلات» ، المجلد الاول ،

صفحة ١٣٦) (١٥٠) ، وصرفهم عن النضال ، وكيف ان هذا الازدهار «يفسد معنويات العمال» بوجه عام (المجلد الثاني صفحة ٢١٨) (١٥١) وكيف ان البروليتاريا الانجليزية «تتبرجز» وكيف ان «الامة الاكثر برجوازية بين الامم» (الامة الانجليزية) «تبدو كأنها تريد ان يكون لديها في آخر المطاف الى جانب البرجوازية اريستوقراطية برجوازية وبروليتاريا برجوازية» (المجلد الثاني صفحة ٢٩٠) (١٥٢) وكيف ان «الطاقة الثورية» تتلاشى وتزول لدى البروليتاريا الانجليزية (المجلد الثالث ، صفحة ١٢٤) (١٥٣) ؛ وكيف ينبغي الانتظار زمناً قد يطول الى هذا الحد او ذاك «لكي يتخلص العمال الانجليز مما يبدو عليهم من الفساد البرجوازي» (المجلد الثالث صفحة ١٢٧) (١٥٤) وكيف ان الحركة العمالية الانجليزية تنقصها «حمية الشارتين» (١٨٦٦) المجلد الثالث ، صفحة ٣٠٥) (١٥٥) وكيف ان الزعماء العماليين الانجليز يشكلون نموذجاً وسطياً «بين البرجوازيين الراديكاليين والعمال» (تلميح الى هولوك ، المجلد الرابع ، صفحة ٢٠٩) (١٥٦) وكيف «ان العامل الانجليزي لن يتحرك» بسبب احتكار انجلترا وما دام هذا الاحتكار قائماً (المجلد الرابع صفحة ٤٣٣) (١٥٧) ان تكتيك النضال الاقتصادي بالارتباط مع السير العام (ومع المال) للحركة العمالية ، مدروس هنا من وجهة نظر واسعة ، شاملة دياكتيكية على نحو رائع ، وثرورية حقاً

اما «البيان الشيوعي» ، فقد صاغ لتكتيك النضال السياسي المبدأ الاساسي التالي للماركسية «ان الشيوعيين يكافحون في سبيل مصالح الطبقة العاملة واهدافها المباشرة ولكنهم يدافعون في الوقت نفسه عن مستقبل الحركة» ومن اجل هذا ، ساند ماركس ، في ١٨٤٨ حزب «الثورة الزراعية» في بولونيا ، «اي الحزب الذي اثار انتفاضة كراكوفيا في ١٨٤٦» (١٥٨) . وفي ١٨٤٨ - ١٨٤٩ ،

ساند ماركس في المانيا الديمقراطية الثورية المتطرفة ولم يتراجع قط عما قاله حينذاك عن التكتيك وكان يعتبر البرجوازية الالمانية عنصراً «كان يجنح منذ البداية الى خيانة الشعب» (فقط التحالف مع جماهير الفلاحين كان بوسعه ان يتيح للبرجوازية بلوغ اغراضها كاملة) «والى اجراء مساومة مع الممثلين المتوجين للمجتمع القديم» وفيما يلي التحليل النهائي الذي اعطاه ماركس عن وضع البرجوازية الالمانية الطبقي في مرحلة الثورة البرجوازية الديمقراطية مع العلم ان هذا التحليل هو نموذج للمادية التي تنظر الى المجتمع من حيث حركته وليس فقط من جانب الحركة المتجه نحو الماضي

عادمة الايمان بنفسها (اي البرجوازية الالمانية - المعرب) عادمة الايمان بالشعب ، متدمرة من الكبار مرتجفة امام الصغار خائفة من الاعصار العالمي فاقدة العزيمة في اي مكان ، منتحلة في كل مكان ؛ دون مبادرة ؛ كعجوز تنيخ عليه اللعنة ، محكوم عليه بان يقود ، انطلاقاً من مصالحه هو العجوز الاندفاعات الفتيحة الاولى لشعب فتي قوى . . .» («الجريدة الرينانية الجديدة» ، ١٨٤٨ ؛ راجع «التركة الادبية» ، المجلد الثالث ، صفحة ٢١٢) (١٥٩) وبعد زهاء عشرين سنة ، كتب ماركس ، في رسالة الى انجلس (المجلد الثالث ، صفحة ٢٢٤) ، ان فشل ثورة ١٨٤٨ سببه ان البرجوازية كانت قد فضلت المساومة مع العبودية على مجرد امكانية الكفاح في سبيل الحرية وعندما اختتمت مرحلة ثورات ١٨٤٨ - ١٨٤٩ هب ماركس ضد كل محاولة للعب بالثورة (النضال ضد شابر وويلينخ) ملحاً على معرفة العمل في المرحلة الجديدة التي تهيئ ثورات جديدة تحت ستار «سلم» ظاهري ان تعليق ماركس التالي على الوضع في المانيا في ١٨٥٦ ، في مرحلة الرجعية الاشد اسوداداً يبين بأية روح كان ماركس يرغب في ان يتم هذا العمل : «سيتوقف كل شيء في

المانيا على امكانية دعم الثورة البروليتارية بطبعة ما جديدة لحرب الفلاحين» («المراسلات» المجلد الثاني صفحة ١٠٨) (١٦٠) وطالما لم تنته الثورة الديموقراطية (البرجوازية) في المانيا وجه ماركس كل انتباهه ، فيما يتعلق بتكتيك البروليتاريا الاشتراكية ، الى تطوير طاقة الفلاحين الديموقراطية وكان يعتبر ان موقف لاسال هو «موضوعياً خيانة للحركة العمالية في صالح بروسيا» (المجلد الثالث ، صفحة ٢١٠) وذلك بالضبط لأن لاسال كان يتسامح مع الملاكين العقارين ونزعة التعصب القومي البروسي وقد كتب انجلس في ١٨٥٦ اثناء تبادل وجهات النظر مع ماركس بصدد مشروع بيان مشترك في الصحف ، يقول «في بلد زراعي ، من السفالة ان يصار باسم العمال الصناعيين ، الى مهاجمة البرجوازية فقط ، مع التغاضي عن «استثمار» العمال الزراعيين ، على الطريقة البطورية «تحت ضربات العصي» من جانب النبلاء الاقطاعيين» (المجلد الثالث ، صفحة ٢١٧) وفي الحقبة الممتدة من ١٨٦٤ الى ١٨٧٠ ، حينما كانت المرحلة الختامية من الثورة البرجوازية الديموقراطية في المانيا تشرف على نهايتها هذه المرحلة التي كانت تتنازع فيها طبقات المستثمرين في بروسيا والنمسا على طرق انجاز هذه الثورة من فوق ، لم يكتف ماركس بشجب لاسال لمداعباته مع بيسمارك انما كان يصلح ايضاً ليكنخت الذي وقع في «حب النمسا» واخذ يدافع عن الخصائص المحلية وكان ماركس يلح على انتهاج تكتيك ثوري يكافح بلا هوادة سواء بيسمارك ام محبي النمسا تكتيك لا يتكيف «للمنتصر» - اليونكر (١٦١) البروسي - بل يجدد النضال الثوري ضده فوراً وبالضبط على الصعيد الذي اوجدته انتصارات بروسيا العسكرية («المراسلات» ، المجلد الثالث ، ص ص ١٣٤ ، ١٣٦ ، ١٤٧ ، ١٧٩ ، ٢٠٤ ، ٢١٠ ، ٢١٥ ، ٤١٨ ، ٤٣٧ ، ٤٤٠ - ٤٤١) (١٦٢) .

وفي نداء الأممية الشهير الصادر في ٩ أيلول (سبتمبر) ١٨٧٠ حذر ماركس البروليتاريا الفرنسية من انتفاضة قبل الأوان ، ولكن عندما قامت هذه الانتفاضة مع ذلك (١٨٧١) (١٦٣) ، حيناً ماركس بحماسة المبادرة الثورية لدى الجماهير «التي تهاجم السماء» (رسالة ماركس الى كوغلمان) ان هزيمة التحرك الثوري في هذا الوضع ، كما في العديد من الأوضاع الاخرى ، قد كانت من وجهة نظر مادية ماركس الديالكتيكية ، شراً اهنون بالنسبة الى مجمل سسير النضال البروليتاري وهما له ، من شر اخلاء الموقع المحتل والاستسلام دون قتال ان مثل هذا الاستسلام كان من شأنه ان يشبط من معنويات البروليتاريا وان يقوض كفاحيته ان ماركس ، مع تقديره التام لاستخدام وسائل النضال الشرعية في مراحل الركود السياسي وسيطرة الشرعية البرجوازية شجب بشدة باللغة في ١٨٧٧ - ١٨٧٨ بعد سن القانون الاستثنائي ضد الاشتراكيين (١٦٤) «الجملة الثورية» لدى موست ولكنه حمل بنفس الشدة ، ان لم يكن اكثر ، على الانتهازية التي كانت قد استولت مؤقتاً حينذاك على الحزب الاشتراكي-الديموقراطي الرسمي ، الذي لم يبد فوراً الثبات والصلابة والروح الثورية والاستعداد للانتقال الى النضال السري ردا على القانون الاستثنائي («المراسلات» ، المجلد الرابع ، ص ص ٣٩٧ ، ٤٠٤ ، ٤١٨ ، ٤٢٢ ، ٤٢٤) (١٦٥) راجع ايضاً رسائل ماركس الى زورغه

المجلد ٢٦ ،
ص ص ٤٦-٨١

كتب بين تموز (يوليو) وتشرين
الثاني (نوفمبر) ١٩١٤
صدر عام ١٩١٥ مع اختصارات في
معجم غرانان الموسوعي ، الطبعة
السابعة ، المجلد ٢٨
صدرت المقدمة عام ١٩١٨ في
كراس : ن . لينين «كارل ماركس» ،
موسكو . دار «بريبوي»

مهمات الاشتراكية - الديمقراطية الثورية في الحرب الاوروبية (١٦٦)

نظرة الاشتراكية-الديموقراطية في روسيا الى الحرب الاوروبية

يفيدوننا من اوثق المصادر ان قادة من حزب العمال الاشتراكي-الديموقراطي في روسيا قد عقدوا منذ امد قريب مداولة لدراسة مسألة الحرب الاوروبية ان هذه المداولة لن تتسم بطابع رسمي تماما لأن اللجنة المركزية لحزب العمال الاشتراكي-الديموقراطي في روسيا لم يكن بوسعها بعد ان تجتمع من جراء الاعتقالات بالجملة والملاحقات التي لم يسبق لها مثيل من جانب الحكومة القيصرية ولكننا نعرف بكل دقة ان المداولة المعنية قد اعربت بالفعل عن نظرات اوسع الاوساط نفوذا في حزب العمال الاشتراكي-الديموقراطي في روسيا

لقد اتخذت المداولة القرار التالي ونحن نورد نصه الكامل باعتباره وثيقة

قرار فريق من الاشتراكيين-الديموقراطيين

١ - تتسم الحرب الاوروبية والعالمية بطابع ساطع الدقة بطابع حرب برجوازية امبريالية سلالية الصراع من اجل الاسواق ونهب البلدان الاخرى والسعي الى وضع حد للحركة الثورية للبروليتاريا والديموقراطية في داخل البلدان والسعي الى خداع البروليتاريين في جميع البلدان ، وشق صفوفهم ، وتحطيمهم ،

باستعداد العبيد الاجراء من امة على العبيد الاجراء من امة اخرى في صالح البرجوازية - ذلك هو المضمون والمعنى الفعلي الوحيد للحرب

٢ - ان سلوك زعماء الحزب الاشتراكي-الديموقراطي الالمانى ، اقوى احزاب الاممية الثانية واشدها نفوذاً (١٨٨٩ - ١٩١٤) الحزب الذي صوت بالموافقة على الميزانية الحربية وردد كلام اليونكر البروسيين والبرجوازية البروسية وجملهم وتعابيرهم البرجوازية الشوفينية ، - انما هو خيانة سافرة للاشتراكية (١٦٧) ولا يمكن تبرير سلوك زعماء الحزب الاشتراكي-الديموقراطي الالمانى في اي حال من الاحوال ، وحتى في حال افتراض ضعف هذا الحزب ضعفاً مطلقاً وضرورة الخضوع مؤقتاً لارادة الاغلبية البرجوازية في الامة وفي الواقع انتهج هذا الحزب في هذا الوقت سياسة قومية ليبيرالية

٣ - يستحق التنديد نفسه سلوك زعماء الحزبين الاشتراكيين-الديموقراطيين البلجيكي والفرنسي الذين خانوا الاشتراكية بدخولهم في وزارات برجوازية (١٦٨)

٤ - ان خيانة الاشتراكية من قبل اغلبية زعماء الاممية الثانية (١٨٨٩-١٩١٤) يعني افلاس هذه الاممية فكراً وسياسياً اما السبب الاساسي لهذا الافلاس فهو هيمنة الانتهازية البرجوازية الصغيرة هيمنة فعلية في هذه الاممية ، الامر الذي اشار خيرة ممثلي البروليتاريا الثورية في جميع البلدان من زمان الى طابعه البرجوازي والى خطره فمن زمان انكب الانتهازيون على تهيئة افلاس الاممية الثانية بانكارهم ضرورة الثورة وبالاستعاضة عنها بالاصلاحية البرجوازية بانكارهم النضال الطبقي وانكارهم ضرورة تحويله في ظروف معينة الى حرب اهلية وبترويجهم بالتعاون بين الطبقات ؛ بترويجهم بالشوفينية البرجوازية بحجة الوطنية والدفاع

عن الوطن وتجاهلهم او انكارهم الحقيقة الاساسية للاشتراكية الحقيقة التي سبق وعرضها «البيان الشيوعي» والقائلة انه ليس للعمال وطن باكتفائهم في النضال ضد العسكرية بوجهة نظر عاطفية ، تافهة ، ضيقة الافق ، عوضاً عن الاعتراف بضرورة الحرب الثورية من جانب بروليتاري جميع البلدان ضد برجوازية جميع البلدان بتحويلهم الاستفادة الضرورية من البرلمانية البرجوازية والشرعية البرجوازية الى عبادة لهذه الشرعية كعبادة الاصنام ونسيانهم لالزامية اشكال التنظيم والتحرير غير الشرعية في عهد الازمات ان احدى الصحف العالمية للانتهازية ، «الدفاتر الاشتراكية الشهرية» الالمانية (١٦٩) التي وقفت من زمان موقفاً قومياً ليبرالياً تحتفل الآن عن كامل الحق والصواب ، بانتصارها على الاشتراكية الاوروبية فان ما يسمى «بالوسط» في الحزب الاشتراكي-الديموقراطي الالمانى وفي الاحزاب الاشتراكية-الديموقراطية الاخرى قد استسلم بالفعل بجبانة امام الانتهازين ولذا يجب ان يكون التخلص قطعاً وبلا عودة من هذا التيار البرجوازي في الاشتراكية مهمة الاممية المقبلة

٥- من بين السفسطنائيات البرجوازية والشوفينية التي تخدع بها على الاخص الاحزاب والحكومات البرجوازية في امتي القارة الرئيسيتين المتنافستين - الامة الالمانية والامة الفرنسية - الجماهير والتي يرددها الانتهازيون الاشتراكيون السافرون منهم والمتسترون السائرون كالعبيد وراء البرجوازية يجدر على الاخص التنويه والتشهير بالسفسطنائيات التالية حين يتذرع البرجوازيون الالمان بالدفاع عن الوطن ، بالنضال ضد القيصرية بالدود عن حرية التطور الثقافي والوطني فانهم يكذبون لان طبقة اليونكر البروسية وعلى رأسها غليوم والبرجوازية الكبيرة في المانيا قد انتهجتا على الدوام سياسة

الدفاع عن الملكية القيصرية ولن تلبث ان توجهها الجهود الى دعمها اياً كان مآل الحرب يكذبون لان البرجوازية النمساوية قد شنت بالفعل حملة نهب وسلب ضد بلاد الصرب ، ولان البرجوازية الالمانية تضطهد الدانماركيين والبولونيين والفرنسيين في الالزاس واللورين خائضة غمار حرب هجومية ضد بلجيكا وفرنسا من اجل نهب بلدان اوفر غنى واكثر حرية منظمة الهجوم في الوقت الذي خيل ليها انه الوقت الانسب لاجل الاستفادة من تحسيناتها الاخيرة في المعدات الحربية وعشية تطبيق روسيا لما يسمى بالبرنامج الحربي الكبير

وحين يتذرع البرجوازيون الفرنسيون كذلك بالدفاع عن الوطن وما الى ذلك فانهم يكذبون هم ايضاً لانهم يدافعون بالفعل عن بلدان اشد تخلفاً في ميدان التكنيك الرأسمالي وابطأ تطوراً ونمواً مستأجرين بملياراتهم عصابات المائة السود التابعة للقيصرية الروسية لاجل الحرب الهجومية ، اي لاجل نهب الاراضي النمساوية والالمانية

ان الكتلتين المتحاربتين من الامم لا تقل احدهما عن الاخرى بشيء من حيث الوحشية والهمجية في الحرب

٦- ان مهمة الاشتراكية-الديموقراطية في روسيا هي على الاخص ، وفي المقام الاول ، النضال بلا رحمة ولا هوادة وبلا قيد ولا شرط ضد الشوفينية الروسية والملكية القيصرية وضد الدفاع السفسطائي عنها من قبل الليبراليين الروس الكاديت وقسم من الشعبيين وسائر الاحزاب البرجوازية ومن شأن هزيمة الملكية القيصرية وقواتها المسلحة التي تضطهد بولونيا واوكرانيا وجملة كاملة من شعوب روسيا وتؤجج نيران العداوة القومية لاجل تقوية نير الروس على سائر القوميات ولاجل توطيد

الحكومة الرجعية والبربرية للملكية القيصرية ان تكون الشر
الاهون بنظر الطبقة العاملة والجماهير الكادحة في جميع شعوب
روسيا

٧- يجب ان تكون شعارات الاشتراكية-الديموقراطية في

الوقت الحاضر الشعارات التالية

اولاً الدعاية الشاملة بما في ذلك بين افراد الجيش وفي
مسرح العمليات الحربية للثورة الاشتراكية ولضرورة توجيه
السلاح ضد الحكومات والاحزاب الرجعية والبرجوازية في جميع
البلدان وليس ضد الاخوان العبيد الاجراء في البلدان الاخرى
الضرورة المطلقة لتنظيم الخلايا والفرق السرية في جيوش جميع
الامم لاجل القيام بهذه الدعاية بجميع اللغات النضال بلا هوادة
ضد شوفينية و «وطنية» البرجوازيين الصغار والبرجوازيين في
جميع البلدان بلا استثناء الاعتماد الزاماً ضد زعماء الاممية
المعاصرة الذين خانوا الاشتراكية على الوعي الثوري عند
الجماهير العمالية التي تتحمل كل عبء الحرب ، والمعادية للانتهازية
والشوفينية في اغلب الاحوال

ثانياً الدعاية للجمهورية الالمانية ، البولونية ، الروسية

الخ بوصفها واحداً من الشعارات المباشرة ، وذلك الى جانب
تحويل جميع الدول المنفردة في اوروبا الى ولايات متحدة اوروبية
جمهورية

ثالثاً النضال على الاخص ضد الملكية القيصرية وضد

الشوفينية الروسية المفعمة بروح الحركة السلافية (١٧٠)

والدعوة للثورة في روسيا ، وكذلك لتحرير الشعوب التي تضطهدها
روسيا ولحقها في تقرير مصيرها ، الى جانب الشعارات المباشرة

شعارات الجمهورية الديمقراطية ومصادرة اراضي الملاكين
العقارين ويوم العمل من ثماني ساعات
فريق من الاشراكيين-الديموقراطيين ، الاعضاء في ح ع ادر

المجلد ٢٦ ،

ص ص ١-٧

كتب في آب (اغسطس) ،

في موعد لا يعدو الرابع والعشرين

منه (٦ ايلول - سبتمبر) ، ١٩١٤ .

صدر للمرة الاولى بنصه الكامل

عام ١٩٢٩ في الطبعتين الثانية

والثالثة لمؤلفات لينين ، المجلد

الثامن عشر؛ المقدمة - عام ١٩٤٨ ،

في الطبعة الرابعة لمؤلفات لينين ،

المجلد ٢١

بصد كرامة الروس القومية

ما اكثر ما يتكلمون اليوم وما يتباحثون ويصيحون بصدد القومية والوطن الوزراء الليبيراليون والراديكاليون في انجلترا وجمهرة من الكتاب الفرنسيين «المتقدمين» (الذين ظهروا على وفاق تام مع كتاب الرجعية) وكثرة من الكتبة الرسميين والكاديت والتقدميين (وحتى بعض من الشعبيين و«الماركسيين») في روسيا يتغنون جميعهم بالف لحن ولحن بحرية «الوطن» واستقلاله وبعظمة مبدأ الاستقلال الوطني ، حتى غدا من العسير على المرء ان يميز في هذه الجوقة الحد الفاصل بين المأجور الذي يكيل آيات الثناء للجلاد نيقولاي رومانوف او لمعذبي الزوج وسكان الهند وبين الاخرق الضيق الافق الذي يسبح مع «التيار» لبلاهته او لخور نفسه وليس ما يدعو للتمييز بين هذا او ذاك فامانا تيار فكري واسع جداً وعميق جداً ، جذوره على صلة وثقى بمصالح السادة الملاكين العقارين والرأسماليين في الامم المسيطرة في الدولة الكبيرة وتنفق على الدعاية للافكار الملائمة لمصالح هاتين الطبقتين عشرات بل مئات الملايين في السنة وهي طاحونة كبيرة تتلقى الماء من كل ناحية ، ابتداء من الشوفيني عن ايمان منشيكوف وانتهاء بالشوفينيين عن انتهازية او عن خور في النفس بليخانوف وماسلوف وروبانوفيتش وسميرنوف وكروبوتكين وبورتسيف .

فلنحاول نحن ايضاً الاشتراكيين-الديمقراطيين الروس تحديد موقفنا من هذا التيار الفكري لا يليق بنا نحن ممثلي الامة المسيطرة في الدولة الواقعة في اقصى شرق اوروبا وشطر كبير من آسيا ان ننسى مبلغ اهمية المسألة القومية لا سيما في بلاد توصف بحق بانها «سجن الشعوب» وفي وقت بدأت فيه الرأسمالية توظف للحياة وللادراك على وجه الدقة في اقصى شرق اوروبا وفي آسيا ، جملة من الامم «الجديدة» كبيرة وصغيرة وفي ظرف جندت فيه الملكية القيصرية الملايين من الروس وغير الروس بقصد «حل» جملة من المسائل القومية وفق مصالح مجلس الاعيان المتحدين وغوتشكوف وكريستوفنيكوف ودولغوروكوف وكوتلر وروديتشيف واضرابهم

ونحن البروليتاريين الروس المدركين هل نحن براء من شعور الكرامة القومية ؟ كلا بالطبع نحن نحب لغتنا ونحب وطننا ونحن نبذل قصارى جهودنا لكي ننهض بجماهير شغيلته (اي بتسعة اعشار سكانه) الى مستوى الحياة الواعية الى مستوى حياة الديموقراطيين والاشتراكيين ونحن لا نشعر بألم كالالم الذي يحز في قلوبنا عندما نرى ونحس ما يكابده وطننا الجميل على ايدي الجلادين خدم القيصر والاعيان والرأسماليين من الوان العنف والظلم والخسف ونحن نعتز ايما اعتزاز اذ نرى هذا العنف قد لاقى المقاومة من بيئتنا ، من بيئة الروس ، اذ نرى هذه البيئة قد ابرزت راديشيف والديسمبريين والثوريين المتحدرين من مختلف فئات المجتمع في العقد الثامن واذ نرى الطبقة العاملة الروسية قد اسست سنة ١٩٠٥ حزباً جماهيرياً ثورياً قوياً وان الفلاح الروسي قد بدأ في الوقت نفسه يصبح ديموقراطياً ، بدأ يزيح عن اكتافه الكاهن والملك العقاري .

نحن ما نزال نذكر ان الديموقراطي الروسي تشيرنيشيفسكي قد قال منذ نصف قرن مضى عندما وهب حياته لقضية الثورة «امة وضيفة امة عبيد الجميع عبيد من اعلى الى اسفل» ان العبيد الروس السافرين والمقنعين (عبيد حيال الملكية القيصرية) لا يروقه ان يتذكروا هذه الكلمات على ان هذه الكلمات هي في رأينا كلمات حب صادق للوطن ، حب اصابه السأم من جراء انعدام الروح الثورية بين جماهير السكان الروس كانت هذه الروح معدومة آنذاك وهي اليوم ضعيفة ، ولكنها موجودة ونحن مفعمون بالكرامة القومية ، لان الامة الروسية قد انشأت هي ايضاً طبقة ثورية ، قد برهنت هي ايضاً انها تستطيع ان تقدم للبشرية ، عدا المذابح العظمى وصفوف المشانق والسجون والمجاعات الكبرى والخنوع العظيم امام الكهنة والقيصرة والملاكين العقاريين والرأسماليين ، آيات رائعة في النضال من اجل الحرية والاشتراكية . نحن مفعمون بالكرامة القومية ، ولذلك بالذات نمقت اشد المقت ماضينا العبودي (عندما ساق الاعيان الملاكون العقاريون الفلاح الى الحرب بغية خنق الحرية في هنغاريا وبولونيا وبلادفارس والصين) ونمقت اشد المقت حاضرنا العبودي عندما يقدم الملاكون العقاريون انفسهم يساعدهم الرأسماليون ويسوقوننا الى الحرب كي نخنق بولونيا واوكرانيا وكي نقمع الحركة الديموقراطية في بلادفارس والصين وكي نقوي الزمرة التي تهين كرامتنا القومية الروسية زمرة رومانوف وبوبرينسكي وبوريشكيفيتش واضرابهم لا يلام العبد اذا ولد عبداً غير ان العبد الذي يأبى النزوع الى الحرية ويبرر عبوديته فضلا عن ذلك ويزينها (يسمي مثلاً خنق بولونيا واوكرانيا الخ «دفاعاً عن وطن» الروس) ان مثل هذا العبد هو نذل ووضع يستدعي بحق شعور السخط والاحتقار والاشمئزاز .

«ان شعباً يظلم شعوباً اخرى لا يمكن ان يكون حراً»
 (١٧١) - هذا ما قاله رجلان هما اكبر ممثلي الديمقراطية
 المستقيمة في القرن التاسع عشر نعني ماركس وانجلس اللذين
 اصبحا معلمي البروليتاريا الثورية ونحن العمال الروس
 المفعمين بشعور الكرامة القومية ، نريد ، مهما كلف الامر ، روسيا
 عزيزة ، جمهورية ديموقراطية ، مستقلة ، حرة تبني علاقاتها مع
 جيرانها على اساس المبدأ الانساني مبدأ المساواة لا على اساس
 مبدأ الامتيازات الاقطاعي المهن لامة عظمى ونظراً لاننا نريدها
 هكذا ، نقول : في اوروبا القرن العشرين (وحتى في اقصى شرق اوروبا)
 لا يمكن «الدفاع عن الوطن» الا عن طريق النضال بجميع الوسائل
 الثورية ضد المملّكية والملاكين العقارين والرأسماليين في **وطننا**
 اي ضد **الذ** اعداء وطننا لا يمكن للروس ان «يدافعوا عن
 الوطن» عن غير طريق الرغبة في هزيمة القيصرية في كل حرب
 باعتبار ذلك اهون الشرين لتسعة اعشار سكان روسيا لان
 القيصرية لا تظلم تسعة اعشار السكان هذه اقتصادياً وسياسياً
 وحسب ، بل هي تفسدهم وتحقرهم وتفقدهم عزتهم وكرامتهم ايضاً ، اذ
 تعودهم على ظلم الشعوب الاخرى وتغطية عارهم بعبارات نفاق
 يزعم ان منشأها الغيرة على الوطن

قد يعترض معترض قائلًا انه عدا القيصرية قد نشأت في كنف
 القيصرية قوة تاريخية اخرى هي الرأسمالية الروسية التي تقوم
 بعمل تقدمي وتركز وترص من الناحية الاقتصادية مقاطعات
 شاسعة غير ان مثل هذا الاعتراض لا يدحض بل يشدد الاتهام
 الموجه الى اشتراكيينا الشوفينيين الذين ينبغي ان ينعثوا بالاشتراكيين
 القيصريين البوريشكيفيتشين (على غرار ما فعل ماركس اذ نعت
 اللاساليين (١٧٢) بالاشتراكيين المملّكين-البروسيين فلنفترض
 ان التاريخ سيقدر المسألة لصالح رأسمالية الامة الروسية المسيطرة

في الدولة ، ضد مئة امة وامة من الامم الصغيرة وهذا ليس بالامر المستحيل لان تاريخ رأس المال باكملة هو تاريخ العنف والنهب ، تاريخ الدماء والوحول . ونحن لسنا قط من انصار الامم الصغيرة من كل بد ونحن ، في حالة تساوي الشروط الاخرى ، نقف بصورة قاطعة الى جانب المركزية ضد المثل الاعلى للعلاقات الفيدرالية كما يتصورها البرجوازيون الصغار ولكن اولاً ليس من شأننا حتى في هذه الحالة ، ليس من شأن الديموقراطيين (فضلاً عن الاشتراكيين) ان يساعدوا رومانوف-بوبرينسكي-بوريشكيفيتش على خنق اوكرانيا الخ لقد قام بيسمارك على طريقته ، على طريقة اليونكر بعمل تاريخي تقدمي ولكن ما اروع «الماركسي» الذي يقرر استناداً الى ذلك ، تبرير مساعدة الاشتراكيين لبيسمارك ولا يجب ان يغيب عنا ان بيسمارك قد مهد للتطور الاقتصادي بتوحيده الالمان المبعثرين المظلومين من قبل الشعوب الاخرى اما ازدهار روسيا الاقتصادي وتطورها السريع فيتطلبان تخليص البلاد من طغيان الروس على الشعوب الاخرى وهذا هو الفرق الذي ينسأه اصحابنا الروس الموالون لاشباه بيسمارك الروس الاقحاح

ثانياً واذا ما قرر التاريخ المسألة لصالح رأسمالية الامة الروسية المسيطرة في الدولة ، يستنتج من ذلك ان الدور الاشتراكي للبروليتاريا الروسية سيكون اكبر باعتبارها المحرك الرئيسي للثورة الشيوعية التي تنشأ عن الرأسمالية والثورة البروليتارية تتطلب تربية العمال خلال فترة طويلة بروح الاخاء والمساواة التامة بين الامم وعلى ذلك ، من الضروري ، من وجهة نظر مصالح البروليتاريا الروسية ذاتها تربية الجماهير خلال فترة طويلة بروح الدفاع بمنتهى الحزم والاستقامة والجرأة والروح الثورية عن المساواة التامة في الحقوق بين جميع الامم التي يظلمها الروس وعن

حقها في تقرير مصيرها ان مصلحة كرامة الروس القومية تتفق (ان لم تفهم كما يفهمها العبيد) ومصالح البروليتاريين الروس (والبروليتاريين من غير الروس) الاشتراكية ان قدوتنا ما تزال ماركس الذي عاش عشرات السنين في انجلترا واصبح نصف انجليزي وطلب الحرية والاستقلال الوطني لارلندا وفق مصالح حركة العمال الانجليز الاشتراكية .

اما شوفينيونا الاشتراكيون الذين ترعرعوا على تربتنا بليخانوف ومن على شاكلته واضرابه فسيصبحون في الحالة الافتراضية الاخيرة التي بحثناها خونة لا لوطنهم روسيا الديمقراطية الحرة وحسب انما سيصبحون ايضاً خونة للاخاء البروليتاري بين جميع شعوب روسيا ، اي خونة لقضية الاشتراكية .

المجلد ٢٦ ،

صص ١٠٦-١١٠

« سوسيال-ديموقراط » ، العدد

٣٥ ، ١٢ كانون الاول (ديسمبر)

١٩١٤

ماذا اثبتت المحاكمة بحق كتلة العمال الاشتراكية - الديمقراطية في روسيا ؟

انتهت المحاكمة القيصرية بحق خمسة من اعضاء كتلة العمال الاشتراكية-الديموقراطية في روسيا (ع ادر) وستة من الاشتراكيين-الديموقراطيين الآخرين تم القبض عليهم في كونفرانس انعقد بجوار بطرسبورغ في الرابع من تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٤ (١٧٣) وقد حكم على جميعهم بالاقامة في المنفى ونشرت الجرائد العلنية تقارير عن المحاكمة شطبت منها المراقبة المقاطع التي لا تطيب للقيصرية والوطنيين ان التنكيل «بالاعداء الداخليين» قد جرى بسرعة ؛ ومن جديد لا يرى ولا يسمع شيء على سطح الحياة الاجتماعية سوى العواء المسعور الذي يطلقه عدد لا يحصى من الشوفينيين البرجوازيين وسوى مصاحبة حفنة من الاشتراكيين-الشوفينيين لهم في العواء

فماذا اثبتت المحاكمة بحق كتلة ع ادر ؟

اولاً بيّنت النقص في صلابة هذه الفصيلة الطليعية من الاشتراكية-الديموقراطية الثورية في روسيا فقد استهدف المتهمون ان يصعبوا على المدعي العام كشف ومعرفة من ذا الذي كان عضواً في اللجنة المركزية في روسيا وممثلاً للحزب في علاقاته المعروفة

مع المنظمات العمالية وقد تحقق هذا الهدف ولأجل تحقيقه يجب في المستقبل أيضاً اللجوء في المحكمة الى اسلوب اوصى به الحزب من زمان وبصورة رسمية ، وهو اسلوب الامتناع عن الادلاء باي شهادة ولكن سعي المتهم الى اثبات تضامنه مع الاشتراكي-الوطني السيد يوردانسكي كما فعل الرفيق روزنفلد او عدم اتفاه مع اللجنة المركزية ، انما هو اسلوب غير صحيح ، واسلوب غير مقبول من وجهة نظر الاشتراكي-الديموقراطي الثوري

لنلاحظ ان الرفيق بتروفسكي صرح بصدد تقرير «دين» (العدد ٤٠) (١٧٤) - فليس هناك تقرير رسمي وكامل عن المحاكمة - : «في تلك الحقبة من الزمن (في تشرين الثاني - نوفمبر) تلبقت قرار اللجنة المركزية وفضلاً عن ذلك ، عرضت علي قرارات للعمال من سبعة بنود بصدد موقف العمال من الحرب تتطابق مع موقف اللجنة المركزية» .

ان هذا التصريح يشرف بتروفسكي فان الشوفينية كانت قوية جداً في كل مكان وليس عبثاً ترد في يوميات بتروفسكي جملة مؤداها ان حتى تشخيذ الراديكالي المزاج يتحدث بحماسة عن الحرب «التحريرية» ولقد صد نواب كتلة ع ادر هذه الشوفينية حين كانوا طلقاء ولكنه كان يتعين عليهم ان ينفصلوا عنها في المحكمة ايضاً

ان «ريتش» الكاديتية «تشكر» المحكمة القيصرية بذل وخنوع لانها «بددت الاسطورة» القائلة ان النواب الاشتراكيين-الديموقراطيين كانوا يتمنون الهزيمة للقوات المسلحة القيصرية وبما ان الاشتراكيين-الديموقراطيين في روسيا مقيدو الايدي والاقدام ، فان الكاديت يستغلون هذا الواقع ويتظاهرون بانهم

يحملون على محمل الجد «النزاع» الموهوم بين الحزب والكتلة مؤكدين ان ما حمل المتهمين على الادلاء بافاداتهم ليس البتة الخوف من المحكمة فيا للاطفال الرضع السذج فكأنهم لا يعرفون ان السلطات قد هددت النواب في الطور الاول من المحاكمة بالمحكمة العسكرية وبالاعدام

كان ينبغي على الرفاق ان يمتنعوا عن الادلاء بافادات تتعلق بمسألة التنظيم السري وكان ينبغي عليهم وقد فهموا الطرف التاريخي العالمي ان يستغلوا المحاكمة العلنية لكي يعرضوا على المكشوف النظرات الاشتراكية-الديموقراطية التي لا تعادي القيصرية بوجه عام وحسب بل تعادي كذلك الاشتراكية-الشوفينية من كل طراز ولون

لتنقض الصحافة الحكومية والبرجوازية بشراسة وجنون على كتلة ع ادر ، و«ليتلقف» الاشتراكيون-الثوريون ، والتصفويون ، والاشتراكيون-الشوفينيون (ذلك انه ينبغي لهم ان يناضلوا ضدنا وان بطريقة ما اذا كانوا لا يستطيعون ان يناضلوا بصورة مبدئية !) بشماتة مظاهر الضعف او «عدم الاتفاق» الموهوم «مع اللجنة المركزية» فان حزب البروليتاريا الثورية يتحلى بما يكفي من القوة لكي ينتقد نفسه بنفسه على المكشوف ، لكي يسمي الخطأ والضعف ، بدون موارد ، خطأ وضعفاً . ولقد انشأ العمال الواعون في روسيا حزباً وقدموا فصيلة طليعية ابديا اكثر من الجميع في زمن الحرب العالمية وفي زمن فشل الانتهازية العالمية على الصعيد العالمي ، القدرة على اداء واجبهما ، واجب الاشتراكيين-الديموقراطيين الثوريين الاميين ان السبيل الذي سلكناه قد اختبرت صحته ازمة في منتهى العظمة وظهر - المرة تلو المرة - السبيل الصحيح الوحيد : فلنمض عليه قدماً بمزيد من الحزم ، بمزيد من الثبات ،

ولنقدم فصائل طليعية جديدة ولنتوصل لا الى ادائها للعمل نفسه وحسب بل ايضاً الى السير به الى النهاية بصورة اصح واصوب

ثانياً عرضت المحاكمة لوحة لا سابق لها في الاشتراكية العالمية عن استعمال البرلمانية من قبل الاشتراكية-الديموقراطية **الثورية** ان مثال هذه الاستفادة سيخاطب عقل وقلب الجماهير البروليتارية خيراً من شتى الخطب ، وسيدحض الانتهازين-الشرعيين وثرثاري الفوضوية بصورة اشد اقناعاً من شتى الحجج ان التقرير عن العمل السري الذي قام به مورانوف ومذكرات بتروفسكي ستظل زمناً طويلاً نموذجاً **لذلك** العمل من اعمال النواب الذي كان ينبغي علينا ان نخفيه بجد واجتهاد والذي سيفكر الآن جميع العمال الواعين في روسيا باهميته بمزيد ومزيد من الانتباه ففي هذا الزمن الذي تبين فيه ان النواب «الاشتراكيين» (واعذروني لتدريس هذه الكلمة !) جميعهم تقريباً في اوربا كانوا شوفينيين وخدماء للشوفينيين وتبين فيه ان «النزعة الاوروبية» السيئة الذكر التي اغوت ليميرالينا وتصفويينا كانت تعوداً بليداً على الشرعية العبودية ، تواجد في روسيا حزب عمالي واحد لمع نوابه لا بالثرثرة الطنانة ولا «بالقبول» في الصالونات البرجوازية المثقفة ولا بشطارة المحامي «الاوروبي» والبرلماني «الاوروبي» العملية بل بالصلات مع جماهير العمال بالتفاني في العمل بين هذه الجماهير ، باداء وظائف متواضعة ، غير منظورة ، شاقة ، لا تعود بالخير على صاحبها ، خطرة جداً ، عنيت بها وظائف الداعية والمنظم السري الارتفاع الى اعلى - الى لقب النائب او الوزير النافذ الكلمة في «المجتمع» - ذلك كان **بالفعل** مغزى البرلمانية

«الاشتراكية» «الاوروبية» (اقرأ الذليلة) والنزول الى ادنى -
للمساعدة في تنوير وتوحيد المستثمرين والمظلومين - ذلك هو
الشعار الذي رفعته نماذج مورانوف وبتروفسكي

وهذا الشعار سيكتسب اهمية تاريخية عالمية فما من عامل
مفكر يوافق من اجل اي بلد في العالم على الاكتفاء القديم بشرعية
برلمانية البرجوازية - بعد ان الغيت هذه الشرعية في الحال بجرة
قلم في جميع البلدان الطبيعية ، ولم تؤد الا الى تحالف عملي في منتهى
الوثوق بين الانتهازيين والبرجوازيين وان من يحلم «بالوحدة» بين
العمال الاشتراكيين-الديموقراطيين الثوريين وبين الاشتراكيين-
الديموقراطيين الشرعيين «الاوروبيين» من طراز الامس - **واليوم** - ،
لم يتعلم شيئاً ونسي كل شيء وهو بالفعل حليف للبرجوازية
وعدو للبروليتاريا ومن لم يفهم حتى الآن لماذا ولاي غرض
انفصلت كتلة ع ادر عن الكتلة الاشتراكية-الديموقراطية التي
رضخت للشرعية والانتهازية فليتعلم الآن مما يفيد محضر
المحاكمة عن عمل مورانوف وبتروفسكي فان هذا العمل لم يقم به
هذان النائبان **وحدهما** ، وليس غير السذج الذين لا رجاء فيهم من
يستطيعون ان يحلموا بامكان الجمع بين مثل هذا العمل وبين «موقف
المودة والتساهل» من «ناشا زاريا» او من «سيفيرنايا رابوتشمايا
غازيتا» او من «سوفريمينيك» (١٧٥) او من اللجنة التنظيمية
(١٧٦) او من البوند

فهل تأمل الحكومة في تخويف العمال بنفي اعضاء كتلة ع ادر
الى سيبيريا ؟ انها ستخطيء فان العمال لن يخافوا بل سيدركون
افضل من ذي قبل مهماتهم ، مهمات الحزب العمالي ، خلافاً للتصفويين
والاشتراكيين-الشوفينيين . ان العمال سيتعلمون كيف لا ينتخبون

الى الدوما الا افراداً مثل اعضاء كتلة ع ادر لاجل مثل هذا النشاط بين الجماهير ولاجل نشاط اكثر اتساعاً وبالتالي اقل سفوراً وهل تعتزم الحكومة ان تقتل «البرلمانية غير الشرعية» في روسيا ؟ انها لن تفعل غير ان تعزز الصلة بين البروليتاريا وبين هذه البرلمانية **بوجه الحصر**

ثالثاً - وهذا هو الهم - اعطت محاكمة كتلة ع ادر للمرة الاولى مادة موضوعية علنية موزعة بملايين النسخ في ربوع روسيا بصدد مسألة هامة للغاية اساسية ، جوهرية للغاية هي مسألة **موقف مختلف طبقات المجتمع في روسيا من الحرب** او لم تكف ثرثرة المثقفين المملة حتى الموت عن امكان الجمع بين «الدفاع عن الوطن» وبين الاممية «المبدئية» (اقرأ الكلامية او المناقشة) ؟ او لم يحن الحين للنظر الى **الوقائع** التي تتعلق **بالطبقات** اي بملايين الناس الاحياء لا بعشرات من ابطال الكلام الفارغ ؟

لقد انقضى اكثر من نصف عام منذ بداية الحرب واعربت الصحافة العلنية والسرية من جميع الاتجاهات عن آرائها وتحدت جميع الكتل الحزبية في الدوما - وهذا مؤشر ناقص جداً عن تكتلاتنا الطبقية ولكنه المؤشر الموضوعي الوحيد ثم ان محاكمة كتلة ع ادر واصداء الصحف قد استخلصت رصيد هذه المادة كلها فقد اثبتت المحاكمة ان ممثلي البروليتاريا الطليعيين في روسيا لا يعادون الشوفينية على العموم وحسب بل يشاطرون كذلك على الخصوص موقف لسان حالنا المركزي على وجه الدقة فقد اعتقل النواب في ٤ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٤ . ومن هنا ينجم انهم

قاموا بعملهم خلال اكثر من شهرين مع من وكيف قاموا به ؟ اي تيارات في الطبقة العاملة عكسوا وعن اي منها عبروا ؟ الجواب عن هذا يعطيه الواقع التالي وهو ان «الموضوعات» و«سوسيال-ديموقراط» (١٧٧) كانت مادة لاجل الكونفرانس وان لجنة حزبنا في بطرسبورغ قد اصدرت غير مرة مناشير بالمضمون ذاته ولم تكن ثمة مواد اخرى في الكونفرانس ولم يكن في نية النواب ان يقدموا للكونفرانس تقريراً عن التيارات الاخرى في الطبقة العاملة ، لانه لم تكن ثمة تيارات اخرى

او لربما لم يعبر اعضاء كتلة ع ادر الا عن رأي اقلية العمال ؟ ليس من حقنا ان نفترض مثل هذا الافتراض لان ٤/٥ العمال الواعين في روسيا قد التفوا ، خلال سنتين ونصف السنة ، من ربيع ١٩١٢ الى خريف ١٩١٤ ، حول «البرافدا» التي عمل هؤلاء النواب معها بكامل التضامن الفكري وهذا واقع ولو ظهر احتجاج هام نوعاً بين العمال ضد مواقف اللجنة المركزية ، لما كان من الممكن ان لا ينعكس هذا الاحتجاج في مشروع او في مشاريع للقرار لم تكتشف المحكمة شيئاً من هذا القبيل مع انها «اكتشفت» اذا امكن القول ، الكثير من عمل كتلة ع ادر ان التعديلات بيد بتروفسكي لا تبين حتى اي تلوين

تدل الوقائع على ان الطليعة الواعية من عمال روسيا قد تراصت بالفعل حول اللجنة المركزية والصحيفة المركزية في الاشهر الاولى بالذات من الحرب ومهما كان هذا الواقع غير مستطاب بالنسبة لهذه «الكتل» او تلك ، فهو ثابت لا يدحض ان الكلمات المستشهد بها في صك الاتهام «من الضروري توجيه السلاح ضد الحكومات والاحزاب الرجعية والبرجوازية في جميع البلدان وليس ضد الاخوان ، العبيد الاجراء في البلدان الاخرى» ، - ان هذه

الكلمات ستنتشر ، بفضل المحاكمة ، بل وقد نشرت بالفعل ، في ربوع روسيا ، الدعوة الى الاممية البروليتارية ، الى الثورة البروليتارية . وبفضل المحاكمة وصل الآن الشعار الطبقي لطليعة عمال روسيا الى اوسع الجماهير

الشوفينية التي تشمل البرجوازية كلها وقسماً من البرجوازية الصغيرة وتذبذبات القسم الآخر منها ومثل هذه الدعوة من الطبقة العاملة ، - تلك هي اللوحة الفعلية ، الموضوعية لانقساماتنا السياسية وبهذه اللوحة الفعلية وليس بالرغائب الطيبة لدى المثقفين ومؤسسي الفرق الصغيرة ينبغي ان نربط «نوايانا» وآمالنا وشعاراتنا

لقد خلقت الجرائد البرافدية وخلق العمل من «الطراز المورانوفي» وحدة ¼ العمال الواعين في روسيا فان زهاء ٤٠٠٠٠ عامل كانوا يشترون «البرافدا» وكان عدد اكبر بكثير يقرأها فلتحطمهم الحرب والسجون وسيبيريا والاشغال الشاقة حتى خمس مرات وعشر مرات فمن المستحيل اعادة هذه الفئة انها حية انها مشبعة بالروح الثورية والعداء للشوفينية وهي تقف وحدها بين جماهير الشعب وفي اعماق اعماقها كمبشر باممية الكادحين المستثمرين المظلومين ووحدها صمدت في الانهيار العام ووحدها تقود الفئات شبه البروليتارية من اشتراكية-شوفينية الكاديت والترودوفيك وبليخانوف، و«ناشا زاريا» الى الاشتراكية ووجودها ، وافكارها وعملها ودعوتها الى «تآخي العبيد الاجراء في البلدان الاخرى» ، كل هذا بينته لروسيا جمعا محاکمة كتلة ع ادر .

ومع هذه الفئة يجب العمل وعن وحدتها يجب الذود ضد
الاشتراكيين-الشوفينيين وفي هذا السبيل الوحيد يمكن ان تتطور
الحركة العمالية في روسيا في اتجاه الثورة الاجتماعية وليس في
اتجاه الطراز «الاوروبي» القومي الليبرالي

المجلد ٢٦ ،
ص ص ١٦٨-١٧٦

«سوسيال-ديموقراط» ،
العدد ٤٠ ، ٢٩ آذار (مارس)
١٩١٥

افلاس الاممية الثانية

يعنى احياناً بافلاس الاممية مجرد الناحية الشكلية من هذه القضية اي انقطاع الصلات الاممية بين الاحزاب الاشتراكية في البلدان المتحاربة واستحالة انعقاد مجلس عام عالمي او انعقاد المكتب الاشتراكي العالمي (١٧٨) الخ ويتشبهت بوجهة النظر هذه بعض الاشتراكيين من البلدان المحايدة الصغيرة وربما حتى معظم الاحزاب الرسمية القائمة فيها ثم الانتهازيون والمدافعون عنهم ففي الصحافة الروسية تولى السيد فل كوسوفسكي الدفاع عن وجهة النظر هذه في العدد ٨ من «نشرة الانباء» التي يصدرها البوند (١٧٩) ودافع عنها بصراحة جديرة بالامتنان العميق ناهيك عن ان هيئة تحرير هذه «النشرة» لم تنسب ببنت شفة بصدد عدم موافقتها مع كوسوفسكي ويمكننا ان نأمل بأن واقع دفاع السيد كوسوفسكي عن النزعة القومية الذي بلغ به الامر ان برر موقف الاشتراكيين-الديمقراطيين الالمان الذين صوتوا بالموافقة على الاعتمادات الحربية سيساعد العديد من العمال على الاقتناع نهائياً بطابع البوند القومي-البرجوازي

ان الاشتراكية بالنسبة للعمال الواعين عقيدة جديّة لا قناع ملائم لستر نزعات التوفيق البرجوازية الصغيرة ونزعات المعارضة القومية . وهم يعنون بافلاس الاممية خيانة اغلبية

الاحزاب الاشتراكية-الديموقراطية الرسمية خيانة فاضحة لعقائدها وللبيانات والتصريحات المهيبة المدوية التي تضمنتها الخطب في مؤتمر شتوتغارت وبال العالمين (١٨٠) وقراراتهما الخ ولا يستطيع ألا يرى هذه الخيانة غير من لا يريدون ان يروها غير من لا فائدة لهم في رؤيتها واذا شئنا ان نصوغ هذا الرأي بصورة علمية، اي من وجهة نظر العلاقات القائمة بين طبقات المجتمع المعاصر ترتب علينا ان نقول ان معظم الاحزاب الاشتراكية-الديموقراطية وعلى رأسها، وفي المقام الاول منها، الحزب الاكبر والاكثر نفوذا في الاممية الثانية، الحزب الالمانى، قد وقفت الى جانب هيئة اركانها العامة وحكومتها وبرجوازياتها ضد البروليتاريا وهذا حدث ذو اهمية تاريخية عالمية، ولذا لا بد لنا ان نحلل هذا الحدث تحليلاً شاملاً قدر الامكان ومن المعترف به منذ زمن بعيد ان الحروب رغم ما تجره من ويلات وكوارث وفظائع انها تعود بالنفع الكبير الى هذا الحد او ذاك بمعنى انها تكشف وتفضح وتحطم بلا رحمة ولا هوادة الكثير من المتعفن البالي المتحجر في المؤسسات البشرية وها هي الحرب الاوروبية في ١٩١٤-١٩١٥ قد اخذت تقدم ايضاً للبشرية نفعاً لا ريب فيه لأنها بيّنت للطبقة المتقدمة في البلدان المتعدنة ان دُملاً قائحاً قبيحاً قد نضج في احزابها وان نتانة جيفية لا تطاق تتصاعد من مكان ما

١

هل خانت الاحزاب الاشتراكية الرئيسية في اوروبا جميع عقائدها ومهامتها فعلاً؟ هذا الامر لا يود ان يذكره طبعاً لا الخونة انفسهم ولا الذين يعرفون تمام المعرفة - او الذين يخمنون بغموض - انه سياترتب عليهم ان يعيشوا على وفاق

وصداقة مع الخونة ولكنه يجب علينا ان ننظر الى الامور وجهاً لوجه ونسميها باسمائها ونقول الحقيقة للعمال ، مهما بدا ذلك كريها لشتى «زعماء» الاممية الثانية او لاصدقائهم بين كتل الاشتراكيين-الديموقراطيين الروس

هل توجد ثمة معطيات واقعية حول مسألة معرفة كيف كانت الاحزاب الاشتراكية تنظر الى مهماتها وتكتيكها قبل الحرب الحالية وتحوطاً لها ؟ اجل توجد بلا شك فمنها قرار المؤتمر الاشتراكي العالمي الذي انعقد في بال عام ١٩١٢ ، ونعيد طبعه مع قرار المؤتمر الاشتراكي-الديموقراطي الالمانى الذي انعقد في خمينتز في السنة نفسها (١٨١) تذكيراً «بالكلمات المنسية» للاشتراكية ان هذا القرار الذي يجمع حصيلة المنشورات الوافرة للدعاية والتحريض في جميع البلدان ضد الحرب انما يشكل عرضاً في منتهى الدقة والكمال والمهابة والصراحة للآراء الاشتراكية حول الحرب وحول التكتيك الواجب اتباعه ازاء الحرب وليس بالوسع ان ننتع بغير الخيانة هذا الواقع بالذات وهو انه ما من زعيم من زعماء اممية الامس والاشتراكية-الشوفينية الحالية لا هايندمان ولا غيد ولا كاوتسكي ولا بليخانوف يجرؤون على تذكير قرائهم بهذا القرار انما يلزمون حوله الصمت المطبق او انهم لا يوردون منه (كما يفعل كاوتسكي) سوى مقاطع ثانوية ، تاركين جانباً كل النقاط الجوهرية فمن ابرز ظواهر افلاس الاممية اتخاذها القرارات «اليسارية» ولا اكثر والثورية ولا اشد ثم تناسيها هذه القرارات باقصى الوقاحة او التنكر لها وهاتان الظاهرتان تشكلان في الوقت نفسه دليلاً من ابلغ الادلة على انه لا يمكن ان يؤمن اليوم «بتعديل» الاشتراكية و«تقويم خطتها» عن طريق القرارات فقط غير الذين تتاخم سداجتهم التي لا مثيل لها الرغبة الماكرة في ادامة رياء الامس .

للأمس القريب اذا جاز القول ، حين قلب هايندلمان رأيه قبل الحرب واخذ جانب الدفاع عن الامبريالية ، اعتبره جميع الاشتراكيين «المحترمين» شخصاً غريب الاطوار ومغيباً ولم يكن احد يذكره بغير الاستخفاف. اما اليوم فان ابرز الزعماء الاشتراكيين-الديموقراطيين في جميع البلدان قد انزلقوا تماماً نحو موقف هايندلمان ولم تبق بينهم سوى فوارق من حيث التلوين والمزاج وليس بوسعنا اطلاقاً ان نقدر ونصف بتعبير لطيف الى حد ما الشجاعة المدنية التي تتحلى بها جماعة من الناس كمحرري «ناشه سلوفو» (١٨٢) ، مثلاً الذين يكتبون عن «السيد» هايندلمان بلهجة سخر وازدراء بينما يتحدثون - او يسكتون - عن «الرفيق» كاوتسكي باحترام (او بتملق ؟) فهل يمكن لك ان توفق بين هذا الموقف وبين الاحترام اللازم للاشترائية ولعقائدك بعامة ؟ واذا كنت مقتنعاً بما تنطوي عليه شوفينية هايندلمان من كذب وضرر أفلا يجدر بك ان توجه انتقاداتك ضد مدافع عن هذه المفاهيم اكثر نقوذاً واشد خطراً واعني به كاوتسكي ؟

ان آراء غيد قد عرضها في الآونة الاخيرة بصورة قد تكون الاوسع تفصيلاً الغيدي شارل دوما وذلك في كراسه «السلام الذي نريد» ان «رئيس ديوان جول غيد» هذا الذي يوقع اسمه هكذا على غلاف الكراس «يستشهد» طبعاً بتصريحات وبيانات الاشتراكيين السابقة المفعمة بالروح الوطنية (كما يستشهد الاشتراكي-الشوفيني الالمانى دافيد بتصريحات وبيانات مماثلة في كراسه الاخير حول الدفاع عن الوطن) (١٨٣) ، ولكنه لا يستشهد ببيان بال وبليخانوف ايضاً يلزم الصمت حول هذا البيان عارضاً تفاهات شوفينية بتفاخر فائق العادة وينهج كاوتسكي على غرار بليخانوف فهو يستشهد ببيان بال ولكنه يغفل منه جميع الفقرات الثورية (اي كل محتواه الاساسي!) ، ومن المحتمل انه يفعل

ذلك بحجة قيود الرقابة حقاً ان البوليس والسلطات العسكرية ، بما تفرضه من رقابة وقيود على الكلام عن النضال الطبقي والثورة ، انما تمديد المساعدة «وقت الحاجة تماماً» لخونة الاشتراكية ولكن ، ربما كان بيان بال نداء فارغاً ، خالياً من كل مضمون دقيق ، تاريخي وتكتيكي ، يرتبط بلا شك بالحرب المعنية الحالية ؟ كلا بل الامر على العكس تماماً فان قرار بال ينطوي على تصريحات فارغة اقل مما ينطوي عليها غيره كما ينطوي اكثر من غيره على مضمون ملموس فهو يتناول على وجه الدقة هذه الحرب التي اندلعت ، ويتحدث على وجه الدقة عن هذه النزاعات الامبريالية التي نشبت في ١٩١٤ - ١٩١٥ فالنزاعات بين النمسا وبلاد الصرب حول البلقان وبين النمسا وايطاليا حول البانيا الخ وبين انجلترا والمانيا حول اسواق التصريف والمستعمرات بعامة وبين روسيا وتركيا الخ حول ارمينيا والقسطنطينية هي التي يتناولها قرار بال تحوطاً للحرب الحالية على وجه الدقة وبصدد الحرب الحالية على وجه التحديد بين «الدول الاوروبية الكبرى» يعلن قرار بال ان هذه الحرب «لا يمكن تبريرها باية ذريعة تمت بصلة الى اي مصلحة من مصالح الشعوب» فاذا كان بليخانوف وكاوتسكي - وهما الاشتراكيان النافذان النموذجيان اللذان نعرفهما اكثر من غيرهما ، احدهما يكتب بالروسية والآخر ينقله التصفيويون الى هذه اللغة - يفتشان اليوم للحرب (بمساعدة اكسيلرود) عن شتى «المبررات الشعبية» (او ، بالاصح ، مبررات عامة الشعب اي مبررات مستقاة من الصحافة البرجوازية المبتذلة) واذا كانا يوردان «كامثلة» حربي ١٨١٣ و ١٨٧٠ (بليخانوف) او حروب ١٨٥٤ - ١٨٧١ و ١٨٧٦ - ١٨٧٧ و ١٨٩٧ (كاوتسكي) ويفعلان ذلك بسيماء العالم الرصين ويدعمان اقوالهما بكثرة من الاستشهادات المشوهة المستقاة من مؤلفات

ماركس فإنه يبقى من الثابت ان الذين خلوا من اية عقيدة اشتراكية ومن كل ذرة من الوجدان الاشتراكي هم وحدهم الذين يسعهم ان يحملو «على محمل الجد» مثل هذه الذرائع والالاعتوتها بالجزويتية القسوى والنفاق وتحقير الاشتراكية لتصب ادارة الحزب الالمانية («فورشتاند») اللعنة على مجلة مهرينغ وروزا لوكسمبورغ الجديدة (اى «انترناتسيوناله» (١٨٤)) لانها قدرت كاوتسكي حق قدره ليتابع فاندرفيلده وبليخانوف وهاريندمان وشركاهم بمساعدة بوليس «الوفاق الثلاثي» انتهاج نفس خط التعالي ازاء خصومهم فاننا سنرد باعادة طبع بيان بال الذي يفضح انعطاف الزعماء الذى ليس له من كلمة تصفه غير كلمة الخيانة

ان قرار بال لا يتحدث عن الحرب الوطنية ولا عن الحرب الشعبية، اللتين لم تشهد اوروبا امثلة لهما وحسب بل حتى كانتا كذلك نوعين مميزين من الحروب في مرحلة ١٧٨٩ - ١٨٧١ ، ولا عن الحرب الثورية - وهي الحروب التي لم يقسم الاشتراكيون-الديموقراطيون قط على عدم خوضها انما يتحدث عن الحرب **الحالية** ، القائمة على ارضية الامبريالية الرأسمالية» و«مصالح الاسر المالكة»، على ارضية «سياسة الفتح» التي تنتهجها **كتلتا** الدول المتحاربة ، سواء الكتلة النمساوية الالمانية ام الكتلة الانجليزية الفرنسية الروسية. ولذا فان بليخانوف وكاوتسكي ومن لف لفهما يخدعون العمال لا اكثر ولا اقل حين يرددون ما تذيعه برجوازية جميع البلدان من اكاذيب مغرضة وهي التي تبذل قصارى جهدها لكي تظهر هذه الحرب الامبريالية اللصوصية هذه الحرب من اجل المستعمرات بمثابة حرب شعبية دفاعية (بالنسبة لاي كان) وحين يسعون الى ايجاد المبررات والمعاذير لها في ميدان الامثلة التاريخية عن حروب غير امبريالية .

ان مسألة طابع الحرب الحالية الامبريالي اللصوصي المعادي للبروليتاريا لم تعد تعتبر منذ زمن بعيد مسألة نظرية صرفاً فليس من الناحية النظرية وحسب تم تقييم الامبريالية بكل ميزاتها الرئيسية بوصفها نضال البرجوازية المتهافئة البالية المتعفنة من اجل اقتسام العالم واستعباد الامم «الصغيرة» ولم تتكرر هذه الاستنتاجات آلاف المرات في النشرات الصحفية الهائلة التي يصدرها اشتراكيو جميع البلدان وحسب وليس ممثل الامة «الحليفة» بالنسبة لبلادنا الفرنسي ديليزي مثلاً ، هو وحده الذي اوضح باسلوب مبسط في كراسه «الحرب القادمة» (في عام ١٩١١ !) ان الحرب الحالية انما هي حرب لصوصية من جانب البرجوازية الفرنسية ايضاً ، بل ان ممثلي الاحزاب البروليتارية من جميع البلدان قد اعرّبوا كذلك بالاجماع وبكل وضوح ، في بال ، عن راسخ يقينهم بقرب وقوع حرب امبريالية على وجه الدقة واستخلصوا من هذا الامر استنتاجات تكتيكية ولذا يجب فيما يجب ان نرفض فوراً باعتبارها سفسطة جميع الذرائع التي تقول بان الفرق بين التكتيك الوطني والتكتيك الاممي لم يدرس دراسة كافية (راجعوا الحديث الاخير الذي ادلى به اكسيلرود ونشرته «ناشه سلوفو» في عديدها ٨٧ و٩٠) الخ ، وهكذا دواليك وانها حقاً لسفسطة ، لان دراسة الامبريالية دراسة علمية مفصلة شيء فان هذه الدراسة لا تزال في خطواتها الاولى وهي من حيث الاساس لا نهاية لها كما هو عليه العلم كله بينما اسس التكتيك الاشتراكي ضد الامبريالية الرأسمالية المعروضة في ملايين النسخ من الصحف الاشتراكية-الديموقراطية وفي قرارات الاممية شيء آخر ان الاحزاب الاشتراكية ليست بنواد للمناقشة والمحاكة بل منظمات للبروليتاريا المناضلة وحين تنتقل بضع كتائب الي جانب العدو ، فانه يجب علينا التنديد

بها وعلان خيانتها دون ان «نؤخذ» بالخطب المرائية التي تزعم ان «كل الناس» لا يفهمون الامبريالية «بالطريقة نفسها» وان الشوفيني كاوتسكي والشوفيني كونوف مثلاً يستطيعان كتابة مجلدات في هذا الموضوع . وان المسألة «لم تبحت بحثاً كافياً»، الخ وهكذا دواليك فان الرأسمالية لن تدرس ابدأً الى النهاية في كل مظاهر لصوصيتها وفي اقل تشعبات تطورها التاريخي وخصائصها القومية ولن يكف العلماء (والمدعون خاصة) ابدأً عن الجدل حول التفاصيل الخاصة بيد انه من السخف ان نقلع «من جراء ذلك» عن النضال الاشتراكي ضد الرأسمالية والاّ نبغي معارضة الذين خانوا هذا النضال ولكن ماذا يعرض علينا كاوتسكي وكونوف واكسيلرود واضرابهم ان لم يكن هذا؟ فما من احد حاول اليوم وقد اندلعت نيران الحرب ، ان يحلل قرار بال وان يثبت خطله

٢

ولكن ربما ايد الاشتراكيون الصادقون قرار بال مفترضين سلفاً ان الحرب ستؤدي الى نشوء وضع ثوري في حين جاءت الاحداث تكذب آمالهم وتبين ان الثورة مستحيلة؟
بمثل هذه السفسطة بالضبط يحاول كونوف (في كراسه «افلاس الحزب؟» وفي جملة من المقالات) تبرير انتقاله الى معسكر البرجوازية واننا لنجد مثل هذه «الذرائع» بشكل تلميحات عند جميع الاشتراكيين-الشوفينيين تقريباً وعلى رأسهم كاوتسكي لقد تبين ان الأمل بنشوب الثورة كان ضرباً من الأوهام والحال ، لا يجدر بالماركسي ان يدافع عن الاوهام هكذا يحاكم كونوف ولكن هذا الستروفي (١٨٥) لا ينبس ببنت شفة عن «وهم» جميع الذين وقعوا بيان بال ، غير انه يسعى ، كرجل كريم

بالغ الكرم ان يلقي تبعتها على جماعة اقصى اليسار امثال
بانيكوك ورادك !

لنبحث في الأساس الذريعة القائلة ان واضعي بيان بال
قد افترضوا بصدق واخلص نشوب الثورة ولكن الاحداث جاءت
تكذب آمالهم يقول بيان بال ١ - ان الحرب ستسفر عن ازمة
اقتصادية وسياسية ٢ - ان العمال سيعتبرون اشتراكيهم في
الحرب جريمة و«تذابحاً» مجرماً «في صالح ارباح الرأسماليين ولما
فيه غطرسة الاسر المالكة ، ومن اجل تنفيذ المعاهدات الديبلوماسية
السرية» وان الحرب ستثير «الاستنكار والغضب» بين العمال
٣ - انه ينبغي على الاشتراكيين استغلال هذه الازمة وهذه الحالة
النفسية عند العمال من اجل «استثارة الشعب والتعجيل بافلاس
الرأسمالية» ٤ - ان «الحكومات» - جميعها بلا استثناء - لا تستطيع
ان تثنى الحرب «دون ان تعرض نفسها للخطر» ٥ - ان الحكومات
«تخشى الثورة البروليتارية» ٦ - انه «يحسن» بالحكومات «ان
تتذكر» كومونة باريس (اي الحرب الاهلية) وثورة ١٩٠٥ في
روسيا الخ وكلها افكار واضحة كل الوضوح انها لا تنطوي
على ضمانة نشوب الثورة، انما يبرز فيها وصف **الوقائع والاتجاهات**
وصفاً دقيقاً فان من يقول بصدد هذه الافكار والمحاکمات ان
احتمال نشوب الثورة كان ضرباً من الاوهام انما يقف من الثورة
موقفاً غير ماركسي انما يقف موقفاً ستروفيماً موقفاً بوليسياً
وارتدادياً

ان الماركسي لا يشك مطلقاً في ان الثورة مستحيلة دون وضع
ثوري ولكن ليس كل وضع ثوري يؤدي الى الثورة فما هي
بعمامة دلائل الوضع الثوري ؟ يقيناً لن نخطئ اذا اشرنا الى الدلائل
الرئيسية الثلاثة التالية ١ - ان استحيل على الطبقات السائدة
الاحتفاظ بسيادتها دون اي تغيير ان تنشأ هذه الازمة او تلك
في «القمة» ، اي تنشأ ازمة في سياسة الطبقة السائدة ، تسفر عن

صدع يتدفق منه استياء الطبقات المضطهدة وغضبها. فلكي تتفجر الثورة لا يكفي عادة «ألا» تريد القاعدة بعد الآن» ان تمش كما في السابق بل ينبغي ايضاً «ألا تستطيع القمة ذلك» ٢ - ان يتفاهم بوس الطبقات المضطهدة ويشتد شقاؤها اكثر من المألوف. ٣ - ان يتعاطف كثيراً للاسباب المشار اليها آنفاً نشاط الجماهير التي تستسلم للنهب بهدوء في زمن «السلم»، ولكن التي تدفعها، في زمن العاصفة سواء اجواء الازمة كلها ام «القمة» نفسها الى القيام بنشاط تاريخي مستقل

ودون هذه التغيرات الموضوعية المستقلة ، لا عن ارادة هذه الكتل والاحزاب او تلك وحسب بل ايضاً عن ارادة هذه الطبقات او تلك تستحيل الثورة بوجه عام ومجموع هذه التغيرات الموضوعية يسمى وضعاً ثورياً هذا الوضع كان قائماً عام ١٩٠٥ في روسيا وفي جميع المراحل الثورية في الغرب ولكنه كان قائماً ايضاً في سنوات العقد السابع من القرن الماضي في المانيا، وكذلك من ١٨٥٩ الى ١٨٦١ ومن ١٨٧٩ الى ١٨٨٠ في روسيا وان لم تقع ثورات في تلك الفترات لماذا؟ لأن الثورة لا تنشأ عن كل وضع ثوري انما تنشأ فقط اذا انضم الى جميع التغيرات الموضوعية المذكورة آنفاً تغير ذاتي وأعني به قدرة الطبقة الثورية على القيام بأعمال ثورية جماهيرية ، قوية الى حد انها تحطم (او تصدع) الحكم القديم الذي لن «يسقط» ابدأ حتى في فترة الازمات ان لم «يُعمل على اسقاطه»

هذه هي آراء الماركسية بصدد الثورة وهذه الآراء طورها جميع الماركسيين مراراً عديدة واعتبروها اكثر من مرة آراء لا جدال فيها وأكدتها لنا نحن الروس تجربة ١٩٠٥ بلاغة خاصة واننا لتتساءل ماذا كان يفترض بهذا الصدد بيان بالصادر عام ١٩١٢ وماذا جرى في ١٩١٤ - ١٩١٥ ؟

كان يفترض وضعاً ثورياً يعبر عنه بايجاز تعبير «ازمة اقتصادية وسياسية». فهل طرأ هذا الوضع؟ اجل لا ريب في ذلك مطلقاً فان الاشتراكي-الشوفيني لنتش (الذي يتولى الدفاع عن الشوفينية بمزيد من الاستقامة والصراحة والولاء عما يفعله المنافقون كونوف وكاوتسكي وبليخانوف ومن لف لفيهم) قد ذهب الى حد القول: «ان ما نجتازه انما هو ثورة اصيلة» (الصفحة ٦ من كراسه «الاشتراكية-الديموقراطية الالمانية والحرب» برلين ١٩١٥) فالازمة السياسية قائمة ما من حكومة تثق بالغد ما من حكومة في مأمّن خطر الانهيار المالي من ان تئنزع منها ارضها وتطرد من بلادها (كما جرى لحكومة بلجيكا التي طردت من بلادها) وجميع الحكومات تعيش كأنها على فوهة بركان وجميعها تعول بنفسها على مبادرة الجماهير وبسالتها والنظام السياسي الاوروبي مزعزع بكليته ويقىناً ان احداً لن ينكر اننا دخلنا (وندخل بعمق متزايد - اكتب هذه الاسطر يوم اعلان ايطاليا الحرب) في مرحلة من الهزات السياسية الكبرى فاذا كان كاوتسكي قد كتب في «Neue Zeit» («نويه زايته») بعد اعلان الحرب بشهرين (في ٢ اكتوبر - تشرين الاول - ١٩١٤) يقول انه «ما من وقت تكون فيه الحكومة قوية بقدر ما تكون عليه في بداية الحرب، وما من وقت تكون فيه الاحزاب ضعيفة بقدر ما تكون عليه في بداية الحرب» فان قوله هذا لم يكن سوى مثال على تزويره العلم التاريخي سعياً منه لارضاء زوديكوم واضرابه وغيرهم من الانتهازيين فان الحكومة لا تحتاج في اي وقت الى موافقة جميع احزاب الطبقات السائدة والى خضوع الطبقات المضطهدة لهذه السيادة خضوعاً «سليماً» حاجتها اليهما ابان الحرب هذا اولاً وثانياً اذا كانت الحكومة تبدو كلية القدرة «في بداية الحرب» وخاصة في بلد يتوقع انتصاراً سريعاً، فان احداً في اي زاوية من العالم لم يربط قط توقع حدوث

وضع ثوري «بداية» الحرب بوجه الحصر ولم يأخذ بالأحرى
«الظاهر»، على انه الواقع

ان الجميع كانوا يعرفون ويرون ويقرون ان الحرب الاوروبية ستكون قاسية واقسى من جميع الحروب الاخرى وها هي تجربة الحرب تؤكد ذلك اكثر فاكثر على الدوام فالعرب تمتد وتتسع والاسس السياسية في اوربا تتزعزع اكثر فاكثر وشقاء الجماهير رهيب والجهود التي تبذلها الحكومات والبرجوازية والانتهازيون للسكوت عن هذا الواقع تبوء اكثر فاكثر بالاخفاق والارباح التي تبتزها بعض الكتل الرأسمالية من الحرب ارباح فاحشة بصورة فاضحة لا سابق لها وقد بلغ تفاقم التناقضات مقاييس ضخمة جداً ثم هناك استياء الجماهير المكتوم وطموح الفئات المضطهدة الجاهلة الغامض الى سلام طيب ظريف («ديموقراطي») والتذمر الذي بدأ في «القاعدة» وكلما طال امد الحرب واشتد اوارها كلما طورت الحكومات نفسها واضطرت الى ان تطور نشاط الجماهير داعية اياها الى بذل قصارى الجهد والى التفاني اللامحدود ان تجربة الحرب مثلها مثل تجربة كل ازمة في التاريخ وكل كارثة كبرى وكل انقلاب في حياة الانسان تجعل البعض بلداً وتحطمهم وتعلم بالعكس البعض الآخر وتشدّ مراسه علماء بأن هذا البعض الآخر كان على امتداد تاريخ العالم كله باستثناء بضعة حالات من انحطاط وهلاك هذه الدولة او تلك اكثر عدداً وأعظم قوة من البعض الاول في آخر المطاف

ان عقد الصلح لا يمكن له ان يضع حداً «دفعه واحدة» لكل هذا الشقاء ولكل هذا التفاقم في التناقضات وليس هذا وحسب بل انه على العكس يجعل هذا الشقاء في كثير من النواحي واضحاً جداً بالنسبة لأشد جماهير السكان تأخرأً، ويحملها على المزيد من الاحساس به .

وبكلمة ان الوضع الثوري موجود في معظم البلدان المتقدمة والدول الكبرى الاوروبية وبهذا الصدد ثبتت تماماً صحة تنبؤ بيان بال واي انكار لهذه الحقيقة ، مباشرة ام بصورة غير مباشرة ، او السكوت عنها كما يفعل كونوف وبليخانوف وكاوتسكي وأضرابهم انما يعني الامعان في الكذب الفظيع وخداع الطبقة العاملة وخدمة البرجوازية وقد اوردنا في «سوسيال-ديموقراط» (الاعداد ٣٤ و ٤٠ و ٤١) معطيات تبين ان من يخشون الثورة الكهنة المسيحيون التافهون الضيقو الافق وهيآت الاركان العامة ، وصحف اصحاب الملايين قد اضطروا الى الاعتراف بوجود اعراض وضع ثوري في اوروبا *

فهل يدوم هذا الوضع فترة طويلة وأي حد يبلغ في تفاقمه ؟ هل يؤدي الى الثورة ؟ اننا نجهل هذا الامر وما من احد يستطيع ان يعرفه ولن يبينه غير تجربة تطور الامزجة الثورية وانتقال الطبقة الطليعية البروليتاريا الى الاعمال الثورية فلا مجال هنا لأية «اوهام» بوجه عام ولا لدحضها لأنه ما من اشتراكي ضمن في اي مكان من العالم وفي اي فترة من الزمان بأن الثورة تنشأ على وجه الضبط من الحرب الحالية (لا من الحرب المقبلة) من الوضع الثوري الحالي (لا من الوضع المقبل) والكلام هنا يدور حول واجب جميع الاشتراكيين الثابت تماماً والأساسي كلياً الا وهو واجب ان يبينوا للجماهير وجود وضع ثوري ويوضحوا مداه وعمقه ، ويوقظوا وعي البروليتاريا الثوري وعزيمتها الثورية ويساعدوها على الانتقال الى الاعمال الثورية وينشئوا منظمات تتلاءم والوضع الثوري من اجل العمل في هذا السبيل

* راجعوا لينين «صوت الماني عن الحرب» ، «مساهمة في توضيح شعار الحرب الاهلية» ، «محبو البشر البرجوازيون والديموقراطية الاشتراكية الثورية» . الناشر .

وليس ثمة اشتراكي نافذ ومسؤول تجراً قط على ان يشك في ان هذا هو بالذات واجب الاحزاب الاشتراكية وبيان بال يتحدث بالتحديد عن واجب الاشتراكيين هذا دون ان ينشر او يخلق اقل «وهم» حث الشعب و«هزه» (لا تنويمه بالشوفينية كما يفعل بليخانوف واكسيلرود وكاوتسكي) و«استغلال» الازمة «للتعجيل» في افلاس الرأسمالية الاسترشاد بامثلة الكومونة وتشرين الاول - كانون الاول (اكتوبر - ديسمبر) ١٩٠٥ ولذا فان عدم قيام الاحزاب الحالية بواجبها هذا انما يعني خيانتها وموتها السياسي وتنازلها عن دورها وانتقالها الى جانب البرجوازية

٣

ولكن كيف امكن ان خان ممثلو الاممية الثانية وزعمائها البارزون الاشتراكية ؟ اننا سنعود بالتفصيل الى هذه المسألة بعد ان ندرس اولاً المحاولات المبذولة لتبرير هذه الخيانة «نظرياً». لنحاول الآن ان نحلل النظريات الرئيسية للاشتراكية-الشوفينية التي يمكن اعتبار بليخانوف (الذي يردد في الغالب حجج الشوفينيين الانجلو-فرنسيين حجج هايندلمان وانصاره الجدد) وكاوتسكي (الذي يدلي بحجج اكثر «حداقة» بكثير وتبدو على رصانة نظرية اكبر بما لا يقاس) ممثلها

قد تكون نظرية «البادئ» بدائية اكثر من جميع النظريات الاخرى لقد هوجمنا ونحن ندافع عن انفسنا كذلك مصالح البروليتاريا تتطلب صد المخلين بالسلام الاوروبي ان هذا القول انما هو ترداد لتصريحات جميع الحكومات ولبينات الصحافة البرجوازية والصحافة الصفراء في العالم كله ولكن بليخانوف يزين حتى هذه التفاهة المطروقة باستشهاد جزويتي «الديالكتيك»

الزأى عنده فهو يزعم انه يجب لآجل مراعاة الوضع الملموس اكتشاف البادى قبل كل شيء ، والاقتصاص منه ، وارجاء جميع القضايا الاخرى حتى الوضع المقبل (راجع كراس بليخانوف «حول الحرب» باريس ، ١٩١٤ ، وترديد اكسيلرود لمحاكمات بليخانوف في صحيفة «غولوس» (١٨٦) العدين ٨٦ و ٨٧) حقاً ان بليخانوف قد ضرب الرقم القياسي في هذه المهمة النبيلة مهمة احلال السفسطة محل الديالكتيك فالسفسطائي يخطف «حجة» ما من الحجج والحال لقد سبق لهيغل نفسه ان قال على حق انه يمكن ايجاد «حجج» لكل شيء في العالم ولكن الديالكتيك يتطلب دراسة كل ظاهرة اجتماعية من جميع وجوها وخلال تطورها واعادة العامل الخارجي الظاهري الى القوى الجذرية المحركة الى تطور القوى المنتجة والنضال الطبقي اما بليخانوف فانه يخطف مقتطفاً من الصحافة الاشتراكية الديمقراطية الالمانية ويقول ان الالمان انفسهم كانوا يعترفون قبل الحرب بان النمسا والمانيا هما البادئتان ، وهذا كل شيء اما ان الاشتراكيين الروس قد فضحوا مراراً المشاريع التي وضعتها القيصرية للاستيلاء على غاليسيا وارمينيا والخ . فيسكت بليخانوف عن هذا الواقع بل اننا لا نرى عنده اي ظل لمحاولة الرجوع الى التاريخ الاقتصادي والديبلوماسي للعقود الثلاثة الاخيرة على الاقل والحال ان هذا التاريخ يبين بما لا يقبل الجدل ان الاستيلاء على المستعمرات ونهب اراضي الغير وازاحة وخراب منافس اوفر حظاً ان كل ذلك قد كان المحور الرئيسي للسياسة التي انتهجتها كتلتا الدول المتحاربة حالياً *

* ومما له دلالة تجبرى بهذا الصدد كتاب المسالم الانجليزي بريلسفورد الذي لا يتورع حتى عن الظهور بمظهر الاشتراكي «حرب الفولاذ والذهب» (لندن ، ١٩١٤ ؛ ان هذا الكتاب يحمل تاريخ شهر آذار (مارس) ١٩١٤) . فان المؤلف يدرك جيداً جداً ان المسائل الوطنية ، على

ان الموضوعة الاساسية في الديالكتيك الذي يشوهه بليخانوف بوقاحة بالغة ارضاء للبرجوازية انما هي مطبقة على الحروب الموضوعة التالية «ان الحرب هي مجرد استثمار

وجه العموم ، تبقى في المؤخرة ، وانها حلت (صفحة ٣٥) ، وان المشكلة ليست هنا في الوقت الحاضر ، وان «المسألة النموذجية للدبلوماسية العصرية» (صفحة ٣٦) انما هي سكة حديد بغداد ، وتقديم القضبان الفولاذية لبنائها ، ومناجم المعادن في مراكش ، الخ . ويعتبر المؤلف على صواب ان من «أوفر الاحداث عبراً واطرفها في تاريخ الدبلوماسية الاوروبية الحديث» انما هو نضال الوطنيين الفرنسيين والامبرياليين الانجليز ضد المحاولات التي بذلها كايو (في ١٩١١ و ١٩١٣) للتفاهم مع المانيا على اساس اتفاق يقضي بتقاسم مناطق النفوذ في المستعمرات وبقبول الاوراق الالمانية في بورصة باريس غير ان البرجوازية الانجليزية والفرنسية احبطت هذا الاتفاق (صص ٣٨ - ٤٠) ان هدف الامبريالية انما هو تصدير الرساميل الى البلدان الضعيفة (صفحة ٧٤) وقد تراوحت ارباح هذه الرساميل في انجلترا بين ٩٠ و ١٠٠ مليون جنيه ستيرليني في ١٨٩٩ (جيفن) وبلغت ١٤٠ مليوناً في ١٩٠٩ (بيش) ؛ ونضيف من جهتنا قائلين ان لويد جورج قد رفع هذا الرقم ، في خطاب القاه مؤخراً ، الى ٢٠٠ مليون جنيه ستيرليني ، اي ما يعادل زهاء ملياري روبل اما قوام المسألة ، فهو الدسائس والاحاييل القذرة ، ورشوة الوجهاء الاتراك وتوفير المناصب لابناء الذوات في الهند ومصر (صص ٨٥-٨٧) وهكذا تكسب اقلية ضئيلة من التسليح والحروب ولكنها تحظى بتأييد المجتمع ورجال المال ، بينما لا يقف الى جانب انصار السلم سوى السكان المنقسمين (صفحة ٩٣) والمسالم الذي يتكلم اليوم عن السلام ونزع السلاح يصبح غداً عضواً في حزب تابع كل التبعية للمتعهدين الحربيين (صفحة ١٦١) واذا اصبح الوفاق الثلاثي هو الاقوى ، استولى على مراكش واقتسم بلاد فارس ، واستولى الحلف الثلاثي على طرابلس الغرب ، وعزز مواقعه في البوسنة ، واخضع لنفسه تركيا (صفحة ١٦٧) وقد امدت لندن وباريس روسيا بالمليارات في آذار (مارس) ١٩٠٦ لكي تساعد القيصرية في سحق حركة التحرر (صص ٢٢٥ - ٢٢٨) ؛ وانجلترا تساعد الآن روسيا

للسياسة بوسائل اخرى» (اي بوسائل عنيفة) تلك هي صيغة كلاوزفيتس* ، وهو من كبار كتّاب تاريخ الحرب ، وقد اخصب هيغل افكاره وتلك كانت دائماً وجهة نظر ماركس وانجلس ، فقد اعتبرا ان كل حرب هي استثمار لسياسة الدول المعنية ، ذات المصلحة ، - وشتى الطبقات في داخل هذه الدول - في فترة معينة ان بليخانوف ، في شوفينيته اللفظة ، يقف تماماً الموقف النظري نفسه الذي يقفه كاوتسكي في شوفينيته اللبقة والتوفيقية والمعسولة ، وذلك حين يكرّس كاوتسكي انتقال اشتراكيي جميع البلدان الى جانب «رأسمالييهم» بالمحاكمات التالية :

جميعهم يحق لهم ويجب عليهم ان يدافعوا عن وطنهم ؛ فالاممية الحقيقية تتلخص في اقرارها بهذا الحق لاشتراكيي جميع الامم ، بما فيها الامم المحاربة ضد امتي (راجع «Neue Zeit» (نويه زايت)) ، ٢ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩١٤ وغير ذلك من مؤلفات الكاتب نفسه)

في خنق بلاد فارس (صفحة ٢٢٩) ؛ وقد اشعلت روسيا نيران الحرب في البلقان (صفحة ٢٣٠) كل هذا لا شيء جديد فيه ، ليس كذلك ؟ كل هذه الوقائع يعرفها الجميع وقد رددتها الصحف الاشتراكية-الديموقراطية في العالم كله الوف المرات . وها ان برجوازي انجليزيا يدركها تمام الادراك عشية الحرب . ولكن ، الى جانب هذه الوقائع البسيطة التي يعرفها الجميع ، اية سخافة معيبة ، واي نفاق لا يطاق ، واي كذب معسول تصبحها نظريات بليخانوف وبوتريسوف حول مسؤولية المانيا او نظريات كاوتسكي حول «آفاق» نزع السلاح واقامة سلام طويل الأمد في ظل الرأسمالية !

* Karl von Clausewitz: "Vom Kriege", Werke, I Bd., S. 28 قارنوا

المجلد الثالث ، صص ١٣٩ - ١٤٠ ويعلم الجميع ان الحروب انما تستثيرها فقط العلاقات السياسية بين الحكومات وبين الشعوب ، ولكنه من المعتاد الظن بان هذه العلاقات تكف عند وقوع الحرب وان وضعاً مختلفاً تماماً يطرأ وهو لا يخضع الا لقوانينه الخاصة . ولكننا نحن نؤكد العكس : ان الحرب ليست سوى استمرار للعلاقات السياسية مع استعمال وسائل اخرى .

ان هذه المحاكمة التي لا مثيل لها هي تهكم تافه كل التفاهة بالاشتراكية الى حد ان خير جواب يمكن الرد به عليها هو التوصية بسك مدالية على جانب منها صورتا غليوم الثاني ونقولاى الثاني وعلى الجانب الآخر صورتا بليخانوف وكاوتسكي فالامية الحقيقية كما ترون تتلخص في تبرير اطلاق العمال الفرنسيين الرصاص على العمال الالمان واطلاق العمال الالمان الرصاص على العمال الفرنسيين ، «دفاعاً عن الوطن» !

ولكننا اذا امعنا النظر في المقدمات النظرية لمحاكمات كاوتسكي توصلنا على وجه الدقة الى هذا الرأى الذي سخر منه كلاوزفيتس منذ ٨٠ سنة تقريباً والذي يزعم ان العلاقات السياسية التي نشأت عبر التاريخ بين الشعوب والطبقات انما تكف عند نشوب الحرب وان وضعاً مختلفاً تماماً يطرأ فليس ثمة «بكل بساطة» سوى الذين يهاجمون والذين يدافعون عن انفسهم ويصدون «بكل بساطة» «اعداء الوطن» فالاضطهاد الذي تمارسه شعوب الدول الامبريالية الكبرى ازاء جملة كاملة من الامم تؤلف اكثر من نصف سكان الكرة الارضية ، والتزاحم بين برجوازيات هذه البلدان على اقتسام الغنيمة ونزعة الرأسمال الى شق صفوف الحركة العمالية وسحقها كل هذا اختفى دفعة واحدة من مجال رؤية بليخانوف وكاوتسكي مع انهما ظلا يرسمان مثل هذه «السياسة» بالذات طوال عشرات السنين قبل الحرب

ويستشهد زعيما الاشتراكية-الشوفينية هذان خداعاً ومكرأ بماركس وانجلس ، واستشهاداتهم الكاذبة هذه هي حجتهما «الدامعة»: فان بليخانوف يذكر حرب بروسيا الوطنية عام ١٨١٣ وحرب المانيا في ١٨٧٠ ويبرهن كاوتسكي بسيماء العالم العلامة ، على ان ماركس بحث مسألة معرفة نجاح اي جانب (اي اية برجوازية) هو المفضل في حروب ١٨٥٤ - ١٨٥٥ ، و ١٨٥٩ ، و ١٨٧٠ -

١٨٧١ وعلى ان الماركسيين قد بحثوها ايضاً بالنسبة لحربي ١٨٧٦ - ١٨٧٧ و ١٨٩٧ وهذا هو اسلوب جميع السفسطائيين في جميع الازمنة ، وقوامه اخذ امثلة من المعروف سلفاً انها ترتبط بحالات مختلفة مبدئياً فان الحروب السابقة التي يضرّبونها لنا على سبيل المثال انما كانت «استمراراً لسياسة» الحركات الوطنية البرجوازية التي قامت سنوات طويلة ضد النير الاجنبي الذي تمارسه امة اخرى وضد الحكم المطلق (التركي والروسي) ولذا لم يكن بالامكان أن توضع حينذاك أية مسألة غير مسألة تفضيل نجاح هذه البرجوازية او تلك وكان بوسع الماركسيين ان يدعوا الشعوب سلفاً الى حروب من هذا النوع باذكاثم سعي الاحقاد القومية ، كما دعا ماركس في ١٨٤٨ وفيما بعد الى الحرب ضد روسيا وكما فعل انجلس في ١٨٥٩ عندما اذكي سعي الحقد القومي عند الالمان على مضطهدهم نابليون الثالث والقيصرية الروسية *

* نقول بالمناسبة ان السيد غاردينين نعت في صحيفة «جيزن» (١٨٧) «بالشوفينية الثورية» ، اي بالشوفينية على كل حال ، كون ماركس قد ايد في ١٨٤٨ الحرب الثورية ضد الشعوب الاوروبية التي اظهرت نفسها عملياً معادية للثورة ، اي «السلاف والروس بخاصة» ان هذا اللوم الموجه الى ماركس يدل مرة اخرى على انتهازية هذا الاشتراكي-الثوري «اليساري» (او-بالاصح- انعدام كل جد عنده) اما نحن الماركسيين ، فقد كنا نؤيد دائما وسنظل نؤيد ابدأ الحرب الثورية ضد الشعوب المعادية للثورة. مثلاً: اذا انتصرت الاشتراكية في اميركا او في اوربا في ١٩٢٠ ، وقامت اليابان مع الصين افتراضاً ، واطلقنا حينذاك بيسماركيهما ضدنا-ولو في الميدان الدبلوماسي بادي الامر- فاننا سنؤيد الحرب الهجومية ، الثورية ، ضد هما . فهل يبدو لك هذا الامر غريباً ، ايها السيد غاردينين ؟ انك ثوري من طراز روبشين !

ان تقارن «استمرار سياسة» النضال ضد الاقطاعية والحكم المطلق سياسة البرجوازية بسبيل التحرر مع «استمرار سياسة» برجوازية متهافئة اي امبريالية اي برجوازية نهبت العالم كله برجوازية رجعية تضغط البروليتاريات بالتحالف مع الاقطاعيين فكأنك تقارن الامتار بالكيلوغرامات ومقارنتك هذه اشبه بمقارنة بين «مثلي البرجوازية» روبسبير وغاريبالدي وجيليايوف و«مثلي البرجوازية» ميليران وسالانديرا وغوتشكوف ولا يمكن للمرء ان يكون ماركسياً ولا يشعر بالاحترام والتقدير العميقين لكبار الثوريين البرجوازيين الذين اولاهم التاريخ العالمي حق الكلام باسم «الاطوان» البرجوازية التي رفعت عشرات الملايين من ابناء الامم الجديدة الى مستوى الحياة المتمدنة في غمرة النضال ضد الاقطاعية ولا يمكن للمرء ان يكون ماركسياً ولا يزدري سفسطة بليخانوف وكاوتسكي اللذين يتشدقان «بالدفاع عن الوطن» لمناسبة اقدام الامبرياليين الالمان على خنق بلجيكا او لمناسبة الصفقة المعقودة بين الامبرياليين الانجليز والفرنسيين والروس والايطاليين لنهب النمسا وتركيا

واليكم نظرية «ماركسية» اخرى للاشتراكية-الشوفينية الاشتراكية تقوم على تطور الرأسمالية السريع وانتصار بلادي يعجل تطور الرأسمالية فيها وبالتالي مجيء الاشتراكية اما هزيمة بلادي فتؤخر تطورها الاقتصادي وتؤخر بالتالي مجيء الاشتراكية ان هذه النظرية الستروفية يروجها بليخانوف عندنا ولنتش والآخرين عند الالمان ولكن كاوتسكي يجادل ويهاجم هذه النظرية الفظة ويهاجم لنتش الذي يدافع عنها بصورة سافرة ويهاجم كونوف الذي يؤيدها بصورة مستورة ولكنه لا يجادل الا لمجرد التوفيق بين الاشتراكيين-الشوفينيين من جميع البلدان على اساس نظرية شوفينية اكثر حذاقة ولباقة واشد جزويتية .

وليس لنا ان نتوقف مطولاً لتحليل هذه النظرية الفظة لقد صدر مؤلف ستروفه «ملاحظات انتقادية» في عام ١٨٩٤ وفي مدى عشرين سنة تعرف الاشتراكيون-الديموقراطيون الروس جيداً جداً على «طريقة» البرجوازيين الروس المتعلمين هذه لتمرير آرائهم ورغائبهم تحت ستار «الماركسية» **مظهرة** من الروح الثوري غير ان الستروفية ليست مجرد نزعة روسية ، انما هي ايضاً كما تشهد الاحداث الاخيرة ببلاغة فائقة نزعة يتصف بها نظريو البرجوازية في مختلف البلدان وترمي الى قتل الماركسية «عن طريق اللطافة» وخنقها بالمعاقبة بالاعتراف المزعوم «بجميع» الجوانب والعناصر «العلمية فعلاً» في الماركسية ، باستثناء جانبها «الدعائي» و«الديماغوجي» و«الطوبوي البلانكي» (١٨٨) وبتعبير آخر ، تقصد هذه النزعة ان تأخذ من الماركسية كل ما هو مقبول بنظر البرجوازية الليبرالية بما في ذلك النضال من اجل الاصلاحات والصراع الطبقي (بدون ديكتاتورية البروليتاريا) والاعتراف «العام» «بالمثل العليا الاشتراكية» والاستعاضة عن الرأسمالية «بنظام جديد» وان تنبذ «فقط» روح الماركسية الحي روحها الثوري «فقط»

ان الماركسية هي نظرية الحركة التحررية للبروليتاريا ولذا كان من المفهوم انه يترتب على العمال الواعين ان يولوا عملية احلال الستروفية محل الماركسية انتباهاً كبيراً جداً فان القوى المحركة لهذه العملية عديدة ومتنوعة ولن نذكر منها الا الثلاث الرئيسية ١ - ان تطور العلم يعطي وفرة متزايدة من المواد تثبت ان ماركس على حق ولذا كان لا بدّ من محاربته برياء ونفاق دون مهاجمة اسس الماركسية بصورة سافرة ولكن مع التظاهر بالاعتراف بها والعمل على تفرّيغها من محتواها عن طريق المغالطات والسفسطات ، وتحويلها الى «يقونة» مقدسة ، لا تؤذي البرجوازية .

٢ - ان تطور الانتهازية في صفوف الاحزاب الاشتراكية-الديموقراطية بدعم «تحويل» الماركسية هذا مع تكييفها لاجل تبرير جميع التنازلات امام الانتهازية ٣ - ان مرحلة الامبريالية هي مرحلة تقاسم العالم بين الامم «الكبيرة» المميزة التي تضطهد جميع الامم الاخرى ولا سبيل الى الريب في ان بعض الفئات المتساقطة عن هذه الامتيازات وهذا الاضطهاد تؤول الى بعض فئات البرجوازية الصغيرة والى بعض فئات اريستوقراطية وبيروقراطية الطبقة العاملة وهذه الفئات التي تشكل اقلية ضئيلة من البروليتاريا والجماهير الشغيلة ، تميل الى «الستروفية» اذ انها تقدم لها تبريراً لتحالفها مع برجوازية«ها» القومية ضد الجماهير المضطهدة المظلومة في جميع الامم وانا سنعود الى هذه النقطة حينما نتحدث عن الاسباب التي ادت الى افلاس الاممية

٤

من اكثر نظريات الاشتراكية-السوفينية حداقة ووقفها تقليدياً بحيث تبدو علمية واممية نظرية «الامبريالية العليا» التي تقدم بها كاوتسكي واليكم عرضها الاوضح والادق والاحدث كما كتبه واضعها بنفسه

ان تخفيف حركة الحماية في انجلترا ، وتخفيض الرسوم الجمركية في اميركا ، والسعي وراء نزع التسلح ، وسرعة هبوط تصدير الرساميل من فرنسا والمانيا في السنوات الاخيرة التي سبقت الحرب ، واخيراً ، هذا التشابك العالمي الذي تتكاثر عقده على الدوام بين شتى زمر الراسمال المالي ، كل ذلك حملني على التفكير فيما اذا كان من الممكن ان تقوم بدلاً عن السياسة الامبريالية الحالية سياسة جديدة ، سياسة امبريالية عليا ، تستعيز عن الصراع بين الرساميل المالية الوطنية باستثمار البسيطة استثماراً مشتركاً يقوم به الراسمال المالي الموحد على النطاق العالمي ان هذا الطور الجديد من اطوار الراسمالية امر معقول على كل حال . فهل هو ممكن التحقيق ؟ لا توجد الى الآن مقدمات

كافية تتيح لنا البت بهذه القضية («Neue Zeit» العدد ٥ ، ٣٠ ابريل - نيسان - ١٩١٥ ، صفحة ١٤٤)

من الممكن ان تكون لمجرى الحرب الحالية ومآلها الكلمة الفاصلة بهذا الصدد فقد تسحق الحرب تماماً بدور الامبريالية العليا الضعيفة وذلك بان تسعر الى اقصى حد نيران الحقد القومي بين الرأسماليين الماليين أيضاً ، وتشدد التسليح والركض وراءه ، وتجعل من المحتم نشوب حرب عالمية ثانية ، واذ ذاك ، يتحقق على مقياس رهيب ما تنبأت به في كراسي «طريق السلطة» ، وتتفاقم التناقضات الطبقيّة ، كما يتفاقم تلاشي (حرفياً «نهاية التصرف ، Abwirtschaftung» ، انهيار) الرأسمالية المعنوي» (وتجدر الاشارة هنا الى ان كاوتسكي يقصد بهذا التعبير المصطنع مجرد «العداوة» التي تكنها للرأسمالية «الفئات الوسطى بين البروليتاريا والرأسمال المالي» اي «المثقفون والبرجوازيون الصغار ، وحتى الرأسماليون الصغار») «ولكنه من الممكن ان يكون مآل الحرب مغايراً فقد تؤدي الى تقوية بدور الامبريالية العليا الضعيفة ان عبرها» (لاحظوا هذا جيداً!) «قد تعجل بتطور يطول انتظاره ايام السلم فاذا بلغ الامر الى هذه النهاية ، الى تفاهم بين الامم ، الى نزوع التسليح ، الى سلام طويل الأمد ، فقد تزول شر الاسباب التي كانت تؤدي قبل الحرب ، على مقياس متنامية ، الى تلاشي الرأسمالية المعنوي» ان هذا الطور الجديد سيحمل ، طبعاً ، «كوارث جديدة» للبروليتاريا ، «قد تكون شراً» من سابقتها ولكنه «من الممكن ان تخلق الامبريالية العليا» «لفترة من الزمن» «عهداً من الآمال والتوقعات الجديدة في نطاق الرأسمالية» (صفحة ١٤٥)

فكيف يستخلص من هذه «النظرية» تبرير الاشتراكية-

الشفوفينية ؟

على نحو غريب - بالنسبة «للنظري» - اي بالطريقة التالية ان الاشتراكيين-الديموقراطيين اليساريين الالمان يؤكدون ان الامبريالية والحروب التي تولدها الامبريالية ليست من فعل الصدفة انما هي النتاج الحتمي للرأسمالية التي جاءت بسيادة الرأسمال المالي ولذا كان من الضروري الانتقال الى نضال ثوري تخوضه الجماهير ، اذ ولت مرحلة التطور السلمي نسبياً . اما

الاشتراكيون-الديموقراطيون «اليمينيون» فانهم يعلنون بفظاظة ما دامت الامبريالية «ضرورية» فانه يترتب علينا ان نكون امبرياليين ، نحن ايضاً واذا كاوتسكي ، الذي يقوم بدور «الوسط» ، يتدخل للتوفيق قائلاً في كراسه «الدولة القومية والدولة الامبريالية واتحاد الدول» (نورمبرغ ١٩١٥)

«ان اقصى اليساريين» يريدون ان «يعارضوا» الامبريالية المحتممة بالاشتراكية ، اي انهم يريدون «ليس فقط الترويج بالاشتراكية الذي نعارض به منذ نصف قرن جميع اشكال السيادة الرأسمالية ، بل ايضاً تحقيق الاشتراكية فوراً قد يبدو هذا جذرياً جداً ، ولكنه يمكن ان يدفع جميع الذين لا يؤمنون بتحقيق الاشتراكية عملياً وفوراً ، الى معسكر الامبريالية» (صفحة ١٧ ، اشارة التاكيد منا)

فعندما يتحدث كاوتسكي عن تحقيق الاشتراكية فوراً ، انما «يحقق» غشاً مستغلاً الظرف التالي وهو انه لا يمكن التحدث في المانيا عن النشاط الثوري بسبب نظام الرقابة العسكرية على الاخص وكاوتسكي يعرف تمام المعرفة ان اليساريين يتطلبون من الحزب ان يقوم فوراً بالدعاية والتحضير للاعمال الثورية ولا يتطلبون منه مطلقاً «تحقيق الاشتراكية عملياً وفوراً»

ومن ضرورة الامبريالية يخلص اليساريون الى ضرورة الاعمال الثورية ولكن كاوتسكي يستغل «نظرية الامبريالية العليا» لكي يمرر الانتهازيين ، ويصور الامور على نحو يوهم أنهم لم ينضموا قط الى معسكر البرجوازية ، وأنهم «لا يؤمنون» بالاشتراكية الفورية لانهم يعتقدون ان «عهداً» جديداً من نزع التسلح والسلام الطويل الامد «قد يطرأ» ان هذه «النظرية» تنحصر في امر واحد وواحد فقط وهو ان كاوتسكي يبرر بأهل مجيء عهد جديد سلمى للرأسمالية انضمام الانتهازيين والاحزاب الاشتراكية-الديموقراطية الرسمية الى البرجوازية ، وتخليهم عن التكتيك

الثوري (اي البروليتاري) خلال المرحلة العالية العاصفة رغم البيانات المهيبة المدوية الواردة في قرار بال !

ثم لاحظوا ان كاوتسكي لا يعلن هنا ان الطور الجديد ينجم ويجب ان ينجم عن هذه الظروف والاضاع او تلك وليس هذا وحسب بل انه على العكس يعلن بكل جلاء اني لا استطيع ايضاً ان ابت فيما اذا كان هذا الطور الجديد «ممكن التحقيق» ام لا وبالفعل ، خذوا «الميل» الى العهد الجديد التي اشار اليها كاوتسكي . فان ما يثير الدهشة هو ان كاوتسكي يصنف في عداد الوقائع الاقتصادية «الميل الى نزع السلاح» ! وهذا يعني الاختباء في ظل احاديث واحلام برجوازية صغيرة ساذجة تهرباً من الوقائع الثابتة التي لا مرء فيها والتي لا تتفق مطلقاً مع نظرية تخفيف التناقضات فان «الامبريالية العليا» لكاوتسكي - وللمناسبة نقول ان هذا التعبير لا يعبر مطلقاً عما يريده صاحبه - انما تعني ثلم حدة تناقضات الرأسمالية بدرجة هائلة ويقال لنا «تخفيف حركة الحماية في انجلترا واميركا» فهل في هذا الامر اي نزوع الى عهد جديد ؟ لقد ضعفت حركة الحماية في اميركا بعد ان بلغت الذروة ولكنها ما تزال قائمة شأنها شأن الامتيازات والتعريفات المفضلة التي تتمتع بها انجلترا في المستعمرات الانجليزية لتتذكر على ما يرتكز حلول عهد الرأسمالية الحالي الامبريالي محل عهدها السابق «السلمي» انه يرتكز على واقعين اولاً ان حرية المزاحمة قد اخلت المكان لاتحادات الرأسماليين الاحتكارية ثانياً ان الكرة الارضية قد تم اقتسامها بكليتها وواضح ان هذين الواقعين (والعاملين) يتسمان باهمية عالمية فعلاً فان التجارة الحرة والمزاحمة السلمية كانتا ممكنتين وضروريتين طالما كان الرأسمال يستطيع ان يوسع مستعمراته دون اي عائق وان يستولي في

افريقيا وغيرها من القارات على اراض غير محتلة ؛ علماً بان تمرکز الرأسمال كان ضعيفاً ، ولم تكن ثمة مشروعات احتكارية ، اي ضخمة الى حد ان تسيطر على مجمل فرع صناعي معني غير ان ظهور مثل هذه المشروعات الاحتكارية وتناميها (اغلب الظن ان هذه العملية لم تتوقف لا في انجلترا ولا في اميركا ؟ ومن المشكوك فيه ان كاوتسكي نفسه سيتجرأ على انكار ان الحرب قد عجلت بها وزادت من تفاقمها) يجعلان المزاحمة الحرة القديمة امراً مستحيلاً ، اذ يقوضان اساسها ، في حين ان اقتسام الكرة الارضية يجبر على الانتقال من التوسع السلمي الى النضال المسلح في سبيل اعادة اقتسام المستعمرات ومناطق النفوذ . وانه لمن الحمق الظن ان تخفيف حركة الحماية في بلدين من البلدان يستطيع ان يغير شيئاً هنا ثم انخفاض تصدير الرساميل من بلدين اثنين خلال بضعة اعوام هذان البلدان فرنسا ومانيا كان يملك كل منها في الخارج ، عام ١٩١٢ ، وفقاً لاحصاءات هارمس مثلاً ، رأسملاً قدره زهاء ٣٥ مليار مارك (اي زهاء ١٧ مليار روبل) ، في حين ان انجلترا كانت تملك الضعف وحدها * ان نمو تصدير الرساميل لم يكن

* راجعوا Bernhard Harms. "Probleme der Weltwirtschaft", Jena.

1912 (برنارد هارمس «قضايا الاقتصاد العالمي» ينا ، ١٩١٢
 الناشئ .) George Paish. "Great Britain's Capital Investments in Colonies etc." في "Journal of the Royal Statist. Soc.", vol. LXXIV, 1910/11, p 167
 «توظيفات الرساميل الانجليزية في المستعمرات» في «محللة جمعية الاحصاء الملكية» ، المجلد ٧٤ ، ١٩١٠ -
 ١٩١١ ، صفحة ١٦٧ الناشئ .) وقد قدر لويد جورج في خطاب القاه في مطلع ١٩١٥ الرساميل الانجليزية الموظفة في الخارج باربعة مليارات جنيه سترليني اي ما يعادل زهاء ٨٠ مليار مارك .

قط ولم يكن بوسعهم ان يكون منتظماً في ظل النظام الرأسمالي ولا يتمكن كAUTOSKI من الزعم بان تراكم الرأسمال قد تقلص او بأن قدرة السوق الداخلي قد طرأ عليها اي تغير جدي بفضل تحسن محسوس في وضع الجماهير ، مثلاً ففي هذه الاحوال ، لا يمكن مطلقاً ان نخلص الى القول بمجيء عهد جديد لمجرد ان تصدير الرساميل قد هبط في هذين البلدين خلال بضع سنوات «التشابك العالمي الذي تتكاثر عقده على الدوام بين زمر الرأسمال المالي» هذه هي النزعة الوحيدة العامة فعلاً والتي لا جدال فيها فعلاً وهي ليست نزعة بضع سنوات ولا نزعة بلدين بل نزعة العالم كله والرأسمالية بكليتها ولكن لماذا ينبغي ان ينجم عنها الميل الى نزع السلاح لا الميل الى التسلح كما هي الحال حتى الآن ؟ لناخذ اية شركة عالمية لانتاج المدافع (ولانتاج العتاد الحربي بوجه عام) كشركة ارمسترونغ مثلاً فقد نشرت مجلة «ايكونوميست» (١٨٩) الانجليزية مؤخراً (اول ايار (مايو) ١٩١٥) ان ارباح هذه الشركة ارتفعت من ٦٠٦٠٠٠ جنيه سترليني (زهاء ٦ ملايين روبل) في ١٩٠٥-١٩٠٦ الى ٨٥٦٠٠٠ في ١٩١٣ والى ٩٤٠٠٠٠ (٩ ملايين روبل) في ١٩١٤ ان تشابك الرأسمال المالي كبير جداً هنا وما ينفك في تقدم ونمو فالرأسماليون الالمان «يشتركون» في اعمال شركة انجليزية ؛ والشركات الانجليزية تبني غواصات للنمسا الخ والرأسمال المتشابك على النطاق العالمي يجني ارباحاً طائلة من التسلح والحروب فاذا خلصنا الى القول بالميل الاقتصادي الى نزع السلاح لكون شتى الرساميل الوطنية متجمعة ومتشابكة في كل واحد على الصعيد العالمي فكأننا نحل التمنيات الطيبة البرجوازية الصغيرة حول تخفيف التناقضات الطبقة ، محل تفاقم هذه التناقضات الفعلي .



يتحدث كاوتسكي عن «عبر» الحرب بتفاهة بالغة اذ يصور هذه
العبر بصورة رعب اخلاقي من كوارث الحرب وويلاتها فاليكم مثلاً
محاكمته في كراسه «الدولة القومية» الخ

« لا سبيل الى الشك مطلقا في انه توجد فئات لها مصلحة ملحة للغاية
في السلام العالمي وفي نزع السلاح ، وليس ثمة حاجة الى تقديم الدليل على
هذه الحقيقة فان البرجوازيين الصغار والفلاحين الصغار وحتى العديد من
الراسماليين والمثقفين لا تربطهم بالامبريالية مصالح تفوق الاضرار التي تلحقها
بهم الحرب والتسلح» (صفحة ٢١)

لقد كتب هذا في شباط (فبراير) ١٩١٥ بيد ان الوقائع تشهد
على انضمام جميع الطبقات المالكة ، بمن فيها البرجوازيون الصغار
و«المثقفون» ، الى الامبرياليين ، في حين ان كاوتسكي ، مثله مثل «الرجل
المعلّب» (١٩٠) يحتجب عن الوقائع بفرور بالغ وراء كلمات
معسولة وهو يحكم على مصالح البرجوازية الصغيرة ليس حسب
سلوكها ، بل حسب اقوال بعض البرجوازيين الصغار رغم ان
افعالهم تكذب اقوالهم في كل لحظة . وهذا كما لو حكمنا على «مصلح»
البرجوازية عموماً لا حسب اعمالها ، بل حسب الخطب المفعمة حباً التي
يلقيها الكهان البرجوازيون ويقسمون فيها ايماناً مغلظة بان النظام
الحالي مشبع بالمثل الاعلى المسيحي ان كاوتسكي يطبق
الماركسية بشكل يفرغها به من كل محتواها فلا يبقى سوى كلمة
«المصلحة» بمعنى ما روحاني فائق الطبيعة اذ ان المقصود هنا
ليس الاقتصاد الواقعي بل تمنيات بريئة حول الخير العام

اما الماركسية فانها تحكم على «المصلح» انطلاقاً من الصراع
الطبقي والتناقضات الطبقيه التي تبرز عبر الملايين من وقائع الحياة
اليومية . فان البرجوازية الصغيرة تحلم بتخفيف التناقضات وتشرثر

حوله متقدمة «بحجة» ان تفاقمها يسفر عن «عواقب وخيمة» ان الامبريالية انما هي خضوع جميع فئات الطبقات المالكة للرأسمال المالي وتقاسم العالم بين خمس دول «كبرى» او ست ، يشترك اليوم معظمها في الحرب وتقاسم العالم بين الدول الكبرى انما يعني ان جميع فئاتها المالكة لها مصلحة في امتلاك المستعمرات ومناطق النفوذ ، وفي اضطهاد الامم الاجنبية ، وفي المناصب الرابحة على تباين مكاسبها ، وفي الامتيازات النابعة من مجرد الانتساب الى دولة «كبرى» والى امة مضطهدة ظالمة *

فمن المستحيل العيش حسب النمط القديم في جو هادى سلمى نسبياً ، هو جو الرأسمالية التي تتطور بهدوء وتمتد باطراد الى بلدان جديدة ، لان عهدا جديدا قد حل فالرأسمال المالي يزيح وسيزيح البلد المعني من صف الدول الكبرى وسيستزح منه

* يذكر ارنست شولتز ان مبلغ الاوراق المالية في العالم كله كان يقدر قبيل عام ١٩١٥ بـ ٧٣٢ مليار فرنك ، بما فيها قروض الدولـة والبلديات والتأمينات (الرهونات) واسهم الشركات التجارية والصناعية الخ . . . ومن هذا المبلغ ، كانت إنجلترا تملك ١٣٠ مليار فرنك ، والولايات المتحدة الاميركية ١١٥ ، وفرنسا ١٠٠ ، والمانيا ٧٥ ، اي ان هذه الدول الكبرى الاربعة كانت تملك معا ٤٢٠ مليار فرنك او اكثر من نصف المبلغ الاجمالي . وهذا يتيح لنا ان نقدر مدى فوائد وامتيازات الامم الاستعمارية المتقدمة التي سبقت الشعوب الاخرى ، وتضطهدها وتنهبها (Dr. Ernst Schultze. «Das französische Kapital in Russland», Berlin, 1915, في «Finanz-Archiv» Jahrg. 32, S. 127) (الدكتور ارنست شولتز ، والرأسمال الفرنسي في روسيا) ، في «الارشيف المالي» ، برلين ١٩١٥ ، السنة ٣٢ ، صفحة ١٢٧ . (الناشر) . ان «الدفاع عن الوطن» هو بالنسبة لامم الدول الكبرى الدفاع عن الحق في الغنيمة الناجمة عن نهب الامم الاجنبية اما في روسيا ، كما هو معروف ، فان الامبريالية الرأسمالية فيها اضعف ؛ ولكن الامبريالية العسكرية-الاقطاعية هي ، على العكس ، اقوى .

مستعمراته ومناطق نفوذه (كما تهدد بفعله المانيا التي انطلقت تحارب انجلترا) وسينتزع من البرجوازية الصغيرة الامتيازات والايادات الثانوية التي تتمتع بها بحكم انتسابها الى «امة الدولة الكبرى» وهذا امر تثبت الحرب صحته وهذا ما ادى اليه فعلاً تفاهم التناحرات الذي اعترف به الجميع منذ زمن بعيد بمن فيهم كاوتسكي نفسه في كراسه «طريق السلطة»

والآن ، وقد غدا النضال المسلح في سبيل امتيازات امة الدولة الكبرى امراً واقعاً راح كاوتسكي يقنع الرأسماليين وصغار البرجوازيين بان الحرب شيء فطيع بينما نزع السلاح شيء حسن تماماً بنفس الطريقة وتاماً بنفس النتائج التي يقنع بها الكاهن المسيحي من على منبره الرأسماليين بان حب القريب من تعاليم الله ، وطموح في النفس وقانون اخلاقي من قوانين المدنية وما يسميه كاوتسكي بالميول الاقتصادية نحو «الامبريالية العليا» انما هو في الواقع وعظ برجوازي صغير هدفه اقناع المالمين بالامتناع عن فعل الشر

تصدير الرأسمال ؟ ولكنه يُصدّرُ من الرساميل الى البلدان المستقلة كالولايات المتحدة الاميركية مثلاً اكثر مما يصدر الى المستعمرات الاستيلاء على المستعمرات ؟ ولكنه استولي عليها كلها وكلها تقريباً تطمح الى التحرر «قد لا تبقى الهند في عداد الممتلكات الانجليزية غير انها لن تقع ابدأ بوصفها امبراطورية كاملة في سيطرة اجنبية اخرى» (صفحة ٤٩ من الكراس المذكور آنفاً) «ان اي جهد تبذله دولة رأسمالية صناعية لاكتساب امبراطورية من المستعمرات تجعل هذه الدولة مستقلة عن الخارج فيما يخص تموينها بالمواد الاولية لا بد وان يوحد ضد هذه الدولة جميع الدول الرأسمالية الاخرى ، لا بد وان يجرها الى حروب منهكة نهاية لها ، دون ان يقربها من هدفها . ان هذه السياسة من

شأنها ان تكون آمن سبيل لدفع كل الحياة الاقتصادية في الدولة الى هاوية الافلاس» (صص ٧٢ - ٧٣)

أليس في هذا القول محاولة مبتذلة لاقناع المالىين بالتخلي عن الامبريالية ؟ وان تخوف الرأسماليين بالافلاس فكأنك تنصح رجال البورصة بعدم اللعب في البورصة بحجة ان «كثيرين يخسرون كل ثروتهم من جراء ذلك». ولكن الرأسمال **يربح** من افلاس الرأسمالي المنافس والامة المنافسة اذ يتركز اكثر من ذى قبل ولذا فكلما تفاقمت المنافسة الاقتصادية و«اشتدت» اي كلما تفاقمت الدفعة الاقتصادية نحو الافلاس و«اشتدت» قوي سعي الرأسماليين الى ان يقرنوا بها الدفعة **العسكرية** للتعجيل في افلاس المنافس وكلما قلّ عدد البلدان التي يمكن تصدير الرأسمال اليها بنفس الفوائد التي يدرها تصديره الى المستعمرات والبلدان التابعة كتركيا مثلاً ، - اذ ان المالي يبتز في هذه الحالات ربعاً مثلاً بالنسبة لما يربحه من تصدير الرأسمال الى بلد حر ، مستقل ، متمدن كالولايات المتحدة الاميركية ، - كلما **احتدم** النضال في سبيل اخضاع تركيا والصين وغيرهما من البلدان وفي سبيل تقاسمها هذا ما تقوله النظرية الاقتصادية عن عهد الرأسمال المالي والامبريالية وهذا ما تقوله الوقائع ايضاً بيد ان كاوتسكي يحول كل هذا الى «موعظة اخلاقية» مبتذلة ، تافهة ؛ فهو يقول لا داعي للتهيج وبالاحرى لشن الحرب من اجل اقتسام تركيا او من اجل الاستيلاء على الهند اذ «ان هذا في كل حال لن يدوم طويلاً» ثم من الافضل تطوير الرأسمالية بصورة سلمية وبديهي انه من الافضل ايضاً تطوير الرأسمالية وتوسيع السوق عن طريق زيادة الاجور وهذا امر «معقول» تماماً ووعظ المالىين بهذا المعنى هو خير موضوع لموعظة كاهن ان كاوتسكي الطيب القلب كاد ينجح في اقناع المالىين الالمان بانه لا يجدر بهم ان يحاربوا انجلترا في سبيل المستعمرات ،

اذ ان هذه المستعمرات ستتحرر قريباً جداً بدون هذا !
ان تنامي صادرات انجلترا الى مصر ومستورداتها منها من ١٨٧٢ الى ١٩١٢ كان ابطاً من تنامي مجموع صادرات انجلترا ومستورداتها فما هي العبرة التي يستخلصها «الماركسي» كاوتسكي من هذا الواقع ؟ انه يقول «ليس لدينا من داع يحملنا على الظن ان التجارة مع مصر بدون احتلالها عسكرياً ، تنمو بصورة ابطاً تحت تأثير العوامل الاقتصادية وحدها» (ص ٧٢) «ان رغبات الرأسمال في التوسع» «يمكن بلوغها بافضل شكل عن طريق الديمقراطية السلمية لا عن طرق القسر الامبريالية» (ص ٧٠)
فيا له من تحليل جدي ، علمي ، «ماركسي» بليغ ! لقد «أصلح» كاوتسكي بروعة هذا التاريخ غير الحكيم ، «فأثبتت» ان الانجليز لم يكونوا قط بحاجة الى انتزاع مصر من الفرنسيين وان رجال المال الالمان لم تكن لهم قط اية مصلحة في شن الحرب وتنظيم الحملة التركية واللجوء الى غير ذلك من التدابير لطرد الانجليز من مصر ! كل هذا مجرد سوء فهم لا اكثر فالانجليز ، بكل بساطة ، لما يدركوا انه «من الافضل» الامتناع عن وسائل العنف ازاء مصر والانتقال (بغية توسيع تصدير الرساميل حسب كاوتسكي !) الى «الديموقراطية السلمية»

وان الظن بان حرية التجارة تقضي كلياً على التناقضات الاقتصادية التي تولدها الرأسمالية انما كان ، بالطبع ، ضرباً من اوهام انصار التجارة الحرة (free-traders — الناشر) (١٩١) البرجوازيين فليس بوسع حرية التجارة والديموقراطية ان تقضيا على هذه التناقضات بيد ان من مصلحتنا ، كل المصلحة ، ان تصفى هذه التناقضات باشكال من النضال تفرض على الجماهير الكادحة حداً ادنى من التضحيات والالام» (صفحة ٧٢)

عفوك يا رب ارحمنا يا رب لقد تساءل لاسال من هو التافه الضيق الافق ؟ واجاب على تساؤله بحكمة الشاعر المعروفة

«التافه الضيق الافق اشبه بمصران فارغ ولكنه مفعم خوفاً واملاً»
بان يشمل الله برأفته!» (١٩٢)

لقد حقر كاوتسكي الماركسية الى اقصى حد وتحول هو نفسه الى كاهن حقيقي فالكاهن يقنع الرأسماليين بالانتقال الى الديمقراطية السلمية ويسمي مسعاه هذا دياليكتيكاً فاذا كان ثمة في البداية تجارة حرة عقبها الاحتكارات والامبريالية فلم لا يكون ثمة «امبريالية عليا» تعقبها التجارة الحرة من جديد؟ والكاهن يعزي الجماهير المضطهدة واصفاً لها نعم هذه «الامبريالية العليا» مع انه لا يستطيع حتى ان يقول اذا كانت هذه الامبريالية «ممكنة التحقيق» ام لا! فالذين كانوا يدافعون عن الدين بحجة انه يعزّي الانسان، انما يتّين لهم فورباخ بحق ما تتسم به هذه التعزية من طابع رجعي، فلقد قال ان من يعزي العبد، بدلا من ان يحثه على التمرد ضد العبودية، لا يفعل غير مساعدة مالكي العبيد

ان جميع الطبقات الظالمة تحتاج من اجل الحفاظ على سيادتها الى وظيفتين اجتماعيتين هما وظيفة الجلاد ووظيفة الكاهن فالجلاد يترتب عليه ان يقمع احتجاج المضطهدين واستنكارهم اما الكاهن فيترتب عليه ان يعزّي المضطهدين وان يصوّر لهم آفاق (من الاسهل خصوصاً رسم هذه الافاق مع عدم الضمان بانها «ممكنة التحقيق» .) التقليل من المصائب والتضحيات مع بقاء السيطرة الطبقيّة، وان يوفق بالتالي بينهم وبين هذه السيطرة، ويصرفهم عن العمل الثوري ويقوض معنوياتهم الثورية ويحطم همّتهم الثورية ولقد جعل كاوتسكي من الماركسية نظرية معادية للثورة في منتهى السخف والتنفير، وموعظة كهنوتية في غاية القذارة

ففي ١٩٠٩ اعترف كاوتسكي في كراسه «طريق السلطة»

بتفاقم تناقضات الرأسمالية واقتراب مرحلة من الحروب والثورات «مرحلة ثورية» جديدة - الامر الذي لم يفنّه احد ولا يمكن تفنيده .

وقد قال انه لا يمكن ان تقع ثورة «سابقة لآوانها» ووصم «بالخيانة المباشرة لقضيتنا» رفض حساب الحساب لامكان الانتصار في الثورة ، رغم انه لا يمكن قبل شن النضال انكار امكان الهزيمة ايضاً

ثم جاءت الحرب **وازدادت** التناقضات حدة وتفاقماً وبلغ شقاء الجماهير مقاييس هائلة وها هي الحرب تطول وتمتد وما ينفك ميدانها في اتساع وكاوتسكي يكتب الكراس بعد الكراس ويعمل طائعاً وفقاً لاوامر الرقيب ولا يورد المعلومات المتعلقة بنهب الاراضي وفضائح الحرب والارباح الفاحشة التي يبتزها المتعهدون الحربيون وغلاء المعيشة و«العبودية العسكرية» المفروضة على العمال المجندين بل انه بالمقابل يعزّي ويعزّي البروليتاريا ، - يعزّيها بمثال الحروب التي كانت البرجوازية فيها ثورية او تقدمية ، والتي كان «ماركس نفسه» يرغب اثناءها في انتصار هذه البرجوازية او تلك ويعزّيها بصفوف واعمدة من الارقام يقصد بها تقديم الدليل على «امكان» وجود رأسمالية بلا مستعمرات ولا نهب ولا حروب ولا اسلحة ويبغي منها توفير البرهان على افضلية «الديموقراطية السلمية» ولا يجرؤ كاوتسكي على ان ينفي تفاقم شقاء الجماهير ونشوء وضع ثوري في الواقع امام انظارنا (ممنوع التحدث عنه فالمراقبة لا تسمح بذلك .) واذا هو يتزلف الى البرجوازية والانتهازيين ، راسماً «افق» (وهو لا يضمن ان يكون هذا الافق «ممكناً التحقيق») هذه الاشكال النضالية في المرحلة الجديدة

حيث «ستقل التضحيات والالام» لقد كان فرانز مهربنغ وروزا لوكسمبورغ على صواب تام حين نعتا كاوتسكي من جراء ذلك بانه مومس (Mädchen für alle)

في شهر آب (اغسطس) ١٩٠٥ كان في روسيا وضع ثوري فوعد القيصر بدومس بوليغين من اجل «تعزية» الجماهير

الهائجة من الممكن ان نسمي نظام البرلمان الاستشاري الذي اقترحه بوليفين «الحكم المطلق الاعلى» اذا كان من الممكن ان نطلق اسم «الامبريالية العليا» على تخلي رجال المال عن التسلح واتفاقهم على «سلام طويل الامد» لنفترض لحظة ان يهب غداً مئة من اكبر رجال المال في العالم ، ممن «يتشابكون» في منات من المشروعات الضخمة **ويعدوا** الشعوب بانهم سيؤيدون نزع السلاح بعد الحرب (واننا لنقبل لحظة هذه الفرضية لمجرد ان نستقصي الاستنتاجات السياسية التي تنجم عن نظرية كاوتسكي البلهاء هذه) فحتى في هذه الحالة ، يكون من باب الخيانة السافرة بحق البروليتاريا ان ننصحها بالاعراض عن العمل الثوري الذي بدونه لا تكون جميع الوعود وجميع الآفاق الطيبة سوى وهم وسراب

ان الحرب لم تجلب لطبقة الرأسماليين الارباح الفاحشة والآفاق الرائعة للقيام بعمليات نهب جديدة (تركيا ، الصين ، الخ .) ، والطلبات الجديدة المقدرة بالمليارات والقروض الجديدة بفوائد مئوية مرفوعة وحسب بل جلبت ايضاً لطبقة الرأسماليين مغام سياسية اكبر بشقتها صفوف البروليتاريا وافسادها وكاوتسكي يسهم في هذا الافساد فهو يكرس هذا الانشقاق على الصعيد العالمي في صفوف البروليتاريين المناضلين وذلك باسم **الوحدة** مع انتهازي امتهم» ، مع اضراب زوديكوم ومع ذلك نجد أناساً لا يدركون ان شعار الوحدة الذي نادى به الاحزاب القديمة انما يعني «وحدة» البروليتاريا القومية مع برجوازيتهما القومية وانشقاق البروليتاريا من مختلف الامم

٦

لقد كنت كتبت ما سبق حين صدر العدد التاسع من «Neue Zeit» في ٢٨ ايار (مايو) وقد تضمن محاكمة كاوتسكي الاخيرة حول «افلاس الاشتراكية-الديموقراطية» (الفقرة ٧ من ردّه

على كونوف) فاليكم كيف جمع كاوتسكي بنفسه واوز جميع
السفسطات القديمة سفسطة واحدة جديدة حول الدفاع عن
الاشتراكية - الشوفينية

«انه لمجرد نقض للحقيقة الزعم بان الحرب حرب امبريالية صرف ،
وانها حين انفجرت لم يكن ثمة سوى حل من اثنين اما الامبريالية واما
الاشتراكية، وان الاحزاب الاشتراكية والجمهير البروليتارية في المانيا وفي
فرنسا ، وفي كثير من الجوانب في انجلترا ايضاً ، قد القت بنفسها في احضان
الامبريالية دون تفكير ولا روية ، لمجرد دعوة حفنة من البرلمانيين ، وخانت
الاشتراكية ، وسببت بالتالي افلاساً لا سابق له في التاريخ»

سفسطة جديدة وخداع جديد للعمال فالحرب ، من فضلكم ،
ليست حرباً امبريالية «صرفاً» !

وفيما يتعلق بطابع الحرب الحالية ومغزاها يتردد كاوتسكي
بصورة تبعث على الدهشة ونضيف قائلين ان هذا الزعيم الحزبي
يتهرب من بيانات مؤتمري بال وخيمينيتز الدقيقة الصريحة بحذر
لص يتجنب مكان سرخته الاخيرة لقد اكد كاوتسكي ، في كراسه
«الدولة القومية ، الخ المكتوب في شباط (فبراير) ١٩١٥ ان
الحرب «هي مع ذلك وفي آخر تحليل حرب امبريالية» (صفحة
٦٤) وها هو الآن يبدي تحفظاً جديداً : فهي ليست امبريالية صرفاً ؛
ولكن يا ترى ، ما هي اذن ايضاً ؟

يبدو انها حرب وطنية ايضاً فان كاوتسكي يخلص الى هذه
الفضاعة بواسطة هذا الدياليكتيك المزعوم المسمى الدياليكتيك
«البليخانوفي» واليكم ما يقول

«ان الحرب الحالية ليست وليدة الامبريالية وحسب ، بل وليدة الثورة
الروسية ايضاً» وقد سبق لكاوتسكي نفسه ان توقع في عام ١٩٠٤ ان
تبعث الثورة الروسيّة الحركة السلافية بشكل جديد وانه «لا بد

لروسيا الديمقراطية ان تذكى حتماً وبقوة مطامح السلافيين النمساويين والتركيين الى تحقيق استقلالهم الوطني ان المسألة البولونية ستصبح حينذاك مسألة حادة ايضاً وستتفخ النمسا حينذاك لان الطوق الحديدي الذي لا يزال يضم العناصر المتنازعة سيتحطم مع انهيار القيصرية» (ويقتبس كاوتسكي نفسه هذه الفقرة الاخيرة من احد مقالاته الصادرة في عام ١٩٠٤)

«ان الثورة الروسية قد دفعت مطامح الشرق القومية دفعة جبارة جديدة ، وازافت القضايا الآسيوية الى القضايا الأوروبية ان جميع هذه القضايا تبرز بقوة خلال الحرب الحالية وتكتسب اهمية حاسمة للغاية بالنسبة لمعنويات الجماهير الشعبية ، بمن فيها الجماهير البروليتارية ، في حين ان النزعات الامبريالية هي التي تتغلب بين الطبقات السائدة» (صفحة ٢٧٣ حرف التاكيد منا)

ذلك نموذج آخر من طريقة تحقير الماركسية ! **لما كان** «روسيا الديمقراطية» من شأنها ان تذكى طموح امم أوروبا الشرقية الى الحرية (هذا امر لا جدال فيه) ، **لذلك** فان الحرب الحالية التي لا تحرر امة واحدة ، بل تستعبد امماً عديدة ، أياً كان مآلها ليست حرباً امبريالية «صرفاً» **ولما كان** «انهيار القيصرية» من شأنه ان يؤدي الى تفسخ النمسا بسبب من الطابع اللاديموقراطي الذي يتسم به تركيبها القومي ، **لذلك** فان القيصرية المعادية للثورة ، والتي توطدت مؤقتاً بنهب النمسا وبفرض اضطهاد اشد مما سبق على امم النمسا ، اضفت على «الحرب الحالية» لا طابعاً امبريالياً صرفاً بل طابعاً وطنياً الى حد ما **ولما كانت** «الطبقات السائدة» تخدع البرجوازيين الصغار الغلاظ والفلاحين المظلومين بخرافات حول الاهداف الوطنية من الحرب الامبريالية **لذلك** فان رجل العلم ومرجعاً من مراجع «الماركسية» وممثلاً من ممثلي الاممية الثانية ، يحق له ان يوفق بين الجماهير وبين هذا الخداع وذلك بواسطة «الصيغة» التالية ان نزعات الطبقات السائدة نزعات امبريالية ، في حين ان نزعات «الشعب» والجماهير البروليتارية نزعات «وطنية» .

وهكذا يتحول الديالكتيك الى احط انواع السفسطة واخسها ! ان العنصر الوطني في الحرب العالمية انما تمثله فقط حرب بلاد الصرب ضد النمسا (وهو ما اشار اليه قرار المؤتمر الذي عقده حزبنا في برن * (١٩٣) ففي بلاد الصرب وبين الصرب فقط توجد حركة تحرر وطني تدوم سنوات طويلة وتضم الملايين من «الجماهير الشعبية» و«استمرارها» هو حرب بلاد الصرب ضد النمسا فلو ان هذه الحرب كانت منفردة اي لو انها لم تكن مرتبطة بالحرب الاوروبية العامة وبما تبينه انجلترا وروسيا وغيرها من الدول من المقاصد المفرضة واللصوصية لثرتب على جميع الاشتراكيين ان يتمنوا نجاح البرجوازية الصربية - هذا هو الاستنتاج الوحيد الصحيح والضروري تماماً الذي يجب استخلاصه من العنصر الوطني في الحرب العالمية ولكن السفسطائي كاوتسكي الذي يعمل حالياً في خدمة البرجوازيين ورجال الدين والجنرالات النمساويين لا يستخلص هذا الاستنتاج بالضبط

لنتابع ان ديالكتيك ماركس وهو ارقى شكل للطريقة التطورية العلمية انما يحرم على وجه الضبط. دراسة الموضوع دراسة منفردة معزولة اي وحيدة الجانب ومشوهة تشويهاً فظيماً فان العنصر الوطني في الحرب الصربية - النمساوية ليس له ولا يمكن ان يكون له اي شأن جدّي في الحرب الاوروبية العامة فاذا انتصرت المانيا خنقت بلجيكا وقسماً من بولونيا وربما قسماً من فرنسا ، الخ واذا تغلبت روسيا ، خنقت غاليسيا وقسماً من بولونيا ايضاً ، وارمينيا ، الخ واذا كانت النتيجة «المعادلة» ، دام الاضطهاد القومي السابق اما بالنسبة لبلاد الصرب ، اي بالنسبة

* راجعوا : لينين « مؤتمر فروع حزب العمال الاشتراكي-الديموقراطي في روسيا في الخارج » . الناشر .

لزهاء واحد بالمئة من المشتركين في الحرب الحالية ، فان هذه الحرب هي «استمرار لسياسة» حركة التحرر البرجوازية اما بالنسبة لـ ٩٩١ بالمئة من المشتركين في الحرب فانها تعتبر استمراراً لسياسة البرجوازية الامبريالية اي البرجوازية المتهافئة القادرة على افساد الامم ، لا على تحريرها فان دول «الوفاق الثلاثي» ، «بتحريرها» بلاد الصرب انما تبيع مصالح الحرية الصربية للامبريالية الايطالية مقابل تأييدها لها في نهب النمسا

كل ذلك معروف للجميع ولكن كاوتسكي يشوهه بلا حياء لكي يبرر الانتهازين فالظواهر «الصرف» غير موجودة ولا يمكن ان توجد لا في الطبيعة ولا في المجتمع وهذا ما يعلمنا اياه الديالكتيك الماركسي الذي يوضح لنا ان مفهوم الامور الصرف انما ينم عن بعض الضيق في المعرفة الانسانية وعن طابعها الوحيد الجانب بحيث لا تشمل موضوعها الى النهاية وفي كل تعقده فليس ثمة في العالم ولا يمكن ان يكون ثمة رأسمالية «صرف» ، ولكنه توجد دائماً رأسمالية مشوبة بعنصر اقطاعي او عنصر برجوازي صغير او بشيء آخر ايضاً ولهذا كان من يذكر بان الحرب ليست حرباً امبريالية «صرفاً» ، - في حين ان المقصود هو خداع «الجماهير الشعبية» خداعاً فاضحاً من جانب الامبرياليين الذين يسترون قصداً وعمداً اهداف النهب الصريح وراء جمل وتعابير «وطنية» طنانة - انما هو مدّع غليظ غاية في الغلاظة او مباحك ودجال كل ما في الامر ان كاوتسكي يؤيد خداع الشعب من جانب الامبرياليين حين يقول ان القضايا الوطنية هي التي «تتسم باهمية حاسمة بالنسبة للجماهير الشعبية بما فيها الجماهير البروليتارية» في حين «ان النزعات الامبريالية» هي الحاسمة بالنسبة للطبقات السائدة (صفحة ٢٧٣) وحين «يدعم» هذا القول باستشهاد ديالكتيكي مزعوم «بالواقع المتنوع الى ما لا نهاية» (صفحة ٢٧٤) . لا ريب مطلقاً في ان الواقع متنوع الى ما لا

نهاية وتلك حقيقة مقدسة ولكنه لا سبيل الى الريب ايضاً في ان هذا التنوع اللامتناهي ينطوي على تيارين رئيسيين جذرين هما اولاً ان مضمون الحرب الموضوعي هو «استمرار لسياسة» الامبريالية اي لنهب الامم الاخرى من قبل البرجوازية المتهاففة في «الدول الكبرى» (ومن قبل حكومات هذه الدول) وثانياً ان الايديولوجية السائدة «الذاتية» انما هي مجرد تعابير وجمل «وطنية» تذاق وتردد بغية استغلال الجماهير

لقد سبق لنا ان بحثنا السفسطة القديمة التي طلع بها كاوتسكي والتي يرددها المرة تلو المرة زاعماً ان «اليساريين» قد عرضوا الوضع بصورة توهم انه كان هناك مخرج من اثنين «في حال نشوب الحرب» كان كما يلي اما الامبريالية واما الاشتراكية ولكن هذا الزعم هو حيلة وقحة لان كاوتسكي يعلم تمام العلم ان اليساريين قد وضعوا بديلاً آخر اما انضمام الحزب الى النهب والخداع الامبرياليين واما الدعاية والتحضير للاعمال الثورية وكاوتسكي يعلم ايضاً ان الرقابة وحدها تحميه من خطر اقدام «اليساريين» في المانيا على فضح خرافته الخرقاء التي يروج لها بدافع استغذائه امام زوديكوم واضرابه اما فيما يتعلق بالعلاقات بين «الجماهير البروليتارية» و«الحفنة من البرلمانيين» ، فان كاوتسكي يدلي هنا باعتراض مطروق ومكرر الالف المرات فهو يقول

«لندع الالمان جانباً كي لا ندافع عن انفسنا ولكن من يود ان يؤكد بصورة جدية ان اناساً من امثال فايان وغيد وهيندمان وبلخانوف، قد غدوا في يوم واحد امبرياليين وخانوا الاشتراكية ؟ لندع جانباً البرلمانيين و«المراجع» (وواضح ان كاوتسكي يلمح هنا الى مجلة روزا لوكسمبورغ وفرانز مهربنغ «الاترناتسيوناله» ، التي تزدرى على حق سياسة المراجع اي الاوساط الرسمية القيادية في الحزب الاشتراكي-الديموقراطي الالمانى دمي لجنته المركزية «فورشتاند») وكتلته البرلمانية ، الخ (٠) - و. و. ومن

يجرؤ على التأكيد بان بعة ملايين من البروليتاريين الالمان الواعين يكفيهم امر واحد تعطيه حفنة من البرلمانيين لكي يستديروا للخلف في اربع وعشرين ساعة ويقفوا ضد اهدافهم السابقة ؟ فلو صح هذا ، لدل بلا ريب على افلاس رهيب ، لا في صفوف حزبنا وحسب ، بل ايضاً في صفوف **الجماهير** (حرف التأكيد لكوتسكي) ولو ان هذه الجماهير كانت بمثابة قطع خنوع من الغنم ، لا رأي لها ولا عزم ، لما بقي لنا الا ان نوارى تحت التراب» (صفحة ٢٧٤)

ان كارل كوتسكي هذا الرجل ذا الكلمة النافذة في ميداني السياسة والعلم ، قد وارى نفسه تحت التراب بسلوكة ولجونه الى الذرائع الواهية ، الحقيرة ، ومن لا يدرك هذا او لا يشعر بهذا على الاقل لا امل منه يرجى للاشتركية ولهذا وقف مهربنغ وروزا لوكسمبورغ وانصارهما الموقف الوحيد الصحيح في مجلة «الانترناسيونال» حين رأوا في كوتسكي ومن لف لفه جماعة من احقر الناس وعاملوهم على هذا الاساس

تصوروا فيما يتعلق بالموقف من الحرب لم يكن بالإمكان ان يدلي برأيه ببعض الحرية (أي دون ان يقبض عليه فوراً ويساق الى الثكنة ، ودون ان يكون مهدداً بالاعدام فوراً رمية بالرصاص) الا «حفنة من البرلمانيين» على وجه **الحصر** (كان يحق لهم التصويت بكل حرية ، وكان بوسعهم تماماً ان يصوتوا ضد وحتى في روسيا لم يكن يتعرض النائب لهذا السبب لا للضرب ولا للمضايقة حتى ولا للاعتقال) ، حفنة من الموظفين ، والصحافيين ، الخ اما اليوم ، فان كوتسكي يلقي بكل نبل على **الجماهير** ذنب خيانة هذه الفئة الاجتماعية وميوعتها ، هذه الفئة التي اشار كوتسكي بالذات عشرات المرات ، وخلال سنوات وسنوات في كتاباته ، الى صلتها بتكتيك الانتهازية وايدولوجيتها ان القاعدة الاولى الاساسية للبحث العلمي بعامة ، وللديالكتيك الماركسي بخاصة ، انما تفرض على الكاتب

ان يدرس **الصلة** بين **صراع النزعتين** الحالي في الاشتراكية - النزعة التي تتحدث عن الخيانة وتصرخ بها ، وتدق ناقوس الخطر بسببها والنزعة التي لا ترى الخيانة - وبين الصراع الذي استمر فيما مضى خلال **عقود وعقود** ولكن كاوتسكي لا ينس بنبت شفة في هذا الصدد بل انه لا يريد حتى طرح مسألة النزعات **والتيارات** فحتى الآن ، كان ثمة تيارات ، اما الآن فقد زالت فلم يبق الآن غير اسماء طنانة «لذوي الكلمة النافذة» تستشهد بها دائماً النفوس الذليلة وانه لمن الملائم بخاصة في هذا الصدد ان يركن الصديق الى صديقه ، ويستتر «هفواته» وفقاً للمثل القائل اليد تغسل اختها ترى ، هل في هذا انتهازية ! متى غيد وبليخانوف وكاوتسكي هكذا هتف مارتوف في كلمته في برن (راجع العدد ٣٦ من «سوسيال-ديموقراط») وكتب اكسيلرود («غولوس» العددين ٨٦ و٨٧) يقول انه ينبغي المزيد من الحذر عند اتهام اناس من امثال غيد بالانتهازية ويردد كاوتسكي في برلين انا لا اود الدفاع عن نفسي ولكن فايان وغيد وهايندمان وبليخانوف الوقوق يطري الديك لان الديك يطري الوقوق (١٩٤)

وقد بلغ الامر بكاوتسكي بدافع من حمية الخدم التي يتسم بها ، حدّ تقبيل يد هايندمان بعد ان قال عنه منذ امس فقط انه انضم الى الامبريالية ولكنه كتب **طوال سنوات عديدة** عن امبريالية هايندمان ، في مجلة «Neue Zeit» بالذات وفي عشرات من الصحف الاشتراكية-الديموقراطية في شتى اقطار العالم فلو ان كاوتسكي يهتم عن وجدان بالترجمة السياسية **للاشخاص** الذين يذكرهم لترتب عليه ان يفكر فيما اذا كانت هذه الترجمة تنطوي على احداث وميزات هيأت انتقالهم الى الامبريالية لا «في يوم واحد» بل خلال عشرات السنين ألم يقع فايان في اسر الجوريسيين (١٩٥) وبليخانوف في اسر المناشفة ودعاة التصفية ؟ ألم تلفظ **نزعة** غيد

(١٩٦) النفس الاخير تحت انظار الجميع في المجلة الغيدية «سوسياლისم» (١٩٧) التي هي نموذج عن العقم وفقدان الاهلية والعجز عن اتخاذ موقف مستقل من اية مسألة هامة؟ ألم يبد كاوتسكي (ونضيف قولنا هذا للذين يضعونه - على حق - في مصف واحد مع هاييندمان وبلخانوف) ضعيفاً فاقد العزيمة في قضية الميليرانية (١٩٨) وفي بدء النضال ضد البرنشتينية الخ ؟

ولكننا لا نرى أي ظل لاهتمام بتحليل ترجمة هؤلاء الزعماء تحليلاً عملياً كما اننا لا نرى ايضاً اية محاولة لمعرفة ما اذا كان هؤلاء الزعماء يدافعون عن انفسهم الآن بحججهم هم ام بترديدهم حجج الانتهازيين والبرجوازيين؟ وهل اكتسبت اعمال هؤلاء الزعماء اهمية سياسية جدية بسبب من نفوذهم الخاص ام بسبب من انضمامهم الى تيار غريب «نافذ» فعلاً وتدعمه منظمة عسكرية واعني به التيار البرجوازي؟ بل ان كاوتسكي لم يباشر دراسة المسألة؛ فهو لم يهتم الا بشيء واحد، هو ذرّ الرماد في عيون الجماهير، واصمامها بقرقة اسماء الشخصيات النافذة ومنعها من ان تطرح بوضوح المسألة المختلف عليها وتدرسها من جميع نواحيها *

* ان اشارة كاوتسكي الى فاين وغيد وهاييندمان وبلخانوف لها دلالتها ايضاً من ناحية اخرى فان نفرأ من الامبرياليين المكشوفين، امثال لنتش وهينيش (فضلاً عن الانتهازيين) يستشهدون على وجه الدقة بهاييندمان وبلخانوف من اجل تبرير سياستهم . **ولهم ملء الحق في الاستشهاد بهما** ، اذ انهم يقولون **الحقيقة** ، بمعنى ان الطرفين يتبعان سياسة واحدة فعلاً اما كاوتسكي فانه يتحدث بازدرء عن لنتش وهينيش ، عن هذين الراديكاليين اللذين اتجها نحو الامبريالية ويحمد كاوتسكي الله على انه لا يشبه هذين العشارين ، وعلى انه لا يتفق معهما ، وانه ظل ثورياً - المزاح جانباً ! والحال ان موقف كاوتسكي هو ، **في الواقع** ، الموقف نفسه بسلاً ان الشوفيني كاوتسكي المنافق ، بجملة وتعابير المملطة المعسولة ، اشد تنفيراً الى حد كبير من الشوفينيين الخشنيين دافيد وهينه ولنتش وهينيش .

«... اربعة ملايين من الناس استداروا للخلف لمجرد امر من حفنة من البرلمانيين

ان كل كلمة هنا تناقض الواقع والحقيقة فان منظمة الحزب عند الالمان لم تكن تضم اربعة ملايين عضو بل مليوناً علماً بان وحدة ارادة هذه المنظمة الجماهيرية (شأنها شأن اية منظمة اخرى) انما كان يعبر عنها مركزها السياسي الوحيد وحده ، أي «حفنة» خانت الاشتراكية هذه الحفنة كانت تستشار كانت تدعى للتصويت كان يوسعها ان تصوت ، وان تكتب المقالات ، الخ اما الجماهير ، فلم يكن ليؤخذ رأيها لم يكن يسمح لها بالتصويت ، وليس هذا وحسب انما كانوا يقسمون صفوفها ايضاً ويدفعونها لا «بناء على امر» حفنة من البرلمانيين بل بناء على امر السلطات العسكرية كانت المنظمة العسكرية قائمة وفيها لم يكن أي مجال لخيانة الزعماء ؛ فقد كانت تدعو «الجمهور» واحداً بعد الآخر ، فارضة هذا الانذار اما ان تمضي الى الجيش (بناء على نصيحة زعمائك) واما ان تعدم رمياً بالرصاص ولم يكن بمقدور الجمهور ان يقوم باعمال منظمة اذ ان منظمته التي انشئت سابقاً والتي كانت متجسدة في «حفنة» من امثال ليغين وكاوتسكي وشيدمان قد خانت الجمهور والحال انه ينبغي فترة من الزمن لانشاء منظمة جديدة ، ينبغي التسلح بالعزم ونبد المنظمة القديمة ، المتعفنة ، المتداعية

ان كاوتسكي يبذل جهده للتغلب على خصومه اليساريين فينسب اليهم هذا الرأي الاخرق وهو انهم يطرحون المسألة على النحو التالي «رداً» على الحرب كان ينبغي على «الجماهير» ان تقوم بالثورة «خلال ٢٤ ساعة» ، وان تطبق «الاشتراكية» ضد الامبريالية ، والا كانت «الجماهير» «خائنة فاقدة العزيمة» ولكن تلك مجرد غباوة كان مؤلفو الكتب البورجوازية والبوليسية السقط «يغلبون» بها الثوريين قبل اليوم ويردها كاوتسكي الآن . بيد ان خصوم كاوتسكي

اليساريين يعلمون تمام العلم انه لا يمكن «صنع» الثورة وان الثورات تنشأ من الازمات والانعطافات التاريخية التي نضجت موضوعياً (بصرف النظر عن ارادة الاحزاب والطبقات) وان الجماهير ، بدون منظمة ، تكون محرومة من وحدة الارادة؛ وان النضال ضد المنظمة العسكرية والارهابية القوية للدول المركزية امر صعب وطويل النفس ان الجماهير لم تكن تستطيع القيام باي عمل نظراً لخيانة زعمائها في اللحظة الحرجة في حين ان «الحفقات» من هؤلاء الزعماء كانت تستطيع تماماً وكان من واجبها ان تصوت ضد الاعتمادات ، وتعارض «السلام الاهلي» وتبرير الحرب ، وتؤيد هزيمة حكوماتها ، وتنشئ جهازاً عالمياً للدعاية من اجل التأخي في الخنادق ، وتنظم طبع ونشر منشورات لاشريعية * تنادي بضرورة الانتقال الى الاعمال الثورية ، الخ

ان كاوتسكي يعلم تمام العلم ان «اليساريين» في المانيا يقصدون على وجه الدقة هذه الاعمال او يقصدون بالاحرى اعمالاً مماثلة وانهم لا يستطيعون التحدث عنها بصراحة ، بصورة مكشوفة نظراً لوجود الرقابة العسكرية ولكن رغبة كاوتسكي في الدفاع عن

* ونقول عرضاً انه لهذا الغرض لم يكن مطلقاً من الضروري التوقف عن اصدار جميع الصحف الاشتراكية-الديموقراطية ، رداً على تحريم الكتابة حول الحقد الطبقي والنضال الطبقي ولقد كان الرضوخ لشرط عدم الكتابة حول هذا الموضوع ، كما فعلت «Vorwärts» («فورفارتس») ، ضرباً من السفالة والجبانة . ولقد ماتت «فورفارتس» سياسياً لانها فعلت ذلك وكان مارتوف على حق حين اعلن هذا ولكنه كان من الممكن الحفاظ على الصحف الشرعية بالاعلان عنها انها ليست من صحف الحزب ، وليست اشتراكية-ديموقراطية ، انما تخدم المصالح التقنية لقسم من العمال ، اي انها صحف غير سياسية . فهل كان من المتعذر وجود ادب اشتراكي-ديموقراطي لاشريعي يعطي تقديراً للحرب ، وادب عمالي شرعي لا يعطي هذا التقدير ، ولا يقول ما ينافي الحقيقة والواقع ، انما يلزم الصمت حول الحقيقية ؟

الانتهازيين مهما كلف الامر قاداته الى خزي لا مثيل له وذلك حين تستر وراء المراقبين العسكريين ونسب الى اليساريين غباوة بيّنة وهو على ثقة بان المراقبين سيحولون دون فضحه

٧

ان المسألة العلمية والسياسية الجدية التي يتملص منها كاوتسكي قصداً وعمداً بشتى الحيل والاحابيل لما فيه انشراح الانتهازيين وبالغ سرورهم ، انما تتلخص في معرفة كيف استطاع ابرز ممثلي الاممية الثانية خيانة الاشتراكية ؟
يقيناً انه ينبغي لنا ان نطرح هذا السؤال لا من حيث ترجمة هذا الزعيم او ذاك الشخصية فعلى مترجميهم المقبلين ان يستقصوا هذه الناحية ايضاً ولكن الحركة الاشتراكية تهتم اليوم بشيء آخر تماماً تهتم بدراسة التيار الاشتراكي-الشوفيني ، من حيث منشؤه التاريخي وشروطه واهميته وقوته ١ - من اين نشأت الاشتراكية-الشوفينية ؟ ٢ - من اين استمدت قوتها ؟ ٣ - كيف ينبغي محاربتها ؟ ان هذه الطريقة في طرح القضية هي وحدها الطريقة الجدية في حين ان حصر الاهتمام في «الشخصيات» ليس في الواقع الا مجرد مهرب وحيلة سفسطائية

للإجابة عن السؤال الاول ينبغي ان نرى اولاً اذا كانت ثمة صلة بين محتوى الاشتراكية-الشوفينية الفكري والسياسي وبين اي من التيارات السابقة في الاشتراكية وينبغي ان نرى ثانياً ما هي من حيث الانقسامات السياسية الفعلية ، علاقة انقسام الاشتراكيين في الوقت الحاضر الى خصوم للاشتراكية-الشوفينية ومدافعين عنها بالانقسامات القديمة ، السابقة تاريخياً

اننا نعني بالاشتراكية-الشوفينية الاقرار بفكرة الدفاع عن الوطن في الحرب الامبريالية الحالية وتبرير تحالف الاشتراكيين مع برجوازية وحكومات بلدان «هم» في هذه الحرب ؛ ورفضهم القول

بضرورة الاعمال الثورية البروليتارية ضد برجوازية «هم» ورفضهم مساندة هذه الاعمال الخ وهكذا يبدو من البديهي تماماً ان محتوى الاشتراكية-الشوفينية الفكري والسياسي الرئيسي يتفق كل الاتفاق مع اسس الانتهازية انهما تيار واحد وحيد فالانتهازية في ظروف حرب ١٩١٤ - ١٩١٥ تسفر عن الاشتراكية-الشوفينية والفكرة الرئيسية في الانتهازية انما هي فكرة التعاون بين الطبقات ولقد قادت الحرب هذه الفكرة الى نهايتها المنطقية وضمت مع ذلك الى عواملها وحوافزها العادية جملة كاملة من العوامل والحوافز غير العادية واكرهت باعمال التهديد والعنف الجماهير الفارقة في الرتب والمقسمة الصفوف على التعاون مع البرجوازية وهذا الظرف يوسع بالطبع حلقة انصار الانتهازية ويوضح كل الوضوح انتقال الكثيرين من راديكاليي الامس الى معسكر الانتهازية . ان الانتهازية انما تعني تضحية المرء بمصالح سواد العمال الاساسية من اجل مصالح مؤقتة لاقلية تافهة من العمال انها بتعبير آخر تحالف قسم من العمال مع البرجوازية ضد سواد البروليتاريا والحرب تجعل هذا التحالف امراً واضحاً واجبارياً بصورة خاصة لقد ظلت الانتهازية تنشأ خلال عشرات السنين من خصائص مرحلة من تطور الرأسمالية كانت فيها الحياة السلمية والمريحة نسبياً التي تحياها فئة من العمال المميزين «تبرجز» هم وتوفر لهم فتات من ارباح رأسمالهم الوطني ، وتبقيهم في معزل عن شقاء السواد البائس الذي يشاع الخراب بين صفوفه وفي معزل عن آلامه ونزعاته الثورية وما الحرب الامبريالية الا امتداد مباشر ونهاية مباشرة لحالة الامور هذه لانها حرب في سبيل امتيازات امم الدول الكبرى ، في سبيل اعادة اقتسام المستعمرات فيما بينها ، في سبيل سيطرتها على الامم الاخرى وان سعى هذه الفئة من العمال المميزين وراء صيانة وتوطيد وضعها المميز بوصفها «فئة عليا» من

البرجوازية الصغيرة او من اريستوقراطية (وبيروقراطية) الطبقة العاملة ان ذلك ليس الا الامتداد الطبيعي للأمال الانتهازية البرجوازية الصغيرة وللتكتيك المناسب ابان الحرب ان ذلك ليس الا الاساس الاقتصادي للاشتراكية-الامبريالية الحالية * وطبيعي ان قوة العادة ، وروتين التطور «السلمي» نسبياً ، والاوهام القومية ، والخوف من التغيرات الحادة وعدم تصديقها كل ذلك كان بمثابة ظروف اضافية عززت الانتهازية والتوافق الريائي والجبان مع

* فيما يلي بعض الامثلة التي تبين كيف يقدر الامبرياليون والبرجوازيون رفيع التقدير اهمية الامتيازات الوطنية وامتيازات «امم الدول الكبرى» من اجل شق صفوف العمال وصرافهم عن الاشتراكية فان الامبريالي الانجليزي لوكاس يقر في مؤلفه «روما العظمى وبريطانيا العظمى» (او كسفورد، ١٩١٢) بعدم مساواة الملونين في الحقوق مع البيض في قلب الامبراطورية البريطانية الحالية (ص ص ٩٦ - ٩٧) ويلاحظ «ان العمال البيض في امبراطوريتنا ، اذ يعملون الى جانب العمال الملونين انما يعملون لا كرفاق لهم ؛ فان العامل الابيض هو بالاحرى مراقب على العامل الملون» (صفحة ٩٨) .- ويطري ارفين بلغر ، الامين السابق للاتحاد الامبراطوري لمكافحة الاشتراكيين-الديموقراطيين سلوك الاشتراكيين-الديموقراطيين في كراسه «الاشتراكية-الديموقراطية بعد الحرب» (١٩١٥) ، ويعلن انه يتعين عليهم ان يصبحوا «حزباً عمالياً صرفاً» (صفحة ٤٣) «حزباً عمالياً المانياً» «وطنياً» (صفحة ٤٥) ، بلا افكار «ثورية» ، واممية ، طوبوية» (صفحة ٤٤) .- والامبريالي الالمانى سارتوريوس فون فالترسهاوزن يلوم الاشتراكيين-الديموقراطيين الالمان في مؤلفه عن توظيفات الراسمال في الخارج (١٩٠٧) (١٩٩) لانهم يتجاهلون «صالح الامة» (صفحة ٤٣٨) - وقوامه الاستيلاء على المستعمرات- ويمدح العمال الانجليز «لواقعيته» ، لنضالهم مثلاً ضد استيطان الاجانب في انجلترا .- والديبلوماسي الالمانى رودورفر يشير في كتابه عن اسس السياسة العالمية (٢٠٠) الى هذا الامر المعروف للجميع وهو ان تدويل الراسمال لا يقضي مطلقاً على النضال المتفان بين الراسمال الوطنية في سبيل السلطة ، في سبيل النفوذ ، في سبيل «اغلبية الاسهم» (صفحة ١٦١)

الانتهازية ، لمجرد فترة من الزمن كما زعم لمجرد اسباب ودوافع خاصة مزعومة ولقد جاءت الحرب تغير مظهر الانتهازية التي نمت خلال عشرات السنين فرفعتها الى درجة عليا وزادت من عدد اشكالها وانواعها واكثرت صفوف انصارها واغنت جعبة ذرائعهم بجملة من السفسطات الجديدة ودمجت اذا صح القول عدداً كبيراً من السواقى والجداول الجديدة في تيار الانتهازية الرئيسي ولكن هذا التيار الرئيسي لم يزل بل على العكس ان الاشتراكية-الشوفينية إنما هي الانتهازية وقد نضجت الى حد ان بقاء هذا الدمى البرجوازي في داخل الاحزاب الاشتراكية اصبح مستحيلاً

ان الذين لا يريدون ان يروا تلك الصلة الوثيقة للغاية التي لا تنفصم عراها بين الاشتراكية-الشوفينية والانتهازية يتلقطون وقائع و«حالات» منفردة فيقولون مثلاً ان هذا الانتهازي أصبح امياً وان هذا الراديكالي غدا شوفينياً ولكن هذا ليس البتة بتعليل ذي شأن في مسألة تطور التيارات اولاً ان الاساس الاقتصادي للشوفينية والانتهازية في الحركة العمالية واحد وحيد هو تحالف الفئات العليا القليلة العدد من البروليتاريا

ويلاحظ ان العمال مساقون ايضاً الى غمار هذا النضال المتفاقم (صفحة ١٧٥) والكتاب صادر في تشرين الاول (اكتوبر) ١٩١٣ ، وفيه يتحدث صاحبه عن «مصالح الرأسمال» باكثر ما يكون من الوضوح (صفحة ١٥٧) ويعتبرها سبب الحروب المعاصرة ؛ ويعلم ان مسألة «النزعة الوطنية» تصبح «مدار» الاشتراكية (صفحة ١٧٦) ، وان ليس للحكومات ما تخشاه مطلقاً مما يقوم به الاشتراكيون-الديموقراطيون من اصدار بيانات اممية (صفحة ١٧٧) وهم الذين تشدد نزعتهم القومية يوماً بعد يوم (ص ١٠٣ ، ١١٠ ، ١٧٦) ان الاشتراكية الاممية ستنتصر اذا هي انتزعت العمال من تأثير القومية اذ لا يمكن تحقيق اي شيء بمجرد العنف ولكنها تمنى بالهزيمة اذا تغلب الشعور القومي (ص ١٧٣ - ١٧٤) .

والبرجوازية الصغيرة التي تتمتع بفتات امتيازات رأسمال «ها» الوطني ضد سواد البروليتاريين ، ضد سواد الشغيلة والمضطهدين على وجه العموم ثانياً ان المحتوى الفكري والسياسي للتيارين واحد وحيد ثالثاً ان انقسام الاشتراكيين السابق ، في مرحلة الاممية الثانية (١٨٨٩-١٩١٤) الى انتهازيين وثوريين يوافق بصورة عامة انقسامهم الجديد الى شوفينيين واميين ولكي يقتنع المرء بصحة هذه الموضوعة الاخيرة ، لا بد له ان يتذكر قاعدة تقول ان علم الاجتماع (ككل علم آخر على وجه العموم) يتناول الظواهر الكشيفة لا الوقائع المنفردة خذوا البلدان الاوروبية العشر المانيا انجلترا روسيا ايطاليا هولندا اسوج بلغاريا ، سويسرا ، فرنسا ، بلجيكا ففي البلدان الثمانية الاولى ، يوافق انقسام الاشتراكيين الجديد (حسب الاممية) الانقسام السابق (حسب الانتهازية) ففي المانيا ، غدت قلعة الانتهازية ، ونعني بها «المجلة الاشتراكية الشهرية» («Sozialistische Monatshefte»)

قلعة الشوفينية اما افكار الاممية فيدعمها ويعضدها اقصى اليسار وفي انجلترا تبلغ نسبة الاميين في الحزب الاشتراكي البريطاني (٢٠١) قرابة ٣/٧ مجمل الاعضاء (٦٦ صوتاً الى جانب القرار الاممي مقابل ٨٤ وفقاً للتقديرات الاخيرة) في حين تضم كتلة الانتهازيين (حزب العمال (٢٠٢) + الفابيين (٢٠٣) + حزب العمال المستقل (٢٠٤)) اقل من ١/٧ الاميين * وفي روسيا اصبحت

* عادة ما يقارن «حزب العمال المستقل» وحده «بالحزب الاشتراكي البريطاني» وهذا خطأ اذ ينبغي الاعتماد لا على اشكال التنظيم ، بل على جوهر القضية بالذات انظروا الصحف اليومية كانت ثمة صحيفتان - احدهما («Daily Herald») («دايلي هيرالد») تخص الحزب الاشتراكي البريطاني ، والاخرى («Daily Citizen») («دايلي سيتيزن») تخص كتلة الانتهازيين والصحف اليومية تعكس النشاط الفعلي في ميدان الدعاية والتحريض والتنظيم .

نواة الانتهازيين الرئيسية اي جريدة دعاة التصفية «ناشا زاريا» ،
 نواة الشوفينيين الرئيسية لقد ازدادت ضجة بليخانوف
 والكسينسكي ولكننا نعرف ، من تجربة السنوات الخمس الممتدة
 من ١٩١٠ الى ١٩١٤ على الاقل ، انهما عاجزان عن القيام بدعاية دائبة
 منتظمة بين الجماهير في روسيا اما نواة الاممين الرئيسية في
 روسيا فهي «البرافدية» والكتلة العمالية الاشتراكية-الديموقراطية
 الروسية ، بوصفها ممثلة العمال الطليعيين الذين اعادوا تأسيس
 الحزب في يناير (كانون الثاني) ١٩١٢

وفي ايطاليا ، غدا حزب بيسولاتي وشركاه ، الانتهازي الصرف ،
 حزباً شوفينياً اما الاممية فيمثلها حزب العمال وجماهير العمال
 تؤيد هذا الحزب اما الانتهازيون والبرلمانيون وصغار البرجوازيين ،
 فانهم يؤيدون الشوفينية لقد كان بإمكان المرء في ايطاليا خلال
 عدة اشهر ان يختار بحرية وقد تم هذا الاختيار لا من قبيل
 الصدفة ، بل تبعاً للفرق بين الوضع الطبقي لسواد البروليتاريين
 ووضع الفئات البرجوازية الصغيرة

وفي هولندا يتوافق حزب ترولسترا الانتهازي مع الشوفينية
 بعامة (ينبغي لنا الانخداع بكون البرجوازيين الصغار في هولندا
 شأنهم شأن البرجوازيين الكبار يكرهون المانيا أشد الكره لانها
 بالاحرى قادرة اكثر من اية دولة اخرى ، على «ابتلاعهم» . اما الامميون
 الثابتون المخلصون المتحمسون المقتنعون فقد برزوا في
 صفوف الحزب الماركسي وعلى رأسه غورتر وبانيكوك وفي اسوج ،
 يعرب الزعيم الانتهازي برانتينغ عن استيائه من اتهام الاشتراكيين
 الالمان بالخيانة في حين يعلن زعيم اليساريين هوغلوندان تلك على
 وجه الدقة وجهة نظر بعض من انصاره (انظر «سوسيال-ديموقراط» ،
 العدد ٣٦) وفي بلغاريا يتهم خصوم الانتهازية «التيسنياك»
 (٢٠٥) ، الاشتراكيين-الديموقراطيين الالمان ، في صحيفتهم «الازمنة

الحديثة» (٢٠٦)) بانهم «ارتكبوا قذارة» وفي سويسرا ، يعميل انصار الانتهازي غروليفخ الى تبرير الاشتراكيين-الديموقراطيين الالمان (انظر صحيفتهم «حق الشعب» (٢٠٧) الصادرة في زوريخ) في حين جعل انصار غريم الذي هو راديكالي اكثر بكثير من غروليفخ ، جريدة برن («Berner Tagwacht» (٢٠٨)) لسان حال اليساريين الالمان فقط بلدان من عشرة شاذان هما فرنسا وبلجيكا ولكننا نلاحظ فيهما ايضاً لا انعدام الاميين ولكن ضعفهم اللامتناهي وانهايار معنوياتهم الى اقصى حد (وذلك لاسباب مفهومة تماماً في جملة غيرها من الاسباب) ولا ننسين ان فايان نفسه قد اقر في «L'Humanité» (٢٠٩) انه تلقى من قرائه رسائل تنم عن نزعة اممية ، ولكنه لم ينشر اية واحدة منها بنصها الكامل

وإذا رأينا بوجه عام الى التيارات والنزعات لا بدّ لنا ان نقر بان الجناح الانتهازي من الاشتراكية الاوروبية هو الذي خان الاشتراكية وانتقل الى الشوفينية فمن اين يستمد قوته ، وجبروته الظاهري في الاحزاب الرسمية ؟ ان كاوتسكي الذي يجيد طرح القضايا التاريخية ولا سيما حين يدور الكلام حول روما القديمة وغير ذلك من المواضيع المماثلة التي لا تمس الواقع الحي عن كذب ، انما يتظاهر الآن رياء ونفاقاً بانه لا يدرك هذا الامر مع ان الامر يمس بالذات ولكنه واضح وضوح النهار ان قوة الانتهازيين والشوفينيين الهائلة انما يستمدونها من تعالفهم مع البرجوازية والحكومات وهيئات الاركان العامة وهذا ما ينسونه في غالب الاحيان عندنا في روسيا ويعتبرون ان الانتهازيين هم قسم من الاحزاب الاشتراكية ، وانه كان ثمة دائماً وسيظل ثمة دائماً جناحان متطرفان في هذه الاحزاب ، وان كل ما في الامر هو اجتناب «التطرف» ، الخ وهكذا دواليك ، كما يقال في جميع المؤلفات المبتذلة الضيقة الافق .

اما في الواقع فان انتساب الانتهازين رسمياً الى احزاب العمال لا ينفي اطلاقاً كونهم - موضوعياً - فصيلة سياسية من فصائل البرجوازية وناقلي نفوذها وعملاءها في الحركة العمالية وحين قدّم الانتهازي زوديكوم وهو ذو شهرة مماثلة لشهرة هيروسترات (٢١٠) الدليل الواضح على هذه الحقيقة الاجتماعية ، الطبقة تملكث الدهشة كثيرين من الناس الطيبين وراح الاشتراكيون الفرنسيون وبلليخانوف يشيرون بالاصابع الى زوديكوم ، مع انه كان يكفي فاندرفيلده ، وسامبا ، وبلليخانوف ، ان يلقوا نظرة واحدة الى المرأة لكي يروا زوديكوم على وجه الدقة ، بسيماء وطنية مختلفة قليلاً وهبّ اعضاء اللجنة المركزية الالمانية («فورشتاند») الذين يطرون كاوتسكي والذين يطريهم كاوتسكي بدوره واعلنوا بحذر وتواضع وادب انهم «على خلاف» مع خطة زوديكوم (دون ان يسموا زوديكوم بالذات)

وهذا امر سخيف مضحك لان زوديكوم وحده قد غدا ، في الواقع في السياسة التي ينتهجها الحزب الاشتراكي-الديموقراطي الالمانى وعند اللحظة الحاسمة ، اقوى من نحو مئة من امثال هآزه وكاوتسكي (شأنه في ذلك شأن «ناشا زاريا» التي تبين انها وحدها اقوى من جميع تيارات كتلة بروكسل (٢١١) التي تخشى الانشقاق عنها)

لماذا ؟ للسبب التالي بالضبط وهو ان وراء زوديكوم تقف برجوازية دولة كبرى وحكومتها وهيئة اركانها العامة وهي تؤيد سياسة زوديكوم بالف اسلوب واسلوب بينما تسحق سياسة خصومه بجميع الوسائل بما فيها السجن والاعدام رميا بالرصاص وكلمة زوديكوم انما تنشرها الصحافة البرجوازية بملايين النسخ من الصحف (كما تنشر كلمات فاندرفيلده وسامبا وبلليخانوف) في حين

لا يمكن سماع صوت خصومه في الصحافة الشرعية نظراً لوجود رقابة عسكرية !

إن الجميع متفقون على أن الانتهازية ليست وليدة الصدفة ، ولا خطيئة ، ولا زلة ، ولا خيانة افراد منعزلين ، إنما هي النتاج الاجتماعي لمرحلة تاريخية كاملة ولكن ليس الجميع يمعنون التفكير في أهمية هذه الحقيقة فالانتهازية هي نتاج الشرعية وكان على الأحزاب العمالية أن تستغل في المرحلة الممتدة من ١٨٨٩ إلى ١٩١٤ الشرعية البرجوازية وعندما انفجرت الازمة ، اقتضى الأمر الانتقال إلى العمل اللاشعري (والحال لا يمكن إجراء هذا الانتقال إلا بالتسلح بأشد العزيمة والتصميم المجتمعين بجملة كاملة من حيل الحرب) وللحيلولة دون هذا الانتقال يكفي زوديكوم واحد فقط لأن «العالم القديم» كله ، حسب التعبير التاريخي الفلسفي إلى جانبه ، لأن زوديكوم قد سلم على الدوام وسيسلم دائماً البرجوازية جميع الخطط الحربية التي يضعها عدو هذه البرجوازية الطبقي حسب التعبير السياسي العملي

وإنه لأمر واقع أن الحزب الاشتراكي-الديموقراطي الألماني بكليته (وهذا يصح أيضاً بالنسبة للفرنسيين والآخرين) يفعل فقط ما يرضي زوديكوم أو ما يمكن أن يتساهل به زوديكوم ولا يمكن القيام بأي شيء آخر على نحو شرعي وكسل ما يجري في الحزب الاشتراكي-الديموقراطي الألماني من شريف واشتراكي حقاً إنما يجري ضد مراكزه متجاوزاً لجنته المركزية وصحيفته المركزية إنما يجري انتهاكاً للطاعة التنظيمية إنما يجري بصورة تكتلية باسم مراكز جديدة مغفلة لحزب جديد كما هو مغفل مثلاً نداء «اليساريين» الألمان المنشور في «Bernar Tagwacht» بتاريخ ٣١ أيار (مايو) الجاري (٢١٢) فإن حزباً جديداً ينمو ويتوطد ، وينتظم فعلاً ، حزباً عمالياً فعلاً ، واشتراكياً.

ديموقراطياً ثورياً فعلاً حزباً غير هذا الحزب الوطني-الليبيرالي القديم المتعفن ، حزب ليغين وزوديكوم وكاوتسكي وهآزه وشيدمان ومن لف لفهم *

ولهذا افشى الانتهازي Monitor (مونيتور) دون قصد منه ، حقيقة تاريخية على مثل هذا العمق في المجلة المحافظة «الحولية البروسية» (٢١٣) وذلك حين قال انه مما يسيء الى الانتهازين (اقرأ : الى البرجوازية) ان تتطور الاشتراكية-الديموقراطية الحالية الى اليمين اذ ان العمال يتخلون عنها حينذاك فالانتهازيون (والبرجوازية) بحاجة الى الحزب الحالي على وجه الدقة لأنه يجمع الجناح اليميني والجناح اليساري ، ولأن كاوتسكي يمثله رسمياً وهو الذي يعرف كيف يوفق كل شيء في العالم بجمل لينة و«ماركسية تماماً» اشتراكية وثورية بالاقوال من اجل الشعب من اجل الجماهير من اجل العمال وزوديكومية بالافعال اي الانضمام الى البرجوازية لدى كل ازمة جدية ونقول كل ازمة لأن المانيا

* ان ما جرى قبل التصويت التاريخي في الرابع من آب (اغسطس) لبليغ الدلالة فان الحزب الرسمي قد القى على هذا الامر ستار الرياء الرسمي فبناء على قرار الاغلبية ، صوت الجميع كرجل واحد ، مع ولكن شتروبل كشف القناع عن هذا الرياء في مجلة «Die Internationale» («دي انترناسيوناله») واطهر الحقيقة فقد كان في الكتلة الاشتراكية-الديموقراطية النيابية فريقان جاء مع ائذار جاهز ، اي مع قرار تكتلي او انشقافي وكان احد هذين الفريقين ، وهو فريق الانتهازين ، الذي يضم زهاء ٣٠ شخصاً ، قد قرر ان يصوت مع في مطلق الاحوال ؛ اما الفريق الثاني ، وهو فريق اليساريين ، ويضم زهاء ١٥ شخصاً ، فقد قرر - بحزم اقل - ان يصوت ضد . ولكن حين صوت «الوسط» او «المستنقع» ، الذي ليس له اي موقف ثابت ، مع الانتهازين ، مني اليساريون بهزيمة ماحقة و... رضخوا ! ان «وحدة» الاشتراكية-الديموقراطية الالمانية مجرد نفاق ورياء ، يستر بالفعل حتمية الخضوع لائذارات الانتهازين .

«الاقطاعية» مثلها مثل انجلترا «الحرّة البرلمانية» او فرنسا ستعلن الاحكام العرفية فوراً ، بهذا الاسم او ذاك ، لا لمناسبة نشوب حرب وحسب ، بل ايضاً لدى اي اضراب سياسي جدّي وكل امرى سليم العقل والذاكرة لا يمكن له ان يشك في ذلك

ومن هنا ينجم الجواب عن السؤال المطروح اعلاه كيف نحارب الاشتراكية-الشوفينية ؟ ان الاشتراكية-الشوفينية انما هي الانتهازية وقد نضجت وغدت قوية وقحة خلال المرحلة الطويلة من الرأسمالية «السلمية» نسبياً وتبلورت من الناحية الفكرية والسياسية واقتربت من البرجوازية والحكومات الى حدّ انه لا يمكن التساهل بوجود مثل هذا التيار في داخل الاحزاب العمالية الاشتراكية-الديموقراطية واذا كان بوسع المرء ان يحتذي خفيّن رقيقين ويسير على الارصفة المبلطة في مدينة نائية صغيرة فانه يستحيل عليه الاستغناء عن حذاء ضخم ذي مسامير حين يسير في الجبال ان الاشتراكية في اوروبا قد اجتازت المرحلة السلمية نسبياً والتي تحدّها الحدود القومية الضيقة ودخلت بعد اندلاع حرب ١٩١٤-١٩١٥ في مرحلة الاعمال الثورية ويقيناً انه آن الاوان للقطيعة التامة مع الانتهازية وطردها من صفوف الاحزاب العمالية وطبيعي اننا لا نستطيع الآن ان نستخلص مباشرة من هذا التعريف للمهمات التي تضعها المرحلة الجديدة من تطور الاشتراكية في العالم امام الاشتراكية باية سرعة وباية اشكال دقيقة ستعرجى في كل بلد من البلدان عملية انفصال الاحزاب العمالية الاشتراكية-الديموقراطية الثورية على الاحزاب البرجوازية الصغيرة الانتهازية الا انه تنبّع من هنا ضرورة ادراك حتمية هذا الانفصال ادراكاً واضحاً ولذا يجب توجيه كل سياسة الاحزاب العمالية انطلاقاً من هذه الفكرة بالذات فان حرب ١٩١٤-١٩١٥ هي عبارة عن انعطاف في التاريخ جسيم الى حد ان الموقف من الانتهازية لا يمكن

ان يبقى كما كان في السابق ذلك انه لا يمكن لاحد ان يحوما كان في الواقع لا يمكن لاحد ان يزيل لا من ضمير العمال ولا من تجربة البرجوازية ولا من المكتسبات السياسية في عصرنا بوجه عام حقيقة ان الانتهازيين قد اصبحوا ابان الازمة ، نواة العناصر التي انتقلت في داخل الاحزاب العمالية الى جانب البرجوازية فالانتهازية اذا تحدثنا عنها على النطاق الاوروبي انما كانت اذا صح القول في طور الشباب قبل الحرب ولكنها بلغت نهائياً سن الرشد مع نشوب الحرب ولم يعد بالمستطاع اعادة «براءتها» وشبابها فلقد نضجت فئة اجتماعية كاملة من البرلمانيين والصحافيين وموظفي الحركة العمالية والمستخدمين المميزين وبعض الجماعات من البروليتاريا فئة تلاحمت مع برجوازيتهما الوطنية واستطاعت هذه الاخيرة ان تقدرها و«تكييفها» على اكمل وجه وانه لمن المستحيل اعادة عجلة التاريخ الى وراء او وقف سيرها ولكنه من الممكن ومن الواجب التقدم دون خشية بالانتقال من منظمات الطبقة العاملة التي كانت تمهيدية وشرعية واسيرة الانتهازية الى المنظمات الثورية التي تعرف كيف لا تحصر نفسها في اطار الشرعية والتي تستطيع ان تتقي الخيانة الانتهازية الى منظمات البروليتاريا التي تدخل «حلبة النضال من اجل السلطة» من اجل اسقاط البرجوازية

وانه ليتبين لنا فيما يتبين مدى خطل رأي اولئك الذين يعمون ادراكهم وادراك العمال بمسألة معرفة السلوك الذي ينبغي اتباعه ازاء هذه الشخصيات البارزة او تلك في الاممية الثانية ، ازاء غيد وبلخانوف وكاوتسكي وغيرهم فان هذه المسألة غير واردة اطلاقاً في الواقع فاذا كان هؤلاء الاشخاص لا يدركون المهمات الجديدة فانه يترتب عليهم ان يببقوا على حدة او ان يببقوا اسرى الانتهازيين كما هم عليه في الوقت الحاضر . واذا ما تحرروا من

«اسرهم» ، فمن المشكوك فيه ان تقوم عقبات سياسية بوجه عودتهم الى معسكر الثوريين غير انه من السخف في مطلق الاحوال ان تحل مسألة دور هؤلاء او اولئك من الافراد بعينهم محل مسألة صراع التيارات وتبدل المراحل في الحركة العمالية

٨

قد تكون المنظمات الشرعية الجماهيرية للطبقة العاملة أهم علامة تميّز الاحزاب الاشتراكية في عهد الاممية الثانية ففي الحزب الالمانى كانت هذه المنظمات اقوى مما في غيره وفي هذا الحزب سجلت حرب ١٩١٤ - ١٩١٥ الانعطاف الاشد ووضعت المسألة باحزم وجه وواضح ان الانتقال الى الاعمال الثورية كان يعني حل المنظمات الشرعية من قبل البوليس فان الحزب القديم ، من ليغين حتى كاوتسكي ضحى بالاهداف الثورية للبروليتاريا لكي يصون المنظمات الشرعية الحالية وعبثاً ينكرون هذا الامر فالوقائع تشهد عليه لقد باعوا حق البروليتاريا في الثورة مقابل «طبيخ من العدس» وهو المنظمات التي يسمح بها القانون البوليسي الحالي خذوا كراس كارل ليغين زعيم النقابات الاشتراكية - الديمقراطية الالمانية «لماذا يجب على موظفي النقابات ان يسهموا بقسط اكبر في حياة الحزب الداخلية؟» (برلين ١٩١٥) هذا الكراس عبارة عن تقرير تلاه صاحبه في ٢٧ كانون الثاني (يناير) ١٩١٥ امام اجتماع لموظفي الحركة النقابية وقد تلا ليغين في تقريره وثيقة طريفة جداً ، ثم اوردها في كراسه ؛ وما كان من الممكن ان تسمح الرقابة العسكرية بنشرها على غير هذا النحو وهذه الوثيقة المسماة «مواد لمقرري حي نيدربارنيم» (ضاحية برلين) عبارة عن عرض لمفاهيم الاشتراكيين - الديمقراطيين اليساريين الالمان ولاحتجاجهم على الحزب . وقد جاء في هذه الوثيقة ان

الاشتراكيين-الديموقراطيين الثوريين لم يتوقعوا ولم يكن بوسعهم ان يتوقعوا عاملاً معيناً هو

«انتقال كل ما في الحزب الاشتراكي-الديموقراطي الالمانى والنقابات من قوة منظمة الى جانب الحكومة المحاربة ، واستخدام هذه القوة بكليتها بقصد قمع العزيمة الثورية لدى الجماهير» (صفحة ٣٤ من كراس ليغين)

هذا قول صحيح تماماً كذلك وصحيح المقطع التالي من الوثيقة نفسها

«ان تصويت الكتلة الاشتراكية-الديموقراطية في الرابع من آب (اغسطس) قد بين ان وجهة نظر اخرى- حتى ولو كانت عميقة الجذور في الجماهير- كان بوسعها ان تشق لنفسها طريقاً ، لا تحت قيادة الحزب المجرب ، انما فقط على الرغم من ارادة هيئات الحزب المسؤولة ، فقط بالتغلب على مقاومة الحزب والنقابات» (المصدر نفسه)

وهذا قول صحيح تماماً

«ولو ان الكتلة الاشتراكية-الديموقراطية قامت بواجبها في الرابع من آب (اغسطس) ، فمن المحتمل ان كان شكل المنظمة الخارجي قد تحطم ، ولكن روحها كانت قد بقيت ، ونعني بها الروح التي كانت تحرك الحزب في عهد القانون الاستثنائي وتساعد على تذليل كل المصاعب» (المصدر نفسه)

وقد اشار ليغين في كراسه الى ان جماعة من «الزعماء» الذين دعاهم ليتلو عليهم تقريره والذين يُسمون قادة وموظفين نقابيين قد انفجروا بالضحك عند استماعهم الى هذا فقد اعتبروا انه من المضحك ان يكون من الممكن ومن المترتب انشاء منظمات ثورية لاشوعية (كما جرى في عهد القانون الاستثنائي) ابان الازمة اما ليغين الذي هو أخلص كلب حراسة عند البرجوازية ، فراح يخبط على صدره بيده ، صائحاً :

«انها لفكرة فوضوية بينة فكرة نفس المنظمات من اجل حمل الجماهير على حل المسألة بنفسها واني لا اشك مطلقا في كون هذه الفكرة فكرة فوضوية»

«صحيح تماما!» هتف معاً (المصدر نفسه صفحة ٣٧) خدم البرجوازية الذين يسمون انفسهم بزعماء المنظمات الاشتراكية-الديموقراطية للطبقة العاملة

وانها للوحة عميقة الدلالة فان الشرعية البرجوازية قد افسدت هؤلاء القوم واعمت بصيرتهم الى حد انهم لا يستطيعون حتى ان يدركوا الفكرة القائلة بضرورة منظمات اخرى ، لا شرعية من اجل تأمين قيادة النضال الثوري وقد بلغ بهم الامر حد التصور بان الاتحادات الشرعية الموجودة بناء على اذن من البوليس هي بمثابة حد لا يمكن تخطيه وانه من الممكن عموما ، الحفاظ على هذه الاتحادات في عهد الازمة بوصفها اتحادات قيادية ! اليكم ديالكتيك الانتهازية الحي ان مجرد نمو الاتحادات الشرعية ومجرد العادة التي اتبعها التافهون الضيقو الافق الغلاظ العقول نوعاً ولكنهم العاملون بوجدان ، عادة الاقتصار على مسك الدفاتر المكتبية ، قد ادّيا الى النتيجة التالية ، وهي ان هؤلاء البرجوازيين الصغار ذوي الوجدان قد غدوا في عهد الازمة خونة وغدّارين وخانقي طاقة الجماهير الثورية وليس ذلك وليد الصدفة فالانتقال الى التنظيم الثوري ضرورة يقتضيها الوضع التاريخي الجديد كما تقتضيها مرحلة الاعمال الثورية للبروليتاريا ولكن هذا الانتقال لا يمكن ان يتم الا من فوق رؤوس الزعماء القدامى خانقي الطاقة الثورية ، من فوق رأس الحزب القديم وبتعظيم هذا الحزب

بيد ان التافهين الضيقي الافق المعادين للثورة يزعمون بالطبع : «هذه فوضوية !» كما كان الانتهازي دافيد يزعتي عن

«الفوضوية» في تهجمه على كارل ليبكنخت ويبدو انه لم يبق في المانيا من اشتراكيين شرفاء غير الزعماء الذين يلومهم الانتهازيون على فوضويتهم

لنأخذ الجيش العصري . انه مثال ممتاز للتنظيم . انه لتنظيم ممتاز لانه هرن وقادر في آن على ان يبعث في ملايين من الناس ارادة واحدة فاليوم يبقى هؤلاء الملايين من الناس حيث هم في مختلف انحاء البلاد وغداً يصدر امر التعبئة فاذا هم يجتمعون في نقاط التجمع اليوم يعيشون في الخنادق لعدة اشهر احياناً وغداً يمشون الى الهجوم بتشكيلات اخرى اليوم يقومون بمآثر مدهشة محتمين من الرصاص والقنابل ، وغداً يقومون بمآثر مدهشة محاربين في القتال اليوم تزرع فصائلهم الاممية الالغام تحت الارض وغداً ، ينتقلون عشرات الكيلومترات بناء لتوجيهات الطيارين الذين يحلقون فوق الارض اجل ، هذا ما يسمى تنظيمياً ، حين يغير ملايين الناس شكل علاقاتهم واعمالهم من اجل هدف واحد ، بدافع ارادة واحدة ، ويغيرون مكان نشاطهم واساليبهم ويغيرون ادواتهم واسلحتهم وفقاً لتغير الظروف وتبعاً لمقتضيات النضال

وهذا القول يصح ايضاً بالنسبة لنضال الطبقة العاملة ضد البرجوازية فليس ثمة اليوم من وضع ثوري ، ليس ثمة من ظروف للاختمار في اوساط الجماهير لارتفاع مستوى نشاطها انهم يضعون اليوم في يدك ورقة الاقتراع - ، فخذها ولكن اعرف كيف تنتظم لكي تضرب بها اعداءك ، لا لكي ترسل الى البرلمان ، الى مناصب رابحة ، اناساً يتشبثون بمقعدهم خوفاً من السجن وغداً ، ينتزعون منك ورقة الاقتراع ، ويضعون بين يديك بندقية ومدفعاً رشاشاً رائعاً ، مجهزاً وفقاً لاحدث منجزات التكنولوجيا ، - فخذ جهازي

الموت والدمار هذين ولا تُصنَع الى المتباكين العاطفين الذين يخشون الحرب ، فلا يزال في العالم اشياء كثيرة ينبغي القضاء عليها بالنار والحديد من اجل تحرير الطبقة العاملة واذما ما اشتد الغضب واليأس في الجماهير اذا نشأ وضع ثوري فاستعدت لتأسيس منظمات جديدة ولاستعمال اجهزة الموت والدمار هذه الجزيلة الفائدة ضد حكومتك وبرجوازيتك

يقيناً ان هذا الامر ليس بالامر الميسور انما يتطلب اعمالاً تمهيدية مضية انما يتطلب تضحيات فادحة انما هو مظهر جديد من التنظيم والنضال ينبغي تعلمه ايضاً والحال ، لا يمكن اكتساب العلم دون اخطاء وهزائم فان هذا المظهر من النضال الطبقي بالنسبة للاشتراك في الانتخابات أشبه بالهجوم بالنسبة للمناورات او المسيرات ، او الاقامة في الخنادق وليس احياناً كثيرة جداً يرد هذا المظهر من النضال في جدول اعمال التاريخ ولكن اهميته ونتائجه تشمل عشرات السنين فان الايام التي يمكن ويجب فيها اللجوء الى مثل هذه الاساليب في النضال انما توازي عشرينات السنين من المراحل التاريخية الاخرى

قارنوا بين كارل كاوتسكي و كارل ليفين فقد كتب كاوتسكي يقول

« طالما كان الحزب صغيراً ، فان كل احتجاج على الحرب كان يؤثر ، من حيث الدعاية ، كعمل بطولي ان مسلك الرفاق الروس والصرى في الأونة الاخيرة قد لاقى التأييد العام . وكلما ازداد الحزب قوة ، كلما امتزجت اعتبارات الدعاية في اسباب قراراته ، مع اعتبارات العواقب العملية وكلما ازداد صعوبة تقدير هذين النوعين من الاعتبارات حق قدرهما سواء بسواء ؛ ومع ذلك لا يحق اهمال اي منهما ولذا ، فاننا كلما ازدادنا قوة ، برزت الخلافات فيما بيننا بمزيد من السهولة ، لمناسبة كل وضع جديد معقد » (والامية والحرب» ، صفحة ٣٠) .

ان محاكمات كاوتسكي هذه لا تمتاز عن محاكمات ليغين الا بنفاقها وجبنها فان كاوتسكي يؤيد بالفعل ويبرر عدول ليغين واتباعه بسفالة عن النشاط الثوري ولكنه يفعل ذلك بصورة مستورة ، دون ان يعلن رأيه بصراحة ، مكتفياً بالتلميحات ، مقتصراً على تبجيل ليغين وسلوك الروس الثوري على حد سواء ان مثل هذا الموقف من الثورين انما نحن الروس لم نتعود ان نراه الا عند الليبيراليين ؛ فالليبيراليون مستعدون دائماً لان يقدروا «شجاعة» الثورين ولكنهم لن يقلعوا بأي ثمن كان عن تكتيكهم المغرق في الانتهازية ولذا فان الثورين الذين يحترمون انفسهم لن يرضوا «باعراب» كاوتسكي عن «تقديره» وسينبذون بسخط طرح المسألة على هذا النحو ولو لم يكن هناك وضع ثوري ، لو لم يكن من الضروري الدعاية للعمل الثوري ، لكان سلوك الروس والصرع **خاطئاً وتكتيكهم غير صحيح** فليتحلّ الفرسان من امثال ليغين وكاوتسكي بشجاعة التعبير عن آرائهم على الاقل وليعربوا عنها بصراحة ولكن اذا كان تكتيك الاشتراكيين الروس والصرع يستحق «التقدير» ، فلا يجوز بل انه من باب الاجرام تبرير التكتيك **المضاد** الذي تتبعه الاحزاب «القوية» الالمانى ، والفرنسي الخ فبواسطة هذا التعبير الغامض قصداً «العواقب العملية» ستر كاوتسكي هذه الحقيقة البسيطة وهي ان الاحزاب الكبيرة والقوية قد **خُشيت** ان تحل الحكومة منظماتها وتصادر اموالها وتعتقل زعماءها وهذا يعني ان كاوتسكي يبرر خيانة الاشتراكية بحجة «العواقب العملية» المزعجة التي قد تنجم عن التكتيك الثوري أو ليس في ذلك تشويه للماركسية وتحقير لها ؟

يقال ان احد النواب الاشتراكيين-الديموقراطيين ممن صوتوا بالموافقة على الاعتمادات في ٤ آب (اغسطس) ، قد صرح في احد

اجتماعات العمال في برلين لو لم نصوت لكانوا اعتقلونا
 واذا بالعمال يردون عليه صائحين «طيب واي ضرر في ذلك؟»
 فان لم تكن ثمة علامة اخرى تنقل الى جماهير العمال في المانيا
 وفرنسا المزاج الثوري وفكرة ضرورة تحضير العمل الثوري فان
 اعتقال نائب لخطاب مفعم بالجرأة يلقيه كان من شأنه ان يلعب
 دوراً مفيداً ان يكون بمثابة نداء لتوحيد البروليتاريين من مختلف
 البلدان لأجل القيام بالعمل الثوري صحيح ان مثل هذا التوحيد امر
 غير ميسور ولذا كان يترتب بالاحرى على النواب الذين يشغلون
 مراتب عليا والذين يرون السياسة بكليتها ، ان يتولوا زمام
 المبادرة

ان حكومة البلد البرجوازي الاكثر حرية ستهدد دائماً بحل
 المنظمات الشرعية ومصادرة اموالها واعتقال زعمائها وغير ذلك
 من «العواقب العملية» المماثلة ، لا ابان الحرب وحسب ، بل لدن اي
 تفاقم في الوضع السياسي فضلاً عن اية اعمال ثورية قد تقوم بها
 الجماهير فكيف العمل حينذاك ؟ فهل نبرر الانتهازيين من جراء
 ذلك كما فعل كاوتسكي ؟ ولكن هذا يعني تكريس
 تحول الاحزاب الاشتراكية-الديموقراطية الى احزاب عمالية
 وطنية-ليبيرالية

• اما بالنسبة للاشتراكي فانه لا يمكن ان يكون ثمة سوى
 استنتاج واحد هو ان الشرعية الخالصة ، الشرعية مهما كلف الامر
 للاحزاب «الاوروبية» قد ولت زمانها ، وغدت ، بحكم تطور الرأسمالية
 في مرحلتها ما قبل الامبريالية ، عماد السياسة العمالية البرجوازية
 ولذا كان من الضروري اكمالها بانشاء اساس لاشرعي بتنظيم
 لاشرعي ، بعمل اشتراكي-ديموقراطي لاشرعي ، دون تسليم اي موقع
 شرعي مع ذلك . اما كيف العمل لتحقيق هذا الغرض على نحو صحيح ،

فذلك ما ستيبّنه التجربة ، شرط ان تتوافر الرغبة في اتباع هذا السبيل شرط ان يتوافر ادراك ضرورته لقد بين الاشتراكيون-الديموقراطيون الثوريون في روسيا في ١٩١٢ - ١٩١٤ انه يمكن حل هذه المعضلة فان نائب العمال مورانوف ، الذي كان سلوكه امام المحكمة احسن من سلوك الآخرين والذي نفته القيصرية الى سيبيريا قد بين بوضوح انه توجد ايضاً برلمانية لاشريعية وثورية علاوة على البرلمانية المستوزرة (من هندرسون وسامبا وفاندرفيده حتى زوديكوم وشيدمان الذين هم ايضاً «مستوزرون» تماماً الا انه لا يسمح لهم بالدخول الا الى ردهة الاستقبال في دور الوزارات!). وسواء شُدّه كوسوفسكي وبوترييسوف ومن لف لفهما ببرلمانية الخدم «الاوروبية» او سالموها فاننا لن نكل عن القول والترديد للعمال بان مثل هذه الشرعية ومثل هذه الاشتراكية-الديموقراطية اللتين ينادي بهما ليغين وكاوتسكي وشيدمان واضرابهم لا تستحقان غير الازدراء

٩

لنستخلص

ان افلاس الاممية الثانية قد تجلى بوضوح بالغ في خيانة اغلبية الاحزاب الاشتراكية-الديموقراطية الرسمية الاوروبية خيانة فاضحة لعقائدها وقراراتها الصريحة المدوية التي تبنتها في شتوتغارت وبال . ولكن هذا الافلاس الذي يسجل انتصار الانتهازية التام ، ويعني تحول الاحزاب الاشتراكية-الديموقراطية الى احزاب عمالية وطنية-ليبرالية ، ليس سوى نتيجة لكل عهد الاممية الثانية التاريخي ، في اواخر القرن التاسع عشر واول القرن العشرين فان الظروف الموضوعية في هذا العهد الانتقالي ، - بين نهاية الثورات البرجوازية والقومية في

اوروبا الغربية وبداية الثورات الاشتراكية - ، قد ولدت الانتهازية وغذتها ففي بعض البلدان الاوروبية نلاحظ في هذا العهد انشقاقاً في الحركة العمالية والاشتراكية يسير ، - في خطوطه الكبرى - وفقاً لخط الانتهازية على وجه الدقة (انجلترا ، ايطاليا ، هولندا بلغاريا روسيا) وفي بلدان اخرى نلاحظ نضالاً طويلاً عنيداً بين التيارات وفقاً للخط نفسه (المانيا فرنسا بلجيكا اسوج سويسرا) الا ان الازمة التي اثارها الحرب الكبرى جاءت تنزع القناع وتكس المصطلحات وتفقأ الدمى الذي نضج منذ زمن طويل وتظهر الانتهازية في دورها الحقيقي ، في دورها كحليفة للبرجوازية فاصبح من الضروري الآن انتزاع هذا العنصر كلياً في حقل التنظيم ، من الاحزاب العمالية . فان العصر الامبريالي لا يمكن له ان يتساهل بالتعايش ، في نفس الحزب ، بين جماعة من طليعة البروليتاريا الثورية وبين جماعة من الاريستوقراطية نصف البرجوازية الصغيرة المنبثقة من صفوف الطبقة العاملة والمتمتعة بفتاات الامتيازات التي تعود الى وضع امته «ها» بوصفها امه «دولة كبرى» ان النظرية القديمة التي تقول بان الانتهازية «مظهر طبيعي» لحزب موحد ، لا يعرف «التطرف» ، انما هي اليوم اكبر خديعة للعمال واكبر عقبة بوجه الحركة العمالية ان الانتهازية السافرة الصريحة ، التي تنفر جماهير العمال دفعة واحدة هي اقل خطراً وضرراً من نظرية الحد الاوسط هذه التي تبرر السلوك الانتهازي بتعايير ماركسية ، وتثبت بسلسلة من السفسطات ان اوان الاعمال الثورية لم يحن بعد ، الخ ان ابرز ممثلي هذه النظرية وابرز زعماء الاممية الثانية في آن ، ونعني به كاوتسكي قد تكشف عن منافق من الطراز الاول وماهر في فن تعهير الماركسية وفي الحزب الالمانى الذي يعد زهاء مليون عضو ، لم يبق اي اشتراكي-ديموقراطي يتمتع بقسط

ولو ضئيل من الاستقامة والشرف والوجدان والروح الثوري ، لم ينفر بسخط من مثل هذا «الزعيم» الذي طالما دافع عنه زوديكوم وشيدمان واضرابهما بحمية وحرارة

ان الجماهير البروليتارية ، التي من المحتمل ان يكون ما يقرب من تسعة اعشار قادتها القدامى قد انتقلوا الى جانب البرجوازية انما وجدت نفسها مقسمة الصفوف وعاجزة امام انفلات الشوفينية من عقالها امام طغيان القوانين العرفية والرقابة العسكرية ولكن الوضع الثوري الموضوعي الذي ولدته الحرب والذي ما ينفك يزداد سعة وعمقاً انما يوّلد بلا مناص امزجة ثورية ، ويعلم ويمرس خيرة البروليتاريين واوعاهم . ان تغيراً سريعاً في امزجة الجماهير لا يقدو ممكناً وحسب بل يزداد احتمالاً يوماً بعد يوم ، وهذا التغير شبيه بالتغير الذي ادت اليه «الغابونية» (٢١٤) في روسيا ، في مطلع ١٩٠٥ حين شكلت الفئات البروليتارية المتأخرة ، في بضعة اشهر واحياناً في بضعة اسابيع ، جيشاً ضم الملايين من المحاربين وسار وراء الطليعة الثورية للبروليتاريا وليس بوسعنا ان نعرف ما اذا كانت ستقوم حركة ثورية جبارة غداة هذه الحرب ام خلالها ، الخ الا ان العمل الذي يجري في هذا السبيل انما هو ، على كل حال ، العمل الوحيد الذي يستحق ان يدعى بالعمل الاشتراكي والشعار الذي يعمم هذا العمل ويوجهه ويساعد في توحيد وشد لحمة الذين يريدون مساعدة نضال البروليتاريا الثوري ضد حكومتها وبرجوازياتها ، انما هو شعار الحرب الاهلية

ففي روسيا ، نرى ان انفصال العناصر البروليتارية الاشتراكية-الديموقراطية الثورية انفصالاً تاماً عن العناصر الانتهازية البرجوازية الصغيرة قد مهد له كل تاريخ الحركة العمالية وانهم ليسيون اساءة الى هذه الحركة ، اولئك الذين لا يحسبون الحساب لهذا التاريخ

ويتهجمون على «التكتلية» ويحرمون انفسهم من امكان فهم الحركة الحقيقية لتكوّن الحزب البروليتاري في روسيا هذا الحزب الذي يتكوّن في غمرة نضال دام سنوات طويلة ضد مختلف انواع الانتهازية فان روسيا وحدها بين جميع الدول «الكبرى» التي تشترك في الحرب الحالية عاشت ثورة في الآونة الاخيرة وكان لا بدّ للمحتوى البرجوازي لهذه الثورة مع الدور الحاسم الذي اضطلعت به البروليتاريا ، من ان يؤدي الى الانشقاق في قلب الحركة العمالية بين التيارات البرجوازية والبروليتارية فخلال مرحلة دامت قرابة عشرين سنة (١٨٩٤ - ١٩١٤) وقامت فيها الاشتراكية-الديموقراطية الروسية بوصفها منظمة مرتبطة بالحركة العمالية الجماهيرية (لا بوصفها فقط تياراً فكرياً كما في المرحلة الممتدة من ١٨٨٣ الى ١٨٩٤) ، استمر الصراع بين التيار الثوري البروليتاري والتيار الانتهازي البرجوازي الصغير ولا ريب مطلقاً في ان «اقتصادية» مرحلة ١٨٩٤ - ١٩٠٢ كانت تياراً من هذا النوع الاخير فان جملة كاملة من الحجج والخصائص التي تميّز ايديولوجيتها - تشويه الماركسية على طريقة ستروفه الاستشهاد «بالجمهور» من اجل تبرير الانتهازية ، الخ ، - اما تشبهه ، بشكل صارخ ، الماركسية الحالية المحقّرة التي ينادي بها كاوتسكي وكونوف وبليخانوف وغيرهم وانها لمهمة جزيلة الفائدة ان نذكر الجيل الحالي من الاشتراكيين-الديموقراطيين بجريدة «رابوتشاييا ميسل» القديمة وبمجلة «رابوتشييه ديلو» ، بغية مقارنتهما بكاوتسكي ايماننا هذه

ثم جاءت «منشفية» المرحلة التالية (١٩٠٣ - ١٩٠٨) ترث «الاقتصادية» مباشرة لا من حيث النهج الفكري وحسب بل ايضاً من حيث التنظيم . فثناء الثورة الروسية ، كان تكتيكها يسجل بصورة

موضوعية تبعية البروليتاريا للبرجوازية الليبيرالية ويعكس النزعات الانتهازية البرجوازية الصغيرة وحين ادى السيل الرئيسي من تيار المنشفية الى نشوء التصفوية في المرحلة التي تلت (١٩٠٨-١٩١٤)، اتضح مغزى المنشفية الطبقي هذا الى حد ان خيرة ممثليها لم يكفوا عن الاحتجاج على سياسة جماعة «ناشا زاريا» والحال ان هذه الجماعة - وكانت الجماعة الوحيدة التي قامت ضد الحزب الماركسي الثوري للطبقة العاملة بعمل دائب منتظم بين الجماهير خلال السنوات الخمس او الست الاخيرة - انما اتضح في حرب ١٩١٤ - ١٩١٥ انها اشتراكية-شوفينية وهذا في بلد لا تزال الاوتوقراطية حية فيه ولا تزال الثورة البرجوازية فيه بعيدة عن بلوغ نهايتها ولا يزال فيه ٤٣ بالمئة من السكان يضطهدون اغلبية الامم «غير الروسية» فان الطراز «الاوروبي» من التطور حيث تستطيع بعض الفئات من البرجوازية الصغيرة ولا سيما المثقفون وقسم ضئيل لا يؤبه له من اريستوقراطية العمال «التمتع» بالامتيازات التي تعود الى امته «هم» من جراء وضعها «كأمة مسيطرة في الدولة»، كان لا بد ان يظهر في روسيا ايضاً

ان الطبقة العاملة وحزب العمال الاشتراكي-الديموقراطي في روسيا قد أعدّهما كل تاريخهما للتكتيك «الاممي» اي للتكتيك الثوري حقاً والثوري الى النهاية

ملاحظة . كان هذا المقال قيد الطبع ، حين صدر في الصحف «بيان» كاوتسكي وهآزه وبرنشتين فقد ادركوا ان الجماهير تميل الى اليسار ، ولذا نراهم الآن مستعدين «لاقرار السلام» مع

اليساريين شرط الحفاظ طبعاً على «السلام» مع زوديكوم
واضرا به (٢١٥) انهم في الحقيقة! Mädchen für alle (انهم في
الحقيقة مومسات!)

المجلد ٢٦ ،
ص ص ٢٠٩-٢٦٥

كتب في النصف الثاني من ايار
(مايو) والنصف الاول من
حزيران (يونيو) ١٩١٥
صدر في ايلول (سبتمبر) ١٩١٥
في مجلة «كومونيست» ،
العدد ١-٢ ، جنيف

المسالمة البريطانية وعدم الحب البريطاني للنظرية

كانت الحرية السياسية في بريطانيا حتى الآن اوسع بما لا قياس له مما في سائر بلدان اوروبا وقد اعتادت البرجوازية في بريطانيا اكثر مما في جميع البلدان الاخرى على الحكم ، وهي تعرف كيف تحكم والعلاقات بين الطبقات اكثر تطوراً واشد وضوحاً في كثير من النواحي مما في الدول الاخرى وعدم وجود الخدمة العسكرية الالزامية يجعل الشعب اوفر حرية في مسألة الموقف من الحرب بمعنى ان كل امرى حُر في رفض الانتساب الى الجيش ، ولهذا تضطر الحكومة (وما الحكومة في بريطانيا الا لجنة لتسيير شؤون البرجوازية) الى بذل قصارى الجهود لكي تطور حماسة «الشعب» للحرب علماً بانه من المستحيل اطلاقاً بلوغ هذا الهدف بدون تحطيم القوانين تحطيماً جذرياً، لو لم يكن الجمهور البروليتاري مشوش التنظيم كلياً وفساد المعنويات كلياً بسبب انتقال اقلية العمال المؤلفة من افضل العمال تنظيمياً وارتفاع كفاءتهم واشدهم ترافاً في النقابات الى جانب السياسة الليبرالية ، اي السياسة البرجوازية ان التريديونيونات البريطانية تضم زهاء خمس العمال الاجراء وزعماء هذه التريديونيونات ليبراليون بمعظمهم ومن زمان بعيد سماهم ماركس بعملاء البرجوازية

ان جميع خصائص بريطانيا هذه تساعدنا على ان نفهم بمزيد

من السهولة كنه الاشتراكية-الشوفينية المعاصرة من جهة ، - لان هذا الكنه واحد في البلدان الاوتوقراطية والديموقراطية في البلدان العسكرية والبلدان التي لا تعرف الخدمة العسكرية الالزامية ، - وتساعدنا من جهة اخرى ، على ان نقيم بالاستناد الى الوقائع شأن ذلك التهاون مع الاشتراكية-الشوفينية الذي يتجلى مثلاً في اطراء شعار السلام وما الى ذلك

ولا ريب اننا نجد في «الجمعية الفابية» اكمل تعبير عن الانتهازية وعن السياسة العمالية الليبرالية. ليلق القارئ نظرة الى مراسلات ماركس وانجلس مع زورغه (هناك ترجمة الى الروسية في طبعتين) فانه سيجد هناك وصفاً رائعاً لهذه الجمعية بقلم انجلس الذي ينعت السادة سيدني ويب وشركاه بانهم عصابة من الانذال البرجوازيين الراغبين في افساد العمال الراغبين في التأثير فيهم بروح العداة للشورة ويمكننا ان نتكفل بانه ما من زعيم مسؤول ونافذ نوعاً من زعماء الاممية الثانية حاول يوماً ان يدحض تقيييم انجلس هذا وليس ذلك وحسب ، بل ايضاً حتى ان يشك في صحته

اما الآن ، فقارنوا **الوقائع** ، تاركين جانباً **النظريات** للحظة تروا ان **سلوك** الفابين (انظروا مثلاً صحيفتهم الاسبوعية «The new Statesman» (٢١٦)) والحزب الاشتراكي-الديموقراطي الالمانى بمن فيه كاوتسكي ابان الحرب **واحد تماماً** الدفاع نفسه ، المباشر وغير المباشر عن الاشتراكية-الشوفينية الجمع نفسه بين هذا الدفاع وبين الاستعداد للتشدد بما تشاؤون من الاقوال الطيبة ، والانسانية ، واليسارية تقريباً ، عن السلام ، ونزع السلاح ، وهكذا دواليك وهلمجرأ

والواقع ثابت بين الاستنتاج منه مهما كان غير مستطاب بالنسبة لمختلف الافراد هو حتماً وبلا جدال الاستنتاج التالي : ان قادة الحزب الاشتراكي-الديموقراطي الالمانى ، بمن فيهم

كاوتسكي هم بالفعل عملاء للبرجوازية تماماً مثل الفابينين الذين نعتهم انجلس من زمان بهذا النعت وان عدم اعتراف الفابينين بالماركسية و«اعتراف» كاوتسكي وشركاه بها لا يغيران شيئاً من جوهر الامر ، من السياسة الفعلية ولا يفعلان غير ان يثبتا تحول الماركسية الى ستروفية (٢١٧) عند بعض الكتاب والساسة وغيرهم . ان نفاقهم ليس عيبهم الشخصي فمن الممكن ان يكونوا في بعض الاحوال آباء عائلات افاضل ، - فان نفاقهم هو نتيجة للزيف الموضوعي في وضعهم الاجتماعي عندما يمثلون حسبما يزعم البروليتاريا الثورية ، في حين انهم بالفعل عملاء في نشر الافكار البرجوازية ، الشوفينية ، في صفوف البروليتاريا

ان الفابينين هم اكثر صدقاً واستقامة من كاوتسكي وشركاه لانهم لم يعدوا بالدفاع عن الثورة ، ولكنهم سياسياً من طينة واحدة ومن جراء «قدم» الحرية السياسية في بريطانيا وتطور حياتها السياسية على العموم وبرجوازيتها على الخصوص وجدت مختلف تلاوين الآراء البرجوازية في هذا البلد بسرعة وسهولة وحرية تعبيراً جديداً عنها في المنظمات السياسية الجديدة ومن هذه المنظمات ، «اتحاد المراقبة الديمقراطية» (Union of Democratic Control). وامين سر هذه المنظمة وامين صندوقها هو موريل (E.D. Morel) الذي هو الآن ، فضلاً عن ذلك ، معاون دائم في لسان الحال المركزي «لحزب العمال المستقل» ، جريدة «Labour Leader» (٢١٨) وهذا الشخص كان خلال بضع سنوات مرشحاً عن الحزب الليبيرالي (حزب الاحرار) في دائرة بركنهيد (Birkenhead) وعندما قال موريل فور نشوب الحرب انه ضد الحرب ابلغته لجنة الرابطة الليبيرالية في بركنهيد برسالة بتاريخ ٢ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩١٤ ان ترشيحه لن يكون مقبولاً في المستقبل بالنسبة لليبيراليين (الاحرار) ، وهذا يعني انهم فصلوه بكل بساطة من الحزب . فاجاب

موريل برسالة بتاريخ ١٤ تشرين الاول اعاد نشرها فيما بعد في كراس خاص عنوانه «The outbreak of the war» («كيف نشبت الحرب») وفي هذا الكراس ، كما في عدد من المقالات الاخرى ، يفضح موريل حكومته هو ، مبرهنًا على كذب الذرائع الزاعمة ان سبب الحرب هو انتهاك حياد بلجيكا وان هدف الحرب هو تحطيم الامبريالية البروسية وهكذا دواليك وهلم جرا ويدافع موريل عن برنامج «اتحاد المراقبة الديموقراطية» الذي يتلخص في السلام ونزع السلاح ومنح جميع المقاطعات الحق في تقرير مصيرها بالاستفتاء ، والرقابة الديموقراطية على السياسة الخارجية

من كل هذا يتبين ان موريل كشخصية يستحق بلا ريب التقدير نظراً لتعاطفه الصادق مع الديموقراطية لانعطافه من البرجوازية الشوفينية الى البرجوازية المسالمة وعندما يثبت موريل بالوقائع ان حكومته هو قد خدعت الشعب حين اعلنت انه لا وجود للمعاهدات السرية ، مع انه توجد بالفعل معاهدات من هذا النوع ؛ - وان البرجوازية البريطانية كانت قد ادركت في سنة ١٨٨٧ بكامل الوضوح حتمية انتهاك حياد بلجيكا في حال نشوب حرب المانية فرنسية ، وانها نبذت قطعاً فكرة التدخل (آنذاك لم تكن المانيا بعد منافساً خطيراً!) ؛ - وان العسكريين الفرنسيين من طراز العقيد بوشه (Boucher) اعترفوا بصورة سافرة كلياً في جملة كاملة من كتبهم قبل الحرب بخططهم حول حرب هجومية من جانب فرنسا وروسيا ضد المانيا ؛ - وان الخبر العسكري المشهور في بريطانيا العقيد ريبينغتون ، اعتبر خطأ في عام ١٩١١ ان نمو التسلح في روسيا بعد عام ١٩٠٥ هو تهديد لالمانيا ، - عندما يثبت موريل كل هذا فلا بد لنا من ان نعترف باننا امام برجوازي خارق الاستقامة والجرأة ، ولا يخشى القطيعة مع حزبه .

ولكن كل امرئ^١ يوافق على الفور بان موريل ، مع ذلك ، برجوازي تظل اقواله عن السلام ونزع السلاح كلاماً فارغاً لانه لا يمكن ، حتى الكلام لا عن الصلح الديمقراطي ولا عن نزع السلاح ، بدون الاعمال الثورية تقوم بها البروليتاريا وان موريل الذي اختلف الآن مع الليبراليين بسبب مسألة هذه الحرب ، يظل ليبرالياً في جميع المسائل الاخرى الاقتصادية والسياسية واذ ذاك ، عندما يستر كاوتسكي في المانيا بشتى المظاهر الماركسية **الاقوال البرجوازية ذاتها** عن السلام ونزع السلاح ، فلماذا لا يرون في هذا نفاقاً من كاوتسكي بل يرون مأثرة له ؟ ان عدم تطور العلاقات السياسية وعدم وجود الحرية السياسية في المانيا هما وحدهما اللذان يحولان دون الامر التالي وهو ان تتشكل فيها بنفس السرعة والسهولة كما في بريطانيا عصبية برجوازية للسلام ونزع السلاح برنامجها برنامج كاوتسكي

لنعترف اذن بالحقيقة وهي ان كاوتسكي يقف مواقف البرجوازي المسالم وليس مواقف الاشتراكي-الديموقراطي الثوري

نحن نعيش احداثاً على ما يكفي من العظمة لكي نتحلى بشجاعة الاعتراف بالحقيقة «بغض النظر عن الاشخاص» ولا يندر للبريطانيين الذين لا يكونون الحب للنظريات المجردة ، ويعتزون بروحهم العملية ان يطرحوا القضايا السياسية بمزيد من **الصراحة** فيساعدون بالتالي اشتراكيي البلدان الاخرى على ايجاد المضمون الفعلي تحت غطاء شتى المصطلحات (بما فيها «الماركسية») ومما له اهمية في هذا الصدد كراس «الاشتراكية والحرب» * الذي صدر قبل الحرب في طبعة لدار الجريدة الشوفينية

«Socialism and war». «The Clarion Press», 44. Warship Street, * London E. C.

«Clarion» فان الكراس يحتوي «بيان» الاشتراكي الاميركي ابتون سنكلر (Upton Sinclair) ضد الحرب ورد الشوفيني روبرت بليتشفورد (Blatchford) الذي تبني من زمان وجهة نظر هايندمان الامبريالية

سنكلر اشتراكي بالشعور لا يملك تحصيلاً نظرياً وهو يطرح المسألة «ببساطة» مستاء من الحرب المحدقة ومفتشاً عن الخلاص منها في الاشتراكية وقد كتب سنكلر يقول

«يقولون لنا ان الحركة الاشتراكية لا تزال ضعيفة جداً ، وانه يجب علينا ان ننتظر التطور ولكن التطور يجري في قلوب الناس ؛ فنحن ادوات التطور ، واذا لم نناضل ، فلن يكون ثمة اي تطور ويقولون لنا ان حركتنا «ضد الحرب» «سوف تسحق» ؛ ولكنني اعرب عن عميق اقتناعي بان سحق اي استياء كان ، يستهدف ، بدوافع النزعة الانسانية العليا ، الحيلولة دون الحرب ، سيكون اعظم انتصار احرزته الاشتراكية يوماً ، -وبانه سيهز ضمير المدنية ويحرك عمال العالم اجمع كما لم يحركهم شيء في التاريخ يوماً ولن تتخوف اكثر من اللزوم على حركتنا ، ولن نعلق اهمية اكبر من اللزوم على عدد القوى ومظاهرها الخارجية فان الف فرد من ذوي الايمان المتوقع والتصميم القاطع اقوى من مليون فرد امسوا محترسين وموقرين وليس ثمة بالنسبة للحركة الاشتراكية من خطر افدح من خطر ان تصبح مؤسسة مستقرة»

هذا كما ترون تحذير ساذج ، غير مدروس نظرياً ولكنه صحيح تماماً ، من ابتذال الاشتراكية ، ودعوة الى النضال الثوري بماذا يرد بليتشفورد على سنكلر ؟

انه يقول انه من الصحيح ان الحرب تستثيرها المصالح الرأسمالية والعسكرية وانا لا اسعى اقل من اي اشتراكي آخر الى السلام والى تغلب الاشتراكية على الرأسمالية . ولكن سنكلر لن

يقنعني «بالجمل البليغة والجميلة» ولن يزيل الوقائع «الوقائع يا صديقي سنكلر شيء عنيد والحال ان الخطر الالمانى واقع» وليس بمقدورنا ولا بمقدور الاشتراكيين الالمان ان نمنع نشوب الحرب ان سنكلر يستعظم قوانا الى ما لا حد له نحن لسنا متحدين وليس لدينا مال ولا اسلحة ، «ولا انضباط» فلا يبقى لنا غير ان نساعد الحكومة البريطانية على زيادة اسطولها لانه لا توجد ولا يمكن ان توجد اي ضمانه اخرى للسلام

ان الشوفينيين في اوروبا القارية لم يتكلموا بمثل هذه الصراحة لا قبل نشوب الحرب ولا بعد نشوبها فعوضاً عن الصراحة يسود في المانيا نفاق كاوتسكي واللعب بالسفسطة وعند بليخانوف كذلك ولهذا السبب بالذات من المفيد النظر الى المواقف في بلد اكثر تطوراً فهنا لن تسوق احداً بالسفسطة وبالكاريكاتور عن الماركسية ان المسائل مطروحة بمزيد من الصراحة والصدق فلنتعلم من البريطانيين «الطليعيين»

ان سنكلر ساذج بدعوته مع ان هذه الدعوة صحيحة تماماً اصلاً ساذج لانه يجهل تطور الاشتراكية الجماهيرية خلال نصف قرن وتصارع التيارات فيها يجهل ظروف نمو الاعمال الثورية في حال توفر الوضع الثوري الموضوعي والتنظيم الثوري وهذا ما تمكن الاستعاضة عنه «بالشعور» ولا يمكن الاستغناء بالبلاغة عن الصراع القاسي الدائر بلا رحمة ولا هوادة بين التيارين القويين في الاشتراكية ، التيار الانتهازي والتيار الثوري

ان بليتشفورد يتكلم بمنتهى الصراحة ويكشف حجة حميمة من حجج الكاوتسكيين وشركاهم الذين يخافون قول الحقيقة . نحن لا نزال ضعفاء - وهذا كل ما في الامر هكذا يقول بليتشفورد ولكنه بصراحته يفضح ويعلن انتهازيته وشوفينيته في الحال اما انه يخدم البرجوازية والانتهازيين ، فان ذلك يبدو في الحال . وهو اذ

يعترف «بضعف» الاشتراكية ، انما يضعفها بنفسه بالدعوة الى سياسة معادية للاشتراكية ، الى سياسة برجوازية .

وعلى غرار سنكلر ، ولكن في الاتجاه المعاكس ، كجبان وليس كمناضل ، كخائن وليس «كجري» الى حد الجنون» ، يجهل بليتشفورد هو ايضاً ظروف نشوء الوضع الثوري .

ولكن بليتشفورد ، الشوفيني المبتذل ، يتفق كلياً مع بليخانوف وكاوتسكي ، باستنتاجاته العملية وسياسته (الامتناع عن القيام بالاعمال الثورية ، وعن الدعاية لها وتحضيرها)

ان الكلمات الماركسية قد اصبحت في ايامنا ستاراً للتبرؤ التام من الماركسية ؛ فلكي يكون المرء ماركسياً ، يجب ان يفضح «النفاق الماركسي» لزعماء الاممية الثانية ، يجب ان ينظر بلا خشية الى الصراع بين التيارين في الاشتراكية ، ان يمعن الفكر الى النهاية بمسائل هذا الصراع وهذا استنتاج من المواقف البريطانية التي تبين لنا كنه المسألة الماركسي بدون كلمات ماركسية

المجلد ٢٦ ،
صص ٢٦٦-٢٧٢

كتب في حزيران (يونيو) ١٩١٥
صدر لأول مرة في ٢٧ تموز
(يوليو) ١٩٢٤ في جريدة
والبرافدا ، العدد ١٦٩

الاشتراكية والحرب

(موقف حزب العمال الاشتراكي-الديموقراطي في روسيا
من الحرب) (٢١٩)

مقدمة الطبعة الاولى (الاجنبية)

الحرب مستمرة منذ سنة ولقد حدد حزبنا موقفه منها منذ نشوبها ، في بيان للجنة المركزية ، صيغ في ايلول (سبتمبر) ١٩١٤ ونُشر (بعد ارساله الى اعضاء اللجنة المركزية وممثلي حزبنا المسؤولين في روسيا وبعد الحصول على موافقتهم) في اول تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٤ في العدد ٣٣ من «سوسيال-ديموقراط» صحيفة حزبنا المركزية وفيما بعد ، نُشرت في العدد ٤٠ (٢٩ آذار - مارس - ١٩١٥) قرارات مجلس برن العام التي تقدم عرضاً اكثر دقة لمبادئنا وتكتيكنا

وفي الوقت الحاضر يتصاعد الشعور الثوري بكل وضوح عند الجماهير في روسيا وفي كل مكان في البلدان الاخرى تلاحظ علائم هذه الظاهرة ، رغم ان الميول الثورية لدى البروليتاريا تخفقها اكثرية الاحزاب الاشتراكية-الديموقراطية الرسمية الواقفة الى جانب حكوماتها وبرجوازياتها ان هذا الوضع يجعل من الضروري ضرورة ملحة ، اصدار كراس يلخص تكتيك الحزب الاشتراكي-الديموقراطي فيما يتعلق بموقفه من الحرب واننا نعيد طبع وناق الحزب المنوه عنها اعلاه بنصها الكامل مرفقينها بتعليقات موجزة كما اننا نبذل جهدنا لناخذ بعين الاعتبار جميع الحجج الرئيسية التي ادلي بها في المطبوعات وكذلك في الاجتماعات الحزبية لدعم التكتيك البرجوازي والتكتيك البروليتاري .

مقدمة الطبعة الثانية

كُتِبَ هذا الكرّاس في صيف ١٩١٥ قبيل انعقاد مجلس زيميرفالد العام (٢٢٠) وصدر أيضاً بالالمانية والفرنسية واعدت طبعه بالنروجية بنصه الكامل في صحيفة الشبيبة الاشتراكية-الديموقراطية النروجية ونقلت الطبعة الالمانية من الكرّاس سرّاً الى المانيا - برلين ولايبزيغ وبريمن وغيرها من المدن - حيث وزعها سرّاً انصار الجناح اليساري الزيميرفالدي وفرقة كارل ليكنخت وصدرت الطبعة الفرنسية سرّاً في باريس ووزعها هناك الزيميرفالدون الفرنسيون اما الطبعة الروسية فانها لم تتسرب الى روسيا الا باعداد زهيدة جداً وفي موسكو نسخها العمال باليد

واننا نعيد الآن طبع النص الكامل لهذا الكرّاس بوصفه وثيقة وعلى القارئ ان يذكر دائماً ان الكرّاس قد كتب في آب (اغسطس) ١٩١٥ وعليه ان يذكر ذلك لا سيما عند مطالعة المقاطع التي يتناول فيها الحديث روسيا لأن روسيا كانت يومذاك لا تزال روسيا قيصرية ، روسيا آل رومانوف

صدر في كراس عام ١٩١٨

الفصل الاول

مبادئ الاشتراكية وحرب ١٩١٤-١٩١٥

موقف الاشتراكيين من الحروب

لقد ندد الاشتراكيون دائماً بالحروب بين الشعوب باعتبارها عملاً من اعمال البرابرة والوحوش غير ان موقفنا نحن من الحرب يختلف مبدئياً عن موقف المسالمين البرجوازيين (انصار السلام ودعاته) والفوضويين فنحن نمتاز عن الاوائل بكوننا ندرك الصلة الحتمية التي تربط بين الحروب والنضال الطبقي في داخل البلاد وندرك انه يستحيل القضاء على الحروب دون القضاء على الطبقات ودون اقامة الاشتراكية ونمتاز عنهم ايضاً بكوننا نعترف تماماً بشرعية الحروب الاهلية وطابعها التقدمي وضرورتها اي الحروب التي تخوضها الطبقة المظلومة ضد الطبقة الظالمة يخوضها العبيد ضد مالكي العبيد ، الفلاحون الاقنان ضد الاقطاعيين العمال الاجراء ضد البرجوازية ونحن الماركسيين نمتاز عن المسالمين والفوضويين بكوننا نقر بضرورة دراسة كل حرب على حدة دراسة تاريخية (من وجهة نظر مادية ماركس الديالكتيكية) فقد عرف التاريخ جملة من الحروب كانت تقدمية رغم كل الفظائع والاهوال والكوارث والعذابات التي تنطوي عليها حتماً كل حرب أيا كانت بمعنى انها كانت مفيدة لتطور الانسانية وساعدت في تحطيم اشد المؤسسات ضرراً ورجعية (مثلاً الاوتوقراطية او القنانة) واشد الانظمة المستبدة اغراقاً في البربرية في اوروبا (النظام التركي والروسي) ولذا كان من المهم دراسة الخصائص التاريخية المميزة للحرب الراهنة بالذات .

النماذج التاريخية للحروب في العصر الجديد

ان الثورة الفرنسية الكبرى قد دشنت عهداً جديداً في تاريخ الانسانية ومنذ هذه الثورة حتى كومونة باريس ، اي من عام ١٧٨٩ حتى عام ١٨٧١ كان من نماذج الحروب تلك التي اتسمت بطابع تقدمي برجوازي بطابع تحرري وطني وبتعبير آخر كان محتوى هذه الحروب الرئيسي واهميتها التاريخية يتلخصان في ذلك الحكم المطلق والاقطاعية ، وتقويضهما ، وخلع النير الاجنبي فكانت بالتالي حروباً تقدمية ولهذا فان جميع الديمقراطيين الشرفاء الثوريين ، وكذلك جميع الاشتراكيين ، قد نظروا دائماً نظرة عطف ، ابان الحروب من هذا النوع ، الى نجاح البلد (اي نجاح البرجوازية) الذي اسهم في ذلك او تقويض اخطر اساس الاقطاعية والحكم المطلق واضطهاد الشعوب الاخرى ففي الحروب الثورية التي خاضتها فرنسا مثلاً كان ثمة عنصر نهب وفتح لاراضي الغير من جانب الفرنسيين غير ان هذا لا يبدل في شيء من الاهمية التاريخية الاساسية لهذه الحروب التي كانت تحطم وتزعزع الاقطاعية والحكم المطلق في عموم اوربا القديمة الاقطاعية وفي الحرب الفرنسية البروسية سلبت المانيا فرنسا ولكن هذا لا يبدل من الاهمية التاريخية الاساسية لهذه الحرب التي حررت عشرات الملايين من الالمان من التجزؤ الاقطاعي والاضطهاد الذي كان يسلطه عليهم مستبدان القيصر الروسي ونابوليون الثالث

الفرق بين الحرب الهجومية والحرب الدفاعية

ان مرحلة ١٧٨٩ - ١٨٧١ قد تركت آثاراً عميقة وذكريات ثورية وقبل اسقاط الاقطاعية والحكم المطلق والنير الاجنبي لم يكن بالامكان ان ترد مسألة تطوير نضال البروليتاريا في سبيل

الاشتراكية ان الاشتراكيين اذ تحدثوا عن شرعية الحرب «الدفاعية» بالنسبة لحروب مثل هذه المرحلة ، انما قصدوا دائماً على وجه الضبط هذه الاهداف التي ترمي الى ثورة ضد نظام القرون الوسطى وضد القنانة وبهذا المعنى فهم الاشتراكيون دائماً الحرب «الدفاعية» حرباً «عادلة» (وهكذا جاء يوماً في كلام ولهمس ليبكنخت (٢٢١)) وبهذا المعنى فقط كان الاشتراكيون يقرون ولا يزالون يقرون الآن بما يتسم به «الدفاع عن الوطن» او الحرب «الدفاعية» من طابع شرعي ، تقدمي ، عادل مثلاً اذا أعلنت مراكز غداً الحرب على فرنسا ، والهند على انجلترا ، وايران او الصين على روسيا ، الخ فان هذه الحروب ستكون حروباً «عادلة» ، «دفاعية» ، اياً كان البادئ وكل اشتراكي سيشتمى انتصار الدول المضطهدة التابعة التي لا تتمتع بحقوقها كاملة على الدول «الكبرى» المضطهدة ، المستعبدة ، النهاية

ولكن تصوروا ان مالك ١٠٠ عبد يحارب آخر يملك ٢٠٠ عبد ، من اجل اقتسام العبيد بشكل «اعدل» بديهي ان تطبيق فكرة الحرب «الدفاعية» او «الدفاع عن الوطن» على هذه الحال انما يعني تزوير التاريخ ، ويعني عملياً مجرد تضليل الشعب البسيط والتافهين الضيقي الافق ، والناس الجهلاء ، من قبل مالكين حاذقين للعبيد على هذا النحو بالضبط تخدع البرجوازية الامبريالية في ايامنا الشعوب بالايديولوجية «القومية» وبفكرة الدفاع عن الوطن ، في الحرب القائمة حالياً بين مالكي العبيد من اجل تقوية العبودية وتوطيدها

الحرب الحالية حرب امبريالية

يعترف الجميع تقريباً ان الحرب الحالية حرب امبريالية ، ولكنهم يشوهون هذا المفهوم في معظم الاحيان ، او انهم يطبقونه على طرف واحد ، او انهم ، على كل حال ، يلمحون الى ان من الممكن ان يكون

لهذه الحرب صفة برجوازية تقدمية صفة تحريرية وطنية ان الامبريالية هي اعلى درجة بلغتها الرأسمالية في تطورها ولم تبلغها الا في القرن العشرين والآن تشعر الرأسمالية بالضيق في اطار الدول القومية القديمة ، التي لولا ظهورها لما كان في وسع الرأسمالية ان تدك الاقطاعية وقد طورت الرأسمالية التمرکز الى حد ان صناعات بكاملها قد استأثرت بها السينديكات التروستات اتحادات الرأسمالين اصحاب المليارات وان كل الكرة الارضية تقريباً قد اقتسمها «ملوك الرأسمال» هؤلاء على شكل مستعمرات او عن طريق ربط البلدان الاجنبية بالوف من روابط الاستثمار المالي ومحل حرية التجارة والمزاحمة ، حلت المساعي الى الاحتكار الى الاستيلاء على الاراضي من اجل استثمار الرأسمال فيها والحصول على المواد الاولية منها الخ ومن محررة للامم كما كانت الرأسمالية في نضالها ضد الاقطاعية انقلبت الرأسمالية الامبريالية الى اكبر مضطهدة للامم ومن تقدمية تحولت الرأسمالية الى رجعية وطورت القوى المنتجة الى حد انه يتعين على الانسانية اما ان تنتقل الى الاشتراكية ، واما ان تعاني طوال سنوات وحتى طوال عشرات السنين من النضال المسلح بين الدول «الكبرى» في سبيل الحفاظ المصطنع على الرأسمالية بواسطة المستعمرات والاحتكارات والامتيازات والاضطهاد القومي بشتى الاشكال

الحرب بين اكبر مالكي العبيد من اجل الحفاظ

على العبودية وتقويتها

لتبيان شأن الامبريالية نورد فيما يلي احصاءات دقيقة عن اقتسام العالم من قبل ما يسمى الدول «الكبرى» (اي الدول التي يحالفها التوفيق في عمليات النهب الكبرى) .

يتبين من هذه الاحصاءات ان الشعوب التي ناضلت في اكثر الاحيان في مرحلة ١٧٨٩ - ١٨٧١ في طليعة الشعوب الاخرى من اجل الحرية قد تحولت الآن بعد ١٨٧٦ على اساس رأسمالية عالية التطور و«مفرطة النضوج» الى مضطهدة ومستعبدة لاغلبية سكان الكرة الارضية واممها فمن ١٨٧٦ الى ١٩١٤ ، اغتصبت ست دول «كبرى» ٢٥ مليون كيلومتر مربع اي ما يعادل مساحة اوروبا كلها مرتين ونصف المرة ! واستعبدت ست دول اكثر من نصف مليار (٥٢٣ مليوناً) نسمة من سكان المستعمرات وكل ٤ من سكان الدول «الكبرى» يقابلهم ٥ في مستعمرات «ها» ويعلم الجميع ان المستعمرات قد فتحت بالحديد والنار وان سكان المستعمرات يعاملون معاملة وحشية وانهم يُستثمرون بالف وسيلة ووسيلة (بتصدير الرساميل وبالامتيازات الخ بخداعهم اثناء بيع البضائع منهم باخداعهم لسلطات الامة «السائدة» وهكذا دواليك) ان البرجوازية الانجلو-فرنسية تخدع الشعب حين تزعم انها تخوض الحرب في سبيل حرية الشعوب وحرية بلجيكا بينما هي في الواقع تخوض الحرب حفاظاً على المستعمرات التي تجاوزت في سرقتها كل حد ولو ان الانجليز والفرنسيين قسموا مستعمراتهم «بحق الله» بينهم وبين الامبرياليين الالمان لكان هؤلاء حرروا بلجيكا والخ . ، في الحال . والطابع الاصيل الذي يميز الوضع ، هو انه في هذه الحرب يتقرر مصير المستعمرات عن طريق الحرب في القارة الاوروبية ومن وجهة نظر العدالة البرجوازية والحرية الوطنية البرجوازية (او حق الامم في الوجود) ، كان الحق ، بلا قيد ولا شرط ، الى جانب المانيا ضد انجلترا وفرنسا لأن المانيا قد «هَضِمَ حقها» في تقاسم المستعمرات واعدائها يضطهدون من الامم اكثر بما لا يقاس مما تضطهد هي وعند حليفها النمسا نرى السلاف المضطهدين يتمتعون بلا مراء بحرية اكبر مما في روسيا القيصرية

٤٥,٣	٩,٩	٤٥,٣	٩,٩	٩,٩	مستعمرات لا تخص الدول الكبرى (بل تخص بلجيكا وهولندا وغيرها من الدول) ثلاثة بلدان «شبه مستعمرة» (تركيا، والصين، وبلاد فارس)
٣٦١,٢	١٤,٥				
١٣٦٧,١	١٠٥,٩	٠	المجموع		
٢٨٩,٩	٢٨,٠		دول وبلدان اخرى		
١٦٥٧,٠	١٣٣,٩		عموم الكرة الارضية كلها (باستثناء المنطقة القطبية) .		

اقتسام العالم من قبل الدول «الكبرى» مائة الصبى :

المجموع	البلدان المستعمرة		المستعمرات		الدول «الكبرى»
	١٩١٤	١٩١٤	١٩١٤	١٨٧٦	
٤٤٠,٠	٣٣,٨	٤٦,٥	٠,٣	٢٥١,٩	٢٢,٥
١٦٩,٤	٢٢,٨	١٣٦,٢	٥,٤	١٥,٩	١٧,٠
٩٥,١	١١,١	٣٩,٦	٠,٥	٦,٠	٠,٩
٧٧,٢	٣,٤	٦٤,٩	٠,٥	٢,٩	
٧٢,٢	٠,٧	٥٣,٠	٠,٤	٠,٣	
١٠٦,٧	٩,٧	٩٧,٠	٩,٤	٠,٣	
٩٦٠,٦	٨١,٥	٤٣٧,٢	١٦,٥	٢٧٣,٨	٤٠,٤

انجلترا
روسيا
فرنسا
المانيا
اليابان
الولايات المتحدة في اميركا الشمالية

ست دول «كبرى» .

التي هي حقاً «سجن الشعوب» غير ان المانيا من جهتها تخوض الحرب لا لتحرير الامم بل لاضطهادها ولايليق بالاشتراكيين ان يساعدوا لصاً افقياً واقوى (المانيا) على نهب لصوص اكبر سنّاً واكثر شعباً انما يتعين على الاشتراكيين ان يستغلوا الحرب التي يخوضها اللصوص بعضهم ضد بعض من اجل اسقاطهم كلهم ولهذا الغرض يترتب على الاشتراكيين بالدرجة الاولى ان يقولوا الحقيقة للشعب اي ان هذه الحرب هي بمعنى مثلث حرب مالكي العبيد من اجل تقوية العبودية انها حرب اولاً من اجل دعم استعباد المستعمرات عن طريق اقتسام «اعدل» والاستمرار في استثمارها «بوتام» اكبر ثانياً من اجل تشديد اضطهاد الامم الاخرى في داخل الدول «الكبرى» بالذات لأن النمسا وروسيا كليهما (وروسيا اكثر بكثير من النمسا وشر منها) لا تحافظان على وجودهما الا بوساطة هذا الاضطهاد الذي تزيدان من شدته عن طريق الحرب ثالثاً من اجل توطيد العبودية المأجورة ومدّاجلها لأن البروليتاريا منقسمة على نفسها ومضطهدة بينما يكسب الرأسماليون اذ يثرون من الحرب ، ويشيرون النعرات القومية ، ويشدون من ازر الرجعية التي رفعت رأسها في جميع البلدان حتى في البلدان الجمهورية والافر حرية

«الحرب استهراء للسياسة بوسائل اخرى

(اي بوسائل العنف)»

هذه الكلمة المأثورة انما قالها كلاوزفيتس (٢٢٢) وهو من اعمق الكتاب في القضايا العسكرية واعتبر الماركسيون بحق دائماً هذه الفكرة اساساً نظرياً للمفاهيم حول صفة كل حرب معنية ومن وجهة النظر هذه بالضبط ، رأى ماركس وانجلس دائماً الى مختلف الحروب .

طبقوا وجهة النظر هذه على الحرب الحالية ، تروا ان الحكومات والطبقات الحاكمة في انجلترا وفرنسا والمانيا وايطاليا والنمسا وروسيا قد انتهجت خلال عقود خلال ما يقرب من نصف قرن سياسة قوامها نهب المستعمرات واضطهاد الامم الاجنبية وسحق الحركة العمالية وهذه السياسة ، هذه السياسة وحدها ، هي التي تستمر في الحرب الحالية ففي النمسا وروسيا مثلاً تتلخص السياسة في زمن السلم كما في زمن الحرب في استعباد الامم لا في تحريرها . والحال بالعكس في الصين وبلاد فارس والهند وسائر البلدان التابعة ، حيث نشهد ، في هذه العقود الاخيرة ، سياسة قوامها ايقاظ العشرات والمئات من الملايين على الحياة الوطنية سياسة ترمي الى تحريرهم من نير الدول «الكبرى» الرجعية ان الحرب المستندة الى مثل هذا الاساس التاريخي يمكن ان تكون اليوم ايضاً حرباً برجوازية تقدمية ، حرباً تحريرية وطنية

حسبنا ان نرى الى الحرب الحالية على انها استمرار لسياسة الدول «الكبرى» وطبقاتها الاساسية حتى نتبين فوراً ما يتصف به الرأي القائل انه يمكن تبرير فكرة «الدفاع عن الوطن» في الحرب الحالية ، من كذب ورياء ونقض فاضح للتاريخ

مثال بلجيكا

ان الاشتراكيين-الشفوفينيين في بلدان الوفاق الثلاثي (الرباعي (٢٢٣) اليوم) (في روسيا بليخانوف وشركاه) يطيب لهم على الاخص ان يستشهدوا بـمثال بلجيكا ولكن هذا المثال ينقلب عليهم فان الامبرياليين الالمان قد خرقوا حياد بلجيكا بلا حياء كما فعلت دائماً وفي كل مكان الدول المتحاربة التي كانت عند الاقتضاء تدوس بالاقدام جميع المعاهدات والالتزامات . لنفترض ان جميع الدول التي

يهمها امر احترام المعاهدات الدولية ، قد اعلنت الحرب على المانيا
مطالبة اياها بالجلء عن بلجيكا ودفعت التعويضات لها في مثل هذه
الحال ، تكون عاطفة الاشتراكيين ، بالطبع الى جانب اعداء المانيا
ولكن الواقع هو بالضبط ، ان الحرب انما يخوضها «الوفاق الثلاثي
(والرباعي)» ، لا من اجل بلجيكا وهذا امر معروف جيداً جداً ، ولا
يخفيه غير المنافقين ان انجلترا تنهب مستعمرات المانيا وتنهب
تركيا وروسيا تفعل مثلها في غاليسيا وتركيا وفرنسا تحاول
الحصول على الالزاس واللورين وحتى على الضفة اليسرى من نهر
الرين وعقدت مع ايطاليا معاهدة حول اقتسام الغنيمة (البانيا
آسيا الصغرى) ومع بلغاريا ورومانيا تستمر المساومات ايضاً
لاقتسام الغنيمة ففي احوال الحرب الحالية التي تخوضها الحكومات
الحالية ، تستحيل مساعدة بلجيكا عن طريق غير طريق المساعدة على
خندق النمسا او تركيا الخ واذ ذاك فما شأن «الدفاع عن
الوطن» هنا ؟ ؟ تلك هي بالضبط ميزة الحرب الامبريالية الحرب
القائمة بين الحكومات البرجوازية الرجعية التي ولي زمنها تاريخياً ، من
اجل اضطهاد الامم الاخرى ومن يبرر الاشتراك في هذه الحرب ، يمدد
اجل اضطهاد الامم الامبريالي . ومن يدع الى استغلال المصاعب الحالية
التي تواجهها الحكومات ، من اجل النضال في سبيل الثورة الاجتماعية ،
يدافع عن الحرية الفعلية لجميع الامم فعلاً ، عن الحرية التي لا يمكن
تحقيقها الا في ظل النظام الاشتراكي

لاي غرض تحارب روسيا ؟

ان الامبريالية الرأسمالية من الطراز الاحداث في روسيا قد كشفت
نفسها كلياً من خلال سياسة القيصرية ازاء بلاد فارس ومنشوريا
ومونغوليا ولكن من يسود في روسيا بوجه عام ، انما هو
الامبريالية العسكرية والاقطاعية . وما من بلد في العالم يحل فيه

الاضطهاد بغالبية السكان كما في روسيا ان الروس لا يؤلفون سوى ٤٣ بالمئة من السكان ، اي اقل من النصف ، بينما حُرِم جميع السكان الآخرين من الحقوق لكونهم من قوميات اخرى فبين ال ١٧٠ مليوناً الذين يقطنون روسيا قرابة ١٠٠ مليون من المضطهدين والمحرومين من الحقوق ان القيصرية تحارب بغية الاستيلاء على غاليسيا وخنق حرية الاوكرانيين نهائياً والاستيلاء على ارمينيا والقسطنطينية ، الخ والقيصرية ترى في الحرب وسيلة لصف الانتباه عن الاستياء المتعظم في داخل البلاد ولسحق الحركة الثورية الصاعدة واننا نجد اليوم في روسيا مقابل كل روسيين ، اثنين او ثلاثة من ابناء «القوميات الاخرى» المحرومين من الحقوق وبواسطة الحرب تسعى القيصرية جهدها لتزيد عدد الامم التي تضطهدها روسيا ولتوطد هذا الاضطهاد ولتقوض بالتالي نضال الروس انفسهم من اجل الحرية ان امكانية اضطهاد الشعوب الاخرى ونهبها تقوي الركود الاقتصادي لانه يستعاض عن تطوير القوى المنتجة باستثمار «القوميات الاخرى» شبه الاقطاعي في كثير من الاحيان بهذا الاستثمار الذي يشكل مصدر الدخل وهكذا تمتاز الحرب ، من جانب روسيا برجعية جامحة وبطابع العداء لقضية التحرر

ما هي الاشتراكية-الشوفينية ؟

ان الاشتراكية-الشوفينية تعني الذود عن فكرة «الدفاع عن الوطن» في الحرب الحالية من هذه الفكرة ، ينجم ، بالتالي ، العدول عن النضال الطبقي اثناء الحرب ، والتصويت بالموافقة على الاعتمادات الحربية ، الخ وفي الواقع ينتهج الاشتراكيون-الشوفينيون سياسة برجوازية ، معادية للبروليتاريا ، لانهم في الحقيقة لا يدعمون «الدفاع عن الوطن» بمعنى انه النضال ضد النير الاجنبي ، بل يدعمون «حق» هذه الدول «الكبرى» او تلك في نهب المستعمرات واضطهاد

الشعوب الاخرى . والاشتراكيون-الشوفينيون يحذون حذو البرجوازية في تضليل الشعب زاعمين ان الحرب قائمة دفاعاً عن حرية الامم ووجودها وعلى هذا النحو ينتقلون الى جانب البرجوازية ضد البروليتاريا والى الاشتراكيين-الشوفينيين ينتسب سواء اولئك الذين يبررون ويزينون حكومات وبرجوازية طرف واحد من الدول المتحاربة ام اولئك الذين يعترفون ، على غرار كاوتسكي ، لاشتراكيي جميع الدول المتحاربة بالحق نفسه حق «الدفاع عن الوطن» ان الاشتراكية-الشوفينية التي تعني بالفعل الدفاع عن مصالح برجوازياتها الامبريالية «الخاصة» (او اية برجوازية بوجه عام) وامتيازاتها ونهبها وعسفها هي خيانة كلية لجميع العقائد الاشتراكية ولقرار مؤتمر بال الاشتراكي العالمي

بيان بال

ان البيان عن الحرب ، الذي أقر بالاجماع في بال ، عام ١٩١٢ يقصد بالضبط الحرب التي انفجرت عام ١٩١٤ بين انجلترا والمانيا مع حلفائهما الحاليين وهو يعلن بوضوح ان اية مصلحة للشعب لا تبرر مثل هذه الحرب القائمة من اجل «ارباح الرأسماليين وامتيازات السلالات الملكية» ، على اساس سياسة امبريالية غاصبة، تنتهجها الدول الكبرى . والبيان يعلن بوضوح ان الحرب خطر «على الحكومات» (جميعها دون استثناء) وهو يشير الى خوف هذه الحكومات من «الثورة البروليتارية» ويعيد الى الازهان باكمل الدقة مثال كومونة ١٨٧١ ومثال تشرين الاول - كانون الاول (اكتوبر وديسمبر) ١٩٠٥ ، اي مثال الثورة والحرب الاهلية . على هذا النحو يحدد بيان بال بالنسبة للحرب الحالية على وجه الدقة تكتيك نضال العمال الثوري ضد حكوماتهم على النطاق العالمي تكتيك الثورة البروليتارية ان بيان بال يستعيد تعابير قرار شتوتغارت القائل انه يترتب على الاشتراكيين ، في حال نشوب الحرب ، ان يستغلوا

«الازمة الاقتصادية والسياسية» الناجمة عن هذه الحرب ، بغية «تعجيل سقوط الرأسمالية» ، اي استغلال المصاعب التي تفرضها الحرب على الحكومات ، وكذلك استياء الجماهير من اجل الثورة الاشتراكية ان سياسة الاشتراكيين-الشوفينيين وتبريرهم للحرب من وجهات نظر التحرر البرجوازية ، وقبولهم فكرة «الدفاع عن الوطن» ، وتصويتهم بالموافقة على الاعتمادات واشتراكهم في الوزارات الخ الخ ان كل هذا خيانة مباشرة للاشتراكية خيانة لا تُفَسَّر كما سنرى فيما بعد الا بانتصار الانتهازية والسياسة العمالية الليبيرالية-القومية في قلب اغلبية الاحزاب الاوروبية

اساءة الاستشهاد بماركس وانجلس

يستشهد الاشتراكيون-الشوفينيون الروس (وعلى رأسهم بليخانوف) بتكتيك ماركس في حرب ١٨٧٠ ؛ ويستشهد الاشتراكيون-الشوفينيون الالمان (من طراز لنتش ودافيد وشركاهما) بتصريحات انجلس في عام ١٨٩١ حول واجب الاشتراكيين الالمان في الدفاع عن الوطن في حال نشوب الحرب بين المانيا من جهة وروسيا وفرنسا مجتمعتين من جهة اخرى ؛ واخيراً يستشهد الاشتراكيون-الشوفينيون امثال كاوتسكي الراغبون في مسالمة الشوفينية العالمية واضفاء صفة شرعية عليها بان ماركس وانجلس كانا رغم شجبهما الحروب يقفان دائماً من ١٨٥٤-١٨٥٥ الى ١٨٧٠-١٨٧١ و١٨٧٦-١٨٧٧ الى جانب هذه الدولة المحاربة او تلك ما ان تندلع نار الحرب

ان جميع هذه الاستشهادات ليست سوى تشويه منقّر لآراء ماركس وانجلس من اجل خدمة البرجوازية والانتهازيين شأنها شأن كتابات الفوضويين غليوم وشركاه التي تشوه آراء ماركس وانجلس لتبرير الفوضوية . فان حرب ١٨٧٠-١٨٧١ قد كانت ،

من جانب ألمانيا ، حرباً تقدمية تاريخياً حتى هزيمة نابوليون الثالث ، لأنه اضطهد ألمانيا زمناً طويلاً بالاشتراك مع القيصر وحافظ فيها على التجزؤ الاقطاعي وما ان انقلبت الحرب الى نهب لفرنسا (الحاق الالزاس واللورين) ، حتى شجب ماركس وانجلس الالمان بقوة ثم ان ماركس وانجلس قد حبذا ، منذ بداية الحرب المذكورة ، رفض بيبل وليبكنخت التصويت بالموافقة على الاعتمادات واوصيا الاشتراكيين-الديموقراطيين بعدم الاندماج مع البرجوازية بل بالذود عن المصالح الطبقية الخاصة بالبروليتاريا . ان تطبيق تقدير ماركس وانجلس لتلك الحرب ، البرجوازية التقدمية والتحررية الوطنية ، على الحرب الامبريالية الحالية هو سخر بالحقيقة والأمر كذلك وبصورة ابرز فيما يتعلق بحرب ١٨٥٤-١٨٥٥ وفيما يتعلق بجميع حروب القرن التاسع عشر ، حين لم تكن آنذاك لا الامبريالية الحالية ، ولا الظروف الموضوعية الناضجة لظهور الاشتراكية ولا الاحزاب الاشتراكية الجماهيرية في جميع البلدان المتحاربة اي انه حين لم تكن هناك تلك الشروط التي استخلص منها بيان بال تكتيك «الثورة البروليتارية» في حال الحرب بين الدول الكبرى ان من يستشهد اليوم بموقف ماركس من الحروب في عهد البرجوازية التقدمية وينسى قول ماركس «ليس للعمال وطن» ، وهو قول ينطبق بالضبط على عهد البرجوازية الرجعية التي ولى زمانها على عهد الثورة الاشتراكية ، انما يشوه ماركس بقحة ويستعيز عن وجهة النظر الاشتراكية بوجهة النظر البرجوازية

افلاس الاممية الثانية

لقد اعلن اشتراكيو العالم بأسره امام الملاء في بال عام ١٩١٢ انهم يعتبرون الحرب الاوروبية المقبلة عملاً «اجرامياً» وفي منتهى الرجعية من جانب جميع الحكومات ، عملاً لا بد له ان يعجل في

انهيار الرأسمالية ، اذ يؤدي حتماً الى نشوب الثورة ضد الرأسمالية . وقد جاءت الحرب ، وجاءت الازمة وبدلاً من التكتيك الثوري ، تطبق اغلبية الاحزاب الاشتراكية-الديموقراطية تكتيكاً رجعيّاً وتقف الى جانب حكوماتها وبرجوازياتها ان هذه الخيانة للاشتراكية تعني افلاس الاممية الثانية (١٨٨٩-١٩١٤) ، ولذا ينبغي علينا ان نتبين سبب هذا الافلاس وما هو الباعث على ظهور الاشتراكية-الشوفينية ، وما هو مصدر قوتها

الاشتراكية-الشوفينية هي منتهى الانتهازية

في زمن الاممية الثانية كله احتدم النضال في كل مكان داخل الاحزاب الاشتراكية-الديموقراطية بين الجناح الثوري والجناح الانتهازي وعلى هذا الخط الفاصل ، حدث الانشقاق في عدة بلدان (انجلترا ايطاليا هولندا بلغاريا) وما من ماركسي خالجه الريب في ان الانتهازية تعبر عن السياسة البرجوازية في الحركة العمالية وفي انها تعبر عن مصالح البرجوازية الصغيرة وعن مصالح تحالف قسم ضئيل من العمال المتبرجزين مع برجوازيتهـهم» ضد مصالح جماهير البروليتاريين جماهير المضطهدين ان الظروف الموضوعية في نهاية القرن التاسع عشر كانت تقوي الانتهازية بوجه خاص فقد كانت تحوّل استغلال الشرعية البرجوازية الى استخياء امامها وتخلق فئة بيروقراطية واريستقراطية قليلة بين صفوف الطبقة العاملة وتجتذب الى صفوف الاحزاب الاشتراكية-الديموقراطية كثرة من «رفاق الطريق» البرجوازيين الصغار

ولقد عجلت الحرب التطور وحولت الانتهازية الى اشتراكية-شوفينية ، وحولت التحالف السري بين الانتهازيين والبرجوازية الى تحالف علني . وفي الوقت نفسه ، طبقت السلطات العسكرية في كل

مكان القانون العرفي وكم الافواه بحق جماهير العمال التي انحاز زعمائها القدماء ، جميعهم تقريباً الى جانب البرجوازية
 ان اساس الانتهازية والاشتراكية-الشوفينية الاقتصادية واحد :
 هو مصالح الفئة الضئيلة من العمال المميزين ومصالح البرجوازيين الصغار الذين يدافعون عن وضعهم المميز ، عن «حق»هم في فتات الارباح التي تجنيها برجوازييتهم» الوطنية من نهب الامم الاخرى ، وبفضل وضعها الاستعماري المميز الخ
 ان المحتوى السياسي والفكري للانتهازية والاشتراكية-الشوفينية واحد هو تعاون الطبقات بدلاً من الصراع فيما بينها والتخلي عن وسائل النضال الثورية ومساعدة حكومة «ها» وقت الشدة بدلاً من استغلال مصاعبها لصالح الثورة واذا اخذنا جميع البلدان الاوروبية بمجملها ، واذا نظرنا ، ليس الى بعض الافراد (مهما عظم نفوذهم) لاحتظنا ان التيار الانتهازي هو الذي غدا الحصن الرئيسي للاشتراكية-الشوفينية بينما يرتفع من معسكر الثوريين الاحتجاج عليها في كل مكان تقريباً بصورة دائبة الى هذا الحد او ذاك واذا اخذنا مثلاً مجمل الميول في مؤتمر شتوتغارت الاشتراكي العالمي في عام ١٩٠٧ ، لاحظنا ان الماركسية العالمية كانت ضد الامبريالية بينما كانت الانتهازية العالمية تؤيدها آنذاك

الوحدة مع الانتهازيين ، انها هي
تحالف العمال مع برجوازية(هم) الوطنية
وانشقاق الطبقة العاملة الثورية العالمية

على الرغم من ان الانتهازية كانت كثيراً ما تعتبر في عهد ما قبل الحرب بمثابة «انحراف» ، «تطرف» ، الا انها كانت تعتبر مع ذلك جزءاً مشروعاً من الحزب الاشتراكي-الديموقراطي ولكن الحرب بينت ان هذا الوضع مستحيل الاستمرار في المستقبل . فان الانتهازية قد

«نضجت» وبلغت الذروة في قيامها بدور مندوبة عن البرجوازية في الحركة العمالية وغدت الوحدة مع الانتهازيين نسيجاً من النفاق والرياء ، نرى مثلاً عنه في الحزب الاشتراكي-الديموقراطي الالمانى ففي جميع المناسبات الهامة (مثلاً) لدن تصويت الرابع من آب - اغسطس) يقدم الانتهازيون انذارهم ويضعونه موضع التنفيذ مستخدمين لهذا الغرض صلاتهم الكثيرة مع البرجوازية ، واغلبيتهم في قيادات النقابات ، الخ ان الوحدة مع الانتهازيين تعني اليوم عملياً خضوع الطبقة العاملة لبرجوازية «ها» الوطنية والتحالف مع هذه البرجوازية من اجل اضطهاد الامم الاخرى والنضال في سبيل امتيازات الدولة الكبرى كما تعني انشقاق البروليتاريا الثورية في جميع البلدان

ومهما صعب النضال ، في بعض الحالات ، ضد الانتهازيين الذين يسودون في كثرة من المنظمات ومهما تنوع سير حركة تطهير الاحزاب العمالية من الانتهازيين في بعض البلدان فان هذه الحركة مثمرة ولا مناص منها ان الاشتراكية الاصلاحية تحتضر بينا الاشتراكية المنبعثة «ستكون ثورية ، انتفاضية ، متشددة» ، حسبما قال بكل صواب الاشتراكي الفرنسي بول غولاي

«الكاوتسكية»

ان مثال كاوتسكي وهو اكبر شخصية نافذة في الاممية الثانية يعتبر مثلاً فذاً نموذجياً ساطعاً يبين كيف ادى الاعتراف الشفوي بالماركسية الى تحويلها بالفعل الى «ستروفية» او الى «برينتانية» (٢٢٤) وهذا ما نراه ايضاً في مثال بليخانوف فبواسطة سفسطائيات خالصة ، يفرغون الماركسية من روحها الحية ، الثورية . ويقبلون كل شيء في الماركسية ، باستثناء وسائل النضال الثورية

والترويج بها وتحضيرها وتربية الجماهير بهذه الروح بالذات وخلافاً لكل مبدأ «يوفق» كاوتسكي بين الفكرة الأساسية في الاشتراكية-الشفوفينية فكرة الدفاع عن الوطن في الحرب الراهنة وبين التنازلات الدبلوماسية الظاهرية لليساريين كالامتناع عن التصويت بالموافقة على الاعتمادات وعلان المعارضة بالاقوال الخ ان كاوتسكي الذي كتب في عام ١٩٠٩ كتاباً كاملاً عن دنو عهد من الثورات وعن ارتباط الحرب بالثورة كاوتسكي الذي وقع في عام ١٩١٢ على بيان بال حول الاستفادة ثورياً من الحرب المقبلة ، يبذل قصارى جهده اليوم لتبرير الاشتراكية-الشفوفينية وتمويهها بكل الطرق وهو ، مثل بليخانوف ، ينضم الى البرجوازية ليسخر من كل فكرة عن الثورة ، ومن كل اجراء يرمي الى نضال ثوري مباشر

ان الطبقة العاملة لا تستطيع القيام بدورها الثوري العالمي اذا لم تناضل بلا هوادة ضد هذا الارتداد ، وهذه الميوعة وهذا الاستخذاء امام الانتهازية وهذا التحقير النظري للماركسية الذي لا مثيل له ان الكاوتسكية ليست من فعل الصدفة ، انما هي النتاج الاجتماعي لتناقضات الاممية الثانية ، والجمع بين الامانة للماركسية قولاً والخضوع للانتهازية فعلاً

ان هذا الكذب «الكاوتسكي» الاساسي يتجلى في مختلف البلدان باشكال مختلفة ففي هولندا يرفض رولاندهولست فكرة الدفاع عن الوطن ويدافع في الوقت نفسه عن الوحدة مع حزب الانتهازيين وفي روسيا ينبذ تروتسكي هذه الفكرة بدوره ويدافع ايضاً عن الوحدة مع جماعة «ناشا زاريا» الانتهازية والشفوفينية وفي رومانيا يعلن راكوفسكي الحرب على الانتهازية ، لأنها كانت السبب في افلاس الاممية الثانية ولكنه على استعداد للاعتراف في الوقت نفسه بشرعية فكرة الدفاع عن الوطن . هذه هي اعراض المرض الذي اطلق عليه

الماركسيون الهولنديون (غورتر بانيكوك) اسم «الراديكالية الخاملة» والذي يتلخص في الاستعاضة عن الماركسية الثورية بالاختياريّة * في الميدان النظري وفي الاستخذاء او العجز امام الانتهازية في الميدان العملي

شعار الماركسيين هو شعار الاشتراكية-الديموقراطية الثورية

لا مرأى في ان الحرب قد جاءت بأشدّ الازمات حدة وزادت من تفاقم مصائب الجماهير الى اقصى حد وعن طابع هذه الحرب الرجعي ، وعن الكذب الوقح الذي تلجأ اليه برجوازية جميع البلدان اذ تخفي مقاصدها للصوصية تحت ستار الايديولوجية «الوطنية» تنشأ بالضرورة في ظل وضع ثوري موضوعياً ميول ثورية عند الجماهير وواجبنا ان نساعد على فهم هذه الميول وتعميقها وتنظيمها ان شعار تحويل الحرب الامبريالية الى حرب اهلية هو وحده الذي يعبر عن هذه المهمة تعبيراً صحيحاً وكل نضال تطبق منسجم خلال الحرب كل تكتيك يقوم على «عمل الجماهير» ويطبق بصورة جدية يقودان حتماً الى هذا ولا يمكننا ان نعرف في اي وقت ستنفجر حركة ثورية قوية بالارتباط مع الحرب الامبريالية الاولى بين الدول الكبرى ام بالارتباط مع الثانية ، في اثناء هذه الحرب ام بعدها وعلى كل حال ان واجبنا المطلق هو العمل بانتظام واستمرار في هذا السبيل بالذات

ان بيان بال يستشهد مباشرة بمثال كومونة باريس ، اي تحويل الحرب بين الحكومات الى حرب اهلية فمنذ نصف قرن كانت البروليتاريا ضعيفة جداً ولما تنضج الشروط الموضوعية للاشتركية ولم يكن من الممكن التوافق ولا التعاون بين الحركات

* الاختياريّة Eclectisme مذهب من يخلطون بين آراء ونظريات متباينة متناقضة يختارونها بدون اية صلة داخلية بينها ويركبوها على اساس غير مبدئية . (المعرب) .

الثورية في جميع البلدان المتحاربة وكان ولع قسم من العمال الباريسيين «بالإيديولوجيا الوطنية» (تقاليد عام ١٧٩٢) نقطة ضعفهم ذات الطابع البرجوازي الصغير التي اشار ماركس اليها في الوقت المناسب كما كان ايضاً سبباً من اسباب انهيار الكومونة وبعد نصف قرن ، زالت الظروف التي كانت تضعف الثورة آنذاك ، وأصبح لا يجوز للاشتراكي في الوقت الحاضر ان يوافق على العدول عن النشاط بروح ابطال كومونة باريس على وجه الضبط

مثال على التآخي في الخنادق

لقد اوردت الصحف البرجوازية في جميع البلدان المتحاربة امثلة على التآخي بين جنود الامم المتحاربة حتى في الخنادق . وأثبت سن السلطات العسكرية (المانيا انجلترا) للمراسيم القاسية ضد هذا التآخي ان الحكومات والبرجوازية توليه اهمية جدية فاذا حدثت امثلة على التآخي في ظل سيطرة الانتهازية سيطرة تامة في قمة الاحزاب الاشتراكية-الديموقراطية في اوروبا الغربية ورغم التأييد الذي تلقاه الاشتراكية-الشفوفينية من جانب كل الصحافة الاشتراكية-الديموقراطية ومن جانب جميع ذوي الكلمة النافذة في الاممية الثانية فان هذا يبين لنا الى اي حد يمكن تقصير امد الحرب الحالية ، المجرمة الرجعية الاستعبادية وتنظيم الحركة الاممية الثورية ، شرط ان يقوم عمل دائب منتظم في هذا السبيل ولو من جانب الاشتراكيين اليساريين وحدهم في جميع البلدان المتحاربة

اهمية التنظيم السري

ان ابرز الفوضويين في العالم بأسره ، شأنهم شأن الانتهازيين قد جلبوا العار لانفسهم بسبب من اشتراكيتهم-الشفوفينية (بروح بليخانوف وكاوتسكي) في هذه الحرب . ولا ريب ان هذه الحرب

ستقتل الانتهازية والفوضوية على حد سواء ، وستكون تلك نتيجة من نتائجها المفيدة

على الاحزاب الاشتراكية-الديموقراطية ان تقلع نهائياً عن الاستدلال امام الشرعية ، وذلك دون ان تعدل في اي حال من الاحوال ومهما كانت الظروف عن استغلال اقل امكانية شرعية لتنظيم الجماهير وللدعوة للاشتراكية . «اطلقوا النار انتم اولاً» ، ايها السادة البرجوازيون» ، هكذا كتب انجلس ، ملمحاً بالضبط الى الحرب الاهلية والى ضرورة خرق الشرعية من جانبنا بعد خرق البرجوازية لها ولقد بينت الازمة ان البرجوازية تنتهك الشرعية في جميع البلدان حتى في اوفرها حرية ، وانه يستحيل قيادة الجماهير الى الثورة ، دون تشكيل منظمة سرية غير شرعية ، تدعو الى وسائل النضال الثورية وتبحثها وتقدرها وتحضرها فكل ما يقوم به الاشتراكيون من شريف في المانيا مثلاً انما يتجه ضد الانتهازية المقيتة و«الكاوتسكية» المرائية ، ويتحقق بصورة غير شرعية على وجه الدقة وفي انجلترا يعاقب بالاشغال الشاقة كل من يطبع نداء يدعو الى رفض الخدمة العسكرية

ان اعتبار انكار الاساليب غير الشرعية في الدعاية والسخر من هذه الاساليب في الصحافة الشرعية امراً يتلاءم مع الانتساب الى الحزب الاشتراكي-الديموقراطي هو خيانة للاشتراكية

حول هزيمة حكومة «هم» في الحرب الامبريالية

ان دعاة انتصار حكومتهم في الحرب الحالية مثلهم مثل دعاة شعار «لا غالب ولا مغلوب» ، انما يقفون على حد سواء مواقف الاشتراكية-الشوفينية ففي الحرب الرجعية ، لا يمكن للطبقة الثورية ان لا تتمنى هزيمة حكومتها ان لا ترى الصلة بين اخفاقات حكومتها في الميدان العسكري وتسهيل قلبها . ان البرجوازي الذي يؤمن بأن

الحرب التي شنتها الحكومات ستنتهي حتماً كحرب بين حكومات ،
ويتمنى ذلك هو وحده الذي يجد من «المضحك» او من «الخرافة»
ان يصرح اشتراكيو جميع البلدان المتحاربة بأنهم يتمنون هزيمة
جميع حكومات «هم» غير ان مثل هذا التصريح يستجيب ، بالعكس ،
لاعمق افكار كل عامل واع ويتفق مع خطة نشاطنا الرامي الى تحويل
الحرب الامبريالية الى حرب اهلية

ولا ريب في ان قيام قسم من الاشتراكيين الانجليز والالمان
والروس بعمل تحريضي جدي ضد الحرب «قد اضعف القوة العسكرية»
لدى حكومة كل منهم ، ولكن هذا التحريض كان مآثرة للاشتراكيين
فعلى الاشتراكيين ان يوضحوا للجماهير ان ليس من خلاص لها الا
بقلب حكومات «ها» بالثورة وأنه ينبغي استغلال مصاعب هذه
الحكومات في الحرب الحالية من اجل هذا الغرض بالذات

البسالة وشعار السلام

ان ميل الجماهير الى السلام يعبر في الغالب عن بداية الاحتجاج
والغليان عن بداية ادراكها لطابع الحرب الرجعي وواجب جميع
الاشتراكيين-الديموقراطيين استغلال هذا الميل انهم سيسهمون
بأشد العزم في كل حركة وكل مظاهرة في هذا المضمار ولكنهم لن
يخدعوا الشعب بقبول الفكرة القائلة انه ، وأن لم تكن هناك اية حركة
ثورية يمكن الوصول الى صلح دون الحاقات ودون اضطهاد الامم
ونهبها صلح لا ينطوي على اجنحة لحروب جديدة بين
الحكومات الحالية والطبقات الحاكمة ان خداع الشعب على هذا النحو
انما هو بكل تأكيد وبساطة في صالح الديبلوماسية السرية
للحكومات المتحاربة وخطتها المعادية للثورة ، وعلى كل من يرغب في
سلام دائم وديموقراطي ان يؤيد الحرب الاهلية ضد الحكومات
والبرجوازية .

حول حق الامم في تقرير مصيرها

ان تضليل الشعب ، الذي تلجأ اليه البرجوازية على اوسع نطاق في هذه الحرب ، يكمن في تمويه اغراضها اللصوصية وراء فكرة «التحرر الوطني» فالانجليز يعدون بلجيكا بالحرية والالمان بولونيا الخ ولكن هذه الحرب هي ، في الواقع كما رأينا ، حرب يخوضها مضطهدو غالبية امم العالم من اجل توطيد هذا الاضطهاد وتوسيعه

ان الاشتراكيين لا يستطيعون بلوغ هدفهم الكبير ، دون النضال ضد كل اضطهاد للامم ولهذا ينبغي عليهم ان يطالبوا من كل بد بأن تعترف الاحزاب الاشتراكية-الديموقراطية في البلدان المضطهدة (ولا سيما منها المسماة بالدول «الكبرى») بحق الامم المضطهدة في تقرير مصيرها وتدافع عن هذا الحق بمعنى الكلمة السياسي بالضبط اي الحق في الانفصال السياسي وكل اشتراكي في امة استعمارية او تملك مستعمرات لا يدافع عن هذا الحق ، هو شوفيني

ان الدفاع عن هذا الحق لا يشجع على تشكيل دول صغيرة ، بل يؤدي بالعكس الى ان تتشكل بصورة اوفر حرية ودون اية خشية ، وبالتالي بصورة اوسع وارحب ، دول كبرى ومحالقات بين الدول ، هي اجدى للجماهير واكثر ملاءمة للتطور الاقتصادي

وعلى اشتراكيي الامم المضطهدة بدورهم ان يناضلوا من كل بد في سبيل الوحدة التامة (بما فيها الوحدة التنظيمية) بين عمال الامم المضطهدة والامم المضطهدة ان فكرة انفصال امة عن اخرى انفصلاً حقيقياً (وهو ما يسمى «الاستقلال الذاتي الثقافي القومي» الذي يقول به باور ورينر) هي فكرة رجعية

ان الامبريالية هي عهد اضطهاد امم العالم بأسره بصورة متزايدة من قبل حفنة من الدول «الكبرى» ؛ وعليه فان النضال في سبيل الثورة العالمية الاشتراكية ضد الامبريالية يستحيل دون الاعتراف بحق الامم

في تقرير مصيرها «ان الشعب الذي يضطهد شعوباً اخرى لا يمكن ان يمكن ان يكون حراً» (ماركس وانجلس) ولا يمكن ان تكون اشتراكية تلك البروليتاريا التي تقبل اقل عمل من اعمال العنف ترتكبه امته»ها» ضد الامم الاخرى

الفصل الثاني

الطبقات والاحزاب في روسيا

البرجوازية والحرب

في ناحية واحدة لم تقصر الحكومة الروسية عن زميلاتها الاوروبيات فقد عرفت مثلها كيف تضلل شعب «ها» على نطاق واسع جداً ففي روسيا ايضاً وضع قيد العمل جهاز هائل فظيع للدعاية الكاذبة والمناورات الماكرة بغية نقل عدوى الشوفينية الى الجماهير ، واقناعها بأن الحكومة القيصرية تخوض حرباً «عادلة» ، وتدافع بتجرد ونزاهة عن «الاخوة السلاف» ، الخ
ان طبقة الملاكين العقارين والفئات العليا من البرجوازية الصناعية والتجارية قد دعمت بحمية سياسة النزوع الى الحرب سياسة حكومة القيصر فمن قسمة الميراث التركي والنمساوي ، تنتظر ، عن حق الارباح المادية الهائلة والامتيازات وما أكثر مؤتمراتها التي تتلمظ سلفاً للذة الارباح التي ستملأ جيوبها اذا ما انتصر الجيش القيصري ثم ان الرجعيين يدركون جيداً انه اذا كان هناك شيء لا يزال بوسعه ان يؤجل انهيار ملكية آل رومانوف ويؤخر نشوب الثورة الجديدة في روسيا فلا يمكن ان يكون سوى حرب خارجية ينتصر فيها القيصر

ان الفئات الواسعة من البرجوازية «المتوسطة» في المدن ، ومن المثقفين البرجوازيين وأصحاب المهن الحرة ، الخ . ، قد اصيبت ايضاً

بعدوى الشوفينية - في بداية الحرب على الاقل وقد ساند حزب البرجوازية الليبرالية في روسيا - الكاديت - حكومة القيصر مساندة تامة لا تحفظ فيها ففي حقل السياسة الخارجية ، غدا الكاديت منذ زمن بعيد حزباً حكومياً ان الحركة السلافية التي طالما ارتكبت الديبلوماسية القيصرية بواسطتها اكبر حيلها السياسية الماكرة قد اصبحت مذهب الكاديت الرسمي وانحطت الليبرالية الروسية الى ليبرالية قومية وهي تنافس المئة السود في «الوطنية» وتصوتت دائماً بكل طيبة خاطر في صالح العسكرية والبحرية الخ وفي معسكر الليبرالية الروسية ، تلاحظ تقريباً نفس الظاهرة التي كانت تلاحظ في سنوات العقد الثامن في المانيا ، حين تفسخت الليبرالية «الحررة الفكر» وأخرجت من احشائها الحزب الليبرالي القومي ان البرجوازية الليبرالية الروسية قد سارت نهائياً في طريق الثورة المضادة وهكذا تأكدت كلياً صحة وجهة نظر ع ا د ر (حزب العمال الاشتراكي-الديموقراطي في روسيا) في هذه المسألة واثبتت الحياة بطلان رأي انتهازيينا الذي يزعم ان الليبرالية الروسية لا تزال القوة المحركة للثورة في روسيا

وبين الفلاحين ايضاً نجحت الزمرة الحاكمة بمساعدة الصحافة البرجوازية ورجال الدين الخ في خلق الميول الشوفينية ولكن بقدر ما يعود الجنود من ميادين المعجزة سيتغير المزاج في الريف بلا مرأ ، في غير صالح المملكية القيصرية ولم تستطع الاحزاب الديموقراطية البرجوازية التي لها صلة بالفلاحين ان تصمد لموجة الشوفينية ورفض حزب التروودوفيك التصويت في دوما الدولة بالموافقة على الاعتمادات العسكرية غير انه تلا بلسان زعيمه كيرنسكي بياناً «وطنيًا» ، يخدم تماماً مقاصد المملكية . وبالأجمال ، سارت كل صحافة «الشعبيين» الشرعية وراء

الليبراليين حتى ان الجناح اليساري للديموقراطية البرجوازية الحزب المسمى بحزب الاشتراكيين-الثوريين والمنتسب الى المكتب الاشتراكي العالمي قد انصب في التيار نفسه ويتخذ ممثل هذا الحزب في المكتب الاشتراكي الاممي السيد روبانوفيتش موقفاً اشتراكياً شوفينياً سافراً وصوت نصف مندوبي هذا الحزب في مجلس لندن العام لاشتراكيي بلدان «الوقاق» (٢٢٥) الى جانب القرار الشوفيني (بينما استنكف نصفهم الثاني) وللشوفينيين كلمة الفصل في صحافة الاشتراكيين-الثوريين السرية (جريدة «نوفوستي» (٢٢٦) ، الخ .) وفي هذه الحرب ، مني ثوريو «البيئة البرجوازية» ، اي الثوريون البرجوازيون غير المرتبطين بالطبقة العاملة ، بهزيمة نكراء ومن بالغ الدلالة ذلك المصير المشؤوم الذي آل اليه كروبوتكين وبورتسيف ، وروبانوفيتش

الطبقة العاملة والحرب

ان البروليتاريا هي الطبقة الوحيدة في روسيا التي لم يستطع احد حقنها بجرثومة الشوفينية ولم تلاحظ بعض ظواهر الشوفينية في بداية الحرب الا بين اشد فئات العمال جهلاً وقد بولغ كثيراً في اشتراك العمال في موبقات موسكو ضد الالمان وبوجه عام ظلت الطبقة العاملة في روسيا في عصمة من الشوفينية وسبب ذلك الوضع الثوري في البلاد والظروف العامة لحياة البروليتاريا في روسيا

فان سنوات ١٩١٢ - ١٩١٤ قد سجلت بداية نهوض ثوري جديد جليل في روسيا وها نحن نشهد من جديد حركة اضرابية واسعة ، لا سابق لها في العالم . فان الاضراب الثوري الجماهيري قد

شمل ، في عام ١٩١٣ ، وفقاً لادنى التقديرات ، مليوناً ونصف مليون من المضربين وفي عام ١٩١٤ شمل الاضراب اكثر من مليوني مضرب واقترب من مستوى عام ١٩٠٥ وعشية الحرب ادت الاحداث في بطرسبورغ الى نشوب المعارك الاولى وراء المتاريس

ان حزب العمال الاشتراكي-الديموقراطي في روسيا الحزب غير الشرعي ، قد قام بواجبه ازاء الاممية فان راية الاممية لم ترتعش بين يديه وقد حقق حزبنا منذ زمن طويل القطيعة في حقل التنظيم مع الفئات والعناصر الانتهازية ولم تكن اقدام حزبنا مثقلة بثقل الانتهازية و«الشرعية بأي ثمن كان» وهذا ما اتاح له القيام بواجبه الثوري كما ساعد الرفاق الايطاليين في الانفصال عن حزب بيسولاتي الانتهازي

ان الوضع العام في بلادنا لا يلائم ازدهار الانتهازية «الاشتراكية» بين جماهير العمال نحن نلاحظ في روسيا الواثماً من الاتجاهات الانتهازية والاصلاحية بين المثقفين ، والبرجوازية الصغيرة ، الخ ولكن هذه الانتهازية والاصلاحية لم تكسبا سوى اقلية ضئيلة بين فئات العمال النشيطة سياسياً وفئة العمال والمستخدمين المميزين ضعيفة جداً عندنا ولم يكن من الممكن ان ينشأ بيننا الولع بالشرعية . ولم يكن التصفيون (حزب الانتهازين ، بقيادة اكسيلرود وبوتريسوف وتشيريفانين وماسلوف وغيرهم) يتمتعون قبل الحرب بأي تأييد جدي بين جماهير العمال وفي الانتخابات الى دوما الدولة الرابع ، جاء نواب العمال الستة جميعهم ، من اخصام التصفوية . وبما لا يقبل الجدل تبين من عدد النسخ التي تصدرها الصحافة العمالية العلنية في بتروغراد وموسكو ومن الاموال التي تجمعها ان اربعة اخماس العمال الواعين يعارضون الانتهازية والتصفوية عند بداية الحرب اعتقلت الحكومة القيصرية ونفت الآلاف والآلاف من العمال المتقدمين ، من اعضاء حزبنا السري ، ح ع ا در .

وكان من جراء ذلك ، ومن جراء اعلان الاحكام العرفية في البلاد ، ومنع صحفنا الخ ان تعرقلت الحركة ولكن حزبنا يواصل مع ذلك نشاطه الثوري السري وفي بتروغراد تصدر لجنة حزبنا جريدة سرية باسم «بروليتارسكي غولوس» (٢٢٧) ان مقالات جريدة «سوسيال-ديموقراط» وهي جريدتنا المركزية التي تصدر في الخارج يعاد طبعها في بتروغراد وترسل الى مختلف انحاء البلاد وتصدر مناشير سرية توزع حتى في الشكنات . وخارج المدينة في شتى الاماكن غير المطروقة تعقد اجتماعات عمالية سرية وفي الآونة الاخيرة انفجرت في بتروغراد اضرابات واسعة النطاق قام بها عمال مصانع التعدين وبمناسبة هذه الاضرابات اصدرت لجنتنا في بتروغراد عدة نداءات موجهة الى العمال

كتلة العمال الاشتراكية-الديموقراطية الروسية في دوما الدولة ، والحرب

في ١٩١٣ دب الانشقاق بين النواب الاشتراكيين-الديموقراطيين في دوما الدولة من جهة ، سبعة من انصار الانتهازية بقيادة تشخيدزه وكانت قد انتخبتهم سبع محافظات غير بروليتارية تعد ٢١٤ عامل ومن جهة اخرى ستة نواب جميعهم من كوريسة العمال الانتخابية انتخبتهم اكبر المراكز الصناعية في روسيا وتعد ١٠٠٨ عامل

وكان الموضوع الرئيسي للخلاف يدور حول النقطة التالية اما تكتيك الماركسية الثورية واما تكتيك الاصلاحية الانتهازية وفي الواقع ، احتدم النزاع خاصة في النشاط خارج البرلمان بين الجماهير . هذا النشاط كان ينبغي ان يجري في روسيا بصورة سرية اذا كان القائمون به يريدون البقاء في ترربة الثورة . وظلت

كتلة تشخييدزه اخلص حليف للتصفيوين الذين رفضوا العمل السري وكانت تدافع عنهم في جميع الاحاديث مع العمال ، وفي جميع الاجتماعات ومن هنا قام الانشقاق وشكل ستة نواب كتلة العمال الاشتراكية-الديموقراطية الروسية وقد بينت سنة من العمل بما لا يقبل الجدل ان هذه الكتلة قد لفت حولها الاغلبية الساحقة من العمال الروس

في بداية الحرب تجل الخلاف بشكل واضح جداً فقد اقتصرت كتلة تشخييدزه على الميدان البرلماني ولم تصوّت بالموافقة على الاعتمادات لأنها لو صوتت لكانت قد اثارت ضدها عاصفة من الاستياء من جانب العمال (وقد لاحظنا ان حتى التروودوفيك البرجوازيين الصغار في روسيا لم يصوتوا بالموافقة على الاعتمادات). ولكنها لم ترفع الصوت ايضاً احتجاجاً على الاشتراكية-الشفوفينية اما كتلة العمال الاشتراكية-الديموقراطية الروسية التي كانت تعبر عن خطة حزبنا السياسية فقد سلكت مسلكاً آخر فقد حملت الاحتجاج على الحرب الى اعماق الطبقة العاملة وقامت بالدعاية ضد الامبريالية في قلب الجماهير الغفيرة من البروليتاريين الروس

لقيت هذه الكتلة عطفاً صادقاً من جانب العمال مما ادى الى تخويف الحكومة واجبارها على انتهاك قوانينها نفسها بكل جلاء واعتقال رفاقنا النواب والحكم عليهم بالنفي مدى الحياة الى سيبيريا وقد جاء في اول بلاغ رسمي نشرته الحكومة القيصرية بصدد اعتقال رفاقنا قولها

«وفي هذا الصدد ، اتخذ بعض اعضاء الجمعيات الاشتراكية-الديموقراطية موقفاً خاصاً تماماً ، اذ اختاروا هدفاً لنشاطهم زعزعة قوة روسيا العسكرية بالتحريض ضد الحرب عن طريق المناشير السرية والدعاية الشفوية» .

ان حزبنا وحده بلسان لجنته المركزية قد اجاب سلباً على النداء المعروف الذي وجهه فاندرفيلده الى التوقف «موقتاً» عن النضال ضد القيصرية ويتبين الآن من افادات الامير كوداشيف الوزير المفوض القيصري في بلجيكا ان فاندرفيلده لم يكتب هذا النداء وحده بل بالتعاون مع الوزير المفوض المذكور اما مركز التصفيين القيادي فقد اتفق مع فاندرفيلده واعلن رسمياً في الصحافة انه «لا يعارض الحرب في نشاطه»

وقد بدأت الحكومة القيصرية باتهام رفاقنا النواب بنشر هذا الجواب السلبي على فاندرفيلده بين العمال وفي المحاكمة ضرب المدعي العام القيصري السيد نيناروكوموف لرفاقنا مثلاً بالاشتراكيين الالمان والفرنسيين . وقال : «ان الاشتراكيين - الديموقراطيين الالمان قد صوتوا بالموافقة على الاعتمادات العسكرية واصبحوا اصدقاء الحكومة هكذا سلك الاشتراكيون - الديموقراطيون الالمان بينا سلك فرسان الاشتراكية - الديموقراطية الروسية التعساء مسلكاً آخر ان اشتراكيي بلجيكا وفرنسا قد نسوا كلهم كرجل واحد خلافاتهم مع الطبقات الاخرى نسوا النزاعات الحزبية وانضوا بلا تردد تحت الاعلام» بينا سلك اعضاء كتلة العمال الاشتراكية - الديموقراطية الروسية نزولاً على توجيهات لجنة الحزب المركزية مسلكاً آخر

وقد عرضت المحاكمة لوحة آسرة عن العمل التحريضي السري الواسع الذي قام به حزبنا بين جماهير البروليتاريا ضد الحرب يقيناً ان المحاكمة القيصرية لم تتمكن بالطبع من «كشف» كل نشاط رفاقنا في هذا الميدان ولكن ما كشف قد بين ان ما تم فعله في فترة وجيزة من الزمن في بضعة اشهر كان كثيراً جداً واثناء المحاكمة تليت مناشير سرية اصدرتها فرقنا ولجاننا ضد الحرب وفي سبيل تكتيك اممي . وكانت خطوط تنطلق من

العمال الواعين في عموم روسيا وتربّطهم باعضاء كتلة العمال الاشتراكية-الديموقراطية الروسية ، التي كانت تبذل جهدها ، بقدر امكانها لمساعدتهم على تقدير الحرب من وجهة نظر الماركسية قال الرفيق مورانوف نائب عمال محافظة خاركوف امام المحكمة

«لقد كنت اتوجه الى انحاء البلاد لمعرفة مزاج الطبقة العاملة ، ادراكاً مني ان الشعب لم يرسلني الى دوما الدولة لاجلس على مقعدي النيابي بخمول» واعترف ايضاً امام المحكمة بانه تولى وظائف محرض سري في حزبنا وبأنه نظم في الاورال لجنة عمالية في معمل فرخني-ايسيتسكي وفي اماكن اخرى وقد بينت المحاكمة ان اعضاء كتلة العمال الاشتراكية-الديموقراطية الروسية قد زاروا جميع انحاء روسيا تقريباً منذ بداية الحرب ، من اجل الدعاية وان مورانوف ، وبتروفسكي وبادايف وغيرهم قد نظموا عدداً كبيراً من الاجتماعات العمالية حيث اتخذت قرارات ضد الحرب الخ وقد هددت الحكومة القيصرية المتهمين بعقوبة الاعدام ولهذا لم يبد الجميع من الشجاعة اثناء المحاكمة قدر ما ابدى الرفيق مورانوف ، بل سعوا جهدهم لمنع المدعين العامين القيصريين من طلب الحكم عليهم وهذا ما يستغله الآن الاشتراكيون-الشوفينيون الروس بدناءة لتعمية جوهر المسألة اية برلمانية تحتاج اليها الطبقة العاملة ؟

البرلمانية انما يعترف بها زوديكوم مع هينه سامبا مع فايان بيسولاتي مع موسولينني تشخييدزه مع بليخانوف البرلمانية انما يعترف بها ايضاً رفاقنا في كتلة العمال الاشتراكية-الديموقراطية الروسية وكذلك الرفاق البلغار والايطاليون الذين قطعوا كل صلة لهم بالشوفينيين هناك برلمانية وبرلمانية بعضهم يستغل المنبر البرلماني ليكسب ود حكومته ، او في احسن الاحوال ،

لنفض يديه كما فعلت كتلة تشخييدزه وبعضهم الآخر يستغل البرلمانية لكي يبقى ثورياً الى النهاية ، لكي يقوم بواجبه الاشتراكي والاممي مهما صعبت الظروف ان النشاط البرلماني يقود بعض الناس الى المقاعد الوزارية بينا يقود بعضهم الآخر الى السجن والمنفى والاشغال الشاقة بعضهم يخدم البرجوازية وبعضهم الآخر البروليتاريا بعضهم اشتراكي-امبريالي وبعضهم الآخر ماركسي ثوري

الفصل الثالث

بعث الاممية

كيف يجب بعث الاممية ؟ ولكن اولاً بعض كلمات عن النقطة التالية كيف لا يجب بعث الاممية

طريقة الاشتراكيين-الشوفينيين و«الوسط»

يا للاشتراكيين-الشوفينيين في جميع البلدان من «اممين» كبار فهم منذ بداية الحرب بالضبط يحملون هم الاممية انهم من جهة يؤكدون ان الاشاعات عن افلاس الاممية «مبالغ فيها» وفي الواقع لم يحدث اي شيء خارق اسمعوا كاوتسكي الاممية هي بكل بساطة «اداة لزمان السلم» وطبيعي ان هذه الاداة لم تكن متناسبة بعض الشيء مع مستوى الاحداث في زمن الحرب ومن جهة اخرى وجد الاشتراكيون-الشوفينيون من جميع البلدان وسيلة بسيطة جداً- واممية وهذا هو الشيء الرئيسي - للخروج من الوضع الذي نشأ الوسيلة غير معقدة ينبغي فقط انتظار نهاية الحرب فحتى انتهاء الحرب يتعين على اشتراكي كل بلد ان يدافعوا عن وطنهم» وان يدعموا حكوماتهم» ؛ ومتى انتهت

الحرب ، «يعفو» بعضهم عن بعض ويعترف الجميع بأن الجميع كانوا على حق واننا في زمن السلم نعيش كالاخوة واننا في زمن الحرب وبموجب هذه القرارات او تلك على وجه الضبط ندعو العمال الالمان الى اباداة اخوانهم الفرنسيين ، والعكس بالعكس

وحول هذه النقطة يلتقي على حد سواء كاوتسكي وبلليخانوف وفكتور آدلر وهينه وقد كتب فكتور آدلر يقول «متى ولت هذه المرحلة القاسية سيكون واجبنا الاول ان لا نلوم بعضنا بعضا» (٢٢٨) ويؤكد كاوتسكي انه «لم ترتفع حتى الآن من اي مكان اية

اصوات لأي اشتراكيين جديين تثير الخوف» على مصير الاممية ويقول بلليخانوف انه «من المزعج مصافحة الايدي (ايدي الاشتراكيين-الديموقراطيين الالمان) الملطخة بدم المقتولين الابرياء» ولكنه سرعان ما يقترح «العفو» ويقول «من الملائم تماماً هنا اخضاع القلب للعقل وعلى الاممية باسم قضيتها الجليلة ان تأخذ حتى الندم المتأخر بعين الاعتبار» وفي «Sozialistische Monatshefte» ينعت هينه سلوك فاندرفيلده بانه

سلوك زاهر «بالشجاعة والاباء» ويقدمه قدوة لليساريين الالمان وبكلمة ، حين تنتهي الحرب ، عينوا لجنة تتألف من كاوتسكي وبلليخانوف وفاندرفيلده وآدلر فسرعان ما يتخذ قرار «اجماعي» بروح العفو المتبادل ويطمس الجدل بكل سهولة وبدلاً من مساعدة العمال على ان يبصروا بوضوح ما جرى ، سيخدعونهم بوساطة «وحدة» ظاهرية ورقية وسيدعى اتحاد الاشتراكيين-

الشفوفينيين والمنافقين من جميع البلدان بعث الاممية ونحن لا يسعنا اخفاء الامر عن انفسنا وهو ان خطر مثل هذا البعث كبير جداً ان الاشتراكيين-الشفوفينيين من جميع البلدان لهم المصلحة في هذا البعث جميعهم على حد سواء لا يريدون ان تدرك الجماهير العمالية في بلادهم بوضوح المسألة

التالية الاشتراكية ام التعصب القومي لجميعهم نفس المصلحة في ستر آثام بعضهم بعضاً ولا يستطيع اي منهم ان يعرض غير ما يعرضه كاوتسكي ، هذا الفنان الفذ في الرياء «الامي»
والحال ليس هناك تقدير كاف لهذا الخطر فقد رأينا طوال سنة الحرب ، عدداً من المحاولات لبعث الصلات الاممية ولن نتحدث عن مؤتمر لندن وفيينا (٢٢٩) حيث اجتمع نفر من الشوفينيين السافرين ليساعدوا هيئات الاركان العامة والبرجوازية في «اوطانهم» اننا نعني مؤتمر لوغانو ومؤتمر كوبنهاغ (٢٣٠) ومؤتمر النساء العالمي ومؤتمر الشبيبة العالمي (٢٣١) فهذه الندوات كانت مفعمة بأطيب النوايا ولكنها لم تلاحظ الخطر المشار اليه اطلاقاً ولم تضع خطة الامميين الكفاحية ولم تبين للبروليتاريا الخطر الذي يتهددها من جراء الطريقة الاشتراكية-الشوفينية في «بعث» الاممية كل ما هناك انها اقتصرت على تكرار القرارات القديمة دون ان توضح للعمال ان لا امل في نجاح قضية الاشتراكية دون النضال ضد الاشتراكيين-الشوفينيين وكل ما فعلته انها واوحت في مكانها .

الوضع في قلب المعارضة

لا سبيل الى الريب ان الوضع في قلب المعارضة الاشتراكية-الديموقراطية الالمانية على اكبر جانب من الاهمية بالنسبة لجميع الامميين فان الاشتراكية-الديموقراطية الالمانية الرسمية التي كانت الحزب الاقوى الحزب القائد في قلب الاممية الثانية قد سددت اقوى ضربة الى منظمة العمل الاممية ولكنه تبين في الوقت نفسه ان المعارضة بدت اقوى ما تكون في الاشتراكية-الديموقراطية الالمانية . فالاشتراكية-الديموقراطية الالمانية كانت اول حزب من

بين الاحزاب الاوروبية الكبيرة احتج فيه الرفاق الذين ظلوا امناء لراية الاشتراكية احتجاجاً قوياً وقد قرأنا بسرور مجلتي «Lichtstrahlen» (٢٣٢) و «Die Internationale» وبسرور اكبر علمنا ايضاً بانتشار مناشير ثورية سرية في المانيا ، نذكر منها مثلاً «العدو الرئيسي موجود في بلادكم بالذات» وكان هذا دليلاً على ان روح الاشتراكية حية بين العمال الالمان ، وأنه لا يزال يوجد ، في المانيا ، اناس قادرون على الدفاع عن الماركسية الثورية

وفي قلب الاشتراكية-الديموقراطية الالمانية برز بأكبر قدر من الجلاء ، الانشقاق في الاشتراكية المعاصرة فاننا نرى هنا بكل وضوح ثلاثة تيارات الانتهازيون الشوفينيون ، الذين لم يبلغوا ، في اي مكان آخر هذه الدرجة من الانحطاط والارتداد كما في المانيا ؛ و«الوسط» الكاوتسكي الذي ظهر هنا عاجزاً كلياً عن القيام بدور غير دور الخادم المطيع للانتهازيين والجناح اليساري ، الذي يمثل وحده الاشتراكيين-الديموقراطيين الحقيقيين في المانيا

واكثر ما يهمنا طبعاً ، انما هي الحالة في قلب الجناح اليساري الالمانى فاننا نرى فيه رفاقنا ، امل جميع العناصر الاممية فما هي هذه الحالة اذن ؟

لقد كانت مجلة «Die Internationale» على حق تام حين اكدت ان كل شيء في الجناح اليساري الالمانى لا يزال في اختبار وأنه ستحدث تغيرات كبيرة في التكتلات وان في صفوفه عناصر اشد حزماً واخرى اقل حزماً

ونحن الامميين الروس ، لا نرغب اطلاقاً بالطبع ، في التدخل في الشؤون الداخلية لرفاقنا اليساريين الالمان اننا ندرك انهم وحدهم اصحاب الصلاحية المطلقة في تحديد طرائق نضالهم ضد الانتهازيين ، مع اخذ ظروف المكان والزمان بعين الاعتبار غير اننا نرى ان من حقنا وواجبنا ان نبدي رأينا علناً في الحالة .

نحن مقتنعون بأن كاتب المقال الافتتاحي في مجلة «Die Internationale» قد كان على حق تام حين أكد ان «الوسط» الكاوتسكي هو اكثر ضرراً لقضية الماركسية من الاشتراكية- الشوفينية السافرة ان من يطمس الخلافات الآن ويلقن العمال ما تلقنه الكاوتسكية زاعماً ان هذا من الماركسية انما يخدر العمال وهو اكثر ضرراً من امثال زوديكوم وهينه الذين يطرحون المسألة بكل حدة ويضطرون العمال الى تفهم الامر

ان الحملات التي يسمح بها كاوتسكي وهازه لنفسيهما منذ بعض الوقت ضد «الهيئات العليا»، يجب ان لا تخدع احداً فالخلافات بينهما واضراب شيدمان ليست بالخلافات المبدئية فبعضهم يعتبر ان هندنبورغ وماكنزن قد انتصرا وأنه يمكن له الآن ان يسمح لنفسه بترف الاحتجاج على اللاحقات وبعضهم الآخر يعتبر ان هندنبورغ وماكنزن لم ينتصرا بعد وأنه يجب بالتالي «الصمود الى النهاية»

ان الكاوتسكية لا تخوض ضد «الهيئات العليا» سوى كفاح ظاهري وذلك بالضبط لكي تخفي الخلافات المبدئية بعد الحرب عن عيون العمال وتموه القضية بالقرار المسهب الواحد بعد الالف من القرارات الحافلة بروح «اليسارية» الغامضة التي يتقنها ديبلوماسيو الاممية الثانية

ومفهوم تماماً انه يتعين على المعارضة الالمانية ان تستفيد ايضاً في نضالها الصعب ضد «الهيئات العليا» من حملات الكاوتسكية هذه التي لا تقوم على مبدأ غير ان المحك بالنسبة لكل اممي يجب ان يبقى الموقف السلبي من الكاوتسكية الجديدة فليس بالاممي الحقيقي الا ذاك الذي يكافح الكاوتسكية ويدرك ان «الوسط» لا يزال من حيث المبدأ حليف الشوفينيين والانتهازيين ، حتى بعد انعطاف زعمائه المزعوم .

ان موقفنا من العناصر المترددة في قلب الاممية على العموم يتسم باهمية كبرى فهذه العناصر - واكثريتها اشتراكيون ذوو صبغة مسالمة - موجودة في البلدان المحايدة كما في بعض البلدان المحاربة (في انجلترا مثلاً ، حزب العمال المستقل) ومن الممكن ان تصبح هذه العناصر رفيقتنا في الطريق والتقارب معها ضد الاشتراكيين- الشوفينيين امر لا غنى عنه ولكن يجب ان لا ننسى ان هذه العناصر رفيقة طريق فحسب وانها لن تكون معنا في القضايا الرئيسية والجوهرية لدى بعث الاممية بل ضدنا وانها ستتبع كاوتسكي وشيدمان وفاندر فيلده وسامبا ولا يسعنا في المداولات الاممية ان نحصر برنامجنا فيما هو مقبول لدى هذه العناصر ، والا غدونا نحن انفسنا اسرى هؤلاء المسالمين المترددين . هكذا كان الحال مثلاً في مؤتمر النساء العالمي في برن فان الوفد الالمانى الذي كان يشاطر الرفيقة كلارا تسيتكين الرأي قد قام عملياً في هذا المؤتمر بدور «الوسط» ولم يفصح مؤتمر النساء الا عما كان مقبولاً لدى مندوبات حزب ترولسترا الهولندي الانتهازي ولدى مندوبات I.L.P. (حزب العمال المستقل) الذي صوت - ويجب ان لا ننسى هذا - بالموافقة على قرار فاندر فيلده في المؤتمر الذي عقده شوفينيو «الوفاق» في لندن واننا لنعرب I.L.P. عن اصدق احترامنا لنضاله الباسل ضد الحكومة الانجليزية اثناء الحرب ولكننا نعرف ان هذا الحزب لم يقف ولا يقف على صعيد الماركسية والحال نحن نعتبر ان المهمة الرئيسية التي تواجه المعارضة الاشتراكية-الديموقراطية في الوقت الحاضر انما هي اعلاء راية الماركسية الثورية وشرح وجهة نظرنا عن الحروب الامبريالية للعمال بصلافة ودقة ورفع شعار الاعمال الثورية الجماهيرية اي تحويل مرحلة الحروب الامبريالية الى بداية مرحلة من الحروب الاهلية .

ان العناصر الاشتراكية - الديمقراطية الثورية موجودة رغم كل شيء ، في كثرة من البلدان انها موجودة في المانيا وروسيا وسكاندينافيا (اتجاه نافذ يمثله الرفيق هوغلوند) والبلقان (حزب «التسنيك» البلغاري) وايطاليا وانجلترا (قسم من الحزب الاشتراكي البريطاني) وفرنسا (لقد اعترف فايان نفسه في «L'Humanité» بأنه تلقى رسائل احتجاج من الاميين ولكنه لم ينشر واحدة منها بنصها الكامل) وهولندا (المنبريون (٢٣٣)) ، الخ ان جمع شمل هذه العناصر الماركسية - مهما كانت قليلة في بداية الامر - والتذكير باسمها بأقوال الاشتراكية الحقيقية المنسية الآن ودعوة عمال جميع البلدان الى قطع كل صلة مع الشوفيين والانضواء تحت علم الماركسية القديم هذه هي مهمة اليوم

لقد كانت المداولات ذات البرامج المسماة ببرامج «العمل» تقتصر حتى الآن على ان تعلن بهذه الدرجة او تلك من الكمال برنامج مسالمة بسيطة ان الماركسية ليست مذهب المسالمة ان النضال في سبيل وقف الحرب بأسرع ما يمكن امر لا غنى عنه ولكن مطلب «السلام» لا يأخذ معنى بروليتاريا الا عندما يصحبه النداء الى النضال **الثوري** فبدون سلسلة من الثورات يبقى ما سمي بالسلام الديمقراطي وهماً من الاوهام البرجوازية الصغيرة ان البرنامج **الماركسي** وحده من شأنه ان يكون برنامجاً حقيقياً للعمل برنامجاً يعطي الجماهير تفسيراً كاملاً واضحاً عما جرى ويشرح ما هي الامبريالية وكيف ينبغي محاربتها برنامجاً يعلن صراحة ان افلاس الاممية الثانية قد ادت اليه الانتهازية ويدعو صراحة الى تأسيس اممية ماركسية دون الانتهازيين **و ضد**هم ان مثل هذا البرنامج وحده الذي يبين اننا نثق بانفسنا نثق بالماركسية وأننا نعلن على الانتهازية نضالاً لا هوادة فيه من شأنه ان يؤمن لنا ، ان عاجلاً ام آجلاً ، عطف الجماهير البروليتارية الحقيقية .

حزب العمال الاشتراكي-الديموقراطي في روسيا والاممية الثالثة

ان ح ع ادر قد انشق عن انتهازيه منذ زمن بعيد وإن الانتهازيين الروس قد غدوا الآن شوفينيين ايضاً ولم يؤدّ هذا الامر الا الى تمسكنا بالرأي القائل بأن هذا الانشقاق ضروري في مصلحة الاشتراكية ونحن على اقتناع بأن الخلافات الحالية بين الاشتراكيين-الديموقراطيين والاشتراكيين-الشوفينيين ليست اطلاقاً اقل من الخلافات التي كانت قائمة بين الاشتراكيين والفوضويين حين انشق الاشتراكيون-الديموقراطيون عن الفوضويين قال الانتهازي Monitor بحق في «Preufische Jahrbücher» ان الوحدة الحالية مفيدة للانتهازيين وللبرجوازية لأن هذه الوحدة تجبر اليساريين على الخضوع للشوفينيين وتمنع العمال من تفهم الخلافات ومن انشاء حزب عمالي حقاً واشتراكي حقاً ونحن على اشد الاقناع بأن الانشقاق عن الانتهازيين والشوفينيين في الوضع الراهن هو الواجب الاول على كل ثوري كما كان الانشقاق عن الصفر واعداء السامية والاتحادات العمالية الليبرالية الخ ضرورياً بالضبط لتوعية العمال المتأخرين بأسرع ما يمكن واجتذابهم الى صفوف الحزب الاشتراكي-الديموقراطي

ان الاممية الثالثة يجب ان تقوم حسب رأينا على هذا الاساس الثوري بالضبط ان مسألة فائدة القطيعة مع الاشتراكيين-الشوفينيين غير واردة بالنسبة لحزبنا فقد حُلّت نهائياً بالنسبة له ولا ترد بالنسبة له مسألة معرفة ما اذا كان هذا الامر يمكن ان يتحقق في مستقبل قريب ، على النطاق العالمي

ومفهوم تماماً انه من اجل تأسيس منظمة ماركسية عالمية يجب ان يكون ثمة استعداد لانشاء احزاب ماركسية مستقلة في

مختلف البلدان ان لالمانيا بوصفها بلد اقدم وأقوى حركة عمالية اهمية حاسمة وسيكشف المستقبل القريب ما اذا كانت الاوضاع قد نضجت من اجل تشكيل اممية جديدة ، ماركسية فاذا كانت قد نضجت فان حزبنا سينضم بسرور الى هذه الاممية الثالثة ، المطهرة من الانتهازية والشوفينية . اما اذا كانت لم تنضج فان هذا سيكون دليلاً على ان ذلك التطهير يحتاج الى مرحلة للتطور طويلة الى هذا الحد او ذلك وفي هذه الحال سيؤلف حزبنا اقصى المعارضة في داخل الاممية السابقة ، الى ان تنشأ في مختلف البلدان قاعدة لرابطة عمالية اممية تقوم على اساس الماركسية الثورية نحن لا نعرف ولا يمكننا ان نعرف كيف تتطور الاوضاع في السنوات القريبة القادمة ، على النطاق العالمي ولكن ما نعرفه بكل تأكيد وما نحن مقتنعون به راسخ الاقتناع هو ان حزبنا نحن سيعمل في بلادنا نحن ، في صفوف بروليتاريانا نحن بلا كلل ، في هذا الاتجاه وسينشئ بكل نشاطه اليومي فرعاً روسياً للاممية

الماركسية

وعندنا ايضاً في روسيا لا ينقصنا الاشتراكيون - الشوفينيون السافرون ولا كتل «الوسط» وسيناضل هؤلاء القوم ضد تأسيس اممية ماركسية فنحن نعرف ان بليخانوف يقف على نفس الصعيد المبدئي الذي يقف عليه زوديكوم وأنه يمد له يده منذ الآن ونحن نعرف ان ما يسمى «باللجنة التنظيمية» التي يرأسها اكسيلرود تروج بالكاوتسكية المستنبطة في الارض الروسية وبرفع شعار وحدة الطبقة العاملة يدعو هؤلاء القوم الى الوحدة مع الانتهازيين ومع البرجوازية عن طريقهم ولكن كل ما نعرفه عن واقع الحركة العمالية في روسيا يبعث فينا الثقة التامة بان البروليتاريا الواعية في روسيا ستبقى مع حزبنا كما في الامس .

الفصل الرابع

تاريخ الانشقاق ، ووضع الاشتراكية-الديموقراطية الراهن في روسيا

ان تكتيك ح ع ادر فيما يتعلق بالحرب ،المعروض آنفاً ، هو نتيجة محتمة لثلاثين سنة من تطور الاشتراكية-الديموقراطية في روسيا ومن المستحيل فهم هذا التكتيك فهماً صحيحاً ، وكذلك فهم حالة الاشتراكية-الديموقراطية في بلادنا في الوقت الحاضر دون التأمل في تاريخ حزبنا ولذا يترتب علينا ان نذكر القارى هنا ايضاً بوقائع هذا التاريخ الاساسية

ان الاشتراكية-الديموقراطية بوصفها تياراً فكرياً قد ظهرت الى الوجود عام ١٨٨٣ حين عرضت فرقة «تحرير العمل» في الخارج ، لأول مرة وبصورة منهجية المفاهيم الاشتراكية-الديموقراطية مطبقة على روسيا وحتى مطلع العقد العاشر ظلت الاشتراكية -الديموقراطية تياراً فكرياً لا صلة له مع الحركة العمالية الجماهيرية في روسيا وفي مطلع العقد العاشر ، جعل النهوض الاجتماعي وغلبيان العمال وحركتهم الاضراية من الاشتراكية-الديموقراطية قوة سياسية فعالة ، على صلة وثيقة بنضال الطبقة العاملة (الاقتصادي والسياسي على حد سواء) ومنذ ذلك الحين ايضاً بدأ انقسام الاشتراكية-الديموقراطية الى «اقتصاديين» و«ايسكرين»

«الاقتصاديون» و«الايسكر» القديمة

(١٨٩٤-١٩٠٢)

كانت «الاقتصادية» تياراً انتهازياً في الاشتراكية-الديموقراطية الروسية وجوهرها السياسي يقتصر على برنامج «للعمال النضال الاقتصادي . لليبيرالين ، النضال السياسي» . وكانت

دعامتها النظرية الرئيسية ما يسمى «الماركسية الشرعية» اي «الستروفية» ، التي «كانت تعترف» «بالماركسية» مطهرة تماماً من كل روح ثورية ومكيفة وفقاً لحاجات البرجوازية الليبرالية وبحجة حالة التأخر السائدة لدى جماهير العمال في روسيا ، ورغبة في «السير مع الجماهير» قصر «الاقتصاديون» مهمات الحركة العمالية ونطاقها على النضال الاقتصادي وعلى مساندة الليبرالية سياسياً دون ان يعينوا لأنفسهم مهمات سياسية مستقلة ولا اية مهمة ثورية

اما «اليسكرا» القديمة (١٩٠٠ - ١٩٠٣) فقد خاضت نضالاً مظفراً ضد «الاقتصادية» باسم مبادئ الاشتراكية-الديموقراطية الثورية وقد انضم الى جانب «اليسكرا» كل النخبة من البروليتاريا الواعية وقبل الثورة ببضع سنوات تقدمت الاشتراكية-الديموقراطية بالبرنامج الاوفر انسجاماً والابعد عن المساومة وقد جاء نضال الطبقات وتحركات الجماهير خلال ثورة ١٩٠٥ تأكيداً على صحة هذا البرنامج كان «الاقتصاديون» يتكيفون وفقاً لتأخر الجماهير اما «اليسكرا» ، فقد كانت تربى طليعة عمالية قادرة على قيادة الجماهير الى الامام وان حجج الاشتراكيين-الشفوفينيين الحالية (حول ضرورة حسابان الحساب للجماهير وحول طابع الامبريالية التقدمي وحول «اوهام» الثوريين الخ .) كان «الاقتصاديون» قد وضعوها كلها ومنذ عشرين سنة عرفت روسيا الاشتراكية-الديموقراطية التعديل الانتهازي للماركسية وفقاً ل«الستروفية»

المنشفية والبشفية (١٩٠٣-١٩٠٨)

ان عصر الثورة الديموقراطية البرجوازية قد ادى الى صراع جديد بين التيارات في قلب الاشتراكية-الديموقراطية . وقد كان هذا الصراع امتداداً مباشراً للصراع السابق . فقد انقلبت «الاقتصادية»

الى «منشفية» اما الدفاع عن التكتيك الثوري الذي انتهجه
«الايسكرا» القديمة فقد ادى الى ظهور «البلشفية»
وفي الحقبة العاصفة الممتدة ما بين ١٩٠٥ و ١٩٠٧ كانت
المنشفية تياراً انتهازياً يدعمه البرجوازيون الليبراليون ويطبق
النزعات البرجوازية الليبرالية في الحركة العمالية وكان جوهر
المنشفية تكييف نضال الطبقة العاملة وفقاً لليبرالية. اما البلشفية ،
فانها ، على العكس وضعت امام العمال الاشتراكيين-الديموقراطيين
مهمة النهوض بالفلاحين الديموقراطيين للنضال الثوري خلافاً
لتأرجحات الليبرالية وخياناتها فان جماهير العمال كما اقر
المناشفة انفسهم اكثر من مرة ، قد سارت وراء البلاشفة اثناء الثورة ،
في جميع التحركات الهامة

لقد برهنت ثورة ١٩٠٥ على صحة التكتيك الاشتراكي-
الديموقراطي الثوري البعيد عن المساومة في روسيا ، ودعمته وعمقته
وقوته وأكثر من مرة بيّن نشاط الطبقات والاحزاب السافر صلة
الانتهازية الاشتراكية-الديموقراطية («المنشفية») مع الليبرالية

الهادسية والتصفوية (١٩٠٨-١٩١٤)

ان فترة الثورة المضادة قد طرحت من جديد على بساط
البحث وبشكل جديد تماماً مسألة تكتيكي الاشتراكية-
الديموقراطية التكتيك الانتهازي والتكتيك الثوري فان التيار
الرئيسي في المنشفية قد ادى رغم احتجاجات عدد كبير من خيرة
ممثلها الى ظهور تيار التصفية والى العدول عن النضال من اجل
ثورة جديدة في روسيا ، وعن التنظيم والنشاط السريين ، والى السخر
والازدراء بالنشاط السري وشعار الجمهورية الخ وفي شخص
الفريق الادبي العلني لمجلة «ناشا زاريا» (السادة بوتريسوف ،

وتشيريفانين ، الخ .) تشكلت نواة مستقلة عن الحزب الاشتراكي-الديموقراطي القديم وهي النواة التي كانت البرجوازية الليبرالية في روسيا تدعمها وتطريها وتداريها بألف وسيلة ووسيلة ، رغبة منها في صرف العمال عن النضال الثوري

وقد طرد هذا الفريق الانتهازي من الحزب في المجلس العام الذي عقده ح ع ادر في كانون الثاني (يناير) ١٩١٢ والذي اعاد تشكيل الحزب رغم المقاومة المسعورة التي ابدتها جملة كاملة من الكتل الصغيرة والفرق العاملة في الخارج وخلال اكثر من سنتين (بداية ١٩١٢ - منتصف ١٩١٤) ، استمر النضال ضارياً بين الحزبين الاشتراكيين-الديموقراطيين واللجنة المركزية المنتخبة في كانون الثاني (يناير) ١٩١٢ و«اللجنة التنظيمية» التي لم تعترف بالمجلس العام المنعقد في كانون الثاني وشاءت اعادة تشكيل الحزب على نحو آخر ، اي بالحفاظ على الوحدة مع فريق «ناشا زاريا» وقد دار صراع عنيد فيما بين الجريدتين العماليتين اليومييتين («البرافدا» و«لوتش» ، وخليفتاهما) وكذلك فيما بين الكتلتين الاشتراكييتين-الديموقراطيتين في دوما الدولة الرابع («كتلة العمال الاشتراكية-الديموقراطية الروسية» من البرافديين اي الماركسيين و«الكتلة الاشتراكية-الديموقراطية» من التصفويين وعلى رأسها تشخييده)

ان «البرافديين» مع دفاعهم عن الاخلاص لوصايا الحزب الثورية ودعمهم نهوض الحركة العمالية الذي بدأ (ولا سيما بعد ربيع ١٩١٢) وجمعهم بين التنظيم السري والعلني والصحافة السرية والعلنية ، والنشاط التحريضي السري والعلني ، قد لفوا حولهم الاغلبية الساحقة من الطبقة العاملة الواعية في حين ان التصفويين ، الذين لم يكونوا يعملون كقوة سياسية الا بوصفهم فريق «ناشا زاريا» ، كانوا يعتمدون على التأييد الكلي من جانب العناصر البرجوازية الليبرالية .

ان المدفوعات التي كانت تؤديها فرق العمال علناً لصحف الحزبين باعتبارها شكلاً لاشتراكات عضوية الاشتراكيين-الديموقراطيين مكيّفاً للاوضاع الروسية في ذلك العهد (وهو الشكل الوحيد الذي كان مسموحاً به شرعاً وقابلاً لمراقبة الجميع بحرية) ، قد اكدت بوضوح المصدر البروليتاري لقوة «البرافدين» (الماركسيين) ونفوذهم والمصدر الليبرالي البرجوازي للتصفيين («لجنتهم التنظيمية») وفيما يلي المعطيات الموجزة عن هذه الاشتراكات التي وردت بالتفصيل في كتاب «الماركسية والتصفوية» (٢٣٤) وباختصار في الجريدة الاشتراكية-الديموقراطية الالمانية «جريدة لايبزيغ الشعبية» (٢٣٥) ، بتاريخ ٢١ تموز (يوليو)

١٩١٤

عدد المدفوعات وحاصلها النقدي لصحف بطرسبورغ اليومية ، التابعة للماركسيين (البرافدين) والتصفيين ، من اول كانون الثاني (يناير) الى ١٣ ايار (مايو) ١٩١٤

التصفيون		البرافديون		
عدد المدفوعات بالمبالغ بالروبلات	عدد المدفوعات بالمبالغ بالروبلات	عدد المدفوعات بالمبالغ بالروبلات	عدد المدفوعات بالمبالغ بالروبلات	
٥ ٢٩٦	٦٧١	١٨ ٩٣٤	٢ ٨٧٣	من فرق العمال
٦ ٧٦٠	٤٥٣	٢ ٦٥٠	٧١٣	من غير فرق العمال

وهكذا كان حزبنا يجمع عام ١٩١٤ اربعة اخماس العمال الواعين في روسيا حول التكتيك الاشتراكي-الديموقراطي الثوري وخلال عام ١٩١٣ بكامله ، بلغ عدد المدفوعات التي دفعتها فرق العمال ٢ ١٨١ عند البرافديين و ٦٦١ عند التصفيين . ومن اول

كانون الثاني (يناير) ١٩١٣ الى ١٣ ايار (مايو) ١٩١٤ كان مجموع المدفوعات الواردة من فرق العمال ٥٠٥٤ عند «البرافدين» (اي عند حزبنا) و ١٣٣٢ اي ٢٠,٨ بالمئة ، عند التصفيوين

الماركسية والاشتراكية-الشفوفينية (١٩١٤-١٩١٥)

ان الحرب الاوروبية الكبرى في ١٩١٤ - ١٩١٥ قد مكنت جميع الاشتراكيين-الديموقراطيين الاوروبيين ، وكذلك الروس ، من التثبت من صحة تكتيكهم على محك ازمة عالمية النطاق ان الطابع الرجعي واللصوصي والاستعبادي للحرب من جانب القيصرية اوضح بما لا حد له منه من جانب الحكومات الاخرى غير ان الفريق الرئيسي من التصفيوين (وهو عدا حزبنا الفريق الوحيد الذي يتمتع بنفوذ جدي في روسيا بفضل علاقاته مع الليبيراليين) قد اتجه نحو الاشتراكية-الشفوفينية ! ان فريق «ناشا زاريا» هذا لاحتفاظه زمناً طويلاً نسبياً باحتكار العلنية ، راح يعظ في صفوف الجماهير «بعدم المقاومة للحرب» ويعرب عن تمنياته بانتصار الوفاق الثلاثي (الرباعي اليوم) ، متهماً الامبريالية الالمانية بالانام «الاستثنائية» الخ ان بليخانوف ، الذي قدم ابتداء من عام ١٩٠٣ ، امثلة كثيرة على نقص مطلق في الصلابة السياسية وعلى انتقاله الى جانب الانتهازيين ، وقف الموقف نفسه بمزيد من الوضوح ، وقد اثنت عليه الصحافة البرجوازية كلها في روسيا وقد انحط بليخانوف الى درجة التصريح بأن الحرب من جانب القيصرية حرب عادلة ، ونشر احاديث في صحف ايطاليا الرسمية لجر هذا البلد الى الحرب !

وهكذا تاكدت بصورة تامة صحة تقديرنا للتصفوية وطرد فريق التصفيوين الرئيسي من حزبنا ان برنامج التصفيوين الحقيقي واهمية اتجاههم الحقيقية لا يتجليان اليوم في الانتهازية بوجه عام

وحسب ، بل أيضاً في دفاعهم عن امتيازات ملاكي الاراضي والبرجوازيين الروس ومصالحهم بوصفهم رعايا دولة كبرى وهذا هو اتجاه السياسة العمالية الليبرالية القومية انه تحالف قسم من صغار البرجوازيين الراديكاليين وقسم ضئيل من العمال المميزين مع برجوازية «هم» الوطنية ضد جماهير البروليتاريا

الوضع الراهن في الاشتراكية-الديموقراطية في روسيا

لقد سبق وقلنا انه لم يعترف بالمجلس العام الذي عقدناه في كانون الثاني (يناير) ١٩١٢ لا التصفيون ولا جملة كاملة من الفرق المقيمة في البلاد الاجنبية (فرق بليخانوف والكسينسكي وتروتسكي وغيرها) ولا الاشتراكيون-الديموقراطيون الذين يسمون «بالقوميين» (اي غير الروس) وبين الشتائم العديدة التي انهالوا بها علينا كانت تتردد في اكثر الأحيان تلك التي تتهمنا «بالاغتصاب» و«النشاط الانشقاقى» اما جوابنا فكان ايراد ارقام دقيقة قابلة للتحقيق الموضوعي وتشهد على ان حزبنا يوحد اربعة اخماس العمال الواعين في روسيا وهذا ليس قليلاً اذا اخذنا بعين الاعتبار جميع مصاعب العمل السري في عهد الثورة المضادة

ولو ان «الوحدة» كانت ممكنة التحقيق في روسيا على اساس التكتيك الاشتراكي-الديموقراطي دون طرد فريق «ناشا زاريا» ، فلماذا لم يحققها اخصامنا العديدون ولو فيما بينهم ؟ فمنذ كانون الثاني (يناير) ١٩١٢ انقضت ثلاث سنوات ونصف السنة ، وطوال هذه الفترة الطويلة لم يستطع اخصامنا رغم كل رغبتهم ان ينشئوا حزباً اشتراكياً-ديموقراطياً ضدنا وهذا الواقع خير دفاع عن حزبنا

ان تاريخ الفرق الاشتراكية-الديموقراطية المناضلة ضد حزبنا هو بكليته تاريخ الانحلال والانحطاط . ففي آذار (مارس) ١٩١٢ ،

«اتحدث» هذه الفرق كلها بلا استثناء لشمنا ولكن التفسخ دب فيها منذ شهر آب (اغسطس) ١٩١٢ عندما تشكل ضدنا ما اتفق على تسميته باسم «كتلة آب» فقد انفصل عن هذه الفرق قسم منها . ولم تستطع ان تنشئ حزباً ولا لجنة مركزية . ولم تشكل سوى لجنة تنظيمية «لإعادة الوحدة» ولكن هذه اللجنة التنظيمية اصبحت في الواقع بمثابة ستار واه لفريق التصفيين في روسيا . وخلال هذه الفترة كلها من النهوض الرائع الذي عرفته الحركة العمالية في روسيا والاضرابات الجماهيرية في ١٩١٢ - ١٩١٤ كان فريق «ناشا زاريا» الذي كانت علاقاته الليبرالية تشكل قوته ، الفريق الوحيد من كل «كتلة آب» ، الذي قام بعمل بين الجماهير وفي مطلع عام ١٩١٤ انفصل الاشتراكيون-الديموقراطيون اللاتفيون رسمياً عن «كتلة آب» (لم يشترك الاشتراكيون-الديموقراطيون البولونيون فيها) بينما غادرها تروتسكي ، وهو احد قادتها بصورة غير رسمية . والف من جديد فريقاً خاصاً به وفي المجلس العام الذي انعقد في بروكسل في شهر تموز (يوليو) ١٩١٤ واشترك فيه اللجنة التنفيذية للمكتب الاشتراكي الاممي وكاوتسكي وفاندر فيلده تشكل ضدنا ما يسمى «كتلة بروكسل» التي لم يشترك فيها اللاتفيون والتي سرعان ما انفصل عنها الاشتراكيون-الديموقراطيون البولونيون اي المعارضة . وبعد نشوب الحرب تفسخت هذه الكتلة واصبح فريق «ناشا زاريا» ، وبليخانوف ، والكسينسكي ، وآن زعيم الاشتراكيين-الديموقراطيين في القفقاس اشتراكيين-شوفيين سافرين يتمنون هزيمة المانيا واخذت اللجنة التنظيمية والبوند جانب الدفاع عن الاشتراكيين-الشوفيين ومبادئ الاشتراكية-الشوفينية ومع ان كتلة تشخييدزه صوتت ضد الاعتمادات العسكرية (وقد صوت ضدها في روسيا حتى الديموقراطيون البرجوازيون ، الترودوزيك) ، الا انها ظلت حليفة مخلصه لفريق

«ناشا زاريا» . وابدى غلاة الاشتراكيين-الشفوفيين عندنا ، بليخانوف والكسينسكي وشركاهما ارتياحهم الكامل من كتلة تشخيدزه وتأسست في باريس جريدة اسمها «ناشه سلوفو» (واسمها السابق «غولوس») بمساهمة من مارتوف وتروتسكي بصورة رئيسية ، وقد كانا يرغبان في الجمع بين الدفاع الافلاطوني عن الاممية والمطالبة المطلقة بالوحدة مع «ناشا زاريا» او مع اللجنة التنظيمية او مع كتلة تشخيدزه وبعد صدور ٢٥٠ عدداً اضطرت هذه الجريدة الى الاعتراف بتفسيخها فان قسماً من هيئة تحريرها قد مال الى حزبنا وظل مارتوف امينا للجنة التنظيمية التي راحت تلوم «ناشه سلوفو» علناً «لفوضويتها» (مثلما اتهم الانتهازيون في المانيا ، ودافيد وشركاه و «Internationale Korrespondenz» (٢٣٦) وليغين وشركاه الرفيق ليبكنخت بالفوضوية) واعلن تروتسكي انه يقطع صلته باللجنة التنظيمية ولكنه يريد ان يسير مع كتلة تشخيدزه واليكم برنامج كتلة تشخيدزه وتكتيكها كما عرضهما احد زعمائها ففي العدد الخامس من مجلة «سوفريميني مير» (٢٣٧) الصادر عام ١٩١٥ ، - وهي مجلة تأخذ باتجاه بليخانوف والكسينسكي ، - كتب تشخينكيلي يقول

« ان القول بان الاشتراكية-الديموقراطية الالمانية كانت قادرة على الحيلولة دون انخراط بلادها في الحرب ولم تقم بذلك ، يعني إما الرغبة الخفية في ان تلفظ على المتاريس ، لا آخر انفاسها وحسب ، بل آخر انفاس وطنها ايضاً ، واما النظر الى الأشياء الواقعة قريباً من خلال مرقب فوضى» *

* «سوفريميني مير» ، ١٩١٥ ، العدد ٥ ، ص ١٤٨ وقد اعلن تروتسكي مؤخراً بأنه يعتبر ان مهمته هي رفع شأن كتلة تشخيدزه في داخل الاممية . ومن الأكد ان تشخينكيلي سيسعى من جهته ، بالهمة نفسها ، لرفع شأن تروتسكي في داخل الاممية ...

ان هذه الاسطر القليلة تعبر عن كل جوهر الاشتراكية- الشوفينية تبرير فكرة «الدفاع عن الوطن» في الحرب الحالية مبدئياً والسخر - بموافقة المراقبين العسكريين - من الدعاية للشورة ومن تحضيرها ليس المقصود ان نعرف ما اذا كانت الاشتراكية-الديموقراطية الالمانية قادرة على الحيلولة دون الحرب ولا ان نعرف ما اذا كان الثوريون يستطيعون بصورة عامة ان يضمنوا نجاح الثورة انما المقصود ان نعرف ما اذا كان ينبغي السلوك كما يسلك الاشتراكيون ام «لفظ آخر الانفاس» فعلاً بين ذراعي البرجوازية الامبريالية

مهيات حزبنا

ظهرت الاشتراكية-الديموقراطية في روسيا الى الوجود عشية الثورة البرجوازية الديمقراطية (١٩٠٥) في بلادنا ، وتوطدت في عهد الثورة والثورة المضادة ان تأخر روسيا يفسر هذه الكثرة الهائلة من التيارات والتلاوين في الانتهازية البرجوازية الصغيرة عندنا بينا جعل نفوذ الماركسية في اوروبا ومتانة الاحزاب الاشتراكية-الديموقراطية الشرعية قبل الحرب من الليبراليين النموذجيين في بلادنا اشباه معجبين بالنظرية وبلاشتراكية-الديموقراطية «الحكيمتين» «الاوروبيتين» (غير الثوريتين) «الشرعيتين» «الماركسييتين» ان الطبقة العاملة في روسيا لم تستطع ان تشكل حزبها الا في غمرة من النضال الحازم دام ثلاثين سنة ضد جميع انواع الانتهازية وان تجربة الحرب العالمية التي ادت الى افلاس الانتهازية الاوروبية افلاساً مخزياً واثبتت تحالف الليبراليين-القوميين في بلادنا

مع تيار التصفية الاشتراكي-الشفويني تقوي ايضاً وايضاً من ثقتنا
بانه يجب على حزبنا ان يواصل السير في الطريق الثورية القويمة
نفسها

المجلد ٢٦ ،
ص ٣٠٧-٣٥٠

كتب في تموز-آب (يوليو -
اغسطس) ١٩١٥
صدر في كراس على حدة
في آب ١٩١٥ ، عن هيئة تحرير
جريدة « سوسيال-ديموقراط »
في جنيف

الامبريالية اعلى مراحل الرأسمالية (٢٣٨)

مقدمة

هذا الكتاب الذي اعرضه على انظار القارئ وضعت بمدينة زوريخ في ربيع سنة ١٩١٦ وفي ظروف عملي هناك عانيت ، بطبيعة الحال ، من بعض النقص في الكتب الفرنسية والانجليزية ومن نقص كبير جداً في الكتب الروسية ولكنني قد استفدت ، على كل حال ، من المؤلف الانجليزي الرئيسي بصدد الامبريالية - كتاب ج ا هوبسون - بكل الانتباه الذي يستحقه هذا المؤلف حسب اعتقادي وقد وضعت الكتاب آخذاً بعين الاعتبار الرقابة القيصريّة ولذا كنت مضطراً الى الاقتصار بدقّة على التحليل النظري وحده - ولا سيما الاقتصادي - وكذلك الى منتهى الحذر في صياغة الملاحظات الضرورية غير الكثيرة بصدد السياسة ، اي بالتلميح ، بلغة لقمان ، تلك اللغة الرمزية اللعينة التي كانت القيصريّة تضطر جميع الثوريين الى اللجوء اليها كلما اخذوا القلم لوضع كتاب «علني»

ومن المؤلم الآن ، في ايام الحرية ، أن اعيد قراءة مقاطع الكتاب التي شوهدت التفكير في الرقابة القيصريّة المقاطع المكبوسة المضغوطة كأنما في ملزمة من حديد فلكيما ابين ان الامبريالية هي عشية الثورة الاشتراكية ، وأن الاشتراكية-الشفوفينية (الاشتراكية قولاً والشفوفينية فعلاً) هي خيانة تامة للاشتراكية وانتقال تام الى جانب البرجوازية ، وأن انقسام حركة العمال هذا منوط بظروف

الامبريالية الموضوعية وغير ذلك ، اضطرت الى ان اتحدث بلغة «العبد» ولذا أراني مضطراً الى احالة القارىء الذي تهمة المسألة الى مجموعة مقالاتي التي كتبتها في الخارج في سنوات ١٩١٤ - ١٩١٧ والتي سيعاد نشرها قريباً ولا بد من الاشارة الخاصة الى مقطع من مقاطع الكتاب في الصفحتين ١١٩-١٢٠ * لكيما ابين للقارىء بشكل تقبله الرقابة كيف يكذب دون خجل الرأسماليون وكذلك الاشتراكيون-الشوفينيون الذين انتقلوا الى جانبهم (والذين لا يناضل كاوتسكي ضدهم بالاستقامة اللازمة) في مسألة اللاحق وكيف يسترون دون خجل على الحقائق رأسماليهم كنت مضطراً لأن اضرب مثلاً اليابان! ومن اليسير على القارىء الفطن ان يستعيض عن اليابان بروسيا وعن كوريا بفنلندة بولونيا كورلانده اوكرانيا ، خيوه بخارى استلنده وغيرها من المقاطعات التي يقطنها غير الروس

وأود ان آمل بأن يساعد كتابي على تفهم المسألة الاقتصادية الاساسية التي لا يمكن بدون دراستها فهم شيء في تقدير الحرب المعاصرة والسياسة المعاصرة نعني مسألة كنه الامبريالية الاقتصادية

المؤلف

بتروغراد ٢٦ نيسان (ابريل) سنة ١٩١٧

مقدمة للطبعتين الفرنسية والالمانية (٢٣٩)

١

وضعت الكتاب الحالي كما أشرت في مقدمة الطبعة الروسية ،
سنة ١٩١٦ آخذاً الرقابة القيصرية بعين الاعتبار وليس بإمكانني
ان اعدل النص بأكمله في الوقت الحاضر وأحسب ان ذلك أمر عديم
الجدوى لأن مهمة الكتاب الأساسية كانت ولا تزال أن يبين
بموجب مجمل ارقام الاحصاءات البرجوازية التي لا تقبل الجدل وبموجب
اعترافات العلماء البرجوازيين في جميع البلدان كيف كانت ، في بدء
القرن العشرين قبيل الحرب الامبريالية العالمية الاولى
**الصورة الاجمالية للاقتصاد الرأسمالي العالمي ضمن علاقاته
العالمية**

ومن ناحية أخرى سيكون من المفيد للكثيرين من الشيوعيين في
البلدان الرأسمالية المتقدمة ان يتأكدوا على مثال هذا الكتاب
العلني من وجهة نظر الرقابة القيصرية ، من امكانية - بله ضرورة -
الاستفادة حتى من القدر الطفيف من بقايا العلنية التي ما تزال باقية
لشيوعيين ، لنقل مثلاً في اميركا او في فرنسا المعاصرتين بعد اعتقال

الشيوعيين بمجموعهم تقريباً من عهد قريب وذلك لتبيان كل بطلان نظرات الاشتراكيين المسالمين وعقدتهم الآمال على «ديموقراطية عالمية» وسأحاول ، في هذه المقدمة ، اعطاء ما لا بد منه من اضافات على هذا الكتاب الخاضع للرقابة

٢

لقد برهن في هذا الكتاب على ان حرب سنوات ١٩١٤ - ١٩١٨ كانت من جانب الطرفين حرباً امبريالية (أي حرب غزو ونهب واغتصاب) حرباً من اجل تقاسم العالم من اجل اقتسام واعادة اقتسام المستعمرات و«مناطق نفوذ» الرأسمال المالى والنخ

اذ ان الدليل على طابع الحرب الاجتماعي الحقيقي ، او بالأصح على طابعها الطبقي الحقيقي لا يكمن طبعاً في تاريخ الحرب الديبلوماسي ، بل في تحليل الحالة الموضوعية للطبقات المسيطرة في جميع الدول المتحاربة ولتصوير هذه الحالة الموضوعية لا ينبغي اخذ امثلة او ادلة منعزلة (فرغم كون ظواهر الحياة الاجتماعية في منتهى التعقيد يمكن على الدوام ايجاد اي قدر من الامثلة او الادلة المنعزلة لتعليل اي فكرة) ، بل ينبغي حتماً اخذ مجمل الادلة عن أسس الحياة الاقتصادية في جميع الدول المتحاربة وفي العالم كله

وهذه الادلة الاجمالية التي لا تدحض ، هي بالضبط ، ما ذكرته في لوحة تقاسم العالم في سنتي ١٨٧٦ و ١٩١٤ (الفقرة السادسة) وفي لوحة توزيع السكك الحديدية في العالم اجمع في سنتي ١٨٩٠ و ١٩١٣ (الفقرة السابعة) فالسكك الحديدية هي حاصل جميع الفروع الرئيسية في الصناعة الرأسمالية صناعة الفحم الحجري والتعدين ؛ هي حاصل وأكثر مقاييس تطور التجارة العالمية والحضارة

البرجوازية الديمقراطية جلاء وقد بينت فصول الكتاب السابقة كيف تتصل السكك الحديدية بالانتاج الكبير بالاحتكارات بالسينديكات بالكارتيلات بالتروستات بالبنوك وبالطغمة المالية ان توزيع خطوط السكك الحديدية وتفاوته وتفاوت تطورها هو حاصل الرأسمالية الاحتكارية الحديثة على النطاق العالمي وهذا الحاصل يظهر ان الحروب الامبريالية هي أمر محتوم تماماً على هذا الاساس الاقتصادي ، طالما بقيت وسائل الانتاج ملكاً خاصاً

يبدو مد السكك الحديدية امراً بسيطاً ، طبيعياً ، ديموقراطياً ثقافياً تمدينياً وهو يبدو كذلك في عيون الاساتذة البرجوازين الذين تدفع لهم الاجور لكيما يجملوا وجه العبودية الرأسمالية ، وفي عيون البرجوازين الصغار التافهين الضيقي الافق اما في الواقع فان الخيوط الرأسمالية التي تربط بألوف الشباك هذه المشاريع بالملكية الخاصة لوسائل الانتاج بوجه عام قد جعلت من مد السكك الحديدية اداة لاضطهاد مليار من الناس (اشباه المستعمرات اضافة الى المستعمرات) اي لاضطهاد اكثر من نصف سكان الارض في البلدان التابعة ، وعبيد الرأسمال الاجراء في البلدان «المتمدنة»

ان الملكية الخاصة القائمة على عمل صغار اصحاب الاعمال والمزاحمة الحرة والديموقراطية - ان جميع هذه الشعارات التي يخدع بها الرأسماليون وصحافتهم العمال والفلاحين قد اندرجت بمرور الوقت في طيات الماضي لقد آلت الرأسمالية الى نظام عالمي لاضطهاد الاكثرية الكبرى من سكان الارض استعمارياً وخنقها مالياً من قبل حفنة من البلدان «المتقدمة» ويجري اقتسام هذه «الغنيمة» بين ضارينين او ثلاثة ضوار اقوياء في النطاق العالمي ، مسلحين من الرأس حتى أخصم القدمين (اميركا انجلترا اليابان) يجرون الارض كلها الى حربهم من أجل اقتسام غنيمتهم .

٣

ان صلح بريست-ليتوفسك (٢٤٠) الذي املت شروطه المانيا الملكية ومن بعده صلح فرساي (٢٤١) الأكثر وحشية وحطة والذي املت شروطه الجمهوريتان «الديموقراطيتان» اميركا وفرنسا وكذلك انجلترا «الحررة» قد قدما للبشرية خدمة نافعة جداً اذ فضحا الكتبة الخدم المأجورين للامبريالية وكذلك البرجوازيين الصغار الرجعيين الذين وإن كانوا يخلعون على انفسهم القاب المسالمين والاشتراكيين فانهم يمتدحون «الويلسونية» (٢٤٢) ويبرهنون على امكان السلام والاصلاحات في ظل الامبريالية

ان عشرات الملايين من الجثث والمشوهين الذين تركتهم الحرب التي اضرمت نيرانها لتعيين ما اذا كانت الزمرة الانجليزية او الالمانية من قطاع الطرق الماليين ينبغي ان تنال حصة الأسد من الغنيمة ، ثم «معاهدتي الصلح» هاتين ، تفتح بسرعة لم تعهد من قبل عيون الملايين وعشرات الملايين من الناس الذين ظلمتهم البرجوازية وسحقتهم وخذعتهم وضللتهم وعلى صعيد الخراب العالمي الذي سببته الحرب تختمر بالتالي ، الازمة الثورية العالمية التي لا يمكنها ان تنتهي الى غير الثورة البروليتارية وظفرها ، مهما كانت طويلة وقاسية تقلبات الاحوال التي لا بد لهذه الازمة ان تجتازها

ان بيان بال الصادر عن الاممية الثانية والذي اعطى ، في سنة ١٩١٢ تقديراً لتلك الحرب التي اندلعت في سنة ١٩١٤ بالضبط ، لا تقديراً للحرب بوجه عام (فالحروب تختلف ومنها ما تكون ثورية) ، ان هذا البيان قد بقي اثرأ للذكرى يعرّي بصورة تامة افلاس ابطال الاممية الثانية المشين وارتدادهم

ولذلك اعيد نشر هذا البيان في ملحق لهذه الطبعة وألفت نظر القارى مرة أخرى الى أن ابطال الاممية الثانية يتجنبون بحذر مقاطع

البيان التي تتحدث بصورة دقيقة ، واضحة ، صريحة ، بالضبط عن صلة الحرب المقبلة بالثورة البروليتارية ، يتجنبونها بنفس حذر اللص في تجنب المكان الذي ارتكب فيه السرقة

٤

في هذا الكتاب وجه انتباه خاص لانتقاد «الكاوتسكية» وهي تيار فكري عالمي يمثله في جميع بلدان العالم «كبار النظرين»، زعماء الاممية الثانية (في النمسا اوتو باور وشركاه وفي انجلترا رمسي ماكدونالد وغيره وفي فرنسا البير توما وهلم جرأ والخ .) وجمهور من الاشتراكيين والاصلاحيين والمسالمين والديموقراطيين البرجوازيين والكهنة

وهذا التيار الفكري هو ، من ناحية ، نتاج فساد وتقيح الاممية الثانية وهو من الناحية الاخرى نتاج محتوم لايدولوجية صغار البرجوازيين الذين يبقوهم وضع حياتهم بأكمله في أسر الاوهام البرجوازية والديموقراطية

ان امثال هذه النظرات عند كاوتسكي ومن على شاكلته هي ارتداد تام بالضبط عن الاسس الماركسية الثورية التي دافع عنها هذا الكاتب عشرات من السنين ولا سيما - ونقول ذلك بالمناسبة - في النضال ضد الانتهازية الاشتراكية (لبرنشتين وميليران وهابندمان وغومبرس وهلم جرأ) ولذلك ليس من باب الصدف ان اتحد «الكاوتسكيون» الآن مع الانتهازيين المتطرفين في العالم اجمع عملياً وسياسياً (عن طريق الاممية الثانية او الصفراء (٢٤٣)) ومع الحكومات البرجوازية (عن طريق الحكومات البرجوازية الائتلافية التي يساهم فيها الاشتراكيون) .

ان الحركة البروليتارية الثورية بوجه عام والشيوعية بوجه خاص هذه الحركة المتنامية في جميع انحاء العالم لا غنى لها عن تحليل وفضح الأخطاء النظرية التي تقترفها «الكاوتسكية» وهذا لا ندحة عنه لا سيما وأن النزعة المسالمة و«الديموقراطية» بوجه عام اللتين لا تدعيان بالماركسية اطلاقاً ولكنهما شأن كاوتسكي وشركاه سواء بسواء تطمسان عمق تناقضات الامبريالية وحمية الازمة الثورية التي تنشأ عنها هما تياران ما زالا منتشرين لاقصى حد في العالم كله والنضال ضد هذين التيارين هو امر الزامي لحزب البروليتاريا الذي يتوجب عليه ان ينتزع من البرجوازية صغار اصحاب الاعمال والملايين من الشغيلة المخدوعين بها والذين تحيط بهم لهذا الحد او ذلك ظروف حياة البرجوازية الصغيرة

•

ولا بد من بعض كلمات عن الفصل الثامن «طفيلية الراسمالية وتعفنها» ان هيلفردينغ «الماركسي» سابقاً وزميل كاوتسكي اليوم وأحد الممثلين الرئيسيين للسياسة البرجوازية الاصلاحية في «الحزب الاشتراكي-الديموقراطي الالمانى المستقل» (٢٤٤) قد خطا كما سبق وأشرنا في متن الكتاب خطوة الى الوراء في هذه المسألة بالمقارنة مع المسالمة والاصلاحي الانجليزي **المكشوف** هوبسون فالانقسام العالمي لحركة العمال بأكملها قد تكشف الآن على اتمه (الاميتان الثانية والثالثة (٢٤٥)) وقد تكشف كذلك واقع النضال المسلح والحرب الاهلية بين الاتجاهين المناشفة و«الاشتراكيون-الثوريون» في روسيا يؤيدون كولتشاك ودينيكين ضد البلاشفة وأنصار شيدمان ونوسكه وشركاه في المانيا هم مع البرجوازية ضد السبارتاكين (٢٤٦) ، والشيء نفسه في فنلندة

وبولونيا والمجر الخ فما هو ، اذن ، الاساس الاقتصادي لهذه الظاهرة التاريخية العالمية ؟

انه يتلخص بالضبط في الطفيلية والتعفن الملازمين للرأسمالية في اعلى مراحلها التاريخية ، أي في مرحلة الامبريالية فالرأسمالية ، كما برهن في الكتاب الحالي قد ابرزت الآن حفنة (أقل من عشر سكان الارض ، وفي ابعد حالة «للتسامح» والمغالة في التقدير ، اقل من الخمس) من الدول في منتهى الغنى والقوة تنهب العالم كله بمجرد «قص الكيوبونات» ان تصدير الرأسمال يعطي دخلاً يتراوح بين ٨ و ١٠ مليارات فرنك في السنة حسب اسعار ما قبل الحرب وحسب الاحصاءات البرجوازية لما قبل الحرب والآن اكثر جداً بطبيعة الحال

وواضح ان هذا الربح الاضافي الهائل (اذ انه يبتز اضافة الى الربح الذي يعتصره الرأسماليون من عمال بلاد «هم») يمكن من رشوة زعماء العمال والفئة العليا التي تكوّن اريستوقراطية العمال والرأسماليون في البلدان «المتقدمة» يرشون هذه الفئة بألاف الطرق ، المباشرة وغير المباشرة العلنية والمستورة ان هذه الفئة من العمال المتبرجزين او «اريستوقراطية العمال» الذين هم برجوازيون صغار تماماً بنمط حياتهم ومقاييس اجورهم وبكامل نظرتهم للعالم ، هي سند الاممية الثانية الرئيسي وفي أيامنا سند البرجوازية الاجتماعي (لا العسكري) الرئيسي لأن هؤلاء عملاء حقيقيون للبرجوازية في حركة العمال ، متعهدون عمال في خدمة طبقة الرأسماليين (labor lieutenants of the capitalist class) ، وسائط حقيقية لنقل الاصلاحية ، الشوفينية واثناء الحرب الاهلية بين البروليتاريا والبرجوازية يقف هؤلاء حتماً بعدد كبير ، الى جانب البرجوازية ، الى جانب «الفرساليين» (٢٤٧) ضد «الكومونيين» .

واذا لم يدرك المرء الجذور الاقتصادية لهذه الظاهرة ، اذا لم يقدر اهميتها السياسية والاجتماعية حق قدرها لا يستطيع أن يخطو خطوة في ميدان حل المهام العملية التي تواجه الحركة الشيوعية والثورة الاجتماعية المقبلة

الامبريالية هي عشية الثورة الاجتماعية البروليتارية وقد ثبت ذلك منذ سنة ١٩١٧ في النطاق العالمي

٦ تموز (يوليو) سنة ١٩٢٠

ن . لينين

اثناء السنوات الخمس عشرة او العشرين الاخيرة ولا سيما
بعد الحرب الاسبانية-الاميركية (١٨٩٨) والحرب الانجليزية-البويرية
(١٨٩٩ - ١٩٠٢) (٢٤٨) اخذ الادب الاقتصادي وكذلك السياسي
في العالمين القديم والجديد يتطرق اكثر فأكثر الى مفهوم «الامبريالية»
لوصف العصر الذي نجتازه ففي سنة ١٩٠٢ صدر في لندن ونيويورك
مؤلف للاقتصادي الانجليزي ج ا هوبسون عنوانه «الامبريالية»
والمؤلف المتمسك بوجهة نظر النزعة البرجوازية للاشتراكية
الاصلاحية والمسالمة وهي وجهة نظر لا تختلف في الجوهر ، عن
الموقف الذي يقفه حالياً الماركسي السابق كاوتسكي قد اعطى
وصفاً ممتازاً مفصلاً لخواص الامبريالية الاقتصادية والسياسية
الاساسية وفي سنة ١٩١٠ صدر في فيينا مؤلف الماركسي النمساوي
رودولف هيلفردينغ عنوانه «الرأسمال المالي» (الترجمة الروسية
موسكو، سنة ١٩١٢). ان هذا الكتاب، رغم غلطة المؤلف في مسألة
نظرية النقود وميله بعض الشيء الى التوفيق بين الماركسية
والانتهازية ، عبارة عن تحليل نظري قيم للغاية «لأحدث المراحل في تطور
الرأسمالية» كما ينص العنوان الثانوي لمؤلف هيلفردينغ ان ما قيل
في السنوات الأخيرة عن الامبريالية ولا سيما في العدد الكبير من
مقالات المجلات والجرائد في هذا الموضوع وكذلك في قرارات ، مثلاً
مؤتمر خيمينيتز (٢٤٩) وبال المعقودين في خريف سنة ١٩١٢ لم

يتعد في الجوهر دائرة الافكار التي عرضها او بالأصح التي لخصها المؤلفان المذكوران

وسنسى فيما يأتي لنعرض بايجاز وبأبسط شكل ممكن صلة وتفاعل خواص الامبريالية الاقتصادية الاساسية ولن نتطرق الى الناحية غير الاقتصادية في المسألة مهما كانت جديرة بذلك اما اسماء الكتب التي استشهدنا بها والملاحظات الأخرى التي قد لا تهم جميع القراء فنحيلها الى آخر الكتاب

١- الاحتكارات وتمركز الانتاج

ان نمو الصناعة الهائل والسرعة الكبرى في سير تمركز الانتاج في مشاريع تتضخم باستمرار هما خاصة من أخص خصائص الرأسمالية وتعطي الاحصاءات الصناعية الحديثة عن هذا السير اكمل المعلومات وأضبها

ففي ألمانيا ، مثلاً كان يوجد بين كل ألف مشروع صناعي في سنة ١٨٨٢ - ٣ وفي سنة ١٨٩٥ - ٦ وفي سنة ١٩٠٧ - ٩ من المشاريع الكبرى اي التي يعمل فيها اكثر من ٥٠ من العمال الاجراء وكانت حصتها من كل مئة عامل ٢٢ و ٣٠ و ٣٧ ولكن تمركز الانتاج اقوى جداً من تمركز العمال لأن العمل في المشاريع الكبرى ذو انتاجية اكبر جداً وهذا ما تبينه الارقام الخاصة بالماكينات البخارية والمحركات الكهربائية فاذا اخذنا ما يسمى في المانيا الصناعة بمعنى الكلمة الواسع اي بما في ذلك التجارة وطرق المواصلات الح ، حصلنا على الصورة التالية المشاريع الكبرى ٣٠٥٨٨ من ٣٢٦٥٦٢٣ اي ٠,٩ بالمئة فقط ولديها من العمال ٥ ملايين و ٧٠٠ الف من ١٤ مليوناً و ٤٠٠ الف اي ٣٩,٤ بالمئة ؛ ولديها ٦ ملايين و ٦٠٠ الف حصان بخاري من ٨

ملايين و ٨٠٠ الف اي ٧٥,٣ بالمئة و ١٢٠٠٠٠٠٠ كيلواط من الطاقة الكهربائية من ١٥٠٠ اي ٧٧,٢ بالمئة

في حوزة اقل من واحد في المئة من المشاريع اكثر من ٧٥ بالمئة من مجموع كمية الطاقة البخارية والكهربائية ! وثمة ٢٩٧٠٠٠٠ من المشاريع الصناعية الصغيرة (حتى ٥ من العمال الاجراء) تؤلف ٩١ بالمئة من مجموع المشاريع لا تزيد حصتها عن ٧ بالمئة من مجموع الطاقة البخارية والكهربائية ! عشرات الألوف من المشاريع الكبرى - كل شيء والملايين من المشاريع الصغيرة - لا شيء

في سنة ١٩٠٧ كان في المانيا ٥٨٦ من المشاريع يشتغل في كل منها ألف عامل وما فوق وكان لديها نحو عشر مجموع عدد العمال (١٣٨٠٠٠٠) ونحو ثلث (٣٢ بالمئة) مجموع الطاقة البخارية والكهربائية * وسنرى ان الرأسمال النقدي والبنوك تجعل تفوق هذه الحفنة من المشاريع الكبرى ساحقاً لدرجة اكبر ساحقاً بالمعنى الحرفي للكلمة ، اي ان الملايين من «اصحاب الاعمال» الصغار والمتوسطين وحتى قسماً من الكبار يجدون انفسهم في الواقع مستعبدين بصورة تامة لبضع مئات من المايلين اصحاب الملايين

ونمو تمركز الانتاج اشد في بلد متقدم آخر من بلدان الرأسمالية الحديثة ، في الولايات المتحدة بأميركا الشمالية في هذه البلاد تتعمد الاحصاءات ابراز الصناعة بمعنى الكلمة الضيق وتصنف المشاريع حسب مقادير قيمة الانتاج السنوي ففي سنة ١٩٠٤ وجد من المشاريع الضخمة التي يبلغ انتاج كل منها مليون دولار وما فوق ١٩٠٠ (من ٢١٦١٨٠ اي ٠,٩ بالمئة) لديها ١٤٠٠٠٠٠ من العمال (من ٥ ملايين و ٥٠٠ الف اي ٢٥,٦ بالمئة) وقيمة

* الارقام من Annalen des deutschen Reichs, 1911, Zahn (المجلة السنوية للدولة الالمانية ، سنة ١٩١١ ، تسان . الناشر) .

انتاجها ٥ مليارات و ٦٠٠ مليون (من ١٤ ملياراً و ٨٠٠ مليون اي ٣٨ بالمئة) وبعد مضي خمس سنوات ، في سنة ١٩٠٩ كانت الارقام على النحو التالي ٣٠٦٠ مشروعاً (من ٢٦٨ ٤٩١ ، اي ١٨١ بالمئة) لديها من العمال مليونان (من ٦ ملايين و ٦٠٠ الف ، اي ٣٠٥ بالمئة) وقيمة انتاجها ٩ مليارات (من ٢٠ ملياراً و ٧٠٠ مليون ، اي ٤٣٨ بالمئة) *

ان نحو نصف مجموع ما تنتجه جميع المشاريع في البلاد في أيدي جزء من هئة جزء من مجموع عدد المشاريع ! وهذه المشاريع العملاقة الثلاثة آلاف تشمل ٢٥٨ من الفروع الصناعية ويتضح من ذلك ان التمرکز ، عند درجة معينة من تطوره يوصل بحد ذاته الى الاحتكار ويمكن القول ، الى الاحتكار عن كذب لان من السهل على بضع عشرات من المشاريع العملاقة ان تتفق فيما بينها ومن الجهة الاخرى ، ان اعاقه المزاحمة والميل الى الاحتكار ينشآن بالضبط عن ضخامة حجم المشاريع وصيرورة المزاحمة الى احتكار هي ظاهرة من اهم الظواهر - ان لم تكن الاهم - في اقتصاد الرأسمالية الحديثة ، وينبغي علينا ان نتناولها بمزيد من التفصيل ولكن ينبغي علينا في بادئ الامر ان نزيل ما قد يمكن من سوء الفهم

تقول الاحصاءات الاميركية ٣٠٠٠ من المشاريع العملاقة في ٢٥٠ من فروع الصناعة وقد يتبادر الى الذهن كان هناك ١٢ من المشاريع العملاقة فقط في كل فرع ولكن الامر ليس كذلك ، فالمشاريع الكبيرة لا توجد في كل فرع من فروع الصناعة ومن الجهة الاخرى ، ان من اهم خواص

* Statistical Abstract of the United States 1912, p. 202 (مجموعة

احصاءات الولايات المتحدة لسنة ١٩١٢ ، ص ٢٠٢ . (الناشر) .

الراسمالية التي بلغت اعلى مراحل تطورها ما يسمى بالتركيب ، اي تجمع في مشروع واحد لفروع صناعية مختلفة تؤلف اما درجات متوالية من تكييف الخامات (مثلاً صهر معدن الحديد وتحويل الزهر الى فولاذ او ربما كذلك انتاج هذه او تلك من المصنوعات الجاهزة من الفولاذ) واما ان يقوم احدها بدور مساعد للآخر (مثلاً الاستفادة من الفضلات او من المنتجات الثانوية انتاج مواد التعبئة الخ .)

وقد كتب هيلفردينغ «التركيب يسوي اختلافات الاحوال في الاسواق ولذلك يضمن للمشاريع المركبة معدلا من الربح أكثر ثباتاً والتركيب يفضي ثانياً الى ازاحة التجارة وهو ثالثاً يجعل في الامكان الرقي التكنيكي وبالتالي الحصول على ربح اضافي بالمقارنة مع المشاريع «الساد» (أي غير المركبة) وهو ، رابعاً يعزز موقف المشروع المركب بالمقارنة مع «الساد» ، اذ يقويه في صراع المزاومة في حالة انحطاط قوي (ركود في الاعمال ، ازمة) عندما يكون انخفاض أسعار الخامات أقل من انخفاض أسعار المنتجات الجاهزة» *

ان الاقتصادي البرجوازي الالمانى هيمان الذي كرس مؤلفاً خاصاً لوصف المشاريع «المختلطة» اي المركبة - في صناعة التعدين الالمانية يقول «تهلك المشاريع الساده مسحوقه بين ارتفاع اسعار الخامات وانخفاض اسعار المنتجات الجاهزة» ويكون الحاصل الصورة التالية

«لقد بقيت من جهة كبريات شركات الفحم الحجري التي تستخرج من الفحم عدة ملايين من الاطنان والمتراسة التنظيم في سينديكا الفحم الحجري ثم معامل صهر الفولاذ الضخمة المرتبطة

* «الراسمال المالى» ، الترجمة الروسية ، ص ص ٢٨٦ - ٢٨٧ .

بها ارتباطاً وثيقاً والتي تنظم في سينديكا الفولاذ ان هذه المشاريع الهائلة التي تنتج ٤٠٠٠٠٠ طن من الفولاذ في العام والتي تستخرج كميات هائلة من المعادن والفحم الحجري وتنتج المصنوعات الجاهزة من الفولاذ وتستخدم ١٠٠٠٠ عامل يعيشون في ثكنات بلدات المعامل والتي تملك في بعض الاحيان سككها الحديدية وموانئها هي الممثل النموذجي لصناعة التعدين الالمانية ويسير التمركز ابدأ الى الامام يتضخم بعض المشاريع يتراص عدد متزايد من مشاريع فرع صناعي بعينه او فروع صناعية مختلفة ضمن مشاريع ضخمة تجد سندا لها ومرشداً في نصف دزينة من البنوك البرلينية الكبرى وفيما يخص صناعة الاستخراج الالمانية اقيم البرهان بصورة دقيقة على صحة تعاليم كارل ماركس بصدد التمركز صحيح ان هذا يتعلق ببلاد تحمي صناعتها الرسوم الجمركية الوقائية وتعريفات النقل ان صناعة الاستخراج الالمانية قد نضجت للمصادرة» *

هذا هو الاستنتاج الذي كان لا بد من ان يخلص اليه اقتصادي برجوازي سليم النية كأمر استثنائي تجدر الاشارة الى انه كانما يبرز كحالة خاصة نظراً لان التعريفات الجمركية المرتفعة تحمي صناعتها بيد ان كل ما يستطيعه هذا الطرف هو تعجيل التمركز وتشكيل اتحادات اصحاب العمل الاحتكارية الكارتيلات والسينديكات والنخ وما هو في منتهى الاهمية واقع ان التمركز

Hans Gideon Heymann. «Die gemischten Werke im deutschen *

Großeisengewerbe». Stuttgart, 1904 (SS. 256, 278—279). هانس

غيديون هيمن «المشاريع المختلطة في صناعة التعدين الالمانية الضخمة» شتوتغارت ، سنة ١٩٠٤ (ص ص ٢٥٦ ، ٢٧٨ - ٢٧٩) .
(الناشر .)

في بلاد التجارة الحرة ، انجلترا يفضي كذلك الى الاحتكار وان يكن بصورة ابطاً وربما بشكل آخر واليكم ما يقوله البروفسور هرمن ليفي في مبحث خاص تناول فيه «الاحتكارات والكارتيلات والتروستات» على اساس معلومات عن التطور الاقتصادي في بريطانيا العظمى

«ان الميل الى الاحتكار في بريطانيا العظمى يكمن ، بالضبط ، في ضخامة حجم المشاريع وعلو مستواها التكنيكي فالتمركز قد افضى من جهة ، الى ان المشاريع غدت تقتضي انفاق الرساميل بمبالغ طائلة ولذا تجد المشاريع الجديدة نفسها ازاء طلبات متزايدة فيما يخص مقدار الرأسمال الضروري وهذا ما يعيق ظهورها ومن الجهة الاخرى (ونعتبر هذا الامر اكبر اهمية) ينبغي على كل مشروع جديد يريد ان يضارع المشاريع الهائلة التي انشأها التمركز ان ينتج كمية هائلة من المنتجات الفائضة بحيث لا يمكن بيعها بصورة مفيدة الا في حالة ازدياد الطلب ازدياداً خارقاً وفي الحالة المعاكسة يخفض هذا الفائض من المنتجات الاسعار الى مستوى ليس في مصلحة المعمل الجديد ولا في مصلحة الاتحادات الاحتكارية» وخلافاً للبلدان الاخرى التي تسهل فيها التعريفات الجمركية الوقائية تشكل الكارتيلات ، لا تنشأ في انجلترا ، في اكثرية الحالات اتحادات اصحاب الاعمال الاحتكارية الكارتيلات والتروستات الا عندما ينحصر عدد المشاريع الرئيسية المتنافسة «في دزيتين فقط» «ان تأثير التمركز على نشوء الاحتكارات في الصناعة الضخمة يظهر هنا بصفاء البلور» *

Hermann Levy. «Monopole, Kartelle und Trusts». Jena 1909, » *

SS. 286, 290, 298. (هرمن ليفي . الاحتكارات والكارتيلات والتروستات) .

بيننا ، سنة ١٩٠٩ ، ص ص ٢٨٦ ، ٢٩٠ ، ٢٩٨ . الناشر .

لنصف قرن مضى ، عندما كتب ماركس مؤلفه «رأس المال» كانت المزاومة الحرة تبدو «قانوناً طبيعياً» في نظر الاكثريّة الكبرى من الاقتصاديين وقد حاول العلم الرسمي ان يقتل عن طريق مؤامرة الصمت مؤلف ماركس الذي برهن بتحليله النظري والتاريخي للرأسمالية على ان المزاومة الحرة تولد تركز الانتاج وعلى ان هذا التركز يفضي عند درجة معينة من تطوره ، الى الاحتكار وقد غدا الاحتكار الآن امراً واقعاً والاقتصاديون يكتبون اكواماً من الكتب واصفين فيها هذه الظاهرة او تلك من مظاهر الاحتكار ومواصلين الصراخ بنغم واحد «لقد دحضت الماركسية» ولكن الوقائع اشياء عنيدة كما يقول المثل الانجليزي ولا بد للمرء من ان يحسب لها الحساب شاء ام ابى . والوقائع تظهر ان التباين بين مختلف البلدان الرأسمالية من حيث الحماية او التجارة الحرة مثلاً لا ينشأ عنه الا تباين لا شأن له في شكل الاحتكارات او في زمن نشوئها في حين ان نشوء الاحتكارات عن تركز الانتاج هو القانون العام والاساسي في المرحلة الحديثة من تطور الرأسمالية

ومن الممكن بالنسبة لاوروبا ان يحدد بدقة كبيرة زمن حلول الرأسمالية الحديثة نهائياً محل القديمة انه بالضبط اوائل القرن العشرين ونقرأ في مؤلف من احدث المؤلفات التلخيصية في تاريخ «تشكل الاحتكارات»

«ان المرحلة السابقة لسنة ١٨٦٠ تعطي بعض الامثلة عن الاحتكارات الرأسمالية ومن الممكن ان تكتشف فيها الصور الجنينية للاشكال التي غدت الآن مالوفة تماماً ، ولكن لا ريب في ان كل ذلك هو بالنسبة للكارتيلات عهد ما قبل التاريخ ان البداية الحقيقية للاحتكارات الحديثة تقع على ابعد حد في سنوات العقد السابع من القرن التاسع عشر . فالمرحلة الهامة الاولى لتطور

الاحتكارات تبتدى من الانحطاط الصناعي العالمي في العقد الثامن من القرن الماضي وتمتد الى بداية العقد العاشر» «واذا بحثنا الامر على النطاق الاوروبي، وجدنا تطور المزاحمة الحرة قد بلغ اوجه في سنوات العقدين السابع والثامن ففي ذلك الحين انجزت انجلترا تنظيمها الرأسمالي على النمط القديم وفي المانيا دخل هذا التنظيم في صراع فاصل مع الصناعتين الحرفية والمنزلية وبدأ ينشئ لنفسه اشكال وجوده»

«لقد بدأ انقلاب كبير منذ ازمة سنة ١٨٧٣ او ، بالاصح ، منذ الركود الذي تبعها والذي يملأ ٢٢ سنة من التاريخ الاقتصادي الاوروبي باستثناء انقطاع لا يكاد يلاحظ في مستهل العقد التاسع ونهوض خارق القوة الا انه قصير وقع حوالي سنة ١٨٨٩» «وفي اثناء مرحلة النهوض القصيرة في سنتي ١٨٨٩-١٨٩٠ استخدمت الكارتيلات بصورة واسعة للاستفادة من احوال السوق ان سياسة غير بصيرة جعلت الاسعار تقفز اسرع واعلى مما كان حدث في حالة عدم وجود الكارتيلات وقد هلك معظم هذه الكارتيلات بصورة زرية في «قبر الانهيار» لقد تلت ذلك خمس سنوات اخرى من الاحوال السيئة والاسعار المنخفضة بيد ان الحالة النفسية لم تعد ذاتها في الصناعة فالركود لم يعد ليعتبر امراً بديهيّاً اذ لم يعودوا يرون فيه الا وقفة قبل احوال جديدة ملائمة

وها قد دخلت حركة تشكل الكارتيلات عهدها الثاني فبعد ان كانت الكارتيلات ظاهرة عرضية اخذت تصبح أساساً من أسس الحياة الاقتصادية بأكملها وهي تكتسب فرعاً من فروع الصناعة بعد آخر وفي الدرجة الاولى فرع تكييف المواد الخام وفي مستهل سنوات العقد العاشر وضعت الكارتيلات ، بتنظيمها لسينديكا الكوك التي نظمت على طرازها فيما بعد سينديكا الفحم آليّة لتنظيم الكارتيلات لم تمض ابعدها منها في الجوهر . ان

النهضة الكبيرة في نهاية القرن التاسع عشر وازمة سنوات ١٩٠٠ - ١٩٠٣ قد جرتا لأول مرة وبصورة تامة تحت شارة الكارتيلات ، على الاقل في صناعتي الاستخراج والتعدين . واذ كان قد غدا الآن في نظر الرأي العام الواسع امراً بديهياً أن رفعت اهم اقسام الحياة الاقتصادية كقاعدة عامة من المزاومة الحرة فان ذلك قد بدا آنئذ كشيء جديد»*

ان النتائج الاساسية لتاريخ الاحتكارات هي اذن الآتية
 (١) سنوات العقدين السابع والثامن من القرن الماضي هي قمة ذروة تطور المزاومة الحرة لم تكن الاحتكارات غير اجنة بالكذ تلا حظ (٢) بعد ازمة سنة ١٨٧٣ جاءت مرحلة تطورت فيها الكارتيلات بصورة واسعة ، ولكنها ظلت مع ذلك حالات نادرة ولم تكن وطيدة بعد انها ما تزال ظاهرة عرضية (٣) نهضة اواخر القرن التاسع عشر وازمة سنوات ١٩٠٠ - ١٩٠٣ تصبح الكارتيلات اساساً من أسس الحياة الاقتصادية باكملها تحولت الرأسمالية الى امبريالية

تتفق الكارتيلات فيما بينها على شروط المبيع وآجال الدفع وغير ذلك وهي تقسم مناطق التصريف ، وهي تحدد كمية

* Th. Vogelstein. «Die finanzielle Organisation der Kapitalistischen Industrie und die Monopolbildungen»
 «Grundriß der Sozialökonomik».

في

(ت) فوغلشتين «التنظيم المالي للصناعة VI Abt., Tüb., 1914

الرأسمالية وتشكل الاحتكارات» في «أسس الاقتصاد الاجتماعي» الفصل السادس ، توبينغن ، ١٩١٤ (الناشر) . قارنوا الكتاب للمؤلف نفسه
 «Organisationsformen der Eisenindustrie und Textilindustrie in England und Amerika ». Bd. I, Lpz, 1910

(الاشكال التنظيمية لصناعتي التعدين والنسيج في انجلترا واميركا) . المجلد الاول ، ليبزيغ ، ١٩١٠ . (الناشر) .

المنتجات وهي تعين الاسعار وهي توزع الارباح بين مختلف المشاريع وهلم جراً

لقد بلغ عدد الكارتيلات في المانيا على وجه التقريب ٢٥٠ في سنة ١٨٩٦ و ٣٨٥ في سنة ١٩٠٥ تضم نحو ١٢٠٠٠ مؤسسة * ولكن الجميع يعترفون بان هذه الارقام مصغرة ومن الارقام المذكورة اعلاه والمأخوذة عن احصاءات الصناعة الالمانية في سنة ١٩٠٧ يتضح ان حتى ال ١٢٠٠٠ من المشاريع الضخمة تملك وحدها ، على ما يبدو ، اكثر من نصف مجموع كمية الطاقة البخارية والكهربائية وقدّر عدد التروستات في الولايات المتحدة بأميركا الشمالية بـ ١٨٥ في سنة ١٩٠٠ و بـ ٢٥٠ في سنة ١٩٠٧ وتقسم الاحصاءات الاميركية جميع المشاريع الصناعية الى ملك لافراد او لشركات او لاتحادات وكانت هذه الاخيرة تملك في سنة ١٩٠٤ ٢٣٦ بالمئة وفي سنة ١٩٠٩ ٢٥٩ بالمئة اي اكثر من ربع مجموع عدد المشاريع وكانت تستخدم من العمال في سنة ١٩٠٤ ٧٠٦ بالمئة وفي سنة ١٩٠٩ ٧٥٦ بالمئة اي ثلاثة ارباع المجموع وكانت قيمة انتاجها في السنتين المذكورتين ١٠ مليارات و ٩٠٠ مليون دولار و ١٦ ملياراً و ٣٠٠ مليون دولار ، اي ٧٣٧ بالمئة و ٧٩٠ بالمئة من المبلغ الاجمالي

* Dr. Riesser «Die deutschen Großbanken und ihre Konzentration im Zusammenhange mit der Entwicklung der Gesamtwirtschaft in Deutschland». 4 Aufl., 1912, S. 149. — R. Liefmann. «Kartelle und Trusts und die Weiterbildung der volkswirtschaftlichen Organisation». 2. Aufl., 1910, S. 25. (الدكتور ريسر «البنوك الالمانية الكبيرة وتمركزها بالاتصال مع التطور الاقتصادي العام في المانيا». الطبعة الرابعة ، سنة ١٩١٢ ، ص ١٤٩. — ر ليفمن «الكارتيلات والتروستات واطراد تطور تنظيم الاقتصاد الوطني». الطبعة الثانية ، سنة ١٩١٠ ، ص ٢٥. (الناشر).

وغالبا ما تتركز في ايدي الكارتيلات والتروستات سبعة او ثمانية اعشار مجموع الانتاج في فرع من فروع الصناعة فسينديكا فحم اقليم الرين - فيستفاليا كانت عندما تشكلت في سنة ١٨٩٣ تركز في يدها ٨٦٧ بالمئة من مجموع انتاج الفحم في الاقليم اما في سنة ١٩١٠ فقد غدت تركز ٩٥ ر ٤ بالمئة * والاحتكار الذي يتكون على هذه الصورة يؤمن المداخيل الطائلة ويؤدي الى تشكيل وحدات انتاجية تقنية هائلة الحجم ان تروست النفط الشهير (Standard Oil Company) في الولايات المتحدة قد تأسس في سنة ١٩٠٠ «وقد بلغ رأسماله ١٥٠ مليون دولار واصدرت الاسهم العادية بمبلغ ١٠٠ مليون والاسهم الممتازة بمبلغ ١٠٦ ملايين ودفع لهذه الاخيرة من العائدات في سنوات ١٩٠٠-١٩٠٧ ٤٨ ، ٤٨ ، ٤٨ ، ٤٤ ، ٣٦ ، ٤٠ ، ٤٠ ، ٤٠ بالمئة ، اي ما مجموعه ٣٦٧ مليون دولار . ومن سنة ١٨٨٢ الى سنة ١٩٠٧ بلغ الربح الصافي ٨٨٩ مليون دولار وزع منها على حملة الاسهم ٦٠٦ ملايين وسجل الباقي رأسمالا احتياطيا» * * . «وفي سنة ١٩٠٧ كان في جميع معامل تروست الفولاذ (United States Steel Corporation) ما لا يقل عن ٢١٠١٨٠ من العمال والمستخدمين وفي سنة ١٩٠٨ كان اكبر مشروع في صناعة الاستخراج

Dr. Fritz Kestner. «Der Organisationszwang. Eine Untersuchung * über die Kämpfe zwischen Kartellen und Außenseitern». Brl., 1912 ، ص ١١ (الدكتور فريتس كستنر «القسر على التنظيم دراسة عن الصراع بين الكارتيلات والدخلاء» برلين . الناشر)

R. Liefmann. «Beteiligungs- und Finanzierungsgesellschaften. * * Eine Studie über den modernen Kapitalismus und das Effektenwesen». I. Aufl., Jena, 1909 ، ص ٢١٢ (ر ليفمن «شركات الاشتراك والتمويل . دراسة عن الرأسمالية الحديثة وعن دور الاوراق المالية» . الطبعة الاولى ، بينا . الناشر)

الالمانية ، شركة مناجم غيلسنكيرخيــــــــــــن (Gelsenkirchener Bergwerksgesellschaft) يستخدم ٤٦٠٤٨ من العمال والمستخدمين» * وفي سنة ١٩٠٢ كان تروست الفولاذ ينتج ٩ ملايين طن من الفولاذ * * وبلغ ما انتجه من الفولاذ ٦٦٣ بالمئة في سنة ١٩٠١ و ٥٦١ بالمئة في سنة ١٩٠٨ من مجموع انتاج الفولاذ في الولايات المتحدة * * * وما استخرجه من المعادن في السنتين المذكورتين ٤٣٩ بالمئة و ٤٦٣ بالمئة لقد جاء في تقرير اللجنة الحكومية الاميركية عن التروستات «ان تفوقها على المزاحمين يستند الى ضخامة حجم مشاريعها والى تجهيزها التكنيكي الممتاز فتروست التبغ قد بذل كل جهوده منذ تأسيسه ليحل العمل الآلي محل العمل اليدوي في نطاق واسع وفي جميع الميادين وقد اشترى لهذا الغرض جميع براءات الاختراع التي لها اية علاقة بتحضير التبغ وانفق على ذلك مبالغ طائلة وتبين ان الكثير من هذه الاختراعات كان في بادى الامر غير صالح وتأتى على المهندسين المستخدمين في التروست ضبطها وفي اواخر سنة ١٩٠٦ انشئت شركتان فرعيتان هدفهما الوحيد شراء براءات الاختراع وللغرض ذاته انشأ التروست مصانع الصهر ومصانع الماكينات وورشات التصليح واحدى هذه المؤسسات في بروكلين تستخدم ٣٠٠ عامل بالمتوسط وفيها تجري تجربة الاختراعات وتحسينها لصنع السجاير والنوع الصغير من السيكار

* المصدر نفسه ، ص ٢١٨

* * Dr. S. Tschierschy. «Kartell und Trust». Gött., 1903 ، ص ١٣

(الدكتور س تشيرشكي «الكارتيل والتروست» غوتينغين الناشر)

* * * Th. Vogelstein. «Organisationsformen» ، ص ٢٧٥ (ت .

فوغيلشتاين . «الاشكال التنظيمية» ، ص ٢٧٥ . الناشر) .

والنشوق واوراق القصدير للعب والعلب وغير ذلك» * . «والتروستات
الآخري تستخدم كذلك ما يسمى developing engineers
(المهندسين لتطوير التكنيك) ومهمتهم ايجاد اساليب جديدة
للانتاج وتجربة التحسينات التكنيكية ويدفع تروست الفولاذ
لمهندسيه وعماله جوائز عالية لقاء كل اختراع يحسن التكنيك او
يخفض التكاليف» **

وعلي النمط نفسه نظمت قضية التحسينات التكنيكية في
الصناعة الالمانية الكبيرة مثلا في الصناعة الكيمائية التي تطورت
بصورة هائلة خلال عشرات السنين الاخيرة فان تمركز الانتاج قد
انشأ في هذه الصناعة نحو سنة ١٩٠٨ «فريقين» رئيسيين جنا
كذلك على طريقتهما الى الاحتكار ففي بادى الامر كان هذان
الفريقان «تحالفين مزدوجين» بين زوجين من اضخم المعامل رأسمال
كل منهما من ٢٠ - ٢١ مليون مارك من جهة معمل مايستر السابق
في هوخست وكاسيله في فرانكفورت على الماين ومن الجهة
الآخري معمل الانيلين والصودا في لودفيغسهافن ومعمل باير السابق
في ايلبيرفيلد ثم ، في سنة ١٩٠٥ ، عقد احد الفريقين
وفي سنة ١٩٠٨ عقد الفريق الآخر كل على انفراد اتفاقاً مع

Report of the Commissioner of Corporations on the Tobacco *

Industry. Washington, 1909 ، ص ٢٢٦ (تقرير عضو اللجنة حول الاتحادات
في صناعة التبغ واشنطن الناشر) وقد اقتبست الفقرة عن كتاب
Dr. Paul Tafel. «Die nordamerikanischen Trusts und ihre Wirkungen
auf den Fortschritt der Technik». Stuttgart, 1913 ، ص ٤٨
(الدكتور بول تافيل «التروستات في اميركا الشمالية وتأثيرها على تطور
التكنيك» شتوتغارت الناشر)
* * المصدر نفسه ، ص ٤٨-٤٩ .

معمل كبير آخر فكانت النتيجة ظهور «تحالفين ثلاثيين» رأسمال كل منهما من ٤٠ - ٥٠ مليون مارك فبدأ بين هذين «التحالفين» «التقارب» و «التفاهم» حول الاسعار وغير ذلك *

المزاحمة تتحول الى احتكار وينتج عن ذلك تقدم هائل في اتخاذ الانتاج صبغة اجتماعية ، بما في ذلك ايضاً ميدان الاختراعات والتحسينات التكنيكية

انه حال يختلف كل الاختلاف عن المزاحمة الحرة القديمة بين اصحاب اعمال مبعثرين لا يعلم احدهم شيئاً عن احوال الآخر وينتجون للتصريف في سوق مجهولة لقد بلغ التمرکز حدّاً غداً معه في الامكان اجراء جرد تقريبي لجميع مصادر الخامات (مثلاً مصادر معدن الحديد) في بلاد معينة او حتى ، كما سنرى ، في جملة من البلدان وفي العالم بأسره ولا يقتصر الامر على اجراء هذا الجرد بل وتضع اتحادات احتكارية هائلة ايديها على هذه المصادر وتستولي عليها ويجري حساب تقريبي لاستيعاب الاسواق التي «تقتسمها» هذه الاتحادات فيما بينها على اساس العقود تحتكر الايدي العاملة المدربة وتستأجر نخبة المهندسين ويستولي على طرق ووسائل المواصلات - السكك الحديدية في اميركا شركات البواخر في اوروبا واميركا فالرأسمالية في مرحلتها الامبريالية توصل رأساً الى اعطاء الانتاج صبغة اجتماعية شاملة وهي تجرّ الرأسماليين ان امكن القول رغم ارادتهم وادراكهم الى نظام اجتماعي جديد انتقالي من حرية المزاحمة التامة الى الاصطباغ التام بالصبغة الاجتماعية

* Riesser ، الكتاب المذكور ، ص ٥٤٧ وما يليها ، الطبعة الثالثة وتفيد الصحف (حزيران - يونيو - سنة ١٩١٦) عن انشاء تروست جديد هائل الضخامة يوحد الصناعة الكيميائية الالمانية .

يغدو الانتاج اجتماعياً ولكن التملك يبقى خاصاً تظل وسائل الانتاج الاجتماعية ملكاً خاصاً لعدد ضئيل من الافراد يبقى الاطار العام للمزاحمة الحرة المعترف بها شكلياً ويغدو ظلم حفنة الاحتكاريين لبقية السكان اثقل واشد واقسى بمئة مرة

لقد كرس الاقتصادي الالمانى كستنر مؤلفاً خاصاً لموضوع «الصراع بين الكارتيلات والدخلاء» اي اصحاب الاعمال غير المنضمين للكارتيلات وقد اسى هذا الكتاب «الاجبار على التنظيم» في حين كان ينبغى الحديث عن الاجبار على الخضوع لاتحادات الاحتكاريين وذلك طبعاً لكيلا تطلسى الرأسمالية بالمساحيق ومن المفيد ان نلقى نظرة ولو على قائمة الوسائل التي تلجأ اليها اتحادات الاحتكاريين في الصراع الراهن الحديث المتمدن من اجل «التنظيم» (١) الحرمان من المواد الخام («... طريقة من اهم طرق الاجبار على الانضمام الى الكارتيل»)

(٢) الحرمان من الايدي العاملة عن طريق «الائتلافات» (أي العقود بين الرأسماليين ونقابات العمال بشأن عدم قبول هذه الاخيرة العمل الا في المشاريع المنضمة الى الكارتيلات) (٣) الحرمان من وسائل النقل (٤) الحرمان من اسواق التصريف (٥) عقود مع الشارين بشأن عدم اقامة العلاقات التجارية الا مع الكارتيلات وحدها (٦) تخفيض الاسعار بصورة منظمة (ليفلس «الدخلاء» اي المشاريع غير الخاضعة للاحتكاريين تنفق الملايين للبيع بأقل من التكاليف خلال زمن معين فقد حدثت فترات خفضت فيها الاسعار في صناعة البنزين من ٤٠ الى ٢٢ ماركا اي نحو النصف ! (٧) الحرمان من التسليف (٨) اعلان المقاطعة

ان ما نراه ليس بصراع بالمزاحمة بين مشاريع صغيرة وكبيرة ، متأخرة التكنيك وراقية التكنيك . ان ما نراه هو خنق الاحتكاريين

للذين لا يخضعون للاحتكارات ولظلمها وعسفها واليكم صورة انعكاس هذه العملية في ذهن اقتصادي برجوازي

كتب كستنر «وحتى في ميدان النشاط الاقتصادي الصرف يجري بعض التحول من النشاط التجاري بمعنى الكلمة السابق الى نشاط المضاربة التنظيمي ومن يحرز النجاح الاكبر ليس التاجر الذي تتيح له خبرته الفنية والتجارية ان يحزر على خير وجه حاجات المشترين ان يجد وان «يكتشف» ان امكن القول الطلب الموجود في حالة خفية بل العبقرى في المضاربة (؟!) القادر على ان يحسب مقدماً او ، على الاقل ، ان يحس تطور التنظيم والصلات المحتملة بين هذه او تلك من المشاريع او البنوك

ومعنى ذلك اذا ترجم الى لغة الناس ان تطور الرأسمالية قد بلغ حداً تقوض فيه الانتاج البضاعي فعلا وان كان ما زال «سائداً» كالسابق وما زال يعتبر اساساً للاقتصاد كله وتصبح فيه الارباح الرئيسية من نصيب «عابرة» الملاعب المالية وتقوم هذه الملاعب والاحتمالات على اساس اكتساب الانتاج للصفة الاجتماعية ولكن تقدم البشرية الهائل التي توصلت بعملها الى حد اكتساب الانتاج للصفة الاجتماعية يصبح مفيداً للمضاربين وسنرى فيما يأتي كيف أن نقاد الامبريالية الرأسمالية من صغار البرجوازيين الرجعيين يحلمون «على هذا الاساس» بالعودة الى الوداء ، الى المزاحمة «الحررة» ، «السلمية» ، «الشريفة» .

يقول كستنر «ان ارتفاع الاسعار مدة طويلة كنتيجة لتشاكل الكارتيلات لم يلاحظ حتى الآن الا فيما يخص اهم وسائل الانتاج ولا سيما الفحم الحجري والحديد والقلى وبالعكس لم يلاحظ ابداً فيما يخص المنتوجات الجاهزة والارتفاع في العائدات الناشئة عن ذلك قد اقتصر ايضاً على صناعة وسائل الانتاج وينبغي ان نضيف الى هذه الملاحظة ان صناعة تكييف المواد الخام (لا

المصنوعات نصف الجاهزة) عدا انها تجني - بفضل تشكّل الكارتيلات - الفوائد بشكل ارباح مرتفعة لما فيه خسارة الصناعة المشغولة باكمال المصنوعات نصف الجاهزة قد اكتسبت حيال هذه الصناعة نوعاً من السيطرة لم يكن لها وجود في زمن المزامحة الحرة» *

ان الكلمات التي اشرنا اليها تبين كنه القضية الذي لا يعترف به الاقتصاديون البرجوازيون الا نادراً وبغير رغبة والذي يسعى الى تجنبه واهماله جهد طاقتهم المدافعون الحاليون عن الانتهازية وعلى رأسهم كارل كاوتسكي فعلاقات السيطرة والقسر الناجم عنها هو ما يميز «المرحلة الحديثة في تطور الرأسمالية» هو ما كان لا بد ان ينتج وما نتج فعلا عن تشكّل الاحتكارات الاقتصادية الكلية القدرة

لنذكر مثلاً آخر عن سيطرة الكارتيلات ان نشوء الكارتيلات وتشكّل الاحتكارات هو امر في غاية السهولة حيث يمكن الاستيلاء على جميع مصادر الخامات او على القسم الرئيسي من هذه المصادر ولكن من الخطأ الظن ان الاحتكارات لا تنشأ كذلك في الفروع الصناعية الاخرى التي لا يمكن فيها الاستيلاء على مصادر الخامات فصناعة الاسمنت تجد الخامات في كل مكان بيد أن الكارتيلات قد شملت القسم الاكبر من هذه الصناعة ايضاً في المانيا فقد اتحدت المعامل في سينديكات اقليمية سينديكات جنوب المانيا وسينديكات اقليم الرين-فيستفاليا والنخ والاسعار هي اسعار الاحتكارات ٢٣٠ - ٢٨٠ ماركا قيمة عربة القطار في حين ان تكاليفها ١٨٠ ماركا ! وتعطي المشاريع ١٢ - ١٦ بالمئة لحملة الاسهم ولكن لا ينبغي ان ننسى ان «عباقرة» المضاربة

* كستنر . الكتاب المذكور . ص ٢٥٤ .

العصرية يحسنون توجيه مبالغ كبيرة من الارباح الى جيوبهم فضلاً عما يوزع على حملة الاسهم وبغية ازاحة المزاخمة من صناعة تدر مثل هذه الارباح لا يحجم الاحتكاريون حتى عن الاحابيل ينشرون الاشاعات الكاذبة عن سوء الحال في الصناعة ينشرون في الصحف اعلانات مغفلة «ايها الرأسماليون حذار ان توظفوا رؤوس اموالكم في صناعة الاسمنت» واخيراً يشترون معامل «الدخلاء» (اي غير المنضمين الى السينديكات) ويدفعون لهم «خلوًا» ٦٠ - ٨٠-١٥٠ الف مارك * يشق الاحتكار طريقه في كل مكان وبكل الوسائل ابتداء من دفع الخلو «المتواضع» وانتهاء «بتطبيق» الطريقة الاميركية لنسف المزاخم بالديناميت

اما قضاء الكارتيلات على الازمات فهو قصة اختلقها الاقتصاديون البرجوازيون الذين يسعون وراء طلي الرأسمالية بالمساحيق مهما كلف الامر بالعكس ، ان الاحتكار ، عندما ينشأ في بعض الفروع الصناعية ، يشدد ويزيد الفوضى التي تلازم الانتاج الرأسمالي بأكمله فعدم التناسب بين تطور الزراعة والصناعة ، الامر المميز للرأسمالية بوجه عام يزداد لدرجة اكبر اذ ان الوضع الممتاز الذي تجد فيه نفسها الصناعة الاكثر تنظيمًا في الكارتيلات ، ما يسمى بالصناعة الثقيلة ، ولا سيما صناعة الفحم والحديد يفضي في الفروع الصناعية الاخرى الى «انعدام المنهاجية لدرجة اشد» كما يعترف بيدلس الذي وضع كتابًا من احسن الكتب عن «العلاقات بين البنوك الالمانية الكبرى والصناعة» * *

• «Zement» von L. Eschwege. «Die Bank», 1909, 1 ص ١١٥

وما يليها «الاسمنت» ل ايشفيغه مجلة «البنك» (الناشر)
 * * «Das verhältnis der deutschen Großbanken zur
 Industrie mit besonderer Berücksichtigung der Eisenindustrie». Lpz., 1905
 ، ص ٢٧١ (بيدلس «العلاقات بين البنوك الالمانية الكبرى والصناعة ولا سيما صناعة التعدين» . ليزينغ . الناشر)

وقد كتب ليفمن المدافع عن الرأسمالية دون حياء «كلما كان الاقتصاد الوطني اكثر تطوراً كلما اتجه نحو المشاريع التي تنطوي على المجازفة او الموجودة في الخارج نحو المشاريع التي تحتاج لتطورها زمناً طويلاً او اخيراً نحو تلك التي لا تتعدى اهميتها النطاق المحلي» * ان ازدياد المجازفة ينشأ في نهاية الامر عن ازدياد الرأسمال ازدياداً هائلاً فيفيض ان امكن القول ويتدفق الى الخارج والنخ ثم ان تنامي التكنيك بسرعة متزايدة يسفر عن مزيد ومزيد من عناصر عدم التناسب بين مختلف نواحي الاقتصاد الوطني ، ومن الفوضى والازمات وقد اضطر ليفمن ذاته الى الاعتراف قائلاً: «ربما كان على البشرية ان تواجه مرة اخرى في المستقبل القريب انقلابات كبيرة في حقل التكنيك سيكون لها تأثيرها كذلك على تنظيم الاقتصاد الوطني» الكهرباء ، الطيران «وفي المعتاد وكقاعدة عامة تشتد المضاربة بقوة في ازمة التغيرات الاقتصادية الجذرية . . .» * *

والازمات بانواعها - الاقتصادية في الاغلب ولكن ليست الاقتصادية وحدها - تشدد بدورها في نطاق واسع الميل الى التمرکز والى الاحتكار وهاكم اراء بيدلس بليغنة الدلالة عن اهمية ازمة سنة ١٩٠٠ ، الازمة التي كانت ، كما نعلم نقطة تحول في تاريخ الاحتكارات الحديثة

«وحين تفجرت ازمة سنة ١٩٠٠ كان هناك الى جانب المشاريع الهائلة في الفروع الصناعية الرئيسية عدد كبير من المشاريع ذات التنظيم المتأخر حسب المفهوم الحالي مشاريع «ساده» (أي غير المركبة) «رفعتها الى الاعلى موجة النهضة الصناعية . فهبوط الاسعار وانخفاض الطلب قد ساقا هذه المشاريع «الساده»

* «Beteiligungs — etc. Ges.» ، ص ٤٣٤

** «Beteiligungs — ets. Ges.» ، ص ٤٦٥ - ٤٦٦ .

الى حال من الشدة لم تمس المشاريع الهائلة المركبة بتاتا او مستها لفترة قصيرة جداً وبنتيجة ذلك ادت ازمة سنة ١٩٠٠ الى التمركز الصناعي بمقاييس اكبر جداً من ازمة سنة ١٨٧٣ فهذه الاخيرة قامت ايضاً بنوع من الاصطفاء لاحسن المشاريع ولكن هذا الاصطفاء لم يمكنه ، مع مستوى التكنيك في ذلك العهد ان يسفر عن احتكار تلك المشاريع التي خرجت من الازمة ظافرة وهذا الاحتكار المديد والمتطور جداً هو بالضبط ما تملكه - بفضل تكنيكها المعقد منتهى التعقيد وتنظيمها الدقيق للغاية وقوة رأسمالها - المشاريع الهائلة في صناعتي الحديد والكهرباء الراهنتين ثم لدرجة اقل مشاريع صناعة بناء الماكينات وبعض فروع صناعة التعدين وطرق المواصلات وغير ذلك» *

الاحتكار هو آخر كلمة «احدث المراحل في تطور الرأسمالية» ولكن تصورنا لمدى قوة وأهمية الاحتكارات الحديثة يكون غير واف ابدأ وغير تام ومنقوصاً إن لم نأخذ بعين الاعتبار دور البنوك

٢ - البنوك ودورها الجديد

ان وظيفة البنوك الاساسية والاولى هي الوساطة في الدفع واثناء ذلك تحول البنوك الرأسمال النقدي غير العامل الى رأسمال عامل اي الى رأسمال يدر الارباح وتجمع العائدات النقدية بشتى انواعها وتضعها تحت تصرف طبقة الرأسماليين ومع تطور الشؤون البنكية وتمركزها في مؤسسات قليلة العدد تتحول البنوك من وسطاء متواضعين الى احتكارات شديدة الحول والطول تتصرف بمعظم الرأسمال النقدي العائد لمجموع الرأسماليين وصغار اصحاب الاعمال وكذلك بالقسم الاكبر من

وسائل الانتاج ومصادر الخامات في بلاد معينة او في جملة من البلدان وتحول الوسطاء الكثيرين المتواضعين الى حفنة من الاحتكاريين هو وجه اساسي من وجوه صيرورة الرأسمالية الى امبريالية رأسمالية ولذا ينبغي لنا ان نتناول في المقام الاول تمرکز البنوك

في سنة ١٩٠٧-١٩٠٨ كانت الودائع في جميع البنوك الالمانية المساهمة التي يزيد رأسمال كل منها عن ١ مليون مارك تبلغ ٧ مليارات مارك ؛ وفي سنة ١٩١٢-١٩١٣ بلغت الودائع ٩ مليارات و ٨٠٠ مليون مارك لقد بلغت الزيادة خلال خمس سنوات مليارين و ٨٠٠ مليون اي ٤٠ بالمئة ؛ منها ملياران و ٧٥٠ مليوناً مودعة في ٥٧ بنكاً رأسمال كل منها اكثر من ١٠ ملايين مارك وكان توزيع الودائع بين البنوك الكبيرة والصغيرة على الصورة الآتية *

الودائع بالنسبة المئوية

كل منها اقل من ١ مليون (رأسمال)	١٠ ملايين مارك كل منها من ١ مليون الى ١١٥ بنكا يبلغ رأسمال	كل منها على ١٠ ملايين مارك الباقي التي يزيد رأسمال في البنوك الالمانية والاربعين	البنوك البرلمانية الصمة الكبرى	
٤	١٦,٥	٢٢,٥	٤٧	سنة ١٩٠٧-١٩٠٨
٢	١٢	٢٦	٤٩	سنة ١٩١٢-١٩١٣

* Alfred Lansburgh. «Fünf Jahre d. Bankwesen», «Die Bank», 1913. N 8. ص ٧٢٨ (الفرد لانسبورغ «نشاط البنوك الالمانية في خمس سنوات»، مجلة «البنك». الناشر).

البنوك الصغيرة ازيحت من قبل البنوك الكبرى التي تركز تسعة منها فقط نحو نصف مجموع الودائع ولكن اشياء كثيرة لم تؤخذ هنا بعين الاعتبار ، منها مثلاً تحول جملة من البنوك الصغيرة في الواقع الى فروع للبنوك الكبرى وغير ذلك الامر الذي سنتحدث عنه فيما يأتي

في اواخر سنة ١٩١٣ قدرشولتزه-غيفيرنيتز الودائع في البنوك البرلينية التسعة الكبرى بـ ٥ مليارات و ١٠٠ مليون مارك من مجموع مبلغ يقرب من ١٠ مليارات وقد كتب المؤلف نفسه آخذاً بعين الاعتبار مجموع الراسمال البنكي لا الودائع وحدها «في اواخر سنة ١٩٠٩ كانت البنوك البرلينية التسعة الكبرى ، مع البنوك المرتبطة بها ، تدير ١١ ملياراً و ٣٠٠ مليون مارك اي نحو ٨٣ بالمئة من مجموع مبلغ الراسمال البنكي في المانيا «فالبنك الالمانى» («Deutsche Bank») الذي يدير مع البنوك المرتبطة به مبلغاً يقرب من ٣ مليارات مارك هو الى جانب الادارة البروسية لسكك حديد الدولة عبارة عن التراكم الاكبر والاقل مركزية للرأسمال في العالم القديم» *

لقد اشرنا الى كلمة البنوك «المرتبطة» لان ذلك يتعلق بخاصة من أهم الخواص المميزة للتمركز الراسمالي الحديث فالمشاريع الكبرى ولاسيما البنوك لا تتبلغ الصغيرة بصورة

*Grundriß Schulze — Gaevernitz. «Die deutsche Kreditbank»

der Sozialökonomik». Tüb., 1915 ، صص ١٢ ١٣٧ (شولتزه

غيفيرنيتز «بنك التسليف الالمانى» في «اسس الاقتصاد الاجتماعى» .
تيوبينغن . الناشر) .

مباشرة وحسب بل «تربط»ها بنفسها وتخضعها وتضمها الى مجموعة «ها» الى «كونسرن»ها حسب التعبير الفني وذلك عن طريق «الاشترك» في رأسمالها ، عن طريق شراء او تبادل الاسهم ، عن طريق نظام القروض وهلم جرأ وغير ذلك . لقد كرس البروفسور ليفمن «مؤلفاً» ضخماً بلغ خمسمئة صفحة لوصف «شركات الاشتراك والتمويل» الحديثة * ولكنه للأسف ، يضيف محاججات «نظرية» هزيلة الى مواد لم يحسن تدبيرها في الاغلب ومؤلف «البنكير» ريسر عن البنوك الالمانية الكبرى يبين احسن من اي مؤلف آخر النتيجة التي تسفر عنها طريقة «الاشترك» هذه من وجهة نظر التمرکز ولكن قبل ان نتقل لبحث معطياته نذكر مثلاً عملياً عن طريقة «الاشترك»

«مجموعة» «البنك الالمانى» هي من اكبر مجموعات البنوك الكبرى ان لم تكن اكبرها ولكيما نتبين الخيوط الرئيسية التي تربط جميع بنوك هذه المجموعة ينبغي ان نميز «اشترك» الدرجات الاولى والثانية والثالثة او وهو الامر نفسه التبعية (البنوك الاصغر «للبنك الالمانى») من الدرجات الاولى والثانية والثالثة ونحصل على الصورة التالية * *

R. Liefmann. «Beteiligungs- und Finanzierungsgesellschaften. *
Eine Studie über den modernen Kapitalismus und das Effektenwesen». 1. Aufl., Jena. 1909 ، ص ٢١٢

Alfred Lansburgh. «Das Beteiligungssystem im deutschen * *
Bankwesen», «Die Bank», 1910, 1 ، ص ٥٠٠ (الفرد لانسبورغ . وطريقة
الاشترك في اعمال البنوك الالمانية) ، مجلة «البنك» . الناشر .

تبعية الدرجة الثالثة	تبعية الدرجة الثانية	تبعية الدرجة الاولى	
منها ٤ تشترك في ٧ بنوك اخرى - منها ٢ يشتركان في ٢ بنكين آخرين	منها ٩ تشترك في ٣٤ بنكا آخر - منها ٥ تشترك في ١٤ بنكا آخر	في ١٧ بنكا في ٥ بنوك في ٨ بنوك	«البنك الالمانى» يشترك: بصورة دائمة بصورة مؤقتة من وقت لآخر
منها ٦ تشترك في ٩ بنوك اخرى	منها ١٤ تشترك في ٤٨ بنكا آخر	في ٣٠ بنكا	المجموع

في عداد ٨ بنوك «من تبعية الدرجة الاولى» التي تخضع «للبنك الالمانى» «من وقت لآخر» ثلاثة بنوك اجنبية احدها نمساوي («الاتحاد البنكي» في فيينا - «Bankverein») واثنان روسيان (البنك التجاري السيبيري والبنك الروسي للتجارة الخارجية) ومجموعة «البنك الالمانى» تضم مباشرة وغير مباشرة ، كلياً وجزئياً ١٧ بنكا ومجمل الراسمال الذي تتصرف به مجموعة «البنك الالمانى» - راسمالها الخاص والودائع - يقدر بـ ٢ - ٣ مليارات مارك .

ومن الواضح ان بنكا يرأس مجموعة كهذه ويعقد اتفاقيات مع نصف دزينة من البنوك الاخرى ، لاتقل عنه في قوتها الا قليلاً ، من اجل العمليات المالية الكبيرة جداً والمفيدة للغاية كمنح

القروض للدولة قد شب عن دور «الوسيط» وغدا اتحاداً لحفنة من الاحتكاريين
ان الارقام التالية التي ننقلها باختصار عن ريسر تظهر بآية سرعة جرى تمرکز البنوك في المانيا بالضبط في اواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين

لدى ستة من البنوك البرلينية الكبرى

سنوات	أروع في المانيا	صناديق ودائع ومكاتب صيرفة	اشترك دائم في البنوك المساهمة الالمانية	مجموع المؤسسات
١٨٩٥	١٦	١٤	١	٤٢
١٩٠٠	٢١	٤٠	٨	٨٠
١٩١١	١٠٤	٢٧٦	٦٣	٤٥٠

وهكذا نرى كيف تتسع بسرعة شبكة القنوات الكثيفة شاملة البلاد من اقصاها الى اقصاها ومركزة جميع الرساميل والمداخيل النقدية وجاعلة من الالوف المؤلفة من المشاريع المبعثرة اقتصاداً رأسمالياً وطنياً موحداً ثم اقتصاداً رأسمالياً عالمياً اما «عدم التمرکز» الذي تحدث عنه باسم الاقتصاد السياسي البرجوازي في ايامنا شولتزه-غيفيرنيتز في الفقرة المثبتة اعلاه فهو يتلخص في الواقع بانه يخضع لمركز واحد عدد متزايد من الوحدات الاقتصادية التي كانت فيما مضى «مستقلة» نسبياً او بالاصح ، ذات طابع محلي بحث ومعنى ذلك في الواقع ان هنالك تمرکزًا وارتفاعاً لشأن الاحتكارات العملاقة ولاهيتها وبأسها و «شبكة البنوك» هذه هي اكثر كثافة ايضاً في البلدان الرأسمالية الاقدم . ففي انجلترا مع ايرلنده بلغت فروع جميع

البنوك في سنة ١٩١٠-٧١٥١ وكان لدى كل بنك من البنوك الاربعة الكبرى اكثر من ٤٠٠ فرع (من ٤٤٧ الى ٦٨٩) وكانت هناك ٤ بنوك اخرى لدى كل منها اكثر من ٢٠٠ ، و ١١ بنكا لدى كل منها اكثر من ١٠٠ فرع
وفي فرنسا طورت البنوك الكبرى الثلاثة ، «Crédit Lyonnais» («كريد ليونيه») «Comptoir National» («كونتوار ناسيونال») و «Société Générale» («سوسيهته جنرال») * عملياتها وشبكة فروعها على الشكل التالي * *

الرأسمال		عدد الفروع والصناديق			اعوام
الودائع	الخاص	المجموع	في باريس	في المقاطعات	
(بملايين الفرنكات)					
٤٢٧	٢٠٠	٦٤	١٧	٤٧	١٨٧٠
١٢٤٥	٢٦٥	٢٥٨	٦٦	١٩٢	١٨٩٠
٤٣٦٣	٨٨٧	١٢٢٩	١٩٦	١٠٣٣	١٩٠٩

ولوصف «روابط» البنك الكبير الحديث يذكر ريسر ارقاما عن عدد الرسائل التي وجهتها وتلقتهها «شركة الخصم» («Disconto-Gesellschaft») وهي بنك من اكبر البنوك في المانيا وفي العالم كله (لقد بلغ رأسمالها في سنة ١٩١٤ - ٣٠٠ مليون مارك)

* «شركة التسليف الليونية» ، «دائرة الخصم الوطنية» و «الشركة العامة» **الناشر** .

Eugen Kaufmann. «Das französische Bankwesen», Tüb. 1911 * *

ص ص ٣٥٦ و ٣٦٢ (اوجين كاوفمان . «حالة البنوك في فرنسا» . تيوبينغين . **الناشر**) .

عدد الرسائل		
الصادرة	الواردة	اعوام
٦٢٩٢	٦١٣٥	١٨٥٢
٨٧٥١٣	٨٥٨٠٠	١٨٧٠
٦٢٦٠٤٣	٥٣٣١٠٢	١٩٠٠

وفي البنك الباريسي الكبير «كريدي ليونيه» ارتفع عدد الحسابات الجارية من ٢٨٥٣٥ في سنة ١٨٧٥ الى ٦٣٣٥٣٩ في سنة ١٩١٢ *

نحسب ان هذه الارقام البسيطة تظهر بصورة اوضح من الشروح المسهبة كيف تتبدل اهمية البنوك بشكل جذري مع تمركز الرأسمال وتزايد عملياتها فمن الرأسماليين المبعثرين يتكون رأسمالي واحد مشترك واذ يقوم البنك بالحسابات الجارية لعدد من الرأسماليين يبدو وكأنه يقوم بعملية تقنية بحتة بعملية مساعدة لا غير ولكن عندما تبلغ هذه العملية مقاييس هائلة تكون النتيجة ان حفنة من الاحتكاريين تخضع لنفسها العمليات التجارية والصناعية في المجتمع الرأسمالي كله اذ تتوفر لها - بفضل الصلات بين البنوك وعن طريق الحسابات الجارية والعمليات المالية الاخرى - الامكانية لتعرف في بادئ الامر على وجه الدقة حالة الاعمال لدى كل رأسمالي على حدة ثم للاشراف عليهم والتأثير عليهم عن طريق توسيع او تضيق تسهيل او تعصيب التسليف ، واخيرا لتقرر بصورة تامة مصائرهم ،

* Jean Lescure. «L'épargne en France». P., 1914 ، ص ٥٢ (جان)

ليسكور . «الادخارات في فرنسا» . باريس . (الناشر) .

لتحدد مداخلهم لتحريمهم من الرأسمال او لتمكنهم من تضخيم رساميلهم بسرعة وبمقادير هائلة ، الخ
 ذكرنا الآن ان رأسمال «شركة الخصم» في برلين يبلغ ٣٠٠ مليون مارك وهذا الازدياد لرأسمال «شركة الخصم» كان حادثاً من حوادث الصراع من اجل السيطرة بين بنكين من اكبر البنوك البرلينية هما «البنك الالمانى» و«شركة الخصم» ففي سنة ١٨٧٠ كان الاول مبتدئاً لم يزد رأسماله عن ١٥ مليوناً وبلغ رأسمال الثانى ٣٠ مليوناً وفي سنة ١٩٠٨ بلغ رأسمال الاول ٢٠٠ مليون ورأسمال الثانى ١٧٠ مليوناً وفي سنة ١٩١٤ رفع الاول رأسماله الى ٢٥٠ مليوناً ورفع الثانى رأسماله عن طريق الاندماج ببنك كبير آخر من الدرجة الاولى «بنك شافهاوزن الاتحادى» الى ٣٠٠ مليون وغني عن البيان ان هذا الصراع من اجل السيطرة يجري بمحاذاة «الاتفاقيات» المتواترة المتوسطة بين البنكين وهاكم الاستنتاجات التي يوحىها مجرى هذا التطور للاختصاصيين في الشؤون البنكية الذين يعالجون الامور الاقتصادية من وجهة نظر لاتتعدى بحال حدود الاصلاحية البرجوازية الاكثر اعتدالا والاكثر كياسة

كتبت المجلة الالمانية «البنك» (٢٥٠) بشأن ازدياد رأسمال «شركة الخصم» الى ٣٠٠ مليون قائلة «ستنخرط البنوك الاخرى في الطريق نفسه ومن ال ٣٠٠ شخص الذين يديرون المانيا اقتصادياً في الوقت الحاضر لن يبقى مع مر الزمن الا ٥٠ او ٢٥ او اقل من ذلك ولا يصح ان ننتظر ان تقتصر حركة التمرکز الجديدة على ميدان البنوك وحده فالروابط الوثيقة القائمة بين بعض البنوك تؤدي بطبيعة الحال الى التقارب بين سينديكات الصناعيين التي تتمتع بحماية هذه البنوك سنستيقظ في صباح ما فيدهشنا ان لا نرى امام عيوننا الا التروستات وحدها ؛ وسنرى انفسنا امام

ضرورة الاستعاضة عن الاحتكارات الخاصة باحتكارات حكومية ومع ذلك فليس هنالك في الجوهر ما نلوم انفسنا عليه ، اللهم الا تركنا الحبل على الغارب امام مجريات الامور التي زادت الاسهم قليلاً من سرعتها» *

انه مثل على عجز الصحافة البرجوازية التي لا يمتاز عنها العلم البرجوازي الا بكونه أقل اخلاصاً وبنزوعه الى طمس جوهر الامر والى تغطية الغابة ببعض شجرات «استغراب» نتائج التمركز «لوم» حكومة المانيا الرأسمالية او «المجتمع» الرأسمالي («نحن») الخوف من ان «يعجل» ادخال الاسهم التمركز كما يخاف احد الالمان الاختصاصيين بـ«الكارتيلات» تشيرشكي من التروستات الاميركية و«يفضل» الكارتيلات الالمانية لانها لا تستطيع ، على ما يزعم ، «ان تعجل لهذا الحد الخارق ، كالتروستات، سير التقدم التكنيكي والاقتصادي» * * ، - أفليس هذا هو العجز ؟ بيد ان الامر الواقع هو الامر الواقع ليس في المانيا تروستات ففيها الكارتيلات «فقط» ولكن المانيا يديرها ما لا يزيد عن ٣٠٠ من طواغيت الرأسمال ويتضاءل عدد هؤلاء باستمرار اما البنوك فهي في جميع الحالات وفي جميع البلدان الرأسمالية ومهما تنوع التشريع البنكي الذي تخضع له تقوي وتعجل لحد كبير سير تمركز الرأسمال وتشكل الاحتكارات لقد كتب ماركس منذ نصف قرن في مؤلفه «رأس المال» ان «البنوك تنشئ على النطاق الاجتماعي شكلاً وشكلاً فقط لا غير للمحاسبة العامة والتوزيع العام لوسائل الانتاج» (الترجمة

A. Lansburgh. «Die Bank mit den 300 Millionen», «Die Bank», *

1914, 1 ص ٤٢٦ (١) لانسبورغ «بنك ذو ٣٠٠ مليون» ، مجلة

«البنك» (الناشر)

* * S. Tschierschky ، المؤلف المذكور ، ص ١٢٨ .

الروسية ، المجلد ٣ الجزء ٢ ، ص ١٤٤) ان ما ذكرناه من معطيات عن تزايد الرأسمال البنكي وعن تزايد عدد مكاتب وفروع البنوك الكبرى وعدد حساباتها الجارية وغير ذلك يبين لنا بصورة جلية هذه «المحاسبة العامة» لطبقة الرأسماليين جميعها وحتى غير الرأسماليين لان البنوك تجمع ولو لوقت ما ، مختلف انواع المداخيل النقدية العائدة لصغار اصحاب الاعمال والموظفين والمرتبة العليا الضئيلة من العمال «التوزيع العام لوسائل الانتاج» هو ما ينجم ، من ناحية الامر الشكلية ، عن البنوك الحديثة التي تتصرف في شخص ثلاثة او ستة بنوك ضخمة في فرنسا وستة او ثمانية في المانيا بالمليارات العديدة ولكن هذا التوزيع لوسائل الانتاج ليس ، من حيث مضمونه ، «بعام» قط بل هو خاص اي انه يتم وفق مصالح الرأسمال الضخم وفي الدرجة الاولى الرأسمال الاضخم الاحتكاري الذي يعمل في ظروف يقاسي فيها جمهور السكان شظف العيش ويتأخر فيها تطور الزراعة برمته تأخرأ يدعو للقفوظ عن تطور الصناعة بينما يتقاضى فرع واحد منها «الصناعة الثقيلة» الجزية من سائر فروعها الاخرى

وفي امر صبغ الاقتصاد الرأسمالي بالصبغة الاجتماعية بدأت تنافس البنوك صناديق التوفير ودوائر البريد وهي «ابعد عن المركزية» اي انها تشمل في دائرة نفوذها عدداً اكبر من المناطق عدداً اكبر من الزوايا النائبة وفئات اوسع من السكان ان لجنة اميركية قد جمعت الأرقام التالية التي تظهر بالمقارنة مجرى تزايد الودائع في البنوك وفي صناديق التوفير *

* ارقام لجنة النقد الاميركية National Monetary Commission في Die Bank» (ماخوذة عن مجلة «البنك» الناشر) ، سنة ١٩١٠ ، المجلد الثاني ، ص ١٢٠٠ .

(الودائع (بمليارات الهاركات)

المانيا			فرنسا		انجلترا		
التوفير في صناديق	التوفير في شركات	بنوك	التوفير في صناديق	بنوك	التوفير في صناديق	بنوك	
٢,٦	٠,٤	٠,٥	٠,٩	؟	١,٦	٨,٤	١٨٨٠
٤,٥	٠,٤	١,١	٢,١	١,٥	٢,٠	١٢,٤	١٨٨٨
١٣,٩	٢,٢	٧,١	٤,٢	٣,٧	٤,٢	٢٣,٢	١٩٠٨

ان صناديق التوفير التي تدفع للودائع ٤ او ٤,٢٥ بالمئة مضطرة للبحث عن فرص لتوظيف رأسمالها بصورة «رابحة» وللاندفاع الى عمليات شراء وبيع الكمبيالات والرهون وغير ذلك «تمحى شيئاً فشيئاً» الحدود بين البنوك وصناديق التوفير وتطلب الغرف التجارية في بوخوم وارفورت مثلاً «منع» صناديق التوفير من مزاوله العمليات البنكية «الصرف» كخصم الكمبيالات وتطلب تقييد النشاط «البنكي» لدوائر البريد * ويبدو ان ملوك البنوك يخشون من ان يترصد لهم احتكار الدولة حيث لا ينتظرونه ولكن من البديهي ان هذا الخوف لا يتعدى ان امكن القول حدود المنافسة بين مديري قسمين من اقسام مؤسسة بعينها ذلك لان طواغيت الرأسمال البنكي هم في الواقع الذين يتصرفون في نهاية الامر بالمليارات من الرساميل المودعة في صناديق التوفير هذا

* ارقام لجنة النقد الاميركية National Monetary Commission في «Die Bank» ، سنة ١٩١٣ ، ص ٨١١ ، ١٠٢٢ . سنة ١٩١٤ ، ص ٧١٣ .

من جهة ولأن احتكار الدولة في المجتمع الرأسمالي ليس من الجهة الأخرى إلا وسيلة لزيادة وتوطيد مداخيل اصحاب الملايين الموشكين على الافلاس في هذا او ذاك من الفروع الصناعية

ان حلول الرأسمالية الجديدة التي يسيطر فيها الاحتكار محل القديمة التي تسيطر فيها المزاومة الحرة يتجلى فيما يتجلى في انحطاط اهمية البورصة فقد كتبت مجلة «البنك» «ان البورصة قد كفت من امد بعيد عن ان تكون الوسيط الذي لا يستغنى عنه في التداول كما كانت فيما مضى قبل ان يصبح بإمكان البنوك ان توزع بين زبائنها القسم الاكبر من الاوراق المالية الصادرة» *

«كل بنك - بورصة» ان هذه العبارة التي جرت مجرى الامثال في الزمن الحديث تتضمن من الحقيقة قدراً يغدو اكبر بمقدار تضخم البنك وبمقدار ما يحرز التمركز نجاحات اكبر في ميدان النشاط البنكي» * * . «واذا كانت البورصة فيما مضى ، في السبعينيات ، مع ما كانت تتصف به من نزق الشباب» (تلميح «ناعم» الى افلاس البورصة في سنة ١٨٧٣ (٢٥١) والى فضائح غروندير (٢٥٢) وغير ذلك) «قد فتحت عهد تصنيع المانيا ، فقد غدا بإمكان البنوك والصناعة في الوقت الحاضر ان «تنهض بالامر وحدها» فسيطرة بنوكنا الكبرى على البورصة ليست الا تعبيراً عن الدولة الصناعية الالمانية المنظمة اكمل تنظيم واذا كان نطاق تأثير القوانين الاقتصادية النافذة اوتوماتيكياً يتقلص بهذا الشكل ويتسع لحد خارج ، نطاق الضبط الواعي من خلال البنوك ، فبنتيجة ذلك تزداد لدرجة كبرى مسؤولية العدد القليل من القواد على صعيد الاقتصاد

* 1, 1914, «Die Bank», ص ٢١٦

* * Dr. Oscar Stilleh. «Geld-und Bankwesen», Berlin 1907, ص ١٦٩.

دكتور اوسكاد شتيلينج . «النقود والنشاط البنكي» . برلين . الناشر)

«الوطني» - هذا ما كتبه البروفسور الالمانى شولتزرمغيفيرنيتز * المدافع عن الامبريالية الالمانية والذي يعتبر شخصاً نافذ الكلمة عند الامبرياليين في جميع البلدان ويسعى الى طمس «أمر تافه» هو ان هذا «الضبط الواعي» من خلال البنوك يتلخص في نهب الجمهور من قبل حفنة من الاحتكاريين «المنظمين اكمل تنظيم» فان مهمة البروفسور البرجوازي ليست في كشف احابيل الاحتكاريين اصحاب البنوك ولا في فضح احتيالاتهم ، بل في تجميلها وكذلك ريسر الاقتصادي و«البنكري» الابدع صيتاً يكتفي بعبارات فارغة بصدد وقائع يستحيل انكارها «تفقد البورصة اكثر فاكثر خاصيتها التي لا غنى عنها مطلقاً للاقتصاد كله ولتداول الاوراق المالية وهي كونها المقياس الاكثر دقة وكذلك ضابطاً للحركات الاقتصادية المتجهة نحوها يعمل بصورة اوتوماتيكية تقريباً» **

وبعبارة اخرى ان الرأسمالية القديمة رأسمالية المزاحمة الحرة مع ضابطها الذي لا يمكنها الاستغناء عنه ، البورصة ، تغيب في طيات الماضي تحل محلها رأسمالية جديدة تتسم بسمات انتقالية بينة بسمات مزيج من المزاحمة الحرة والاحتكار وهنا يخطر عفوآ على البال السؤال التالي الامّ «تنتقل» هذه الرأسمالية الحديثة ؟ ولكن العلماء البرجوازيين يخافون من طرح هذا السؤال

«منذ ثلاثين سنة كان اصحاب الاعمال المتزاحمون بحرية يقومون بتسعة اعشار الجهد الاقتصادي الخارج عن نطاق عمل «العمال» الجسدي وفي الوقت الحاضر يقوم الموظفون بتسعة

* Schulze — Gaevernitz. «Die deutsche Kreditbank» في

«Grundriß der Sozialökonomik», Tüb., 1915 ، ص ١٠١

** ريسر ، المؤلف المذكور ، ص ٦٢٩ ، الطبعة الرابعة .

اعشار هذا الجهد الفكري في الاقتصاد والنشاط البنكي يتقدم هذا التطور» * ان هذا الاعتراف من شولتز-غيفيرنيتز يسوقنا مرة اخرى الى السؤال عما تنتقل اليه الرأسمالية الحديثة الرأسمالية في مرحلتها الامبريالية

بين العدد الضئيل من البنوك التي تبقى في رأس الاقتصاد الرأسمالي بأكمله بحكم سير التمرکز يظهر بصورة طبيعية ويشتد اكثر فأكثر الميل الى الاتفاق الاحتكاري ، الى تروست بين البنوك . ليس في اميركا تسعة بنوك بل بنكان من اكبر البنوك عائدان لصاحبي المليارات روكفلر ومورغان يسيطران على رأسمال مقداره احد عشر مليار مارك * * لقد اشرنا فيما تقدم الى ابتلاع «شركة الخصم» «لبنك شافهاوزن الاتحادي» في المانيا وقد اعطت جريدة «فرانكفورتر زايتونج» (٢٥٣) المعبرة عن مصالح البورصة لهذا الامر التقدير التالي

«مع اشتداد تمرکز البنوك تتقلص دائرة المؤسسات التي يمكن بوجه عام ان تطلب منها القروض وبحكم ذلك تشتد تبعية الصناعة الكبيرة لعدد ضئيل من مجموعات البنوك وفي ظل الصلة الوثقى القائمة بين الصناعة وعالم رجال المال تقييد حرية حركة الشركات الصناعية المحتاجة لرأسمال البنوك ولهذا تنظر الصناعة الكبيرة الى اشتداد تكتل البنوك في تروستات (انضمام او تحول الي تروستات) بمشاعر مختلطة الواقع انه قد لوحظت مراراً

* Schulze — Gaevernitz. «Die deutsche Kreditbank» في

«Grundriß der Sozialökonomik». Tüb., 1915 ، ص ١٥١ .

* * «Die Bank», 1912, 1 ، ص ٤٣٥ .

بوادر اتفاقات معينة بين هذه او تلك من اتحادات البنوك الكبرى
اتفاقات هدفها تقييد المزاحمة» *
وها نحن نرى مرة أخرى ان الكلمة الاخيرة في تطور النشاط
البنكي هي الاحتكار

اما بخصوص الصلة الوثقى القائمة بين البنوك والصناعة
ففي هذا الميدان بالضبط يبدو دور البنوك الجديد ربما باجلى
شكل فاذا كان البنك يقوم بخصم كمبيالات هذا الصناعي او ذاك
ويفتح له حساباً جارياً الخ فان هذه العمليات مأخوذة على حدة
لا تحد من استقلال هذا الصناعي قيد انملة ولا يتعدى البنك دوره
كوسيط متواضع ولكن عندما تكثر هذه العمليات وتتوطد
وعندما «يجمع» البنك بين يديه مقادير هائلة من الرساميل وعندما
يكون القيام بعمليات الحساب الجاري لهذا المشروع يمكن البنك من
ان يعرف - وهذا ما يحدث في المعتاد - بصورة ادق وأكمل حالة
الزبون الاقتصادية تكون النتيجة خضوع الراسمالي الصناعي
للبنك خضوعاً اكثر فأكثر

والى جانب ذلك يتطور ان امكن القول الاتحاد الشخصي
بين البنوك والمشاريع الصناعية والتجارية الكبرى واندماج هذه
وتلك عن طريق تملك الاسهم عن طريق دخول مدراء البنوك
في عضوية مجالس مراقبة (او مجالس ادارة) المشاريع الصناعية
والتجارية وبالعكس لقد جمع الاقتصادى الالمانى بيدلس
معلومات مفصلة عن هذا الشكل من تمرکز الرساميل والمشاريع
فثمة ستة بنوك برلينية كبرى كانت ممثلة بواسطة مدراءها
في ٣٤٤ شركة صناعية وبواسطة اعضاء مجالس اداراتها في ٤٠٧
شركات اخرى أي في ٧٥١ شركة بالمجموع وكان لها في ٢٨٩

* نقلا عن شولتز-هغيفيرنيتز في «Grdr. d. S-Oek» ، ص ١٥٥ .

من هذه الشركات اما عضوان في مجالس المراقبة او منصب الرئاسة في هذه المجالس وبين هذه الشركات الصناعية التجارية تضادف مختلف فروع الصناعة والتأمين وطرق المواصلات والمطاعم والمسارح وصناعة المنتجات الفنية وغير ذلك ومن الجهة الاخرى وجد (في سنة ١٩١٠) في مجالس مراقبة هذه البنوك الستة نفسها ٥١ من كبار الصناعيين منهم مدير شركة كروب ومدير شركة البواخر الهائلة «Hapag» (Hamburg-Amerika)* وهلم جرأ والخ ومن سنة ١٨٩٥ الى سنة ١٩١٠ اشترك كل من هذه البنوك الستة في اصدار الاسهم والسندات لمئات عديدة من الشركات الصناعية اي من ٢٨١ الى ٤١٩ شركة * *

«الاتحاد الشخصي» بين البنوك والصناعة يكتمل ب«الاتحاد الشخصي» بين هذه وتلك والحكومة فقد كتب بيدلس «يقدمون المقاعد في مجالس المراقبة عن طيبة خاطر للشخصيات ذات الاسماء الطنانة وكذلك للموظفين سابقاً في جهاز الدولة الذين يمكنهم ان يسهلوا (!!) لدرجة كبيرة العلاقات مع السلطات» «ففي مجلس مراقبة بنك كبير نجد في المعتاد احد النواب او احد اعضاء مجلس بلدية برلين»

ان رسم وتكوين الاحتكارات الكبيرة الرساميل اذا امكن القول يجريان اذن على قدم وساق وبكل الطرق «الطبيعية» و«الخارقة» ويتم بصورة منتظمة نوع من تقسيم للعمل بين عدة مئات من ملوك المال في المجتمع الرأسمالي الحديث «الى جانب هذا الاتساع لميدان نشاط البعض من كبار الصناعيين» (الذين يدخلون في مجالس ادارة البنوك وغير ذلك) «ووضع منطقة صناعية معينة واحدة فقط تحت اشراف مدراء

* «هاباغ» (هامبورغ - اميركا) . الناشر .

* * بيدلس وريسر ، المؤلفان المذكوران .

فروع البنوك في المناطق يحدث شيئاً فشيئاً التخصص بين مدراء البنوك الكبرى وهذا التخصص أمر غير ممكن الا في حالة ضخامة المؤسسة البنكية على العموم وسعة نطاق علاقاتها بالصناعة على الخصوص ويجري تقسيم العمل هذا في اتجاهين من جهة تعهد جميع العلاقات بالصناعة لاحد المدراء لتكون ميدانه الخاص ومن الجهة الاخرى يأخذ كل مدير على نفسه مراقبة هذا المشروع او ذاك ام مجموعة من المشاريع المتشابهة من حيث المهنة او المصلحة» (لقد بلغت الرأسمالية درجة المراقبة المنظمة على مختلف المشاريع) «اختصاص هذا المدير هو الصناعة الالمانية وحيثاً صناعة المانيا الغربية وحدها» (المانيا الغربية هي من وجهة نظر الصناعة القسم الاكثر تطوراً في المانيا) «ويتخصص الآخرون بالعلاقات مع الدول والصناعة الاجنبية وجمع المعلومات عن شخصيات الصناعيين والخ. ، وبقضايا البورصة وهلم جراً وفضلا عن ذلك غالباً ما يكلف كل مدير من مدراء البنك بشؤون منطقة معينة او فرع صناعي معين فيعمل احدهم بصورة رئيسية في مجالس مراقبة شركات الكهرباء وآخر في المعامل الكيميائية او في معامل الجعة او معامل السكر ويعمل ثالث في المشاريع القليلة المنعزلة والى جانب ذلك في مجالس مراقبة شركات التأمين وباختصار لا ريب في انه بمقدار اتساع العمليات وتنوعها يتسع في البنوك الكبرى تقسيم العمل بين المدراء بقصد (وعلى ان تكون النتيجة) رفعهم قليلاً ما ان امكن القول ، الى ما فوق مستوى الشؤون البنكية الصرف ، بقصد جعلهم اهلاً لتفهم مجريات الأمور واكثر تضلعاً في المسائل الصناعية العامة وفي المسائل الخاصة بكل فرع من فروع الصناعة ولاعدادهم للعمل في منطقة نفوذ البنك الصناعية نظام البنوك هذا يكتمل بميلها الى أن ينتخب لمجالس مراقبتها اناس ذوو خبرة

واسعة في الشؤون الصناعية وصناعيون وموظفون سابقون ولا سيما اولئك الذين خدموا في ادارات السكك الحديدية والمناجم» وهلم جرأ *

ونجد في الميدان البنكي في فرنسا مؤسسات من ذات النوع مع اختلاف جد يسير «فالكريدي ليونيه» مثلاً احد البنوك الفرنسية الثلاثة الكبرى قد نظم لديه «ادارة خاصة لجمع المعلومات المالية» (service des études financières). ويعمل في هذه الادارة بصورة دائمة اكثر من خمسين شخصاً من المهندسين والخبراء في الاحصاء والاقتصاديين والحقوقيين الخ وتكلف هذه الادارة من ستمائة الى سبعمائة الف فرنك في السنة وتنقسم هذه الادارة بدورها الى ثمانية اقسام قسم مختص بجمع المعلومات عن المشاريع الصناعية ويدرس القسم الآخر الاحصاءات العامة ويدرس القسم الثالث شركات السكك الحديدية والبواخر والرابع الارصدة والخامس التقارير المالية والخ **

وتكون النتيجة من جهة اندماج متزايد او كما أحسن التعبير بوخارين اقتران الرأسمال البنكي والصناعي ومن الجهة الاخرى صيرورة البنوك الى مؤسسات ذات «طابع شامل» حقاً ونرى ان من الضروري ان نورد بالنص عبارات يبدلس حول هذه المسألة ، وهو الكاتب الذي درس المسألة أحسن من الآخرين «بنتيجة دراسة العلاقات الصناعية بمجموعها نقرر ان المؤسسات المالية التي تعمل للصناعة هي ذات طابع شامل فعلى نقيض الاشكال الاخرى للبنوك على نقيض المطالب التي تصاغ احياناً في المطبوعات والقائلة بأنه ينبغي على البنوك ان تتخصص في ميدان معين او فرع صناعي معين لكيلا تفقد الارض تحت

* يبدلس ، المؤلف المذكور ، ص ص ١٥٦ - ١٥٧

** مقال Eug. Kaufmann عن البنوك الفرنسية في مجلة «Die Bank» 1909, 2 ، ص ٨٥١ وما يليها .

قدميها ، - تسعى البنوك الكبرى وراء جعل علاقاتها مع المشاريع الصناعية متنوعة الى اقصى حد ممكن من حيث الاماكن والانتاج تسعى وراء ازالة عدم التناسب في توزيع الرساميل بين مختلف المناطق او الفروع الصناعية ، عدم التناسب الذي يجد تفسيره في تاريخ مختلف المشاريع» «هناك اتجاه يتلخص في جعل العلاقات بالصناعة ظاهرة عامة واتجاه آخر يتلخص في جعل هذه العلاقات وطيدة وفعالة وقد طبق الاتجاهان في البنوك الستة الكبرى ان لم يكن بصورة كاملة ففي نطاق واسع وبدرجة واحدة»

غالباً ما تشكو الاوساط الصناعية والتجارية من «ارهاب» البنوك وهل من مجال لاستغراب هذه الشكاوى اذا كانت البنوك الكبرى «تتحكم» كما يظهر المثل التالي في ١٩ تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٩٠١ وجه احد البنوك البرلينية المسماة «د» (اسماء البنوك الاربعة الكبرى تبدأ بحرف د) الى مجلس ادارة سينديكا الاسمنت في وسط وشمال غرب المانيا الرسالة التالية

«يتضح من النبا الذي نشرتموه في الثامن عشر من الشهر الجاري في الجريدة الفلانية ان علينا ان نأخذ بالحسبان انه يحتمل انكم ستستخدمون في الجمعية العمومية التي ستعقدها سينديكاتكم في الثلاثين من الشهر الجاري قرارات يمكنها ان تحدث في مشروعكم تغييرات لا يسعنا قبولها ولذلك فنحن مع مزيد اسفنا مضطرون الى قطع الاعتماد الذي فتحناه لكم ولكن اذا لم تتخذ في هذه الجمعية العمومية قرارات لا يسعنا قبولها واذا قدمت لنا الضمانات المناسبة حول هذا الشأن فيما يخص المستقبل فنحن نعرب عن استعدادنا للشروع في مداوات بقصد فتح اعتماد جديد لكم» *

انها في جوهر الامر عين شكاوى الراسمال الصغير من ظلم الراسمال الكبير ولكن في هذه الحالة وقع في فئة «الصغار» سينديكا برمته ان الصراع القديم بين الراسمال الصغير والراسمال الكبير يستأنف في درجة من التطور جديدة ، أعلى جداً ومن المفهوم ان مؤسسات البنوك الكبرى التي تتصرف بالمليارات يمكنها كذلك ان تدفع الى الامام تقدم التكنيك بوسائل لا يمكن ان تقارن بوجه مع الوسائل السابقة فالبنوك تؤسس ، مثلاً ، جمعيات خاصة للابحاث التكنيكية لا تنتفع بنتائج دراساتها الا المشاريع الصناعية «الصديقة» طبعاً ومن هذه الجمعيات «جمعية دراسة مسألة السكك الحديدية الكهربائية» و«المكتب المركزي للابحاث العلمية والتكنيكية» وهلم جراً

ولا ريب في ان المشرفين على البنوك الكبرى انفسهم يرون ان ظروفًا جديدة للاقتصاد الوطني آخذة في التكون ولكنهم عاجزون ازاءها

يقول بيدلس «ان من تتبع اثناء السنوات الاخيرة تبدل الاشخاص في مناصب المدراء واعضاء مجالس المراقبة في البنوك الكبرى لا يمكنه الا يرى انتقال السلطة بالتدريج الى ايدي اشخاص يعتبرون التدخل النشيط في التطور الصناعي العام مهمة الزامية من مهام البنوك الكبرى تغدو ملحّة اكثر فاكتر علماً بان ذلك هو مبعث التباعد بين هؤلاء الاشخاص ومدراء البنوك القدماء على الصعيد العملي وغالباً على الصعيد الشخصي ايضاً والقضية هي في الجوهر قضية ما اذا كانت البنوك بوصفها مؤسسات تسليف ، لا تتضرر من تدخل البنوك هذا في مجرى الانتاج الصناعي ، وما اذا كانت لا تضحى بالمبادئ الوطنية والارباح الاكيدة من اجل نشاط لا يجمعه جامع بدورها كوسيط في التسليف ويدفع البنوك الى صعيد تكون فيه اكثر من السابق خاضعة لتقلبات الاحوال

الصناعية العمياء هذا ما يقوله الكثيرون من مدراء البنوك القدماء اما اكثر المدراء الشباب فيعتبرون التدخل النشط في المسائل الصناعية لا يختلف عن الضرورة التي نشأت عنها البنوك الكبرى والمشاريع الصناعية البنكية الحديثة في وقت واحد مع الصناعة الضخمة الحديثة ويتفق الجانبان حول نقطة واحدة هي عدم وجود اية مبادئ وطيدة او هدف معين لنشاط البنوك الكبرى الجديد» *

انقضى عهد الرأسمالية القديمة والجديدة هي انتقال الى جديد ما اما البحث عن «مبادئ وطيدة وهدف معين» «للتوفيق» بين الاحتكارات والمزاومة الحرة فهو جهد باطل طبعاً فاعترافات اصحاب الخبرة لا تشبه بوجه المديح الذي يكيله لفضائل الرأسمالية «المنظمة» المدافعون الرسميون عنها من امثال شولتز-غيفيرنيتز وليفمن ومن لف لفهم من «النظرين» في اي زمن بالضبط توطد بصورة نهائية «النشاط الجديد» للبنوك الكبرى ؟ نجد لدى بيدلس الجواب الدقيق لحد ما على هذا السؤال الهام

«العلاقات بين المشاريع الصناعية بمضمونها الجديد واشكالها الجديدة وهيئاتها الجديدة أي البنوك الكبرى المنظمة في وقت معاً على الطريقة المركزية واللامركزية ، لم تتكون قطعاً كظاهرة مميزة للاقتصاد الوطني قبل سنوات العقد العاشر من القرن الماضي وبالإمكان بمعنى معين تأخير نقطة البدء هذه الى سنة ١٨٩٧ لما حدث فيها من «اندماجات» كبرى بين المشاريع ادخلت لأول مرة الشكل الجديد للتنظيم اللامركزي لاسباب تتعلق بالسياسة الصناعية التي تمارسها البنوك ولعل الاضبط ان ندفع نقطة البدء هذه الى

* بيدلس ، المؤلف المذكور ، ص ص ١٨٣ - ١٨٤ .

تاريخ اقرب ، لان ازمة سنة ١٩٠٠ قد زادت بصورة هائلة من سير التمركز ووطدت هذا السير سواء في الصناعة او في البنوك محولة لاول مرة الصلات بالصناعة الى احتكار حقيقي للبنوك الكبرى وجاعلة هذه الصلات اوثق وأقوى جداً» *

اذن ان القرن العشرين هو نقطة التحول من الرأسمالية القديمة الى الحديثة من سيطرة الرأسمال بوجه عام الى سيطرة الرأسمال المالي

٣ - الرأسمال المالي والطفمة المالية

كتب هيلفردينغ «ان قسماً متزايداً من الرأسمال الصناعي لا يعود الى الصناعيين الذين يستخدمونه وهم لا يستطيعون الحصول على امكانية التصرف به الا عن طريق البنك الذي يمثل ازاءهم مالك الرأسمال ومن الجهة الاخرى يتأتى على البنك أن يوظف في الصناعة قسماً متزايداً من رأسماله وبسبب ذلك يصبح أكثر فاكتر رأسمالياً صناعياً وهذا الرأسمال البنكي - أي الرأسمال النقدي - الذي تم تحويله بهذه الطريقة الى رأسمال صناعي في الواقع ، أسميه «الرأسمال المالي» «فالرأسمال المالي هو اذن الرأسمال الموجود تحت تصرف البنوك والذي يستخدمه الصناعيون» **

وهذا التعريف غير كامل لانه لا يشير الى ظرف في منتهى الأهمية نعني به نمو تمركز الانتاج والرأسمال الى درجة يفضي معها التمركز وقد أفضى الى الاحتكار بيد أن مبحث هيلفردينغ بوجه عام ولا سيما الفصلين السابقين للفصل الذي اقتبسنا منه هذا التعريف يؤكد دور الاحتكارات الرأسمالية

* بيدلس ، المؤلف المذكور ، ص ١٨١

** ر هيلفردينغ «الرأسمال المالي» . موسكو ، سنة ١٩١٢ ، ص ٣٣٨ - ٣٣٩ .

تمركز الانتاج الاحتكارات الناشئة عن هذا التمركز اندماج او اقتران البنوك والصناعة - هذا هو تاريخ نشوء الرأسمال المالي وفحوى هذا المفهوم

ينبغي علينا ان نبين الآن أن «تحكم» الاحتكارات الرأسمالية في الوضع العام للانتاج البضاعي وللملكية الخاصة يصير بصورة محتومة الى سيطرة الطغمة المالية ولنلاحظ أن ممثلي العلم البرجوازي الالمانى - وغير الالمانى - أمثال ريسر وشولتز - غيفر نيتز وليفمن واضرابهم هم جميعاً من مداحي الامبريالية والرأسمال المالي فهم لا يكشفون بل يطمسون ويطلون بالاصباغ «آلية» نشوء الطغمة المالية واحيائها ومقادير مداخلها «الحلال والحرام» وصلاتها بالبرلمانات وغير ذلك والخ وهم يتخلصون من «المسائل اللعينة» بالعبارات الطنانة الرنانة المبهمه وبنداءات لايقاظ «شعور المسؤولية» لدى مدراء البنوك وبكيل المديح ل«شعور الواجب» لدى الموظفين البروسيين وبتحليل جدي لتفاصيل مشروعات قوانين لا قيمة لها على الاطلاق بصدد «المراقبة» و«التحديد» وبلغو نظري من نوع مثلاً التعريف «العلمي» المزعوم الذي سجله البروفسور ليفمن **التجارة هي نشاط عملي هدفه جمع الخيرات وحفظها ووضعها تحت التصرف** * (حرف التأكيد في المؤلف للبروفسور نفسه . يستنتج أذن ان التجارة كان يمارسها الانسان البدائي ايضاً الذي كان يجهل التبادل وانها ستبقى كذلك في المجتمع الاشتراكي

بيد ان الوقائع الفظيعة التي تتعلق بسيطرة الطغمة المالية الفظيعة تفقأ العين ، ولذا نشأ في جميع البلدان الرأسمالية ، في اميركا وفي فرنسا وفي المانيا أدب يتمسك بوجهة النظر

البرجوازية ولكنه يعطي مع ذلك عن الطغمة المالية صورة صادقة تقريباً ومنتقدها وان انتقاداً مبتدلاً طبعاً
ينبغي أن نجعل حجر الزاوية «نظام الاشتراك» الذي سبق لنا ان تناولناه ببضع كلمات . وهاكم كيف يصف كنه القضية الاقتصادي الالمانى هيمان الذي كان بين الاولين الذين اعاروه اهتمامهم ان لم يكن الاول

«المدير يشرف على الشركة الأساسية («الشركة الام» بالحرف) ، وهي بدورها تسيطر على الشركات التابعة لها («الشركات البنات») التي تسيطر بدورها على «الشركات الحفيدات» وهلم جرأ . وهكذا يغدو بإمكان المرء ، دون ان يملك رأسمالاً كبيراً جداً ، ان يسيطر على ميادين هائلة من ميادين الانتاج وفي الواقع اذا كانت حيازة ٥٠ بالمئة من الرأسمال كافية على الدوام للاشراف على الشركة المساهمة فحسب القائد ان يملك مليوناً واحداً ليحصل على امكانية الاشراف على ثمانية ملايين من الرأسمال لدى «الشركات الحفيدات» واذا اتسع هذا «التشابك» يصبح بإمكان صاحب المليون ان يشرف على ستة عشر مليوناً اثنين وثلاثين مليوناً والنح .» *

وفي الواقع تبين الخبرة ان تملك اربعين في المئة من الأسهم كاف للتحكم بشؤون الشركة المساهمة * * لان قسماً معيناً من المساهمين الصغار المبعثرين لا يمكنهم في الواقع الاشتراك في الجمعيات العمومية النح ان صيغ تملك الاسهم بالصيغة «الديموقراطية» ان هذه العملية التي ينتظر منها السفسطائيون البرجوازيون والانتهازيون «الاشتراكيون-الديموقراطيون هم ايضاً»

Hans Gideon Heymann. «Die gemischten Werke im deutschen *

Großeisengewerbe». St., 1904 ص ص ٢٦٨ - ٢٦٩

* * «Beteiligungsges. etc.» Liefmann ، ص ٢٥٨ ، الطبعة الاولى .

(او يؤكدون انهم ينتظرون منها) «اصطباغ الرأسمال بالصبغة الديموقراطية» وتعاطم دور وأهمية الانتاج الصغير وغير ذلك ليست في الواقع الا وسيلة من وسائل زيادة بأس الطغمة المالية ولهذا السبب مع اسباب اخرى يسمح التشريع في البلدان الرأسمالية الأرقى او الأقدم و«الاكثر خبرة» باصدار اسهم اصغر في المانيا لا يسمح التشريع باصدار اسهم بمبلغ اقل من ألف مارك ولذا ينظر طواغيت المال الالمان بعين الحسد الى انجلترا التي يسمح فيها القانون باصدار اسهم بقيمة جنيه سترليني واحد (يعادل عشرين ماركاً اونحو عشرة روبلات) في السابع من حزيران (يونيو) سنة ١٩٠٠ صرح سيمنس ، احد كبار الصناعيين و«ملوك المال» الالمان قائلاً في الريخستاغ ان «السهم من فئة الجنيه السترليني الواحد هو اساس الامبريالية البريطانية» * لدى هذا التاجر مفهوم عن كنه الامبريالية اعلم جداً واكثر «ماركسية» من مفهوم كاتب ماجن يعتبر مؤسس الماركسية الروسية (٢٥٤) ويحسب الامبريالية خصلة غير حميدة فطر عليها شعب من الشعوب

ولكن «نظام الاشتراك» لا يقتصر على رفع سلطان الاحتكاريين لدرجة هائلة ؛ فهو ، عدا ذلك ، يمكن من ارتكاب شر الموبقات والمنكرات ومن تشليح الجمهور دون عقاب لان المشرفين على «الشركة الام» هم رسمياً بموجب القانون غير مسؤولين عن «الشركة البنت» التي تعتبر «مستقلة» والتي يمكن عن طريقها «تمشية» كل شيء وهاكم مثلاً اقتبسناه عن عدد أيار (مايو) سنة ١٩١٤ من المجلة الالمانية «البنك»

«الشركة المساهمة لفولاذ اللوالب» في كاسل كانت لعدة

سنوات مضت تعتبر مشروعاً من المشاريع الالمانية التي تعود بأكبر المداخيل وسوء الادارة قد بلغ بالامور حداً هبطت معه الارباح التي توزع على حملة الاسهم من ١٥ بالمئة الى صفر بالمئة وقد اتضح أن مجلس الادارة قد قدم بدون علم المساهمين لاحدى «شركاته البنات» «هاسيا» التي لا يتجاوز رأسمالها الاسمي عدة مئات من الوف الماركات سلفة بمبلغ ٦ ملايين مارك وفي حسابات «الشركة الأم» لم يرد ذكر لهذه السلفة التي تبلغ نحو ثلاثة اضعاف الرأسمال المساهم «للشركة الام» وقد كان هذا الاغفال مشروعاً تماماً من الناحية الحقوقية وكان بإمكانه ان يستمر سنتين كاملتين ، لان ذلك لا يخرق اي مادة من مواد التشريع التجاري ورئيس مجلس المراقبة الذي وقع بوصفه الشخص المسؤول على الميزانيات المزورة قد كان ولا يزال رئيساً للغرفة التجارية في كاسل ولم يعرف المساهمون بهذه السلفة المقدمة لشركة «هاسيا» الا بعد مرور وقت طويل عندما أتضح انها غلطة « (لقد كان على الكاتب ان يضع هذه الكلمة بين قوسين) »وعندما هبطت قيمة اسهم «فولاذ اللوالب» ١٠٠ بالمئة تقريباً بسبب عرضها للبيع من قبل المطلعين على خفايا الامور

ان هذا المثل النموذجي لتلفيق الميزانيات والمالوف تماماً

في الشركات المساهمة بين لنا السبب الذي يجعل مجالس اداراتها تجازف في القضايا الخطرة بجرأة اكبر من جرأة اصحاب الاعمال الفرديين فالطريقة الحديثة لوضع الميزانيات عدا انها تسهل اخفاء المجازفات عن المساهم المتوسط تمكن اصحاب المصلحة الرئيسيين من النجاة بجلودهم عن طريق بيع الاسهم في الوقت المناسب في حالة عدم نجاح التجربة في حين ان صاحب العمل المنفرد يدفع من جيبه مسؤولية كل ما يفعل ...

ان ميزانيات الكثير من الشركات المساهمة تشبه اطراس القرون الوسطى التي ينبغي على المرء ان يحسب في بادى الامر النص المكتوب ليكشف تحته الرموز التي تعطي معنى المخطوطة الصحيح» (الاطراس هي رقوق غطيت نصوصها الاولى لتكتب في مكانها نصوص جديدة)

«ان أسهل وسيلة لجعل الميزانيات غير مفهومة وبالتالي الوسيلة الاكثر انتشاراً هي تقسيم المشروع الموحد الى عدة اقسام عن طريق تأسيس «الشركات البنات» او عن طريق ضمها وفائدة هذه الطريقة من وجهة نظر مختلف الاهداف - من مشروعة وغير مشروعة - هي بينة لحد غدت معه من النوادر اليوم الشركات الكبرى التي لم تتبع هذه الطريقة» *

وكمثل على تطبيق هذه الطريقة بأوسع شكل يذكر الكاتب الشركة الاحتكارية الكبرى الذائعة الصيت «الشركة العامة للكهرباء» (A.E.G. ، وسنتحدث عنها فيما بعد) لقد اعتقدت في سنة ١٩١٢ ان هذه الشركة تشترك في ١٧٥-٢٠٠ شركة مسيطرة عليها طبعاً وشاملة بالمجموع رأسمالاً يقدر بمليار ونصف مليار مارك * . ان كل قواعد المراقبة والتفتيش ونشر الميزانيات ووضع تصاميم معينة لها واقامة المراقبة وغير ذلك من الامور التي يلهمي بها انتباه الجمهور الأساتذة والموظفون ذوو النية الحسنة اي الذين ينوون عن حسن قصد الدفاع عن الرأسمالية وتجميل وجهها هي أشياء لا قيمة لها في هذا الامر لان الملكية الخاصة مقدسة

L. Eschwege. «Tochtergesellschaften», «Die Bank», 1914. 1 *

ص ٥٤٥ (ل ايشيفغه «الشركات البنات» ، مجلة «البنك» الناشر)

Kurt Heinig. «Der Weg des Elektrotrusts», «Neue Zeit», 1912, **

2 Jahrg., 30 ، ص ٤٨٤ (كورت هينينغ «طريق تروست الكهرباء» ،
والازمنة الحديثة» ، سنة ١٩١٢ ، السنة الثلاثين . الناشر) .

فلا يمكن منع أحد من شراء الأسهم وبيعها وتبديلها ورهنها والنخ
ونستطيع أن نتبين النطاق الذي بلغه «نظام الاشتراك» في
البنوك الروسية الكبرى من الأرقام التي ذكرها ي آغاد الذي خدم
١٥ سنة موظفاً في البنك الروسي الصيني ونشر في ايار (مايو) سنة
١٩١٤ مؤلفاً عنوانه غير دقيق بعض الشيء : «البنوك الكبرى والسوق
العالمية» * يقسم المؤلف البنوك الروسية الكبرى الى فريقين
اساسيين (أ) التي تعمل على اساس «نظام الاشتراك» (وب
«المستقلة» معطياً مع ذلك بصورة كيفية لمفهوم «الاستقلال» معنى
الاستقلال عن البنوك الاجنبية والمؤلف يقسم الفريق الاول الى
ثلاث فرق ثانوية (١) الاشتراك الالمانى (٢) الاشتراك الانجليزي ؛
(٣) الاشتراك الفرنسى قاصداً هنا «اشتراك» وسيطرة البنوك
الاجنبية الكبرى العائدة للامم المذكورة ويقسم المؤلف رساميل
البنوك الى «رساميل» موظفة «بصورة منتجة» (في التجارة والصناعة)
و«بصورة مضاربة» (في البورصة والعمليات المالية) حاسباً بما فطر
عليه هو البرجوازي الصغير من تفكير اصلاحي برجوازي صغير ان
بالامكان ، مع بقاء الرأسمالية فصل نوع التوظيف الاول عن
الثاني وازالة الثاني

وها هي ارقام المؤلف

E. Agahd. «Großbanken und Weltmarkt. Die wirtschaftliche
und politische Bedeutung der Großbanken im Weltmarkt unter Berücksichtigung
ihres Einflusses auf Rußlands Volkswirtschaft und die deutsch-
russischen Beziehungen». Berl., 1914 (ي آغاد «البنوك الكبرى

والسوق العالمية اهمية البنوك الكبرى اقتصادياً وسياسياً في السوق العالمية
من وجهة نظر تأثيرها على الاقتصاد الوطني في روسيا وعلى العلاقات الالمانية
الروسية» برلين . (الناشر) .

موجودات البنوك (حسب حسابات تشرين الاول - اكتوبر - تشرين الثاني - نوفمبر - سنة ١٩١٣) بملايين الروبلات

الرساميل الموظفة			فرق البنوك الروسية
المجموع	بصورة مضاربة	بصورة منتجة	
١٢٧٢,٨	٨٥٩,١	٤١٣,٧	أ (١) اربعة بنوك : السيبيري التجاري ، الروسي ، الدولي ، بنك الخصم (٢) بنكان التجاري الصناعي والروسي الانجليزي
٤٠٨,٤	١٦٩,١	٢٣٩,٣	أ (٣) خمسة بنوك الروسي الاسيوي ، الخاص في سان بطرسبورغ ، الازوف - اللون ، الاتحاد في موسكو ، الروسي الفرنسي التجاري
١٣٧٣,٠	٦٦١,٢	٧١١,٨	
٣٠٥٤,٢	١٦٨٩,٤	١٣٦٤,٨	(١١ بنكا) المجموع (أ. . =)
٨٩٥,٣	٣٩١,١	٥٠٤,٢	ب) ثمانية بنوك: التجاري بموسكو ، الفولغا-كاما ، يونكر وشركاه ، التجاري بسان بطرسبورغ فافلبرغ السابق ، بنك موسكو ريبوشينسكي السابق ، الخصم بموسكو ، التجاري بموسكو ، الخاص بموسكو
٣٩٤٩,٥	٢٠٨٠,٥	١٨٦٩,٠	(١٩ بنكا) المجموع . . .

يتضح من هذه الأرقام ان أكثر من ٣/٤ ، اي أكثر من ثلاثة مليارات من نحو أربعة مليارات روبل تؤلف الرأسمال «العامل» للبنوك الكبرى تعود لبنوك ليست في الجوهر الا «شركات بنات» للبنوك الاجنبية وفي الدرجة الاولى للبنوك الباريسية (لبنوك الثلاثة المشهورة «الاتحاد الباريسي» و«بنك باريس والبلاد المنخفضة» و«الشركة العامة») وللبنوك البرلينية (ولا سيما «البنك الالمانى» و«شركة الخصم») وثمة بنكان من اكبر البنوك الروسية ، «البنك الروسى» («البنك الروسى للتجارة الخارجية») و«البنك الدولى» («بنك سان بطرسبورغ الدولى للتجارة») قد رفعا رأسمالهما من سنة ١٩٠٦ الى سنة ١٩١٢ من ٤٤ الى ٩٨ مليون روبل واحتياطياتهما من ١٥ الى ٣٩ مليون روبل «قائمين بثلاثة ارباع اعمالهما برساميل المانية» والبنك الاول تابع ل«كونسرن» «البنك الالمانى» في برلين والثانى تابع ل«شركة الخصم» في برلين ان آغامد الطيب ساخط أشد السخط لأن البنوك البرلينية تملك اكثرية الاسهم الامر الذي يجعل المساهمين الروس في حالة عجز وغنى عن القول ان البلاد التي تصدر رساميلها تنال «الزهرة» و«البنك الالمانى» في برلين مثلاً قد اصدر في برلين اسهم البنك التجارى السيبيري وابقاها في محفظته سنة كاملة ثم باعها بسعر ١٩٣ مقابل ١٠٠ أي بضعفي سعرها تقريباً و«جنى» زهاء ٦ ملايين روبل ربحاً يسميه هيلفردينغ «الربح التأسيسي»

يقدر المؤلف كامل «قوة» كبريات بنوك بطرسبورغ بـ ٨٢٣٥ مليون روبل ، اي بنحو ٨١/٤ مليارات روبل اما «اشترك» او بالاصح سيطرة البنوك الاجنبية فهو يحددها بالنسب التالية البنوك الفرنسية - ٥٥ بالمئة البنوك الانجليزية - ١٠ بالمئة البنوك الالمانية - ٣٥ بالمئة ومن مجموع الرأسمال العامل هذا الذي يبلغ ٨٢٣٥ مليون روبل ثمة ٣٦٨٧ مليون روبل اي أكثر

من ٤٠ بالمئة تعود وفق حسابات المؤلف للسينديكات برودأوغول، بروداميت ولسينديكات صناعات البترول والتعدين والاسمنت وعلى هذا فان اندماج الرأسمال البنكي والصناعي قد خطا كذلك في روسيا خطوات هائلة الى الأمام بسبب تشكيل الاحتكارات الرأسمالية

ان الرأسمال المالي المتمركز في أيد قليلة والذي يمارس الاحتكار فعلاً يبتز ارباحاً طائلة تتزايد باستمرار من تأسيس الشركات واصدار الاوراق المالية ومنح القروض للدولة الخ موطداً بذلك سيطرة الطغمة المالية وفارصاً على المجتمع بأكمله جزية لمصلحة المحتكرين وهاكم مثلاً من امثلة لا تحصى ذكره هيلفردينغ عن «تحكم» التروستات الاميركية في سنة ١٨٨٧ أسس هافيمير تروستاً للسكر عن طريق دمج ١٥ شركة صغيرة بلغ مجموع رأسمالها - ٦,٥ ملايين دولار اما رأسمال التروست فقد تم «تميعه بالماء» حسب التعبير الاميركي وقدر ٥٠ مليون دولار و«مضاعفة الرساميل» هذه تأخذ بالحسبان الأرباح الاحتكارية المقبلة كما ان تروست الفولاذ في أميركا ذاتها يأخذ بالحسبان الأرباح الاحتكارية المقبلة اذ يشتري بصورة متزايدة الاراضي التي تحوي مصادر الحديد وقد فرض تروست السكر في الواقع اسعاره الاحتكارية وحصل على مداخيل مكنته من ان يدفع لحملة الاسهم عشرة في المئة ربحاً مقابل رأسمال «مميع بالماء» سبعة اضعاف أي نحو ٧٠ بالمئة مقابل الرأسمال المدفوع فعلاً عند تأسيس التروست! وفي سنة ١٩٠٩ بلغ رأسمال التروست ٩٠ مليون دولار خلال اثنتين وعشرين سنة تضاعف الرأسمال اكثر من عشرة أضعاف وفي فرنسا اتخذت هيمنة «الطغمة المالية» («ضد الطغمة المالية في فرنسا» - عنوان كتاب مشهور من وضع ليزيس ، صدرت

طبعته الخامسة في سنة ١٩٠٨) شكلاً لا يكاد يختلف فثمة اربعة بنوك كبرى تتمتع بـ«الاحتكار» لا النسبي بل «المطلق» في اصدار الاوراق المالية وهي في الواقع «تروست البنوك الكبرى» والاحتكار يضمن الارباح الاحتكارية من الاصدار. وفي حالة القروض لاتقبض البلاد المستدينة في المعتاد اكثر من ٩٠ بالمئة من المبلغ وتبقى الـ ١٠ بالمئة حصة للبنوك وغيرها من الوسطاء وكان ربح البنوك ٨ بالمئة من القرض الروسي الصيني البالغ ٤٠٠ مليون فرنك و ١٠ بالمئة من القرض الروسي (سنة ١٩٠٤) البالغ ٨٠٠ مليون فرنك و١/٨٢ بالمئة من القرض المراكشي (سنة ١٩٠٤) البالغ ٦٢ مليوناً و ٥٠٠ الف فرنك ان الرأسمالية التي بدأت تطورها من الرأسمال المرابي الصغير تنهي تطورها بالرأسمال المرابي الضخم ويقول ليزيس «الفرنسيون هم مرابو اوروبا» ان جميع ظروف الحياة الاقتصادية تتغير تغيراً عميقاً بحكم تحول الرأسمالية هذا فـ«البلاد» تستطيع ان تثري من الربا مع بوار السكان والصناعة والتجارة والمواصلات البحرية «ان خمسين شخصاً يمثلون رأسمالاً بـ ٨ ملايين فرنك يمكنهم أن يتصرفوا بمليارين في اربعة بنوك» ونظام «الاشترك» وقد اطلعنا عليه يفضي الى نفس النتائج فثمة بنك من البنوك الكبرى «الشركة العامة» (Société Générale) يصدر ٦٤٠٠٠ سند لاحدى «الشركات البنات»، «معامل تكرير السكر بمصر» ولما كان سعر السند ١٥٠ بالمئة يربح البنك ٥٠ كوبيكاً من كل روبل وقد ظهر أن ارباح هذه الشركة وهمية فخر «الجمهور» من ٩٠ الى ١٠٠ مليون فرنك «وكان احد مدراء «الشركة العامة» عضواً في مجلس ادارة «معامل تكرير السكر» ولا غرو اذا اضطر المؤلف ان يخلص الى هذا الاستنتاج : «الجمهورية

الفرنسية هي مملكة مالية» «ان سيطرة الطغمة المالية هي سيطرة مطلقة فهي تهيمن على الصحافة وعلى الحكومة» *
 ان جسامه عائدات اصدار الاوراق المالية ، بوصفه احدى عمليات
 الرأسمال المالي الرئيسية تلعب دوراً هاماً للغاية في تطوير
 وتوطيد الطغمة المالية وتقول المجلة الالمانية «البنك» «لا يوجد
 في داخل البلاد مشروع يعطي ولو على وجه التقريب مثل هذه
 الارباح العالية التي تعطيها الوساطة في اصدار القروض الاجنبية» * * .
 «ليست هنالك عملية من عمليات البنوك تعود بارباح عالية
 كالاصدار» وبموجب ارقام «الاقتصادي الالمانى» بلغ الربح
 السنوي المتوسط من اصدار الاوراق المالية للشركات الصناعية

بالمئة ١٨٩٧-٦٧,٧

بالمئة ١٨٩٥-٣٨,٦

بالمئة ١٨٩٩-٦٦,٩

بالمئة ١٨٩٦-٣٦,١

بالمئة ١٩٠٠-٥٥,٢

بالمئة ١٨٩٧-٦٦,٧

«في غضون عشر سنوات ١٨٩١ - ١٩٠٠ «عاد» اصدار
 الاوراق المالية على الشركات الصناعية الالمانية بأكثر من مليار» * * * .
 واذا كانت أرباح الرأسمال المالي في منتهى الضخامة اثناء
 النهضات الصناعية ففي اثناء مراحل الانحطاط تهلك المشاريع

Lysis. Contre l'oligarchie financière en France». 5 éd., P 1908 *

«ضد الطغمة المالية في فرنسا» (ليزيس) pp. 11, 12, 26, 39, 40, 48
 الطبعة الخامسة ، باريس ، سنة ١٩٠٨ ، ص ص ١١ ١٢ ، ٢٦ ، ٣٩ ،
 ٤٠ ، ٤٨ (الناشر)

«Die Bank», 1913, N 7, S. 630. * * *

W. Sombart. * * * Stillich ، المؤلف المذكور ، ص ١٤٣ و
 «Die deutsche Volkswirtschaft im 19. Jahrhundert». 2 Aufl., 1909, S. 526,
 Anlage 8 (ف زومبارت «الاقتصاد الوطني الالمانى في القرن التاسع عشر» .
 الطبعة الثانية ، سنة ١٩٠٩ ، ص ٥٢٦ ، الملحق ٨ . (الناشر) .

الصغيرة وغير الوطيدة اما البنوك الكبرى و«تشارك» في شرائها باسعار بخسة او في «اشفائها» و«اعادة تنظيمها» جانية الفوائد من ذلك وفي حالة «اشفاء» المشاريع المصابة بالعجز «يخفض الرأسمال المساهم اي توزع المداخيل على رأسمال اقل وتحسب في المستقبل على اساسه او يجري في حالة هبوط العائدات الى الصفر اجتذاب رأسمال جديد يحمل عائدات كافية بدمجه بالرأسمال القديم ذي العائدات القليلة» ويضيف هيلفريدينغ قائلاً «ولنلاحظ في سياق الحديث ان جميع عمليات الاشفاء واعادة التنظيم هذه هي في نظر البنوك ذات اهمية مزدوجة اولاً باعتبارها عملية رابحة وثانياً باعتبارها فرصة ملائمة لتجعل الشركات المحتاجة في حالة تبعية لها» *

وهاكم المثل الشركة المساهمة لاستخراج المعادن ، «اونيون» («اتحاد») بدورتموند تأسست في سنة ١٨٧٢ برأسمال مساهم يقرب من ٤٠ مليون مارك وارتفع سعر اسهمها الى ١٧٠ بالمئة بعد أن دفعت لحملة الاسهم في سنتها الاولى ارباحاً بنسبة ١٢ بالمئة وقد سحب الرأسمال المالي القشطة وربح مبلغاً «تافها» يوازي ٢٨ مليون مارك «فقط» وعند تأسيس هذه الشركة لعب الدور الرئيسي ذلك البنك الالمانى الضخم «شركة الخصم» الذي رفع رأسماله سليماً معافى الى ٣٠٠ مليون مارك ثم هبط ربح سهم «اونيون» الى الصفر فاضطر المساهمون الى الموافقة على «حذف» الرأسمال ، اي على خسارة جزء منه لكيلا يفقدوا كل شيء وبنتيجة جملة من عمليات «الاشفاء» طار من سجلات شركة «اونيون» خلال ثلاثين سنة مبلغ يزيد على ٧٣ مليون مارك «وفي الوقت الحاضر لا يملك المساهمون المؤسسون لهذه الشركة أكثر من ٥ بالمئة من

* «الرأسمال المالي» ، ص ١٧٢ .

القيمة الاسمية لاسهمهم» * ولكن البنوك ما تنفك «تربح» من كل عملية من عمليات «الاشفاء»

ومن عمليات الرأسمال المالي الرابعة للغاية كذلك المضاربة بقطع الاراضي الموجودة في ضواحي المدن الكبرى التي تتسع بسرعة وفي هذه الحالة يندمج احتكار البنوك باحتكار الريع العقاري وباحتكار طرق المواصلات ، لأن ارتفاع اسعار قطع الاراضي وامكانية بيعها بصورة مفيدة قطعاً صغيرة الخ يتوقفان بوجه خاص على سهولة المواصلات مع مركز المدينة ووسائط المواصلات هذه هي في أيدي الشركات الكبرى المتصلة بهذه البنوك ذاتها عن طريق نظام الاشتراك واقتسام مناصب المدراء ويكون الحاصل ما أطلق عليه الكاتب الالمانى ايشفيغه المحرر في مجلة «البنك» والذي انصرف بصورة خاصة الى دراسة عملية التجارة بقطع الاراضي ورهنها والخ اسم «المستنقع» مضاربة مسعورة بقطع الاراضي في ضواحي المدن افلاس شركات البناء كشركة «بوسفاو وكناور» في برلين التي اكتسبت من النقود ما بلغ ١٠٠ مليون مارك بوساطة «البنك الالمانى» (Deutsche Bank) «الضخم المعتبر» الذي كان يعمل بطبيعة الحال بموجب نظام «الاشترك» ، اي سراً في الخفاء والذي تخلص من الورطة ولم يخسر «سوى» ١٢ مليون مارك ثم خراب صغار الملاكين والعمال الذين لم يقبضوا شيئاً من شركات البناء المزيفة وصفقات غير قانونية مع هيئات الادارة والشرطة «النزيهة» في برلين من اجل وضع اليد على معاملات اعطاء شتى المعلومات عن قطع الاراضي ومنح رخص البلدية لتشبيد الابنية وغير ذلك وهلم جراً **

* Stillich ، المؤلف المذكور ، ص ١٣٨ و Liefmann ، ص ٥١

** «Der Sumpf» ، L. Eschwege ، 1913 ، S. 952 ، «Die Bank» («المستنقع») .

(الناشر) . نفس المصدر ، سنة ١٩١٢ ، مجلد ١ ، ص ٢٢٣ وما يليها .

ان «العادات الاميركية» التي طالما رفع الاساتذة الاوروبيون والبرجوازيون الطيبون بشأنها عيون الضراعة نفاقاً الى السماء قد غدت في عصر الرأسمال المالي عادات لكل مدينة كبيرة في اي بلد من البلدان بمعنى الكلمة الحرفي

ففي اوائل سنة ١٩١٤ كانوا يتحدثون في برلين عن تأسيس «تروست للنقل» اي «وحدة مصالح» بين ثلاثة مشاريع برلينية للنقل سكة الحديد الكهربائية في المدينة وشركة الترام وشركة سيارات الاومنيبوس وكتبت مجلة «البنك» «علمنا انهم عقدوا النية على ذلك منذ تبين ان اكثرية أسهم شركة سيارات الاومنيبوس قد أنتقلت الى أيدي شركتي نقل آخرين ويمكننا ان ننق كليا بان الاشخاص الذين يستهدفون ذلك ، يأملون ان يبلغوا ، عن طريق تنظيم ادارة واحدة لشؤون النقل الحصول على توفيرات يعود قسم منها في نهاية الامر الى الجمهور ولكن ما يعقد المسألة هو أن البنوك تقف وراء تروست النقل الجاري تشكيله وانها تستطيع متى ارادت ان تخضع لمصالح تجارتها بقطع الاراضي وسائط المواصلات التي تحتكرها ولكيما نقنع بأن هذا الافتراض طبيعي حسبنا ان نتذكر أنه منذ تأسيس شركة سكة الحديد الكهربائية في المدينة ارتبطت بها مصالح ذلك البنك الكبير الذي شجع على تأسيسها نمني أن مصالح مشروع النقل هذا قد تشابكت بمصالح التجارة بقطع الأراضي والقضية هي أن الخط الشرقي لهذه السكة الحديدية كان ينبغي ان يشمل قطع الأراضي التي باعها هذا البنك فيما بعد عندما اصبح مد هذا الخط امرا مضمونا بربح كبير لنفسه ولبعض الشركاء .» *

ما ان يتشكل الاحتكار ويتصرف بالمليارات حتى يتخلل بصورة

• 1, 1914, «Die Bank», «Verkehrstrust», ص ٨٩ («تروست النقل» ،

محتومة جميع نواحي الحياة الاجتماعية بصرف النظر عن النظم السياسية وعن كل «التفاصيل» الأخرى وقد اعتاد الادب الاقتصادي الألماني ان يمتدح بتزلف نزاهة الموظفين البروسيين ملمحاً الى باناما الفرنسية (٢٥٥) او الى الرشوة السياسية الأميركية ولكن الواقع ان حتى الادب البرجوازي الذي يتناول شؤون البنوك في ألمانيا يرى نفسه على الدوام مضطراً لان يتخطى لحد بعيد حدود العمليات البنكية الصرف وان يكتب مثلاً عن «الاندفاع نحو البنوك» بمناسبة تكاثر حوادث انتقال الموظفين الى الخدمة في البنوك: «واين هي اذن نزاهة الموظف في دوائر الدولة الذي يصبو في اعماق نفسه الى مكان دافئ في البيرينشتراسه؟» * - شارع في برلين يوجد فيه مقر «البنك الألماني» في سنة ١٩٠٩ كتب صاحب مجلة «البنك» الفرد لانسبورغ مقالا عنوانه «اهمية بيزنطية من الناحية الاقتصادية» تناول فيه في سياق الحديث رحلة غليوم الثاني الى فلسطين و«نتيجتها المباشرة - مد خط سكة حديد بغداد» «أكبر أعمال الذهنية التجارية الألمانية»، هذا الامر المشؤوم المسؤول عن «التطويق» أكثر من جميع ذنوبنا السياسية الأخرى مجتمعة» * * - (المقصود بالتطويق سياسة ادوارد السابع الذي سعى وراء عزل ألمانيا وتطويقها بطوق من اتحاد امبريالي معاد لآلمانيا) وفي سنة ١٩١١ كتب المحرر في مجلة «البنك» الذي سبق لنا ذكره ايشفيغله مقالا عنوانه: «البلوتوقراطية والموظفون» كشف فيه مثلاً حادثة الموظف الألماني فولكر الذي كان عضواً في لجنة الكارتيلات واشتهر ببعدهمته؛ فما ان مضى بعض الوقت حتى شغل مقعداً وثيراً يدر الربح في اكبر الكارتيلات سينديكا الفولاذ ان

* 1, 1909, «Die Bank», «Der Zug zur Bank», ص ٧٩ («الاندفاع

نحو البنك» ، مجلة «البنك» الناشر)

* * 1, 1909, «Der Zug zur Bank», ص ٣٠١ .

امثال هذه الحوادث ، وما هي بالعرضية قط ، قد أرغمت هذا الكاتب البرجوازي نفسه على الاعتراف بان «الحرية الاقتصادية التي يضمنها الدستور الالمانى قد غدت في كثير من ميادين الحياة الاقتصادية عبارة فارغة» وبانه في ظروف سيطرة البلوتوقراطية «تعجز حتى أوسع الحرية السياسية عن انقاذنا من ان نغدو شعباً من أناس غير أحرار» * .
 اما فيما يخص روسيا فنكتفي بمثل واحد منذ عدة سنوات نشرت جميع الجرائد خبراً مؤداه ان دافيدوف مدير ديوان التسليف ، يترك الخدمة في دوائر الدولة ليستلم منصباً في بنك من البنوك الكبرى مقابل راتب يؤلف في بضع سنوات ، بموجب العقد مبلغاً يزيد على مليون روبل وديوان التسليف هو مؤسسة مهمتها «توحيد نشاط جميع مؤسسات التسليف في الدولة» وتقدم لبنوك العاصمة امانات بمبلغ يتراوح بين ٨٠٠ و ١٠٠٠ مليون روبل * *
 من خواص الرأسمالية بوجه عام فصل ملكية الرأسمال عن توظيف الرأسمال في الانتاج فصل الرأسمال النقدي عن الرأسمال الصناعي او المنتج فصل صاحب الدخل الذي يعيش فقط من عائد الرأسمال النقدي عن رب العمل وجميع المشتركين مباشرة في التصرف بالرأسمال والامبريالية او سيطرة الرأسمال المالي هي مرحلة الرأسمالية العليا التي يبلغ فيها هذا الفصل مقاييس هائلة وهيمنة الرأسمال المالي على بقية اشكال الرأسمال تعني سيطرة صاحب الدخل والطغمة المالية تعني بروز عدد ضئيل من الدول التي تملك «البأس» المالي بين سائر الدول الاخرى ويمكننا ان نتبين مدى نطاق هذا السير من ارقام احصاءات الاصدار اي اصدار مختلف انواع الاوراق المالية

* نفس المصدر ، سنة ١٩١١ ، ٢ ، ص ٨٢٥ ؛ سنة ١٩١٣ ، ٢ ،

ص ٩٦٢

* * E. Agahd ، ص ٢٠٢ .

نشر أ نيمارك في «نشرة معهد الاحصاءات العالمي» * اوسع المعلومات المقارنة واكملها عن اصدار الاوراق المالية في العالم اجمع أُعيد نشرها فقرات فيما بعد مراراً وتكراراً في الادب الاقتصادي وها هي نتائج اربعة عقود من السنين

مبالغ الاصدارات بليارات الفرنكات في كل عقد من السنين

٧٦,١	١٨٨٠-١٨٧١
٦٤,٥	١٨٩٠-١٨٨١
١٠٠,٤	١٩٠٠-١٨٩١
١٩٧,٨	١٩١٠-١٩٠١

في سنوات العقد الثامن ارتفع مبلغ الاصدار الاجمالي في العالم كله بالقروض بوجه خاص وهي نتيجة للحرب الفرنسية البروسية ولعهد الغروندير الذي تبعها في المانيا وبوجه الاجمال لم تكن كبيرة نسبياً سرعة ازدياد مبلغ الاصدار في غضون العقود الثلاثة الاخيرة من القرن التاسع عشر ؛ ولكن الزيادة في غضون العقد الاول من القرن العشرين كانت كبيرة جداً نحو الضعف خلال عشر سنوات وعلى ذلك كان مستهل القرن العشرين عهد انعطاف ليس فقط فيما يخص نمو الاحتكارات (كارتيلات ، سينديكات ، تروستات) وهو ما سبق لنا الحديث عنه ، بل وفيما يخص نمو الرأسمال المالي يقدر نيمارك المبلغ الاجمالي للاوراق المالية في العالم بنحو ٨١٥ مليار فرنك في سنة ١٩١٠ وقد طرح على وجه التقريب المبلغ

Bulletin de l'institut international de statistique. XIX, livr. II. *

La Haye, 1912. (نشرة معهد الاحصاءات العالمي ، المجلد ١٩ ، الكتاب

٢ ، لاهاي الناشر) . - معلومات عن الدول الصغيرة ، العمود الثاني ، مأخوذة

تقريباً حسب معدلات سنة ١٩٠٢ ، مكبرة ٢٠ بالمئة .

المكرر وخفض هذا المبلغ الى ٥٧٥ - ٦٠٠ مليار اليكم توزيعها على بلدان العالم (باعتبار المبلغ ٦٠٠ مليار)

مبلغ الاوراق المالية في سنة ١٩١٠ (بمليارات الفرنكات) :

١٢,٥	هولنده	} ٤٧٩	١٤٢	انجلترا
٧,٥	بلجيكا		١٣٢	الولايات المتحدة
٧,٥	اسبانيا		١١٠	فرنسا
٦,٢٥	سويسرا		٩٥	المانيا
٣,٧٥	الدانمارك		٣١	روسيا
٢,٥	السويد، النرويج، رومانيا وغيرها		٢٤	النمسا-المجر
			١٤	ايطاليا
٦٠٠	المجموع	١٢	اليابان	

ان هذه الارقام ويبدو ذلك لاول وهلة تبرز بوضوح البلدان الرأسمالية الاربعة الغنية جداً والتي تملك كل واحدة منها على وجه التقريب من ١٠٠ الى ١٥٠ مليار فرنك من الاوراق المالية وثمة بلدان من هذه البلدان الاربعة - انجلترا وفرنسا - هما أقدم البلدان الرأسمالية واغناها بالمستعمرات كما سنرى ذلك والبلدان الأخران - الولايات المتحدة والمانيا - هما البلدان الاكثر تقدماً من حيث سرعة التطور ومن حيث درجة انتشار الاحتكارات الرأسمالية في الانتاج وتملك هذه البلدان الاربعة معاً ٤٧٩ مليار فرنك اي نحو ٨٠ بالمئة من الرأسمال المالي العالمي ومعظم ما تبقى من العالم يقوم لهذا الحد او ذاك بدور المدين ودافع الخراج لهذه البلدان - صيارفة العالم «دعامات» الرأسمال المالي العالمي الرابع

وينبغي علينا أن نتناول بوجه خاص ذلك الدور الذي يلعبه تصدير الرأسمال في انشاء شبكة التبعية والترابط العالمية للرأسمال المالي .

٤ - تصدير الرأسمال

كان تصدير البضائع الحالة النموذجية في الرأسمالية القديمة ، حيث كانت السيادة التامة للمزاحمة الحرة وغدا تصدير الرأسمال الحالة النموذجية في الرأسمالية الحديثة التي تسودها الاختكارات الرأسمالية هي الانتاج البضاعي في مرحلة تطوره العليا التي تغدو فيها قوة العمل بضاعة كذلك واتساع التبادل في داخل البلاد ولا سيما على الصعيد العالمي هو السمة الخاصة المميزة للرأسمالية ان تطور المشاريع والفروع الصناعية والبلدان بشكل متفاوت وبطفرات هو امر محتوم في عهد الرأسمالية في البدء غدت انجلترا قبل البلدان الاخرى بلداً رأسمالياً وفي اواسط القرن التاسع عشر ، أخذت تدعي ، وقد اقرت التجارة الحرة ، بدور «مصنع العالم» ، بدور مصدر المنتوجات الجاهزة الى جميع بلدان العالم التي كان ينبغي عليها أن تزودها بالخامات بالمقابل ولكن احتكار انجلترا هذا قد اخذ يتزعزع منذ الربع الاخير من القرن التاسع عشر لان عدداً من البلدان الاخرى قد صارت دولاً رأسمالية مستقلة ، مدافعة عن نفسها بالرسوم الجمركية «الوقائية» وفي عشية القرن العشرين نرى تشكل نوع آخر من الاختكارات اولاً اتحادات رأسماليين احتكارية في جميع بلدان الرأسمالية المتطورة وثانياً وضع احتكاري لبعض البلدان في منتهى الغنى بلغ فيها تراكم الرأسمال مقاييس هائلة وقد حدث «فيض من الرساميل» ضخم في البلدان المتقدمة

وبديهي ان مسألة فيض الرأسمال ما كانت لتطرح لو استطاعت الرأسمالية تطوير الزراعة المتأخرة الآن عن الصناعة تأخراً كبيراً في كل مكان لو استطاعت الرأسمالية رفع مستوى معيشة جماهير السكان ، المستوى الذي يبقى في كل مكان متاخماً

للجوع والبؤس رغم التقدم التكنيكي المذهل ولا يترك نقاد
 الرأسمالية من صغار البرجوازيين مناسبة الا ويعمدون فيها الى ذكر
 هذه «الحجة» ولكن الرأسمالية في هذه الحالة ما كانت لتكون
 رأسمالية لان التفاوت في التطور وانحطاط معيشة الجماهير الى
 مستوى يتأخم الجوع هما شرطان ومهدان اساسيان لا بد منهما
 لاسلوب الانتاج هذا وما ظلت الرأسمالية رأسمالية لا يوجه
 فيض الرأسمال الى رفع مستوى معيشة الجماهير في بلاد معينة لان
 ذلك يسفر عن تخفيض ارباح الرأسماليين بل يوجه الى رفع الارباح
 عن طريق تصدير الرأسمال الى الخارج الى البلدان المتأخرة
 والربح مرتفع في المعتاد في هذه البلدان المتأخرة لان الرساميل
 قليلة واسعار الارض منخفضة نسبياً والاجور زهيدة والخامات
 رخيصة وما ينشئ امكانية تصدير الرأسمال هو وجود جملة من
 البلدان المتأخرة قد انجذبت الى تيار الرأسمالية العالمية ومدت
 فيها جملة من خطوط السكك الحديدية الرئيسية او بدى بمدها
 وتهيأت فيها الظروف الاولية لتطور الصناعة والخ وتنشأ ضرورة
 تصدير الرأسمال عن واقع ان الرأسمالية قد «نضجت جداً» في عدد
 ضئيل من البلدان وان الرأسمال (في ظروف تأخر الزراعة وبؤس
 الجماهير) لا يجد صعيداً «رابحاً» للتوظيف
 وها هي الارقام التقريبية عن مقادير الرساميل التي وظفتها
 في الخارج ثلاثة بلدان رئيسية *

* Hobson. «Imperialism» L., 1902, p. 58 (هوبسون ، «الامبريالية» .

الناشر) Riesser ، المؤلف المذكور ، ص ص ٣٩٥ و ٤٠٤ ؛ P. Arndt في
 «Weltwirtschaftliches Archiv», Bd. 7, 1916, S. 35 (ب. آرندت في
 «سجلات الاقتصاد العالمي» ، مجلد ٧ ، سنة ١٩١٦ ، ص ٣٥ الناشر) ؛
 Neymarck في Bulletin (نيمارك في النشرة . الناشر) ؛ هيلفردينغ «الرأسمال
 المالي» ، ص ٤٩٢ ؛ Lloyd George (لويد جورج . الناشر) ، خطاب في

الرأسمال الموظف في الخارج

(بمليارات الفرنكات)

سنوات	انجلترا	فرنسا	المانيا
١٨٦٢	٣,٦	١-	-
١٨٧٢	١٥	١٠ (١٨٦٩)	
١٨٨٢	٢٢	١٥ (١٨٨٠)	؟
١٨٩٣	٤٢	٢٠ (١٨٩٠)	؟
١٩٠٢	٦٢	٣٧-٢٧	١٢,٥
١٩١٤	١٠٠-٧٥	٦٠	٤٤

نرى من هذا الجدول ان تطور تصدير الرأسمال لم يبلغ مقاييسه الهائلة الا في مستهل القرن العشرين وان الرأسمال الذي وظفته في الخارج البلدان الرئيسية الثلاثة قد بلغ قبل الحرب مبلغاً مجلس العموم في ٤ ايار (مايو) سنة ١٩١٥ «Daily Telegraph»
 («التلغراف اليومية» الناشر) ، ٥ ايار (مايو) ١٩١٥ ؛ B. Harms.
 «Probleme der Weltwirtschaft». Jena, 1912, S. 235. وغيرها
 (ب) هارمس «قضايا الاقتصاد العالمي» يينا ، سنة ١٩١٢ ، ص ٢٣٥
 وغيرها الناشر) ؛ Dr. Siegmund Schilder. «Entwicklungstendenzen der
 Weltwirtschaft». Berlin, 1912. Bd. S. 150 (الدكتور زيغموند شيلدر
 «اتجاهات تطور الاقتصاد العالمي». برلين ، سنة ١٩١٢ ، مجلد ١ ، ص ١٥٠
 الناشر) ؛ George Paish. «Great Britain's Capital Investments etc.»
 في «Journal of the Royal Statistical Society», vol. LXXIV.
 سنتي ١٩١١-١٩١٢ ، ص ١٦٧ وما يليها (جورج بيش «توظيف
 رساميل بريطانيا العظمى الخ» في «مجلة جمعية الاحصاء الملكية» ،
 مجلد ٧٤ . الناشر) ؛ Georges Diouritch. «L'Expansion des banques
 allemandes à l'étranger, ses rapports avec le développement
 économique de l'Allemagne». P. 1909, p. 84 (جورج ديوريتش
 «توسع البنوك الالمانية في الخارج وعلاقته بالتطور الاقتصادي في المانيا» .
 باريس ، ١٩٠٩ ، ص ٨٤ . الناشر) .

يتراوح بين ١٧٥ و ٢٠٠ مليار فرنك وعائد هذا المبلغ على اساس معدل متواضع قدره ٥ بالمئة يتكون من ٨ - ١٠ مليارات فرنك في السنة وهو اساس مكين لظلم واستثمار اكثريه امم وبلدان العالم امبريالياً وللطفيلية الرأسمالية لحفنة من الدول الثرية !

كيف توزع بين مختلف البلدان هذه الرساميل الموظفة في الخارج واين توظف ؟ جواب هذا السؤال لا يمكن ان يكون الا تقريبياً ولكنه يوضح مع ذلك بعض ما للامبريالية الحديثة من علاقات وصلات عامة

**قارات العالم الموزع بينها (بصورة تقريبية) الراسمال المصدر
(حوالي سنة ١٩١٠)**

انجلترا فرنسا المانيا المجموع
(بمليارات الماركات)

٤٥	١٨	٢٣	٤	اوروبا
٥١	١٠	٤	٣٧	اميركا
٤٤	٧	٨	٢٩	آسيا وافريقيا واورستاليا
١٤٠	٣٥	٣٥	٧٠	المجموع

بالنسبة لانجلترا تحتل مستعمراتها المقام الاول، وهي كبيرة في اميركا ايضا (كندا مثلاً) ناهيك عن آسيا وغيرها وتصدير الرساميل في هذا النطاق الهائل يتصل اوثق اتصال هنا بالمستعمرات الهائلة التي سنتحدث فيما بعد عن اهميتها بالنسبة للامبريالية ويختلف الامر بالنسبة لفرنسا فان رأسمالها المصدر موظف في اوروبا بصورة رئيسية وفي روسيا بالدرجة الاولى (ما لا يقل عن عشرة مليارات فرنك) وهو في معظمه رأسمال تسليفي قروض للدولة، لا رأسمال موظف في المشاريع الصناعية. وخلافاً للامبريالية الانجليزية القائمة على حيازة المستعمرات يمكن نعت الامبريالية الفرنسية بالامبريالية المرابية. وفي المانيا نوع ثالث : مستعمراتها

ليست كبيرة ورأسمالها الموظف في الخارج موزع بالصورة الاقرب الى التساوي بين اوروبا واميركا

ان تصدير الرساميل يؤثر على تطور الرأسمالية في البلدان التي يوجه اليها معجلاً هذا التطور لاقصى حد ولذا فان هذا التصدير اذا كان بإمكانه ان يفضي لدرجة معينة الى بعض الركود في تطور البلدان المصدرة فهذا لا يمكن ان يحدث الا مقابل اطراد تطور الرأسمالية سعة وعمقاً في العالم بأسره

والبلدان المصدرة للرأسمال تجد بصورة دائمة تقريباً امكانية الحصول على «فوائد» معينة ذات طابع يلقي النور على خصائص عهد الرأسمال المالي والاحتكارات واليكم مثلاً ما كتبت في تشرين الاول (اكتوبر) سنة ١٩١٣ مجلة «البنك» الصادرة في برلين

«ان مهزلة تستحق ريشة اريستوفان تعرض من امد قريب في السوق المالية العالمية فئمة عدد كبير من الدول الاجنبية من اسبانيا حتى البلقان ومن روسيا حتى الارجننتين والبرازيل والصين تتقدم من الاسواق المالية الكبرى علناً او من وراء ستار بطلب القروض واحياناً بالحاح شديد والحالة في الاسواق المالية ليست الآن على ما يرام والآفاق السياسية ليست وضاء ولكن ما من سوق مالية تجرؤ على رفض منح القرض خوفاً من ان يسبقها الجار ويوافق على منح القرض ويضمن لنفسه في الوقت ذاته خدمات لقاء خدمات ولدى عقد الصفقات الدولية من هذا النوع ينال الدائن في معظم الحالات شيئاً ما لمصلحته تنازلاً عند عقد معاهدة تجارية مركزاً من مراكز الفحم بناء ميناء امتيازاً دسماً او توصية على كمية من المدافع» *

لقد انشأ الرأسمال المالي عهد الاحتكار والاحتكارات تحمل معها في كل مكان مبدأ الاحتكار استغلال «العلاقات» لعقد الصفقات

المفيدة يحل محل المزاومة في السوق المفتوحة فمن المؤلف جداً ان يشترط عند منح القرض اتفاق قسم منه على شراء منتجات البلاد الدائنة ولا سيما الاسلحة والسفن وما شاكل ذلك فقد عمدت فرنسا الى هذه الوسيلة مراراً وتكراراً خلال العقدين الاخيرين من السنين (١٨٩٠ - ١٩١٠) لقد غدا تصدير الرساميل الى الخارج وسيلة لتشجيع تصدير البضائع الى الخارج وفي هذا الحال تغدو الصفقات بين المشاريع الكبيرة جداً «متاخمة للرشوة» كما قال شيلدر * «بحذر» ان كروب في المانيا وشنيدر في فرنسا وآرمسترونغ في انجلترا هم نموذج هذه الشركات المتصلة اوثق اتصال بالبنوك الكبرى وبالحكومة التي ليس من السهل «تجنبها» عند عقد قرض

فرنسا التي منحت روسيا القروض قد «ضيققت» عليها في المعاهدة التجارية المعقودة في ١٦ من ايلول (سبتمبر) سنة ١٩٠٥ واشترطت بعض تنازلات حتى سنة ١٩١٧ وسلكت نفس السلوك في المعاهدة التجارية المعقودة مع اليابان في ١٩ آب (اغسطس) سنة ١٩١١ وقد كانت المزاومة بين النمسا وفرنسا في امر تزويد صربيا بالعتاد الحربي احد اسباب الحرب الجمركية التي دارت بين النمسا وصربيا من سنة ١٩٠٦ الى سنة ١٩١١ باستثناء انقطاع استمر سبعة اشهر ففي كانون الثاني (يناير) سنة ١٩١٢ اعلن بول ديشانيل في مجلس النواب ان الشركات الفرنسية قد قدمت لصربيا من سنة ١٩٠٨ الى سنة ١٩١١ عتاداً حربياً بمبلغ ٤٥ مليون فرنك

وجاء في تقرير فنصل النمسا - المجر في سان باولو (البرازيل) «يجري مد السكك الحديدية البرازيلية بمعظمه بالرساميل الفرنسية»

* Schilder ، المؤلف المذكور ، ص ص ٣٤٦ ، ٣٥ ، ٣٧١

والبلجيكية والبريطانية والالمانية وهذه البلدان تشتت اثناء العمليات المالية المتصلة بمد السكك الحديدية ان يعهد اليها بتقديم مواد البناء اللازمة لمد السكك الحديدية»

وعلى هذه الصورة ويمكننا ان نقول ذلك بالمعنى الحرفي للكلمة يلقي الرأسمال المالي شباهه على جميع بلدان العالم وتلعب دوراً هاماً في هذا الامر البنوك المؤسسة في المستعمرات وكذلك فروعها ان الامبرياليين الالمان ينظرون بعين الحسد الى البلدان الاستعمارية «القديمة» ، التي ضمنت نفسها من هذه الناحية بصورة «موفقة» جداً ففي سنة ١٩٠٤ كان لدى انجلترا ٥٠ بنكاً في المستعمرات لها ٢٢٧٩ فرعاً (وفي سنة ١٩١٠ ٧٢ بنكاً لها ٥٤٤٩ فرعاً) وكان لدى فرنسا ٢٠ بنكاً لها ١٣٦ فرعاً ولدى هولندة ١٦ بنكاً لها ٦٨ فرعاً في حين لم يكن لدى المانيا «سوى» ١٣ بنكاً لها ٧٠ فرعاً * والرأسماليون الاميركان يحسدون بدورهم الرأسماليين الانجليز والالمان فقد رفعوا اصوات الشكوى في سنة ١٩١٥ «في اميركا الجنوبية ٥ بنوك المانية لها ٤٠ فرعاً و ٥ بنوك انجليزية لها ٧٠ فرعاً وقد وظفت انجلترا والمانيا خلال الخمس والعشرين سنة الاخيرة في الارجنتين والبرازيل والاوروغواي نحو ٤ بليونات (مليارات) دولار وهما بنتيجة ذلك تتصرفان بـ ٤٦ بالمئة من مجموع تجارة هذه البلدان الثلاثة» * *

ان البلدان مصدرة الرساميل قد اقتسمت العالم فيما بينها

* Riesser ، المؤلف المذكور ، ص ٣٧٥ ، الطبعة الرابعة

و Diouritch ، ص ٢٨٣

The Annals of the American Academy of Political and Social * *

Science, vol. LIX, May 1915, p. 301 (السجل السنوي لأكاديمية

العلوم السياسية والاجتماعية الاميركية ، المجلد ٥٩ ، ايار (مايو) سنة ١٩١٥ ، ص ٣٠١ (الناشر) . ونقرأ في المصدر نفسه ، ص ٣٣١ ، ان الاخصائي المعروف في الاحصاء Paish (بيش) قد كتب في العدد الاخير من

بمعنى الكلمة المجازي غير ان الرأسمال المالي قد افضى الى اقتسام مباشر للعالم .

٥ - اقتسام العالم بين اتحادات الرأسماليين

ان اتحادات الرأسماليين الاحتكارية - الكارتيلات السينديكات ، التروستات - تقسم فيما بينها باديء ذي بدء السوق الداخلية مؤمنة لنفسها السيطرة على الانتاج في بلاد معينة بصورة مطلقة ما امكن ولكن لا مناص للسوق الداخلية في عهد الرأسمالية من ان ترتبط بالسوق الخارجية وقد انشأت الرأسمالية السوق العالمية من امد بعيد وكلما كان يزداد تصدير الرأسمال وتتسع شتى انواع العلاقات بالخارج وبالمستعمرات وتتسع «مناطق نفوذ» الاتحادات الاحتكارية الضخمة كانت الامور تسير «بصورة طبيعية» في اتجاه الاتفاق العالمي بين هذه الاتحادات ، في اتجاه تشكل الكارتيلات العالمية .

وهذه درجة جديدة في تمركز الرأسمال والانتاج على النطاق العالمي ودرجة اعلى من السابقة الى ما لا قياس له . فلنر كيف يتشكل هذا الاحتكار الاعلى

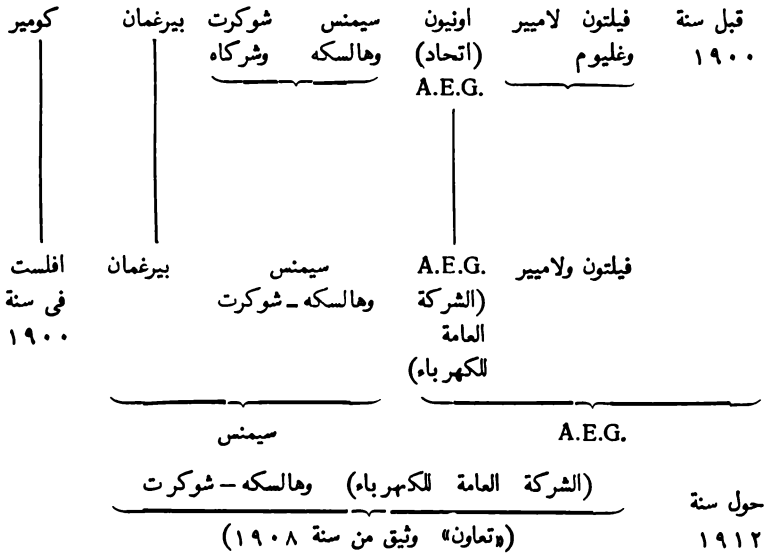
ان الصناعة الكهربائية هي الصناعة الاكثر نموذجية بالنسبة لاجتثاث نجاتح التكنيك ولرأسمالية نهاية القرن التاسع عشر ومستهل القرن العشرين وقد تطورت بوجه خاص في ارقى بلدين من البلدان الرأسمالية الجديدة - الولايات المتحدة والمانيا فقد كان لازمة سنة ١٩٠٠ في المانيا تأثير قوى جداً على اشتداد التمركز في هذا الميدان ان البنوك التي كانت في ذلك الوقت قد التحمت بالصناعة لدرجة كافية قد عجلت وعمقت لاقصى حد اثناء هذه الازمة خراب

المجلة المالية «Statist» (والاحصائي) (الناشر) ، مقدرا مبلغ الراسمال الذي صدرته انجلترا والمانيا وفرنسا وبلجيكا وهولندا بـ ٤٠ مليار دولار ، اى بـ ٢٠٠ مليار فرنك .

المشاريع الصغيرة نسبياً وابتلاعها من قبل الكبيرة وقد كتب بيدلس ان «البنوك قد كفت بالضبط عن مساعدة المشاريع التي كانت بامس الحاجة الى المساعدة مسببة بذلك في بادى الامر نهضة عاصفة ثم الافلاس الاكيد لتلك الشركات التي لم تكن على صلة وثيقة بها» *

وبنتيجة ذلك سار التمركز بعد سنة ١٩٠٠ بخطوات جبارة الى الامام فقد كان في الصناعة الكهربائية قبل سنة ١٩٠٠ ثماني او سبع «جماعات» تتألف كل منها من عدة شركات (مجموعها ثمان وعشرون شركة) وكانت كل جماعة تستند الى عدد من البنوك من ٢ الى ١١ بنكاً وحوالي سنوات ١٩٠٨ - ١٩١٢ اندمجت جميع هذه الجماعات في جماعتين او جماعة واحدة وقد تم هذا السير على النحو التالي

الجماعات في الصناعة الكهربائية :



* بيدلس ، المؤلف المذكور ، ص ٢٢٢ .

ان الشركة الشهيرة (A.E.G.) (الشركة العامة للكهرباء) التي تضخمت على هذا الشكل تهيمن على ١٧٥ - ٢٠٠ شركة (على اساس نظام «الاشترك») وتتصرف برأسمال مجموعه يقرب من ١,٥ مليار مارك ووكالاتها المباشرة وحدها في الخارج ٣٤ منها ١٢ شركة مساهمة في اكثر من ١٠ دول ومنذ سنة ١٩٠٤ كانت الرساميل التي وظفتها الصناعة الكهربائية الالمانية في الخارج تقدر بـ ٢٣٣ مليون مارك منها ٦٢ مليوناً في روسيا وغني عن القول ان «الشركة العامة للكهرباء» هي عبارة عن مشروع هائل «مركب» - شركاته الصناعية وحدها تبلغ ١٦ - وتنتج مختلف اصناف المنتوجات من الاسلاك والعاذلات حتى السيارات والطائرات

ولكن التمرکز في اوروبا كان كذلك جزءاً لا يتجزأ من مجرى التمرکز في اميركا وهاكم كيف تم هذا السير

«شركة الكهرباء العامة» (General Electric Co)

شركة اديسون تؤسس لاوروبا	شركة تومبسون وهاوستون	اميركا
«شركة اديسون الفرنسية» التي تعطي براءاتها للشركة الالمانية	تؤسس شركة لاوروبا	
الشركة العامة للكهرباء (A.E.G.)	شركة «اونيون للكهرباء»	المانيا

«الشركة العامة للكهرباء» (A.E.G.)

وهكذا تشكلت «دولتان» كهربائيتان «لا توجد في الارض شركات كهربائية اخرى مستقلة عنهما بصورة تامة» كما كتب هينينغ في مقاله «طريق تروست الكهرباء» اما فيما يخص مقادير عمليات هذين «التروستين» وحجم مشاريعهما فالارقام التالية تعطي عن ذلك صورة وان كانت بعيدة عن ان تكون كاملة :

الربح الصافي (بملايين الماركات)	عدد المستخدمين	تداول البضائع (بملايين الماركات)	سنوات	
٣٥,٤	٢٨٠٠٠	٢٥٢	١٩٠٧	اميركا: «شركة الكهرباء العامة» (G.E.C.)
٤٥,٦	٣٢٠٠٠	٢٩٨	١٩١٠	
١٤,٥	٣٠٧٠٠	٢١٦	١٩٠٧	المانيا: «الشركة العامة للكهرباء» (A.E.G.)
٢١,٧	٦٠٨٠٠	٣٦٢	١٩١١	

وما ان حلت سنة ١٩٠٧ حتى عقد التروستان الاميركي والالمانى اتفاقية على تقاسم العالم المزاحمة تزول «شركة الكهرباء العامة» (G.E.C.) «تحصل» على الولايات المتحدة وكندا و«تنال» «الشركة العامة للكهرباء» (A.E.G.) المانيا والنمسا وروسيا وهولنده والدانمارك وسويسرا وتركيا والبلقان وقد عقدت اتفاقيات خاصة - سرية طبعاً - بشأن «الشركات البنات» التي تتغلغل في فروع صناعية جديدة وفي بلدان «جديدة» لم تقتسم رسمياً بعد وقد تقرر تبادل الاختراعات والتجارب *

ويدرك المرء بالبدهة مدى صعوبة مزاحمة هذا التروست الموحد والعالمي في الواقع، الذي يتصرف برأسمال يبلغ عدة مليارات والذي له «فروعه» ووكالاته وعملاؤه وعلاقاته وهلم جراً في جميع اصقاع العالم ولكن اقتسام التروستين القويين للعالم لا ينبغي طبعاً إعادة التقاسم اذا ما تبدلت نسبة القوى بنتيجة تفاوت التطور والحروب والافلاسات وغير ذلك

* Riesser ، المؤلف المذكور ، Diouritch ، المؤلف المذكور

ص ٢٣٩ . Kurt Heinig ، المقال المذكور

وصناعة البترول تعطي مثلاً بليغ الدلالة على محاولة إعادة التقاسم هذه ، على الصراع من اجل إعادة التقاسم
 فقد كتب بيدلس في سنة ١٩٠٥ ان «سوق البترول العالمية هي الآن مقسمة بين جماعتين ماليتين كبيرتين «تروست البترول» الاميركي (Standard Oil C-y) العائد لروكفلر وصاحبى النفط الروسي في باكو روتشيلد ونوبل والجماعتان على ترابط وثيق ، ولكن احتكارهما مهدد منذ عدة سنوات من قبل خمسة اعداء» *
 (١) نفاذ مصادر النفط الاميركية ، (٢) مزاحمة شركة مانتاشيف في باكو (٣) مصادر النفط في النمسا و (٤) في رومانيا (٥) مصادر النفط فيما وراء المحيطات ولا سيما في المستعمرات الهولندية (شركات صموئيل وشل الغنية جداً والمرتبطة كذلك بالرأسمال الانجليزي) والفئات الثلاث الاخيرة من المشاريع متصلة بالبنوك الالمانية الكبرى وعلى رأسها «البنك الالمانى» الضخم وقد طورت هذه البنوك بصورة مستقلة ومنتظمة صناعة النفط في رومانيا مثلاً لتكون «لها» نقطة ارتكاز ففي سنة ١٩٠٧ قدر الرأسمال الاجنبي في صناعة البترول الرومانية بـ ١٨٥ مليون فرنك منها ٧٤ مليوناً رأسمالاً المانياً * *

وقد ابتدأ الصراع الذي يسمونه في الادب الاقتصادي الصراع من اجل «اقتسام العالم» فمن جهة «تروست بترول» روكفلر طمعاً منه في الاستيلاء على كل شيء قد أسس «شركة بنت» في هولنده نفسها وشرع يشتري مصادر النفط في الهند الهولندية لينزل بهذا الشكل الضربة بعدوه الرئيسي التروست الهولندي الانجليزي «شل» ومن الجهة الاخرى ، «البنك الالمانى» وغيره من البنوك

* بيدلس ، صص ١٩٢ - ١٩٣

* * Diouritch ، صص ٢٤٥ - ٢٤٦ ،

البرلينية سعت لان «تحتفظ» «لنفسها» برومانيا وتوحدها مع روسيا ضد روكفلر وكان لهذا الاخير رساميل اكبر بما لا يقاس وتنظيم ممتاز لوسائل نقل البترول وايصاله الى المستهلكين وكان على هذا الصراع ان ينتهي وقد انتهى في سنة ١٩٠٧ بهزيمة ساحقة مني بها «البنك الالمانى» الذي وجد نفسه امام واحد من امرين اما ان يصفى «مصالحه البترولية» بخسارة تبلغ الملايين واما الخضوع وقد اختار الحل الاخير وعقد مع «تروست البترول» اتفاقية غير مفيدة جداً «للبنك الالمانى» وبموجب هذه الاتفاقية تعهد «البنك الالمانى» بان «لا يتخذ اي تدبير يضر بالمصالح الاميركية»، هذا وقد استدرك بان الاتفاقية تفقد مفعولها في حالة ما اذا صدر في المانيا قانون عن احتكار الدولة للبترول

وعندئذ بدأت «مهزلة البترول» فقد اخذ احد ملوك المال الالمان ، مدير «البنك الالمانى» فون غفينر يشن عن طريق سكرتيره الشخصى شتاوس حملة دعاية من اجل احتكار البترول وقد تحرك بكل ضخامته جهاز اكبر البنوك البرلينية بما له من «علاقات» واسعة ، وبعت حناجر الصحف من الصرخات «الوطنية» ضد «نير» التروست الاميركي فاتخذ الريخستاغ في ١٥ آذار (مارس) سنة ١٩١١ بالاجماع تقريباً قرارا يدعو الحكومة الى وضع مشروع قانون عن احتكار البترول وقد تشبثت الحكومة بهذه الفكرة «الشعبية» و«البنك الالمانى» الذي اراد خداع زميله الاميركي واصلاح احواله عن طريق احتكار الدولة للبترول قد بدا كأنما ربح لعبته وقد اخذ لعاب ملوك البترول الالمان يسيل لتصور الارباح الفاحشة التي لا تقل عن ارباح اصحاب معامل السكر الروس ولكن البنوك الالمانية الكبرى قد اختصمت فيما بينها من اجل اقتسام الغنيمة ففضحت «شركة الخصم» مطامع «البنك الالمانى» الجشعة ، هذا اولاً ؛ وثانياً خسبت الحكومة مغبة الصراع مع روكفلر ، لانه كان من المشكوك

فيه جداً ان تحصل المانيا على البترول عن غير طريقه (ما دامت انتاجية رومانيا ضعيفة) وثالثاً ، جاء اعتماد مليار مارك في سنة ١٩١٣ لاعداد المانيا للحرب وهكذا اجل مشروع الاحتكار وخرج «تروست بترول» ووكفلر من الصراع ظافراً حتى حين

وقد كتبت المجلة البرلينية «البنك» قائلة بهذا الصدد ان المانيا لا تستطيع النضال ضد «تروست البترول» الا اذا اقامت الاحتكار على التيار الكهربائي وحولت طاقة الماء الى كهرباء رخيصة واستطردت المجلة قائلة «ولكن احتكار الكهرباء لا يأتي الا عندما يحتاجه المنتجون ، اي بالضبط عندما تقف صناعة الكهرباء على عتبة افلاس كبير جديد وعندما تصبح عاجزة عن العمل بصورة رابحة المحطات الكهربائية الهائلة الغالية التي تشيدها الآن في كل مكان «كونسرنات» الصناعة الكهربائية الخاصة والتي تحصل لها هذه «الكونسرنات» الآن على بعض حقوق احتكارية من المدن والدويلات والنخ حينئذ تظهر ضرورة الاستفادة من طاقة المياه ولكن لن يكون من الممكن تحويلها على حساب الدولة الى كهرباء رخيصة وسيأتى مرة اخرى اعطاؤها الى «احتكار خاص تراقبه الدولة» لان الصناعة الخاصة قد عقدت عدة صفقات وضمنت لنفسها تعويضات كبرى هكذا كان الامر فيما يخص احتكار القلي وهذا هو حال احتكار البترول ، وسيكون كذلك حال احتكار الكهرباء وقد حان لاشتراكيي الدولة الذين تبهرهم المبادئ الخلابه ان يفهموا اخيراً ان الاحتكارات في المانيا لم تهدف ولم تفض في يوم الى ما يعود بالنفع على المستهلكين او حتى الى اعطاء الدولة جزءاً من ارباح اصحاب الاعمال بل كان هدفها على الدوام ان تشفي على حساب الدولة الصناعة الخاصة المطللة على هاوية الافلاس» *

يضطر الاقتصاديون البرجوازيون الالمان الى الادلاء بمثل هذه الاعترافات القيمة وهي تظهر لنا بوضوح كيف تندمج الاحتكارات الخاصة واحتكارات الدولة في كل واحد في عهد الرأسمال المالي وان هذه وتلك ليست في الواقع الاحلقات في سلسلة الصراع الامبريالي بين كبار الاحتكاريين من اجل اقتسام العالم

وفي ميدان الملاحة التجارية افضى اشتداد التمرکز الهائل كذلك الى اقتسام العالم وقد برزت في المانيا شركتان من كبريات الشركات «هامبورغ - اميركا» و«لويد المانية الشمالية» ورأسمال كل منهما ٢٠٠ مليون مارك (اسهم وسندات) بواخرهما تتراوح قيمتها بين ١٨٥-١٨٩ مليون مارك ومن الجهة الاخرى تأسس في الاول من كانون الثاني (يناير) سنة ١٩٠٣ في اميركا ما يسمى تروست مورغان، «الشركة العالمية للملاحة التجارية» التي تضم ٩ من شركات الملاحة الاميركية والانجليزية وتتصرف برأسمال يبلغ ١٢٠ مليون دولار (٤٨٠ مليون مارك) وفي سنة ١٩٠٣ نفسها عقدت بين العملاقين الالمانين وهذا التروست الاميركي الانجليزي اتفاقية بشأن تقاسم العالم بالاتصال مع تقاسم الارباح وقد تنازلت الشركتان الالمانيتان عن المزاحمة في الشحن بين انجلترا واميركا وقد «اقتسمت» الموانئ بدقة وانشئت لجنة مشتركة للمراقبة وغير ذلك وعقدت الاتفاقية لمدة عشرين سنة وتضمنت تحفظاً للحيلة ينص على انها تفقد مفعولها في حالة الحرب *

وبليغ الدلالة كذلك تاريخ تأسيس الكارتيل العالمي لقضبان السكك الحديدية فقد قامت معامل قضبان السكك الحديدية في انجلترا وبلجيكا والمانيا باول محاولة لانشاء هذا الكارتيل في سنة ١٨٨٤ اثناء الانحطاط الصناعي الشديد وقد اتفقت على عدم

* ريسر ، المؤلف المذكور ، ص ١٢٥ .

المزاحمة في الاسواق الداخلية العائدة للبلدان التي تشملها الاتفاقية وعلى اقتسام الاسواق الخارجية فيما بينها على اساس النسب التالية ٦٦ بالمئة لانجلترا و ٢٧ بالمئة لالمانية و ٧ بالمئة لبلجيكا وتركت الهند باكملها لانجلترا وقد شنت ضد شركة انجليزية بقيت خارج الاتفاقية حرب مشتركة سددت تكاليفها من نسبة مئوية معينة من مجموع المبيعات ولكن هذا الحلف قد انهار في سنة ١٨٨٦ عندما خرجت منه شركتان انجليزيتان وجدير بالذكر ان الاتفاق لم يحصل خلال مراحل النهضة الصناعية التي تلت

في اوائل سنة ١٩٠٤ تأسس سينديكا الفولاذ في المانيا وفي تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٩٠٤ اعيد تأسيس الكارتيل العالمي لقضبان السكك الحديدية بالمعدلات التالية انجلترا - ٥٣,٥ بالمئة المانيا - ٢٨,٨٣ بالمئة بلجيكا - ١٧,٦٧ بالمئة ثم انضمت اليه فرنسا بمعدلات ٤,٨ بالمئة و ٥,٨ بالمئة و ٦,٤ بالمئة في السنوات الاولى والثانية والثالثة اضافة على ١٠٠ بالمئة ، اي من حاصل ١٠٤,٨ بالمئة وهلم جرأ وفي سنة ١٩٠٥ انضم الى الكارتيل «تروست الفولاذ» الاميركي («الشركة العامة للفولاذ») ثم النمسا واسبانيا وقد كتب فوغلشتين في سنة ١٩١٠ «لقد تم اقتسام الارض الآن ولم يبق لكبار المستهلكين وبالدرجة الاولى سكك حديد الدولة ، الا ان يحيوا كالشاعر في سموات المشتري ما دام العالم قد اقتسم دون ان يحسب لمصالحهم اي حساب» *

ولنذكر ايضاً سينديكا الزنك العالمي المؤسس في سنة ١٩٠٩ والذي حدد بصورة دقيقة مقاييس الانتاج بين خمس فرق من المعامل : الالمانية والبلجيكية والفرنسية والاسبانية والانجليزية ؛ ثم تروست البارود العالمي وهو ، حسب تعبير ليفمن «اتحاد وثيق على احدث

طراز بين جميع مصانع المواد المتفجرة في المانيا اقتسم العالم فيما بعد اذا جاز التعبير بالاتفاق مع معامل الديناميت الفرنسية والاميركية المنظمة على شاكلته» *

وقد حسب ليفمن بالمجموع في سنة ١٨٩٧ نحو ٤٠ كارتيلاً عالمياً اشتركت فيها المانيا وفي سنة ١٩١٠ نحو مئة

ان بعض الكتاب البرجوازيين (الذين انضم اليهم الآن كاوتسكي الذي ارتد بصورة تامة عن موقفه الماركسي ، عن موقف سنة ١٩٠٩ مثلاً) يقولون برأي مفاده ان الكارتيلات العالمية ، وهي مظهر من ابرز مظاهر اكتساب الرأسمال للصبغة العالمية تبعث الامل باستتباب السلام بين الشعوب في عهد الرأسمالية وهذا الرأي سخيف تماماً من الناحية النظرية ، وهو من الناحية العملية عبارة عن سفسطة وطريقة غير شريفة للدفاع عن اردل الانتهازية فالكارتيلات العالمية تبين الدرجة التي بلغتها الآن الاحتكارات الرأسمالية والغرض الذي تتصارع من اجله اتحادات الرأسماليين وهذه الناحية الاخيرة هي الامر الاهم ؛ اذ انها هي وحدها التي تبين لنا مغزى الاحداث التاريخي والاقتصادي لان شكل الصراع يمكنه ان يتغير وهو يتغير على الدوام تبعاً لاسباب مختلفة طابعها خاص وموقت نسبياً ، في حين ان كنه الصراع ومحتواه الطبقي لايمكن ان يتغيرا بحال ما بقيت الطبقات. ومن المفهوم ان من مصلحة البرجوازية الالمانية مثلاً التي انضم اليها كاوتسكي في جوهر الامر في محاكماته النظرية (وسنتناول ذلك فيما بعد) ، طمس فعوى الصراع الاقتصادي الراهن (اقتسام العالم) وابرز هذا الشكل من اشكال الصراع تارة وذاك تارة اخرى ويقترف كاوتسكي الخطأ نفسه ذلك لان القضية ليست قضية البرجوازية الالمانية طبعاً بل قضية البرجوازية العالمية فالرأسماليون

يقتسمون العالم لالانهم فطروا على شر خاص ، بل لان التمرکز قد بلغ درجة ترغم على ولوج هذا الطريق للحصول على الربح هذا وهم يقتسمونه «حسب الرأسمال» ، «حسب القوة» - لانه لا توجد وسيلة اخرى للتقاسم في ظل نظام الانتاج البضاعي والرأسمالية ولكن نسبة القوى تتغير تبعاً للتطور الاقتصادي السياسي ولفهم الاحداث الجارية ينبغي ان نفهم المسائل التي يحلها تغير نسبة القوى اما مسألة ما اذا كان هذا التغير اقتصادياً «صرفاً» او غير اقتصادي (عسكرياً مثلاً) فهي مسألة ثانوية لا يمكنها ان تغير شيئاً في الآراء الاساسية عن العهد الحديث في الرأسمالية فالاستعاضة عن مسألة **فحوى الصراع والصفقات بين اتحادات الرأسمالين** بمسألة شكل الصراع والصفقات (وهو اليوم سلمي وغداً غير سلمي وبعد غد غير سلمي كذلك) يعني الانحطاط الى حضيض السفسطائيين ان عهد الرأسمالية الحديثة يبين لنا ان ثمة علاقات تتكون بين اتحادات الرأسمالين على صعيد اقتسام العالم اقتصادياً وان ثمة علاقات تتكون بمحاذاة ذلك وتبعاً لذلك بين الاتحادات السياسية بين الدول ، على صعيد اقتسام العالم اقليمياً على صعيد الصراع من اجل المستعمرات ، «الصراع من اجل الرقاع الاقتصادية»

٦ - اقتسام العالم بين الدول الكبرى

يعطي الجغرافي أ سوبان في مؤلفه «اتساع اراضي مستعمرات اوروبا» * النتيجة المختصرة التالية لهذا السير في نهاية القرن التاسع عشر

* A. Supan. «Die territoriale Entwicklung der europäischen Kolonien». 1906. ص ٢٥٤ (١ . سوبان . «اتساع اراضي مستعمرات اوروبا» . الناشر)

النسبة المئوية للأراضي العائدة للدول الأوروبية صاحبة المستعمرات
(بما فيها الولايات المتحدة) :

الزيادة	سنة ١٩٠٠	سنة ١٨٧٦	
٧٩,٦ + بالمئة	٩٠,٤ بالمئة	١٠,٨ بالمئة	في أفريقيا
٤٢,١ + بالمئة	٩٨,٩ بالمئة	٥٦,٨ بالمئة	في بوليفيا
٥,١ + بالمئة	٥٦,٦ بالمئة	٥١,٥ بالمئة	في آسيا
-	١٠٠,٠ بالمئة	١٠٠,٠ بالمئة	في أستراليا
٠,٣ - بالمئة	٢٧,٢ بالمئة	٢٧,٥ بالمئة	في أميركا

ويخلص سوبان الى النتيجة التالية «فالسمة المميزة لهذه المرحلة هي اذن اقتسام افريقيا وبوليفيا» وبما أنه لا توجد في آسيا وفي أميركا اراض غير مشغولة ، أي غير عائدة لدولة من الدول ، ينبغي علينا ان نوسع استنتاج سوبان وان نقول ان السمة المميزة للمرحلة المذكورة هي الاقتسام النهائي للأرض لا بمعنى استحالة اعادة التقاسم - فاعادة التقاسم هي بالعكس امر ممكن ومحتوم - بل بمعنى ان السياسة الاستعمارية التي تمارسها الدول الرأسمالية قد انجزت الاستيلاء على الاراضي غير المشغولة في كوكبنا ولاول مرة بدا العالم مقسماً بشكل لا يمكن معه في المستقبل الا اعادة التقاسم اي انتقال الاراضي من «مالك» لآخر لانقالها من حالة اراض لا مالك لها الى ذات «مالك»

فنحن نجتاز اذن ، عهداً خاصاً من سياسة استعمارية عالمية مرتبطة اوثق ارتباطاً بـ«احدث درجة في تطور الرأسمالية» بالرأسمال المالي ولذا من الضروري ان نتناول قبل كل شيء الوقائع بالتفصيل لكي نتبين بما أمكن من الدقة ما يميز هذا العهد عن العهود السابقة وكذلك وضع الامور الراهن. ويتبادر الى الذهن هنا باديء

ذي بدء سؤالان عمليان هل يلاحظ اشتداد السياسة الاستعمارية وتفاقم الصراع من أجل المستعمرات في عهد الرأسمال المالي بالضبط وكيف اقتسم العالم من هذه الناحية في الوقت الراهن يحاول الكاتب الأميركي موريس في كتابه عن تاريخ الاستيلاء على المستعمرات * تعميم المعلومات عن مساحة مستعمرات إنجلترا وفرنسا وألمانيا في مختلف مراحل القرن التاسع عشر وما هي باختصار النتائج التي توصل إليها

مساحة المستعمرات

المانيا		فرنسا		إنجلترا		سنوات
المساحة السكان		المساحة السكان		المساحة السكان		
(بالملايين)	(بالملايين) العربية الآبيل	(بالملايين)	(بالملايين) العربية الآبيل	(بالملايين)	(بالملايين) العربية الآبيل	
-	-	٠,٥	٠,٢	١٢٦,٤	؟	١٨٣٠-١٨١٥
-	-	٣,٤	٠,٢	١٤٥,١	٢,٥	١٨٦٠
-	-	٧,٥	٠,٧	٢٦٧,٩	٧,٧	١٨٨٠
١٤,٧	١,٠	٥٦,٤	٣,٧	٣٠٩,٠	٩,٣	١٨٩٩

ان مرحلة اشتداد الاستيلاء على المستعمرات اشتداداً هائلاً هي بالنسبة لانجلترا سنوات ١٨٦٠ - ١٨٨٠ واشتداداً ملحوظاً جداً في العقدين الأخيرين من القرن التاسع عشر ومرحلة الاشتداد الهائل

* Henry C. Morris. «The History of Colonization». N.Y., 1900

vol. II, pp. 88; I, 419; II, 304 (هنرى ك. موريس وتاريخ الاستيلاء على

المستعمرات) نيويورك، سنة ١٩٠٠، المجلد ٢، ص ٨٨؛ ١،

٤١٩؛ ٢، ٣٠٤. (الناشر).

بالنسبة لفرنسا والمانيا هي العقدان الاخيران بالضبط وقد رأينا فيما تقدم ان رأسمالية ما قبل عهد الاحتكار رأسمالية سيادة المزاخمة الحرة قد بلغت اوج تطورها في مرحلة سنوات ١٨٦٠-١٨٨٠ وها نحن نرى الآن انه بعد هذه المرحلة بالضبط تبتدى «النهضة» الكبرى في الاستيلاء على المستعمرات ويحتدم للغاية وطيس الصراع من أجل اقتسام أراضي العالم ولا مجال للشك اذن في ان انتقال الرأسمالية الى درجة الرأسمالية الاحتكارية ، الى الرأسمال المالي ، مرتبط باحتدام الصراع من اجل اقتسام العالم يشير هوبسون في مؤلفه عن الامبريالية الى مرحلة سنوات ١٨٨٤ - ١٩٠٠ باعتبارها مرحلة اشتداد «توسع» الدول الاوروبية الرئيسية وبموجب حساباته تملك انجلترا خلال هذا الوقت ٣,٧ ملايين ميل مربع يسكنها ٥٧ مليون نسمة ؛ وفرنسا ٣,٦ ملايين ميل مربع يسكنها ٣٦ ١/٢ مليون نسمة ؛ والمانيا ١ مليون ميل مربع يسكنها ١٤,٧ مليون نسمة وبلجيكا ٩٠٠ الف ميل مربع يسكنها ٣٠ مليون نسمة والبرتغال ٨٠٠ ألف ميل مربع يسكنها ٩ ملايين نسمة ان ركض جميع الدول الرأسمالية وراء المستعمرات في أواخر القرن التاسع عشر ولا سيما منذ سنوات العقد التاسع هو واقع يعرفه الجميع في تاريخ الدبلوماسية والسياسة الخارجية . في اوج ازدهار المزاخمة الحرة في انجلترا في مرحلة سنوات ١٨٤٠ - ١٨٦٠ كان قادتها السياسيون البرجوازيون ضد السياسة الاستعمارية وكانوا يعتبرون المستعمرات وانفصالها التام عن انجلترا امراً محتوماً ومفيداً ففي مقالة عن «الامبريالية الانجليزية الحديثة» * ظهرت في سنة ١٨٩٨ يشير م بير الى أن رجلاً من رجال الدولة الانجليز يميل عموماً اشد الميل الى الامبريالية هو ديسراييلي قد قال في سنة ١٨٥٢ ان «المستعمرات هي احجار طاحون في رقتنا» .

وفي أواخر القرن التاسع عشر كان سيسيل رودس وجوزيف تشمبرلين بطلي الساعة في إنجلترا وكانا يبشران بالامبريالية على المكشوف ويمارسان السياسة الامبريالية بمنتهى القحة وجدير بالذكر ان قادة البرجوازية الانجليزية السياسيين هؤلاء كانوا في ذلك الحين يرون بوضوح العلاقات بين جذور الامبريالية الحديثة الاقتصادية الصرف ان أمكن القول والاجتماعية السياسية فقد كان تشمبرلين يروج بالامبريالية باعتبارها «سياسة أصيلة ، حكيمة مقتصدة» مشيراً بصورة خاصة الى المزاحمة التي تصادفها إنجلترا الآن في السوق العالمية من جانب المانيا واميركا وبلجيكا الخلاص في الاحتكار - هكذا كان يقول الرأسماليون وهم يؤسسون الكارتيلات والسينديكات والتروستات الخلاص في الاحتكار - كان يردد زعماء البرجوازية السياسيون مسرعين الى الاستيلاء على أنحاء العالم التي لم تقسم بعد . وقد روى الصحفي ستيد ان صديقه الحميم سيسيل رودس قد حدثه في سنة ١٨٩٥ عن نظراته الامبريالية بقوله : «كنت امس في الايست اند (حي العمال في لندن) وحضرت اجتماعاً من اجتماعات العمال العاطلين وقد سمعت هناك خطابات فظيعة كانت من أولها الى آخرها صرخات الخبز الخبز واثناء عودتي الى البيت كنت افكر بما رأيت واقتنعت اوضح من السابق باهمية الامبريالية ان الفكرة التي اصبو اليها هي حل المسألة الاجتماعية أعني لكيما ننقذ اربعين مليوناً من سكان المملكة المتحدة من حرب اهلية فتاكة ينبغي علينا نحن الساسة طلاب المستعمرات ان نستولى على أراض جديدة لمرسل اليها فائض السكان ولنقتنى ميادين جديدة لتصريف البضائع التي تنتجها المصانع والمناجم فالامبراطورية وقد قلت ذلك مراراً وتكراراً هي مسألة البطون فاذا كنتم لا تريدون الحرب الاهلية ينبغي عليكم أن تصبحوا امبرياليين» *

* «Die Neue Zeit», XVI, I, 1898, S. 304.

هذا ما قاله في سنة ١٨٩٥ سيسيل رودس المليونير وملك المال والمسؤول الرئيسي عن الحرب الانجليزية - البويرية ولكن دفاعه عن الامبريالية ، وان كان فظاً وقحاً لا يختلف في الجوهر عن «نظرية» السادة ماسلوف زوديكوم بوتريسوف دافيد ومؤسس الماركسية الروسية ومن على شاكلتهم فقد كان سيسيل رودس اشتراكياً-شوفينياً اشرف قليلاً

ولكيما نعطي صورة أقرب الى الدقة ما أمكن عن تقاسم أراضي العالم وعن التغيرات التي حدثت في هذا الحقل خلال العشرات الاخيرة من السنين نستفيد من المعلومات التي اعطاها سوبان في مؤلفه المذكور حول مستعمرات جميع دول العالم يأخذ سوبان سنتي ١٨٧٦ و ١٩٠٠ ونحن نأخذ سنة ١٨٧٦ اذ أنها نقطة احسن اختيارها ، لان تطور رأسمالية اوروبا الغربية في عهد ما قبل الاحتكار يمكن ان يعتبر قد انتهى بالاجمال وبوجه عام حول هذا التاريخ - ونأخذ سنة ١٩١٤ مستعيزين عن أرقام سوبان بأرقام احدث مأخوذة عن «الجدول الجغرافية والاحصائية» لهوبنر يكتفي سوبان بالمستعمرات ونحن نعتقد ان من المفيد - لتكتمل في مخيلتنا صورة تقاسم العالم - أن نضيف معلومات مختصرة عن البلدان غير المستعمرة وعن اشباه المستعمرات التي نعتبر ضمنها بلاد والصين وتركيا فالاولى قد غدت مستعمرة بصورة تامة تقريباً اما الثانية والثالثة فتندرجان الى هذه النهاية

ويكون الحاصل ما يلي (راجعوا ص ٥١٥)

يبين لنا هذا الجدول بجلاء كيف «انتهى» تقاسم العالم على تخوم القرنين التاسع عشر والعشرين فقد تضخمت مستعمرات الدول الست الكبرى لحد هائل بعد سنة ١٨٧٦ اكثر من النصف من ٤٠ الى ٦٥ مليون كيلومتر مربع والزيادة تبلغ ٢٥ مليون كيلومتر مربع ، أي زيادة النصف عن مساحة البلدان مالكة

المستعمرات (١٦,٥ مليون) وفي سنة ١٨٧٦ لم يكن لدى ثلاث دول أي مستعمرة أما الرابعة ، فرنسا فلم يكن لديها مستعمرات تقريباً وفي سنة ١٩١٤ كان لهذه الدول الأربع مستعمرات تبلغ مساحتها ١٤,١ مليون كيلومتر مربع ، اي مساحات تزيد على مساحة أوروبا بنسبة تقارب النصف ويبلغ عدد سكانها نحو ١٠٠ مليون نسمة ان التفاوت في توسيع المستعمرات كبير جداً فاذا قارنا مثلاً فرنسا والمانيا واليابان التي لا تختلف كثيراً من حيث المساحة وعدد السكان وجدنا ان الاولى من هذه البلدان قد اقتنتت من المستعمرات (من حيث المساحة) نحو ثلاثة اضعاف ما اقتنته الثانية والثالثة مجتمعتين ولكن من حيث مقادير الرأسمال المالي قد تكون فرنسا في بداية المرحلة المذكورة أغنى بعدة اضعاف ايضاً من المانيا واليابان مجتمعتين وعدا الظروف الاقتصادية الصرف وعلى أساسها ، تؤثر على اتساع مساحات المستعمرات الظروف الجغرافية وغيرها ورغم سعة الخطوة التي خطتها خلال العقود الاخيرة من السنين تسوية العالم والتقريب بين ظروف الاقتصاد والمعيشة في مختلف البلدان تحت ضغط الصناعة الضخمة والتبادل والرأسمال المالي ما زال الفرق على كل حال كبيراً ، نلاحظ بين الدول الست المذكورة ، من جهة ، بلداناً رأسمالية فتية تقدمت بسرعة خارقة (اميركا ، المانيا ، اليابان) ومن جهة أخرى بلدي التطور الرأسمالي القديم اللذين كان تقدمهما في الوقت الاخير ابطأ جداً من تقدم البلدان الآنف الذكر (فرنسا وانجلترا) ومن الجهة الثالثة البلد الاكثر تأخرأ من الناحية الاقتصادية (روسيا) الذي احيطت فيه الامبريالية الرأسمالية الحديثة ان امكن القول ، بشبكة كثيفة جداً من علاقات عهد ما قبل الرأسمالية

والى جانب مستعمرات الدول الكبرى قد وضعنا المستعمرات غير الواسعة العائدة للدول الصغيرة . وهذه المستعمرات هي ، ان

مستعمرات الدول الكبرى (بملايين الكيلومترات المربعة وملايين السكان)

المجموع		المستعمرات			
١٩٤١ سنة		١٩١٤ سنة		١٨٧٦ سنة	
نسمة	كيلومتر مربع	نسمة	كيلومتر مربع	نسمة	كيلومتر مربع
٤٤٠,٠	٣٣,٨	٤٦,٥	٠,٣	٣٩٣,٥	٣٣,٥
١٦٩,٤	٢٢,٨	١٣٦,٢	٥,٤	٣٣,٢	١٧,٤
٩٥,١	١١,١	٣٩,٦	٠,٥	٥٥,٥	١٠,٦
٧٧,٢	٣,٤	٦٤,٩	٠,٥	١٢,٣	٢,٩
١٠٦,٧	٩,٧	٩٧,٠	٩,٤	٩,٧	٠,٣
٧٢,٢	٠,٧	٥٣,٠	٠,٤	١٩,٢	٠,٣
٩٦٠,٦	٨١,٥	٤٣٧,٢	١٦,٥	٥٢٣,٤	٦٥,٠
				٢٧٣,٨	٤٠,٤
٤٥,٣	٩,٩				
٣٦١,٢	١٤,٥				
٢٨٩,٩	٢٨,٠				
١٦٥٧,٠	١٣٣,٩				

مستعمرات الدول الاخرى (بلجيكا هولنده وغيرهما)
اشباه المستعمرات (بلاد فايس، الصين تركيا)
البلدان الاخرى

مجموع الارض

امكن القول الهدف المباشر «لتقاسم جديد» للمستعمرات ممكن ومحتمل وعلى الاغلب ما كانت هذه الدول الصغيرة تحتفظ بمستعمراتها لو لم توجد بين الدول الكبرى تناقضات مصالح واحتكاكات الخ تعيق اتفاقها على تقاسم الغنيمة اما فيما يخص الدول «شبه المستعمرة» فهي مثل الاشكال الانتقالية التي تصادف في جميع ميادين الطبيعة والمجتمع فالرأسمال المالي هو قوة كبرى ويمكننا أن نقول فاصلة في جميع العلاقات الاقتصادية والدولية بحيث ان باستطاعتها ان تخضع لنفسها وهي تخضع في الواقع حتى الدول التي تتمتع باستقلالها السياسي الناجز وسنرى الآن المثل على ذلك ولكن من البديهي ان ما يعطي الرأسمال المالي الوضع «الافضل» والنفع الاكبر هو ذلك الخضوع الذي يتبع فقدان البلدان والشعوب المستعبدة لاستقلالها السياسي والبلدان شبه المستعمرة هي نموذجية باعتبارها «بين بين» في هذا المضمار ومن المفهوم أن الصراع من اجل هذه البلدان شبه التابعة كان لا بد ان يحتدم بصورة خاصة في عهد الرأسمال المالي ما دامت بقية العالم قد اقتسمت

لقد وجدت سياسة الاستيلاء على المستعمرات ووجدت الامبريالية قبل ان تبلغ الرأسمالية مرحلتها الحديثة وحتى قبل الرأسمالية فروما القائمة على نظام العبودية كانت تمارس سياسة الاستيلاء على المستعمرات وتحقق الامبريالية ولكن البحث «بصورة عامة» في الامبريالية مع نسيان او استصغار شأن الفرق الجذرى بين النظم الاجتماعية الاقتصادية يؤول حتماً الى هذر فارغ او الى تبجح من نوع المقارنة بين «روما العظمى وبريطانيا العظمى» *

C. P. Lucas. «Greater Rome and Greater Britain». Oxf., 1912 *

(ك. ب. لو كاس . «روما العظمى وبريطانيا العظمى» . او كسفورد ، سنة ١٩١٢ .

الناشر) او Earl of Cromer. «Ancient and modern Imperialism». L., 1910

فحتى السياسة الاستعمارية التي مارستها الرأسمالية في مراحلها السابقة تختلف اختلافاً جوهرياً عن سياسة الرأسمال المالي الاستعمارية

ان الخاصية الاساسية في الرأسمالية الحديثة هي سيطرة الاتحادات الاحتكارية التي يؤسسها كبار اصحاب الاعمال وهذه الاحتكارات هي اوطد ما تكون حين تتفرد بوضع يدها على جميع مصادر الخامات وقد رأينا باي اندفاع توجه اتحادات الرأسماليين العالمية جهودها لكي تنتزع من الخصم كل امكانية للمزاحمة ولكي تشتري مثلاً مطمورات الحديد او حقول النفط وهلم جراً وحياسة المستعمرات هي وحدها ما يعطي الاحتكارات الضمانة الثامنة للنجاح ضد كل طوارئ الصراع مع المنافس - حتى في حالة ما اذا رغب المنافس في الدفاع عن نفسه باستصدار قانون عن اقامة احتكار الدولة فكلما تقدمت الرأسمالية في تطورها وكلما بدا بصورة اوضح نقص الخامات وكلما استعرت المزاحمة واشتد الرخص وراء مصادر الخامات في العالم كله احتدم الصراع من اجل حيازة المستعمرات

وقد كتب شيلدر «بالامكان ان نجرؤ على تأكيد قد يبدو للبعض غريباً وهو ان نمو السكان المدينيين والصناعيين قد يصطدم في مستقبل قريب لحد ما بعقبة نقص خامات الصناعة لحد اكبر جداً من نقص المواد الغذائية» وهكذا يشهد مثلاً نقص الخشب الذي ترتفع اسعاره دون انقطاع والجلد والخامات اللازمة لصناعة النسيج «تحاول اتحادات الصناعيين ايجاد توازن بين الزراعة والصناعة في نطاق الاقتصاد العالمي كله وعلى سبيل المثال

(الكونت كرومير «الامبريالية القديمة والحديثة» . لندن ، سنة ١٩١٠ .

. (الناشر) .

يمكن ذكر الاتحاد العالمي لجمعيات صناعة خيوط القطن الذي وجد من سنة ١٩٠٤ في جملة من الدول الصناعية الكبرى والاتحاد الاوروبي لجمعيات صناعة خيوط الكتان المؤسس على نفس الطراز في سنة ١٩٠١» *

يحاول الاصلاحيون البرجوازيون وبينهم بوجه خاص الكاوتسكيون الحاليون أن يقللوا طبعاً من أهمية هذا النوع من الوقائع بقولهم ان «بالامكان» الحصول على الخامات في السوق الحرة بدون السياسة الاستعمارية «ذات التكاليف الكبيرة والخطرة» وان «بامكان» زيادة عرض الخامات زيادة كبيرة «بمجرد» تحسين ظروف الزراعة بوجه عام ولكن هذه الاقاويل تغدو دفاعاً عن الامبريالية وتجيلاً لوجهها لانها قائمة على نسيان الخاصية الرئيسية في الرأسمالية الحديثة الاحتكار تغيب السوق الحرة شيئاً فشيئاً في طيات الماضي فالسينديكات والتروستات الاحتكارية تبتريها من يوم لآخر أما «مجرد» تحسين ظروف الزراعة فينحصر في تحسين حالة الجماهير ورفع الاجور وتقليل الارباح ولكن هل توجد في غير مخيلات الاصلاحيين ذوي الكلمات المعسولة تروستات يمكنها ان تهتم بحالة الجماهير بدلاً من الاستيلاء على المستعمرات ؟

لا يقصر الرأسمال المالي اهتمامه على مصادر الخامات المكتشفة وحدها بل يهتم كذلك بمصادر الخامات المحتملة لان التكنولوجيا يتقدم في ايامنا بسرعة لا يتصورها العقل والاراضي غير الصالحة اليوم قد تغدو صالحة غداً اذا اوجدت لذلك طرائق جديدة (ولهذا الغرض يستطيع بنك من البنوك الكبرى تجهيز بعثة خاصة من المهندسين والخبراء الزراعيين الخ .) واذا انفق رأسمال كبير . والشيء نفسه فيما يخص التنقيب عن الثروات المعدنية والاساليب

الجديدة لتحضير هذه الخامات او تلك والاستفادة منها الخ وهلم جراً ومن هنا لا مفر للرأسمال المالي من ان ينزع الى توسيع اراضيه الاقتصادية وحتى اراضيه بوجه عام وعلى غرار التروستات التي تقدر املاكها برأسمال منفوخ ضعفين او ثلاثة اضعاف ، حاسبة الارباح «المحتملة» في المستقبل (لا الارباح الراهنة) ، حاسبة نتائج الاحتكار المقبلة يطمح الرأسمال المالي بوجه عام الى الاستيلاء على اكثر ما يمكن من الاراضي مهما كانت وحيثما كانت وبابة وسيلة كانت آخذاً بعين الاعتبار مصادر الخامات المحتملة وخوفاً من التأخر في الصراع المسعور من اجل آخر قطعة من العالم غير المقتسم او من أجل اعادة تقاسم القطع التي تم اقتسامها

بيذل الرأسماليون الانجليز قصارى جهدهم لتطوير انتاج القطن في مستعمرتهم مصر ففي سنة ١٩٠٤ زرع القطن في ٠,٦ مليون هكتار من مجموع ٢,٣ مليون هكتار من الاراضي المزروعة ، أي اكثر من الربع ويسير الرأسماليون الروس على نفس النمط في مستعمرتهم تركستان ذلك لان هذه الطريق تسهل لهم التغلب على مزاحمهم الاجانب تسهل لهم الوصول الى احتكار مصادر الخامات وانشاء تروست للنسيج اكثر توفيراً وربحاً ذي انتاج «مركب» يركز في يد واحدة جميع مراحل انتاج ومعالجة القطن

ان مصالح تصدير الرأسمال تدفع كذلك الى الاستيلاء على المستعمرات لان من الاسهل في اسواق المستعمرات (واحياناً لا يمكن الا فيها) ازاحة المزاحم بالطرق الاحتكارية وتأمين الطلب وتوطيد «العلاقات» اللازمة وهلم جراً

ان البناء الفوقي غير الاقتصادي القائم على اساس الرأسمال المالي سياسة وايدولوجية هذا الاخير- كل هذا يشدد السعي الى الاستيلاء على المستعمرات وقد صدق هيلفردينغ اذ قال «ان الرأسمال المالي لا يريد الحرية ، بل السيطرة». وقد قال كاتب

برجوازي فرنسي ، وكأنه يطور ويكمل افكار سيسيل رودس المذكورة اعلاه * انه ينبغي ان تضاف الاسباب الاجتماعية الى الاسباب الاقتصادية التي تنشأ عنها السياسة الاستعمارية الراهنة : «ونتيجة لاشتداد تعقد الحياة والصعوبات التي لا تضغط على جماهير العمال وحسب ، بل وعلى الطبقات الوسطى ، يتراكم في جميع بلدان المدنية القديمة «الضجر والنقمة والاحقاد مهددة الامن العام وطاقة خارجة عن مجراها الطبقي العادي ينبغي استخدامها ينبغي تشغيلها في الخارج لكيلا يحدث انفجار في الداخل» * *

وما دمنا في معرض الحديث عن السياسة الاستعمارية في عهد الامبريالية الرأسمالية ينبغي أن نشير الى ان الرأسمال المالي والسياسة الدولية الملازمة له التي تتلخص في الصراع بين الدول الكبرى من أجل اقتسام العالم اقتصادياً وسياسياً يخلقان جملة من اشكال انتقالية من تبعية الدول فما يميز هذا العهد ليس فقط الفريقان الاساسيان من البلدان المالكه للمستعمرات والمستعمرات ، بل كذلك مختلف اشكال البلدان التابعة ، المستقلة رسمياً من الناحية السياسية والواقعة عملياً في شباك التبعية المالية والديبلوماسية وقد سبق لنا ان اشرنا الى شكل من هذه الاشكال - البلدان شبه المستعمرة والارجنتين مثلاً هي نموذج شكل آخر

فقد كتب شولتزه-غيفر نيتز في مؤلفه عن الامبريالية البريطانية : «ان اميركا الجنوبية ولاسيما الارجنتين في حالة تبعية مالية للندن

* راجعوا هذا الكتاب ، ص ٥١٢ . الناشر .

* * «La France aux colonies» Wahl. (قال «فرنسا في المستعمرات» الناشر) نقلنا عن Henry Russier. «Le Partage de l'Océanie». P., 1905, p. 165 (هنري روسيه «تقاسم اوقيانيا» . باريس ، سنة ١٩٠٥ ، ص ١٦٥ . الناشر) .

لدرجة ينبغي نعتها بأنها تقريباً مستعمرة تجارية بريطانية* واستناداً الى تقارير قنصل النمسا-المجر في بوينوس آيرس في سنة ١٩٠٩ قدر شيلدر الرساميل التي وظفتها انجلترا في الارجننتين ٨,٧٥ مليار فرنك ومن اليسير على المرء ان يتصور مدى وثوق الصلات التي يكتسبها بحكم ذلك الرأسمال المالي الانجليزي - و«صديقتها» الحميمة الدبلوماسية الانجليزية - مع برجوازية الارجننتين واطرافها القائدة لكامل حياتها الاقتصادية والسياسية والبرتغال مع استقلالها السياسي تعطينا مثلاً لشكل من اشكال التبعية المالية والديبلوماسية يختلف بعض الشيء البرتغال هي دولة مستقلة ذات سيادة ولكنها في الواقع تحت الحماية البريطانية منذ أكثر من ٢٠٠ سنة من زمن الحرب من أجل العرش الاسباني (١٧٠١-١٧١٤) (٢٥٦) فقد دافعت انجلترا عنها وعن مستعمراتها بقصد توطيد مواقعها في الصراع ضد خصمها ، اسبانيا وفرنسا وقد حصلت انجلترا في المقابل على منافع تجارية وعلى افضل الشروط لتصدير البضائع ولا سيما الرساميل الى البرتغال ومستعمراتها وعلى امكانية الاستفادة من موانئ وجزر البرتغال وخطوطها التلغرافية والنخ . ، وهلم جراً * * وهذا النوع من العلاقات قد وجد على الدوام بين الدول الكبرى والصغرى ولكنه في عهد

Schulze — Gaevernitz. «Britischer Imperialismus und englischer *
 ٣١٨ ، Freihandel zu Beginn des 20-ten Jahrhunderts». Lpz., 1906.
 (شولتزه-غيفيرنيتز «الامبريالية البريطانية والتجارة الانجليزية الحرة
 في اوائل القرن العشرين» ليبويغ ، سنة ١٩٠٦ الناشر) والشيء نفسه
 Sartorius v. Waltershausen. «Das volkswirtschaftliche System der Kapi-
 talanlage im Auslande». Berlin, 1907. S. 46 (سارتوريوس فون
 فالترسهاوزن «النظام الاقتصادي لتوظيف الرأسمال في الخارج» برلين ،
 سنة ١٩٠٧ ، ص ٤٦ الناشر)
 * * شيلدر ، المؤلف المذكور ، مجلد ١ ، صص ١٦٠-١٦١ .

الامبريالية الرأسمالية يغدو نظاماً عاماً ويكون جزءاً من مجموع علاقات «تقاسم العالم» ويصبح حلقات في سلسلة عمليات الرأسمال المالي العالمي

ولكي ننتهي من مسألة تقاسم العالم ينبغي علينا أن نشير كذلك الى ما يلي ان الادب الاميركي والادب الانجليزي لم يكونا الوحيدين اللذين طرحا هذه المسألة بكل صراحة ووضوح بعد الحرب الاسبانية الاميركية والحرب الانجليزية البويرية في نهاية القرن التاسع عشر وبدء القرن العشرين والادب الالمانى الذي كان يراقب «الامبريالية البريطانية» بكل «غيرة» لم يكن كذلك الوحيد الذي بحث هذا الواقع بصورة مستمرة فقد طرحت هذه المسألة كذلك في الادب البرجوازي الفرنسي بشكل جلي واسع بمقدار ما يمكن تصور ذلك من وجهة النظر البرجوازية فلنستشهد بالمؤرخ دريو الذي كتب في مؤلفه «القضايا السياسية والاجتماعية في نهاية القرن التاسع عشر» في فصل «الدول الكبرى وتقاسم العالم» «في غضون السنوات الاخيرة احتلت دول اوروبا واميركا الشمالية جميع البقاع الشاغرة في العالم باستثناء الصين وقد جرت على هذا الصعيد عدة نزاعات وتبدلات لمناطق النفوذ هي نذير انفجارات أفضح في المستقبل القريب اذ انه ينبغي السرعة فالامم التي لم تؤمن نفسها من هذه الناحية مهددة بعدم الحصول ابداء على حصتها وبعدهم الاشتراك في استثمار الكرة الارضية ، هذا الاستثمار الهائل الذي سيكون واقعاً من الوقائع الاساسية في القرن المقبل (أي العشرين) ولهذا السبب استولت على اوروبا واميركا جميعهما في الوقت الاخير حمى توسيع المستعمرات ، حمى «الامبريالية» التي هي ابرز السمات المميزة لاواخر القرن التاسع عشر» ويستطرد المؤلف «في هذا التقاسم للعالم ، في هذا الركض المسعور وراء الكنوز وكبريات اسواق الارض لا يوجد اي تناسب على الاطلاق بين القوة النسبية للامبراطوريات المؤسسة في

هذا القرن التاسع عشر وبين المكان الذي تحتله في اوروبا الامم التي اسستها فالدول المهيمنة في اوروبا والمتصرفه بمصائرها ليست مهيمنة في العالم بالقدر نفسه ولما كانت سعة المستعمرات، والامل بالحصول على ثروات لا تزال مجهولة سيجدان دون شك تأثيرهما منعكساً على قوة الدول الاوروبية النسبية فان مسألة المستعمرات - «الامبريالية» ان شئتتم - التي قد غيرت الظروف السياسية في اوروبا نفسها ستغيرها بحكم ذلك اكثر فاكثراً* .

٧ - الامبريالية مرحلة خاصة في الرأسمالية

ينبغي علينا الآن ان نحاول استخلاص بعض النتائج تعميم ما قلناه فيما تقدم عن الامبريالية لقد نشأت الامبريالية باعتبارها تطوراً واستمراراً مباشراً لما فطرت عليه الرأسمالية بوجه عام من خصائص اساسية ولكن الرأسمالية لم تصبح امبريالية رأسمالية الا عندما بلغت في تطورها درجة معينة عالية جداً عندما أخذ يتحول الى نقيضه بعض من اخص خصائص الرأسمالية عندما تكونت وظهرت على طول الجبهة كلها سمات مرحلة انتقالية من الرأسمالية الى نظام اقتصادي اجتماعي اعلى والامر الاساسي في هذا السير هو من الناحية الاقتصادية حلول الاحتكارات الرأسمالية محل المزاحمة الحرة الرأسمالية فالمزاحمة الحرة هي اخص خصائص الرأسمالية والانتاج البضاعي بوجه عام والاحتكار هو نقيض المزاحمة الحرة المباشر ، ولكن هذه الاخيرة أخذت تتحول امام عيوننا الى احتكار منشئة الانتاج الضخم ومزيجة الانتاج الصغير مُحِلَّة

* J.-E. Driault, «Problèmes politiques et sociaux», P 1900 ص

٢٩٩ ج . - . ي . دريو «القضايا السياسية والاجتماعية» باريس .

الاضخم محل الضخم دافعة تمرکز الانتاج والرأسمال الى درجة نشأت وتنشأ عنها الاحتكارات : الكارتيلات، والسينديكات والتروستات والرأسمال المندمج فيها لنحو عشرة من البنوك التي تتصرف بالمليارات وفي الوقت نفسه لا تزيل الاحتكارات المزاحمة الحرة التي نشأت عنها بل تعيش فوقها والى جانبها ، مولدة لهذا السبب جملة من التناقضات والاحتكاكات والنزاعات في منتهى الشدة والقوة فالاحتكار هو انتقال من الرأسمالية الى نظام اعلى ولن كانت هنالك ضرورة لتعريف الامبريالية تعريفاً غاية في اليجاز ينبغي أن يقال الامبريالية هي الرأسمالية في مرحلة الاحتكار ومثل هذا التعريف يضم الامر الرئيسي لان الرأسمال المالي هو رأسمال بضعة من البنوك الاحتكارية الكبرى اندمج في رأسمال اتحادات الصناعيين الاحتكارية هذا من جهة ومن الجهة الاخرى ان تقاسم العالم هو انتقال من سياسة استعمارية تشمل دون عائق اقطاراً لم تستول عليها بعد أية دولة رأسمالية الى سياسة استعمارية تقوم على احتكار حيازة بقاع الارض المقتسمة بأكملها ولكن التعاريف الموجزة للغاية وان كانت ملائمة لانها تلخص الامر الرئيسي لا تكفي مع ذلك ما دامت ثمة حاجة لتستخلص منها سمات في منتهى الاهمية تصف الظاهرة التي ينبغي تعريفها ولذلك ، ودون ان ننسى ان جميع التعاريف بوجه عام هي ذات طابع شرطي نسبي وانها لا تستطيع ابدأ ان تشمل جميع وجوه علاقات ظاهرة في حالة تطورها الكامل ينبغي اعطاء الامبريالية تعريفاً يشمل علاماتها الخمس الاساسية التالية (١) تمرکز الانتاج والرأسمال تمرکزأ بلغ في تطوره حداً من العلو ادى الى نشوء الاحتكارات التي تلعب الدور الفاصل في الحياة الاقتصادية ؛ (٢) اندماج الرأسمال البنكي في الرأسمال الصناعي ونشوء الطغمة المالية على اساس «الرأسمال المالي» هذا ؛ (٣) تصدير الرأسمال ، خلافاً لتصدير البضائع ،

يكتسب أهمية في منتهى الخطورة (٤) تشكل اتحادات رأسمالين احتكارية عالمية تقسم العالم (٥) انتهى تقاسم الارض اقليمياً فيما بين كبريات الدول الرأسمالية فالامبريالية هي الرأسمالية في مرحلة من التطور تكونت فيها سيطرة الاحتكارات والرأسمال العالمي واكتسب تصدير الرأسمال اهمية كبرى وابتدأ تقاسم العالم بين التروستات العالمية وانتهى تقاسم الارض كلها اقليمياً بين كبريات البلدان الرأسمالية

وسنرى فيما بعد كيف يمكن ويجب تعريف الامبريالية تعريفاً آخر اذا لم تؤخذ بعين الاعتبار فقط المفاهيم الاساسية الاقتصادية الصرف (التي يقتصر عليها التعريف المذكور) بل كذلك المكان الذي تحتله في التاريخ المرحلة الراهنة في الرأسمالية بالنسبة للرأسمالية بوجه عام او علاقة الامبريالية والاتجاهين الاساسيين في حركة العمال وينبغي أن نشير الآن الى أن الامبريالية بالمفهوم المذكور هي دون شك عبارة عن مرحلة خاصة في تطور الرأسمالية. ولكي نمكن القارئ من تكوين فكرة عن الامبريالية معللة اكثر ما يكون، سنعينا قصداً وعمداً الى ايراد اكثر ما يمكن من آراء الاقتصاديين **البرجوازيين** المضطرين الى الاعتراف بوقائع الاقتصاد الرأسمالي الحديث الثابتة التي لا يمكن الشك فيها بحال وللغرض نفسه ذكرنا احصاءات مفصلة تمكن من تبين الحد الذي بلغه نمو الرأسمال البنكي الخ من تبين الامر الذي تجلّى فيه بالضبط تحول الكمية الى كيفية تحول الرأسمالية المتطورة الى امبريالية وغني عن القول طبعاً ان جميع الحدود في الطبيعة والمجتمع شرطية ومتحركة وان من السخافة النقاش مثلاً حول تعيين العام او العقد الذي تم فيه «بصورة نهائية» قيام الامبريالية

ولكن النقاش حول تعريف الامبريالية امر لا مناص منه بالدرجة الاولى مع كاوتسكي، النظري الماركسي الرئيسي في عهد ما يسمى

بالاممية الثانية اي في السنوات الـ ٢٥ الممتدة من سنة ١٨٨٩ الى سنة ١٩١٤ لقد عارض كاوتسكي بكل حزم في سنة ١٩١٥ وحتى منذ تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٩١٤ الافكار الاساسية التي تضمنها تعريفنا للامبريالية معلناً أنه لا ينبغي أن يفهم من الامبريالية «مرحلة» او درجة بلغها الاقتصاد بل سياسة سياسة معينة «يفضلها» الرأسمال المالي وانه لا يصح اعتبار الامبريالية و«الرأسمالية الحديثة» «شيئاً واحداً» وانه اذا فهم المرء ان الامبريالية تعني «جميع ظواهر الرأسمالية الحديثة» - الكارتيلات الحماية سيطرة المالكين السياسة الاستعمارية - عندئذ تؤول مسألة ضرورة الامبريالية بالنسبة للرأسمالية الى «تكرار ريك» اذ انه في هذه الحالة «تكون الامبريالية بالبداية ضرورة حيوية للرأسمالية» والخ ونحن نعرب عن فكرة كاوتسكي بأكثر ما يمكن من الدقة اذا ما ذكرنا تعريفه للامبريالية التعريف الموجه مباشرة ضد جوهر الافكار التي لخصناها (لأن الاعتراضات الصادرة عن معسكر الماركسيين الالمان الذين ظلوا يروجون بمثل هذه الافكار خلال سنوات عديدة معروفة لكاوتسكي من زمن بعيد باعتبارها اعتراضات تيار معين في الماركسية)

وينص تعريف كاوتسي

«الامبريالية هي نتاج الرأسمالية الصناعية العالية التطور وهي تتلخص بنزوع كل امة رأسمالية صناعية الى ان تلحق بنفسها أو ان تخضع لنفسها المزيد والمزيد من البقاع الزراعية (حرف التشديد لكاوتسكي) بصرف النظر عن الامم التي تقطنها» * وهذا التعريف لا يساوي قلامة ظفر لأنه يبرز بشكل وحيد الجانب اي بصورة كيفية المسألة القومية وحدها (وان كانت في

* «Die Neue Zeit», 1914, 2 (مجلد ٣٢)، ص ٩٠٩، ١١ ايلول

(سبتمبر) ١٩١٤. قارنوا بـ ١٩١٥، ٢، ص ١٠٧ وما يليها .

منتهى الاهمية بحد ذاتها او في علاقتها بالامبريالية) ويربطها بصورة
كيفية وغير صحيحة بالرأسمال الصناعي وحده في البلدان التي تلحق
الامم الاخرى ولأنه يبرز بنفس الصورة الكيفية وغير الصحيحة الحاق
البقاع الزراعية

الامبريالية هي نزوع الى الالحاق - هذا ما ينحصر فيه القسم
السياسي من تعريف كاوتسكي وهو صحيح ولكنه ناقص كل
النقص لان الامبريالية من الناحية السياسية هي بوجه عام نزوع
الى العنف والرجعية بيد أن ما يهمنا من الامر هنا هو ناحيته
الاقتصادية التي ادرجها كاوتسكي نفسه في تعريفه هو ان مواطن
الخطأ في تعريف كاوتسكي تفتقاً العين فما يميز الامبريالية على وجه
التحقيق ليس الرأسمال الصناعي بل الرأسمال المالي وليس من
قبيل الصدف ان افضت السرعة الكبرى في تطور الرأسمال المالي
في فرنسا مع اضعاف الرأسمال الصناعي الى اشتداد سياسة الالحاق
(الاستعمارية) لاقصى حد في سنوات العقد التاسع من القرن الماضي
وما يميز الامبريالية على وجه التحقيق ليس النزوع الى الحاق البقاع
الزراعية وحدها ، بل حتى الصناعية الاكثر تطوراً (مطامع المانيا فيما
يخص بلجيكا ، وفرنسا فيما يخص اللورين) لأن انتهاء تقاسم الارض
يرغم لدى إعادة التقاسم ، على مد اليد الى أي بقعة ، هذا اولاً
وثانياً من سمات الامبريالية الجوهرية تنافس عدد من الدول
الكبرى في النزوع الى السيطرة أي الى الاستيلاء على الاراضي
لا بقدرما تحتاجها لنفسها مباشرة بل بقدر ما تحتاجها لضعاف
الخصم وتقويض سيطرته (المانيا بمسيس الحاجة الى بلجيكا كنقطة
ارتكاز ضد انجلترا وانجلترا بمسيس الحاجة الى بغداد كنقطة
ارتكاز ضد ألمانيا وهلم جرأ)

يستشهد كاوتسكي بوجه خاص - ومراراً وتكراراً - بالانجليز
الذين اقرؤا ، على ما يزعم ، المعنى السياسي الصرف لكلمة

«الامبريالية» كما يفهمها هو كاوتسكي فلنأخذ الانجليزي هوبسون ولنقرأ في كتابه «الامبريالية» الصادر في سنة ١٩٠٢

«تختلف الامبريالية الحديثة عن القديمة اولاً بأنها تحل محل نزعات امبراطورية واحدة متعاطمة نظرية وعمل امبراطوريات متنافسة تسترشد كل منها بنزعة متماثلة الى التوسع السياسي والى النفع التجاري وثانياً بأنها تعلي على المصالح التجارية المصالح المالية او المتعلقة بتوظيف الرأسمال» *

ونحن نرى أن كاوتسكي غير محق في الواقع ابدأ اذ يستشهد بالانجليز بوجه عام (الا اذا كان يريد الاستشهاد بالامبرياليين الانجليز المبتدلين او بالذين يكيلون المديح علناً للامبريالية)

ونحن نرى ان كاوتسكي الذي يدعي انه ما زال يدافع عن الماركسية يخطو في الواقع خطوة الى الوراء بالمقارنة مع الاشتراكي-الليبيرالي هوبسون الذي يأخذ بعين الاعتبار بصورة اصح خاصيتين «تاريخيتين ملموستين» (وان كاوتسكي يسخر في تعريفه من الدقة التاريخية بالضبط!) من خواص الامبريالية الحديثة (١) التنافس بين جملة من الدول الامبريالية (٢) تفوق المالي على التاجر اما اذا جرى الكلام بصورة رئيسية حول الحاق بلاد زراعية من قبل بلاد صناعية فان ذلك يعني التأكيد على تفوق دور التاجر

ان تعريف كاوتسكي عدا انه غير صحيح وغير ماركسي هو أساس لسلسلة كاملة من نظرات تقطع كل صلة مع النظرية الماركسية والعمل الماركسي على حد سواء الامر الذي سيأتي الحديث عنه فيما بعد والنقاش الذي اثاره كاوتسكي حول الكلمات هو نقاش غير جدي على الاطلاق: أينبغي ان يطلق على احدث مراحل الرأسمالية اسم الامبريالية ام درجة الرأسمال المالي سمها

* Hobson. «Imperialism» L., 1902, p. 324. (هوبسون: «الامبريالية».

لندن ، سنة ١٩٠٢ ، ص ٣٢٤ . الناشر) .

كيف شئت ، لا اهمية لذلك ان كنه القضية في كون كاوتسكي يفصل سياسة الامبريالية عن اقتصادها زاعماً ان الالحاقات هي سياسة الرأسمال المالي «المفضلة» ومعارضاً ايها سياسة برجوازية اخرى يدعي أنها ممكنة على اساس الرأسمال المالي نفسه يستنتج اذن ان الاحتكارات في الاقتصاد تتلاءم مع طراز سلوك في السياسة غير قائم على الاحتكار والعنف والغصب يستنتج اذن ان تقاسم اقطار الارض الذي تم في عهد الرأسمال المالي بالضبط والذي يؤلف أساس السمة المميزة لاشكال التنافس الراهنة بين كبريات الدول الرأسمالية يتلاءم مع السياسة غير الامبريالية ويكون الحاصل طمس وثلم حدة أهم تناقضات المرحلة الحديثة في الرأسمالية بدلاً من الكشف عن عمقها ويكون الحاصل اصلاحية برجوازية بدلاً من الماركسية

يناقش كاوتسكي مداح الامبريالية والالحاقات الالمانى كونوف ، ذا التفكير السقيم الوقح الامبريالية هي الرأسمالية الحديثة تطور الرأسمالية محتوم وتقدمي ، معنى ذلك ان الامبريالية تقدمية ، معنى ذلك انه ينبغي تملق الامبريالية والثناء عليها ! وكأننا امام شيء ما من نمط تلك الصورة المشوهة التي رسمها الشعبيون عن الماركسيين الروس في سنتي ١٨٩٤ - ١٨٩٥ ما دام الماركسيون يعتبرون الرأسمالية في روسيا أمراً محتوماً وتقدمياً فينبغي عليهم ان يفتحوا خماراً وينصرفوا الى غرس الرأسمالية ويعترض كاوتسكي على كونوف كلا الامبريالية ليست الرأسمالية الحديثة ، بل هي شكل من اشكال سياسة الرأسمالية الحديثة لا غير ويمكننا نحن وينبغي علينا أن نناضل ضد هذه السياسة أن نناضل ضد الامبريالية ضد الالحاقات وهلم جراً

يبدو الاعتراض مقبولاً تماماً من حيث الشكل ولكنه في الواقع ، عبارة عن تبشير بالاتفاق مع الامبريالية اكثر نعومة وأحسن

تسترا (وهو لذلك اشد خطراً) لان «النضال» ضد سياسة التروستات والبنوك دون مساس بأسس اقتصاد التروستات والبنوك يؤول الى الاصلاحية والمسالمة البرجوازية والى تمنيات طيبة بريئة ان نظرية كاوتسكي التي لا يجمعها بالماركسية جامع هي تجنب التناقضات الموجودة ونسيان اهم هذه التناقضات ، بدلاً من الكشف عن كل عمقها ومفهوم ان هذه «النظرية» لا تصلح الا للدفاع عن فكرة الوحدة مع كونوف ومن على شاكلته !

وقد كتب كاوتسكي «من وجهة النظر الاقتصادية الصرف ليس من المستحيل أن تجتاز الرأسمالية مرحلة جديدة اخرى تشمل فيها سياسة الكارتيلات السياسة الخارجية مرحلة الامبريالية العليا» * أي مرحلة ما فوق الامبريالية مرحلة اتحاد الدول الامبريالية في العالم بأسره لا الصراع فيما بينها مرحلة انتهاء الحروب في ظل الرأسمالية ، مرحلة «استثمار مشترك للعالم من قبل الرأسمال المالي المتحد على النطاق العالمي» **

ولا بد لنا ان نتناول فيما يأتي «نظرية الامبريالية العليا» هذه لكي نبين بالتفصيل الى أية درجة تنفصل هذه النظرية بصورة قاطعة نهائية عن الماركسية اما هنا فينبغي علينا وفقاً للبرنامج العام الذي نتمشى عليه في هذا المؤلف ، ان نلقي نظرة على المعلومات الاقتصادية الدقيقة المتصلة بهذه المسألة «من وجهة النظر الاقتصادية الصرف» أي يمكن وجود «ما فوق الامبريالية» ام اننا امام ما فوق الهذر ؟

* Die Neue Zeit, 1914, 2 (مجلد ٣٢) ، ص ٩٢١ ، ١١ ايلول

(سبتمبر) ١٩١٤ قارنوا بـ ١٩١٥ ، ٢ ، ص ١٠٧ وما يليها

** Die Neue Zeit, 1915, 1 ، ص ١٤٤ ، ٣٠ نيسان (ابريل)

إذا فهم المرء وجهة النظر الاقتصادية الصرف على انها التجريد «الصرف»، فكل ما يمكن قوله حينئذ يؤول الى ما يلي يسير التطور في اتجاه الاحتكارات وعلى ذلك في اتجاه احتكار عالمي واحد تروست عالمي واحد هذا لا جدال فيه ، ولكنه كذلك خال من كل معنى كما لو قال المرء ان «التطور يسير» في اتجاه انتاج المواد الغذائية في المختبرات و «نظرية» ما فوق الامبريالية هي بهذا المعنى لغو لا طائل تحته كما لو قال المرء بـ«نظرية ما فوق الزراعة»

ولكن اذا تناول الكلام الظروف «الاقتصادية الصرف» ومرحلة الرأسمال المالي باعتبارها مرحلة محددة تاريخيا تقع في اوائل القرن العشرين ، فان احسن رد على الصيغ المجردة الميتة بصدد «ما فوق الامبريالية» (تلك الصيغ التي لا تستهدف الا امرأ رجعياً للغاية الهاء الانظار عن عمق التناقضات القائمة) هو معارضتها بالواقع الاقتصادي الملموس في الاقتصاد العالمي الراهن ان اقاويل كاوتسكي عما فوق الامبريالية ، هذه الاقاويل الخالية من كل معنى تشجع ، فيما تشجع ، الفكرة المغلوطة في عمقها والتي تصب الماء في طاحونة مداحي الامبريالية الفكرة القائلة بأن سيطرة الرأسمال المالي تخفف التفاوت والتناقضات في داخل الاقتصاد العالمي في حين انها تشدها في الواقع

قام ر كالفير في كتابه الموجز «توطئة في الاقتصاد العالمي» * بمحاولة لتلخيص اهم المعطيات الاقتصادية الصرف التي تمكن من تكوين فكرة ملموسة عن العلاقات في داخل الاقتصاد العالمي على تخوم القرنين التاسع عشر والعشرين انه يقسم العالم بأكمله الى خمس «مناطق اقتصادية رئيسية» (١) منطقة اوروبا الوسطى (اوروبا

كلها عدا روسيا وانجلترا) ٢) المنطقة البريطانية (٣) المنطقة الروسية (٤) منطقة آسيا الشرقية (٥) المنطقة الاميركية ، ضمناً المستعمرات الى «مناطق» تلك الدول التي تعود اليها و«تاركاً جانباً» عدداً قليلاً من البلدان غير المقسمة حسب المناطق كبلاد فارس وافغانستان وشبه جزيرة العرب في آسيا ومراكش والحبشة في افريقيا وغيرها

وها هي بالايجاز المعطيات الاقتصادية التي ذكرها عن هذه المناطق (راجعوا الصفحة ٥٣٣)

نرى ثلاث مناطق بلغت فيها الرأسمالية درجة عالية من التطور (تطورت فيها جداً طرق المواصلات والتجارة والصناعة) منطقة اوروبا الوسطى والمنطقة البريطانية والمنطقة الاميركية بينها ثلاث دول مسيطرة على العالم المانيا وانجلترا والولايات المتحدة وتنافسها الامبريالي وصراعها قد تفاقما غاية التفاقم لان لدى المانيا منطقة صغيرة ومستعمرات قليلة ان تشكيل «اوروبا الوسطى» ما زال مسألة المستقبل وهي تولد في صراع مستमित فالسمة المميزة لاوروبا باكملها ما تزال التجزئة السياسية والتمركز السياسي في المنطقتين البريطانية والاميركية هو بالعكس عال جداً بيد أن الفرق هائل بين سعة مستعمرات الاولى وضآلة مستعمرات الثانية أما في المستعمرات ، فالرأسمالية قد أخذت في التطور وحسب ويحتدم الصراع من أجل أميركا الجنوبية

وتطور الرأسمالية ضعيف في منطقتين - في المنطقة الروسية ومنطقة آسيا الشرقية في المنطقة الاولى كثافة السكان في منتهى الضعف ، وفي الثانية في منتهى الارتفاع ؛ في الاولى ، التمركز السياسي عال جداً ، وفي الثانية معدوم واقتسام الصين لم يكد يبدأ ، فالصراع بين اليابان والولايات المتحدة وغيرها من أجل هذا البلد يستعر باستمرار .

الصناعة	التجارة		طرق المواصلات		السكان	المساحة	المنطق الاقتصادية الرئيسية في العالم
	تجارة	تجارة	تجارة	تجارة			
٢٦	١٥	٢٥١	٤١	٨	٣٨٨ (١٤٦)	٢٧,٦ (٢٣,٦)*	(١) أوروبا الوسطى
٥١	٩	٢٤٩	٢٥	١١	٣٩٨ (٣٥٥)	٢٨,٩ (٢٨,٦)*	(٢) البريطانية
٧	٣	١٦	٣	١	١٣١	٢٢	(٣) الروسية
٢	٠,٠٢	٨	٢	١	٣٨٩	١٢	(٤) آسيا الشرقية
١٩	١٤	٢٤٥	١٤	٦	١٤٨	٣٠	(٥) الاميركية

* بين الاهلة مساحة المستعمرات وعدد سكانها

قارنوا بهذا الواقع - بتنوع الظروف الاقتصادية والسياسية الهائل بالتفاوت الكبير في سرعة تطور مختلف البلدان وغير ذلك بالصراع المسعور بين الدول الامبريالية - اقصوصة كاوتسكي السخيفة عما فوق الامبريالية «المسالمة» أفليست هذه محاولة رجعية من متعيش مهلوع للاختفاء من الواقع الرهيب ؟ والكارتيلات العالمية التي تبدو لكاوتسكي جينياً ل«ما فوق الامبريالية» (كما «يمكن» أن يعلن انتاج الاقراص في المختبر جينياً لما فوق الزراعة) ألا تعطينا مثلاً عن تقاسم العالم **واعادة تقاسمه** ، عن الانتقال من التقاسم السلمي الى غير السلمي وبالعكس ؟ والرأسمال المالي الاميركي وغيره الذي اقتسم العالم كله سلمياً حينما اشتركت المانيا ولنقل مثلاً في السينديكا العالمي لقضبان السكك الحديدية او في التروست العالمي للملاحة التجارية ، ألم يأخذ الآن في **اعادة تقاسم** العالم على اساس النسبة الجديدة بين القوى ، التي تتغير بطريقة غير سلمية بتاتا ؟

ان الرأسمال المالي والتروستات لا تخفف التفاوت في سرعة تطور مختلف أقسام الاقتصاد العالمي بل بالعكس تزيد منه واذا ما تغيرت نسبة القوى ، فهل يمكن ، في ظل الرأسمالية ، ان يوجد حل للتناقضات في غير القوة ؟ ونجد في احصاءات السكك الحديدية * معلومات في منتهى الدقة عن تباين سرعة نمو الرأسمالية والرأسمال المالي في الاقتصاد العالمي باكملة فخلال العقود الاخيرة من سني التطور الامبريالي تغير طول السكك الحديدية على النحو الآتي

Stat. Jahrbuch für das Deutsche Reich, 1915; Archiv für *

Eisenbahnwesen, 1892. (مجلة الاحصاء السنوية للدولة الالمانية ،

سنة ١٩١٥ ؛ سجلات السكك الحديدية ، ١٨٩٢ ،

الفاشر) ؛ وقد اضطررنا للاكتفاء بارقام تقريبية عن توزيع خطوط السكك الحديدية بين مستعمرات مختلف الدول في سنة ١٨٩٠ .

السكك الحديدية
(بالوف الكيلومترات)

+	سنة		
	١٩١٣	١٨٩٠	
١٢٢ +	٣٤٦	٢٢٤	اوروبا
١٤٣ +	٤١١	٢٦٨	الولايات المتحدة الاميركية
١٢٨ +	٢١٠	٨٢	جميع المستعمرات
٢٢٢ +	٣٤٧	١٢٥	الدول المستقلة وشبه المستقلة في آسيا واميركا
٩٤ +	١٣٧	٤٣	
	١١٠٤	٦١٧	المجموع

لقد تم تطور السكك الحديدية باكبر سرعة اذن في المستعمرات والدول الآسيوية والاميركية المستقلة (وشبه المستقلة) ومن المعروف ان الرأسمال المالي العائد لـ ٤ - ٥ من كبريات الدول الرأسمالية هو صاحب القول الفصل في هذه الاقطار فهذه المئات ألف كيلومتر من خطوط السكك الحديدية الجديدة في المستعمرات وغيرها من بلدان آسيا واميركا تعني اكثر من ٤٠ مليار مارك من الرساميل الموظفة حديثاً بشروط مفيدة للغاية مع ضمانات خاصة للعائدات وطلبات تؤمن الارباح لمعامل صهر الفولاذ وغير ذلك وهلم جراً

تتطور الرأسمالية باكبر سرعة في المستعمرات وفي بلدان ما وراء المحيط وتظهر بينها دول امبريالية جديدة (اليابان) يتفاقم الصراع بين الدول الامبريالية العالمية . ويزداد مبلغ الجزية التي

يتقاضاها الرأسمال المالي من المشاريع الرابعة جداً في المستعمرات وبلدان ما وراء المحيط وعند اقتسام هذه «الغنيمة» يقع منها قسم كبير جداً في أيدي بلدان لم تشغل على الدوام المكان الأول في سرعة تطور القوى المنتجة ففي الدول الكبرى مأخوذة مع مستعمراتها كان طول السكك الحديدية على النحو الآتي

(الوف الكيلومترات)

	سنة ١٨٩٠	سنة ١٩١٣	
١٤٥+	٢٦٨	٤١٣	الولايات المتحدة
١٠١+	١٠٧	٢٠٨	الامبراطورية البريطانية
٤٦+	٣٢	٧٨	روسيا
٢٥+	٤٣	٦٨	المانيا
٢٢+	٤١	٦٣	فرنسا
٣٣٩+	٤٩١	٨٣٠	المجموع في ٥ دول .

وهكذا نرى ان نحو ٨٠ بالمئة من مجموع طول السكك الحديدية متمركز في ٥ دول كبرى ولكن تمرکز تملك هذه الخطوط ، تمرکز الرأسمال المالي هو اكبر من هذا بما لا يقاس ، وذلك لان اصحاب الملايين الانجليز والفرنسيين ، مثلاً يملكون القسم الاكبر من اسهم وسندات السكك الحديدية الاميركية والروسية وغيرها

وزادت انجلترا بفضل مستعمراتها شبكة سكك «ها» الحديدية ١٠٠ الف كيلومتر ، أي اربعة اضعاف زيادة المانيا هذا في حين يعرف الجميع ان تطور القوى المنتجة في المانيا خلال هذا الوقت ولا سيما تطور انتاج استخراج الفحم الحجري وصهر الحديد

قد سار بسرعة اكبر جداً من سرعته في انجلترا ناهيك عن فرنسا وروسيا ففي سنة ١٨٩٢ انتجت المانيا ٤،٩ ملايين طن من الحديد الزهر مقابل ٦،٨ ملايين في انجلترا ، بينما انتجت في سنة ١٩١٢ - ١٧،٦ مليون طن مقابل ٩،٠ ملايين طن اي انها تفوقت على انجلترا تفوقاً هائلاً ! * نتساءل هل هنالك ، في ظل الرأسمالية ، وسيلة أخرى غير الحرب لتسوية عدم التناسب بين تطور القوى المنتجة وتراكم الرأسمال من جهة ، واقتسام المستعمرات و«مناطق النفوذ» للرأسمال المالي ، من الجهة الاخرى ؟

٨ - طفيلية الرأسمالية وتعنفها

ينبغي علينا ان نتناول الآن ناحية اخرى مهمة جداً من نواحي الامبريالية لا تقدر في معظم الاحيان حق قدرها في اكثر الأبحاث التي تتناول هذا الموضوع فمن نواقص الماركسي هيلفردينغ انه خطأ خطوة الى وراء بالمقارنة مع اللاماركسي هوبسون نحن نعني الطفيلية التي فطرت عليها الامبريالية

لقد سبق ورأينا أن الاحتكار هو اعرق اساس اقتصادي للامبريالية وهو احتكار رأسمالي اي انه ناشئ عن الرأسمالية وقائم ضمن الظروف العامة للرأسمالية وللانتاج البضاعي والمزاحمة ، ومتناقض مع هذه الظروف العامة تناقضا دائما لا مخرج منه وهو مع ذلك ، ككل احتكار يولد حتماً الميل الى الركود

* قارنوا كذلك

Edgar Crammond. «The Economic Relations of the British and German Empires» في «Journal of the Royal Statistical Society», 1914, July, pp.777 ss. (ادغار كريمةوند «العلاقات الاقتصادية بين الامبراطوريتين البريطانية والالمانية» في «مجلة جمعية الاحصاء الملكية» ، سنة ١٩١٤ ، تموز (يوليو) ، ص ٧٧٧ وما يليها . الناشر) .

والتعفن فيما انه تفرض اسعار احتكارية ولو لزم من محدود نزول بالتالى ، لدرجة معينة ، بواعث التقدم التكنيكي وتبعاً لذلك كل تقدم آخر كل حركة الى امام ثم تظهر الامكانية الاقتصادية لاعاقه التقدم التكنيكي بصورة مصطنعة فلنضرب مثلاً في اميركا اخترع المدعو اوينس ما كينة للقناني احدثت ثورة في صنع القناني فاشترى الكارتيل الالمانى لمصانع القناني براءات اختراع اوينس ووضعها في جواريره معيقاً استعمالها وبطبيعة الحال لا يستطيع الاحتكار في ظل الرأسمالية ان يزيل المزاحمة من السوق العالمية بصورة نهائية ولبرهة طويلة (ونقول في سياق الحديث ان هذا سبب من اسباب سخافة نظرية ما فوق الامبريالية) ومن الواضح ان امكانية تخفيض تكاليف الانتاج وزيادة الارباح عن طريق ادخال التحسينات التكنيكية تعمل في صالح التغييرات ولكن ما فطر عليه الاحتكار من هيل الى الركود والتعفن يواصل عمله بدوره وهو يتغلب خلال وقت معين في بعض فروع الصناعة وفي بعض البلدان واحتكار حيازة المستعمرات الواسعة جداً الغنية او ذات

الموقع الملائم ، يعمل في نفس الاتجاه

وبعد ان الامبريالية هي تراكم هائل للرأسمال النقدي في عدد قليل من البلدان يبلغ كما سبق ورأينا ١٠٠-١٥٠ مليار فرنك من الاوراق المالية ومن هنا تنمو بصورة خارقة طبقة او بالأصح ، فئة أصحاب المداخيل أي الاشخاص الذين يعيشون من «قص الكوبونات» الاشخاص المنعزلين تماماً عن كل اشتراك في اي مشروع اشخاص مهنتهم التعطل وتصدير الرأسمال - وهو اساس من اهم اسس الامبريالية الاقتصادية - يشدد لدرجة اكبر العزلة التامة لفئة اصحاب المداخيل عن الانتاج ويسم بطابع الطفيلية كل البلاد التي تعيش من استثمار عمل عدد من بلدان ما وراء المحيطات والمستعمرات .

وقد كتب هوبسون : «في سنة ١٨٩٣ بلغ الرأسمال البريطاني الموظف في الخارج نحو ١٥ بالمئة من كل ثروة المملكة المتحدة» * ونذكر بأن هذا الرأسمال قد ازداد حوالى سنة ١٩١٥ ١٥٠ في المئة على وجه التقريب ويستطرد هوبسون «ان الامبريالية العدوانية التي تكلف دافعي الضرائب ثمناً فادحاً والتي تتسم باهمية ضئيلة بالنسبة للصناعى والتاجر هي مصدر أرباح فاحشة للرأسمالي الذي يبحث عن مكان لتوظيف رأسماله» (وقد أعرب عن هذه الفكرة بالانجليزية بكلمة واحدة «انفيسطور» - «موظف» ، صاحب دخل) «ومجموع الدخل السنوي الذي تقبضه بريطانيا العظمى من كامل تجارتهها مع الخارج والمستعمرات - صادرات وواردات - قد بلغ في سنة ١٨٩٩ ، حسب تقدير الاحصائي جيفان ، ١٨ مليون جنيه سترليني (قرابة ١٧٠ مليون روبل) على اعتبار ٢,٥ بالمئة من تداول مجموعته ٨٠٠ مليون جنيه سترليني» وهذا المبلغ على ضخامته لا يستطيع تفسير الامبريالية البريطانية العدوانية ان ما يفسره هو مبلغ يتراوح بين ٩٠ و ١٠٠ مليون جنيه سترليني هو عائد الرأسمال «الموظف» ، هو ايرادات فئة اصحاب المداخل ان عائدات اصحاب المداخل هي خمسة اضعاف عائد التجارة الخارجية في اكبر بلد «تجاري» في العالم هذا هو كنه الامبريالية والطفيلية الامبريالية

ومفهوم «الدولة صاحبة الدخل» (Rentnerstaat) او الدولة المرابية يغدو لهذا السبب شائعاً في الادب الاقتصادي عن الامبريالية . لقد انقسم العالم الى حفنة من الدول المرابية والى اكثرية هائلة من الدول المدنية . وقد كتب شولتز-غيفير نيتز : «بين الرأسمال الموظف

في الخارج تأتي في المقام الاول المبالغ الموظفة في البلدان التابعة سياسياً او الحليفة فانجلترا تمنح القروض لمصر واليابان والصين واميركا الجنوبية وعند الاقتضاء يلعب اسطولها الحربي دور الشرطي القضائي وقوة انجلترا السياسية تقيها من سخط المدنيين* ويشير سارتوريوس فون فالترسهاوزن في مؤلفه «الاقتصاد الوطني وطريقته لتوظيف الرأسمال في الخارج» الى هولنده باعتبارها نموذجاً «للدولة صاحبة الدخل» ويقول ان انجلترا وفرنسا تغدوان دولتين من هذا الطراز** ويقول شيلدر ان خمس دول صناعية هي «بلدان دائنة واضحة المعالم» انجلترا فرنسا المانيا بلجيكا ، سويسرا وهو لا يذكر هولنده بينها الا لانها «ضعيفة التطور الصناعي»*** والولايات المتحدة دولة دائنة حيال اميركا فقط

وقد كتب شولتز-غيفيرنيتز: «تتحول انجلترا شيئاً فشيئاً من دولة صناعية الى دولة دائنة ، ومع أن الانتاج الصناعي والتصدير الصناعي يزدادان من الناحية المطلقة يرتفع بالنسبة للاقتصاد الوطني كله ، الوزن النسبي للمداخيل التي تتألف من الفوائد وعائدات الاسهم والاصدار والوساطة والمضاربة وفي رأي ان هذا الواقع بالذات هو الاساس الاقتصادي للنهوض الامبريالي فصله الدائن بالمدين اوثق من صلة البائع بالمشتري»****. وفيما يخص المانيا كتب صاحب مجلة «البنك» البرلينية لانسبورغ في سنة ١٩١١ في مقال عنوانه «المانيا دولة صاحبة دخل» ما يلي «في المانيا لا يحجمون عن السخرية من رغبة الفرنسيين في التحول الى

* Schulze — Gaevernitz. «Br. Imp.» ، ص ٢٢٠ وغيرها

** Sart. von Walterhausen. «D. Volkswirt. Syst. etc.» B., 1907, Buch IV.

*** Schilder ، ص ٣٩٣

**** Schulze — Gaevernitz. «Br. Imp.»، 122.

اصحاب دخل هذا وهم ينسون انه فيما يخص البرجوازية تغدو الحالة في المانيا شيئاً فشيئاً ائببه بالحالة في فرنسا» *

ان الدولة صاحبة الدخل هي دولة الرأسمالية الطفيلية المتقيحة ، وهذا الامر يجد انعكاسه ، لا محالة ، في مثل هذه البلدان على جميع الظروف الاجتماعية والسياسية بوجه عام وعلى الاتجاهين الاساسيين في حركة العمال بوجه خاص ولكيما نبين ذلك بأجلى شكل ممكن نترك الكلام لهوبسون باعتباره أفضل شاهد «عدل» اذ يستحيل اتهامه بالتحيز «للايمان الماركسي الحق» ولانه من الجهة الاخرى انجليزي اي انسان مطلع على دقائق الامور في اغنى البلاد بالمستعمرات والراسمال المالي والخبرة الامبريالية لقد وصف هوبسون تحت تأثير انطباعاته الحية من الحرب الانجليزية البويرية صلة الامبريالية بمصالح «المالين» وتزايد ارباحهم من تقديم العتاد الحربي وغير ذلك وكتب يقول «ان موجهي هذه السياسة ذات الطابع الطفيلي البين هم الرأسماليون ولكن البواعث نفسها تفعل فعلها في فئات معينة من العمال فأهم الفروع الصناعية في العديد من المدن تتوقف على العقود الحكومية فالامبريالية في مراكز صناعة التعدين وبناء السفن تتوقف لدرجة كبيرة على هذا الواقع» وثمة ظرفان كانا يضعفان ، برأي الكاتب ، قوة الامبراطوريات القديمة (١) «الطفيلية الاقتصادية» (٢) تشكيل الجيوش من الشعوب التابعة «الاول هو عادة الطفيلية الاقتصادية وبحكمها تستفيد الدولة المسيطرة من مقاطعاتها ومستعمراتها والبلدان التابعة لائراء طبقتها الحاكمة والرشوة طبقاتها السفلى لتبقى هادئة» ونضيف من جهتنا ان هذه الرشوة بأي شكل تحققت لا بد لها لتغدو امراً ممكناً من الوجهة الاقتصادية ، من ارباح فاحشة ، احتكارية

وفيما يخص الطرف الثاني كتب هوبسون «ومن اغرب امارات عمى الامبريالية ذلك الاستهتار الذي تنخرط به بريطانيا العظمى وفرنسا والامم الامبريالية الاخرى في هذا الطريق وقد تخطت بريطانيا العظمى الجميع فمعظم المعارك التي استولينا بها على امبراطوريتنا الهندية قد خاضتها جيوشنا المشكلة من الجنود المحليين ففي الهند وفي مصر كذلك حديثاً توجد جيوش نظامية كبيرة تحت قيادة البريطانيين ومعظم الحروب التي خضناها لغزو افريقيا عدا افريقيا الجنوبية قد خاضها من اجلنا الجنود المحليون»

ويقدر هوبسون من الناحية الاقتصادية على النحو التالي احتمال اقتسام الصين «ان قسماً كبيراً من اوربا الغربية قد يكتسب آنئذ المظهر والطابع اللذين ترتديهما الآن اقسام من هذه البلدان جنوب انجلترا، الريفيرا، المناطق الايطالية والسويسرية التي يكثر فيها السياح ويقطنها الاثرياء ونعني حفنة ضئيلة من الاريستوقراطيين الاثرياء الذين يتلقون العائدات والمرتبات من الشرق البعيد ومعهم جماعة اكبر لحد ما من المستخدمين المحترفين والتجار وعدد اكبر من خدم البيوت وعمال وسائط النقل والصناعة المشغولة باتمام المصنوعات شبه الجاهزة اما الفروع الصناعية الرئيسية فتتلاشى آنئذ وتتدفق كميات كبرى من المواد الغذائية والمصنوعات شبه الجاهزة كجزية من آسيا وافريقيا» «هذه هي الآفاق التي يفتحها لنا اتحاد اوسع بين الدول الغربية اتحاد اوروبي بين الدول الكبرى وهذا الاتحاد فضلاً عن انه لا يدفع الى الامام قضية الحضارة العالمية يمكنه ان يكون خطر الطفيلية الغربية لدرجة هائلة ان يبرز مجموعة من الامم الصناعية الراقية تتقاضى طبقاتها العليا جزية ضخمة من آسيا وافريقيا تمكنها من اعالة جماعات كبيرة مروضة من الخدم والمستخدمين غير

المشغلين في انتاج الكميات الكبرى من المواد الزراعية والصناعية ، بل في الخدمة الشخصية او تقوم تحت اشراف الاريسستوقراطية المالية الجديدة باعمال صناعية ثانوية وعلى هؤلاء المستعدين لاهمال هذه النظرية» (وينبغي ان يقال هذا المستقبل) «على اعتبارها غير جديرة بالاكتراث ان يمعنوا الفكر في الظروف الاقتصادية والاجتماعية في مناطق انجلترا الجنوبية الراهنة التي وصلت الى هذا الحال فليفكروا في السعة الكبرى التي يمكن ان يبلغها هذا النظام في حالة ما اذا اخضعت الصين اقتصاديا لاشرف مثل هذه الفرق المالية «موظفة الرساميل» ولمستخدميها السياسيين والصناعيين والتجارين الذين يبتزون الارباح من اكبر مستودع للثروات الكامنة عرفه العالم حتى اليوم بقصد استهلاك هذه الارباح في أوروبا وغني عن القول ان الحالة في منتهى التقيد ولعبة القوى العالمية تصعب جداً الاحاطة بها ليغدو من المحتمل هذا التفسير للمستقبل او ذاك في اتجاه واحد ولكن التأثيرات التي توجه الامبريالية في اوروبا الغربية في الساعة الراهنة تسير في هذا الاتجاه واذا لم تصادف مقاومة اذا لم توجه وجهة اخرى فهي تعمل في اتجاه مثل هذه الخاتمة لهذا السير» *

ان الكاتب على حق كامل فاذا لم تصادف قوى الامبريالية مقاومة فهي تصل حتماً الى هذه النتيجة فمغزى «الولايات المتحدة الاوروبية» في الظرف الامبريالي الراهن قد قدر هنا على الوجه الصحيح وكل ما كان ينبغي أن يضاف هو انه في داخل حركة العمال كذلك «يعمل» بمثابة في الاتجاه ذاته بالضبط الانتهازيون الذين حصلوا الآن على الغلبة مؤقتاً في معظم البلدان فالامبريالية التي تعني اقتسام العالم واستثمار البلدان الاخرى لا الصين وحدها

والتي تعني الارباح الاحتكارية الفاحشة لحفنة من اغنى البلدان تخلق اقتصادياً امكانية رشوة الفئات العليا من البروليتاريا وبذلك تغذي الانتهازية وتكونها وتوطدها الا أن ما لا ينبغي ان ننسأه هو تلك القوى المقاومة للامبريالية بوجه عام وللانتهازية بوجه خاص القوى التي لا يراها بطبيعة الحال الاشتراكي-الليبيرالي هوبسون

ان الانتهازي الالماني غيرهارد هيلديبرانډ الذي طرد في حينه من الحزب لدفاعه عن الامبريالية والذي من الممكن اليوم ان يصبح زعيماً لما يسمى الحزب «الاشتراكي-الديموقراطي» الالماني يتم هوبسون بتوفيق اذ يدعو لتشكيل «ولايات متحدة من اوروبا الغربية» (بدون روسيا) بقصد العمل «المشترك» ضد الزوج الافريقيين ضد «الحركة الاسلامية الكبرى» وللانفاق على «جيش واسطول قوين»، ضد «الائتلاف الياباني الصيني» * الخ

ان وصف شولتز-غيفرينيتز «للامبريالية البريطانية» يبين لنا نفس امارات الطفيلية فدخل انجلترا الوطني قد تضاعف تقريباً من سنة ١٨٦٥ الى ١٨٩٨ ، في حين ازداد الدخل «من الخارج» خلال المدة نفسها الى تسعة اضعاف واذا كان فضل الامبريالية هو «تربية الزنجي على العمل» (ولا غنى عن القسر طبعاً) فان «خطر» الامبريالية يتلخص في أن «اوروبا تلقي على كاهل البشرية الملونة العمل الجسدي- في البدء في الزراعة وصناعة الاستخراج ثم العمل الاكثر خشونة في الصناعة - مكتفية هي بدور صاحب الدخل وربما مهينة بذلك اقتصادياً ثم سياسياً تحرير العروق الحمراء والسوداء» .

Gerhard Hildebrand. «Die Erschütterung der Industriegherrschaft *

haft und des Industriesozialismus», 1910 وما يليها (غيرهارد

هيلديبرانډ . «تزعزع سيطرة الصناعة والاشتراكية الصناعية» . (الناشر)

في انجلترا ينتزع من ميدان الانتاج الزراعي قسم متعظم من الاراضي ويستخدم لرياضة الاثرياء وتسليتهم ويقال فيما يخص سكوتلنده - المنطقة الاكثر اريستوقراطية للقنص وانواع الرياضات الاخرى - «انها تعيش على ماضيها وعلى المستر كارنيجي» (صاحب المليارات الاميركي) وتنفق انجلترا سنوياً ١٤ مليون جنيهه سترليني (نحو ١٣٠ مليون روبل) على سباق الخيل وصيد الثعالب وحدهما ويبلغ عدد اصحاب الدخل في انجلترا نحو مليون ونسبة المنتجين فيها تنخفض

نسبتهم من السكان	عدد العمال في الفروع الصناعية الرئيسية	سكان انجلترا	سنة
	(بالملايين)		
٢٣ بالمئة	٤,١	١٧,٩	١٨٥١
١٥ بالمئة	٤,٩	٣٢,٥	١٩٠١

ان البرجوازي باحث «الامبريالية البريطانية في اوائل القرن العشرين» يضطر على الدوام عندما يتكلم عن الطبقة العاملة الانجليزية الى التمييز بين «الفئة العليا» من العمال و«الفئة السفلى البروليتارية الصرف». ومن الفئة العليا يتكون جمهور اعضاء الجمعيات التعاونية والنقابات والجمعيات الرياضية والفرق الدينية العديدة وقد جعل حق الاقتراع حسب مستواها وهو ، في انجلترا ، «ما يزال مقيداً لدرجة تكفي لتبعده عن الفئة السفلى البروليتارية الصرف»!! ولاظهار حالة الطبقة العاملة الانجليزية بالمظهر الافضل لا يتكلمون في المعتاد الا عن هذه الفئة العليا التي تكون اقلية البروليتاريا ، مثلاً :

«مسألة البطالة هي في الدرجة الاولى مسألة تمس لندن والفئة البروليتارية السفلى التي لا يقيم لها الساسة وزناً كبيراً *» وكان ينبغي ان يقال التي لا يقيم لها الساسة البرجوازيون المبتدلون والانتهازيون «الاشتراكيون» وزناً كبيراً ومن خواص الامبريالية المرتبطة بجملة الظواهر التي نصفها انخفاض الهجرة من البلدان الامبريالية وازدياد الهجرة (انتقال العمال ونزوحهم) الى هذه البلدان من بلدان اكثر تأخرًا والاجور فيها اخط . فالهجرة من انجلترا، كما اشار هوبسون، تتناقص من سنة ١٨٨٤ فقد بلغت في هذه السنة ٢٤٢ الفاً و١٦٩ الفاً في سنة ١٩٠٠ والهجرة من المانيا قد بلغت حدها الاقصى في عقد سنوات ١٨٨١ - ١٨٩٠ ١٨٩٠ ١٤٥٣٠٠٠ وهبطت في العقدين التاليين الى ٥٤٤ الفاً والى ٣٤١ الفاً وبالمقابل ازداد عدد العمال النازحين الى المانيا من النمساوايطاليا وروسيا وغيرها فبموجب احصاء سنة ١٩٠٧ كان في المانيا ١٣٤٢٢٩٤ اجنيباً منهم ٤٤٠٨٠٠ من العمال الصناعيين و٢٥٧٣٢٩ من العمال الزراعيين * * * وعمال صناعة الاستخراج في فرنسا هم «في قسم كبير منهم» اجانب بولونيون ايطاليون اسبانيون * * * وفي الولايات المتحدة يشتغل المهاجرون من اوربا الشرقية والجنوبية في الاعمال التي تدفع مقابلها اخط الاجور بينما يؤلف العمال الاميركان اعلى نسبة من المناظرين ومن العمال الذين يقومون بالاعمال التي تدفع مقابلها اعلى الاجور * * * تنزع

Schulze — Gaevernitz. «Br. Imp.», 301.

Statistik des Deutschen Reichs, Bd. 211 * * (احصاءات الدولة

الالمانية، مجلد ٢١١ الناشر)

Henger. «Die Kapitalsanlage der Franzosen». St., 1913 * * * (هينغر .

توظيف الرساميل الفرنسية» شتوتغارت، سنة ١٩١٣ الناشر)

Hourwich. «Immigration and Labour». N. Y., 1913 * * * (هورفيتش .

الهجرة والعمل» . نيويورك، سنة ١٩١٣ . الناشر) .

الامبريالية الى ان تبرز بين العمال ايضاً فئات مميزة والى فصلها عن الجماهير البروليتارية الغفيرة

وينبغي ان نشير الى ان نزوع الامبريالية الى شق صفوف العمال والى تقوية الانتهازية بينهم والى افساد حركة العمال مؤقتاً قد ظهر في انجلترا قبل اواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين بزمان طويل . ذلك لان سمتين اساسيتين من السمات المميزة للامبريالية قد بدتا في انجلترا منذ منتصف القرن التاسع عشر المستعمرات الشاسعة والوضع الاحتكاري في السوق العالمية وقد تتبع ماركس وانجلس بصورة دائمة خلال عدة عقود من السنين هذه الصلة التي تربط الانتهازية في حركة العمال بالخصائص الامبريالية في الرأسمالية الانجليزية وقد كتب انجلس الى ماركس في ٧ تشرين الاول (اكتوبر) سنة ١٨٥٨ «في الواقع تتبرجز البروليتاريا الانجليزية اكثر فاكثر ، ويبدو ان هذه الامة الاكثر برجوازية بين الامم تريد ان تكون لديها في نهاية الامر الى جانب البرجوازية اريستوقراطية برجوازية وبروليتاريا برجوازية وبديهي ان هذا بمعنى معين ، امر منطقي من امة تستثمر العالم كله» وبعد نحو ربع قرن ، في رسالة مؤرخة في ١١ من آب (اغسطس) سنة ١٨٨١ يتكلم انجلس عن «شر التريديونيونات الانجليزية التي تستسلم لقيادة اناس اشترتهم البرجوازية او انها تدفع لهم على الاقل» وقد كتب انجلس في رسالة الى كاوتسكي مؤرخة في ١٢ من ايلول (سبتمبر) سنة ١٨٨٢ «تسألني عن رأي العمال الانجليز في سياسة حيازة المستعمرات ؟ لا يختلف عن رأيهم في السياسة بوجه عام هنا لا وجود لحزب عمال كل ما يوجد هنا هما حزب المحافظين وحزب الراديكاليين-الليبيراليين اما العمال فيتمتعون معهم مضمنين بوضع انجلترا الاحتكاري ازاء المستعمرات وبوضعها الاحتكاري في السوق

العالمية» * (وقد لخص انجلس الفكرة نفسها في مقدمة الطبعة الثانية من كتاب «حالة الطبقة العاملة في إنجلترا» سنة ١٨٩٢) وقد اشير هنا بوضوح الى الاسباب والنتائج الاسباب (١) استثمار هذه البلاد للعالم كله (٢) وضعها الاحتكاري في السوق العالمية؛ (٣) وضعها الاحتكاري ازاء المستعمرات . النتائج : (١) تبرز قسم من البروليتاريا الانجليزية؛ (٢) ويستسلم قسم منها لقيادة اناس اشترتهم البرجوازية او انها تدفع لهم على الاقل لقد انجزت الامبريالية في اوائل القرن العشرين تقاسم العالم بين حفنة من الدول يستثمر كل منها الآن (بمعنى ابتزاز فاحش الارباح) قسماً من «العالم كله» لا يكاد يقل عن القسم الذي كانت تستثمره إنجلترا في سنة ١٨٥٨ ويشغل كل منها وضعاً احتكاريّاً في السوق العالمية بفضل التروستات والكارتيلات والرأسمال المالي والعلاقات بين الدائن والمدين ، ويتمتع كل منها لحد ما بوضع احتكاري ازاء المستعمرات (لقد رأينا فيما تقدم ان ٦٥ مليون كيلومتر مربع من ٧٥ مليوناً تؤلف مساحة جميع المستعمرات في العالم ، أي ٨٦ بالمئة ، مركزة في أيدي ست دول وان ٦٦ مليوناً ، اي ٨١ بالمئة مركزة في ايدي ثلاث دول) . والصفة المميزة للوضع الراهن هي وجود ظروف اقتصادية وسياسية لا بد وان تزيد من منافاة الانتهازية للمصالح العامة والجزرية للحركة العمالية فقد نمت الامبريالية من جنين الى نظام سائد ، وشغلت الاحتكارات الرأسمالية المكان الاول في الاقتصاد

Briefwechsel von Marx und Engels. Bd. II, S. 290; IV, 433. *

(رسائل ماركس وانجلس ، مجلد ٢ ، ص ٢٩٠ الناشر)
K. Kautsky, «Sozialismus — und Kolonialpolitik». Brl., 1907
كاوتسكي «الاشتراكية والسياسة ازاء المستعمرات» برلين ، سنة ١٩٠٧ (الناشر) وقد وضع كاوتسكي هذا الكراس في ذلك العهد البعيد ، قبل ان يترد عن الماركسية .

الوطني والسياسة ، وتم حتى النهاية اقتسام العالم ومن الجهة الاخرى نرى ، بدلاً من اشغال انجلترا دون منازع لوضع احتكاري صراعاً بين عدد ضئيل من الدول الامبريالية من اجل الاشتراك في الاحتكار صراعاً يميز كامل مرحلة بداية القرن العشرين لا يمكن الآن ان تكون للانتهازية الغلبة التامة خلال عقود عديدة من السنين ضمن حركة العمال في بلد من البلدان ، كما تغلبت الانتهازية في انجلترا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، ولكنها في عدد من البلدان قد نضجت بصورة تامة وافرطت في النضوج وتعفنت اذ اندمجت بصورة كاملة بوصفها الاشتراكية-الشفوفينية * في السياسة البرجوازية

٩ - انتقاد الامبريالية

نفهم انتقاد الامبريالية بمعنى الكلمة الواسع بمعنى الموقف الذي تقفه من سياسة الامبريالية مختلف طبقات المجتمع تبعاً لايدولوجيتها العامة

ان المقادير الهائلة من الرأسمال المالي المتمركز في عدد ضئيل من الايدي والذي ينشئ شبكة في منتهى الكثافة والسعة من العلاقات والصلات هذه الشبكة التي تخضع له جمهوراً من الراسماليين واصحاب الاعمال المتوسطين والصغار بل وحتى الصغار جداً ، هذا من جهة ومن الجهة الاخرى النضال العنيف ضد فرق المالين من الامم والدول الاخرى من اجل اقتسام العالم ومن اجل

* الاشتراكية - الشوفينية الروسية - للسادة بوتريسوف وتشخينكليي وماسلوف ومن لف لفهم ، سواء بشكلها المكشوف او بشكلها المستور (السادة تشخيدزه سكوبيليف ، آكسيلرود ، مارتوف ومن على شاكلتهم) -نشأت كذلك عن نوع روسي من الانتهازية ، نعني تيار التصفية .

السيطرة على البلدان الأخرى - كل ذلك يسبب انتقال جميع الطبقات المالكة أفواجا إلى جانب الامبريالية . الكلف « العام » بمستقبل الامبريالية والدفاع عنها بجنون وطلبيها بما يمكن من المساحيق هي الصفة المميزة للزمن وتتغلغل الايديولوجية الامبريالية كذلك في طبقة العمال اذ ليس هناك سور صيني يفصلها عن الطبقات الأخرى فاذا كان زعماء الحزب الحالي المسمى « الاشتراكي-الديموقراطي » الالمانسي قد نالوا بحق لقب « الاشتراكيين-الامبرياليين » اي الاشتراكيين قولاً والامبرياليين فعلاً فقد اشار هوبسون منذ سنة ١٩٠٢ الى وجود « الامبرياليين الفابييين » في انجلترا المنتسبين الى « الجمعية الفابية » الانتهازية

وفي المعتاد يدافع العلماء والصحفيون البرجوازيون عن الامبريالية بشكل مستور لحد ما ، طامسين سيطرتها التامة وجذورها العميقة وباذلين الجهد ليبرزوا في المكان الاول التفاصيل الجزئية والثانوية وساعين وراء تحويل الانظار عن الامر الجوهرى بتوافه من مشروعات « اصلاحات » من نوع وضع التروستات او البنوك تحت رقابة البوليس وما شاكل ذلك أما الامبرياليون المكشوفون الوقحون الذين يجدون في انفسهم الجرأة على الاعتراف بسخافة الفكرة القائلة بادخال اصلاحات على خواص الامبريالية الاساسية فهم يدلون بأرائهم في حالات اندر

نضرب مثلاً في نشرة « سجلات الاقتصاد العالمي » يسعى الامبرياليون الالمان الى تتبع سير الحركات التحررية الوطنية في المستعمرات ، غير الالمانية بوجه خاص ، بطبيعة الحال . فهم يشيرون الى حالات السخط والاحتجاج في الهند والحركة في الناتال (جنوب افريقيا) وفي الهند الهولندية الخ وقد تناول احدهم في مقاله نشرة انجليزية تضمنت محضر مؤتمر الامم والعروق التابعة الذي عقده من ٢٨ الى ٣٠ من حزيران (يونيو) سنة ١٩١٠ ممثلو مختلف

شعوب آسيا وافريقيا واوروبا الواقعة تحت السيطرة الاجنبية وكتب معلقاً على الخطابات التي القيت في هذا المؤتمر «يقال لنا انه ينبغي النضال ضد الامبريالية ؛ انه ينبغي على الدول المسيطرة ان تعترف بحق الشعوب التابعة في الاستقلال انه ينبغي ان تشرف محكمة دولية على تنفيذ المعاهدات المعقودة بين الدول الكبرى والشعوب الضعيفة . والمؤتمر لا يخطو ابعده من هذه التمنيات البريئة ونحن لا نلاحظ اي اثر ينم على فهم حقيقة أن الامبريالية على صلة لا تنفصم بالرأسمالية في شكلها الراهن وان النضال المباشر ضد الامبريالية هو بسبب ذلك (! !) ، أمر لا رجاء فيه ، فلا يبقى لنا غير الاكتفاء بان نهب في وجه بعض الظواهر المقيتة بخاصة» * ولما كان تقويم اسس الامبريالية بالطريقة الاصلاحية عبارة عن خداع ، عن «امنية بريئة» ، ولما كان ممثلو الامم المظلومة البرجوازيون لا يخطون «ابعد من ذلك» الى الامام ، فان ممثل الامة الظالمة البرجوازي يخطو «ابعد من ذلك» الى الوراء ، نحو تملق الامبريالية تملقاً مستوراً بأردية «علمية» انه من «المنطق» كذلك ، والحق يقال !

ان المسائل الاساسية في انتقاد الامبريالية هي مسائل ما اذا كان في الامكان تغيير أسس الامبريالية بالطرق الاصلاحية ، ما اذا كان ينبغي السير الى الامام في اتجاه زيادة حدة التناقضات التي تنشأ عنها وتعميقها ، ام الى الوراء ، في اتجاه ثلم حداثها ولما كانت خواص الامبريالية السياسية هي الرجعية على طول الخط واشتداد الاضطهاد القومي بسبب ظلم الطغمة المالية وازاحة المزاحمة الحرة فان الامبريالية اخذت تواجهها المعارضة الديموقراطية البرجوازية الصغيرة

* Weltwirtschaftliches Archiv, Bd. II ، ص ١٩٣ (سجلات

في جميع البلدان الامبريالية على وجه التقريب منذ بداية القرن العشرين اما تخلي كاوتسكي وتيار الكاوتسكية العالمي الواسع عن الماركسية فيتلخص بالضبط في كون كاوتسكي لم يحاول ولم يستطع الصمود امام هذه المعارضة الاصلاحية البرجوازية الصغيرة ، الرجعية من حيث أساسها الاقتصادي وليس هذا وحسب بل بالعكس ، اندمج فيها عملياً

في الولايات المتحدة اثارت الحرب الامبريالية ضد اسبانيا في سنة ١٨٩٨ معارضة «مناهضي الامبريالية» من بقايا العترة الديمقراطية البرجوازية الذين نعتوا هذه الحرب «الاجرامية» واعتبروا الحاق اراضى الغير مخالفة للدستور واستنكروا «خداع الشوفيين» لزعيم سكان الفيليبين اغوينالدو (اذ وعدوه بحرية بلاده ثم انزلوا الجيوش الاميركية والحقوا الفيليبين) واستشهدوا بعبارة لينكولن «عندما يحكم ابيض نفسه فهناك حكم ذاتي وعندما يحكم نفسه ويحكم الآخرين في الوقت نفسه فليس ذلك بالحكم الذاتي انه الاستبداد» * ولكن هذا الانتقاد برمته يظل «امنية بريئة» ما دام يخشى الاعتراف بصلة الامبريالية الوثقى بالتروستات وعلى ذلك باسس الرأسمالية ، ما دام يخشى الاتحاد مع القوى التي تنشأ عن الرأسمالية الضخمة وتطورها

ولا يختلف كذلك الموقف الاساسي الذي يقفه هوبسون في انتقاده للامبريالية ان هوبسون قد سبق كاوتسكي اذ وقف ضد «حتمية الامبريالية» وقال بضرورة «رفع القدرة الاستهلاكية» لدى السكان (في ظل الرأسمالية !) كذلك يأخذ بوجهة النظر البرجوازية الصغيرة في انتقاد الامبريالية وجبروت البنوك والطغمة المالية وهلم

* J. Patoillet «L'impérialisme américain». Dijon, 1904 ، ص ٦

٢٧٢ (ج . باتوييه . « الامبريالية الاميركية » . ديجون . الناشر).

جرأ الكتاب الذين استشهدنا باقوالهم مراراً وتكراراً آغاد لانسبورغ ، ايشفيغه ، ومن الكتاب الفرنسيين فكتور بيرار ، واضع الكتاب السطحي المعنون «انجلترا والامبريالية» والصادر في سنة ١٩٠٠ وهؤلاء جميعاً ، دون ان يدعوا الماركسية قط يعارضون الامبريالية بالمزاحمة الحرة والديموقراطية ويستنكرون مشروع سكة حديد بغداد الذي يؤدي الى النزاعات والحرب ويعلنون «امنيات بريئة» بشأن السلام وما شاكل ذلك - وفيهم كذلك احصائي الاصدارات الدولية أ نيمارك الذي حسب مئات المليارات من الفرنكات التي تؤلف القيم «الدولية» وصاح في سنة ١٩١٢ هاتفاً أيسعنا ان نتصور بأن في الامكان تعكير السلام ؟ بأن في الامكان حيال هذه الارقام الهائلة المجازفة باثارة الحرب ؟» *

ان هذه السذاجة من جانب الاقتصاديين البرجوازيين لا تدهش ؛ ومن مصلحتهم عدا ذلك التظاهر بالسذاجة لهذا الحد والكلام «بلهجة الجد» عن السلام في ظل الامبريالية ولكن ماذا تبقى من الماركسية عند كاوتسكي عندما اخذ في سنوات ١٩١٤ ١٩١٥ ١٩١٦ بوجهة نظر الاصلاحيين البرجوازيين نفسها وأكد ان «الجميع متفقون» (الامبرياليون وادعياء الاشتراكية والاشتراكيون المسالمون) بشأن السلام ؟ فبدلاً من تحليل الامبريالية والكشف عن عمق تناقضاتها لا نرى الا «الامنية البريئة» الاصلاحية في التغاضي عن هذه التناقضات واغراقها في لجة الكلام

وهاكم نموذجاً من نقد كاوتسكي للامبريالية من الناحية الاقتصادية انه يتناول احصاءات عن صادرات انجلترا الى مصر ومستورداتها منها في سنتي ١٨٧٢ و ١٩١٢ ويبدو ان نمو هذه الصادرات والواردات هو اضعف من نمو صادرات وواردات

Bulletin de l'institut international de statistique, T. XIX, *

livr. II. p. 225 (نشرة معهد الاحصاء العالمي، مجلد ١٩ ، جزء ٢ ، ص ٢٢٥ .

انجلترا بوجه عام ويخلص كاوتسكي الى هذه النتيجة «ليس لدينا من داع يحملنا على الظن ان التجارة مع مصر بدون احتلالها عسكرياً تنمو بصورة ابطاً تحت تأثير العوامل الاقتصادية وحدها»
«ان رغبات الرأسمال في التوسع» يمكن بلوغها بافضل شكل عن طريق الديمقراطية السلمية لا عن طرق القسر الامبريالية» *
ان تعليقات كاوتسكي هذه التي يرددها بشتى النغمات حامل اسلحته الروسي (والمستتر الروسي للاشتراكيين-الشفوفينيين) للسيد سبيكتاتور هي الاساس الذي يقوم عليه النقد الكاوتسكي للامبريالية ولذا ينبغي أن نتناولها بتفصيل ولنبدأ بفقرة من هيلفردينغ الذي اعلن كاوتسكي مراراً وتكراراً بما في ذلك في نيسان (ابريل) سنة ١٩١٥ ان استنتاجاته «قبلت بالاجماع من جانب جميع النظرين الاشتراكيين»

كتب هيلفردينغ «لا يليق بالبروليتاريا ان تعارض السياسة الرأسمالية الاكثر تقدمية بسياسة انصرم عهدها هي سياسة عهد التجارة الحرة وموقف العداء من الدولة ان جواب البروليتاريا على السياسة الاقتصادية التي يمارسها الرأسمال المالي على الامبريالية ، لا يمكن أن يكون التجارة الحرة ، بل الاشتراكية وحدها. والمثال الاعلى الذي يمكنه الآن ان يكون هدفاً للسياسة البروليتارية ليس بعث المزاحمة الحرة - وقد غدا الآن مثلاً اعلى رجعيّاً - بل فقط القضاء التام على المزاحمة عن طريق ازالة الرأسمالية» *
لقد تخلى كاوتسكي عن الماركسية بدفاعه في عصر الرأسمال المالي عن «مثل اعلى رجعي» عن «الديموقراطية السلمية» وعن

* Kautsky. «Nationalstaat, imperialistischer Staat und Staaten-»

1915. Nürnberg. bund. ، صص ٧٢ و ٧٠ (كاوتسكي «الدولة الوطنية ، والدولة الامبريالية وحلف الدول» نورنبرغ الناشر) .

** «الرأسمال المالي» ، ص ٥٦٧ .

«تأثير العوامل الاقتصادية وحدها» ، - لان هذا المثل الاعلى يجبر موضوعياً الى الوراثة ، من الرأسمالية الاحتكارية الى الرأسمالية غير الاحتكارية ولانه خدعة اصلاحية

ان التجارة مع مصر (او مع اية مستعمرة او شبه مستعمرة اخرى) «يمكنها أن تنمو» بصورة اسرع بدون احتلال عسكري بدون امبريالية ، بدون رأسمال مالي ما معنى ذلك ؟ أي معنى ذلك ان الرأسمالية كانت تنمو بسرعة أكبر اذا لم تقيد المزاحمة الحرة لا بالاحتكارات بوجه عام ولا ب«صلات» او ظلم الرأسمال المالي (اي الاحتكارات مرة أخرى) ولا باحتكار بعض البلدان لحيازة المستعمرات ؟

لا يمكن ان يكون لتعليلات كاوتسكي معنى آخر وهذا «المعنى» هو لغو فلنقل نعم ، فلنقل ان المزاحمة الحرة بدون اي احتكار مهما كان نوعه يمكنها ان تنمي الرأسمالية والتجارة بصورة اسرع ولكن كلما سار نمو التجارة والرأسمالية بصورة أسرع كلما اشدت تمركز الانتاج والرأسمال التمركز الذي يولد الاحتكار . ولكن الاحتكارات قد ولدت ، ومن المزاحمة الحرة بالضبط ! وحتى اذا كانت الاحتكارات قد اخذت الآن تؤخر النمو فذلك ليس على كل حال بحجة في صالح المزاحمة الحرة التي غدت امراً مستحيلاً بعد أن انجبت الاحتكارات

وكيفما قلب المرء تعليلات كاوتسكي لا يجد فيها شيئاً اخر سوى الرجعية والاصلاحية البرجوازية

وإذا اصلحنا هذا التعليل وقلنا ما يقوله سبيكتاتور ان نمو تجارة المستعمرات الانجليزية مع انجلترا ابطأ منه الآن مع البلدان الاخرى فذلك ايضاً لا ينقذ كاوتسكي لأن ما يتغلب على انجلترا هو ايضاً الاحتكار هو ايضاً الامبريالية ولكن احتكار وامبريالية بلد آخر (اميركا ، المانيا) . ومن المعروف ان الكارتيلات

قد افضت الى رسوم جمركية وقائية من طراز آخر فريد في بابها تقي بالضبط (وقد أشار الى ذلك انجلس نفسه في المجلد الثالث من «رأس المال») تلك المنتجات التي يمكن تصديرها ومن المعروف أيضاً ان الطريقة الملازمة للكارتيلات والرأسمال المالي هي «التصدير بأسعار زهيدة» «اغراق الاسواق» كما يقول الانجليز يبيع الكارتيل منتوجاته في داخل البلاد بأسعار احتكارية مرتفعة ، ويصرفها في الخارج بسعر بخس بقصد سحق المزامين وبقصد توسيع انتاجه للحد الاقصى والنخ . فاذا كانت المانيا تنمي تجارتها مع المستعمرات الانجليزية اسرع من انجلترا فان ذلك لا يبرهن الا على أن الامبريالية الالمانية احدث عهداً وأشد قوة واحسن تنظيماً على انها ارقى من الانجليزية ولكنه لا يبرهن ابدأ على «تفوق» التجارة الحرة ، لاننا لسنا ازاء صراع بين المزامحة الحرة والحماية ، بين المزامحة الحرة والتبعية الاستعمارية بل ازاء صراع بين امبريالية واخرى احتكار وآخر ، رأسمال مالي وآخر ان تفوق الامبريالية الالمانية على الانجليزية أقوى من جدار حدود المستعمرات او من الرسوم الجمركية الوقائية ان يستنتج المرء من ذلك «حجة» لصالح التجارة الحرة و«الديموقراطية السلمية» فذلك ابتذال ونسيان لسمات وخصائص الامبريالية الاساسية والاستعاضة عن الماركسية بالاصلاحية البرجوازية الصغيرة ويسترعي الانتباه واقع أن الاقتصادي البرجوازي لانسبورغ نفسه الذي ينتقد الامبريالية من وجهة نظر برجوازي صغير ، على غرار كاوتسكي قد أخذ مع ذلك بدراسة ارقام الاحصاءات التجارية بصورة أقرب الى العلم فهو لم يقتصر على بلد ما اختاره اعتباراً وعلى مستعمرة بوجه الدقة للمقارنة مع البلدان الاخرى ولكنه قارن صادرات بلاد امبريالية الى (١) بلدان تابعة لها مالياً تستدين منها النقود و (٢) البلدان المستقلة مالياً وكانت النتيجة ما يلي :

صادرات المانيا (بملايين الماركات)

الزيادة بالنسبة المئوية	سنة ١٩٠٨	سنة ١٨٨٩		
٤٧ +	٧٠,٨	٤٨,٢	رومانيا	الى البلدان التابعة مالياً لالمانيا
٧٣ +	٣٢,٨	١٩,٠	البرتغال	
١٤٣ +	١٤٧,٠	٦٠,٧	الارجنتين	
٧٣ +	٨٤,٥	٤٨,٧	البرازيل	
٨٥ +	٥٢,٤	٢٨,٣	شيلي	
١١٤ +	٦٤,٠	٢٩,٩	تركيا	
٩٢ +	٤٥١,٥	٢٣٤,٨	المجموع	
٥٣ +	٩٩٧,٤	٦٥١,٨	بريطانيا العظمى	الى البلدان المستقلة مالياً عن المانيا
١٠٨ +	٤٣٧,٩	٢١٠,٢	فرنسا	
١٣٥ +	٣٢٢,٨	١٣٧,٢	بلجيكا	
١٢٧ +	٤٠١,١	١٧٧,٤	سويسرا	
٢٠٥ +	٦٤,٥	٢١,٢	اوستراليا	
٣٦٣ +	٤٠,٧	٨,٨	الهند الهولندية	
٨٧ +	٢٢٦٤,٤	١٢٠٦,٦	المجموع	

لم يحص لانسبورغ الحاصل ولذا غاب عنه بشكل يدعو للاستغراب ان هذه الارقام اذا كانت تبرهن على شيء فانما ضده وحسب ، ذلك لان التصدير الى البلدان التابعة مالياً قد نما على كل حال بصورة اسرع منه الى البلدان المستقلة مالياً وان كانت هذه الزيادة طفيفة (وقد اشرنا الى كلمة «اذا» لأن احصاءات لانسبورغ ليست وافية ابدأ)

وقد كتب لانسبورغ متتبعاً صلة التصدير بالقروض وقال «في سنة ١٨٩٠ - ٩١ عقد القرض الروماني بوساطة البنوك الالمانية التي كانت قد قدمت في السنوات السابقة سلفاً على حساب

هذا القرض وقد استخدم القرض بالدرجة الاولى لشراء لوازم السكك الحديدية التي استوردت من ألمانيا وفي سنة ١٨٩١ بلغت صادرات ألمانيا الى رومانيا ٥٥ مليون مارك وفي السنة التي تلت هبطت هذه الصادرات الى ٣٩ ر ٤ مليوناً واستمرت في الهبوط بالتدريج الى ٢٥ ر ٤ مليوناً في سنة ١٩٠٠ ولم تبلغ الصادرات مستوى سنة ١٨٩١ الا في السنوات الاخيرة وبفضل قرضين جديدين وبنتيجة قروض سنة ١٨٨٨-٨٩ ارتفعت صادرات ألمانيا الى البرتغال حتى ٢١ ر ١ مليوناً (في سنة ١٨٩٠) ثم هبطت في السنتين التاليتين الى ١٦ ر ٢ مليوناً و٧ ر ٤ ملايين ولم تبلغ مستواها السابق الا في سنة ١٩٠٣

وارقام التجارة الألمانية-الارجنتينية اوضح دلالة فنتيجة قروض سنتي ١٨٨٨ و ١٨٩٠ بلغت صادرات ألمانيا الى الارجنتين في سنة ١٨٨٩ - ٦٠ ر ٧ مليوناً وبعد مضي سنتين لم تؤلف هذه الصادرات الا ٦ ر ١٨ مليوناً اي اقل من ثلث الرقم السابق ولم تبلغ مستوى سنة ١٨٨٩ وتتجاوزه الا في سنة ١٩٠١ الامر الذي اقترن بقروض جديدة للدولة وللبلديات وبسلف نقدية لبناء مصانع الكهرباء واعتمادات أخرى

وبنتيجة قرض سنة ١٨٨٩ ارتفعت الصادرات الى شيلي حتى ٢ ر ٤٥ مليوناً (في سنة ١٨٩٢) ثم هبطت بعد سنة الى ٢ ر ٢٢ مليوناً وبعد قرض جديد عقد بوساطة البنوك الألمانية في سنة ١٩٠٦ ارتفعت الصادرات الى ٧ ر ٨٤ مليوناً (في سنة ١٩٠٧) لتهبط بعد ذلك الى ٤ ر ٥٢ مليوناً في سنة ١٩٠٨* .

يخلص لانسبورغ من هذه الوقائع الى عظة اخلاقية برجوازية صغيرة مسلية: ما اقل ثبات واستقرار التصدير المقترن بالقروض؛ ما

* «Die Bank», 1909, 2, ص ٨١٩ وما يليها .

أسوأ تصدير الرساميل الى الخارج بدلاً من تنمية الصناعة الوطنية بصورة «طبيعية» «منسجمة» ما «أكثر ما تكلف» كروب هذه البقاشيش العديدة الملايين لمناسبة عقد القروض الاجنبية وهلم جراً بيد ان الوقائع تقول بوضوح ان ارتفاع الصادرات مرتبط بالضبط بالاعيب الرأسمال المالي الذي لا يعبأ عند عقد صفقاته بالاخلاق البرجوازية ويسلخ جلد الثور مرتين اولاً ، ربح القرض ؛ وثانياً ربح القرض نفسه عندما يستخدم لشراء منتجات كروب او لوازم السكك الحديدية من سينديكا الفولاذ ، الخ

نكرر نحن لا نعتقد البتة ان احصاءات لانسبورغ هي عين الكمال ولكننا كنا ملزمين بايرادها لانها اقرب الى العلم من احصاءات كاوتسكي وسبيكتاتور ذلك لان لانسبورغ يرسم الطريقة الصحيحة لتناول الموضوع فلكي يبحث المرء دور الرأسمال المالي في أمر التصدير وهلم جراً ينبغي عليه أن يحسن رؤية صلة التصدير بوجه خاص وفقط بالاعيب الماليين بوجه خاص وفقط بتصريف منتجات الكارتيلات الخ اما مجرد مقارنة المستعمرات بوجه عام بغير المستعمرات ، امبريالية بامبريالية أخرى ، شبه مستعمرة او مستعمرة (مصر) بجميع البلدان الاخرى فذلك يعني بالضبط تجنب جوهر القضية وطمسه

ما من جامع يجمع بالماركسية النقد النظري الذي يوجهه كاوتسكي للامبريالية وهذا النقد لا يصلح الا كتوطئة للتبشير بالسلام والوحدة مع الانتهازيين والاشتراكيين-الشوفيين ، لان هذا النقد يتحاشى ويطمس بالضبط تناقضات الامبريالية الجذرية والاكثر عمقاً التناقض بين الاحتكارات والمزاحمة الحرة القائمة الى جانبها ، بين «عمليات» الرأسمال المالي الهائلة (وارباحه الهائلة) والتجارة «الشريفة» في السوق الحرة بين الكارتيلات والتروستات من جانب والصناعة غير المنضمة للكارتيلات من الجانب الآخر ، الخ ..

وبمثل هذا الطابع الرجعي بالضبط تتسم كذلك نظرية «الامبريالية العليا» السيئة الصيت التي لفقها كاوتسكي قارنوا بين تعليقاته حول هذا الموضوع في ١٩١٥ وتعليقات هوبسون في سنة ١٩٠٢

كاوتسكي هل يمكن ان تزاح السياسة الامبريالية الراهنة بسياسة جديدة سياسة الامبريالية العليا الأولترا-امبريالية (ultra-imperialisme) التي تحول محل الصراع بين الرساميل المالية الوطنية استثمار العالم كله بصورة مشتركة من قبل رأسمال مالي عالمي موحد؟ أن مثل هذه المرحلة الجديدة في الرأسمالية أمر معقول على كل حال وهل يمكن تحقيقها؟ لا توجد بعد الممهدات الكافية لحل هذه المسألة*.

هوبسون «ان المسيحية التي استقرت في عدد قليل من الامبراطوريات الاتحادية الكبرى التي توجد في حوزة كل منها جملة من المستعمرات غير المتمدنة والبلدان التابعة هي في نظر الكثيرين تطور للنزعات الراهنة طبيعي ولا اكثر تطور يبعث اكبر الآمال في استقرار سلام دائم على اساس وطيء من الامبريالية الوسطية» (الانتر-امبريالية (inter-imperialisme)

لقد اطلق كاوتسكي اسم الامبريالية العليا او ما فوق الامبريالية على ما اسماء هوبسون قبله بثلاث عشرة سنة بالامبريالية الوسطية او ما بين الامبريالية وباستثناء ابتداء كلمة جديدة عويصة عن طريق استبدال حرف لاتيني بآخر يتلخص تقدم الفكرة «العلمية» عند كاوتسكي في مجرد محاولته ان يظهر بمظهر الماركسية ما وصفه هوبسون بانه، في الجوهر، من نفاق القساوسة الانجليز فبعد الحرب الانجليزية البويرية كان من الطبيعي تماماً

* «Neue Zeit» ، ٣٠ نيسان (ابريل) سنة ١٩١٥ ، ص ١٤٤

أن توجه هذه الفئة الفائقة الاحترام جل جهودها الى تعزية صغار البرجوازيين والعمال الانجليز الذين قتل عدد كبير منهم في المعارك التي دارت في جنوب افريقيا ودفعوا الضرائب الباهظة لضمان ارباح أكبر للمالين الانجليز وهل ثمة تعزية افضل من ان يقال ان الامبريالية ليست رديئة لهذا الحد وانها قريبة من أن تصبح امبريالية وسطية (او امبريالية عليا) يمكنها ان تضمن السلام الدائم ؟ ومهما كانت حسنة نوايا القساوسة الانجليز او نوايا كاوتسكي المعسول فان المغزى الموضوعي أي الاجتماعي الحقيقي «لنظريته» هو واحد لا غير منتهى الرجعية في تعزية الجماهير بآمال عن امكان سلام دائم في ظل الرأسمالية عن طريق تحويل الانظار عن تناقضات العصر الحادة وقضاياها الشائكة وتوجيه الانظار الى آمال خُلِّبَ عن اقتراب «امبريالية عليا» جديدة موهومة ان نظرية كاوتسكي «الماركسية» لا تتضمن شيئاً على الاطلاق اللهم الا خداع الجماهير وفي الحقيقة حسب المرء أن يقارن بوضوح بين الوقائع التي يعرفها الجميع والتي لا تقبل الجدل لكيما يقنع بمدى بطلان الآمال التي يحاول كاوتسكي أن يوهم بها العمال الالمان (وعمال جميع البلدان) فلنأخذ الهند والهند الصينية والصين من المعروف أن هذه البلدان الثلاثة المستعمرة وشبه المستعمرة التي يبلغ عدد سكانها ستمئة او سبعمئة مليون نسمة تتعرض للاستثمار من قبل الرأسمال المالي في عدد من الدول الامبريالية انجلترا فرنسا اليابان الولايات المتحدة والخ فلنفترض أن هذه البلدان الامبريالية تؤلف الاحلاف بعضها ضد بعض بقصد صيانة او توسيع ممتلكاتها ومصالحها و«مناطق نفوذها» في هذه الدول الآسيوية المذكورة وستكون هذه الاحلاف «امبريالية وسطية» او «امبريالية عليا» ولنفترض أن جميع الدول الامبريالية تؤلف حلفاً لاقتسام البلدان الآسيوية المذكورة بطريق «سلمي» . وسيكون ذلك

«الرأسمال العالمي الموحد» وثمة في تاريخ القرن العشرين أمثلة واقعية على مثل هذا الحلف مثلاً في علاقات الدول ازاء الصين (٢٥٧) نتساءل هل من «المعقول» أن يفترض في ظرف بقاء الرأسمالية (وهو بالضبط الظرف الذي يفترضه كاوتسكي) ان تكون هذه الاحلاف لأجال غير قصيرة ؟ وان تزيل الاحتكاكات والنزاعات والصراع بجميع الاشكال الممكنة ؟

وما ان يطرح السؤال بوضوح حتى يظهر ان الجواب لا يمكن أن يكون الاسلياً لأن من غير المعقول في ظل الرأسمالية ان يكون هناك أساس لتقاسم مناطق النفوذ والمصالح والمستعمرات والنخ غير مراعاة درجة قوة المشتركين في التقاسم قوتهم الاقتصادية العامة والمالية والعسكرية وهلم جراً بيد ان القوة تتغير بصورة متفاوتة لدى هؤلاء المشتركين في التقاسم لان تطور كل من المشاريع والتروستات وفروع الصناعة والبلدان يستحيل أن يكون متساوياً في ظل الرأسمالية منذ نصف قرن كانت ألمانيا بلداً تافها اذا قورنت قوتها الرأسمالية بقوة انجلترا في ذلك العهد وكذلك اليابان بالمقارنة مع روسيا فهل «من المعقول» أن نتصور أن نسبة القوى بين الدول الامبريالية ستبقى دون تغير بعد عقد أو آخر من السنين ؟ لا يمكن تصور ذلك على الاطلاق

ولذا فان احلاف «الامبريالية الوسطية» او «الامبريالية العليا» ، كيفما كان شكل عقد هذه الاحلاف بشكل ائتلاف امبريالي ضد ائتلاف امبريالي آخر او بشكل حلف عام بين جميع الدول الامبريالية ليست على التأكيد - في الواقع الرأسمالي لا في الاوهام البرجوازية الصغيرة الحقيرة التي تبتدعها مخيلات القساوسة الانجليز او «الماركسي» الالماني كاوتسكي - الا «فترات تنفس» بين الحروب ان الاحلاف السلمية تحضر الحروب وتنشأ بدورها عن الحروب ، مشترطة بعضها بعضاً ومكونة تغير اشكال الصراع

السلمي وغير السلمى على اساس واحد لا يتغير هو الصلات والعلاقات الامبريالية على صعيد الاقتصاد العالمى والسياسة العالمية اما كاوتسكى المتحذلق ، فلكيما يطمئن العمال ويوفق بينهم وبين الاشتراكيين-الشوفينيين الذين انتقلوا الى جانب البرجوازية ، يفصل من سلسلة بعينها حلقة عن أخرى ، يفصل حلف جميع الدول السلمى الراهن (الامبريالى الاعلى وان شئت الامبريالى اعلى الاعلى) القاسم ل«تهدئة» الصين (تذكروا قمع انتفاضة البوكسر (٢٥٨)) عن النزاع غير السلمى غداً والذي يهيبُ لبعده مرة اخرى حلفاً «سليماً» لاقتسام لنقل مثلاً تركيا والنخ ، الخ وبدلاً من الصلة الحية بين مراحل السلام الامبريالى ومراحل الحروب الامبريالية يقدم كاوتسكى للعمال وهماً ميتاً ليوفق بينهم وبين زعمائهم الموتى يشير الاميركي هيل في مقدمة كتابه «تاريخ الديبلوماسية في تطور اوروبا العالمى» الى المراحل التالية في تاريخ الديبلوماسية الحديثة (١ عصر الثورة ٢) الحركة الدستورية (٣) عصر «الامبريالية التجارية» * في ايامنا وثمة كاتب يقسم تاريخ «السياسة العالمية» التي مارسها بريطانيا العظمى من سنة ١٨٧٠ الى اربع مراحل (١) الآسيوية الاولى (مقاومة تقدم روسيا في آسيا الوسطى باتجاه الهند) (٢) الافريقية (سنوات ١٨٨٥-١٩٠٢ على وجه التقريب) - الصراع مع فرنسا من أجل اقتسام افريقيا («فاشود» سنة ١٨٩٨ (٢٥٩) - الحرب مع فرنسا قاب قوسين او ادنى) (٣) الآسيوية الثانية (المعاهدة مع اليابان ضد روسيا) (٤) «الاوروبية» ضد المانيا في الدرجة الاولى * * في سنة ١٩٠٥

David Jayune Hill. «A History of Diplomacy in the international

development of Europe, vol. I, p. X. (دافيد جين هيل «تاريخ

الديبلوماسية في تطور اوروبا العالمى» ، مجلد ١ ، ص ١٠ . الناشر) .

* * Schilder ، المؤلف المذكور . ص ١٧٨ .

كتب ريسر «الشخصية» المعروفة في عالم البنوك قائلاً
«المناوشات السياسية بين الطلائع تجري على الصعيد المالي»
مبيناً بذلك كيف حضر الرأسمال المالي الفرنسي العامل في إيطاليا
الحلف السياسي بين البلدين وكيف اشتد الصراع بين ألمانيا وإنجلترا
من أجل بلاد فارس والصراع بين جميع الرساميل الأوروبية من أجل
تقديم القروض للصين والنخ وها هو ذا الواقع العملي لاحلاف
«الامبريالية العليا» السلمية في صلتها الوثقى بالنزاعات الامبريالية
العادية

ان طمس كاوتسكي لأعمق تناقضات الامبريالية ، الامر الذي
يؤول حتماً الى تجميل وجه الامبريالية يترك اثره كذلك على
انتقاد هذا الكاتب لخصائص الامبريالية السياسية الامبريالية هي
عهد الرأسمال المالي والاحتكارات التي تحمل في كل مكان النزعة الى
السيطرة ، لا الى الحرية ونتائج هذه النزعة هي الرجعية على طول
الخط في ظل جميع النظم السياسية وتفاقم التناقضات لاقصى حد
كذلك في هذا الحقل يشتد بوجه خاص كذلك الظلم القومي السعي
الى اللاحق أي اعتداء على الاستقلال الوطني (ذلك لان اللاحق
ليس الا انتهاك حق الامم في تقرير مصائرها) ويشير هيلفردينغ ،
وهو على حق الى الصلة بين الامبريالية واشتداد الظلم القومي
بقوله «اما فيما يخص البلدان المكتشفة حديثاً فان الرأسمال
المصدر يشدد فيها التناقضات ويثير ضد الدخلاء مقاومة تشتد
على الدوام من جانب الشعوب التي يستيقظ وعيها الوطني وبامكان
هذه المقاومة ان تتحول بسهولة الى تدابير خطيرة موجهة ضد الرأسمال
الاجنبي وتتحول العلاقات الاجتماعية القديمة تحولاً ثورياً جذرياً ؛
تنهار العزلة الزراعية التي استمرت الوف السنين لدى هذه «الامم»
الموضوعة خارج التاريخ» ، وتجذب هذه الامم الى الدوامة الرأسمالية .
والرأسمالية نفسها تقدم شيئاً فشيئاً للمستعبدين الوسائل والاساليب

للتحرر فيضعون نصب عيونهم ذلك الهدف الذي كانت ترى فيه الامم الاوروبية فيما مضى الهدف الاسمى أي انشاء دولة قومية موحدة باعتبارها وسيلة للحرية الاقتصادية والثقافية وهذه الحركة الطامحة الى الاستقلال تهدد الراسمال الاوروبي في اهم ميادين الاستثمار التي تبشر بازهى الآمال ؛ ولا يستطيع الراسمال الاوروبي الاحتفاظ بسيطرته الا بزيادة قواته العسكرية بصورة دائمة» *

وينبغي ان نضيف الى ذلك ان الامبريالية تفضي الى الالحاق والى تفاقم الظلم القومي وبالتالي الى اشتداد المقاومة ليس فقط في البلدان المكتشفة حديثاً بل كذلك في القديمة ان كاوتسكي ، اذ يعارض تقوية الامبريالية للرجعية السياسية ، يحجب مسألة غدت في منتهى الاهمية ، هي مسألة استحالة الوحدة مع الانتهازيين في عهد الامبريالية وهو اذ يعارض الالحاق ، يعطي حججه الشكل الاقل اساءة للانتهازيين والذي يتقبلونه باكبر سهولة وهو يتوجه مباشرة الى القراء الالمان ويطمس مع ذلك الامر الأهم ، مسألة الساعة مثلاً ، ان الالزاس واللورين قد الحقنا بالمانيا وبغية تقييم هذا «الاتجاه في تفكير» كاوتسكي نضرب المثل التالي فلنفترض أن يابانياً يشجب الحاق الاميركان للفيليبين نتساءل هل ثمة كثيرون يصدقون ان ذلك ناشئ عن عدائه للالحاق بوجه عام لا عن رغبته في ان يلحق الفيليبين هو نفسه ؟ أولسنا مضطرين الى الاعتراف بأن «نضال» الياباني ضد الالحاق لا يمكن أن يعتبر نزيهاً وشريفاً من الناحية السياسة الا في حالة ما اذا وقف ضد الحاق اليابان ، الا في حالة ما اذا طالب لكوريا بحرية الانفصال عن اليابان ؟

ان تحليل كاوتسكي للامبريالية من الناحية النظرية وانتقاده لها من الناحية الاقتصادية وكذلك السياسية هما مشبعان برمتها

* «الراسمال المالي» ، ص ٤٨٧ .

بروح تتجافى مع الماركسية كل التجافى ، بروح طمس وتخفيف أهم التناقضات والسعي مهما كلف الامر الى الابقاء على الوحدة المتداعية مع الانتهازية في حركة العمال الاوروبية

١٠ - مكان الامبريالية في التاريخ

لقد رأينا ان الامبريالية ، من حيث كنهها الاقتصادي ، هي الرأسمالية الاحتكارية وهذا ما يحدد بحد ذاته مكان الامبريالية في التاريخ لأن الاحتكار الذي نشأ على صعيد المزاومة الحرة وعن المزاومة الحرة بالضبط هو انتقال من النظام الرأسمالي الى نظام اقتصادي اجتماعي اعلى وينبغي ان نشير بوجه خاص الى انواع الاحتكار الرئيسية الاربعة او الى اربعة مظاهر رئيسية للرأسمالية الاحتكارية تميز العهد الذي نحن بصده

اولاً نشأ الاحتكار عن تمرکز الانتاج البالغ درجة عالية جداً في تطوره وهذا هو اتحادات الرأسماليين الاحتكارية ، الكارتيلات السينديكات والتروستات وقد رأينا مدى جسامه الدور الذي تلعبه في الحياة الاقتصادية الراهنة وفي مستهل القرن العشرين وطدت تفوقها التام في البلدان الراقية واذا كانت البلدان ذات الرسوم الجمركية الوقائية المرتفعة (المانيا ، اميركا) هي التي خطت الخطوات الاولى في طريق تنظيم الكارتيلات فان انجلترا التي يسودها نظام التجارة الحرة قد اظهرت بعد وقت قليل الواقع الرئيسي نفسه نشأة الاحتكارات عن تمرکز الانتاج

ثانياً ساقحت الاحتكارات الى تسريع الاستيلاء على اهم مصادر الخامات ولا سيما خامات الصناعات الرئيسية في المجتمع الرأسمالي والتي بلغ فيها تنظيم الكارتيلات حده الاقصى كصناعات الفحم الحجري وصهر الحديد واحتكار حيازة اهم مصادر المواد الخام قد زاد سلطان الرأسمال الضخم لدرجة هائلة وازم التناقضات بين

الصناعة المنظمة في الكارتيلات وغير المنظمة في الكارتيلات ثالثاً نشأ الاحتكار عن البنوك وقد تحولت البنوك من مؤسسات وسيطة متواضعة الى محتكر للرأسمال المالي فثمة ثلاثة او خمسة بنوك ضخمة لاية أمة من الأمم الراسمالية الراقية قد حققت «الاقتران الشخصي» بين الرأسمال الصناعي والرأسمال البنكي وركزت في ايديها التصرف بالمليارات العديدة التي تؤلف القسم الأكبر من الرساميل والمداخيل النقدية في بلاد باكملها والطغمة المالية التي غطت بشبكة كثيفة من علاقات التبعية جميع ما في المجتمع البرجوازي المعاصر من مؤسسات اقتصادية وسياسية دون استثناء هي أبرز ظاهرة لهذا الاحتكار

رابعاً نشأ الاحتكار عن سياسة حيازة المستعمرات فالرأسمال المالي قد اضاف الى بواعث السياسة الاستعمارية - الى البواعث «القديمة» العديدة - الصراع من أجل مصادر الخامات ، من أجل تصدير الرساميل من اجل «مناطق النفوذ» - أي مناطق الصفقات الرابعة والامتيازات والارباح الاحتكارية وهلم جراً - واخيراً من اجل الاقاليم الاقتصادية بوجه عام فحينما كانت مستعمرات الدول الاوروبية تشغل مثلاً عشر افريقيا كما كان الحال في سنة ١٨٧٦ كان بإمكان سياسة الاستيلاء على المستعمرات أن تتطور بطريق غير احتكاري بطريق - ان امكن القول- «الاستيلاء الحر» على الاراضي ولكن عندما تم الاستيلاء على تسعة اعشار افريقيا (حوالي سنة ١٩٠٠) ، عندما تم اقتسام العالم كله ، حل بالضرورة عهد احتكار حيازة المستعمرات وبالتالي عهد احتدام اشد الصراع من أجل اقتسام العالم واعادة اقتسامه .

يعلم الجميع الى أي مدى شددت الراسمالية الاحتكارية جميع تناقضات الراسمالية حسبنا أن نشير الى غلاء المعيشة والى جور الكارتيلات . وتفاقم التناقضات هذا هو القوة المحركة الاشد بأساً

في المرحلة التاريخية الانتقالية التي بدأت منذ احراز الرأسمال المالي الانتصار التام

ان الاحتكارات والطغمة المالية والنزوع الى السيطرة بدلاً من النزوع الى الحرية واستثمار عدد متزايد من الامم الصغيرة او الضعيفة من قبل قبضة صغيرة من الأمم الغنية او القوية - كل ذلك قد خلق السمات المميزة للامبريالية التي تحمل على وصفها بأنها الرأسمالية الطفيلية او المتقيحة ويظهر ببروز متزايد ميل من ميول الامبريالية وهو الميل الى انشاء «الدولة صاحبة المداخل»، الدولة المرابية التي تعيش برجوازيتهأ اكثر فأكثر من تصدير الرساميل و«قص الكوبونات» ومن الخطأ الظن أن هذا الميل الى التعفن ينفي نمو الرأسمالية بسرعة؛ لا، ان هذا الفرع من فروع الصناعة هذه الفئة من فئات البرجوازية، هذه البلاد او تلك تظهر في عهد الامبريالية بقوة كبيرة لهذا الحد او ذاك تارة الميل الاول وتارة الميل الثاني وبالاجمال تنمو الرأسمالية بسرعة اكبر جداً من السرعة السابقة؛ انها تنمو، ولكن هذا النمو لا يغدو بوجه عام أكثر تفاوتاً وحسب فهذا التفاوت يتجلى كذلك بوجه خاص في تعفن البلدان الاقوى بالرساميل (انجلترا)

وبصدد سرعة التطور الاقتصادي في المانيا يقول ريسر واضع دراسة عن البنوك الألمانية الكبرى «ان التقدم الذي لم يكن بطيئاً جداً في العهد الماضي (سنوات ١٨٤٨-١٨٧٠) هو بالقياس لسرعة تطور اقتصاد المانيا برمته ولاسيما بنوكها في هذا العهد (سنوات ١٨٧٠-١٩٠٥) اشبه بسرعة عربات البريد في العصر الغابر السعيد بالقياس لسرعة السيارة الحديثة التي تخترق الطرقات بشكـل يعرض للخطر الراجل الغافل وركابها انفسهم» والرأسمال المالي هذا الذي نما بهذه السرعة الخارقة لا يأنف بدوره، على وجه الدقة لانه نما بهذه السرعة، من الانتقال الى حيازة «أهدأ» للمستعمرات

التي ينبغي انتزاعها من الامم الأكثر ثراء ليس بالطريق السلمي وحده اما الولايات المتحدة فقد سار فيها التطور الاقتصادي خلال العقود الاخيرة من السنين بسرعة اكبر منها في المانيا ، وبسبب ذلك بالضبط برزت امارات الطفيلية في الرأسمالية الاميركية الحديثة بوضوح خاص . ومن الجهة الاخرى ، ان المقارنة مثلاً بين البرجوازية الجمهورية الاميركية والبرجوازية الملكية اليابانية او الالمانية تظهر ان هذا الفرق السياسي الهائل يضعف لاقصى حد في عهد الامبريالية ، - لانه كان بوجه عام قليل الاهمية ، بل لان القضية في جميع هذه الحالات قضية برجوازية تتسم بسمات طفيلية واضحة

ان الارباح الاحتكارية الفاحشة التي يبتزها رأسماليو فرع من فروع صناعية عديدة ، بلد من بلدان كثيرة والخ تمكنهم اقتصادياً من رشوة فئات معينة من العمال وبصورة موقته أقلية من العمال كبيرة لحد ما ومن جذبهم الى جانب برجوازية فرع صناعي معين او أمة معينة ضد جميع الآخرين واشتداد التنافر بين الامم الامبريالية من اجل تقاسم العالم يشدد هذه النزعة وعلى هذه الصورة تنشأ الصلة بين الامبريالية والانتهازية هذه الصلة التي بدت في انجلترا قبل البلدان الاخرى ووضح مما في البلدان الاخرى بسبب أن بعض سمات التطور الامبريالية قد ظهرت فيها قبل البلدان الأخرى بزمن طويل وهناك كتاب منهم مثلاً مارتوف يحبون تحاشي واقع الصلة بين الامبريالية والانتهازية في حركة العمال - هذا الواقع الذي يبدو اليوم للعيان بوضوح خاص - عن طريق عبارات «متفائلة بصورة رسمية» (على طريقة كاوتسكي وهويسمانس) من هذا النوع ان قضية خصوم الرأسمالية تكون في حالة تدعو للقنوط فيما لو كانت الرأسمالية المتقدمة بالذات تؤدي الى تقوية الانتهازية او فيما اذا كان العمال الذين ينالون اعلى الاجور يميلون الى الانتهازية ، وهم جراً . لا ينبغي أن ننخدع فيما يخص مغزى هذا «التفاؤل» - اذ أنه

تفاؤل ازاء الانتهازية اذ انه تفاؤل من شأنه تغطية الانتهازية والواقع ان نمو الانتهازية ، بهذه السرعة الكبرى وبهذه الصفة القبيحة للغاية ، قطعاً بضمان لانتصارها بصورة وطيدة كما ان سرعة نضوج البثور الخبيثة في الجسم السليم تعجل انفجارها فقط وتخليص الجسم منها وأخطر ما في الامر هو الناس الذين لا يريدون أن يفهموا ان النضال ضد الامبريالية اذا لم يقترن اقتراناً وثيقاً بالنضال ضد الانتهازية ، يكون عبارة فارغة وكاذبة

من كل ما قلناه فيما تقدم عن طبيعة الامبريالية الاقتصادية يستنتج انه لا بد من وصفها بانها رأسمالية انتقالية او ، بالاصح ، محتضرة وما هو في غاية الدلالة بهذا الصدد واقع ان كلمات «التشابك» و«انعدام العزلة» والنخ هي كلمات يكثر استعمالها الاقتصاديون البرجوازيون في وصفهم للرأسمالية الحديثة البنوك هي «من حيث مهامها ومن حيث تطورها ، مؤسسات لا تتسم بطابع اقتصادي فردي صرف ، بل هي تخرج شيئاً فشيئاً من ميدان التوجيه الاقتصادي ذي الطابع الفردي الصرف» وريسر نفسه الذي تعود اليه هذه الكلمات الاخيرة ، يعلن بمنتهى الجدان «نبؤة» الماركسيين بشأن «اكتساب الصفة الاجتماعية» «لم تتحقق» !

فماذا تعني اذن كلمة «التشابك» هذه ؟ انها لا تلقف غير السمة الابرز في العملية الجارية على مرأى منا انها تظهر ان الباحث يعدد بعض الشجرات دون ان يرى الغابة انها تنسخ بذلة ما هو ظاهري وصدفي وما هو ذو صفة فوضوية وهي تكشف في الباحث شخصاً سحقته المادة للخام وعاجزاً تماماً عن تبين كنهها واهميتها تملك الاسهم وعلاقات المالكين الفرديين «تشابك بصورة صدفية» ولكن ما يختفي في بطانة هذا التشابك ، ما يكون أساسه ، هو تغيرات علاقات الانتاج الاجتماعية فعندما يصبح مشروع كبير هائلاً وينظم ، بصورة منهجية على أساس مراعاة دقيقة للمعلومات العديدة ،

تقديم ٢/٣ او ٣/٤ كامل المواد الخام الضرورية لعشرات الملايين من السكان وعندما يتم بصورة منظمة نقل هذه الخامات الى أماكن الانتاج الاحسن ملاءمة والتي يبعد بعضها عن بعض احياناً مئات والوف الفراسخ ؛ وعندما يشرف مركز واحد على جميع المراحل المتتابعة في تكييف الخامات بما في ذلك الحصول على جملة من مختلف اصناف المنتوجات الجاهزة وعندما يتم حسب برنامج واحد توزيع هذه المنتوجات الجاهزة بين عشرات ومئات الملايين من المستهلكين (تصرف «تروست البترول» الاميركي للبترول في اميركا وفي المانيا) ؛ - عندئذ يصبح من الواضح اننا ازاء اكتساب الانتاج للصفة الاجتماعية، لا ازاء مجرد «تشابك» ؛ وأن علاقات الاقتصاد الخاص والملكية الخاصة تؤلف غلافاً غدا لا يتلاءم مع المحتوى ومن شأنه ان يتعفن لا محالة اذا ما أجلت ازالته بصورة مصطنعة ويمكنه ان يبقى في حالة التعفن زمناً طويلاً نسبياً (في أسوأ الحالات - في حالة ما اذا طال امد الاستشفاء من البثور الانتهازية) ، ولكنه مع ذلك سيزول لا محالة ان المتحمس المعجب بالامبريالية الألمانية ، شولتز-

غيرنيتز يهتف

«وإذا كانت ادارة البنوك الألمانية قد وضعت في نهاية الامر بين ايدي دستة من الاشخاص ، فقد غدا نشاطهم منذ الآن اهم ، بالنسبة للمصلحة العامة ، من نشاط أكثرية وزراء الدولة» (ومن الأفضل هنا نسيان «تشابك» الصيارفة والوزراء والصناعيين وأصحاب المداخل) . «وإذا امعنا الفكر في تطور الميول التي رأيناها ، يكون الحاصل رأسمال الامة النقدي موحد في البنوك ؛ والبنوك مرتبطة فيما بينها في كارتيل ؛ رأسمال الامة الباحث عن توظيف اتخذ شكل اوراق مالية عندئذ تتحقق الكلمات العبقريّة التي قالها سان سيمون «ان فوضى الانتاج الراهنة التي تتلاءم مع واقع ان العلاقات الاقتصادية تتطور بدون ضابط وحيد الشكل ينبغي أن تتغلى عن مكانها لتنظيم الانتاج . ولن يوجه الانتاج اصحاب اعمال منعزلون

ومستقلون بعضهم عن بعض ويجهلون حاجات الناس الاقتصادية ، بل سيناط بمؤسسة اجتماعية معينة ان الهيئة الادارية المركزية التي تستطيع أن ترى من وجهة نظر أعلى منطقة الاقتصاد الاجتماعي الواسعة ستتضبطه على نحو مفيد للمجتمع بأكمله وستضع وسائل الانتاج بين الايدي الاكثر ملاءمة لذلك وستسهر بوجه خاص على الانسجام الدائم بين الانتاج والاستهلاك وثمة مؤسسات وضعت ضمن نطاق مهامها تنظيماً معيناً للعمل الاقتصادي انها البنوك»
 ما زلنا بعيدين عن تحقيق كلمات سان سيمون هذه ، ولكننا نسير في اتجاه تحقيقها الماركسية على نمط يختلف عما تصوره ماركس ولكن من حيث الشكل فقط» *
 انه والحق يقال «حدس» رائع لماركس يعود القهقري من تحليل ماركس العلمي الدقيق الى حدس سان سيمون وان كان حدساً عبقرياً ، الا انه على حال حدس لا غير

المجلد ٢٧ ،
 صص ٢٩٩-٤٢٦

كتب في كانون الثاني (يناير) -
 حزيران (يونيو) سنة ١٩١٦
 صدر لأول مرة في منتصف
 سنة ١٩١٧ ببتروغراد في كراس
 على حدة عن دار الطبع والنشر
 «جيزن أي زاناييه» (والحياة
 والمعرفة) ؛ نشرت مقدمة
 الطبعتين الفرنسية والالمانية
 في سنة ١٩٢١ في مجلة
 «كومونستيتشيسكي
 انترناسيونال» (الأممية
 الشيوعية) العدد ١٨

* «Grundriß der Sozialökonomik», 146 (أسس الاقتصاد الاجتماعي) . (الناشر) .

ملاحظات

- ١- راجعوا عن الشعبية ص ٢-٢٥ من هذا المجلد - ص ١٣
- ٢- **التزودوفيك** (فرقة العمل) - كتلة من الديموقراطيين البرجوازيين الصغار في دومات الدولة ، كانت تتألف من فلاحين ومن مثقفين شعبيي النزعة
كان النواب الفلاحون في دوما الدولة الاول هم الذين اسسوا كتلة التزودوفيك في نيسان (ابريل) ١٩٠٦ تارجح التزودوفيك في الدوما بين الكاديت (راجعوا الملاحظة رقم ١١) والاشتراكيين- الديموقراطيين الثوريين .- ص ١٤
- ٣- هذا التعبير مأخوذ من رسالة ماركس الى كوغلمان في نيسان (ابريل) ١٨٧١ ، التي تتضمن تقييماً لكومونة باريس .- ص ١٥
- ٤- **الارض الممنوحة** - حصص الارض الممنوحة للفلاحين لاجل الانتفاع بها بعد الغاء القناة في روسيا عام ١٨٦١ لم يكن يحق للفلاحين بيع هذه الحصص ؛ وكانت مساحة الارض الممنوحة ملكاً للشعاعية في معظم مناطق روسيا ، وكانت توزع بين الفلاحين للانتفاع بها عن طريق اعادة توزيع الحصص بصورة دورية .- ١٦
- ٥- يستشهد لينين بمقدمة انجلس للطبعة الالمانية الاولى من كتاب ماركس «بؤس الفلسفة» .- ص ١٦ .

٦ - «روسكويه بوغاتستفو» - مجلة شهرية صدرت في بطرسبورغ من عام ١٨٧٦ الى عام ١٩١٨ ابتداء من عام ١٩٠٦ لسان حال حزب العمل الاشتراكي الشعبي نصف الكاديتي (الاشتراكيين الشعبيين) (راجعوا الملاحظة رقم ٩) . - ص ٢٠

٧ - **دوما الدولة** - (مجلس الدولة) هيئة تمثيلية اضطرت الحكومة القيصرية الى تاسيسها بتأثير من الاحداث الثورية في عام ١٩٠٥ كان دوما الدولة شكلاً هيئة تشريعية ؛ اما في الواقع ، فانه لم يكن يتمتع باي سلطة فعلية . ولم تكن الانتخابات الى دوما الدولة مباشرة ومنتساوية وعامة . وكانت الحقوق الانتخابية للطبقات الكادحة ، وكذلك للقوميات غير الروسية القاطنة في روسيا مبتورة جداً ، وكان قسم كبير من العمال والفلاحين محرومين كلياً من الحقوق الانتخابية وبموجب القانون الانتخابي الصادر في ١١ (٢٤) كانون الاول (ديسمبر) ١٩٠٥ ، كان صوت الملاك العقاري الواحد يوازي اصوات ثلاثة من ممثلي برجوازية المدن ، و ١٥ صوتاً من اصوات الفلاحين ، و ٤٥ صوتاً من اصوات العمال . حلت الحكومة القيصرية دوما الدولة الاول (نيسان - ابريل - تموز - يوليو ١٩٠٦) ودوما الدولة الثاني (شباط - فبراير - حزيران - يونيو ١٩٠٧) بعد ان قامت الحكومة القيصرية بانقلاب سياسي في ٣ حزيران (يونيو) ١٩٠٧ ، اصدرت قانوناً انتخابياً جديداً بخس حقوق العمال والفلاحين والبرجوازية الصغيرة في المدن ، وامنّ السيادة الكاملة لكتلة الملاكين العقاريين وكبار الراسماليين الرجعية في دوما الدولة الثالث (١٩٠٧ - ١٩١٢) ودوما الدولة الرابع (١٩١٢ - ١٩١٧) . - ص ٢١

٨ - **الاشتراكيون-الثوريون** - حزب للبرجوازية الصغيرة في روسيا ، تشكل في اواخر ١٩٠١ واوائل ١٩٠٢ بنتيجة توحيد مختلف فرق وحلقات الشعبيين وقد سمي الاشتراكيون-الثوريون انفسهم بالاشتراكيين ، ولكن اشتراكيتهم كانت اشتراكية طوبوية برجوازية صغيرة تضمن برنامج الاشتراكيين-الثوريين الزراعي مطلب تصفية الملكية العقارية الاقطاعية ، والغاء الملكية الخاصة للارض ، وتسليم

جميع الاراضي للمشاعات الفلاحية بموجب مبدأ الانتفاع المتساوي بالارض مع اعادة توزيع الاراضي بصورة دورية حسب عدد الافواه في العائلة او حسب عدد القادرين على العمل في العائلة (وهذا ما كان يسمى «جتمعة» او «تثريك» الارض) اما في الواقع ، فان تحقيق «الانتفاع المتساوي بالارض على اساس العمل» في حال بقاء علاقات الانتاج الرأسمالية لم يكن من شأنه ان يعني الانتقال الى الاشتراكية ، بل كان من شأنه فقط ان يؤدي الى تصفية العلاقات شبه الاقطاعية في الريف والى تسارع تطور الرأسمالية

كان الاشتراكيون-الثوريون يعتبرون الارهاب الفردي الطريقة الرئيسية للنضال ضد القيصرية

بعد هزيمة الثورة الروسية الاولى (١٩٠٥ - ١٩٠٧) ، عانى حزب الاشتراكيين-الثوريين ازمة ، اذ ان قيادة الحزب قد عدلت عملياً عن النضال ضد القيصرية بعد الاطاحة بالقيصرية في شباط (فبراير) ١٩١٧ ، اشتهر زعماء الاشتراكيين-الثوريين في الحكومة الموقته البرجوازية ، وناضلوا ضد الطبقة العاملة التي كانت تهيئ للثورة الاشتراكية ، واسهموا في قمع الحركة الفلاحية في صيف ١٩١٧ بعد ثورة اكتوبر الاشتراكية ، ناضل الاشتراكيون-الثوريون بنشاط ضد السلطة السوفييتية . - ص ٢٢

٩- **الاشتراكيون الشعبيون** - اعضاء حزب العمل الاشتراكي الشعبي البرجوازي الصغير ، الذين انشقوا عن الجناح اليميني في حزب الاشتراكيين-الثوريين عام ١٩٠٦ ايد الاشتراكيون الشعبيون التكتل مع الكاديت (راجعوا الملاحظة رقم ١١) . - ص ٢٢

١٠- **التصفويون** (دعاة التصفية) - انصار تيار ساد بين المناشفة (راجعوا الملاحظة رقم ٤٩) في مرحلة الرجعية ، بعد هزيمة ثورة ١٩٠٥ - ١٩٠٧ طالب التصفويون بتصفية حزب الطبقة العاملة الثوري السري والاستعاضة عنه بحزب انتهازي يعمل شرعاً في اطار النظام القيصري .

طرد كونفرانس (المجلس العام) براغ ح ا د ر الذي انعقد في كانون الثاني (يناير) ١٩١٢ ، التصويين من الحزب . - ص ٢٢

١١ - الكاديت - اعضاء الحزب الدستوري ، الديموقراطي ، الحزب الرئيسي للبرجوازية الليبرالية الملكية في روسيا . انشى حزب الكاديت في تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٠٥ ؛ وقد انضم اليه ممثلو البرجوازية والملاكين العقاريين ، والمثقفون البرجوازيون ولأجل خداع الشغيلة ، اطلق الكاديت على انفسهم زوراً وبهتاناً اسم «حزب حرية الشعب» ، ولكنهم لم يمضوا في الواقع الى ابعد من المطالبة بالملكية الدستورية في سنوات الحرب العالمية الاولى ، دعم الكاديت بصورة نشيطة السياسة الخارجية الاغتصابية التي انتهجتها الحكومة القيصرية في مرحلة ثورة شباط (فبراير) البرجوازية الديموقراطية عام ١٩١٧ ، حاولوا انقاذ الملكية فقد شغلوا الوضع القيادي في الحكومة الموقته البرجوازية وطبقوا سياسة معادية للشعب ، معادية للثورة بعد انتصار ثورة اكتوبر الاشتراكية ، برز الكاديت كاعداء الداء للسلطة السوفيتية ، واشتركوا في جميع الاعمال المسلحة المعادية للثورة وفي عمليات المتدخلين الاجانب المسلحة . - ص ٢٢

١٢ - البوتشينيون («المبادرون») - فريق من الاشتراكيين-الثوريين اصدر في حزيران (يونيو) ١٩١٢ مجلة «بوتشين» («المبادرة») صدر من هذه المجلة عدد واحد فقط . - ص ٢٣

١٣ - كتب لينين مقالة «مصائر مذهب كارل ماركس التاريخية» لمناسبة الذكرى السنوية الثلاثين لوفاة كارل ماركس ، ونشرها في جريدة «البرافدا» ، العدد ٥٥ ، بتاريخ اول آذار (مارس) ١٩١٣ . - ص ٢٦

١٤ - المقصود هنا الانتفاضة التي قام بها عمال باريس في الفترة الواقعة بين ٢٣ و ٢٦ حزيران (يونيو) ١٨٤٨ والتي قمعتها البرجوازية الفرنسية بقساوة خارقة كانت الانتفاضة اول حرب اهلية كبيرة في التاريخ بين البروليتاريا والبرجوازية . - ص ٢٧ .

- ١٥- في ١٩ شباط (فبراير) ١٨٦١ ، التي نظام القناة في روسيا
ص ٣١
- ١٦- **الديسياتين** - مقياس للارض ما قبل الثورة في روسيا ، يوازي
١,٠٩٢٥ هكتاراً . - ص ٣١
- ١٧- كتب لينين مقالة «**مصادر الماركسية الثلاثة واقسامها المكونة
الثلاثة**» بمناسبة الذكرى السنوية الثلاثين لوفاة كارل ماركس ونشرها
في مجلة «بروسفيشيينه» («التثقيف») ، اعدد ٣ ، عام ١٩١٣
- ص ٣٣
- ١٨- **درجيموردا** - اسم شرطي في مسرحية الكاتب الروسي نيقولاي غوغول
الهزلية «المفتش» اصبح اسم نكرة ، ورمزاً للمستبد والظالم
الوقح والفظ . - ص ٤٦
- ١٩- **الوفاق الثلاثي** - Entente - كتلة امبريالية من انجلترا وفرنسا
وروسيا ؛ تشكلت نهائياً في عام ١٩٠٧ كمقابل نقيض للحلف الثلاثي
الامبريالي المشكل من المانيا والنمسا - المجر وايطاليا وكان انشاء
«الوفاق الثلاثي» قد سبقه عقد الحلف الفرنسي الروسي (١٨٩١ -
١٨٩٣) والاتفاقية الانجلو فرنسية في عام ١٩٠٤ وجاء توقيع
الاتفاقية الانجلو-روسية في عام ١٩٠٧ ينجز تشكيل الوفاق في
سنوات الحرب العالمية الاولى ، انضمت الولايات المتحدة الاميركية
واليابان وايطاليا وعدد من الدول الاخرى الى الحلف العسكري السياسي
لانجلترا وفرنسا وروسيا
- التحالف الثلاثي** - الكتلة الامبريالية التي تشكلت من المانيا
والنمسا - المجر وايطاليا في سنوات ١٨٧٩ - ١٨٨٢ كانت
معاهدة الحلف الثلاثي تنص على قيام المشتركين فيه باعمال مشتركة ،
وكانت موجهة بصورة رئيسية ضد روسيا وفرنسا وبما ان ايطاليا
كانت تابعة مالياً لانجلترا ، فقد انضمت الى الحلف الثلاثي بتحفظ
مفاده انها لن تنفذ التزاماتها بموجب الحلف الا اذا لم تكن انجلترا في

عداد اعدائه وفي مستهل الحرب العالمية الاولى ، اعلنت إيطاليا حياها ؛ وفي ايار (مايو) ١٩١٥ انتقلت الى جانب دول الوفاق واشتركت في الحرب ضد حليفتيها السابقتين ، ألمانيا والنمسا - المجر وهكذا زال الحلف الثلاثي من الوجود - ص ٤٩

٢ - «سيفرنايا برفادا» («حقيقة الشمال») - احد اسماء جريدة «البرافدا» («الحقيقة») البلشفية الشرعية اليومية التي صدرت في بترسبورغ ابتداء من ٥ ايار (مايو) ١٩١٢ وكان لينين هو الذي اسس «البرافدا»

كانت «البرافدا» جريدة عمالية جماهيرية ؛ وكانت تصدر بالنقود التي يجمعها ويتبرع بها العمال انفسهم وقد تكونت حولها حلقة واسعة من العمال المرسلين ومن العمال الكتاب اشرف لينين من الخارج على تحرير «البرافدا» ؛ وكان يكتب يومياً تقريباً في الجريدة ، ويرسل توجيهاته الى هيئة التحرير ويجمع حول الجريدة افضل قوى الحزب الادبية

تعرضت «البرافدا» باستمرار للملاحقات البوليسية ، واغلقتها الحكومة القيصرية مراراً ، ولكنها كانت تعود الى الصدور باسماء مختلفة في ٨ (٢١) تموز (يوليو) ١٩١٤ ، اي قبل بداية الحرب العالمية الاولى بقليل ، اغلقت الجريدة لم تستأنف «البرافدا» صدورها الا بعد ثورة شباط (فبراير)

١٩١٧ . - ص ٥٢

٢١ - «الحيثان الثلاثة» - تعبير اصطلاحي في الصحافة والمطبوعات البلشفية الشرعية ، العلنية ، وفي الاجتماعات الشرعية العلنية للإشارة الى الشعارات الثورية الاساسية («غير المبتورة») الثلاثة الجمهورية الديمقراطية ، يوم العمل من ثماني ساعات ، مصادرة جميع اراضي الملاكين العقاريين . - ص ٥٣

٢٢ - المقصود هنا الكونفيرنس (المجلس العام) الذي عقده التصفويون في فيينا ، في آب (اغسطس) ١٩١٢ ؛ وفيه تشكلت رسمياً كتلة آب

المعادية للحزب التي كان تروتسكي منظمها
 اتخذ الكونفيرنس قرارات تصفوية ، معادية للحزب ، في جميع
 مسائل التكتيك الاشتراكي-الديموقراطي وعارض وجود حزب
 لاشرعي ، سري
 كان المنهج الذي اقره الكونفيرنس ذا طابع انتهازي جلي لم
 تحظ محاولة التصفيين لانشاء حزب وسطي لهم في روسيا بتأييد
 العمال ولم يستطع التصفييون انتخاب لجنة مركزية ، واكتفوا
 بتشكيل ما اسمي باللجنة التنظيمية وان الكتلة المعادية للبلشفية ،
 التي انشئت من عناصر متباينة ، والتي كان تشكيلها مهمة الكونفيرنس
 الرئيسية قد شرعت تتفكك وتنحل في اثناء انعقاد الكونفيرنس
 بالذات . - ص ٥٣

٢٣ - في ١٧ اكتوبر تشرين الاول) ١٩٠٥ اي في فترة الذروة من
 نهوض الاضراب السياسي في عموم روسيا في شهر اكتوبر ، نشر
 بيان للقيصر يعد « بالحرية السياسية » والدوما « التشريعي »
 كان البيان تنازلاً انتزعت الثورة من القيصر فقد ارادت الحكومة
 القيصرية ان تكسب الوقت ، وتشق القوى الثورية ، وتحبط الاضراب
 في عموم روسيا ، وتقمع الثورة فضح البلاشفة هذه المناورة
 السياسية التي قام بها الحكم القيصري . - ص ٥٤

٢٤ - «(ذأيت)» («الوقت») - جريدة اسبوعية لسان حال البوند
 (راجعوا الملاحظة رقم ٢٩) صدرت باللغة العبرية في بطرسبورغ
 من سنة ١٩١٢ الى سنة ١٩١٤ . - ص ٥٦

٢٥ - «(ذؤفين)» («الجرس») - مجلة شرعية شهرية ، منشفية الاتجاه
 ومفعمة بروح التعصب القومي صدرت باللغة الاوكرانية في كييف
 في سنتي ١٩١٣ و١٩١٤ . - ص ٥٧

٢٦ - «المائة السود» - عصابات ملكية انشأها البوليس القيصري لمكافحة
 الحركة الثورية كان رجال المائة السود يفتالون الثوريين ويعتدون
 على المثقفين التقدميين وينظمون مذابح اليهود (امسى تعبير «المائة
 السود» رمزاً للاغراق في الرجعية) . - ص ٥٧ .

٣٣- المقصود هنا مؤتمر الحزب الاشتراكي-الديموقراطي النمساوي الذي انعقد في برون (النمسا) من ٢٤ الى ٢٩ ايلول (سبتمبر) ١٨٩٩ كانت المسألة القومية المسألة المركزية في جدول اعمال المؤتمر عرض في المؤتمر مشروعا قرارين يعبران عن وجهتي نظر مختلفتين : ١- كان مشروع قرار لجنة الحزب المركزية يدود على العموم عن استقلال الامم الذاتي المكاني ، ٢- كان مشروع قرار لجنة الحزب الاشتراكي-الديموقراطي الجنوبي السلافي يدود عن استقلال الثقافة القومية الذاتي اللامكاني رفض المؤتمر بالاجماع برنامج استقلال الثقافة القومية الذاتي ، واتخذ قراراً وسطاً يعترف بالاستقلال الذاتي القومي ضمن حدود الدولة النمساوية . - ص ٧٨

٣٤- حزب العمال الاشتراكي اليهودي . منظمة قومية متعصبة برجوازية صغيرة تشكلت في عام ١٩٠٦ ارتكز برنامج هذا الحزب على مطلب الاستقلال الذاتي القومي لليهود- اي انشاء برلمانات (سيئات) يهودية لامكانية تتمتع بصلاحيات البت في مسائل تنظيم اليهود سياسيا في روسيا كان هذا الحزب قريباً من حزب الاشتراكيين-الثوريين ، وناضل معه ضد حاد ر . - ص ٧٨

٣٥- قضية بيليس - دعوى قضائية اقامتها الحكومة القيصرية في كييف عام ١٩١٢ على اليهودي بيليس الذي اتهم زوراً وبهتاناً باغتيال صبي مسيحي لاغراض دينية طقسية كانت الحكومة القيصرية تسعى ، عن طريق هذه المحاكمة ، الى تأجيج نيران العداة للسامية واستشارة مذابح اليهود بغية صرف الجماهير عن الحركة الثورية المتعاطمة في البلاد استشارت المحاكمة الغضب الشديد في اوساط الراي العام ، وقام العمال في عدد من المدن بمظاهرات الاحتجاج حكمت المحكمة ببراءة بيليس من التهمة الموجهة اليه . - ص ٨٠

٣٦ - P.P.S. (ح ا ب) الحزب الاشتراكي البولوني (Polska Partia Socjalistyczna) حزب قومي تعصبي اصلاحي ، تأسس عام ١٨٩٢ .

قام ح ا ب بدعاية انفصالية ، قومية تعصبية ، بين العمال البولونيين وسعى الى صرفهم عن النضال المشترك مع العمال الروس ضد الحكم القيصري والراسمالية كانت الفرق اليسارية تنبثق داخل ح ب على امتداد تاريخه كله بتأثير العمال العاديين وفيما بعد انضم بعض هذه الفرق الى الجناح الثوري في الحركة العمالية البولونية

في عام ١٩٠٦ ، انشق ح ا ب الى ح ا ب - «اليسار» والى ما يسمى ح ا ب - «اليمن» («الكتلة الثورية» ، «الفراك»)

فيما بعد ، انضم ح ا ب - «اليسار» الى ا د م ب ل (الاشتراكية-الديموقراطية في المملكة البولونية وليتوانيا) ، وشكل معها حزب العمال الشيوعي البولوني

انتج ح ب - «اليمن» - «الفراك» - سياسة قومية متعصبة شوفينية . - ص ٨١

٣٧- **البرنشتينية** - تيار معاد للماركسية في الاشتراكية-الديموقراطية الالمانية والعالمية ، انبثق في اواخر القرن التاسع عشر واسمي باسم ادوارد برنشتين ، الممثل الاكثر سفوراً للتيارات الانتهازية اليمينية في الحزب الاشتراكي-الديموقراطي الالمانى

بعد وفاة انجلس ، شرع برنشتين يحرف على المكشوف تعاليم ماركس الثورية بروح الليبرالية البرجوازية (في مقالات «قضايا الاشتراكية» وفي كتاب «مقدمات الاشتراكية ومهمات الاشتراكية-الديموقراطية») ، رغبة في تحويل الحزب الاشتراكي-الديموقراطي الى حزب صفار البرجوازيين للاصلاحات الاجتماعية

والمقصود **بالبرنشتينيين الروس** «الماركسيون الشرعيون» وهم انصار تيار اجتماعي سياسي انبثق في اواخر القرن الماضي في بيئة المثقفين البرجوازيين الليبراليين لم يأخذ الماركسيون الشرعيون (ستروفه ، بولفاكوف ، توغان-بارانوفسكي وغيرهم) من تعاليم ماركس النظرية حلول التشكيلية الاجتماعية الاقتصادية الراسمالية محل التشكيلية الاقطاعية بصورة محتمة لا مناص منها ونبذوا كلياً «روح» الماركسية «الثوري» اي التعليم بصدد حتمية زوال

الرأسمالية ، وبصدد الثورة الاشتراكية انتقد «الماركسيون الشرعيون» في الصحافة الشرعية الشعبيين الذين كانوا ينكرون حتمية تطور الرأسمالية في روسيا ، ومدحوا النظم الرأسمالية فيما بعد ، امسى «الماركسيون الشرعيون» اعداء للماركسية وقادة في حزب الكاديت .- ص ٨٢

٣٨- يقصد لينين مقالة ستالين «الماركسية والمسألة القومية» التي صدرت في المجلة البلشفية الشرعية «بروسفيشنيه» («التثقيف») ، الاعداد ٣ و ٤ و ٥ ، عام ١٩١٣ بعنوان «المسألة القومية والاشتراكية-الديموقراطية» في الفصل الرابع من مقالة ستالين ، يرد نص البرنامج القومي الذي اقره مؤتمر الحزب الاشتراكي-الديموقراطي النمساوي في برون .- ص ٨٣

٣٩- («نوفايا رابوتشايا غازيتا») (جريدة العمال الجديدة) - جريدة شرعية يومية للمناشفة-التصفيوين صدرت في بطرسبورغ عامي ١٩١٣ و ١٩١٤ سماها لينين غير مرة «نوفايا ليكفيداتورسكايا غازيتا» («جريدة التصفيوين الجديدة») .- ص ٨٤

٤٠- يقصد لينين مداولة اللجنة المركزية ح ع د ر مع العاملين الحزبيين التي انعقدت في بورونينو في جوار كراكوفيا من ٢٣ ايلول-سبتمبر- الى اول تشرين الاول- اكتوبر (٦- ١٤ تشرين الاول) ١٩١٣ لاعتبارات السرية اسميت المداولة بالمداولة «الصيفية» .- ص ٩٨

٤١- يقصد لينين هنا البحث الذي فكر بكتابته «حق الامم في تقرير مصيرها» راجعوا هذا المجلد صص ١٤٤-٢٢٤ - ص ٩٩

٤٢- المقصود هنا مؤتمر الاحزاب الشعبوية اليسارية البرجوازية الصغيرة من مختلف الامم او مؤتمر الاحزاب الاشتراكية القومية في روسيا الذي انعقد من ١٦ الى ٢ نيسان (ابريل) ١٩٠٧ في فنلنده حضر المؤتمر ممثلو احزاب الاشتراكيين-الثوريين ، والحزب الاشتراكي

البولوني ، والكتلة الثورية من الحزب الاشتراكي البولوني (الفراك) ،
وحزب العمال الاشتراكي اليهودي ، وحزب الاشتراكيين -
الفيديرياليين الجورجي ، والتنظيم البيلوروسي ، وحزب الطاشناق
الارمني وقبيل ارفضاض المؤتمر ، وصل ممثل الاتحاد الاشتراكي -
الديموقراطي اللاتفى ووافق على قرارات المؤتمر

اتخذ المؤتمر جملة من القرارات - بصدد عقـد مؤتمر
للحزاب القومية الاشتراكية في كل سنة ، وبصدد تنظيم امانة خاصة
لاجل تنفيذ قرارات المؤتمر ، وبصدد العلاقات المتبادلة بين الاحزاب
الاشتراكية الوطنية ، وبصدد تاسيس صحيفة دورية للامانة . -

ص ١٠٣

٤٣ - «الديسمبريون» - ثوريون روس من النبلاء قاموا في ١٤ ديسمبر
(كانون الاول) ١٨٢٥ بانتفاضة ضد نظام الحكم المطلق سحقت
الانتفاضة ، واعدم المشتركون فيها او ارسلوا الى الاشغال الشاقة
في سيبيريا . - ص ١٠٦

٤٤ - «كولو كول» (والجرس) - مجلة سياسية اصدرها هرتسين
واوغايف وطبعاها في المطبعة الروسية الحرة التي اسسها غرتسين ،
وذلك من عام ١٨٥٧ الى عام ١٨٦٧ ، اولاً في لندن ثم في جينيف
فضحت «كولو كول» تعسف الحكم القيصري وجشع الموظفين
واختلاسهم لاموال الخزينة ، واستثمار الفلاحين بلا رحمة ولا شفقة من
قبل الاقطاعيين ، ووجهت النداءات الثورية واسهمت في حث الجماهير
على النضال ضد الحكومة القيصرية والطبقات السائدة . - ص ١٠٦

٤٥ - «رسالة الى غوغول» - كتبها بيلينسكي في تموز (يوليو) ١٨٤٧
ونشرها هرتسين للمرة الاولى في عام ١٨٥٥ في «بوليارنايا زفيزدا»
(نجمة الشمال)

تضمنت الرسالة نقداً حاداً لكتاب غوغول «مقاطع مختارة من
المراسلات مع الاصدقاء» - ص ١٠٧

٤٦ - «تحرير العبل» - اول فرقة ماركسية روسية اسسها بليخانوف
عام ١٨٨٣ في سويسرا . قامت الفرقة بعمل كبير لنشر الماركسية

في روسيا وانزلت ضربة قوية بالشعبية كتب بليخانوف مشروع
برنامجين للاشتراكيين-الديموقراطيين الروس (عام ١٨٨٣ وعام
١٨٨٥) ، واصدرت فرقة «تحرير العمل» هذين المشروعين ، فكانا
بمناشاة خطوة هامة في اعداد وتأسيس الحزب الاشتراكي-الديموقراطي
في روسيا ولكن الفرقة لم تكن على صلة بالحركة العمالية الفعلية
في روسيا وقد اوضح لينين ان فرقة «تحرير العمل» «قد اسست
الاشتراكية-الديموقراطية نظرياً فقط ، وخطت الخطوة الاولى الى
ملاقة الحركة العمالية» (المؤلفات الطبعة الخامسة المجلد ٢٥
ص ١٣٢) اقترب اعضاء الفرقة اخطاء خطيرة ؛ فقد استعظموا دور
البرجوازية الليبرالية ، واستصغروا دور الفلاحين الثوري واهمية
التحالف بين البروليتاريا والفلاحين لاجل احراز النصر على القيصرية
في المؤتمر الثاني ح ع ا د ر (عام ١٩٠٣) ، اعلنت فرقة
«تحرير العمل» حل نفسها . - ص ١٠٨

٤٧ - «الايسكرا» («الشرارة») - اول جريدة ماركسية لاشعبية لعامة
روسيا اسسها لينين في كانون الاول (ديسمبر) ١٩٠٠ في الخارج ،
من حيث كانت ترسل سراً الى روسيا اضطلعت «الايسكرا» بدور
كبير جداً في تلاحم الاشتراكيين-الديموقراطيين الروس على الصعيد
الفكري ، وفي اعداد توحيد المنظمات المحلية المتفرقة في حزب
ماركسي ثوري . بعد انشقاق الحزب في المؤتمر الثاني ح ع ا د ر
(عام ١٩٠٣) الى بلاشفة ومناشفة ، اصبحت «الايسكرا» في ايدي
المناشفة (ابتداء من العدد ٥٢) واخذت تسمى «بالايسكرا» الجديدة
تميزاً لها عن «الايسكرا» القديمة اللينينية لم تبق «الايسكرا»
الجديدة صحيفة كفاحية للماركسية الثورية ؛ وقد حولها المناشفة
الى صحيفة للنضال ضد الماركسية ، وضد الحزب ، والى منبر للوعظ
بالانتهازية . - ص ١٠٩

٤٨ - المقصود هنا المؤتمر الاول ح ع ا د ر الذي انعقد في مينسك بين الاول
والثالث (١٣ - ١٥) من آذار (مارس) ١٨٩٨ حضر المؤتمر ٩
مندوبين عن ٦ منظمات : منظمة بطرسبورغ ، منظمة موسكو ،

منظمة إيكاتيرينوسلاف ، منظمة «اتحاد النضال من أجل تحرير الطبقة العاملة» في كييف ، فرقة «رابوتشايا غازيتا» في كييف ، البوند انتخب المؤتمر لجنة الحزب المركزية ، وصادق على اعتبار جريدة «رابوتشايا غازيتا» لسان الحال الرسمي للحزب ، ونشر «البيان» ، واعلن «اتحاد الاشتراكيين-الديموقراطيين الروس في الخارج» ممثلاً للحزب في الخارج

وتتجلى أهمية المؤتمر الأول ح ا د ر في انه اعلن في قراراته وفي «البيان» تأسيس حزب العمال الاشتراكي-الديموقراطي في روسيا ، واضطلع بالتالي بدور ثوري دعائي كبير ولكن المؤتمر لم يقر برنامجاً ، ولم يضع نظاماً داخلياً للحزب بعد ارفض المؤتمر بفترة وجيزة ، اعتقلت السلطات اللجنة المركزية التي انتخبها المؤتمر ، واستولت على مطبعة «رابوتشايا غازيتا» ولهذا لم يتمكن المؤتمر من توحيد وربط مختلف الحلقات والمنظمات الماركسية ولم تكن هناك قيادة من مركز واحد وخط واحد في عمل المنظمات المحلية . - ص ١١٠

٤٩ - «سانت بطرسبورغسكي رابوتشي ليستوك» (نشرة العمال في سانت بطرسبورغ) - لسان حال «اتحاد النضال من أجل تحرير الطبقة العاملة» في بطرسبورغ صدر منها عدنان العدد الاول في شباط - فبراير (مع انه مؤرخ في كانون الثاني - يناير) ١٨٩٧ والعدد الثاني في ايلول (سبتمبر) ١٨٩٧ في جينيف طرحت الجريدة مهمة الجمع بين نضال الطبقة العاملة الاقتصادي والمطالب السياسية الواسعة ، واكدت على ضرورة تأسيس حزب عمالي . - ص ١١٠

٥٠ - «المناشفة» - انصار تيار انتهازي برجوازي صغير في الاشتراكية-الديموقراطية في روسيا . اثناء انتخابات الهيئات المركزية في المؤتمر الثاني ح ا د ر (عام ١٩٠٣) ، نال الاشتراكيون-الديموقراطيون الثوريون برئاسة لينين الاغلبية (بالروسية «بولشستفو» ومعناها الاغلبية ، ومن هنا اسم «البلاشفة») ونال الانتهازيون الاقلية

(بالروسية «منشنستفو» ومعناها الاقلية ، ومن هنا اسم
«المناشفة»)

في مرحلة ثورة ١٩٠٥ - ١٩٠٧ ، وقف المناشفة ضد زعامة
الطبقة العاملة في الثورة و ضد تحالف الطبقة العاملة مع الفلاحين
وطالبوا بالتوافق مع البرجوازية الليبرالية . في سنوات الردة الرجعية
التي اعقبت هزيمة ثورة ١٩٠٥-١٩٠٧ ، امسى المناشفة باغليبتهم
تصفويين وابان الحرب العالمية الاولى (١٩١٤ - ١٩١٨) وقف
المناشفة مواقف الاشتراكية-الشفونينية بعد انتصار الثورة
البرجوازية الديمقراطية في شباط (فبراير) ١٩١٧ ، اشترك
المناشفة في الحكومة الموقته البرجوازية ، ودعموا سياستها الامبريالية
وناضلوا ضد الثورة الاشتراكية بسبيل النضوج

بعد ثورة اكتوبر الاشتراكية ، امسى المناشفة حزبا معاديا
للثورة على المكشوف ينظم المؤامرات والانتفاضات ضد السلطة
السوفييتية . - ص ١١٢

٥١ - «(رابوتنيك)» («العامل») - نشرة غير دورية اصدرها في الخارج
«اتحاد الاشتراكيين-الديموقراطيين الروس» بتحرير فرقة «تحرير
العمل» ، من عام ١٨٩٦ الى عام ١٨٩٩ . - ص ١١٢

٥٢ - «(فبريود)» («الى الامام») - جريدة اسبوعية بلشفية لاشريعية
صدرت في جنيف من كانون الثاني (يناير) الى ايار (مايو) ١٩٠٥
- ص ١١٤

٥٣ - «(البروليتاري)» - جريدة اسبوعية بلشفية لاشريعية لسان الحال
المركزي ح ع ا در صدرت في جنيف من ايار (مايو) الى تشرين
الثاني (نوفمبر) ١٩٠٥ . - ص ١١٤

٥٤ - «(نوفايا جيزن)» («الحياة الجديدة») - اول جريدة بلشفية شرعية
صدرت يومياً من تشرين الاول (اكتوبر) الى كانون الاول (ديسمبر)
١٩٠٥ في بطرسبورغ . - ص ١١٥ .

- ٥٥ - «ناتشالو» («البداية») - جريدة منشفية يومية صدرت في بطرسبورغ من تشرين الثاني (نوفمبر) الى كانون الاول (ديسمبر) ١٩٠٥ - ص ١١٥
- ٥٦ - «فولنا» («الموجة») - جريدة بلشفية يومية صدرت بصورة شرعية في بطرسبورغ من نيسان (ابريل) الى حزيران (يونيو) ١٩٠٦
- «ايغو» («الصدى») - جريدة يومية بلشفية شرعية صدرت في بطرسبورغ في تموز (يوليو) ١٩٠٦ - ص ١١٥
- ٥٧ - «نارودنايا دوما» («الدوما الشعبي») - جريدة منشفية يومية صدرت في بطرسبورغ في آذار ونيسان (مارس وابريل) ١٩٠٧ - ص ١١٥
- ٥٨ - جوبيتر ومينرفا - الهان من البانتيون الروماني القديم جوبيتر، اله السماء والنور والمطر والرعد، اي الاله الاسمى. مينرفا، الهة الحرب وحامية الحرف والعلوم والفنون تقول الاسطورة ان مينرفا ولدت بكامل سلاحها من رأس جوبيتر. - ص ١١٦
- ٥٩ - راجعوا عن «الاقتصادية» ص ص ١١٢-١١٣ من هذا المجلد. - ص ١١٨
- ٦٠ - المقصود هنا المجلة الشرعية البلشفية «بروسفيشينييه» («التثقيف») صدرت في بطرسبورغ من كانون الاول (ديسمبر) ١٩١١ الى حزيران (يونيو) ١٩١٤ - ص ١١٨
- ٦١ - «بوربا» («النضال») - مجلة تروتسكي صدرت في بطرسبورغ من شباط (فبراير) الى تموز (يوليو) ١٩١٤ - ص ١١٨
- ٦٢ - «سيفيرنايا رابوتشايا غازيتا» («جريدة العمال في الشمال») - جريدة يومية للمناشقة-التصفيين صدرت في بطرسبورغ من كانون الثاني (يناير) الى ايار (مايو) ١٩١٤ - ص ١١٩

٦٢- مؤتمر ستوكهولم - انعقد المؤتمر الرابع (التوحيدي) ح ع ا در من ١ الى ٢٥ نيسان - ابريل (٢٣ نيسان - ٨ ايار - مايو) ١٩٠٦ كانت الاغلبية في المؤتمر للمناشفة ، لان المنظمات الحزبية البلشفية التي ترأست كفاح الجماهير المسلح في عام ١٩٠٥ كانت قد سحقت ، ولم تستطع ان ترسل مندوبين عنها وهذا ما حدد سلفاً طابع قرارات المؤتمر فقد اتخذت قرارات منشفية في اغلبية المسائل التي ناقشها المؤتمر

في المؤتمر الخامس (مؤتمر لندن) ح ع ا در (عام ١٩٠٧) ، نال البلاشفة الاغلبية وتوصلوا الى انتصار الخط الماركسي الثوري اتخذ المؤتمر في جميع المسائل الاساسية قرارات بلشفية استخلصت قرارات المؤتمر رصيد انتصار البلشفية على الجناح الانتهازي ، المنشفي ، في الحزب في مرحلة الثورة البرجوازية الديمقراطية وايد المؤتمر التكتيك البلشفي بوصفه التكتيك الوحيد لاجل الحزب كله . - ص ١٢٠

٦٤- في كانون الثاني (يناير) ١٩١٢ ، انعقد في براغ كونفيرنس (مجلس عام) لعامة روسيا ؛ وفيه تشكل حزب البلاشفة رسمياً وتنظيماً كحزب مستقل طرد كونفيرنس براغ المناشفة-التصفويين من الحزب . - ص ١٢٠

٦٥- البرافديون - اي البلاشفة الذين كانت جريدة «البرافدا» لسان حالهم . - ص ١٢١

٦٦- الشعبيون اليساريون - المقصود بهم حزب الاشتراكيين-الثوريين - ص ١٢١

٦٧- مجموعة «فبريود» (والى الامام) - الفبريوديون - فرقة معادية للحزب تشكلت عام ١٩٠٩ وكانت لها صحيفة بالاسم نفسه - «فبريود» صدرت في جنيف في عامي ١٩١٠ و ١٩١١ بعد كونفيرنس براغ (١٩١٢) ، اتحد الفبريوديون مع المناشفة-التصفويين ومع

التروتسكيين في النضال ضد قرارات الكونفيرنس لم تلق فرقة «فبريود» اي سند في الحركة العمالية فانحلت عملياً في فترة ١٩١٣ و ١٩١٤
 في معرض الكلام عن فرقتي «فبريود» يقصد لينين الخلافات وصراع التيارات في داخل الفرقة . - ص ١٢٢

٦٨ - **البلاشفة - الحزبيون** - مصالحو كانوا يميلون الى التصفويين
المناشفة - الحزبيون - بعد هزيمة ثورة ١٩٠٥ وقفوا برئاسة بليخانوف ، في سنوات الرجعية ، ضد التصفويين زاد انصار بليخانوف عن مواقع المنشفية ، ولكنهم طالبوا في الوقت نفسه بالحفاظ على التنظيم الحزبي اللاشعري وبتوطيده وتقويته ، واقدموا لهذا الغرض على الدخول في كتلة مع البلاشفة في اواخر ١٩١١ فسح بليخانوف عرى الكتلة مع البلاشفة وبذريعة النضال ضد «التكتيلية» وضد الانشقاق في ح ع ادر ، حاول ان يصلح البلاشفة مع الانتهازيين في عام ١٩١٢ ، وقف البليخانوفيون مع التروتسكيين والبونديين والتصفويين ضد قرارات كونفيرنس براغ ح ع ادر . - ص ١٢٢

٦٩ - **نظريات ماخ** (- النزعة الماخية-) - تيار فلسفي مثالي ذاتي رجعي لقي واسع الانتشار في اوربا الغربية في اواخر القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين كان الفيزيائي والفيلسوف النمساوي ماخ والفيلسوف الالماني افيناريوس مؤسسي هذا التيار في روسيا ، تاجر قسم من المثقفين الاشتراكيين - الديموقراطيين بالماخية في سنوات الرجعية ، بعد هزيمة ثورة ١٩٠٥ - ١٩٠٧ واقدم الماخيون الروس ، في معرض حديثهم عن تطوير الماركسية ، على اعادة النظر في اسس الفلسفة الماركسية ، وعلى تحريفها وحاول احد زعماء فرقة «فبريود» - وهو بوغدانوف - ان يبن نظاماً فلسفياً خاصاً به - «الاحادية التجريبية» - وهو ضرب من الفلسفة الماخية انتقد لينين «الاحادية التجريبية» انتقاداً ماحقاً في مؤلفه «المادية والمذهب النقدي التجريبي» . - ص ١٢٣ .

٧٠- «ناشا زاريا» («فجرنا») - مجلة شرعية شهرية للمناشفة التصفويين صدرت في بطرسبورغ من كانون الثاني (يناير) ١٩١٠ الى ايلول (سبتمبر) ١٩١٤ حول «ناشا زاريا» ، نشأ مركز التصفويين في روسيا .- ص ١٢٧

٧١- نوزدريف - اقطاعي محب للخصام والاحتيال ، وهو احد ابطال رواية «النفوس الميتة» للكاتب الروسي نيقولاى غوغول **يودوشكا غولوفليف** بطل رواية الكاتب الهجائي الساخر الروسي سالتيكوف - شدرين «السادة آل غولوفليف» ، وهو اقطاعي ملقب «يودوشكا» (من اسم يودا - او يهوذا - وهو في الدين المسيحي ، احد رسل يسوع المسيح ، وقد خانته وسلمه للاعداء) بسبب نفاقه وريائه وقساوة قلبه اصبح اسما نوزدريف ويودوشكا غولوفليف اسمي نكرة .- ص ١٢٨

٧٢- بموجب القانون الانتخابي الصادر في ١١ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٠٥ ، جرت الانتخابات الى دوما الدولة حسب مختلف جماعات السكان المقسمة الى كوريات (فئات او مراتب) انتخابية (كورية ملاكي الاراضي ، كورية المدن ، كورية الفلاحين ، كورية العمال) ؛ لم تكن الانتخابات مباشرة . وكان من يملكون حق الانتخاب ينتخبون منتخبين (و مندوبين) خصوصيين في كل كورية على حدة ؛ ومن قوام هؤلاء المنتخبين ففدل كان يمكن انتخاب نواب دوما الدولة خفض اقانون الانتخابى الصادر في ٣ حزيران (يونيو) ١٩٠٧ والمرتبط باسم ستوليبين زهاء نصف عدد المنتخبين العمال فوق ما هو عليه من دلة ؛ كما خصص لكورية العمال ٦ محافظات فقط وسمح لها بارسال نائب واحد عن كل محافظة الى الدوما .- ص ١٢٨

٧٣- «لوتشى» («الشعاع») - جريدة شرعية يومية للمناشفة-التصفويين صدرت في بطرسبورغ من ايلول (سبتمبر) ١٩١٢ الى تموز (يوليو) ١٩١٣ . عاشت اساساً على تبرعات الليبيراليين .- ص ١٢٩ .

٧٤ - «Vorwärts» («فورفارتس» - «الى الامام») - جريدة يومية لسان الحال المركزي للحزب الاشتراكي-الديموقراطي الالمانى صدرت في برلين من عام ١٨٩١ الى عام ١٩٣٣
كان انجلس يناضل على صفحات «Vorwärts» ضد الانتهازية بكل صورها ومظاهرها . وبعد وفاته ، اي منذ النصف الثاني من العقد العاشر من القرن التاسع عشر ، وقعت «Vorwärts» في يد الجناح اليميني في الحزب ونشرت مقالات الانتهازيين بانتظام . - ص ١٣٠

٧٥ - راجعوا الملاحظة رقم ٢٢ . - ص ١٣١

٧٦ - **جماعة السبعة** - النواب المناشفة في الكتلة الاشتراكية-الديموقراطية في دوما الدولة الرابع راجعوا الملاحظة رقم ٧٨ - ص ١٣١

٧٧ - «بوت برفادي» («طريق الحقيقة») - احد اسماء جريدة «البرافدا» البلشفية . - ص ١٣٢

٧٨ - **الكتلة الاشتراكية-الديموقراطية في دوما الدولة الرابع** كانت تتألف من ٦ نواب بلاشفة و ٧ نواب مناشفة من المراكز الصناعية الستة الاساسية التي كانت تضم اربعة اخماس العمال في روسيا ، انتخب الى الدوما نواب بلاشفة وانتخب النواب المناشفة عن المحافظات غير الصناعية . في بداية عمل الدوما ، كانت الكتلة الاشتراكية-الديموقراطية واحدة ، مشتركة ؛ ولكن النواب البلاشفة ناضلوا داخل الكتلة على الدوام ضد السبعة المناشفة الذين كانوا يعرقلون عمل البلاشفة الثوري .

في تشرين الاول (اكتوبر) ١٩١٣ ، تقدم النواب البلاشفة من النواب المناشفة بمطلب انداري بمساواة «الستة» و «السبعة» لدن حل جميع المسائل في الكتلة الاشتراكية-الديموقراطية في الدوما . ولكن «السبعة» رفضوا في جوابهم الرسمي الاعتراف بالمساواة مع «الستة» فوجه النواب البلاشفة آنذاك ندائن «الى جميع العمال» عرضوا فيهما تاريخ الانشقاق ودعوا العمال الى دعم النواب

البلاشفة «الستة» ورداً على «السبعة» ، اعلن النواب البلاشفة عن تشكيلهم في كتلة مستقلة ، ولكنهم عرضوا مع ذلك التكلم بصورة مشتركة من منبر الدوما

اشرف لينين على كل نضال «الستة» من اجل وجودهم المستقل المتميز في الدوما وقد اوصى ايضا باسم خاص لاجل تمييز الكتلة البلشفية - هو «كتلة العمال الاشتراكية-الديموقراطية في روسيا»

حرك الصراع بين «الستة» و «السبعة» جماهير العمال على نطاق واسع ولاسيما في بطرسبورغ وقد جرت في اجتماعات العمال احاديث ومناقشات في مسألة احوال الكتلة الاشتراكية-الديموقراطية في الدوما وقد بينت هذه الاجتماعات ان العمال يتعاطفون مع البلاشفة . - ص ١٣٣

٧٩ - اتخذ المكتب الاشتراكي العالمي اثناء الدورة التي عقدها في ١٣ و ١٤ كانون الاول (ديسمبر) ١٩١٣ في لندن قراراً عهد به الى اللجنة التنفيذية للمكتب الاشتراكي العالمي بعقد مداولة لممثلي «جميع كتل الحركة العمالية في روسيا ، بما فيها كتلة بولونيا الروسية ، التي تقر ببرنامج الحزب او التي تتطابق برامجها مع برنامج الاشتراكية-الديموقراطية ، لاجل تبادل الآراء (Aussprache) في المسائل التي تفرّق بينها» تعليلاً لهذا القرار ، قال كاوتسكي في كلمة القاها في ١٤ كانون الاول ان الحزب الاشتراكي-الديموقراطي القديم في روسيا قد مات ومن الضروري بعثه بالاعتماد على طموح العمال الروس الى الوحدة وقد كشف لينين في مقالته «قرار جيد وكلمة رديئة» مضمون القرار واعتبر كلمة كاوتسكي فظيعة . - ص ١٣٦

٨٠ - راجعوا الملاحظة رقم ٣٦ . - ١٣٦

٨١ - دوما بوليغين - هيئة استشارية كانت الحكومة القيصرية تصمم لعقدها في آب (اغسطس) ١٩٠٥ .

وقد اسمي بدوما «بوليفين» باسم وزير الداخلية بوليفين الذي أعد مشروع القانون بعقده . لم يكن يحق للدوما سن القوانين ، ولم يكن يحق لغير الملاكين العقاريين ، والرأسماليين ، وقلّة من الفلاحين الاغنياء ان يكونوا ناخبين
لم تجر الانتخابات الى دوما بوليفين فقد كنسه تعاطف نهوض الثورة والاضراب السياسي في تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٠٥
ص ١٣٩

٨٢ - **الاكتوبريون** - اعضاء حزب «اتحاد ١٧ اكتوبر» الذي تشكل في روسيا بعد نشر بيان القيصر في ١٧ اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٠٥ الذي وعد باطلاق الحريات الدستورية في روسيا
كان الحزب حزباً معادياً للثورة ، يمثل ويحمي مصالح البرجوازية الكبيرة والملاكين العقاريين الذين يسرون استثماراتهم بالطريقة الرأسمالية دعم الاكتوبريون كليا سياسة الحكومة ،
الداخلية والخارجية . - ص ١٤١

٨٣ - **الزمن الغامض** - هكذا اسميت مرحلة حرب الفلاحين بقيادة بولوتنيكوف وكفاح الشعب الروسي ضد التدخل البولوني والاسوجي في القرن السابع عشر . - ص ١٤٢

٨٤ - كان كنه النظرية التي تقدم بها تروتسكي - نظرية «الثورة المستمرة» - يتلخص في انكار الفكرة اللينينية القائلة بزعامة البروليتاريا في الثورة ، في انكار دور الفلاحين الثوري بوصفهم حلفاء البروليتاريا ، في السعي الى البرهنة على استحالة انتصار الاشتراكية في بلد واحد بمفرده . - ص ١٤٢

٨٥ - «Neue Zeit» («نوي زايث» - «الازمنة الحديثة») - مجلة نظرية للحزب الاشتراكي-الديموقراطي الالمانى صدرت في شتوتغارت من عام ١٨٨٣ الى عام ١٩٢٣ . - ص ١٤٧ .

٨٦ - «ناوتشنايا ميسل» («الفكر العلمي») - مجلة منشفية الاتجاه
صدرت في ريغا في عام ١٩٠٨ . - ١٤٧

٨٧ - «Przegląd Socjaldemokratyczny» («المجلة الاشتراكية» -
الديموقراطية») - مجلة اصدرها الاشتراكيون-الديموقراطيون
البولونيون بمشاركة روزا لوكسمبورغ مشاركة كبيرة جداً ، وذلك
في كراكوفيا من عام ١٩٠٢ الى عام ١٩٠٤ ومن عام ١٩٠٨ الى
عام ١٩١٠ . - ص ١٤٨

٨٨ - «روسكايا ميسل» («الفكر الروسي») - مجلة ادبية سياسية شهرية
صدرت في موسكو من عام ١٨٨٠ الى عام ١٩١٨ قبل عام ١٩٠٥ ،
ذات اتجاه ليبرالي شعبي بعد ثورة ١٩٠٥ ، لسان حال الجناح
اليمني في حزب الكاديت . - ص ١٥٧

٨٩ - راجعوا الملاحظة رقم ٣٣ . - ص ١٦١

٩٠ - مجلس النبلاء المتحدين - منظمة معادية للثورة تمثل الاقطاعيين
الملاكين العقاريين ؛ دامت من ايار (مايو) ١٩٠٦ الى تشرين الاول
(اكتوبر) ١٩١٧ . - ص ١٧١

٩١ - في ٣ (١٦) حزيران (يونيو) ١٩٠٧ ، صدر مرسوم القيصر بحل
دوما الدولة الثاني وبالتعديلات في قانون الانتخابات (وهذا ما اسمي
بانقلاب ٣ حزيران)

زاد القانون الجديد كثيراً معدل تمثيل الملاكين العقاريين
والبرجوازية التجارية والصناعية ، وخفض كثيراً جداً عدد ممثلي
العمال والفلاحين فوق ما هو عليه من قلة وكان ذلك انتهاكاً فظاً
لبيان ١٧ اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٠٥ وللقانون الاساسي الصادر
في عام ١٩٠٦ الذي كان ينص على انه لا يحق للحكومة ان تسن
القوانين بدون موافقة دوما الدولة . - ص ١٧١ .

٩٢ - راجعوا الملاحظة رقم ٨٢ . - ص ١٧١ .

٩٣- **التقدميون** - كتلة سياسية للبرجوازية الملكية الليبرالية الروسية ، تشكلت في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٢ في حزب يتبنى البرنامج التالي دستور مقيد ، وزارة مسؤولة امام الدوما ، مكافحة الحركة الثورية . - ص ١٧١

٩٤- **«ويتش»** (والكلام) - جريدة يومية لسان الحال المركزي لحزب الكاديت صدرت في بطرسبورغ من عام ١٩٠٦ الى تشرين الاول (اكتوبر) ١٩١٧ . - ص ١٧١

٩٥- المقصود هنا **مؤتمر الطلاب الثاني لعامة اوكرانيا** الذي انعقد في لفوف من ١٩ الى ٢٢ حزيران - يونيو (٢ - ٥ تموز - يوليو) ١٩١٣ تقرر موعد انعقاد المؤتمر بحيث يصادف موعد الاحتفالات بيوبيل ايفان فرنكو ، الكاتب والعالم والشخصية الاجتماعية والديموقراطي الثوري الاوكراني .

اشترك في اعمال المؤتمر ممثلو الطلاب الاوكرانيين في روسيا ايضا القى الاشتراكي-الديموقراطي الاوكراني دونتسوف تقريراً عنوانه **«الشبيبة الاوكرانية ووضع الامة الراهن»** ودافع فيه عن شعار اوكرانيا **«المستقلة»** . - ص ١٧٢

٩٦- **«رابوتشايا برافدا»** (حقيقة العمال) - احد اسماء الجريدة البلشفية **«البرافدا»** . - ص ١٧٢

٩٧- **«شلياخبي»** (والسبل) - لسان حال اتحاد الطلاب الاوكرانيين ؛ صحيفة ذات اتجاه قومي تعصبي صدرت في لفوف من نيسان (ابريل) ١٩١٣ الى آذار (مارس) ١٩١٤ . - ص ١٧٢

٩٨- **«بروليتارسكايا برافدا»** (الحقيقة البروليتارية) - احد اسماء الجريدة البلشفية **«البرافدا»** . - ص ١٧٣

٩٩- **«نوفويه فريهيا»** (الازمنة الحديثة) - جريدة يومية صدرت في بطرسبورغ من عام ١٨٦٨ الى عام ١٩١٧ كانت ملكاً لمختلف الناشرين ، وغُيّرت مرارا اتجاهها السياسي . ابتداء من عام ١٩٠٥ ،

لسان حال المائة السود

«زيمشيينا» - جريدة يومية للمائة السود صدرت في
بترسبورغ من عام ١٩٠٧ الى عام ١٩١٧ لسان حال النواب
اليمنيين المتطرفين في دوما الدولة . - ص ١٧٥

١٠٠ - يورد لينين تعبيراً من مقالة الكاتب الروسي اوسبنسكي «الكشك»
- ص ١٧٦

١٠١ - «كيفسكايا ميسل» (فكر كييف) - جريدة يومية ذات اتجاه
برجوازي ديموقراطي صدرت في كييف من عام ١٩٠٦ الى عام
١٩١٨ . - ص ١٧٧

١٠٢ - يورد لينين تعبيراً من مسرحية الكاتب غريبودوف الهزلية «ومن
الذكاء ماقتل» . - ص ١٨١

١٠٣ - «نابشود» («Naprzod» - «الى الامام») - جريدة لسان الحال
المركزي للحزب الاشتراكي-الديموقراطي في غاليسيا وسيليزيا
صدرت في كراكوفيا ابتداء من عام ١٨٩٢ اعربت الجريدة عن
الايديولوجية البرجوازية الصغيرة المفعمة بروح التعصب القومي
- ص ١٨٤

١٠٤ - راجعوا الملاحظة رقم ٣٦ . - ص ١٨٥

١٠٥ - يقصد لينين انتفاضة التحرر الوطني التي قامت في بولونيا في سنتي
١٨٦٣ و ١٨٦٤ ضد نير الاوتوقراطية القيصرية . - ص ١٩٤

١٠٦ - يقصد لينين ذكريات لبيكنخت عن كارل ماركس . - ص ١٩٧

١٠٧ - «الشارتية» . اول حركة جماهيرية في التاريخ للطبقة العاملة في بريطانيا
في العقدين الرابع والخامس من القرن التاسع عشر نشر المشتركون
في الحركة شرعة (ميثاقا) شعبية (بالانجليزية Charter - مشارتر -
ومن هنا اسم «الشارتيون») ، وناضلوا من اجل تحقيق مطلب الحق

الانتخابي العام الوارد فيها ومن اجل الغاء شرط امتلاك قدر معين من الارض لكي يحق للمواطن ان يكون نائبا في البرلمان ، والخ خلال سنوات عديدة ، جرت في عموم البلاد اجتماعات ومظاهرات حاشدة اشترك فيها ملايين العمال والحرفيين

رفض البرلمان البريطاني المصادقة على الشرعة الشعبية ورد جميع عرائض الشارتيين وانقضت الحكومة على الشارتيين باعمال القمع القاسي واعتقلت زعماءهم ، وقمعت الحركة ، ولكن تأثير الشارتية في تطور الحركة العمالية لاحقا كان كبيرا جداً -
ص ١٩٧

١٠٨ - ((التايمس)) "The Times" - «الوقت» - جريدة يومية تأسست عام ١٧٨٥ في لندن من كبريات الجرائد المحافظة التابعة للبرجوازية البريطانية . - ص ٢٠٠

١٠٩ - الفينيائية (من كلمة فيني) الفينيون - اعضاء منظمة ثورية ارلندية سرية استشارت انتفاضة في عام ١٨٦٧ بقصد الاطاحة بالسيطرة الانجليزية في ارلنده . - ص ٢٠٠

١١٠ - التوري - Tory - حزب سياسي انبثق في انجلترا في العقدين الثامن والتاسع من القرن السابع عشر ، الى جانب حزب الهويغ (Whig) (فيما بعد ، الحزب الليبرالي او حزب الاحرار) ، احد الحزبين الانجليزيين اللذين كانا يتعاقبان في الحكم اعرب عن مصالح اريستقراطية الزراعية وكبار رجال الدين في اواسط القرن التاسع عشر انشى حزب المحافظين على اساس حزب التوري - ص ٢٠٢

١١١ - ((نيويورك تريبون)) ("The New-York Daily Tribune") (وذى نيويورك ديلي تريبيون) - «منبر نيويورك اليومي» - جريدة اميركية صدرت من عام ١٨٤١ الى عام ١٩٢٤ حتى اواسط الخمسينيات ، كانت لسان حال جناح الهويغيين الاميركيين ، ثم لسان حال الحزب الجمهوري . - ص ٢٠٣

- ١١٢ - يستشهد لينين بمقالة بليخانوف « مشروع برنامج الحزب الاشتراكي-الديموقراطي في روسيا » المنشورة في العدد ٤ من « يا (الفجر) » لعام ١٩٠٢
- «(زاريا)» - مجلة علمية سياسية ماركسية اصدرتها هيئة تحرير جريدة «الايسكرا» بصورة شرعية في عامي ١٩٠١ - ١٩٠٢ في شتوتغارت . - ص ٢٠٧
- ١١٣ - تعبير مأخوذ من مقالات الكاتب الهجائي الساخر الروسي سالتيكوف-شدرين « في الخارج » . - ص ٢١٥
- ١١٤ - **البورساك** - تلامذة المدارس الدينية الذين يعيشون في مساكن جماعية (بورسات) كانت الحياة فيها تتميز بقساوة النظام ، والعقوبات الجسدية ، وفضاظة الاخلاق ؛ وقد وصفها الكاتب الروسي بوميالوفسكي في مؤلفه « لمحات عن البورسة » . - ص ٢١٥
- ١١٥ - يورد لينين كلمات من اغنية عسكرية في سياستوبول كان ليون تولستوي مؤلفها تتحدث الاغنية عن فشل عملية القوات الروسية عند نهر تشورنايا في ٤ آب (اغسطس) ١٨٥٥ ابان حرب القرم في هذه العملية كان الجنرال ريباد يقود فرقتين . - ص ٢١٨
- ١١٦ - كتب لينين مقالة «كارل ماركس (موجز عن تاريخ حياة كارل ماركس يتضمن عرضاً للماركسية)» من اجل قاموس غرانان الموسوعي ، الذي كان آنذاك اوسع المطبوعات شعبية في روسيا وفي مقدمة لطبعة هذه المقالة في كراس على حدة صدر في عام ١٩١٨ يشير لينين الى تاريخ كتابة المقالة حسبما وعته ذاكرته - عام ١٩١٣ اما في الواقع فقد شرع يكتب هذه المقالة في ربيع عام ١٩١٤
- صدرت مقالة «كارل ماركس» بنصها غير الكامل ، عام ١٩١٥ ، في المجلد ٢٨ من القاموس الموسوعي (الطبعة السابعة) بتوقيع ف ايلين ونظراً لوجود الرقابة ، لم تنشر هيئة تحرير القاموس بايين من المقالة هما «الاشتراكية» و«تكتيك نضال

البروليتاريا الطبقي» وادخلت عدداً من التعديلات على نص المقالة وفي آخر المقالة ، وردت ، بشكل ملحق ، «مكتبة الماركسية» في عام ١٩١٨ اصدرت دار «بريبوي» المقالة في كراس على حدة حسب نص القاموس الموسوعي ولكن بدون «مكتبة الماركسية» . وقد كتب لينين لهذه الطبعة مقدمة نشرها في هذا المجلد صدرت المقالة للمرة الاولى بنصها الكامل حسب مخطوطة لينين ، في عام ١٩٢٥ ، وذلك في مجموعة لينين «ماركس ، انجلس ، الماركسية» من اعداد معهد لينين لدى اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفييتي وفي هذا المجلد ، ترد المقالة بدون «مكتبة الماركسية» . - ص ٢٢٥

١١٧- **الهيغليون اليساريون او «الهيغليون الشباب»** - مثلثو الجناح اليساري من مدرسة هيغل ، وهو اتجاه مثالي في الفلسفة الالمانية في العقدين الرابع والخامس من القرن التاسع عشر . - ص ٢٢٦

١١٨- **انجلس . لودفيغ فورباخ ونهاية الفلسفة الالمانية الكلاسيكية** - ص ٢٢٧

١١٩- **المقصود هنا قائمة المراجع التي وضعها لينين لمقالة «كارل ماركس»** وهنا ، ترد المقالة بدون هذه القائمة . - ص ٢٢٧

١٢٠- **المقصود هنا مقالة كارل ماركس «تبرئة مراسل الموزيل»** ص ٢٢٧

١٢١- **كارل ماركس «مساهمة في نقد فلسفة الحق عند هيغل المقدمة»** - ص ٢٢٨

١٢٢- **المقصود هنا الثورة البرجوازية في فرنسا في شباط (فبراير) ١٨٤٨** - ص ٢٢٩

١٢٣- **المقصود هنا الثورة البرجوازية في المانيا والنمسا التي بدأت في آذار (مارس) ١٨٤٨ . - ص ٢٢٩ .**

١٢٤ - المقصود هنا المظاهرة الشعبية التي نظمها في باريس حزب البرجوازية الصغيرة («الجل») احتجاجاً على انتهاك الرئيس واغلبية الجمعية التشريعية للاوضاع الدستورية التي ادخلتها ثورة عام ١٨٤٨
فرقت الحكومة المظاهرة . - ص ٢٢٩

١٢٥ - يقصد لينين رسالة كارل ماركس الهجائية «السيد فوغت» التي ظهرت جواباً على الكراس الافتراضي للعميل البونابرتي كارل فوغت
«دعواي على «Allgemeine Zeitung»» - ص ٢٣٠

١٢٦ - المقصود هنا «البيان التأسيسي لجمعية الشفيلة العالمية» . -
ص ٢٣٠

١٢٧ - كومونة باريس عام ١٨٧١ - اول محاولة في التاريخ لاقامة ديكتاتورية البروليتاريا ؛ اول حكومة ثورية للطبقة العاملة انشأتها الثورة البروليتارية في باريس دامت الكومونة ٧٢ يوماً - من ١٨ آذار (مارس) الى ٢٨ ايار (مايو) ١٨٧١ . - ص ٢٤١

١٢٨ - الباكوثينيون - انصار تيار اسمي باسم ميخائيل باكوئين ، ايدولوجي الفوضوية ناضل الباكوثينيون باصرار وعناد ضد النظرية الماركسية والتكتيك الماركسي للحركة العمالية تميزت الباكوثينية بانكار الدولة ، كل دولة ، بما في ذلك ديكتاتورية البروليتاريا ، وبعدم فهم دور البروليتاريا العالمي التاريخي .
وباعتقاد الباكوثينيين انه كان ينبغي لجمعية ثورية سرية تتألف من الشخصيات «البارزة» ان تقود فتناً شعبية كان تكتيكهم القائم على المؤامرات والارهاب تكتيكا مغامراً ومعادياً للمذهب الماركسي في الانتفاضة

تسرب باكوئين الى الاممية الاولى ووضع نصب عينيه مهمة الاستيلاء على المجلس العام للاممية ، وناضل ضد ماركس طرد باكوئين من الاممية الاولى في مؤتمر لاهاي عام ١٨٧٢
بسبب نشاطه التشويشي . - ص ٢٣١ .

- ١٢٩ - انجلس « لودفيغ فورباخ ونهاية الفلسفة الالمانية الكلاسيكية »
- ص ٢٣٤
- ١٣٠ - انجلس « ضد دوهرينغ » . - ص ٢٣٦ .
- ١٣١ - انجلس « لودفيغ فورباخ ونهاية الفلسفة الالمانية الكلاسيكية » . -
ص ٢٣٧
- ١٣٢ - انجلس « ضد دوهرينغ » . - ص ٢٣٧
- ١٣٣ - انجلس (لودفيغ فورباخ ونهاية الفلسفة الالمانية الكلاسيكية)
- ص ٢٣٨
- ١٣٤ - ماركس « رأس المال » المجلد الاول (الفصل الثالث عشر « الآلات
والصناعة الكبيرة » الباب الاول تطور الآلات) . - ص ٢٣٨
- ١٣٥ - عهد عودة الملكية - عهد العودة - فترة في تاريخ فرنسا
تمتد من سنة ١٨١٤ حتى سنة ١٨٣٠ عادت خلالها سلطة الدولة
الى اسرة بوربون الملكية بعد ان اسقطتها الثورة البرجوازية
الفرنسية في سنة ١٧٩٢ . - ص ٢٤٢
- ١٣٦ - ماركس « رأس المال » المجلد الاول (الفصل الاول البضاعة
الباب الرابع الصنمية البضاعية وسرها) . - ص ٢٤٥
- ١٣٧ - ماركس « مساهمة في نقد الاقتصاد السياسي » (الفصل الاون
البضاعة) . - ص ٢٤٥
- ١٣٨ - ماركس « رأس المال » المجلد الاول (الفصل الرابع تحول النقد
الى رأسمال الباب الثالث شراء وبيع قوة العمل) . - ص ٢٤٦
- ١٣٩ - ماركس « رأس المال » المجلد الاول (الفصل الرابع تحول النقد
الى رأسمال . الباب الثالث . شراء وبيع قوة العمل) . - ص ٢٤٦ .

- ١٤٠ - ماركس « رأس المال » المجلد الاول (الفصل الرابع والعشرون ما يسمى بالتراكم البدائي الباب السابع الاتجاه التاريخي للتراكم الرأسمالي) . - ص ٢٥٠
- ١٤١ - ماركس « رأس المال » المجلد الثالث (الفصل السابع عشر اصل الربح العقاري الرأسمالي الباب الرابع الربح النقدي) . - ص ٢٥٥
- ١٤٢ - ماركس « رأس المال » المجلد الاول (الفصل الرابع والعشرون ما يسمى بالتراكم البدائي الباب الخامس تأثير الثورة الزراعية المعاكس على الصناعة) . - ص ٢٥٥
- ١٤٣ - ماركس « رأس المال » المجلد الاول (الفصل الثالث والعشرون القانون العام للتراكم الرأسمالي . الباب الرابع مختلف اشكال وجود فيض السكان النسبي) . - ص ٢٥٥
- ١٤٤ - ماركس « النضال الطبقي في فرنسا من ١٨٤٨ الى ١٨٥٠ » . - ص ٢٥٦
- ١٤٥ - ماركس « الثامن عشر من برومير لويس بوناپرت » . - ص ٢٥٦
- ١٤٦ - ماركس « النضال الطبقي في فرنسا من ١٨٤٨ الى ١٨٥٠ » . - ص ٢٥٦
- ١٤٧ - ماركس « رأس المال » المجلد الثالث (الفصل السابع والاربعون اصل الربح العقاري الرأسمالي الباب الخامس الاستثمار بالمحاصصة والملكية الفلاحية الصغيرة) . - ص ٢٥٧
- ١٤٨ - انجلس « المسألة الزراعية في فرنسا والمانيا » . - ص ٢٦١
- ١٤٩ - رسالة ماركس الى انجلس بتاريخ ٩ نيسان (ابريل) ١٨٦٣ . - ص ٢٦٢ .

- ١٥٠ - رسالة انجلس الى ماركس بتاريخ ٥ شباط (فبراير) ١٨٥١ . -
ص ٢٦٤
- ١٥١ - رسالة انجلس الى ماركس بتاريخ ١٧ كانون الاول (ديسمبر)
١٨٥٧ . - ص ٢٦٤
- ١٥٢ - رسالة انجلس الى ماركس بتاريخ ٧ تشرين الاول (اكتوبر)
١٨٥٧ . - ص ٢٦٤
- ١٥٣ - رسالة انجلس الى ماركس بتاريخ ٨ نيسان (ابريل) ١٨٦٣ . -
ص ٢٦٤
- ١٥٤ - رسالة ماركس الى انجلس بتاريخ ٩ نيسان (ابريل) ١٨٦٣ . -
ص ٢٦٤
- ١٥٥ - رسالة ماركس الى انجلس بتاريخ ٢ نيسان ١٨٥٦ . - ص ٢٦٤
- ١٥٦ - راجعوا رسالة انجلس الى ماركس بتاريخ ١٩ تشرين الثاني (نوفمبر)
١٨٦٩ . - ص ٢٦٤
- ١٥٧ - رسالة انجلس الى ماركس بتاريخ ١١ آب (اغسطس) ١٨٨١ . -
ص ٢٦٤
- ١٥٨ - المقصود هنا الانتفاضة التحررية الوطنية ، الديمقراطية في جمهورية
كراكوفيا الخاضعة منذ عام ١٨١٥ لمراقبة مشتركة من جانب
النمسا وبروسيا وروسيا اثناء الانتفاضة ، أَلَف الثوار حكومة
وطنية اصدرت بيانا بالغاء الاتوات الاقطاعية ووعدت بتسليم
الفلاحين الاراضي على سبيل الملكية بدون تعويض وفي نداءات
اخرى ، اعلنت الحكومة عن تأسيس المشاغل الوطنية وعن زيادة
الاجور فيها ، وعن اقرار المساواة بين المواطنين ولكن سرعان ما
تم قمع الانتفاضة . - ص ٢٦٥ .

- ١٥٩ - ماركس «البرجوازية والثورة المضادة» . - ص ٢٦٥
- ١٦٠ - رسالة ماركس الى انجلس بتاريخ ١٦ نيسان (ابريل) ١٨٥٦ . -
ص ٢٦٦
- ١٦١ - **اليونكر** - كبار ملاكي الاراضي في بروسيا من مرتبة النبلاء العليا . -
ص ٢٦٦
- ١٦٢ - المقصود هنا كومونة باريس سنة ١٨٧١ . - ص ٢٦٧
- و٢٤ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٨٦٣ ، و٤ ايلول (سبتمبر) ١٨٦٤ ،
و٢٧ كانون الثاني (يناير) ١٨٦٥ ، و٢٢ تشرين الاول (اكتوبر)
١٨٦٧ ، و٦ كانون الاول (ديسمبر) ١٨٦٧ ؛ ورسائل ماركس الى
انجلس بتاريخ ١٢ حزيران (يونيو) ١٨٦٣ ، و١٠ كانون الاول
١٨٦٤ ، و٣ شباط (فبراير) ١٨٦٥ ، و١٧ كانون الاول
١٨٦٧ . - ص ٢٦٧
- ١٦٣ - المقصود هنا كومونة باريس سنة ١٨٧١ . - ص ٢٦٧
- ١٦٤ - **القانون الاستثنائي ضد الاشتراكيين** . سنته في المانيا حكومة بيسمارك
في عام ١٨٧٨ بقصد مكافحة الحركة العمالية والاشتراكية بموجب
هذا القانون ، منعت جميع منظمات الحزب الاشتراكي-الديموقراطي ،
ومنظمات العمال الجماهيرية ، والصحافة العمالية ، وصودرت
المطبوعات الاشتراكية ، وتعرض الاشتراكيون-الديموقراطيون
للملاحقات والنفي في عام ١٨٩٠ ، الفى القانون الاستثنائي ضد
الاشتراكيين تحت ضغط الحركة العمالية الجماهيرية المتعاضمة
باستمرار . - ص ٢٦٧
- ١٦٥ - رسائل ماركس الى انجلس بتاريخ ٢٣ حزيران (يونيو) ١٨٧٧ ،
واول آب (اغسطس) ١٨٧٧ ، و١٠ ايلول (سبتمبر) ١٨٧٩ ؛
ورسالتا انجلس الى ماركس بتاريخ ٢٠ آب ١٨٧٩ و٩ ايلول
(سبتمبر) ١٨٩٧ . - ص ٢٦٧ .

١٦٦ - هذه الوثيقة التي دخلت التاريخ تحت اسم «موضوعات عن الحرب» كانت اول وثيقة تحدد موقف الحزب البلشفي والاشتراكية-الديموقراطية الثورية العالمية من الحرب الامبريالية العالمية كتب لينين هذه الموضوعات في مطلع ايلول (سبتمبر) ١٩١٤ . ص ٢٦٨

١٦٧ - في ٤ آب (اغسطس) ١٩١٤ ، صوتت الكتلة الاشتراكية-الديموقراطية في الريخستاغ مع ممثلي البرجوازية بالموافقة على منح الحكومة الالمانية القيصرية قرصاً حربياً قدره ٥ مليارات ، مؤيدة بالتالي سياسة غليوم الثاني الامبريالية وقد اتضح فيما بعد ان الاشتراكيين-الديموقراطيين اليساريين كانوا لدن دراسة الكتلة الاشتراكية-الديموقراطية لهذه المسألة قبل جلسة الريخستاغ ، ضد الموافقة على منح الحكومة الاعتمادات الحربية ، ولكنهم خضعوا لقرار الاغلبية الانتهازية في الكتلة الاشتراكية-الديموقراطية وصوتوا بالموافقة على الاعتمادات الحربية . ص ٢٦٩

١٦٨ - في ٤ آب (اغسطس) ١٩١٤ ، صوت الاشتراكيون البلجيكيون في مجلس النواب بالاجماع بالموافقة على الاعتمادات الحربية واشترك زعيم الاشتراكيين البلجيكيين ورئيس المكتسب الاشتراكي العالمي للاممية الثانية فاندرفلده في الحكومة البلجيكية ، وشغل فيها منصب وزير العدلية

واتبع زعماء الحزب الاشتراكي الفرنسي الخط نفسه ففي ٤ آب (اغسطس) صوت الاشتراكيون بالاجماع في البرلمان بالموافقة على الاعتمادات الحربية ، وعلى منع الاضرابات والاجتماعات ، والخ . . وفي اواخر آب ، اشترك الاشتراكيان غيد وسامبا ، وبعد فترة وجيزة الاشتراكي توما في الحكومة الفرنسية الامبريالية . ص ٢٦٩

١٦٩ - «الدفاتر الاشتراكية الشهرية» «Sozialistische Monatshefte» («سويساليستيشه موناتسهيفته») - مجلة ، لسان الحال الرئيسي للانتهازيين الالمان ، واحدى صحف الانتهازية العالمية . صدرت في

برلين من عام ١٨٩٧ الى عام ١٩٣٣ . - ص ٢٧٠
- ص ٢٧٢

١٧٠ - **الحركة السلافية** - تيار سياسي رجعي سعى الى توحيد البلدان السلافية
برئاسة روسيا القيصرية وحاول ان يستغل لهذا الغرض نضال
السلافيين من اجل التحرر من النير التركي والنير النمساوي المجري
- ص ٢٧٢

١٧١ - انجلس « الادب المهجري » . - ص ٢٧٧

١٧٢ - **اللاساليون** انصار واتباع الاشتراكي البرجوازي الصغير الالمانى
لاسال ، اعضاء تحاد العمال الالمان العام الذي تأسس عام ١٨٦٣
كان لاسال اول رئيس للاتحاد وكان هو الذي صاغ برنامج الاتحاد
واسسه التكتيكية اعلن الاتحاد ان النضال في سبيل الحق الانتخابي
العام هو برنامجه السياسي ، وان انشاء جمعيات العمال الانتاجية التي
تمدها الدولة بالمعونات المالية هو برنامجه الاقتصادي تكيف
لاسال وانصاره في نشاطهم العملي لزعماء بروسيا ودعموا سياسة
بيسمارك المفعمة بروح الدولة الكبرى . - ص ٢٧٧

١٧٣ - في ١٠ (٢٣) شباط (فبراير) ١٩١٥ جرت محاكمة البلاشفة -
النواب في دوما الدولة الرابع (بادايف ، مورانوف ، بتروفسكي ،
صمويلوف ، شاغوف) وغيرهم من الاشتراكيين -الديموقراطيين ممن
اشتركوا في الكونفيرنس (المجلس العام) الحزبي السري في اوزيركي
وكانت التهمة ترتكز على المادة ١٠٢ (الاشترار في منظمة تستهدف
اسقاط نظام الحكم القائم) كانت موضوعات لينين « مهمات
الاشتراكية-الديموقراطية الثورية في الحرب الاوربية » (راجعوا هذا
المجلد ، ص ص ٢٧٠-٢٧٥) وبيان اللجنة المركزية ح ا د ر
« الحرب والاشتراكية-الديموقراطية في روسيا » ، المنشور في جريدة
« سوسيال-ديموقراط » ، التي اكتشفت عند النواب البلاشفة اثناء
تفتيشهم المادة الرئيسية في الاتهام الموجه ضدهم
حكم على النواب البلاشفة الخمسة جميعهم بالنفي والاقامة
المؤبدة في سيبيريا الشرقية . - ص ٢٨٠ .

١٧٤ - «دوين» («النهار») - جريدة برجوازية ليبرالية يومية صدرت في بطرسبورغ ابتداء من عام ١٩١٢ اشترك فيها المناشفة-التصفويون ، ثم انتقلت اليهم كلياً بعد ثورة شباط (فبراير) ١٩١٧ اغلقت اللجنة الثورية العسكرية لدى سوفييت بتروغراد الجريدة في ٢٦ تشرين الاول - اكتوبر (٨ تشرين الثاني - نوفمبر) ١٩١٧ . - ص ٢٨١

١٧٥ - «سوفريمينيك» («المعاصر») - مجلة سياسية شهرية صدرت في بطرسبورغ من عام ١٩١١ الى عام ١٩١٥ التف المناشفة-التصفويون ، والاشتراكيون-الثوريون ، والاشتراكيون الشعبويون ، والليبراليون اليساريون حول المجلة . - ص ٢٨٤

١٧٦ - اللجنة التنظيمية - مركز قيادي للمناشفة انشأه الكونفيرنس الذي عقده التصفويون في آب (اغسطس) ١٩١٢ - ص ٢٨٤

١٧٧ - «سوسيال-ديموقراط» - جريدة لاشرعية ، لسان الحال المركزي ح ع ا د ر ؛ صدرت من شباط (فبراير) ١٩٠٨ الى كانون الثاني (يناير) ١٩١٧ . - ص ٢٨٥

١٧٨ - المكتب الاشتراكي العالمي (م ع) - هيئة تنفيذية اعلامية دائمة للاممية الثانية ، كانت تضم ممثلي جميع الاحزاب الاشتراكية المنتسبة الى الاممية . - ص ٢٨٩

١٧٩ - «النشرة الاعلامية لمنظمة البوند في الخارج» - صدرت في جنيف من حزيران (يونيو) ١٩١١ الى حزيران ١٩١٦ صدر منها ١١ عدداً فقط

كانت «نشرة لجنة البوند في الخارج» امتداداً «لنشرة الاعلامية» . - ص ٢٨٩

١٨٠ - المؤتمر الاشتراكي العالمي في شتوتغارت (المؤتمر السابع للاممية الثانية) - انعقد من ١٨ الى ٢٤ آب (اغسطس) ١٩٠٧ بناء على اقتراح من لينين ، ادرجت في القرار الخاص بمسألة «العسكرية

والنزاعات الدولية» الموضوعة التالية «وإذا ما نشبت الحرب مع ذلك ، فانه يتعين عليهم (الطبقة العاملة في مختلف البلدان وممثلوها في البرلمانات - الناشر) ان يسعوا بجميع الوسائل الى استغلال الازمة الاقتصادية والسياسية الناجمة عن الحرب لاجل استشارة الجماهير والتعجيل بسقوط السيادة الطبقية الرأسمالية»

وفيما بعد ، وردت هذه الموضوعة في قرار مؤتمر بال الذي انعقد في ٢٤ و ٢٥ تشرين الثاني - نوفمبر (١٩١٢) . - ص ٢٩٠

١٨١ - المقصود هنا القرار الذي اتخذه في ٢٠ ايلول (سبتمبر) ١٩١٢ مؤتمر الاشتراكية-الديموقراطية الالمانية في خيمينز بصدد الامبريالية وموقف الاشتراكية من الحرب ندد القرار بالسياسة الامبريالية واكد على اهمية النضال من اجل السلام . - ص ٢٩١

١٨٢ - «ناشئه سلوفو» («كلمتنا») - جريدة منشفية صدرت في باريس في عامي ١٩١٥ و ١٩١٦ كان تروتسكي احد محرري الجريدة . - ص ٢٩٢

١٨٣ - المقصود هنا كراس دافيد - «Die Sozialdemokratie und Vaterlandsverteidigung» («الاشتراكية-الديموقراطية والدفاع عن الوطن») ، برلين ، عام ١٩١٥ . - ص ٢٩٢

١٨٤ - «انترناسيونال» («Die Internationale») - «الاممية» - مجلة «في مسائل تطبيق ونظرية الماركسية» ، أسستها روزا لوكسمبورغ مع فريدريك مهربنغ صدر العدد الاول من المجلة في عام ١٩١٥ استؤنف اصدار المجلة في عام ١٩١٨ بعد ثورة تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٨ . - ص ٢٩٤

١٨٥ - راجعوا ص ٣٠٩ عن الستروفية . - ص ٢٩٦

١٨٦ - «غولوس» («الصوت») - جريدة منشفية يومية صدرت في باريس من ايلول (سبتمبر) ١٩١٤ الى كانون الثاني (يناير) ١٩١٥ . لعب تروتسكي الدور القيادي في الجريدة . - ص ٣٠٣

١٨٧ - «جيزن» («الحياة») - جريدة حزب الاشتراكيين-الثوريين صدرت في عامي ١٩١٥ و ١٩١٦ اولا في باريس ثم في جنيف .- ص ٣٠٧.

١٨٨ - **البلانكية** - تيار في الحركة الاشتراكية الفرنسية ، ترأسه الثوري الفد والممثل البارز للشيوعية الطوبوية الفرنسية لويس اوغست بلانكي (١٨٨١ - ١٨٠٥)

انكر البلانكيون النضال الطبقي ، واستعاضوا عن نشاط الحزب الثوري باعمال حفنة سرية من المتآمريين ، ولم يأخذوا بالحسبان الوضع الملموس الضروري لاجل انتصار الانتفاضة ، واهملوا الصلة بالجماهير .- ص ٣٠٩

١٨٩ - «ايكونوميست» «The Economist» - «الاقتصادي» - مجلة اسبوعية بريطانية في مسائل الاقتصاد والسياسة لسان حال البرجوازية الصناعية الكبيرة تصدر في لندن منذ عام ١٨٤٣ .- ص ٣١٥

١٩٠ - **الرجل المعتب** - بطل قصة بالاسم نفسه للكاتب الروسي انطون تشيخوف نموذج الشخص الضيق الافق الذي يخاف من كل تجدد وكل مبادرة .- ص ٣١٦

١٩١ - **حرية التجارة** (التجارة الحرة) - اتجاه في السياسة الاقتصادية للبرجوازية يطالب بحرية التجارة وبعدم تدخل الدولة في النشاط الاقتصادي الخاص .- ص ٣٢٠

١٩٢ - هذا القول هو للشاعر الالماني الكبير غوته .- ص ٣٢١

١٩٣ - **مؤتمر بون** (كونفيرنس فروع ح ا د ر في الخارج) - انعقدت في بون (سويسرا) من ١٤ الى ١٩ شباط - فبراير (من ٢٧ شباط الى ٤ آذار - مارس) ١٩١٥ جاء في قرار المؤتمر «بصد شعاع الدفاع عن الوطن» «ان العنصر الوطني في الحرب النمساوية الصربية يتسم باهمية ثانوية ، ولا يغير طابع الحرب الامبريالي العام» .- ص ٣٢٦ .

١٩٤ - كلمات من خرافة مؤلف الخرافات الروسي كريلوف «الوقوق والديك» . - ص ٣٣٠

١٩٥ - **الجوريسيون** - انصار الاشتراكي الفرنسي جان جوريس الذي كان يرأس الجناح اليميني ، الاصلاحى فى الحركة الاشتراكية الفرنسية بذريعة المطالبة «بحرية النقد» ، عمد الجوريسيون الى تحريف الموضوعات الاساسية فى الماركسية ، وكرزوا بالتعاون الطبقي بين البروليتاريا والبرجوازية فى عام ١٩٠٢ ، شكلوا الحزب الاشتراكي الفرنسي تبني هذا الحزب مواقف اصلاحية وفى عام ١٩٠٥ ، اتحد مع حزب غيد ، الحزب الاشتراكي فى فرنسا ، فى حزب واحد - الحزب الاشتراكي الفرنسي

ابان الحرب العالمية الاولى (١٩١٤ - ١٩١٨) كان الجوريسيون يهيمنون فى قيادة الحزب الاشتراكي الفرنسي وقد ايدوا على المكشوف الحرب الامبريالية ، ووقفوا مواقف الاشتراكية - الشوفينية . - ص ٣٣٠

١٩٦ - **نزع غيد . الغيدون . التيار الغيدي . تيار ماركسي ثوري فى الحركة الاشتراكية الفرنسية فى اواخر القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين** ، برئاسة جول غيد فى عام ١٩٠١ ، شكل انصار النضال الطبقي الثوري برئاسة غيد الحزب الاشتراكي فى فرنسا فى عام ١٩٠٥ اتحد الغيديون مع الحزب الاشتراكي الفرنسي الاصلاحى شغل الغيديون داخل الحزب الاشتراكي الفرنسي مواقف وسطية ابان الحرب العالمية الاولى ، وقفوا مواقف الاشتراكية - الشوفينية واشترك غيد وسامبا فى الحكومة الامبريالية الفرنسية . - ص ٣٣١

١٩٧ - «**سوسياლისم**» («Le Socialisme» - «الاشتراكية») مجلة ، صدرت فى باريس من عام ١٩٠٧ الى حزيران (يونيو) ١٩١٤ كان الاشتراكي الفرنسي جول غيد محررها وينشرها . - ص ٣٣١

١٩٨ - **الهيلىرانية** - تيار انتهازى ، اسمى باسم الاشتراكي الفرنسي ميليران

الذي اشترك عام ١٨٩٩ في الحكومة البرجوازية الرجعية الفرنسية
وساعد البرجوازية في تطبيق سياستها . - ٣٣١

١٩٩ - المقصود هنا كتاب

Sartorius von Waltershausen. «Das Volkswirtschaftliche System
der Kapitalanlage im Auslande». Berlin, 1907

والترسهاوزن نظام الاقتصاد الوطني لتوظيف الرأسمال في الخارج
برلين ، عام ١٩٠٧ . - ص ٣٣٦

٢٠٠ - المقصود هنا كتاب رودوفر [Riezler, K.] «Grundzüge der Weltpolitik
in der Gegenwart» (السمات الاساسية للسياسة العالمية
المعاصرة) صدر الكتاب في برلين عام ١٩١٣ . - ص ٣٣٦

٢١ - الحزب الاشتراكي البريطاني تأسس عام ١٩١١ في منشستر بنتيجة

اتحاد الحزب الاشتراكي-الديموقراطي مع الجماعات الاشتراكية
الاخري قام الحزب الاشتراكي البريطاني بدعايته وتحريضه بروح
افكار الماركسية ، وكان حزبا «غير انتهازي ومستقلا» بالفعل عن
الليبيراليين» (لينين) ولكن قلة عدد اعضاء الحزب وضعف صلته
بالجمهير اضفيا عليه طابعا انعزاليا نوعا

ابان الحرب العالمية الاولى (١٩١٤ - ١٩١٨) ، نشب صراع
حاد في الحزب بين التيار الاممي (غالاخسر ، اينكبين ، ماكلين ،
روتشتين ، وغيرهم) ، والتيار الاشتراكي-الشوفيني برئاسة
هايندمان وفي داخل التيار الاممي كانت توجد عناصر متقلقلة
شغلت في عدد من المسائل موقفا وسطيا في شباط (فبراير)
١٩١٦ ، أسس فريق من قادة الحزب الاشتراكي البريطاني جريدة
«The Call» («النداء») اضطلعت هذه الجريدة بدور هام في تلاحم
الامميين ندد المؤتمر السنوي للحزب الاشتراكي البريطاني ، المنعقد
في سولفوردي في نيسان (ابريل) ١٩١٦ بالموقف الاشتراكي-
الشوفيني الذي وقفه هايندمان وانصاره ، فخرج هؤلاء من الحزب .

اضطلع الحزب الاشتراكي البريطاني مع فريق الوحدة الشيوعي
بالدور الرئيسي في تشكيل الحزب الشيوعي البريطاني . وفي المؤتمر

التوحيدي الاول المنعقد في عام ١٩٢٠ اندمجت الاغلبية الساحقة من المنظمات المحلية للحزب الاشتراكي البريطاني في الحزب الشيوعي .
- ص ٣٣٨

٢٠٢ - **حزب العمال (Labour Party)** - تأسس في بريطانيا عام ١٩٠٠ بوصفه اتحاداً للنقابات ، والمنظمات والجماعات الاشتراكية بغية انتخاب ممثلي العمال في البرلمان (« لجنة تمثيل العمال ») في عام ١٩٠٦ ، غيرت اللجنة اسمها وتسمت بحزب العمال (الحزب اللابوري - Labour Party) ان اعضاء التريديونيونات (النقابات) هم اوتوماتيكيا اعضاء في الحزب شرط دفع الاشتراكات الحزبية
ان حزب العمال الذي تشكل في البدء بوصفه حزبا عماليا من حيث قوامه (فيما بعد ، انضم اليه عدد كبير من العناصر البرجوازية الصغيرة) هو منظمة انتهازية من حيث ايدولوجيته وتكتيكة فان زعماءه يطبقون منذ نشوئه سياسة التعاون الطبقي مع البرجوازية ابان الحرب العالمية الاولى ، شغل زعماء حزب العمال موقفا اشتراكيا-شوفينيا
شكل حزب العمال مرارا حكومات كانت تطبق سياسة الامبريالية البريطانية . - ص ٣٣٨

٢٠٣ - **الفابيون** - اعضاء الجمعية الفابية ، وهي منظمة اصلاحية انجليزية تأسست عام ١٨٨٤ . وقد اطلق عليها اسم قائد من القادة العسكريين الرومانيين في القرن الثالث قبل الميلاد هو فايوس مكسيم الملقب كونكتاتور (« المماطل ») الذي اشتهر بفضل تكتيكة وهو التريث وتجنب المعارك الفاصلة في الحرب ضد هنيبل كان اعضاء الجمعية الفابية في معظمهم من المثقفين البرجوازيين - من علماء وكتاب وساسة (مثلاً ، س وب ويب ، برنارد شو ، ماكدونالد ، وغيرهم) ؛ وكانوا ينكرون ضرورة نضال البروليتاريا الطبقي والثورة الاشتراكية ويعلنون ان الانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية امر غير ممكن الا عن طريق الاصلاحات الطفيفة وتحويلات المجتمع التدريجية تشكل « الاشتراكية الفابية » احد مصادر ايدولوجية حزب العمال .

ابان الحرب العالمية الاولى (١٩١٤-١٩١٨) ، شغل
الفابيون موقفا اشتراكيا-شوفينيا .- ص ٣٣٨

٢٠٤ - حزب العمال المستقل في إنجلترا (Independent Labour Party)
مؤسسة اصلاحية تأسست عام ١٨٩٣ في ظروف انتعاش النضال
الاضرابي واشتداد الحركة من اجل استقلال الطبقة العاملة في بريطانيا
عن الاحزاب البرجوازية كان كير-هاردي وماكدونالد على رأس
الحزب وقف حزب العمال المستقل منذ ظهوره مواقف اصلاحية
برجوازية ، وركز جهوده الاساسية على الشكل البرلماني للنضال وعلى
الصفقات البرلمانية مع الحزب الليبرالي (حزب الاحرار)
في بداية الحرب العالمية الاولى ، اصدر حزب العمال المستقل
بيانا ضد الحرب ، ولكنه سرعان ما وقف مواقف الاشتراكية-
الشوفينية .- ص ٣٣٨

٢٠٥ - «التيسنيك» - تيار ثوري في الحزب الاشتراكي-الديموقراطي البلغاري .
تشكل عام ١٩٠٣ في حزب العمال الاشتراكي-الديموقراطي البلغاري
المستقل . وقف التيسنيك ضد الحرب الامبريالية (١٩١٤-١٩١٨) .
في ١٩١٩ ، انضموا الى الاممية الشيوعية وشكلوا الحزب الشيوعي
البلغاري .- ص ٣٣٩

٢٠٦ - «الازمنة الحديثة» («Ново Време» - «نوفو فريمه») - مجلة ،
لسان الحال العلمي النظري للجناح الثوري في الاشتراكية-الديموقراطية
البلغارية (والتيسنيك) تأسست عام ١٨٩٧ .- ص ٣٣٩

٢٠٧ - «حق الشعب» («Volksrecht» - «فولكسريخت») - جريدة يومية
لسان حال الحزب الاشتراكي-الديموقراطي في سويسرا تصدر في
زوريخ منذ عام ١٨٩٨ .- ص ٣٤٠

٢٠٨ - «Bernner Tagwacht» - «برنر تاغفاخت» («حارس برن») -
جريدة ، لسان حال الحزب الاشتراكي-الديموقراطي في سويسرا .

تصدر في برن منذ عام ١٨٩٣ . في سنتي ١٩١٨ و ١٩١٩ كان غريم رئيس تحرير الجريدة في مستهل الحرب العالمية الاولى (١٩١٤ - ١٩١٨) ، نشرت الجريدة مقالات لليكنخت ومهرينغ وغيرهما من الاشتراكيين اليساريين منذ عام ١٩١٧ شرعت الجريدة تدعّم الاشتراكيين-الشفويين . - ص ٣٤٠

٢٠٩ - «L'Humanité» («لومانيتيه» - «الانسانية») - جريدة يومية أسسها جان جوريس عام ١٩٠٤ كلسان حال الحزب الاشتراكي الفرنسي ابان الحرب العالمية الاولى (١٩١٤ - ١٩١٨) ، كانت الجريدة في يد الجناح اليميني المتطرف في الحزب الاشتراكي الفرنسي ، وشغلت موقفاً اشتراكياً-شفوياً بعد انشقاق الحزب الاشتراكي الفرنسي وتأسيس الحزب الشيوعي الفرنسي ، غدت الجريدة ، منذ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٢٠ لسان الحال المركزي للحزب الشيوعي الفرنسي . - ص ٣٤٠

٢١٠ - هيروسترات - من سكان افسس تقول الاساطير انه احرق في عام ٣٥٦ قبل الميلاد هيكل ارميس في افسس الذي كان يعتبر من «سبع عجائب الدنيا» لمجرد ان يذيع صيته ويخلد اسمه . - ص ٣٤١

٢١١ - كتلة بروكسل او «كتلة الثالث من تموز» - كتلة تشكلت ضد البلاشفة في مداولة خاصة عقدها التصفيون والتروتسكيون والفريوديون والبلخانوفيون والبونديون وغيرهم بعد المداولة «التوحيدية» في بروكسل
انعقدت المداولة «التوحيدية» في بروكسل بدعوة من اللجنة التنفيذية للمكتب الاشتراكي العالمي ، بين ١٦ و ١٨ حزيران (يونيو) ١٩١٤

حضر هذه المداولة ممثلون عن اللجنة المركزية ح ا د ر (البلاشفة) ، اللجنة التنظيمية (المناشفة) ، البوند ، الاشتراكية-الديموقراطية في الاقليم اللاتفي ، الاشتراكيين-الديموقراطيين البولونيين ، وغيرهم .

تدارست المداولة مسألة توحيد ح ا د ر . لم يقبل المناشفة
وزعماء الاممية الثانية شروط الوحدة التي تقدم بها البلاشفة . وعرض
كاوتسكي باسم المكتب الاشتراكي العالمي مشروع قرار بتوحيد
ح ا د ر يزعم انه لا توجد في الاشتراكية-الديموقراطية في روسيا
اية خلافات جوهرية تحول دون الوحدة وبما ان الموافقة على
مشروع القرار كانت تتخطى صلاحيات المداولة التي كان يتعين عليها ،
حسب الاتفاق المسبق ، ان تقتصر على تبادل الآراء ، فقد رفض
البلاشفة والاشتراكيون-الديموقراطيون اللاتفيون الاشتراك في التصويت
عليه ولكن مشروع القرار تم اقراره باغلبية الاصوات
رفض البلاشفة بقيادة لينين الخضوع لقرارات مداولة
بروكسل

وهكذا فشلت محاولة زعماء الاممية الثانية الانتهازيين لتصفية
الحزب البلشفي . - ص ٣٤١

٢١٢ - المقصود هنا النداء الذي كتبه ليكنخت «العدو الرئيسي موجود في
بلادنا بالذات !» نشرت جريدة «برنر تاغفاخت» النداء في ٣١
يار (مايو) ١٩١٥ . - ص ٣٤٢

٢١٣ - «الحوالية البروسية» («Preußische Jahrbücher») - وبروسيشه
ياهربوخر» - مجلة محافظة شهرية . لسان حال الرأسماليين وملاكي
الاراضي الالمان صدرت في برلين من عام ١٨٥٨ الى عام ١٩٥٣
- ص ٣٤٣

٢١٤ - «الغابونية» - نسبة الى الكاهن غابون الذي ترأس في ٩ (٢٢) كانون
الثاني (يناير) ١٩٠٥ مسيرة العمال الى قصر الشتاء (مقر القيصر)
لتقديم عريضة الى القيصر بأمر من القيصر اطلقت النار على
المظاهرة . فقتل اكثر من الف شخص وجرح زهاء خمسة آلاف شخص
اصبح يوم التاسع من كانون الثاني بداية ثورة ١٩٠٥
- ص ٣٥٥

٢١٥ - يقصد لينين المقال-البيان «ضد اللاحق» الذي صدر بتوقيع برنشتين
وهآزه وكاوتسكي . - ص ٣٥٧ .

٢١٦ - «The New Statesman» («ذي نيو ستيتسمن») - «رجل الدولة الجديد») - مجلة اسبوعية للجمعية الفابية تأسست عام ١٩١٣ في لندن . - ص ٣٦٠

٢١٧ - عن الستروفية راجعوا ص ٣٠٩ من هذا المجلد . - ص ٣٦١

٢١٨ - «Labour Leader» («لايبور ليدر» - «الزعيم العمال») - جريدة اسبوعية . تصدر منذ عام ١٨٩١ ابتداء من عام ١٨٩٣ لسان حال حزب العمال المستقل في إنجلترا . - ص ٣٦١

٢١٩ - اعتزم لينين كتابة كراس «الاشتراكية والحرب (موقف حزب العمال الاشتراكي-الديموقراطي في روسيا من الحرب)» لمناسبة اعداد الكونفيرنس الاشتراكي العالمي الاول اشترك زينوفييف في وضع الكراس ؛ ولكن لينين هو الذي كتبه اساساً وهو الذي قام بالتحريير العام للكراس كله

سمى لينين الكراس «تعليقات على قرارات حزبنا ، اي ايضاحات مبسطة لها» واعتبر لينين امر الاستفادة من الكونفيرنس الاشتراكي العالمي الذي تقرر انعقاده في زيميرفالد مهمة من الدرجة الاولى لاجل رص صفوف العناصر اليسارية في الاشتراكية-الديموقراطية العالمية على المواقف الثورية ولذلك بذل قصارى جهوده لطبع الكراس قبل انعقاد هذا الكونفيرنس

صدر مؤلف «الاشتراكية والحرب» عشية كونفيرنس زيميرفالد بشكل كراس باللغتين الروسية والالمانية ووزع على المشتركين في الكونفيرنس . - ص ٣٦٧

٢٢ - المقصود هنا الكونفيرنس الاشتراكي العالمي الاول في زيميرفالد ، الذي انعقد بين ٥ و ٨ ايلول (سبتمبر) ١٩١٥ ، بناء على مبادرة من الاشتراكيين الايطاليين والسويسريين

وقد حضره ٣٨ مندوباً عن الاشتراكيين في ١١ بلدأ اوروبياً ، المانيا ، فرنسا ، إيطاليا ، روسيا ، بولونيا ، رومانيا ،

بلغاريا ، اسوج ، النروج ، هولندا ، سويسرا ترأس لينين وفد اللجنة المركزية ح ع ا د ر .
 اقر الكونفيرنس البيان-النداء « الى بروليتاريي اوروبا » الذي وضعته اللجنة والذي امكن بفضل الحاح لينين والاشتراكيين-الديموقراطيين اليساريين ، تضمينه عدداً من الموضوعات الاساسية في الماركسية الثورية وفضلاً عن ذلك ، اقر الكونفيرنس الاعلان المشترك للوفدين الالمانى والفرنسي ، وقرار العطف على ضحايا الحرب والمناضلين الملاحقين بسبب نشاطهم السياسي ، وانتخب لجنة اشتراكية اممية

وائناء الكونفيرنس انشئ الجناح اليساري الزيميرفالدي الذي ضم ممثلي اللجنة المركزية ح ع ا د ر برئاسة لينين ، وممثلي الادارة الاقليمية للاشتراكية-الديموقراطية في المملكة البولونية وليتوانيا ، وممثلي اللجنة المركزية للاشتراكية-الديموقراطية في الاقليم اللاتفي ، وممثلي اليساريين الاسوجيين واليساريين النروجيين واليساريين السويسريين وممثلي فرقة «الاشتراكيين الامميين في المانيا»
 ناضل الجناح اليساري الزيميرفالدي بصورة نشيطة في الكونفيرنس ضد الاغلبية الوسطية فيه ولم يشغل في الجناح اليساري الزيميرفالدي موقفاً منسجماً الى النهاية الا ممثلو حزب البلاشفة . - ص ٣٦٨

٢٢١ - يقصد لينين خطاب ليكنخت في مؤتمر ارفورت للاشتراكية-الديموقراطية عام ١٨٩١ . - ص ٣٧١

٢٢٢ - يقصد لينين ما قاله كلاوزيفيتس في كتابه « عن الحرب » ص ٣٧٦

٢٢٣ - الوفاق الرباعي - حلف امريالي بين انجلترا وفرنسا وروسيا وايطاليا التي خرجت في عام ١٩١٥ من الحلف الثلاثي وانضمت الى الوفاق (Entente) الثلاثي . - ص ٣٧٧

٢٢٤ - برينتانوية - مذهب برجوازي ليبرالي يروج لامكان حل المسألة العمالية في اطار الرأسمالية عن طريق قوانين العمل وتنظيم العمال في

- النقابات أسمى باسم برينتانو ، استاذ الاقتصاد السياسي في جامعة مونيخ ، واحد كبار ممثلي اشتراكية المنابر . - ص ٣٨٥
- ٢٢٥ - المقصود هنا مؤتمر اشتراكيي بلدان «الوفاق الثلاثي» (الانتانت Entente) الذي انعقد في لندن في ١٤ شباط (فبراير) ١٩١٥ وقد اشترك فيه ممثلو الاشتراكيين-الشوفيين والجماعات المسالمة في إنجلترا وفرنسا وبلجيكا وروسيا . - ص ٣٩٤
- ٢٢٦ - «نوفوستي» - («الانباء») - جريدة يومية لحزب الاشتراكيين-الثوريين صدرت في باريس من آب (اغسطس) ١٩١٤ الى ايار (مايو) ١٩١٥ . - ص ٣٩٤
- ٢٢٧ - «بروليتارسكي غولوس» («صوت البروليتاريات») - جريدة لاشوعية لسان حال لجنة بطرسبورغ لحد ادر صدرت من شباط (فبراير) ١٩١٥ الى كانون الاول (ديسمبر) ١٩١٦ . - ص ٣٩٦
- ٢٢٨ - يستشهد لينين بمقالة ادلر «Hoffnungsschimmer» («بريق الامل») التي صدرت في جريدة «Arbeiter Zeitung» («اربيتر زيتونج» - «جريدة العمال») ، العدد ٤٥ ، بتاريخ ١٤ شباط (فبراير) ١٩١٥ - ص ٤٠١
- ٢٢٩ - المقصود هنا مؤتمر اشتراكيي المانيا والنمسا الذي انعقد في نيسان (ابريل) ١٩١٥ في فيينا كان هذا المؤتمر بمثابة رد على مؤتمر اشتراكيي بلدان الوفاق الثلاثي في لندن حذب القرار الذي اتخذه المؤتمر الشعار الاشتراكي-الشوفيني «الدفاع عن الوطن» في الحرب الامبريالية . - ص ٤٠٢
- ٢٣٠ - في ٢٧ ايلول (سبتمبر) ١٩١٤ ، انعقد في لوغانو (سويسرا) مؤتمر الاشتراكيين الايطاليين والسويسريين وكان اول مؤتمر يعقده الاشتراكيون ابان الحرب ، وكان محاولة لبعث الصلات العالمية مؤتمر كوينهاغ - مؤتمر عقده اشتراكيو البلدان المحايدة في كوينهاغ في ١٧ و ١٨ كانون الثاني (يناير) ١٩١٥ . وقد حضره

ممثلون عن الاحزاب الاشتراكية في اسوج والنروج والدانمارك وهولندا اتخذ المؤتمر قراراً يقترح على النواب الاشتراكيين-الديموقراطيين في برلمانات البلدان المحايدة حمل حكوماتهم على القيام بالوساطة بين البلدان المتحاربة والتعجيل في اعادة السلام
- ص ٤٠٢

٢٢١- **مؤتمر النساء الاشتراكي العالمي** انعقد في برن (سويسرا) بين ٢٦ و ٢٨ آذار (مارس) ١٩١٥ وقد انعقد بمبادرة من هيئة مجلة «رابوتنيتسا» («العامله») في الخارج ، بمشاركة مباشرة من كلارا تسيتكين التي كانت آنذاك رئيسة مكتب النساء الاشتراكيات العالمي حضرت المؤتمر ٢٩ مندوبة عن المنظمات النسائية في انجلترا والمانيا وهولندا وفرنسا وبولونيا وروسيا وسويسرا

اعتبر لينين المؤتمر محاولة لبعث العلاقات الاممية وسعى الى الاستفادة منه من اجل رص العناصر الاممية على المواقف الثورية
مؤتمر الشبيبة الاشتراكي العالمي انعقد بين ٤ و ٦ نيسان (ابريل) ١٩١٥ في برن وقد حضره ممثلو منظمات الشباب في ١٠ بلدان هي بلغاريا والمانيا وهولندا والدانمارك وايطاليا والنروج وبولونيا وروسيا وسويسرا واسوج . كان بند «الحرب ومهام منظمات الشباب الاشتراكية» البند الرئيسي في جدول اعمال المؤتمر جرى تنظيم واعداد المؤتمر بتاثير الوسطي غريم ، الامر الذي حدد سلفاً نتائج عمله

انتخب المؤتمر المكتب العالمي للشباب الاشتراكي ، واتخذ قراراً باصدار صحيفة عالمية للشباب الاشتراكي هي مجلة «اممية الشباب» وباجراء يوم عالمي للشباب في كل سنة .- ص ٤٠٢

٢٢٢- «Lichtstrahlen» («ليختشتراهلن»-«اشعة النور»)- مجلة شهرية لسان حال الاشتراكيين-الديموقراطيين اليساريين .- ص ٤٠٣

٢٢٣- **المنبريون** - اعضاء الحزب الاشتراكي-الديموقراطي في هولندا الذي كانت جريدة «تريبونا» («المنبر») لسان حاله كان المنبريون يمثلون الجناح اليساري في الحركة العماليه في هولندا ، ووقفوا

اساساً ، مواقف اممية ابان الحرب العالمية الاولى (١٩١٤ -
١٩١٨) . في عام ١٩١٨ ، شكل المنبريون الحزب الشيوعي الهولندي .
- ص ٤٠٦

٢٢٤ - «الماركسية والتصفوية مجموعة مقالات في المسائل الاساسية في
الحركة العمالية المعاصرة . القسم الثاني» . اصدرتها دار الطبع والنشر
الحزبية «بريوي» في تموز (يوليو) ١٩١٤ . وقد تضمنت عدداً من
مقالات لينين الموجهة ضد التصفويين . - ص ٤١٣

٢٢٥ - «Leipziger Volkszeitung» («ليزيغر فولكس زيتونــــغ» -
«جريدة ليزيغ الشعبية») - جريدة اشتراكية-ديموقراطية يومية
صدرت من عام ١٨٩٤ الى عام ١٩٣٣ كانت لسان حال الاشتراكيين-
الديموقراطيين اليساريين من عام ١٩١٧ الى عام ١٩٢٢ كانت
لسان حال «المستقلين» الالمان بعد عام ١٩٢٢ - لسان حال
الاشتراكيين-الديموقراطيين اليمينيين . - ص ٤١٣

٢٢٦ - «Internationale Korrespondenz» («انترناسيوناله كوريسبوندنز» -
«المراسلات العالمية») - مجلة اسبوعية للاشتراكيين-
الديموقراطيين الالمان صدرت من اواخر ايلول (سبتمبر) ١٩١٤
الى اول تشرين الاول (اكتوبر) ١٩١٨ في برلين . - ص ٤١٧

٢٢٧ - «سوفريميني مير» («العالم المعاصر») - مجلة شهرية ادبية وعلمية
وسياسية صدرت في بطرسبورغ من تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٠٦
الى عام ١٩١٨ اشترك المناشفة فيها مباشرة ، ولاسيما منهم
بليخانوف في مرحلة التكتل مع البليخانوفيين وفي مستهل عام
١٩١٤ ، عاون البلاشفة في المجلة في سنوات الحرب العالمية الاولى
(١٩١٤ - ١٩١٨) ، امست المجلة لسان حال الاشتراكيين-
الشوفينييين . - ص ٤١٧

٢٢٨ - كتب لينين «الامبريالية اعلى مراحل الرأسمالية» من كانون الثاني
(يناير) الى حزيران (يونيو) ١٩١٦ في زوريخ (سويسرا) .

كان لينين قد لاحظ الظواهر الجديدة في تطور الرأسمالية قبل الحرب العالمية الاولى بزمان طويل ففي عدد من الاعمال التي كتبها بين سنة ١٨٩٥ وسنة ١٩١٣ ، كشف وحلل بعض السمات الملازمة لعهد الامبريالية

ومنذ بداية الحرب العالمية الاولى ، عمد لينين الى دراسة المرحلة الاحتكارية من تطور الرأسمالية دراسة مفصلة شاملة في بداية كانون الثاني (يناير) ١٩١٦ ، قبل لينين اقتراحا بكتابة كتاب عن الامبريالية لاجل دار الطبع والنشر الشرعية في بتروغراد «باروس»

في تموز (يوليو) ١٩١٦ ، انجز لينين العمل وارسل المخطوطة الى دار الطبع والنشر في اواسط ١٩١٧ ، صدر الكتاب تحت اسم «الامبريالية بوصفها احدث مراحل الرأسمالية (بحث مبسط)» مع مقدمة للينين مؤرخة في ٢٦ نيسان (ابريل) ١٩١٧ . - ص ٤٢٠

٢٣٩ - صدرت هذه المقدمة للمرة الاولى في تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٢١ تحت عنوان «الامبريالية والرأسمالية» في مجلة «الاممية الشيوعية» ، العدد ١٨ في حياة لينين ، صدر كتاب «الامبريالية اعلى مراحل الرأسمالية» باللغة الالمانية في عام ١٩٢١ وباللغتين الفرنسية والانجليزية في عام ١٩٢٣ (بنص غير كامل) . - ص ٤٢٢

٢٤٠ - صلح بريست-ليتوفسك - عقد بين روسيا السوفيتية وبلدان الكتلة الالمانية (المانيا والنمسا-المجر وبلغاريا وتركيا) في بريست-ليتوفسك في ١٣ آذار (مارس) ١٩١٨ بشروط في منتهى القساوة بالنسبة لروسيا السوفيتية بعد انتصار الثورة في المانيا التي اسقطت النظام الملكي ، اعلنت اللجنة التنفيذية المركزية لعامة روسيا في ١٣ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٨ الغاء معاهدة النهب غير العادلة الموقعة في بريست - ليتوفسك . - ص ٤٢٥

٢٤١ - معاهدة صلح فرساي - معاهدة امبريالية فرضتها دول الوفاق على المانيا التي منيت بالهزيمة في الحرب العالمية الاولى (١٩١٤) -

١٩١٨) تم التوقيع عليها في ٢٨ حزيران (يونيو) ١٩١٩ في فرساي (فرنسا) . - ص ٤٢٥

٢٤٢ - **الويسونوية** - من اسم توما ويدرو ويلسون ، رئيس الولايات المتحدة الاميركية من عام ١٩١٣ الى عام ١٩٢١ تستر ويلسون بالجمال والتعابير السلمية ، ولكنه انتهج في الواقع نفس السياسة الخارجية اللصوصية التي انتهجها سابقوه كان احد منظمي التدخل المسلح ضد روسيا السوفيتية
في عام ١٩١٨ تقدم ببرنامج امبريالي للسلام («البنود الاربعة عشر») يرمي الى فرض سيطرة الولايات المتحدة الاميركية على العالم . - ص ٤٢٥

٢٤٣ - يقصد لينين الاممية الثانية (اممية برن) اسسها في مؤتمر الاحزاب الاشتراكية في برن شباط (فبراير) ١٩١٩ زعماء الاحزاب الاشتراكية الاوروبية الغربية عوضا عن الاممية الثانية التي كانت قائمة قبل بداية الحرب العالمية الاولى اضطلعت اممية برن عمليا بدور خادمة للبرجوازية العالمية وقد قال لينين عنها «انها اممية صفراء حقا» . - ص ٤٢٧

٢٤٤ - **الحزب الاشتراكي-الديموقراطي الالهاني المستقل** - حزب وسطي انشىء في نيسان (ابريل) ١٩١٧ في المؤتمر التأسيسي في غوتا روج «المستقلون» بفكرة «الوحدة» مع الاشتراكيين-الشوفيين وانزلقوا الى حد الامتناع عن النضال الطبقي
بعد تاسيس الاممية الشيوعية (عام ١٩١٩)، خرج «المستقلون» من الاممية الثانية في تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٢٠ ، حدث انشقاق في مؤتمر الحزب الاشتراكي-الديموقراطي المستقل في هاله . وفي كانون الاول (ديسمبر) ١٩٢٠ ، اتحد قسم ملحوظ من الحزب مع الحزب الشيوعي الالمانى وشكلت العناصر اليمينية حزبا منفردا اتخذ الاسم القديم - «الحزب الاشتراكي-الديموقراطي الالمانى المستقل» . وقد دام هذا الحزب حتى عام ١٩٢٢ . - ص ٤٢٧ .

٢٤٥ - الاممية الثالثة ، الاممية الشيوعية (الكومنترن) - تأسست في المؤتمر الاول للكومنترن الذي انعقد من ٢ الى ٦ آذار (مارس) ١٩١٩
- ص ٤٢٨

٢٤٦ - السبارتاكيون - اعضاء منظمة الاشتراكيين-الديموقراطيين اليساريين الالمان الثورية التي اسسها في بداية الحرب العالمية الاولى كارل ليبكنخت وروزا لوكسمبورغ وفريدريك مهريغ وكلاهما تسييتكين وغيرهم

في نيسان (ابريل) ١٩١٧ ، أسست روزا لوكسمبورغ مع فريدريك مهريغ مجلة «Die Internationale» («دي انترناسيوناله» - «الاممية») ، فالتف حول المجلة الفريق الاساسي من الاشتراكيين-الديموقراطيين اليساريين الالمان في كانون الثاني (يناير) ١٩١٦ ، تشكل الفريق رسمياً وتنظيماً في فريق «Die Internationale» («الاممية») ابتداء من عام ١٩١٦
شرح فريق «الاممية» يصدر وينشر بصورة غير شرعية «الرسائل السياسية» بتوقيع «سبارتاك» ؛ ونظراً لذلك ، اخذ فريق «الاممية» يتسمى كذلك بفريق «سبارتاك»

قام السبارتاكيون بالدعاية الثورية بين الجماهير ، ونظموا اعمالاً جماهيرية مضادة للحرب ، وقادوا الاضرابات ، وفضحوا طابع الحرب العالمية الامبريالي وخيانة زعماء الاشتراكية-الديموقراطية الانتهازيين

في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٨ ، اي اثناء الثورة في المانيا ، تنظم السبارتاكيون في «اتحاد سبارتاك» ثم أسسوا في المؤتمر التأسيسي المنعقد في ٣٠ كانون الاول (ديسمبر) ١٩١٨
واول كانون الثاني (يناير) ١٩١٩ الحزب الشيوعي الالمانى
- ص ٤٢٨

٢٤٧ - الفرسانيون - اُلد اعداء كومونة باريس عام ١٨٧١ ، انصار الحكومة البرجوازية الفرنسية المعادية للثورة التي استقرت برئاسة تيير في فرساي بعد انتصار الكومونة . عند قمع كومونة باريس ،

نكل الفرساليون بالكومونيين بقساوة لا سابق لها بعد عام ١٨٧١ ، امست كلمة «الفرساليون» مرادفاً للثورة المضادة المسعورة الوحشية . - ص ٤٢٩

٢٤٨ - **الحرب الاسبانية الاميركية** - حرب امبريالية شنتها الولايات المتحدة الاميركية على اسبانيا بقصد الاستيلاء على المستعمرات الاسبانية بدأت الحرب في نيسان (ابريل) ١٨٩٨ بعد بضع معارك ، اقرت اسبانيا بهزيمتها ، وتخلت عن آخر المستعمرات المتبقية لها في اميركا اللاتينية - كوبا ، بورتوريكو ، وكذلك عن جزر الفيليبين وغوام بموجب معاهدة الصلح المعقودة في كانون الاول (ديسمبر) ١٨٩٨ ، صارت بورتوريكو وغوام والفيليبين مستعمرات للولايات المتحدة الاميركية واعلنت كوبا شكلاً جمهورية مستقلة ، ولكن دستور كوبا تضمن مادة تخول الولايات المتحدة الاميركية الحق في التدخل المسلح في شؤون كوبا الداخلية واصبحت احتكارات وحكومة الولايات المتحدة الاميركية سيدة كوبا حقاً وفعالاً

الا ان شعوب كوبا والفيليبين وبورتوريكو التي ناضلت سنوات طويلة ضد المستعمرين الاسبانيين ، ووقعت في قبضة اسياذ جدد ، واصلت الكفاح من اجل الاستقلال

الحرب الانجليزية - البويرية - حرب خاضتها انجلترا من ١٨٩٩ الى ١٩٠٢ ضد جمهوريتي البوير في افريقيا الجنوبية - جمهورية الترانسفال وجمهورية اورانج ، - بقصد تحويلهما الى مستعمرتين انجليزيتين حارب البوير ببسالة ضد المستعمرين ، ولكن التفوق في العدد والمعدات ضمن النصر للانجليز بموجب معاهدة الصلح التي اضطر البوير الى توقيعها في ايار (مايو) ١٩٠٢ ، فقدت جمهوريتا البوير استقلالهما وصارتا مستعمرتين لانجلترا . - ص ٤٣٠

٢٤٩ - المقصود هنا قرار مؤتمر الاشتراكية-الديموقراطية الالمانية في خيمينيتز بصدد مسألة الامبريالية وموقف الاشتراكيين من الحرب (راجعوا الملاحظة رقم ١٧٤) . - ص ٤٣١ .

- ٢٥٠ - «Die Bank» «دي بنك» - «البنك» - مجلة لرجال المال الالمان صدرت في برلين من عام ١٩٠٨ الى عام ١٩٤٣ . - ص ٤٥٨
- ٢٥١ - وقع افلاس البورصة في النصف الاول من عام ١٨٧٣ ، اولاً في النمسا-المجر ، ثم في المانيا وغيرها من البلدان - ص ٤٦٢
- ٢٥٢ - فضائح غرونديور (من الكلمة الالمانية «Gründer» - غرونديور - ومعناها «مؤسس») - جرت في مرحلة نمو تأسيس الشركات المساهمة نمواً شديداً في مستهل السبعينيات من القرن التاسع عشر ان نمو «الغرونديورية» قد رافقته مضاربات ضارية مسعورة على الارض وعلى السندات في البورصة ، واحتيالات شديدة من جانب رجال الاعمال البرجوازيين الراكضين وراء زيادة ثروتهم . - ص ٤٦٢
- ٢٥٣ - «فرانكفورتر زايونغ» («Frankfurter Zeitung» - «جريدة فرانكفورت») - جريدة يومية ، لسان حال كبار رجال البورصة الالمان صدرت في فرانكفورت على الماين من عام ١٨٥٦ الى عام ١٩٤٣ . - ص ٤٦٣
- ٢٥٤ - يقصد لينين غيورغي بليخانوف وردت آراء بليخانوف حول مسألة الامبريالية في مجموعة مقالاته «عن الحرب» التي صدرت في بتروغراد ابان الحرب . - ص ٤٧٥
- ٢٥٥ - باناما الفرنسية تعبير انبثق في فرنسا في سنتي ١٨٩٢ و ١٨٩٣ بالارتباط مع افتضاح التجاوزات الهائلة في استعمال السلطة وارتشاء رجال السياسة والدولة والموظفين والجرائد ممن اشترتهم ورشتهم الشركة الفرنسية لشق قناة باناما . - ص ٤٨٧
- ٢٥٦ - نشبت حرب ١٧٠١ - ١٧١٤ من اجل «العرش الاسباني» بين فرنسا واسبانيا من جهة ، وانجلترا وهولندا والنمسا وبروسيا وسائر الدوليات الالمانية برئاسة الامبراطور الالمانى من جهة اخرى . بدأت الحرب من اجل العرش الاسباني كحرب سلالية بين مختلف الطامعين بالعرش الاسباني ، ولكنها تحولت عملياً الى حرب من اجل تقاسم ممتلكات اسبانيا والى اول اصطدام كبير بين فرنسا وانجلترا من اجل

السيادة في البحار وفي المستعمرات انتهت الحرب بتقاسم جزئي
للامبراطورية الاسبانية ، اذ عادت ممتلكاتها في هولندا وايطاليا الى
النمسا ، وعاد جبل طارق وجزيرة مينوركا الى انجلترا ، والخ
وبنتيجة الحرب ، ضعفت قدرة فرنسا البحرية والاستعمارية ، اذ
انتقلت ممتلكاتها في اميركا الشمالية الى انجلترا التي حصلت في الحرب
من اجل العرش الاسباني على اكبر قسط من الفوائد .- ص ٥٢١ .

٢٥٧- يقصد لينين ما يسمى «البروتوكول النهائي» الموقع في ٧ ايلول
(سبتمبر) ١٩٠١ بين الدول الامبريالية (بريطانيا والنمسا-المجر
وبلجيكا وفرنسا والمانيا وايطاليا واليابان وروسيا وهولندا واسبانيا
والولايات المتحدة الاميركية) والذين نتيجة لقمع انتفاضة البوكسر
(١٨٩٩ - ١٩٠١) . وقد نال الرأسمال الاجنبي امكانيات جديدة
لاستثمار الصين ونهبها .- ص ٥٦٢

٢٥٨- **انتفاضة البوكسر** (وبالاصح انتفاضة ابيختوان) - انتفاضة شعبية
ضد الامبريالية في الصين في سنوات ١٨٩٩-١٩٠١ قامت بها جمعية
«اي-خي-تسوان» («القبضة من اجل العدالة والوثام») التي اسميت فيما
بعد «اي-خي-توان» تعرضت الانتفاضة للقمع الضاري من جانب
فيلق الدول الامبريالية التأديبي الموحد برئاسة الجنرال الالماني
فالدريزي .

ففي قمع الانتفاضة اشترك الامبرياليون الالمان واليابانيون
والانجليز والاميركيون والروس وفي عام ١٩٠١ اضطرت الصين الى
التوقيع على ما يسمى «بالبروتوكول النهائي» الذي تحولت الصين
بموجبه الى نصف مستعمرة للامبريالية الاجنبية .- ص ٥٦٣

٢٥٩- **فاشوده** (كُدَقْ) - المقصود هنا ما يسمى بحادث فاشوده في مرحلة
الصراع بين انجلترا وفرنسا من اجل السيطرة على وادي النيل ففي
عام ١٨٩٨ قامت فرنسا بمحاولة للاستيلاء على فاشوده (وهي قرية
تقع في السودان الشرقي على النيل الابيض) ولكنها اضطرت الى التخلي
عنها تحت ضغط انجلترا كاد هذا الحادث يؤدي الى الحرب بين
فرنسا وانجلترا .- ص ٥٦٣ .

دليل الاسماء

أ. ف. ب. - راجعوا بيشيخونوف أ. ف. أبيقور (حوالي ٣٤١ - حوالي ٢٧٠ قبل الميلاد) - فيلسوف مادي اغريقي ملحد - ص ٢٢٦

آدلر (Adler) فكتور (١٨٥٢-١٩١٨) - احد منظمي وزعماء الاشتراكية- الديمقراطية النمساوية اصلاحي ابان الحرب العالمية الاولى ، شغل موقفاً وسطياً - فقد دعا الى «السلام الطبقي» وناضل ضد الاعمال الثورية من جانب الطبقة العاملة . - ص ٤٠١

ادوارد السابع (١٨٤١-١٩١٠) - ملك بريطانيا (١٩٠١-١٩١٠) . - ص ٤٨٧

ارمسترونغ (Armstrong) - ممثل الشركة الصناعية الحربية «ارمسترونغ ، ويتفرس وشركاهما» التي اسسها وليام جورج ارمسترونغ (١٨١٠-١٩٠٠) دامت الشركة حتى عام ١٩٣٧ - ص ٤١ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٣١٥ ، ٤٩٦

اريستوفانس (حوالي ٤٤٦-٣٨٥ قبل الميلاد) - مؤلف مسرحي اغريقي له مسرحيات هزلية سياسية . - ص ٤٩٥

آغاد (Agahd) ي - اقتصادي الماني موظف في البنك الروسي الصيني . - ص ٤٧٨ ، ٤٨٠ ، ٤٨٨ ، ٥٥٣ .

اغوينالدو (Aguinaldo) اميليو - (ولد عام ١٨٦٩) - سياسي فيليبيني ترأس نضال الشعب الفيليبيني ضد السيادة الاسبانية في عام ١٨٩٩ صار رئيس جمهورية الفيليبين التي كانت قد تأسست للتو ناضل ضد الغزاة الاميركيين الذين حلوا محل اسبانيا في الفيليبين في آذار (مارس) ١٩٠١ ، اسره الاميركيون فيما بعد ، طبق سياسة الاميركيين في الفيليبين . - ص ٥٥٢

اكسيلرود بافل بوريسوفيتش (١٨٥٠-١٩٢٨) - اشتراكي-ديموقراطي روسي احد زعماء المنشفية بعد هزيمة ثورة ١٩٠٥-١٩٠٧ تصفوي .

ابان الحرب العالمية الاولى (١٩١٤-١٩١٨) - اشتراكي-شوفيني بعد الثورة البورجوازية الديموقراطية في شباط (فبراير) ١٩١٧ عضو اللجنة التنفيذية لسوفييت بتروغراد دعم الحكومة الموقته البرجوازية - ص ٢٩٣ ، ٢٩٥ ، ٢٩٦ ، ٣٠٢ ، ٣٣٠ ، ٣٩٥ ، ٤٠٨ ، ٥٤٩

اكيموف (ماخوفتس) فلاديمير بتروفيتش (١٨٧٢-١٩٢١) - اشتراكي-ديموقراطي روسي ممثل نشيط «للاقتصادية» من اشد الانتهازين تطرفا بعد هزيمة ثورة ١٩٠٥-١٩٠٧ انصرف عن النشاط السياسي . - ص ١١٢

الكسينسكي غريغوري الكسييفيتش (ولد عام ١٨٧٩) - في مستهل نشاطه السياسي ، اشتراكي-ديموقراطي في مرحلة ثورة ١٩٠٥-١٩٠٧ ، انضم الى البلاشفة بعد هزيمة الثورة ، احد منظمي فرقة «فريود» المعادية للحزب ابان الحرب العالمية الاولى ، اشتراكي-شوفيني ، معاون في عدد من الجرائد البرجوازية في عام ١٩١٧ انضم الى فريق «ايدنستفو» («الوحدة») البليخانوفي . وقف مواقف معادية للثورة . - ص ٣٣٩ ، ٤١٥-٤١٧ .

الكسييف بيوتر الكسييفيتش (١٨٤٩-١٨٩١) - ثوري روسي من السبعينيات في القرن التاسع عشر مهنته عامل حياكة اعتقل وحكم عليه بالاشغال الشاقة لمدة ١٠ سنوات - ص ١٠٨

ان - راجعوا **جوردانيا ن . ن .**

انجلس (Engels) **فريدريك** (١٨٢٠-١٨٩٥) - ص ١٦ ، ١٧ ، ٢٦ ، ٣٤ ، ١٥٤ ، ١٩٤ ، ١٩٧-٢٠٢ ، ٢٠٦ ، ٢٢٥-٢٣٠ ، ٢٣٣-٢٣٨ ، ٢٣٩-٢٤١ ، ٢٥٤ ، ٢٦٠-٢٦٧ ، ٢٧٧ ، ٣٠٥-٣٠٧ ، ٣٦٠ ، ٣٦١ ، ٣٧٦ ، ٣٨١ ، ٣٨٢ ، ٣٨٨ ، ٣٩٢ ، ٥٤٧ ، ٥٤٨ ، ٥٥٦

اوينس (Owens) **ميكائيل جوزف** (١٨٥٩-١٩٢٣) - مخترع اميركي لآلة من اجل صنع القناني فيما بعد ، صناعي في هذا الفـرع - ص ٥٣٨

ايشفيغه (Eschwege) **لودفيغ** - اقتصادي الماني - ص ٤٤٨ ، ٤٧٧ ، ٤٨٥ ، ٤٨٧ ، ٥٥٣

ايفلينغ (Aveling) **ايلينورا** (١٨٥٥-١٨٩٨) - قائدة في الحركة العمالية البريطانية والعالمية ابنة ماركس الصغرى - ص ٢٣٢

ايلينبوغن (Ellenbogen) **ولهم** (ولد عام ١٨٦٣) - احد الزعماء المحرفين في الاشتراكية-الديموقراطية النمساوية ابان الحرب العالمية الاولى اشتراكي-شوفيني في المسألة القومية ايد الاستقلال الذاتي الثقافي القومي - ص ٨٣

بابوشكين ايفان فاسيليفيتش (١٨٧٣-١٩٠٦) - ثوري روسي ، بلشفي عامل من اقرب معاوني لينين اشترك بصورة فعالة في تنظيم «اليسكرا» اللينينية وكان مراسلاً لها . اشترك بصورة نشيطة في ثورة ١٩٠٥-١٩٠٧ .

اثناء عملية نقل للأسلحة ، اعتقله فصيل من القوات التأديبية
وقتله رميا بالرصاص . - ص ١١٠

بادايف الكسي يغوروفيتش (١٨٨٣-١٩٥١) - اشتراكي-ديموقراطي-
روسي . بلشفي . نائب في دوما الدولة الرابع . مع النواب البلاشفة الآخرين ،
خطب في عام ١٩١٤ ضد الحرب الامبريالية وصوت ضد منح الاعتمادات
الحربية للحكومة القيصرية في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٤
اعتقل واحيل الى المحاكمة ونفي الى سيبيريا بعد ثورة اكتوبر
الاشتراكية عمل في الحزب وفي حقل الاقتصاد . - ص ٣٩٩

باكونين ميخائيل الكسندروفيتش (١٨١٤-١٨٧٦) - ثوري روسي
ايدولوجي الفوضوية اشترك بنشاط في ثورة ١٨٤٨-١٨٤٩ في
المانيا عضو الاممية الاولى قام فيها بنشاط انشقاقي ضد ماركس
وانجلس محاولاً ان يستولي على زمام القيادة في الحركة العمالية
العالمية . في عام ١٨٧٢ طرد من الاممية . - ص ٢٣١

بانيكوك (Panneckoek) **انطوني** (١٨٧٣-١٩٦٠) - اشتراكي-
ديموقراطي هولندي ابان الحرب العالمية الاول ، اممي من ١٩١٨
الى ١٩٢١ ، انضم الى الحزب الشيوعي الهولندي شغل موقفاً يسارياً
متطرفاً انعزالياً . - ص ٢٩٧ ، ٣٣٩ ، ٣٨٧

باور (Bauer) **اوتو** (١٨٨٣-١٩٣٨) - احد زعماء الاشتراكية-
الديموقراطية النمساوية والاممية الثانية ايدولوجي ما يسمى
«الماركسية النمساوية» التي تستر بالجمال والتعابير الماركسية
التخلي عن الماركسية الثورية وعن نضال البروليتاريا الطبقي احد
واضعي النظرية البرجوازية القومية التعصبية المسماة بنظرية «الاستقلال
الذاتي القومي الثقافي» في ١٩١٨ و١٩١٩ ، وزير الخارجية في
الجمهورية البرجوازية النمساوية - ص ٦٩ ، ٨١ ، ٨٢ ، ١٠٤ ،
١٤٧ ، ١٤٨ ، ٣٩١ ، ٤٢٦ .

باور (Bauer) برونو (١٨٠٩-١٨٨٢) - فيلسوف مثالي ألماني من
ابرز الهيغلين الشباب في مستهل نشاطه الصحفي ، راديكالي
ابتداء من الستينيات صار نصيراً لبسمارك - ص ٢٢٦ ، ٢٢٧

بتروفسكي غريغوري ايفانوفيتش (١٨٧٨-١٩٥٨) - من اقدم المشتركين
في الحركة العمالية الثورية بلشفي فيما بعد قائد بارز في السوفييتات
والحزب والدولة انضم الى الكتلة البلشفية في دوما الدولة الرابع في
تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٤ ، اعتقل ونفي الى سيبيريا بسبب نشاطه
الثوري ضد الحرب الامبريالية - ص ٢٨١ ، ٢٨٣ ، ٢٨٤ ،
٢٨٦ ، ٣٩٩

برانتينغ (Branting) كارل يالهار (١٨٦٠-١٩٢٥) - زعيم الحزب
الاشتراكي-الديموقراطي الاسوي احد قادة الاممية الثانية محرف
وانتهازي . - ص ٣٣٩

بردياف نيقولاى الكسندروفيتش (١٨٧٤-١٩٤٨) - فيلسوف مثالي
وصوفي رجعي روسي ابتداء من عام ١٩٠٥ - كاديتي - ص ٨٢

برنشتين (Bernstein) ادوارد (١٨٥٠-١٩٣٢) - زعيم الجناح
الانتهازي المتطرف في الاشتراكية-الديموقراطية والاممية الثانية
نظري الاصلاحية والتحريرية . - ص ٨٢ ، ٣٥٧ ، ٤٢٦

برنهارد (Bernhard) لودفيغ (١٨٧٥-١٩٣٥) - اقتصادي وكاتب
اجتماعي وسياسي ألماني . - ص ٢٢١

برودون (Proudhon) بيار جوزف (١٨٠٩-١٨٦٥) - كاتب اجتماعي
وسياسي فرنسي اقتصادي وسوسيولوجي (عالم اجتماع)
ايدولوجي البرجوازية الصغيرة احد مؤسسي الفوضوية حلم برودون
بتخليد الملكية الخاصة الصغيرة وانتقد الملكية الرأسمالية الكبيرة من
مواقع البرجوازية الصغيرة . اعتبر برودون ان الدولة هي المصدر

الرئيسي للتناقضات الطبقيّة ، وتقدم بمشاريع طوباوية « لتصفية الدولة » بصورة سلمية ، وروج بالموقف السلبي من النضال السياسي
— ص ٧٦ ، ١٩٩ ، ٢٠٠ ، ٢٢٨ ، ٢٣١

بروكوبوفيتش سرغي نيقولايفيتش (١٨٧١-١٩٥٥) — اقتصادي وكاتب اجتماعي وسياسي روسي ممثل بارز « للاقتصادية » من اوائل دعاة البرنشتينية في روسيا منذ عام ١٩٠٥ ، كاديتي . — ص ١١٣

بريلسفورد (Brailsford) **هنري نويل** (ولد عام ١٨٧٣) — كاتب اجتماعي وسياسي انجليزي مسالم ايد حركة التحرر الوطني في البلقان وارلنده ومصر والهند عضو حزب العمال المستقل — ص ٣٠٣

بلغر (Belger) **ارفين** (١٨٧٥ الى ما بين ١٩١٩ و ١٩٢٢) — سياسي برجوازي الماني كاتب اجتماعي وسياسي ملكي وشوفيني مداح الامبريالية الالمانية . — ص ٣٣٦

بليتشفورد (Blatchford) **روبرت بيل غلينفيلسي** (١٨٥١-١٩٤٣) — اشتراكي-اصلاحي انجليزي . صحفي وكاتب احد مؤسسي وايدولوجيي حزب العمال المستقل اشتراكي-شوفيني — ص ٣٦٤ ٣٦٥ ٣٦٦

بليخانوف غيورغي فالنتينوفيتش (١٨٥٦-١٩١٨) — احد قادة بارزين للحركة العمالية الروسية والعالمية اول داعية للماركسية في روسيا بعد المؤتمر الثاني ح ع د ر (١٩٠٣) ، وقف بليخانوف مواقف المصالحة مع الانتهازية ، ثم التحق بالمناشفة ابان الحرب العالمية الاولى ، وقف مواقف الاشتراكية الشوفينية بعد الثورة البرجوازية الديمقراطية في شباط (فبراير) ١٩١٧ في روسيا ترأس الجناح اليميني المتطرف من المناشفة-الدفاعيين «الوحدة» ، ووقف ضد البلاشفة ، ضد الثورة الاشتراكية واعتبر ان

روسيا لم تنضح من اجل الاشتراكية — ص ٧٤ ١١٢ ١٣١
 ، ٢٩١ ، ٢٨٧ ، ٢٧٩ ، ٢٧٤ ، ٢١٥ ، ٢١١ ، ٢٠٨ ، ٢٠٧ ، ١٧٤
 ، ٣٣٠ ، ٣٢٨ ، ٣٢٤ ، ٣٠٨ ، ٣٠٦-٣٠١ ، ٢٩٩ ، ٢٩٣ ، ٢٩٢
 ، ٣٧٧ ٣٦٦ ، ٣٦٥ ، ٣٥٦ ٣٤٥ ٣٤١ ٣٣٩ ٣٣١
 ، ٤١٥ ، ٤١٤ ، ٤٠٨ ، ٤٠١ ، ٣٩٩ ، ٣٨٨ ، ٣٨٦ ، ٣٨٥ ، ٣٨١
 ٥١٣ ، ٤٧٣ ، ٤١٧ ، ٤١٦

بوبرينسكي فلاديمير الكسيفيتش (ولد عام ١٨٦٨) — سياسي رجعي
 روسي ملاك عقاري كبير وصاحب مصانع للسكر نائب في دوما
 الدولة انضم الى الجناح الايمن في الدوما بوصفه قومياً متطرفاً ، كان
 نصيراً لروسنة الاطراف القومية لروسيا بالقوة . — ص ٢٧٦ ، ٢٧٨

بوتريسوف الكسندر نيقولايفيتش (١٨٦٩-١٩٣٤) — اشتراكي-ديموقراطي
 روسي احد زعماء المنشفية بعد هزيمة ثورة ١٩٠٥-١٩٠٧
 ايدولوجي التصفية ابان الحرب العالمية الاولى ، اشتراكي-شوفيني
 بعد ثورة اكتوبر الاشتراكية مهاجر — ص ٣٠٥ ، ٣٥٣ ، ٣٩٥ ،
 ٥٤٩ ، ٥١٣ ، ٤١١

بوخارين نيقولاي ايفانوفيتش (١٨٨٨-١٩٣٨) — كاتب اجتماعي وسياسي .
 اقتصادي عضو ع د ر منذ سنة ١٩٠٦ شغل مركزاً بارزاً في
 الحزب وقف غير مرة ضد السياسة اللينينية ؛ ومن جراء ذلك طرد من
 الحزب في عام ١٩٣٧ . — ص ٤٦٨

بوخنو (Büchner) فريديرخ كارل خريستيان لوفيفغ (١٨٢٤-١٨٩٩) —
 فيلسوف الماني من كبار ممثلي المادية المبتدلة اصلاحي . —
 ص ٢٣٥

بورتسيف فلاديمير لفوفيتش (١٨٦٢-١٩٣٦) — اشترك في الحركة الثورية
 ابتداء من العقد التاسع من القرن التاسع عشر . بعد اعتقاله ، هرب

الى الخارج كان قريباً من الاشتراكيين-الثوريين بعد هزيمة ثورة
 ١٩٠٥ ، دعم الكاديت ابان الحرب العالمية الاولى ، شوفيني وقف ضد
 البلاشفة . - ص ٢٧٤ ، ٣٩٤

بوريانوف اندري فادييفيتش (ولد عام ١٨٨٠) - اشتراكي-ديموقراطي
 روسي منشفي تصفوي نائب في دوما الدولة الرابع . - ص ١٣١

بوريشكيفيتش فلاديمير ميتروفانوفيتش (١٨٧٠-١٩٢٠) - ملاك عقاري
 كبير رجعي من المائة السود ملكي اكتسب شهرة واسعة بخطاباته
 في الدوما ، المعادية للسامية والداعية الى ذبح اليهود . - ص ١٤ ،
 ١٥ ، ٢١ ، ٥٩ ، ٦٥ ، ٦٩ ، ٧٤ ، ٨١ ، ١٠١ ، ١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٨١ ،
 ٢١٧-٢٢٢ ، ٢٧٦ ، ٢٧٨

بوشه (Boucher) اوجين ارتور (١٨٤٧-١٩٣٣) - عسري فرنسي احد
 ايدولوجيي العسكرية الفرنسية - ص ٣٦٢

بولكين فيودور افاناسييفيتش (ولد عام ١٨٨٨) اشتراكي-ديموقراطي
 روسي منشفي ابان الحرب العالمية الاولى ، عمل في لجان الصناعات
 الحربية فيما بعد ، انصرف عن المناشفة ، وقبل في الحزب الشيوعي
 (البلشفي) في روسيا . - ص ١٢٨

بومبالوفسكي نيقولاي غيراسيموفيتش (١٨٣٥-١٨٦٣) - كاتب ديموقراطي
 روسي . - ص ٢١٥

بيبل (Bebel) اوغست (١٨٤٠-١٩١٣) - من ابرز قادة الاشتراكية-
 الديموقراطية الالمانية والاممية الثانية ؛ انتخب غير مرة عضواً في
 الريخستاغ في العقد العاشر من القرن التاسع عشر وفي اوائل القرن
 العشرين ، وقف ضد الاصلاحية والتحريفية في صفوف الاشتراكية-
 الديموقراطية الالمانية ، ولكنه لم يقدم على قطع الصلة بصورة سافرة
 صريحة مع الانتهازيين . - ص ٣٨٢ .

بير (Beer) ماكس (١٨٦٤-١٩٤٣) - مؤرخ الماني للاشتراكية -
ص ٥١١

بيرار (Bérard) فكتور (١٨٦٤-١٩٣١) - اقتصادي فرنسي كاتب
اجتماعي وسياسي عالم لغوي . - ص ٥٥٣

بيسمارك (Bismarck) اوتو ادوارد ليوبولد (١٨١٥-١٨٩٨) - رجل
دولة ودبلوماسي في بروسيا والمانيا كان هدفه الاساسي توحيد
الدويلات الالمانية الصغيرة المتفرقة «بالدم والحديد» ، وانشاء
امبراطورية المانية واحدة موحدة بزعامة بروسيا اليونكرية كان
بيسمارك اول مستشار للامبراطورية الالمانية من عام ١٨٧١ الى
عام ١٨٩٠ اشرف على كل سياسة المانيا في الحقلين الداخلي
والخارجي وضع القانون الاستثنائي ضد الاشتراكيين (عام ١٨٧٨) . -
ص ١٢٨ ، ١٩٩ ، ٢٢٨ ، ٢٦٦ ، ٢٧٨ ، ٣٠٧

بيسولاتي (Bissolati) ليونيدا (١٨٥٧-١٩٢٠) - احد مؤسسي الحزب
الاشتراكي الايطالي واحد زعماء جناحه الاصلاحى اليميني المتطرف في
عام ١٩١٢ فصل من الحزب الاشتراكي الايطالي ، فشكل «الحزب
الاشتراكي الاصلاحى» ابان الحرب العالمية الاولى ، اشتراكي
شوفيني ، ونصير اشتراك ايطاليا في الحرب الى جانب الوفاق من سنة
١٩١٦ الى سنة ١٩١٨ ، اشترك في الحكومة بصفة وزير دولة بلا
وزارة . - ص ٣٣٩ ، ٣٩٥ ، ٣٩٩

بيش (Paish) جورج (١٨٦٧-١٩٥٧) - اقتصادي واحصائي بريطاني .
مسالم . - ص ٣٠٤ ، ٣١٤ ، ٤٩٣ ، ٤٩٧

بيشخونوف الكسي فاسيليفيتش (١٨٦٧-١٩٣٣) -
شخصية اجتماعية وكاتب اجتماعي وسياسي روسي في العقد العاشر
من القرن التاسع عشر ، شعبي ليبرالي . منذ عام ١٩٠٦ ، احد قادة

الحزب البرجوازي الصغير ، حزب «الاشتراكيين الشعبيين» في عام ١٩١٧ ، وزير التموين في الحكومة الموقتة البرجوازية . - ص ٢٠ ، ٢٢-٢٥ ، ٢٢١

بيكون (Bacon) رذجينالسد هيو سبنسر (١٨٦٣-١٩٤٧) - اختصاصي انجليزي كبير في الشؤون البحرية الحربية عميد بحري من سنة ١٩١٠ الى سنة ١٩١٥ ، كان مديراً لمصانع المدافع في كوفنتري . - ص ٤٩

بيليس مندل تييفيفيتش (ولد عام ١٨٧٣) - يهودي اتهم زوراً وبهتاناً في عام ١٩١١ بقتل صبي مسيحي لاغراض دينية طقسية . - ص ٨٠

بيلينسكي فيساريون غريغوريفيتش (١٨١١-١٨٤٨) - ديموقراطي ثوري روسي ناقد ادبي كاتب اجتماعي وسياسي فيلسوف مادي . - ص ١٠٧

بينغسن ا. ب. (ولد عام ١٨٧٥) ملاك عقاري اكتوبري نائب في دوما الدولة الثالث والرابع . - ص ١٤١

تروبتسكوي يفغيني نيقولايفيتش (١٨٦٣-١٩٢٠) - امير احد ايدولوجيي الليبرالية البرجوازية الروسية فيلسوف مثالي قبل عام ١٩٠٦ كاديتي بعد عام ١٩٠٧ احد منظمي الحزب الملكي الدستوري ، حزب «التجدد السلمي» ابان الحرب العالمية الاولى ، احد ايدولوجيي الامبريالية الروسية - ص ١٥٧

تروتسكي (برونشتين) ليف دافيدوفيتش (١٨٧٩-١٩٤٠) - اشتراكي-ديموقراطي روسي منشفي بعد هزيمة ثورة ١٩٠٥-١٩٠٧ تصفوي ابان الحرب العالمية الاولى ، شغل موقفاً وسطياً ناضل ضد لينين والبلاشفة في قضايا الحرب والسلم والثورة في عام ١٩١٧ قبل في الحزب البلشفي ، ولكنه لم ينتقل الى مواقع البلشفية بل ناضل في السر وفي العلن ضد اللينينية ، وضد سياسة الحزب .

بعد ثورة اكتوبر الاشتراكية ، شغل تروتسكي عدداً من المناصب المسؤولة ، ووقف ضد الخط العام للحزب ، وضد بناء الاشتراكية في الاتحاد السوفييتي . في عام ١٩٢٧ ، طرد تروتسكي من الحزب ؛ وفي عام ١٩٢٩ نفى من الاتحاد السوفييتي لنشاطه ضد السلطة السوفييتية ؛ وفي عام ١٩٣٢ حرم من المواطنة السوفييتية . - ص ١١٤ ، ١١٨-١٢٧ ، ١٢٩-١٣٧ ، ١٣٩-١٤٢ ، ٢١٣ ، ٢١٤ ، ٢٢٠ ، ٣٨٦ ، ٤١٥ ، ٤١٦ ، ٤١٧

ترولسترا (Troelstra) بيتر بيليس (١٨٦٠-١٩٣٠) - قائد في الحركة العمالية الهولندية انتهازي كان احد مؤسسي (عام ١٨٩٤) وزعماء حزب العمال الاشتراكي-الديموقراطي الهولندي ابان الحرب العالمية الاولى ، اشتراكي شوفيني ذو اتجاه موال لالمانيا . - ص ٣٣٩ ، ٤٠٥

تسيبتكين (Zetkin) كلارا (١٨٥٧-١٩٣٣) - قائدة بارزة في الحركة العمالية الالمانية والعالمية من مؤسسي الحزب الشيوعي الالمانى . - ص ٤٠٥

تشيخينكيلى اكاي ايفانوفيتش (١٨٧٥-١٩٥٩) - اشتراكي-ديموقراطي روسي منسفي ابان الحرب العالمية الاولى ، اشتراكي-شوفيني بعد ثورة شباط (فبراير) البرجوازية الديمقراطية (عام ١٩١٧) ، ممثل الحكومة الموقته البرجوازية فيما وراء القفقاس . - ص ١٠٤ ، ٤١٧ ، ٥٤٩

تشيبيدزه نيقولاى سيمونوفيتش (١٨٦٤-١٩٢٦) - احد زعماء المنشفية نائب في دوما الدولة الثالث والرابع ترأس الكتلة المنشفية في دوما الدولة الرابع ابان الحرب العالمية الاولى ، وسطي ابان ثورة شباط (فبراير) البرجوازية الديمقراطية (عام ١٩١٧) ، عضو في اللجنة الموقته لدوما الدولة ، دفاعي كان رئيساً لسوفييت بتروغراد لنواب العمال والجنود ، ورئيساً للجنة التنفيذية المركزية بقوامها

الاول ، ودعم الحكومة المؤقتة البرجوازية بهمة ونشاط .- ص ١٣١ ،
٢٨١ ، ٣٩٦ ، ٣٩٧ ، ٣٩٩ ، ٤١٢ ، ٤١٦ ، ٤١٧ ، ٥٤٩

تشمبرلين (Chamberlain) جوزف (١٨٣٦-١٩١٤) - سياسي بريطاني
طبق بصورة نشيطة سياسة الفتوحات الاستعمارية من كبار منظمي
الحرب الانجلو-بويرية (١٨٩٩-١٩٠٢) .- ص ٥١٢

تشيروشكسي (Tschierschky) زيغفريد (ولـد عام ١٨٧٢) - اقتصادي
المانى . - ص ٤٤٢ ، ٤٥٩

تشيرونيشيفسكي نيقولاي غفريلوفيتش (١٨٢٨-١٨٨٩) - ديمقراطي ثوري
روسي عالم وكاتب وناقد ادبي من ابرز اسلاف الاشتراكية-
الديموقراطية الروسية .- ص ٢٠ ، ٧٤ ، ١٠٧ ، ١٩٤ ، ٢٧٦

تشيريفانين ن . (ليبكين فيودور اندرييفيتش) (١٨٦٨-١٩٣٨) اشتراكي-
ديموقراطي روسي احد زعماء المنشفية تصفوي ابان الحرب
العالمية الاولى ، اشتراكي-شوفيني .- ص ٣٩٥ ، ٤١٢

توغان-بارانوفسكي ميخائيل ايفانوفيتش (١٨٦٥-١٩١٩) - اقتصادي
روسي ممثل بارز «للماركسية الشرعية» ، وهي ضرب روسي من
البرنشتينية . فيما بعد ، كاديتي .- ص ٨٢ .

تولياكوف ايفان نيكيتيتش (ولـد عام ١٨٧٧) - اشتراكي-ديموقراطي
روسي منشفي نائب في دوما الدولة الرابع .- ص ١٣١

توماس (Thomas) البر (١٨٧٨-١٩٣٢) - سياسي فرنسي اشتراكي-
اصلاحي ابان الحرب العالمية الاولى ، اشتراكي-شوفيني اشترك في
الحكومة البرجوازية الفرنسية بصفة وزير لشؤون التسليح .- ص ٤٢٦ .

تيير (Thiers) ادولف (١٧٩٧-١٨٧٧) - رجل دولة ومؤرخ فرنسي بعد سقوط الامبراطورية الثانية (٤ ايلول - سبتمبر - ١٨٧٠) ، احد قادة الحكومة الرجعية الفعلين في ١٧ شباط (فبراير) ١٨٧١ ترأس هذه الحكومة احد كبار منظمي الحرب الاهلية وقمع كومونة باريس في عام ١٨٧١ . - ص ٢٤٢

تيري (Thierry) اوغوستين (١٧٩٥-١٨٥٦) - مؤرخ فرنسي ليبرالي الاتجاه احد مؤسسي نظرية النضال الطبقي البرجوازية - ص ٢٤٢

جوردانيا نوي نيقولايفيتش (آن ، كوستروف) (١٨٧٠-١٩٥٣) - اشتراكي-ديموقراطي احد زعماء مناشفة القفقاس بعد هزيمة ثورة ١٩٠٥ ، انضم شكلاً الى المناشفة الحزبيين (راجعوا الملاحظة رقم ٦٨) ولكنه ايد فعلاً التصفيين في عام ١٩١٤ اعاون في مجلة تروتسكي «بوربا» («النضال») ابان الحرب العالمية الاولى ، اشتراكي-شوفيني - ص ١٣٢ ، ٢١٠ ، ٤١٦

جيفن (Giffen) روبرت (١٨٣٧-١٩١٠) - اقتصادي واحصائي انجليزي مداح الرأسمالية الانجليزية مؤلف جملة من البحوث في الاقتصاد والمالية والاحصاء . - ص ٣٠٤ ، ٥٣٩

جيليايوف اندري ايفانوفيتش (١٨٥٠-١٨٨١) - ثوري روسي شعبي رئيس حزب «نارودنايا فوليا» («ارادة الشعب») باشرافه تم تنظيم عدد من المحاولات لاغتيال القيصر الكسندر الثاني اعدم بسبب تنظيمه لاغتيال القيصر في اول اذار (مارس) ١٨٨١ . - ص ٣٠٨

خالتورين ستيمان نيقولايفيتش (١٨٥٦-١٨٨٢) - من اوائل الثوريين العمال الروس . في عام ١٨٧٨ نظم فرقة غير شرعية اسمها «اتحاد العمال الروس في الشمال» . بعد سحق هذه الفرقة ، اقترب من النارودوفوليين ونظم اغتيال القيصر (عام ١٨٨٠) والمدعي العام العسكري الجنرال ستريلنيكوف (عام ١٨٨٢) حكمت عليه محكمة الميدان الحربية بالاعدام . - ص ١٠٨ .

دافيد (David) ادوارد (١٨٦٣-١٩٣٠) - احد زعماء الجناح اليميني في الاشتراكية-الديموقراطية الالمانية محرف اقتصادي من حيث المهنة ابان الحرب العالمية الاولى ، اشتراكي-شوفيني .- ص ٢٩٢ ، ٣٣١
٥١٣ ، ٤١٧ ، ٣٨١ ، ٣٤٨

دافيدوف ل. ف. - مدير مستشارية التسليف في سانت-بطرسبورغ .- ص ٤٩٦

دان فيودور ايليتش (١٨٧١-١٩٤٧) - احد زعماء المناشفة ترأس في الخارج فريق التصفيين ، وحرر جريدة « غولوس سوسيال-ديموقراطا » (« صوت الاشتراكي-الديموقراطي ») بعد ثورة اكتوبر الاشتراكية ، ناضل ضد السلطة السوفييتية .- ص ١٢٥ ، ١٣٢ ، ١٣٤

دانييلسون نيقولاي فرانتسيفيتش (نيقولاي-ون) (١٨٤٤-١٩١٨) كاتب واقتصادي روسي احد ايديولوجي الشعبية الليبرالية في العقديس-التاسع والعاشر من القرن التاسع عشر .- ص ٢١

دراغومانوف ميخائيل بتروفيتش (١٨٤١-١٨٩٥) - مؤرخ اوكراني اتنوغرافي . كاتب اجتماعي وسياسي واحد من ابرز قادة الجناح المعتدل في حركة التحرر الوطني الاوكرانية دعا الى الاستقلال الذاتي الثقافي القومي .- ص ٩٢ ، ١٩٤ ، ١٩٥

دريو (Driault) ادوارد مؤرخ فرنسي .- ص ٥٢٢ ، ٥٢٣

دولغوروكوف بافل دمتريفيتش (١٨٦٦-١٩٣٠) - احد مؤسسي حزب الكاديت من ١٩٠٥ الى ١٩١١ ، رئيس لجنته المركزية فيما بعد ، نائب الرئيس .- ص ٢٧٥

دوما (Dumas) شارل (١٨٨٣-١٩١٤) - صحفي وكاتب اجتماعي وسياسي عضو الحزب الاشتراكي في فرنسا . ابان الحرب العالمية الاولى ، اشتراكي-شوفيني .- ص ٢٩٢ .

دونتسوف دميترو - عضو في حزب العمال الاشتراكي-الديموقراطي الاوكراني البرجوازي الصغير ابان الحرب العالمية الاولى ، كان احد مؤسسي «اتحاد تحرير اوكرانيا» ، وهو منظمة قومية تعصبية حاولت ان تحقق شعار «استقلال» اوكرانيا بمساعدة الملكية النمساوية . - ص ٦٨ ، ٧٣ ، ١٧٢

ديسرائيلي (Disraeli) بنيامين - كونت نيكونسفيلد (١٨٠٤-١٨٨١) - رجل دولة انجليزي زعيم حزب المحافظين غير مرة اشترك في الحكومات وشغل منصب رئيس الوزارة . - ص ٥١١

ديشانيل (Deschanel) بول (١٨٥٥-١٩٢٢) - رجل دولة فرنسي كاتب اجتماعي وسياسي من عام ١٨٩٩ الى عام ١٩١٩ عضو مجلس النواب ، ورئيسه مراراً . - ص ٤٩٦

ديلايزي (Delaisi) فرنسيس (ولد عام ١٨٨٣) - اقتصادي برجوازي صغير فرنسي . سنديكالي . مسالم . - ص ٢٩٥

دينيكين انطون ايفانوفيتش (١٨٧٢-١٩٤٧) - جنرال قيصري بعد ثورة اكتوبر الاشتراكية ، احد زعماء حركة الحرس الابيض ، والقائد الاعلى للقوات المسلحة المعادية للسلطة السوفييتية في جنوب روسيا بعد هزيمة جيشه على يد القوات المسلحة السوفييتية (آذار-مارس-١٩٢٠) هاجر الى الخارج . - ص ٤٢٧

رادك كارل برنغاردوفيتش (١٨٨٥-١٩٣٩) - منذ بداية القرن العشرين ، انضم الى الحركة الاشتراكية-الديموقراطية في غاليسيا وبولونيا والمانيا ابان الحرب العالمية الاولى ، وقف مواقف اممية ، ولكنه ابدى تذبذبات في اتجاه الوسطية انتسب الى الحزب البلشفي في عام ١٩١٧ . فيما بعد ، طرد من الحزب لنشاطه ضد الحزب . - ص ٢٩٧ .

راديشيف الكسندر نيقولايفيتش (١٧٤٩-١٨٠٢) - كاتب روسي منور ثوري مؤلف الكتاب المشهور «سفرة من بطرسبورغ الى موسكو» الذي يوضح نظم الانوقراطية (الحكم المطلق) والقنانة واطواع الشعب الروسي الشديدة الوطاة حكمت عليه القيصرية بالاعدام ، ثم استبدلت الحكم بالنفي الى سيبيريا لمدة ١٠ سنوات .- ص ٢٧٧

راكوفسكي خريستيان غيورغيفيتش (١٨٧٣-١٩٤١) - منذ بداية العقد العاشر من القرن التاسع عشر ، اشترك في الحركة الاشتراكية-الديموقراطية في بلغاريا ورومانيا وسويسرا وفرنسا ابان الحرب العالمية الاولى ، وسطي في عام ١٩١٧ انضم الى الحزب البلشفي فيما بعد ، طرد من الحزب لنشاطه ضد الحزب .- ص ٣٨٦

روباكين نيقولاي الكسندروفيتش (١٨٦٢-١٩٤٦) - كاتب بيبليوغرافي روسي (عالم في وصف الكتب والمخطوطات والتعريف بها) عمله الاساسي في هذا المضمار- «بين الكتب» كتب لينين عرضاً موجزاً عن المجلد الثاني من هذا العمل .- ص ١١٥

روبانوفيتش ايليا ادولفوفيتش (١٨٦٠-١٩٢٠) - احد زعماء الاشتراكيين-الثوريين عضو في المكتب الاشتراكي العالمي ابان الحرب العالمية الاولى ، اشتراكي-شوفيني .- ص ٢٧٤ ، ٣٩٤

روبسبير (Robespierre) مكسيميليان (١٧٥٨-١٧٩٤) - قائد بارز في الثورة البرجوازية الفرنسية في اواخر القرن الثامن عشر زعيم اليقوبيين رئيس الحكومة الثورية (١٧٩٣-١٧٩٤) .- ص ٣٠٨

روبشين ف. (سافينكوف بوريس فكتوروفيتش) (١٨٧٩-١٩٢٥) - قائد بارز نشيط في حزب الاشتراكيين-الثوريين احد قادة ومنظّمته القتالية .- ص ٢٣ ، ٣٠٧

رودبرتوس-ياغيتسوف (Rodbertus-Jaetzow) يوهان كارل (١٨٠٥-١٨٧٥) - اقتصادي مبتدل ألماني . احد نظريي «اشتراكية الدولة» .

اعتبر انه يمكن حل التناقضات بين العمل والراسمال بواسطة اصلاحات
تقوم بها الدولة اليونكرية البروسية .- ص ٢٥٣

رودس (Rhodes) سيسيل جون (١٨٥٣-١٩٠٢) - رجل دولة وسياسي
بريطاني رجعي طبق السياسة الاستعمارية البريطانية بنشاط ودعا الى
التوسع الامبريالي .- ص ٥١٢ ، ٥١٣ ، ٥٢٠ .

رودورفر (ريتسلر (Riezler) كورت) (١٨٨٢-١٩٥٥) - دبلوماسي
الماني فيلسوف كاتب اجتماعي وسياسي احد ممثلي الجناح
الملكي الليبرالي في البرجوازية الامبريالية الالمانية .- ص ٣٣٦

روديتشيف فيودور اسماعيلوفيتش (١٨٥٦-١٩٣٣) - رجل الزيمستفوات
احد زعماء حزب الكاديت . عضو لجنته المركزية . نائب في دوما الدولة
- ص ٢٧٥

روزنفلد ليف بوريسوفيتش (الاسم المستعار- كامينيف ل . ب .)
(١٨٨٣-١٩٣٦) - اشتراكي-ديموقراطي روسي بعد المؤتمر الثاني
ح ع ادر (١٩٠٣) ، انضم الى البلاشفة بعد هزيمة ثورة ١٩٠٥ -
١٩٠٧ ، شغل موقف المصالحة حيال التصفيين في عام ١٩١٥ ،
اعتقل ، فتنكر امام المحكمة للشعار البلشفي القائل بهزيمة الحكومة
القيصرية في الحزب الامبريالية
بعد ثورة اكتوبر الاشتراكية ، شغل عدداً من المناصب
المسؤولة ، ولكنه وقف غير مرة ضد سياسة الحزب اللينينية ، ومن
جرا ذلك طرد من الحزب في عام ١٩٣٤ .- ص ٢٨١

روغه (Ruge) ارثولد (١٨٠٢-١٨٨٠) - من الهيفلين الشباب الالمان
راديكالي برجوازي .- ص ٢٢٨

روكفلر (Rockefeller) جون ديفيسون (١٨٣٩-١٩٣٧) - مؤسس سلالة
مالية ملك البترول في الولايات المتحدة الاميركية .- ص ٤٦٤ ،
. ٥٠٤ ، ٥٠٢

رولاند هولست (Roland-Holst) **هنرييت** (١٨٦٩-١٩٥٢) - اشتراكية يسارية هولندية كاتبة عملت في تنظيم الاتحادات النسائية في بداية الحرب العالمية الاولى ، شغلت موقفاً وسطياً ثم التحقت بالامميين .- ص ٢٨٦

آل رومانوف - سلالة من القيصرية والاباطرة الروس حكمت من عام ١٩١٣ الى ١٩١٧ .- ص ٢٧٦ ، ٣٦٨ ، ٣٩٢

رومانوف - راجعوا نيقولاي الثاني .

ريازانوف دافيد بوريسوفيتش (١٨٧٠-١٩٣٨) - اشتراكي-ديمقراطي روسي ابان الحرب العالمية الاولى ، وسطي عاون في الصحافة المنشفية .- ص ١٤٢

ريبينغتون (Repington) **تشارلز كورت** (١٨٥٨-١٩٢٥) - ضابط وصحفي حربي احد ممثلي الطغمة العسكرية الامبريالية البريطانية مؤلف عدد من البحوث عن تحضير وعن مجرى الحرب العالمية الاولى .- ص ٣٦٢

ريسر (Riesser) **ياكوب** (١٨٥٣-١٩٣٢) - اقتصادي ومصرفي الماني مؤلف بحوث برز فيها مداحاً للامبريالية وللراسمال المالي .- ص ٤٤٠ ، ٤٤٤ ، ٤٥٣ ، ٤٥٥ ، ٤٥٦ ، ٤٦٣ ، ٤٦٦ ، ٤٧٣ ، ٤٩٢ ، ٤٩٧ ، ٥٠٥ ، ٥٦٤ ، ٥٦٨ ، ٥٧٠

ريغر (Reger) **تاديوش** (١٨٧٢-١٩٣٨) - عضو في الحرب الاشتراكي-الديموقراطي البولوني في غاليسيا وسيليزيا من ١٩١١ الى ١٩١٧ ، عضو في البرلمان النمساوي .- ص ١٦٢

ريكاردو (Ricardo) **دافيد** (١٧٧٢-١٨٢٣) - اقتصادي بريطاني تكامل في بحوثه الاقتصاد السياسي البرجوازي الكلاسيكي وضح ريكاردو نظرية القيمة - العمل التي تقول ان القيمة يحددها العمل المنفق على انتاج البضاعة وان هذا العمل هو مصدر اجور العمال وارباح الراسماليين على السواء .- ص ٣٦ ، ٢٥٣ .

رينر (Renner) كارول (١٨٧٠-١٩٥٠) - سياسي نمساوي زعيم ونظري الاشتراكيين-الديموقراطيين اليمينيين النمساويين احد ايدولوجيي ما يسمى «الماركسية النمساوية» وواضعي النظرية البرجوازية القومية التعصبية القائلة «بالاستقلال الذاتي الشقائي القومي» ابان الحرب العالمية الاولى ، اشتراكي-شوفيني .- ص ٣٩١

زوديكوم (Südekum) البرت (١٨٧١-١٩٤٤) - احد الزعماء الانتهازيين في الاشتراكية-الديموقراطية الالمانية محرف ابان الحرب العالمية الاولى ، اشتراكي-شوفيني .- ص ٢٩٩ ، ٣٢٣ ، ٣٢٩ ، ٣٤١-٣٤٣ ، ٣٥٢ ، ٣٥٥ ، ٣٥٩ ، ٣٩٩ ، ٤٠٤ ، ٤١٨ ، ٥١٣

زورغه (Sorge) فريديريخ ادولف (١٨٢٨-١٩٠٦) - اشتراكي الماني قائد بارز في الحركة العمالية والاشتراكية العالمية حديث ماركس وانجلس ورفيقهما بالفكر والكفاح .- ص ٢٦٧ ، ٣٦٠

سارتوريوس فون فالترسهاوزن (Sartorius von Waltershausen) اوغست (ولد عام ١٨٥٢) - اقتصادي الماني من عام ١٨٨٨ الى عام ١٩١٨ ، بروفيسور في جامعة ستراسبورغ مؤلف بحوث في مسائل الاقتصاد العالمي والسياسة العالمية .- ص ٣٣٦ ، ٥٢١ ، ٥٤٠

سافنكو اناطولي ايفانوفيتش (ولد عام ١٨٧٤) - قومي برجوازي كاتب اجتماعي وسياسي ملاك عقاري كبير نائب في دوما الدولة الرابع حيث انضم الى «الكتلة التقدمية» .- ص ١٧٩

سالاندر (Salandra) انطونيو (١٨٥٣-١٩٣١) - رجل دولة ايطالي احد زعماء الجناح اليميني المتطرف في «الكتلة الليبيرالية» من الاحتكارات الصناعية وكبار ملاكي الاراضي في ايطاليا من عام ١٩١٤ الى عام ١٩١٦ ، رئيس مجلس الوزراء في ايطاليا احد المبادرين الى انخراط ايطاليا في الحرب العالمية الاولى الى جانب الرفاق .- ص ٣٠٨ .

سامبا (Sembat) مارسيل (١٨٦٢-١٩٢٢) - احد الزعماء الاصلاحيين في الحزب الاشتراكي الفرنسي ابان الحرب العالمية الاولى ، اشتراكي-شوفيني من ١٩١٤ الى ١٩١٧ ، وزير الاشغال العامة في حكومة الدفاع الوطني « الامبريالية الفرنسية . - ص ٣٤١ ، ٣٥٣ ، ٣٩٩ ، ٤٠٥

سان-سيمون (Saint-Simon) هنري كلود (١٧٦٠-١٨٢٥) - اشتراكي-طوباوي فرنسي كبير انتقد النظام الرأسمالي وقدم برنامجاً للاستعاضة عنه بمجتمع قائم على اسس التشارك . - ص ٥٧١ ، ٥٧٢

سبيكتاتور (ناخيمسون ميرون اسحقوفيتش) (ولد عام ١٨٨٠) - اقتصادي وكاتب اجتماعي وسياسي روسي بوندي ابان الحرب العالمية الاولى ، وسطي مؤلف جملة من البحوث في قضايا الاقتصاد العالمي . - ص ٥٥٤ ، ٥٥٥ ، ٥٥٩

ستروفه بيوتر برنغاردوفيتش (١٨٧٠-١٩٤٤) - اقتصادي وكاتب اجتماعي وسياسي برجوازي روسي احد زعماء حزب الكاديت في العقد العاشر من القرن التاسع عشر ، ابرز ممثلي «الماركسية الشرعية» ، وهي ضرب روسي من البرلشتينية احد ايدولوجيي الامبريالية الروسية . - ص ٦٥ ، ٧٤ ، ٨٢ ، ١٩٥ ، ٣٠٩

ستيد (Stead) وليام توماس (١٨٤٩-١٩١٢) - صحفي بريطاني . - ص ٥١٢

سكوبيليف ماتفي ايفانوفيتش (١٨٨٥-١٩٣٩) - اشتراكي-ديموقراطي روسي منشفي ابان الحرب العالمية الاولى ، وسطي بعد الثورة البرجوازية الديموقراطية في شباط (فبراير) ١٩١٧ ، اشترك في الحكومة الموقته البرجوازية . فيما بعد ، انتسب الى الحزب الشيوعي . - ص ٥٤٩

سميث (Smith) آدم (١٧٢٣-١٧٩٠) - اقتصادي بريطاني من كبار ممثلي الاقتصاد السياسي البرجوازي الكلاسيكي . - ص ٣٦ ، ٢٤٨

سميرنوف ١. (غوريفيتش ايمانويل لفوفيتش) (ولد عام ١٨٦٥) - اشتراكي-ديموقراطي روسي منشفي بعد هزيمة ثورة ١٩٠٥ - ١٩٠٧ ، تصفوي احد مؤسسي ومحري مجلة المناشفة-التصفويين «ناشا زاريا» («فجرنا») ابان الحرب العالمية الاولى ، اشتراكي شوفيني . - ص ٢٧٤

سنكلر (Sinclair) ايتون (١٨٧٨-١٩٦٨) - كاتب اميركي مؤلف روايات اجتماعية من حيث نظرتهم الى العالم ، اشتراكي-طوباوي واصلاحي برجوازي صغير وقف ضد الحرب العالمية . - ص ٣٦٤ ، ٣٦٥

سوبان (Supan) الكسندر (١٨٤٧-١٩٢٠) - جغرافي الماني بروفيسور في جامعة غوتا وجامعة بريسلو . - ص ٥٠٨ ، ٥١٣

سوخانوف ن . (غير نيقولا نيقولايفيتش) (ولد عام ١٨٨٢) اقتصادي روسي كاتب اجتماعي وسياسي في الشؤون العالمية منشفي حاول ان يجمع بين الشعبية والماركسية . - ص ٢٣

سوكولوفسكي (باسوك) ماريان ايفانوفيتش (١٨٧٩-١٩٣٨) - قومي برجوازي صغير اوكراني منشفي قائد نشيط في المنظمة الاشتراكية-الديموقراطية الاوكرانية «سيلكا» . - ص ٧١

سييدوف ل . - راجعوا كولتسوف د .

سيهكوفسكي س (برونشتين سيهيون يولييفيتش) (ولد عام ١٨٨٢) اشتراكي-ديموقراطي روسي منشفي اشترك في هيئة تحرير «البرافدا» التي اسسها تروتسكي عاون في صحف المناشفة-التصفويين وفي الصحف الاشتراكية-الديموقراطية الاجنبية .

انتقد لينين انتقاداً حاداً في عدد من مؤلفاته موقف سيمكوفسكي في المسألة القومية وفي غيرها من المسائل .- ص ٨٤ ، ٨٧ ، ٩٩ ، ١٣١ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٥١ ، ١٦٥ ، ١٧٤ ، ١٧٥ ، ١٨٢ ، ١٩٢ ، ٢٠٧ ، ٢١٦-٢١٨ ، ٢٢٠

سيبنس (Siemens) غيورغ (١٨٣٩-١٩٠١) - من كبار الصناعيين وملوك المال في ألمانيا .- ص ٤٧٥ ، ٤٩٩

شآبر (Shapper) كارل (١٨١٢-١٨٧٠) - قائد بارز في الحركة العمالية الألمانية والعالمية اشترك في اللجنة المركزية لعصبة الشيوعيين حيث وقف مع ويلخ ضد اغلبيية اللجنة المركزية ، السائرة بقيادة ماركس وانجلس ، وامسى من زعماء الكتلة الانعزالية المغامرة في العصبة فيما بعد ، فهم خطأ مواقفه ، فتقرب من جديد من ماركس وانجلس ، وضمّ بالتعيين الى المجلس العام للاممية الاولى .- ص ٢٦٥

شتاوس (Stauß) اميل غيورغ (ولد عام ١٨٧٧) - مالي ومصري ألماني ترأس جمعية «البنك الألماني» ابتداء من عام ١٩١٥ ، عضو في مجلس ادارة البنك ، ومراقب في مجلس البنك .- ص ٥٠٣

شتروبل (Ströbel) هنريخ (١٨٦٩-١٩٤٥) - اشتراكي-ديموقراطي ألماني. في بداية الحرب العالمية الاولى ، وقف ضد الاشتراكية-الشوفينية والحرب الامبريالية فيما بعد ، وسطي احد المبادرين الى تأسيس الحزب الاشتراكي-الديموقراطي الألماني المستقل .- ص ٣٤٣

شتيرنو (Stirner) ماكس (الاسم الأدبي المستعار لغاسبار شميدت) (١٨٥٦-١٨٥٦) فيلسوف ألماني من الهيغلين الشباب احد ايدولوجيي الفردية والفضوية البرجوازية .- ص ١٩٩

شتين (Stein) لوونتس (١٨١٥-١٨٩٠) - باحث ألماني في مسألة الدولة . اقتصادي مبتذل .- ص ٢٣٨

شدرين (سالتيكو-شدرين ميخائيل يفغرافوفيتش) (١٨٢٦-١٨٨٩) - كاتب
هجائي وساخر روسي ديموقراطي ثوري .- ص ١٣٩ ، ١٧٧

شلفونوف فاسيلي اندرييفيتش (١٨٦٧-١٩٣٩) - اشتراكي-ديموقراطي
روسي بلشفي عامل احد منظمي وقادة واتحاد النضال من اجل
تحرير الطبقة العاملة في بطرسبورغ ؛ ومن جراء ذلك اعتقل ونفي .-
ص ١١٠

شولتز (Schultze) ارنست (١٨٧٤-١٩٤٣) - اقتصادي الماني مداح
الامبريالية الالمانية .- ص ٣١٧

شولتز-غيفيرنيتز (Schultze-Gaevernitz) غرهارد (١٨٦٤-١٩٤٣) -
اقتصادي الماني حاول في مؤلفاته ان يعلل امكانية اقامة السلام
الاجتماعي في المجتمع الراسمالي بقصد تحسين اوضاع جميع الطبقات
طبقة الراسماليين وطبقة العمال وطبقة الفلاحين .- ص ٤٥٢ ، ٤٥٥ ،
٤٦٣ ، ٤٧١ ، ٤٧٣ ، ٤٧٥ ، ٥٢٠ ، ٥٢١ ، ٥٣٩ ، ٥٤٠ ،
٥٤٤ ، ٥٤٦ ، ٥٧١

شيدمان (Scheidemann) فيليب (١٨٦٥-١٩٣٩) - احد زعماء الجناح
الانتهازي اليميني المتطرف في الاشتراكية-الديموقراطية الالمانية ابان
الحرب العالمية الاولى ، اشتراكي-شوفيني احد منظمي التنكيل الدموي
بالحركة العمالية الالمانية من عام ١٩١٨ الى ١٩٢١ .- ص ٣٣٢
٣٤٣ ، ٣٥٣ ، ٣٥٥ ، ٤٠٤ ، ٤٠٥ ، ٤٢٧

شيلدر (Schilder) زيغمووند (توفي عام ١٩٣٢) - اقتصادي الماني .- ص
٤٩٣ ، ٤٩٦ ، ٥١٧ ، ٥١٨ ، ٥٢١ ، ٥٤٠ ، ٥٦٣

غاردينين يو . (تشيرنوف فكتور ميخايلوفيتش) (١٨٧٦-١٩٥٢) - احد
زعماء ونظريي حزب الاشتراكيين-الثوريين نشر في الصحف مقالات ضد
الماركسية ابان الحرب العالمية الاولى ، وقف مواقف الاشتراكية-
الشوفينية .- ص ٣٠٧

غاريبالددي (Garibaldi) جوزيه (١٨٠٧-١٨٨٢) - من اكبر زعماء الديموقراطية الثورية الإيطالية قائد عسكري بارز ترأس نضال الشعب الإيطالي ضد الاستعباد الاجنبي ، ومن اجل توحيد إيطاليا . - ص ١٩٩ ، ٣٠٨

غانكفيتش نيقولاي (ولد عام ١٨٦٩) - من سنة ١٩١٤ الى سنة ١٩١٧ ، عضو «الرادا الاوكرانية الكبرى» في لفوف بعد ثورة اكتوبر الاشتراكية ، كان نصيراً للتحالف بين اوكرانيا وبولونيا ضد روسيا السوفييتية . - ص ١٦٢

غانيتسكي (فورستنبرغ) ياكوف ستانيسلافوفيتش (١٨٧٩-١٩٣٧) - سياسي بارز في الحركة الثورية البولوية والروسية عضو الحزب الاشتراكي-الديموقراطي منذ عام ١٨٩٦ اشترك في المؤتمر الثاني ح ع ا د ر . - ص ٢٠٨ ، ٢٠٩

غروليخ (Greulich) غرمن (١٨٤٢-١٩٢٥) - احد مؤسسي الحزب الاشتراكي-الديموقراطي السويسري زعيم جناحه اليميني ابان الحرب العالمية الاولى ، اشتراكي-شوفيني ، ناضل ضد الجناح اليساري الزيميرفالدي . - ص ٣٤٠

غريم (Grimm) روبرت (١٨٨١-١٩٥٨) - احد زعماء الحزب الاشتراكي-الديموقراطي السويسري ابان الحرب العالمية الاولى ، وسطي ، رئيس مؤتمر زيميرفالد وكننتال ، رئيس اللجنة الاشتراكية العالمية . - ص ٣٤٠

غفينر (Gwinner) ارتور (١٨٥٦-١٩٣١) - رجل مال الماني كبير مدير «البنك الالماني» . ص ٥٠٣

غلاستون (Gladstone) وليام يوارت (١٨٠٩-١٨٩٨) - سياسي ورجل دولة بريطاني زعيم الحزب الليبرالي (حزب الاحرار) رئيس الوزراء في عدد من الحكومات الليبرالية (حكومات الاحرار) . - ص ٤٩ ، ٢٠٢ .

**غليوم الثاني (هوهنزولرن) (١٨٥٩-١٩٤١) - امبراطور ألمانيا وملك
بروسيا (١٨٨٨-١٩١٨) . - ص ٢٧٠ ، ٣٠٦ ، ٤٨٧**

**غليوم (Guillaume) جيمس (١٨٤٤-١٩١٦) - فوضوي . كاتب اجتماعي
وسياسي عدو للماركسية كان عضواً في الاممية الاولى اشترك في
عدد من مؤتمراتها ، ثم كان احد منظمي حلف الديمقراطية الاشتراكية ،
- وهو حلف سري ناضل ضد ماركس وانجلس في عام ١٨٧٢ طرد مع
باكونين من الاممية الاولى من عام ١٩٠٥ الى عام ١٩١٠ اصدر بحثاً
من اربعة مجلدات عن الاممية الاولى زور فيه تاريخها وشوه الماركسية .
- ص ٣٨١**

**غوتشكوف الكسندر ايفانوفيتش (١٨٦٢-١٩٣٦) - رأسمالي كبير
منظم وزعيم حزب الاكتوبريين ابان الحرب العالمية الاولى ، رئيس
اللجنة المركزية للصناعات الحربية . بعد الثورة البرجوازية الديمقراطية
في شباط (فبراير) ١٩١٧ ، اشترك في الحكومة الموقته البرجوازية
بعد ثورة اكتوبر الاشتراكية ، ناضل ضد السلطة السوفييتية . -
ص ٣٠٨ ، ٢٧٥ ، ٧٤**

**غورتر (Gorter) غرمن (١٨٦٤-١٩٢٧) - اشتراكي-ديموقراطي
هولندي . كاتب اجتماعي وسياسي . احد مؤسسي جريدة «De Tribune»
(«دي تريبون» - المنبر) ابان الحرب العالمية الاولى ، اممي ، نصير
الجناح اليساري الزيميرفالدلي . - ص ٣٣٩ ، ٣٨٧**

**غوغول نيقولاى فاسيليفيتش (١٨٠٩-١٨٥٢) - كاتب روسي احد
مؤسسي الواقعية النقدية في الادب الروسي . - ص ١٠٧**

**غولاي (Golay) بول - اشتراكي-ديموقراطي سويسري في مستهل
الحرب العالمية الاولى ، وقف ضد الانتهازية والاشتراكية-الشوفينية
في الاممية الثانية . فيما بعد ، انتقل الى مواقف وسطية مسالمة . -
ص ٣٨٥ .**

غولديبلات - راجعوا ميدم ف . د

غومبرس (Gompers) صموئيل (١٨٥٠-١٩٢٤) - قائد في الحركة النقابية الاميركية احد مؤسسي اتحاد العمل الاميركي بقي رئيسه باستمرار منذ عام ١٨٩٥ طبق سياسة التعاون الطبقي مع الرأسماليين ، وعارض نضال الطبقة العاملة الثوري ابان الحرب العالمية الاولى ، اشتراكي-شوفيني . - ص ٤٢٦

غيد (Guesde) جول (بازيل ، ماتيو) (١٨٤٥-١٩٢٢) - احد منظمي وقادة الحركة الاشتراكية الفرنسية والاممية الثانية منذ بداية الحرب العالمية الاولى ، شغل موقفا اشتراكيا-شوفينيا واشترك في الحكومة البرجوازية الفرنسية - ص ٢٩١ ، ٢٩٢ ، ٣٢٨ ، ٣٣٠ ، ٣٣١ ، ٣٤٥

غيزو (Guizot) فرانسوا بيار غيوم (١٧٨٧-١٨٧٤) - مؤرخ ورجل دولة فرنسي تتضمن مؤلفات غيزو ، مثلها مثل مؤلفات مينيه وتييري ، اولي المحاولات لتفسير التاريخ على صعيد النضال الطبقي ، المنظور اليه ، والحق يقال ، من وجهة النظر البرجوازية . - ص ٢٤٢

ف . اي . - راجعوا لينين ف . اي .

ف . ف . - راجعوا فورونتسوف ف ب

فارشافسكي ا س (فارسكي ادولف) (١٨٦٨-١٩٣٧) - قائد بارز في الحركة الثورية البولونية اشتراكي-ديموقراطي احد مؤسسي حزب العمال الشيوعي في بولونيا ، واحد اعضاء لجنته المركزية ابان الحرب العالمية الاولى ، اممي . - ص ٢٠٨ ، ٢٠٩

فان-رافيستين (Ravesteyn) ، رافستين فيليم فان (ولد عام ١٨٧٦) - اشتراكي هولندي . التحق بالجناح اليساري في حزب العمال الاشتراكي-

الديموقراطي الهولندي احد مؤسسي الحزب الاشتراكي-الديموقراطي الهولندي . - ص ٤٥

فاندرفييلده (Vandervelde) اميل (١٨٦٦-١٩٣٨) - زعيم حزب العمال البلجيكي ، رئيس المكتب الاشتراكي العالمي للاممية الثانية شغل مواقف انتهازية متطرفة ابان الحرب العالمية الاولى ، اشتراكي-شوفيني اشترك في الحكومة البرجوازية . - ص ٢٩٤ ، ٣٤١ ، ٣٥٣ ، ٣٩٨ ، ٤٠١ ، ٤٠٥ ، ٤١٦

فايان (Vaillant) ادوار ماري (١٨٤٠-١٩١٥) - اشتراكي فرنسي احد مؤسسي الحزب الاشتراكي في فرنسا (سنة ١٩٠١) انتقل فيما بعد الى مواقف اصلاحية احد قادة الاممية الثانية ابان الحزب العالمية الاولى ، اشتراكي-شوفيني - ص ٣٢٨ ، ٣٣٠ ، ٣٣١ ، ٣٤٠ ، ٣٩٩ ، ٤٠٦

فورباخ (Feuerbach) لودفيغ اندرياس (١٨٠٤-١٨٧٢) - فيلسوف مادي وملحد الماني بارز . احد اسلاف الماركسية . انتقد فورباخ فلسفة هيغل المثالية ، واثبت الصلة بين المثالية والدين ولكنه ظل مثالياً في فهمه للظواهر الاجتماعية - ص ٣٤ ، ٣٥ ، ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٣٢ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ٢٣١

فورونتسوف فاسيلي بافلوفيتش (ف . ف .) (١٨٤٧-١٩١٨) - اقتصادي روسي كاتب اجتماعي وسياسي . احد ايدولوجيي الشعبية الليبرالية في العقدين التاسع والعاشر من القرن التاسع عشر . - ص ٢٠

فوغت (Vogt) كارل (١٨١٧-١٨٩٥) - عالم طبيعيات الماني من كبار ممثلي المادية المبتدلة . - ص ٢٣٥

فوغلشتين (Vogelstein) تيودور - اقتصادي الماني . - ص ٤٣٩ ، ٥٠٦

فولكر (Völker) - موظف حكومي الماني فيما بعد ، رئيس الاتحاد الالمانى لصناعة الفولاذ . - ص ٤٨٧

كارنيجي (Carnegie) انديرو (١٨٣٥-١٩١٩) - ملياردير اميركي في عام ١٨٨٩ اسس شركة للفولاذ في عام ١٩٠١ ضم شركاته الى تروست مورغان للفولاذ . - ص ٥٤٥

كالفير (Galwer) ريخارد (١٨٦٨-١٩٢٧) اقتصادي الماني بارز . ممثل الاصلاحية والتحريرية في الاشتراكية-الديموقراطية الالمانية . - ص ٥٣١

كانط (Kant) عمانوئيل (١٧٢٤-١٨٠٤) - فيلسوف الماني مؤسس المثالية الالمانية الكلاسيكية . - ص ٢٣٤

كاوتسكي (Kautsky) كارل (١٨٥٤-١٩٣٨) - احد زعماء الاشتراكية-الديموقراطية الالمانية والاممية الثانية في البدء ، ماركسي منذ عام ١٩١٤ ، مرتد عن الماركسية وايدولوجي اخطر وشر ضرب من الانتهازية ، هو الوسطية (الكاوتسكية) . - ص ٦٩ ، ٨٥ ، ١٣٦ ، ١٤٧-١٥١ ، ١٥٤ ، ١٦٦ ، ١٧٠ ، ١٩٣ ، ٢٩١-٢٩٢ ، ٢٩٩-٣٠٢ ، ٣٠٥ ، ٣٠٦ ، ٣٠٨ ، ٣١٠-٣٣٤ ، ٣٤٠ ، ٣٤١ ، ٣٤٣ ، ٣٤٥ ، ٣٤٦ ، ٣٥٠-٣٥٧ ، ٣٦٠ ، ٣٦١ ، ٣٦٣ ، ٣٦٥ ، ٣٦٦ ، ٣٨٠ ، ٣٨١ ، ٣٨٥ ، ٣٨٦ ، ٣٨٨ ، ٤٠١ ، ٤٠٢ ، ٤٠٤ ، ٤٠٥ ، ٤١٦ ، ٤٢١ ، ٤٢٦ ، ٤٢٧ ، ٤٢٨ ، ٤٣٠ ، ٤٤٧ ، ٤٥٧ ، ٥٢٦-٥٣١ ، ٥٣٤ ، ٥٤٧ ، ٥٥٢-٥٥٦ ، ٥٥٩-٥٦٥ ، ٥٦٩

كايو (Caillaux) جوزف (١٨٦٣-١٩٤٤) - رجل دولة فرنسي . احد زعماء الحزب الراديكالي البرجوازي ابان الحرب العالمية الاولى ، سعى الى عقد تواطؤ امبريالي بين فرنسا و المانيا ، الامر الذي دفع الاوساط الشوفينية المعادية لالمانيا في فرنسا الى انتقاده ومهاجمته . - ص ٣٠٤

كروپ (Krupp) - عائلة من الصناعيين تراست الكونسورسيوم الحربى الميتالورجي في المانيا وهو من الترسانات الاساسية للامبريالية الالمانية . - ص ٤١ ، ٤٦٦ ، ٤٩٦ ، ٥٥٩

كروبو تكين بيوتر الكسيفيتش (١٨٤٢-١٩٢١) - ثوري روسي جغرافي
ورحالة احد قادة وايدولوجيي الفوضوية عدو للماركسية من
عام ١٨٧٦ الى عام ١٩١٧ ، اقام في المهجر - ص ٢٧٤ ، ٣٩٤

كرومويل (Gromwell) **اوليفر** (١٥٩٩-١٦٥٨) زعيم البرجوازية
والاريستقراطية المتبرجة في مرحلة الثورة البرجوازية الانجليزية في
القرن السابع عشر ابتداء من عام ١٦٥٣ ، اللورد حامسي انجلترا
واسكتلنده وارلنده . - ص ٢٠١

كريتشيفسكي بوريس ناوموفيتش (١٨٦٦-١٩١٩) - اشتراكي-
ديموقراطي روسي احد زعماء «الاقتصادية» محرر في مجلة
«رابوتشييه ديلو» («قضية العمال») روج على صفحاتها بالنظرات
البرنشتينية بعد المؤتمر الثاني ح ع ادر (عام ١٩٠٣) ، انصرف عن
الحركة الاشتراكية-الديموقراطية . - ص ١١٢

كريستان (Kristan) **ايتبين** (١٨٦٧-١٩٥٣) - سياسي سلوفيني كاتب
وصحفي احد زعماء الاشتراكية-الديموقراطية السلوفينية -
ص ٨٣

كريستوفنيكوف غريغوري الكسندروفيتش (ولد عام ١٨٥٥) - رجل
صناعة وبورصة روسي كبير اكتوبري عضو مجلس الدولة عن
البرجوازية الصناعية . - ص ٢٧٥

كستنر (Kestner) **فريتس** - اقتصادي الماني . - ص ٤٤١ ، ٤٤٥ ،
٤٤٦ ، ٤٤٧

كلاوزفيتش (Clauzewitz) **كارل** (١٧٨٠-١٨٣١) - جنرال بروسي
نظري عسكري كبير جداً . - ص ٣٠٦ ، ٣٠٥ ، ٣٧٦

كوتلر نيقولاي نيقولايفيتش (١٨٥٩-١٩٢٤) - قائد بارز في حزب
الكاديت عضو دوما الدولة الثاني والثالث . احد واضعي برنامج
الكاديت الزراعي . - ص ٢٧٥ .

كوداشيف اي ا (ولد عام ١٨٥٩) - دبلوماسي قيصري - من عام ١٩١١ الى عام ١٩١٦ ، سفير في بلجيكا في عام ١٩١٤ اشترك في وضع برقية فاندرفلده الى الكتلة الاشتراكية-الديموقراطية في دوما الدولة الرابع دعت البرقية الى الكف عن النضال ضد القيصرية والى تأييد الحرب ضد المانيا . - ص ٣٩٨

كوستروف - راجعوا جورديان ن

كوسوفسكي ف (ليفينسون م يا .) (١٨٧٠-١٩٤١) - احد زعماء البوند بعد المؤتمر الثاني ح ع ادر (عام ١٩٠٣) ، منشفي ابان الحرب العالمية الاولى ، شغل موقفا ماليا للامان - ص ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، ٢٨٩ ، ٣٥٣

كوغلمان (Kugelmann) لودفيغ (١٨٣٠-١٩٠٢) - اشتراكي-ديموقراطي الماني صديق كارل ماركس اشترك في ثورة ١٨٤٨-١٨٤٩ في المانيا عضو الاممية الاولى . - ص ٢٦٧

كوكوشكين فيودور فيودوروفيتش (١٨٧١-١٩١٨) - سياسي برجوازي روسي . كاتت اجتماعي وسياسي عضو اللجنة المركزية للـحزب الكاديت . - ص ١٧٧-١٧٩ ١٨١ ١٨٩ ١٩٢ ٢١٧-٢٢١

كولتسوف د (الكنية الحقيقية - غينزبورغ يوريس ابراموفيتش؛ سيدوف ل .) اشتراكي-ديموقراطي روسي منشفي عاون في جملة من المطبوعات المنشفية بعد هزيمة ثورة ١٩٠٥-١٩٠٧ ، تصفوي ابان الحرب العالمية الاولى ، اشتراكي-شوفيني - ص ٥٣ ، ١١٥ ، ١٣٢

كولتشاك الكسندر فاسيليفيتش (١٨٧٣-١٩٢٠) - اميرال في الاسطول القيصري ملكي احد كبار قادة الثورة المضادة في روسيا في عامي ١٩١٨ و ١٩١٩ . - ص ٤٢٧ .

كوليوباكين الكسندر ميخايلوفيتش (١٨٦٨-١٩١٥) - من رجال
الزيمستفو ليبرالي برجوازي عضو اللجنة المركزية لحزب
الكاديت - ص ١٧٧

كونوف (Cunow) هنريخ (١٨٦٢-١٩٣٦) - اشتراكي-ديموقراطي يميني
المانى فى البدء ، التحق بالماركسيين ثم محرف ومزور للماركسية
ابان الحرب العالمية الاولى ، نظري الاشتراكية-الامبريالية
ص ٢٩٦ ، ٢٩٩ ، ٣٠١ ، ٣٠٨ ، ٣٢٤ ، ٣٥٦ ، ٥٢٩ ، ٥٣٠

كيرنسكي الكسندر فيودوروفيتش (١٨٨١-١٩٧٠) - اشتراكي-ثوري
نائب فى دوما الدولة الرابع فى الدوما انضم لفترة من الزمن الى فريق
التروودفيك وكان رئيسه ابان الحرب العالمية الاولى اشتراكي-
شوفيني بعد الثورة البرجوازية الديمقراطية فى شباط (فبراير)
١٩١٧ ، رئيس الحكومة الموقته البرجوازية - ص ١٠٤ ، ٣٩٣

ل فل (شينفينكل ميرون قسطنطينوفيتش) (١٨٧٩-١٩٢٥) -
اشتراكي-ديموقراطي روسي بلشفي فى عام ١٩١١ انصرف عن
البلاشفة ؛ فيما بعد ، انضم الى فريق البليخانوفيين فى باريس الذى كان
يصدر جريدة «زا بارتيو» («فى سبيل الحزب») فى عام ١٩١٧ عاد
الى الحزب البلشفي - ص ١٦٧ ، ٢٠٤

ل . م . - راجعوا مارتوف ل

لاسال (Lassale) فرويناند (١٨٢٥-١٨٦٤) - اشتراكي برجوازي
صغير الماني مؤسس احد ضروب الانتهازية فى الحركة العمالية
الالمانية هو اللاسالية اسس لاسال اتحاد العمال الالمان العام
وهذه مآثرته ؛ ولكنه قاد الاتحاد فى طريق الانتهازية . - ص ١٥٤ ،
٢٣١ ، ٢٦٦ ، ٣٢٠ .

لافارغ (Lafargue) بول (١٨٤٢-١٩١١) - قائد في الحركة العمالية الفرنسية والعالمية احد اوائل الماركسيين في فرنسا صديق قريب ورفيق بالفكر والكفاح لكارل ماركس وفريدريك انجلس كان عضواً في الاممية الاولى اسس مع غيد الحزب العمالي في فرنسا. - ص ١٩٩

لافارغ (Lafargue) لاوورا (١٨٤٥-١٩١١) - قائدة في الحركة العمالية الفرنسية ابنة كارل ماركس . - ص ٢٣٢

لانسبورغ (Lansburgh) الفرد (ولد عام ١٨٧٢) - اقتصادي الماني - ص ٤٥١ ، ٤٥٣ ، ٤٥٩ ، ٤٨٧ ، ٥٤ ، ٥٥٣ ، ٥٥٦ ، ٥٥٧ - ٥٥٩

لنتش (Lensch) باول (١٨٧٣-١٩٢٦) - اشتراكي-ديموقراطي الماني اشتراكي-شوفيني منذ بداية الحرب العالمية الاولى . - ٢٩٩ ، ٣٠٨ ، ٣٣١ ، ٣٨١

لوباتين غرمن الكسندروفيتش (١٨٤٥-١٩١٨) - ثوري روسي شعبي في العقد التاسع من القرن التاسع عشر ، كان على علاقات مودة وصداقة ، اثناء اقامته في المهجر ، مع ماركس وانجلس انتخب عضواً في المجلس العام للاممية الاولى . - ص ١٩٧

لوكاس (Lucas) تشارلز بريستفود (١٨٥٣-١٩٣١) - موظف انجليزي في المستعمرات مؤرخ مداح الامبريالية البريطانية . - ص ٣٣٦ ، ٥١٦

لوكاشيفيتش (توتشابسكي) ب . ل . (١٨٦٩-١٩٢٢) - اشترك في الحركة الثورية الروسية بعد المؤتمر الثاني جع ادر (عام ١٩٠٣) ، التحق بالبلاشفة بعد هزيمة ثورة ١٩٠٥-١٩٠٧ ابتعد عن البلشفية . - ص ٧١ .

لوكسمبورغ (Luxemburg) روزا (١٨٧١-١٩١٩) - قائدة بارزة في الحركة العمالية من زعماء الجناح اليساري في الاممية الثانية ناضلت ضد الانتهازية من مؤسسي الحزب الشيوعي الالمانى في كانون الثاني (يناير) ١٩١٩ اغتالها اعداء الثورة قدر لينين - روزا لوكسمبورغ رفيع التقدير ، ولكنه انتقد اخطاءها غير مرة ، وبذلك ساعدها في اتخاذ موقف صحيح - ص ٩٣-٩٦ ، ٩٩ ، ١٤٢ ، ١٤٤-١٦٢ ، ١٦٥ ، ١٦٦ ، ١٦٨-١٧٣ ، ١٧٨ ، ١٨٠ ، ١٨٣ - ١٨٨ ، ١٩٠ ، ١٩٢ ، ١٩٣ ، ١٩٧ ، ٢٠٨-٢١٣ ، ٢١٨ ، ٢٢٠ ، ٢٩٤ ، ٣٢٢ ، ٣٢٨

لونغه (Longuet) جان (١٨٧٦-١٩٣٨) - احد زعماء الحزب الاشتراكي الفرنسي والاممية الثانية كاتب اجتماعي وسياسي ابان الحزب العالمية الاولى ترأس الجناح الوسطي المسالم في الحزب الاشتراكي الفرنسي . - ص ٢٣٢

لونغه (Longuet) جيني (١٨٤٤-١٨٨٣) - قائدة في الحركة العمالية العالمية ابنة كارل ماركس . - ص ٢٣٢

لونغه (Longuet) شارل (١٨٣٩-١٩٠٣) - قائد في الحركة العمالية الفرنسية صحفي اشترك في كومونة باريس فيما بعد ، انضم الى التيار الانتهازي في الحزب العمالي في فرنسا - حزب الامكانيين - ص ١٩٩

لويد جورج (Lloyd George) دافيد (١٨٦٣-١٩٤٥) - رجل دولة وديبلوماسي بريطاني زعيم حزب الليبيراليين (حزب الاحرار) من ١٩١٦ الى ١٩٢٢ ، رئيس الوزارة . - ص ٣٠٤ ، ٣١٤ ، ٤٩٢

ليبر (غولدمان) ميخائيل ايساكوفيتش (١٨٨٠-١٩٣٧) - واحد من زعماء البوند . اشتراكي-شوفيني . - ص ٢١٠ ، ٢١١ .

ليبنكخت (Liebknecht) كارل (١٨٧١-١٩١٩) - قائد بارز في الحركة العمالية الالمانية والعالمية احد قادة الجناح اليساري في الاشتراكية-الديموقراطية الالمانية ابن ولهم ليبنكخت ابان الحرب العالمية الاولى ، عارض تأييد حكومتـه « في الحرب للصوية في ٢ كانون الاول (ديسمبر) ١٩١٤ ، صوت وحده في الريخستاغ ضد الاعتمادات الحربية كان احد منظمي وقادة فريق «الانترناسيونال» الذي اتخذ فيما بعد اسم فريق «سبارتاك» ثم اسم «اتحاد سبارتاك»
كان احد مؤسسي الحزب الشيوعي الالمانى وأحد قادة انتفاضة عمال برلين في كانون الثاني (يناير) ١٩١٩ بعد قمع الانتفاضة اغتاله اعداء الثورة ص ٣٤٩ ، ٣٦٨ ، ٤١٧

ليبنكخت (Liebknecht) ولهم (١٨٢٦-١٩٠٠) - قائد بارز في الحركة العمالية الالمانية والعالمية احد مؤسسي وقادة الحزب الاشتراكي-الديموقراطي الالمانى مناضل نشيط في الاممية الاولى والثانية نائب في الريخستاغ .- ص ٢٦٦ ، ٣٧١ ، ٣٨٢

ليبين ف (غرش ب م .) (ولد عام ١٨٨٢) - بوندي نشيط كان عضواً في اللجنة المركزية للوند ابان الحرب العالمية الاولى ، دعم السياسة اللاحاقية التي انتهجتها القيصرية - ص ٥٦ ، ٦٢ ، ٦٦ - ٦٨ ، ٨٤ ، ٨٧ ، ٩٠ ، ٩٩ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٥١ ، ١٧٤ ، ١٧٥ ، ١٨٢ ، ١٩٢ ، ٢٠٧ ، ٢١٤ ، ٢١٥ ، ٢١٦ ، ٢٢٣

ليزيس (Lysis) (ليتايو (Letailleur) يفغيني) - اقتصادي فرنسي مؤلف جملة من البحوث في المسائل المالية والسياسية - ص ٤٨١ ، ٤٨٣

ليجين (Legien) كارل (١٨٦١-١٩٢٠) - اشتراكي-ديموقراطي يميني الماني احد زعماء النقابات الالمانية محرف ابان الحرب العالمية الاولى ، اشتراكي-شوفيني - ص ٣٢٢ ، ٣٤٣ ، ٣٤٦ ، ٣٤٧ ، ٣٥٠ ، ٣٥١ ، ٣٥٣ ، ٤١٧ .

ليفين (Liefman) روبرت (١٨٧٤-١٩٤١) - اقتصادي الماني
 بروفيسور مؤلف جملة من البحوث في المسائل الاقتصادية -
 والاجتماعية - ص ٤٤٠ ، ٤٤١ ، ٤٤٩ ، ٤٥٣ ، ٤٧١ ، ٤٧٣ ،
 ٤٧٤ ، ٤٨٤ ، ٥٠٦ ، ٥٠٧

ليفني (Levi) غرمن (ولد عام ١٨٨١) - اقتصادي الماني مؤلف عدد
 من البحوث في مسائل الراسمال الماني - ص ٤٢٦

ليفيتسكي ف . (تسيديرباوم فلاديمير اوسيوفيتش) (ولد عام ١٨٨٣) -
 اشتراكي-ديموقراطي روسي منشفي بعد هزيمة ثورة ١٩٠٥ -
 ١٩٠٧ ، احد زعماء التصفيين ابان الحرب العالمية الاولى ،
 اشتراكي-شوفيني . - ص ١١٥

لينكولن (Lincoln) ابرام (١٨٠٩-١٨٦٥) - رجل دولة اميركي بارز
 احد زعماء الحزب الجمهوري رئيس الولايات المتحدة الاميركية من
 عام ١٨٦١ الى عام ١٨٦٥ اغتاله عميل لمالكي العبيد -
 ص ٥٥٢

لينين فلاديمير ايليتش (لينين ن ، ف اي .) (١٨٧٠-١٩٢٤) -
 ص ٦٢ ، ٩١ ، ١٤٧ ، ٤٢٩

مارتوف ل (تسيديرباوم يولي اوسيوفيتش ، ل م .) (١٨٧٣-١٩٢٣)
 اشتراكي-ديموقراطي روسي احد زعماء المنشفية بعد
 هزيمة ثورة ١٩٠٥-١٩٠٧ ، تصفوي ابان الحرب العالمية الاولى ،
 شغل موقفا امميا بعد الثورة البرجوازية الديموقراطية في شباط
 (فبراير) ١٩١٧ ترأس فرقة المناشفة الامميين بعد ثورة اكتوبر
 الاشتراكية ، وقف ضد السلطة السوفييتية - ص ١١٥ ، ١٢٣ ،
 ٢١٨ ، ٣٣٠ ، ٣٣٣ ، ٤١٧ ، ٥٤٩ ، ٥٦٩

مارتينوف ا (بيكر الكسندر صهولوفيتش) (١٨٦٥-١٩٣٥) - احد
 زعماء «الاقتصادية» . منشفي . بعد هزيمة ثورة ١٩٠٥-١٩٠٧ ،

تصفوي فيما بعد ، عضو في الحزب الشيوعي - ص ١١٢ ، ١١٤ ،
٢١١ ، ١٤٢

ماركس (فون وستفالين) (Marx, von Westfalen) (١٨٨١-١٨١٤) -
زوجة كارل ماركس . - ص ٢٢٨ ، ٢٣١

ماركس (Marx) كارل (١٨٨٣-١٨١٨) . - ص ٢٦ ، ٢٨ ، ٣٣-٣٩ ،
٥١ ، ١٤٩ ، ١٥٤ ، ١٩٤-٢٠٦ ، ٢٢٥-٢٦٧ ، ٢٧٧ ، ٢٧٨ ،
٢٩٤ ٣٠٥-٣٠٩ ، ٣٢٢ ، ٣٢٦ ، ٣٥٩ ، ٣٦٠ ، ٣٦٩ ،
٣٧٦ ٣٨١-٣٨٣ ، ٣٨٧ ، ٣٩٢ ، ٤٣٥ ، ٤٣٧ ، ٤٥٩ ، ٤٤٧ ،
٥٤٨ ، ٥٧٢

مازيبا ايفان ستيمانوفيتش (١٦٤٤-١٧٠٩) - غتمان (زعيم) اوكراني
ترأس حركة استهدفت فصل اوكرانيا عن روسيا وتحويلها الى دولة
منفردة متميزة تحت حماية بولونيا او اسوج - ص ١٧٩

مازيني (Mazzini) جوزيه (١٨٠٥-١٨٧٢) - ثوري ايطالي بارز
ديموقراطي برجوازي احد ايدولوجيي حركة التحرر الوطني
الاطالية . - ص ١٩٨ ، ٢٣١

ماسلوف بيوتر بافلوفيتش (١٨٦٧-١٩٤٦) - اشتراكي-ديموقراطي
روسي منشفي مؤلف بحوث في المسألة الزراعية حاول فيها
اعادة النظر في الماركسية وتحريفها ابان الحرب العالمية الاولى ،
اشتراكي-شوفيني - ص ٢٧٤ ، ٣٩٥ ، ٥١٣ ، ٥٤٩

ماك دونالد (Macdonald) جيمس رمسي (١٨٦٦-١٩٣٧) - سياسي
بريطاني احد مؤسسي وزعماء حزب العمال المستقل وحزب العمال

(الحزب اللابوري - Labour Party) انتهج سياسة انتهازية متطرفة
في الحزب وفي الاممية الثانية ؛ روج بنظرية تحول الرأسمالية بصورة
سلمية الى اشتراكية . - ص ٤٢٦ .

ماكزنز (Mackensen) اوغست (١٨٤٩-١٩٤٥) - جنرال-فلمارشال
ممثل الطغمة العسكرية الامبريالية الالمانية القائد الاعلى للجيش
الالمانية ابان الحرب العالمية الاولى - ص ٤٠٤

مانين س ل بوندي في عام ١٩١٣ ، عاون في جريدة المناشفة-
التصفويين « لوتش » («الشعاع») . - ص ٨٢

منشيكوف ميخائيل اوسيبوفيتش (١٨٥٩-١٩١٩) - كاتب سياسي
 واجتماعي روسي رجعي عاون في جريدة المائة السود ونوفويه
فريميا » - ص ٢٧٤

مهريخ (Mehring) فرانتس (١٨٤٦-١٩١٩) - قائد بارز في الحركة
العمالية في المانيا احد زعماء ونظريي الجناح اليساري في الاشتراكية-
الديموقراطية الالمانية اضطلع بدور بارز في تأسيس الحزب الشيوعي
الالمانى . - ص ٢٩٤ ، ٣٢٢ ، ٣٢٨

مورانوف ماتفي قسطنطينوفيتش (١٨٧٣-١٩٥٩) - اشتراكي-ديموقراطي
بلشفي انضم الى الكتلة البلشفية في دوما الدولة الرابع في تشرين الثاني
(نوفمبر) ١٩١٤ ، اعتقل ونفي الى سيبيريا بسبب نشاطه الثوري ضد
الحرب الامبريالية . - ص ٢٨٣ ، ٢٨٤ ، ٣٥٣ ، ٣٩٩

مورغان (Morgan) جون بيبووث (١٨٦٧-١٩٤٣) - ملياردير اميركي
رئيس بيت مصرفي من اكبر البيوت المصرفية في الولايات المتحدة
الاميركية . - ص ٤٦٤ ، ٥٠٥

موريس (Morris) هنري ك . (ولد عام ١٨٦٨) - حقوقي ومؤلف بحوث
في التاريخ والاقتصاد . - ص ٥١٠

موريل (Morel) ادموند دين (١٨٧٣-١٩٢٤) - كاتب اجتماعي وسياسي
انجليزي مسالم قبل الحرب العالمية الاولى ، التحق بالجناح اليساري
في الحزب الليبيرالي (حزب الاحرار) . انضم منذ بداية الحرب الى حزب

العمال المستقل احد مؤسسي وقادة اتحاد الرقابة الديمقراطية المسالم في ١٩١٧ ، تعرض للسجن بسبب دعايته ضد العسكرية . - ص ٣٦١-٣٦٣

موسست (Most) يوهان يوسف (١٨٤٦-١٩٠٦) - اشتراكي-ديموقراطي الماني ، ثم فوضوي بعد صدور القانون الاستثنائي ضد الاشتراكيين في عام ١٨٧٨ ، هاجر الى لندن حيث اصدر الجريدة الفوضوية «Freiheit» (فريهيت) - «الحرية» في عام ١٨٨٢ ، انتقل الى الولايات المتحدة الاميركية حيث واصل اصدار «Freiheit» فيما بعد ، انصرف عن الحركة العمالية . - ص ٢٦٧

موسولينى (Mussolini) بينيتو (١٨٨٣-١٩٤٥) - بدأ نشاطه السياسي في صفوف الحزب الاشتراكي الايطالي في مستهل الحرب العالمية الاولى ، انتقل على المكشوف الى جانب البرجوازية الامبريالية ؛ ومن جراء ذلك طرد من الحزب في كانون الاول (ديسمبر) ١٩١٤ فيما بعد ، زعيم الفاشيين الايطاليين من عام ١٩٢٢ الى عام ١٩٤٣ - الديكتاتور الفاشي الايطالي احد كبار مجرمي الحرب . - ص ٤٠٩

موغيليانسكي م . م . م (١٨٧٣-١٩٤٢) - كاديتي عاون في لسان الحال المركزي لحزب الكاديت «الريتش» وفي مطبوعات دورية روسية - واوكرانية اخرى . - ص ١٧٢ ، ١٧٣

موليشوت (Moleschott) ياكوب (١٨٢٢-١٨٩٣) - عالم فيسيولوجي من كبار ممثلي المادية المبتذلة . - ص ٢٣٥

مونيتور (Monitor) - اسم مستعار نشر به اشتراكي-ديموقراطي الماني ، انتهازي ، في نيسان (ابريل) ١٩١٥ مقالة في الصحيفة المحافظة «Preußische Jahrbücher» (بروسيشه ياهربوخر) مدح صاحب المقالة على المكشوف طابع الاشتراكية-الديموقراطية الوسطي الذي يتيح للانهازيين ستر سياسة التعاون الطبقي مع البرجوازية بالتعابير والجمل

«اليسارية» ، واقترح الحفاظ على هذا الطابع مستقبلاً لانه ينفـع
الانتهازيين والبرجوازية .- ص ٣٤٣ ، ٤٠٧

ميديم ف. د. (غولدرات) (١٨٧٩-١٩٢٣) - احد زعماء البوند ايد
المناشفة .- ص ٩٦-٩٧ ، ٢١ ، ٢١١ ، ٢١٥

ميليران (Millerand) الكسندر ايتيين (١٨٥٩-١٩٤٣) - سياسي فرنسي
في العقد العاشر من القرن التاسع عشر ، انضم الى الاشتراكيين ، وترأس
الاتجاه الانتهازي في الحركة الاشتراكية الفرنسية في عام ١٨٩٩ ،
اشترك في حكومة فالديك - روسو البرجوازية الرجعية
بعد طرده في عام ١٩٠٤ من الحزب الاشتراكي ، شكل مع
الاشتراكيين السابقين الآخرين (ومنهم بريان وفيفياني) فريق
«الاشتراكيين المستقلين» شغل غير مرة مناصب وزارية مختلفة من
عام ١٩٢٠ الى عام ١٩٢٤ ، رئيس الجمهورية الفرنسية .- ص ٣٠٨ ،
٤٢٦

مينيه (Mignet) فرانسوا اوغست ماري (١٧٩٦-١٨٤٤) - مؤرخ
فرنسي ليبرالي الاتجاه .- ص ٢٤٢

نابليون الثالث (لويس نابليون بوناپرت) (١٨٠٨-١٨٧٣) - امبراطور
فرنسي (١٨٥٢-١٨٧٠) .- ص ٣٠٧ ، ٣٧٠ ، ٣٨٢

نوسكه (Noske) غوستاف (١٨٦٨-١٩٤٦) - احد الزعماء الانتهازيين في
الحزب الاشتراكي-الديموقراطي الالمانى ابان الحرب العالمية الاولى ،
اشتراكي-شوفيني . احد قادة قمع الحركة الثورية في المانيا .- ص ٤٢٧ .

نيقولاى الثاني (رومانوف) (١٨٦٨-١٩١٨) - آخر امبراطور روسي
(١٨٩٤-١٩١٧) .- ص ٢٧٤ ، ٢٧٨ ، ٣٠٦

نيقولاى - ون - راجعوا دانييلسون ن . ف .

نيكرا سوف نيقولاي فيساريونوفيتش (ولد عام ١٨٧٩) - كاديتي نائب
في دوما الدولة الثالث والرابع .- ص ١٧٧

نيمارك (Neymarck) الفرد اقتصادي واحصائي فرنسي .- ص ٤٨٩ ،
٥٥٣ ، ٤٩٢

نينارو كوموف غ . ب . (ولد عام ١٨٧٤) - مدعي عام في محكمة قيصرية .
في شباط (فبراير) ١٩١٥ ، تكلم باسم الحق العام في المحاكمة التي
نظمتها السلطات القيصرية ضد النواب البلاشفة في دوما الدولة الرابع .-
ص ٣٩٨

هارمس (Harms) برنهارد (١٨٧٦-١٩٣٩) - اقتصادي الماني احد
ممثلي اشتراكية المنابر مداح الامبريالية الالمانية - ص ٣١٤ ،
٤٩٣

هازه (Haase) هوغو (١٨٦٣-١٩١٩) - احد زعماء الاشتراكية-
الديموقراطية الالمانية ابان الحرب العالمية الاولى ، وقف مواقف
وسطية في نيسان (ابريل) ١٩١٧ ، احد مؤسسي والحزب الاشتراكي-
الديموقراطي الالمانى المستقل .- ص ٣٤١ ، ٣٤٣ ، ٣٥٧ ، ٤٠٤

هافيمبير (Havemeyer) جون ك . (١٨٣٣-١٩٢٢) - صناعي اميركي
صاحب تروست كبير للسكر شريك في شركات للسكك الحديدية
وغيرها من الشركات .- ص ٤٨١

هايندمان (Hyndman) هنري مايرس (١٨٤٢-١٩٢١) - اشتراكي
انجليزي اصلاحى من ١٩٠٠ الى ١٩١٠ ، عضو المكتب الاشتراكي
العالمي احد زعماء الحزب الاشتراكي البريطاني تركه في عام ١٩١٦
بعد ان شجب مؤتمر الحزب في سولفورد موقفه الاشتراكي الشوفيني
من الحرب الامبريالية .- ص ٢٩١ ، ٢٩٢ ، ٢٩٤ ، ٣٠٢ ، ٣٢٨ ،
٤٢٦ ، ٣٦٤ ، ٣٣١ ، ٣٣٠ .

هرتسين الكسندر ايفانوفيتش (١٨١٢-١٨٧٠) - ثوري ديموقراطي روسي فيلسوف مادي كاتب وصحفي مؤسس الاشتراكية «الفلاحية» الروسية في سنة ١٨٤٧ ، هاجر الى الخارج في سنة ١٨٥٢ ، اسس في لندن مطبعة روسية وارسى اساس الصحافة الروسية الحرة في الخارج .- ص ٢ ، ١٠٦ ، ١٠٧

هكسلي (Hexly) توماس هنري (١٨٢٥-١٨٩٥) - عالم طبيعيات انجليزي مادي غير منسجم قال عن نفسه بانه نصير العجزيّة (اللادرية) (agnosticisme) .- ص ٢٣٤

هندرسون (Henderson) ارتور (١٨٦٣-١٩٣٥) - سياسي انجليزي . احد الزعماء اليمينيين في حزب العمال البريطاني ومجلس التريديونونات اشتراكي-شوفيني من عام ١٩١٥ الى عام ١٩٣١ اشترك مراراً في الحكومات البريطانية .- ص ٣٥٣

هندنبورغ (Hindenburg) باول (١٨٤٧-١٩٣٤) - رجل دولة وقائد عسكري الماني فلدمارشال ممثل العناصر الرجعية والشوفينية في الامبريالية الالمانية .- ص ٤٠٤

هوبسون (Hobson) جون اكينسون (١٨٥٨-١٩٤٠) - اقتصادي انجليزي . اصلاحي مسالم .- ص ٤٢٠ ، ٤٢٧ ، ٤٣٠ ، ٤٩٢ ، ٥١١ ، ٥٢٨ ، ٥٣٧ ، ٥٣٩ ، ٥٤١ ، ٥٤٢ ، ٥٤٤ ، ٥٤٦ ، ٥٥٠ ، ٥٥٢ ، ٥٦٠

هوبنر (Hübner) اوتو واضع وناشر الحوليات الجغرافية الاحصائية "Geographisch-Statistische Tabellen aller Länder der Erde" - ص ٥١٣ .

هوجلوند (Höglund) كارل تسييت قسطنطين (١٨٨٤-١٩٥٦) - اشتراكي-ديموقراطي اسوجي زعيم الجناح اليساري في الحركة الاشتراكية-الديموقراطية وفي الحركة الاشتراكية الشبابية في اسوج ابان الحرب العالمية الاولى ، اممي . انضم الى الجناح اليساري اليميرفالدي . من عام

١٩١٧ الى عام ١٩٢٤ ، احد قادة الحزب الشيوعي الاسوجي طرد منه لانتهازيته .- ص ٣٣٩ ، ٤٠٦

هوليوك (Holyoake) جورج جاكوب - قائد في الحركة التعاونية الانجليزية اصلاحي .- ص ٢٦٤

هويسمانس (Huysmans) هميل (١٨٧١-١٩٦٨) - من اقدم قادة الحركة العمالية البلجيكية من سنة ١٩٠٤ الى سنة ١٩١٩ امين المكتب الاشتراكي العالمي للاممية الثانية شغل موقفاً وسطياً في السنوات الاخيرة من حياته ، دعا الى بعث وحدة الحركة العمالية العالمية .- ص ٥٦٩

هيجل (Hegel) غيورغ ولهم فريديرخ (١٧٧٠-١٨٣١) - فيلسوف الماني كبير جداً مثالي موضوعي تقوم ماثرة هيجل التاريخية في دراسته العميقة والشاملة للديالكتيك المثالي التي غدت احد المصادر النظرية للمادية الديالكتيكية .- ص ٣٥ ، ٢٢٦ ، ٢٢٢-٢٣٧ ، ٣٠٣ ، ٣٠٥

هيكير (Haecker) اميل (١٨٧٥-١٩٣٤) - سياسي في الجناح اليميني للحزب الاشتراكي البولوني من سنة ١٩٠٦ الى سنة ١٩١٩ ، عضو في قيادة الحزب الاشتراكي-الديموقراطي البولوني اشترك في عدد من مؤتمرات الاممية الثانية .- ص ١٩٣

هيل (Hill) دافيد جين (١٨٥٠-١٩٣٢) - مؤرخ وديپلوماسي اميركي .- ص ٥٦٣

هيلديبراند (Hildebrand) هرغارد - اقتصادي الماني كاتب اجتماعي وسياسي كان عضواً في الحزب الاشتراكي-الديموقراطي في عام ١٩١٢ طرد من الحزب بسبب انتهازيته .- ص ٥٤٤ .

هيلفردينغ (Hilferding) رودولف (١٨٧٧-١٩٤١) - احد الزعماء
الانتهازيين في الاشتراكية-الديموقراطية الالمانية والاممية الثانية نظري
ما يسمى «الماركسية النمساوية»

في سنة ١٩١٠ ، نشر مؤلفه «الراسمال المالي» الذي اضطلع
بدور ايجابي محدد في دراسة الرأسمالية الاحتكارية والذي تضمن
كذلك اخطاء نظرية خطيرة وموضوعات انتهازية ابان الحروب
العالمية الاولى ، وسطي ، و زاد عن الوحدة مع الاشتراكيين-الامبرياليين .
- ص ٤٢٧ ، ٤٣٠ ، ٤٣٤ ، ٤٧٢ ، ٤٨١ ، ٤٨٤ ، ٤٩٢ ، ٥١٩ ،
٥٣٧ ، ٥٥٤ ، ٥٦٤

هيمان (Heymann) هانس غيديون اقتصادي الماني - ص ٤٣٤ ،
٤٧٤ ، ٤٣٥

هينيش (Haenisch) كونراد (١٨٧٦-١٩٢٥) - اشتراكي-ديموقراطي
الماني كاتب اجتماعي وسياسي ابان الحرب العالمية الاولى ، احد
ايدولوجيي الاشتراكية-الشوفينية الالمانية . - ص ٣٣١

هينغ (Heinig) هورت (١٨٨٦-١٩٥٦) - اشتراكي-ديموقراطي
الماني اقتصادي كاتب اجتماعي وسياسي - ص ٤٧٧ ، ٥٠٠

هينه (Heine) ولفغانغ (١٨٦١-١٩٤٤) - سياسي الماني اشتراكي
ديموقراطي يميني ابان الحرب العالمية الاولى ، اشتراكي-شوفيني -
ص ٣٣١ ، ٣٩٩ ، ٤٠١ ، ٤٠٤

هيوم (Hume) دافيد (١٧١١-١٧٧٦) - فيلسوف انجليزي مثالي
ذاتي عجزى (لادري) مؤرخ واقتصادي - ص ٢٣٤ ، ٢٣٥

ويب (Webb) سيدني (١٨٥٩-١٩٤٧) - شخصية اجتماعية انجليزية .
اصلاحي احد مؤسسي الجمعية الفابية ابان الحرب العالمية الاولى ،
وقف مواقف الاشتراكية-الشوفينية في سنة ١٩٢٤ ومن سنة ١٩٢٩
الى سنة ١٩٣١ ، اشترك في الحكومة العمالية . - ص ٣٦٠ .

ويستفالن - راجعوا ماركس جيني

ويليخ (Willich) اوغست (١٨١٠-١٨٧٨) - اشترك في الحركة الثورية في المانيا عضو عصبة الشيوعيين بعد هزيمة ثورة ١٨٤٨-١٨٤٩ في المانيا ، هاجر الى سويسرا ، ثم الى انجلترا احد زعماء الكتلة الانشقاقية المغامرة التي انفصلت عن عصبة الشيوعيين في سنة ١٨٥٠ - ص ٢٦٥

يوردانسكي نيقولاي ايفانوفيتش (١٨٧٦-١٩٢٨) - اشتراكي-ديموقراطي روسي منشفي ايد الحرب في عام ١٩٢١ ، انتسب الى الحزب الشيوعي شغل عدة مناصب رفيعة - ص ٢٨١

يوركيفيتش ليف (١٨٨٥-١٩١٨) - قومي متعصب اوكراني عضو اللجنة المركزية لحزب العمال الاشتراكي-الديموقراطي الاوكراني - ص ٥٧ ، ٦٨ ، ٧١-٧٣ ، ٨٢ ، ٩٩ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٥١ ، ١٧٤ ، ١٧٥ ، ١٨٢ ، ١٩٢ ، ٢٠٧ ، ٢١٥ ، ٢١٦ ، ٢١٨

بيدلس (Jeidels) اوتو - اقتصادي الماني - ص ٤٤٨ ، ٤٤٩ ، ٤٦٥ ، ٤٦٦ ، ٤٦٨ ، ٤٧٠ ، ٤٧١ ، ٤٧٢ ، ٥٠٧ ، ٥١١

محتويات

٥	من الدار
١١	نهاية الحرب بين ايطاليا وتركيا
١٣	طوبويتان
٢٠	عن الشعبية
٢٦	مصائر مذهب كارل ماركس التاريخية
	الملكية العقارية الاقطاعية الكبيرة والملكية العقارية الفلاحية الصغيرة
٣١	في روسيا
٣٣	مصادر الماركسية الثلاثة واقسامها المكونة الثلاثة
٤٠	«من يستفيد من ذلك ؟»
٤٢	الرأسمالية وعمل النساء
٤٥	استيقاظ آسيا
٤٨	التسلح والرأسمالية
٥١	الماركسية والاصلاحية
٥٦	ملاحظات انتقادية حول المسألة القومية
٥٧	١ - موقف الليبيراليين والديموقراطيين في مسألة اللغات
٦١	٢ - «الثقافة القومية»
٦٦	٣ - فزاعة «التمثيلية» القومية
٧٥	٤ - «استقلال الثقافة القومية الذاتي»
٨٤	٥ - المساواة في الحقوق بين الامم وحقوق الاقلية القومية
٩٠	٦ - المركزية والحكم الذاتي
١٠٠	حول استقلال «الثقافة القومية» الذاتي

- ١٠٦ من ماضي الصحافة العمالية في روسيا
- ١١٨ حول الاخلال بالوحدة ، المنشتر بالصراخ عن الوحدة
- ١١٩ ١ - في «التكتل»
- ١٢٤ ٢ - في الانشقاق
- ١٣٠ ٣ - في تفكك كتلة آب
- ١٣٣ ٤ - نصائح ساعي صلح الى جماعة «السبعة»
- ١٣٧ ٥ - آراء تروتسكي التصفوية
- ١٤٤ حق الامم في تقرير مصيرها
- ١٤٥ ١ - ما معنى حرية الامم في تقرير مصيرها ؟
- ١٥١ ٢ - وضع القضية وضعا تاريخيا ملموسا
- ١٥٦ ٣ - الخصائص الملموسة لمسألة القوميات في روسيا وتحويل هذا البلد تحويلا برجوازيا ديموقراطيا
- ١٦٢ ٤ - «الروح العملي» في مسألة القوميات
- ١٦٩ ٥ - البرجوازية الليبرالية والانتهازيون الاشتراكيون ومسألة القوميات
- ١٨٣ ٦ - انفصال الزوج عن اسوج
- ١٩١ ٧ - قرار المؤتمر العالمي المنعقد في لندن عام ١٨٩٦
- ١٩٧ ٨ - كارل ماركس الطوبوي وروزا لوكسمبورغ العملية
- ٢٠٧ ٩ - برنامج عام ١٩٠٣ ومصنفوه
- ٢١٨ ١٠ - خاتمة
- كارل ماركس (موجز عن تاريخ حياة كارل ماركس ، يتضمن عرضا
- ٢٢٥ للماركسية)
- ٢٢٥ مقدمة
- ٢٣٢ مذهب ماركس
- ٢٥٧ الاشتراكية
- ٢٦١ تكتيك نضال البروليتاريا الطبقي
- مهمات الاشتراكية-الديموقراطية الثورية في الحرب الاوروبية
- ٢٦٨ نظرة الاشتراكية-الديموقراطية في روسيا الى الحرب الاوروبية

٢٧٤	بصدد كرامة الروس القومية
	ماذا اثبتت المحاكمة بحق كتلة العمال الاشتراكية-الديموقراطية في
٢٨٠	روسيا ؟
٢٨٩	افلاس الاممية الثانية
٢٩٠	١
٢٩٦	٢
٣٠٢	٣
٣١٠	٤
٣١٦	٥
٣٢٣	٦
٣٣٤	٧
٣٤٦	٨
٣٥٣	٩
٣٥٩	المسالمة البريطانية وعدم الحب البريطاني للنظرية
	الاشتراكية والحرب (موقف حزب العمال الاشتراكي-الديموقراطي في
٣٦٧	روسيا من الحرب)
٣٦٧	مقدمة الطبعة الاولى (الاجنبية)
٣٦٨	مقدمة الطبعة الثانية
٣٦٩	الفصل الاول مبادئ الاشتراكية وحرب ١٩١٤-١٩١٥
٣٩٢	الفصل الثاني الطبقات والاحزاب في روسيا
٤٠	الفصل الثالث بعث الاممية
	الفصل الرابع تاريخ الانشقاق ، ووضع الاشتراكية-
٤٠٩	الديموقراطية الراهن في روسيا
٤٢٠	الامبريالية اعلى مراحل الرأسمالية
٤٢٠	مقدمة
٤٢٢	مقدمة للطبعتين الفرنسية والالمانية
٤٣١	١ - الاحتكارات وتمركز الانتاج
٤٥٠	٢ - البنوك ودورها الجديد
٤٧٢	٣ - الرأسمال المالي والطفمة المالية

٤٩١	٤ - تصدير الرأسمال
٤٩٨	٥ - اقتسام العالم بين اتحادات الرأسماليين
٥٠٨	٦ - اقتسام العالم بين الدول الكبرى
٥٢٣	٧ - الامبريالية مرحلة خاصة في الرأسمالية
٥٣٧	٨ - طفيلية الرأسمالية وتعفنها
٥٤٩	٩ - انتقاد الامبريالية
٥٦٦	١٠ - مكان الامبريالية في التاريخ
٥٧٣	ملاحظات
٦٢٨	دليل الاسماء

الى القراء

ان دار التقدم تكون شاكرة لكم اذا تفضلتم وابديتم لها ملاحظاتكم حول
ترجمة الكتاب وشكل عرضه ، وطباعته ، واعربتم لها عن رغباتكم .
العنوان زوبوفسكي بولفار ، ٢١
موسكو - الاتحاد السوفييتي